هذا الكتاب لعلم القراء من سورة ص

١

الزاني لا ينكح الا زانية او مشركة والزانية لا ينكحها الا زان او مشرك اذ الغالب ان المايل
الى الزنا لا يرغب في نكاح الصوالح والمسافحة لا يرغب فيها الصلحاء فان المشاكلة علة الالفة
والتضام والمخالفة سبب للنفرة والافتراق وكان حق المقابلة ان يقال والزانية لا تنكح الا من
زان او مشرك لكن المراد بيان احوال الرجال في الرغبة فيهن لان الآية نزلت في ضعفة
المهاجرين لما هموا ان يتزوجوا بغايا يكرين انفسهن لينفقن عليهم من كسبهن على عادة
الجاهلية ولذلك قدم الزاني وحرم ذلك على المؤمنين لانه تشبه بالفساق وتعرض للتهمة
وتسبب لسوء المقالة والطعن في النسب وغير ذلك من المفاسد ولذلك عبر عن التنزيه بالتحريم
مبالغة وقيل النفي بمعنى النهي وقد قرئ به والحرمة على ظاهرها والحكم مخصوص بالسبب الذي
ورد فيه او منسوخ بقوله وانكحوا الايامى منكم فانه يتناول المسافحات ويؤيده انه عم سئل
عن ذلك فقال اوله سفاح وآخره نكاح والحرام لا يحرم الحلال وقيل المراد بالنكاح الوطء
فيؤول الى نهي الزاني عن الزنا الا بزانية والزانية ان يزني بها الا زان وهو فاسد [illegible]

رجل [illegible] فقبضه وتصرف ثلث سنين ثم استحقه رجل واقام البينة
[illegible] طلب الغلة التي تصرف فيها المشتري هل يجب عليه
الاداء ام لا الجواب يوضع من الغلة ما انفق المشتري في عادة الكرم
في قطع الكرم واصلاح السواقي وبناء الحيطان ومرمته وما فضل اخذ
المستحق من المشتري [illegible]

وفي الوصايا القدسية للشيخ الكامل الكافي
والمرشد المحقق الوافي زين الملة والدين الخافي
[illegible] من الصلوات التي يجب المحافظة عليها صلوة بقاء
الايمان وهي ان تصلي ركعتين بعد ركعتي سنة المغرب
يقرأ في كل ركعة الفاتحة وآية الكرسي وقل هو الله احد مرة
والمعوذتين مرة فاذا سلم يصلي على النبي عم عشر
مرات ثم يدعو بهذا الدعاء ثلث مرات اللهم اني استودعتك
ديني وايماني فاحفظهما علي في حيوتي وعند وفاتي وبعد مماتي ليثبته
الله تعالى على الايمان ويامنه من النزع والخذلان في مشكاة الانوار

البيضاوي

وفي المصابيح ومفاتيح الجنان عن عبد
الله بن ابي اوفى قال قال رسول الله عم
من كان له حاجة الى الله او الى احد من بني آدم
فليتوضأ وليحسن الوضوء ثم ليصل ركعتين ثم
ليثن على الله تعالى وليصل على النبي عم ثم
ليقل لا اله الا الله الحليم الكريم سبحان الله رب
العرش العظيم والحمد لله رب العالمين اسئلك
موجبات رحمتك وعزائم مغفرتك والغنيمة من كل بر
والسلامة من كل اثم والعصمة من كل بلاء لا تدع ذنبا الا
غفرته ولا هما الا فرجته ولا حاجة من حوائج الدنيا والآخرة لك
فيها رضاء ولنا فيها صلاح الا قضيتها يا ارحم الراحمين و
الحمد لله رب [illegible]

٢٧٦

٣٢

Süleymaniye Kütüphanesi
Kısım: AMCAZADE Huseyin Pş
Yeni: 32
Eski kayıt:

سورة ص مكية وهي ست وثمانون وقيل ثمان وثمانون آية بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

صاد على الوقف وهي اكثر القراءة وقرئ بالكسر والفتح لالتقاء الساكنين ويجوز ان ينتصب بحذف
حرف القسم وايصال فعله كقولهم الله لافعلن بالنصب او باضمار حرف القسم والفتح في موضع الجر
كقولهم الله لافعلن بالجر وامتناع الصرف للتعريف والتانيث لانها بمعنى السورة وقد صرف هاهنا من قرأ
صادٍ بالجر والتنوين على تأويل الكتاب والتنزيل وقيل فيمن كسر هو من المصاداة وهي المعارضة
والمعادلة ومنها الصدى وهو ما يعارض الصوت في الاماكن الخالية من الاجسام الصلبة ومعناه
عارض القرآن بعملك فاعمل باوامره وانته عن نواهيه فان قلت قوله صاد والقرآن ذي الذكر
بل الذين كفروا في عزة وشقاق كلام ظاهره متنافر غير منتظم فما وجه انتظامه قلت فيه وجهان
احدهما ان يكون قد ذكر اسم هذا الحرف من حروف المعجم على سبيل التحدي والتنبيه على الاعجاز
كما مر في اول الكتاب ثم اتبعه القسم محذوف الجواب لدلالة التحدي عليه كانه قال والقرآن
ذي الذكر انه لكلام معجز والثاني ان يكون صاد خبر مبتداء محذوف على انها اسم للسورة كانه قال
هذه صاد يعني هذه السورة بالرفع التي اعجزت العرب والقرآن ذي الذكر كما تقول هذا حاتم
والله تريد هذا هو المشهور بالسخاء والله وكذلك اذا اقسم بها كانه قال اقسمت بصاد والقرآن
ذي الذكر انه لمعجز ثم قال بل الذين كفروا في عزة وشقاق واستكبار عن الاذعان لذلك
والاعتراف بالحق وشقاق لله ورسوله واذا جعلتها مقسما بها وعطفت عليها والقرآن ذي
الذكر جاز لك ان تريد بالقرآن التنزيل كله وان تريد السورة بعينها ومعناه اقسم بالسورة
الشريفة والقرآن ذي الذكر كما تقول مررت بالرجل الكريم وبالنسمة المباركة ولا تريد بالنسمة
غير الرجل والذكر الشرف والشهرة من قولك فلان مذكور وانه لذكر لك ولقومك او الذكر
والموعظة او ذكر ما يحتاج اليه في الدين من الشرايع وغيرها كاقاصيص الانبياء والوعد والوعيد

ص والقرآن ذي الذكر بل الذين كفروا في عزة وشقاق

والتنكير في عزة وشقاق للدلالة على شدتهما وفخامتهما وقرئ في غرة اي في غفلة عما يجب عليهم
من النظر واتباع الحق من قبلهم من قرن اهلكنا وعيد لذوي العزة والشقاق فنادوا فدعوا واستغاثوا
وعن الحسن فنادوا بالتوبة ولات هي لا المشبهة بليس زيدت عليها تاء التانيث كما زيدت على
رب وثم للتوكيد وتغير بذلك حكمها حيث لم تدخل الا على الاحيان ولم يبرز الا احد مقتضييها
اما الاسم واما الخبر وامتنع بروزهما جميعا وهذا مذهب الخليل وسيبويه وعند الاخفش انها لا
النافية للجنس زيدت عليها التاء وخصت بنفي الاحيان حين مناص منصوب بها كانك قلت
ولا حين مناص لهم وعنه ان ما ينتصب بعده بفعل مضمر اي ولا ارى حين مناص ويرتفع بالابتداء
اي ولا حين مناص كائن لهم وعندهما ان النصب على ولات الحين حين مناص اي وليس الحين
حين مناص والرفع على ولات حين مناص حاصلا لهم وقرئ حين مناص بالكسر ومثله قول ابي
عبيد الطائي طلبوا صلحنا ولات اوان فاجبنا ان لات حين بقاء فان قلت ما وجه الكسر
في اوان قلت شبه باذ في قوله وانت اذ صحيح في انه زمان قطع منه المضاف اليه وعوض التنوين
عن الاصل ولات اوان صلح فان قلت فما تقول في حين مناص والمضاف اليه قايم قلت
نزل قطع المضاف اليه من مناص لان اصله حين مناصهم منزلة قطعه من حين لاتحاد المضاف
والمضاف اليه وجعل تنوينه عوضا من الضمير المحذوف ثم بني الحين لكونه مضافا الى غير متمكن وقرئ
ولات بكسر التاء على البناء للمفعول كجير فان قلت كيف يوقف على لات قلت يوقف عليها
بالتاء كما تقف على الفعل الذي تتصل به تاء التانيث واما الكسائي فيقف عليها بالهاء كما تقف
على الاسماء المؤنثة واما قول ابي عبيد ان التاء داخلة على حين فلا وجه له واستشهاده بان
التاء ملتزقة بحين في الامام لا متشبث به فكم وقعت في المصحف اشياء خارجة على قياس الخط
والمناص المنجا والفوت يقال ناصه ينوصه اذا فاته واستناص طلب المناص قال حارثة
بن بدر شعر غمر الجراء اذا قصرت عنانه بيدي استناص ورام جري المسحل الحمار الوحشي وعجبوا ان جاءهم

منذر منهم رسول من انفسهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب ولم يقل وقالوا اظهارا
للغضب عليهم ودلالة على ان هذا القول لا يجسر عليه الا الكافرون المتوغلون في الكفر
المنهمكون في الغي الذين قال فيهم اولئك هم الكافرون حقا وهل ترى كفرا اعظم وجهلا ابلغ
من ان يسموا من صدقه الله بوحيه كاذبا ويتعجبوا من التوحيد وهو الحق الذي لا يصح غيره
ولا يتعجبوا من الشرك وهو الباطل الذي لا وجه لصحته روي ان اسلام عمر رض فرح به المؤمنون
فرحا شديدا وشق على قريش وبلغ منهم فاجتمع خمسة وعشرون نفسا من صناديدهم
ومشوا الى ابي طالب وقالوا انت شيخنا وكبيرنا وقد علمت ما فعل هؤلاء السفهاء يريدون
الذين دخلوا في الاسلام وجئناك لتقضي بيننا وبين ابن اخيك فاستحضر ابو طالب
رسول الله وقال يا ابن اخي هؤلاء قومك يسألونك السؤال فلا تمل كل الميل على قومك فقال
صلى الله عليه وسلم ماذا تسألونني قالوا ارفضنا وارفض ذكر آلهتنا وندعك والهك
فقال صلى الله عليه وسلم ارايتم ان اعطيتكم ما سألتم أمعطيّ انتم كلمة واحدة تملكون بها
العرب وتدين لكم بها العجم قالوا نعم وعشرا اي نعطيكها وعشر كلمات معها فقال قولوا لا اله
الا الله فقاموا وقالوا اجعل الآلهة الها واحدا ان هذا لشيء عجاب اي بليغ
عجاب بالتشديد كقوله مكرا كبارا وهو ابلغ من المخفف ونظيره كريم وكرام وكرّام
وقوله اجعل الآلهة الها واحدا مثل قوله وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا
في ان معنى الجعل التصيير في القول على سبيل الدعوى والزعم كأنه قال اجعل الجماعة واحدا
في قوله لان ذلك في الفعل محال الملأ اشراف قريش يريد وانطلقوا عن مجلس ابي طالب
بعد ما بكتهم رسول الله بالجواب العتيد قائلين بعضهم لبعض امشوا واصبروا فلا حيلة لكم
في دفع امر محمد عم ان هذا الامر لشيء يراد اي يريده الله تعالى ويحكم
بامضائه وما اراد الله كونه فلا مرد له ولا ينفع فيه الا الصبر او ان هذا الامر لشيء من نوائب

وانطلق الملأ منهم ان امشوا واصبروا على آلهتكم ان هذا لشيء يراد

نوائب الدهر يراد بنا فلا انفكاك لنا منه او ان دينكم لشيء يراد اي يطلب ليؤخذ منكم وتغلبوا
عليه وان بمعنى اي لان المنطلقين عن مجلس التقاول لا بد لهم من ان يتكلموا ويتفاوضوا
فيما جرى لهم فكان انطلاقهم مضمنا معنى القول ويجوز ان يراد بالانطلاق الاندفاع في القول
وانهم قالوا امشوا اي اكثروا واجتمعوا من مشت المرأة اذا كثرت ولادتها ومنه الماشية
للتفاؤل كما قيل لها الفاشية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ضموا فواشيكم ومعنى واصبروا على
آلهتكم واصبروا على عبادتها والتمسك بها حتى لا تزالوا عنها وقرئ وانطلق الملأ منهم يمشون
ان اصبروا ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة في ملة عيسى التي هي آخر الملل لان النصارى يدعونها
وهي مثلثة غير موحدة او في ملة قريش التي ادركنا عليها آباءنا او ما سمعنا بهذا كائنا في الملة
الآخرة على ان يجعل في الملة الآخرة حالا من هذا ولا تعلقه بما سمعنا كما في الوجه الاول والمعنى انا
لم نسمع من اهل الكتاب ولا الكهان انه يحدث في الملة الآخرة توحيد الله ان هذا الا اختلاق اي
افتعال وكذب أأنزل عليه الذكر من بيننا انكروا ان يختص بالشرف من بين اشرافهم ورؤسائهم وينزل
عليه الكتاب من بينهم كما قالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وهذا الانكار ترجمة
عما كانت تغلي به صدورهم من الحسد على ما اوتي من شرف النبوة من بينهم بل هم في شك من ذكري
يقولون في انفسهم اما واما وقولهم ان هذا الا اختلاق كلام مخالف لاعتقادهم فيه
يقولونه على سبيل الحسد بل لما يذوقوا عذاب بعد فاذا ذاقوه زال عنهم ما بهم من الشك والحسد
حينئذ يعني انهم لا يصدقون به الا ان يمسهم العذاب مضطرين الى تصديقه ام عندهم خزائن
رحمة ربك يعني ما هم بمالكي خزائن الرحمة حتى يصيبوا بها من شاءوا ويصرفوها عمن شاءوا ويتخيروا
للنبوة بعض صناديدهم ويترفعوا بها عن محمد صلى الله عليه وسلم وانما الذي يملك الرحمة و
خزائنها العزيز القاهر على خلقه الوهاب الكثير المواهب المصيب بها مواقعها الذي يقسمها
على ما تقتضيه حكمته وعدله كما قال اهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم ثم رشح هذا المعنى
فقال ام لهم ملك السموات والارض وما بينهما حتى يتكلموا في الامور الربانية والتدابير الالهية

التي يختص بها رب العزة والكبرياء ثم تهكم بهم غاية التهكم فقال ان كانوا يصلحون لتدبير
الخلائق والتصرف في قسمة الرحمة وكانت عندهم الحكمة التي يميزون بها بين من هو
حقيق بايتاء النبوة دون من لا يحق له فليرتقوا في الاسباب فليصعدوا في المعارج والطرق
التي يتوصل بها الى العرش حتى يستووا عليه ويدبروا امر العالم وملكوت الله وينزلوا
الوحي الى من يختارون ويستصوبون ثم خساهم خساءة عن ذلك بقوله جند ما هنالك
مهزوم من الاحزاب يريد ما هم الا جند من الكفار المتحزبين على رسل الله مهزوم مكسور
عما قريب فلا تبال بما يقولون ولا تكترث لما به يهذون وما مزيدة وفيها معنى الاستعظام
كما في قول امرئ القيس وحديث ما على قصره الا انه على سبيل الهزء وهنالك اشارة
الى حيث وضعوا فيه انفسهم من الانتداب لمثل ذلك القول العظيم من قولهم لمن ينتدب
لامر ليس من اهله لست هنالك كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الاوتاد اصله من
ثبات البيت المطنب باوتاده قال والبيت لا يبتنى الا على عمد ولا عماد اذا لم ترس اوتاد
فاستعير لثبات العز والملك واستقامة الامر كما قال الاسود في ظل ملك ثابت الاوتاد
وقيل كان يشبح المعذب بين اربع سوار كل طرف من اطرافه الى سارية مضروب فيه
وتد من حديد ويتركه حتى يموت وقيل كان يمده بين اربعة اوتاد في الارض ويرسل
عليه العقارب والحيات وقيل كانت له اوتاد وحبال يلعب بها بين يديه وثمود وقوم
لوط واصحاب الايكة اولئك الاحزاب قصد بهذه الاشارة الاعلام بان الاحزاب الذين جعل
الجند المهزوم منهم هم هم وانهم الذين وجد منهم التكذيب ان كل الا كذب الرسل لقد
ذكر تكذيبهم اولا في الجملة الخبرية على وجه الابهام ثم جاء بالجملة الاستثنائية فاوضحه فيها بان
كل واحد من الاحزاب كذب جميع الرسل لانهم اذا كذبوا واحدا منهم فقد كذبوهم
جميعا وفي تكرير التكذيب وايضاحه بعد ابهامه والتنويع في تكريره بالجملة الخبرية اولا وبالاستثنائية
ثانيا وما في الاستثنائية من الوضع على وجه التاكيد والتخصيص انواع من المبالغة المسجلة
علي

عليهم باستحقاق اشد العذاب وابلغه ثم قال فحق عقاب اي فوجب لذلك ان اعاقبهم
حق عقابهم وما ينظر هؤلاء الا صيحة واحدة هؤلاء اهل مكة ويجوز ان يكون اشارة الى جميع
الاحزاب لاستحضارهم بالذكر او لانهم كالحضور عند الله والصيحة النفخة ما لها من فواق وقرئ
بالضم ما لها من توقف مقدار فواق وهو ما بين حلبتي الحالب ورضعتي الراضع يعني اذا جاء
لم تستاخر هذا القدر من الزمان كقوله تعالى فاذا جاء اجلهم لا يستاخرون ساعة وعن ابن عباس
رضي الله عنهما ما لها من رجوع وترداد من افاق المريض اذا رجع الى الصحة وفواق الناقة ساعة
يرجع الدر الى ضرعها يريد انها نفخة واحدة فحسب لا تثنى ولا تردد وقالوا ربنا عجل لنا قطنا
القط القسط من الشيء لانه قطعة منه من قطه اذا قطعه ويقال لصحيفة قبل يوم الحساب
الجائزة قط لانها قطعة من القرطاس وقد فسر بهما قوله تعالى عجل لنا قطنا اي نصيبنا من
العذاب الذي وعدته كقوله تعالى ويستعجلونك بالعذاب وقيل ذكر رسول الله صلى الله عليه
وسلم وعد الله المؤمنين الجنة فقالوا على سبيل الهزء عجل لنا نصيبنا منها او عجل لنا
صحيفة اعمالنا ننظر فيها فان قلت كيف يطابق قوله اصبر على ما يقولون وقوله واذكر
عبدنا داود حتى عطف احدهما على صاحبه قلت كانه قال لنبيه صلى الله عليه وسلم
اصبر على ما يقولون وعظم امر معصية الله في اعينهم بذكر قصة داود وهو انه نبي من انبياء
الله قد اولاه ما اولاه من النبوة والملك لكرامته عليه وزلفته لديه ثم زل زلة فبعث
اليه الملائكة ووبخه عليها على طريق التمثيل والتعريض حتى فطن لما وقع فيه فاستغفر
واناب ووجد منه ما يحكى من بكائه الدائم وغمه الواصب ونقش جنايته في بطن
كفه حتى لا يزال مجددا للندم عليها فما الظن بكم مع كفركم ومعاصيكم او قال لرسول
الله صلى الله عليه وسلم اصبر على ما يقولون وصن نفسك وحافظ عليها ان تزل فيما كلفت من
مصابرتهم وتحمل اذاهم واذكر اخاك داود وكرامته على الله كيف زل تلك الزلة اليسيرة
فلقي من توبيخ الله وتظليمه ونسبته الى البغي ما لقي ذا الايد ذا القوة في الدين

روي ان رسول الله قال لقريش من لم يؤمن بالله اعطي كتابه بشماله فقالوا ربنا عجل لنا

المضطلع لمشاقه وتكاليفه كان على نهوضه باعباء النبوة والملك [...]م يوما ويفطر يوما وهو
اشد الصوم ويقوم نصف الليل يقال فلان أيد وذو أيد وذو آد وإياد كل شي ما يتقوى
به انه اواب تواب رجاع الى مرضاة الله فان قلت ما دلك على ان الايد القوة في الدين
قلت قوله تعالى انه اواب لانه تعليل لذى الايد انا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي
والاشراق ووقت الاشراق وهو حين تشرق الشمس اى تضى ويصفو شعاعها وهو وقت الضحى
واما شروقها فطلوعها تقول شرقت الشمس ولما تشرق وعن ام هانى دخل علينا رسول الله
صلى الله عليه وسلم فدعا بوضوء فتوضا ثم صلى صلوة الضحى وقال يا ام هانى هذه صلوة الاشراق
وعن طاوس عن ابن عباس رضى الله عنهما قال هل تجدون ذكر صلوة الضحى في القران قالوا لا
فقرا انا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والاشراق وقال كانت صلوة يصليها داود عليه السلام
وعنه رضى الله عنه ما عرفت صلوة الضحى الا بهذه الاية وعنه رضى الله عنه لم يزل في نفسى من
صلوة الضحى شي حتى طلبتها فوجدتها في هذه الاية يسبحن بالعشي والاشراق وكان لا يصلى
صلوة الضحى ثم صلاها بعد وعن كعب انه قال لابن عباس رضى الله عنهما انى لاجد في كتب
الله صلوة بعد طلوع الشمس فقال انا اوجدك ذلك في كتاب الله تعالى يعنى هذه الاية ويحتمل
ان يكون من اشرق القوم اذا دخلوا في الشروق ومنه قوله تعالى فاخذتهم الصيحة مشرقين
وقول اهل الجاهلية أشرق ثبير ويراد وقت صلوة الفجر لانتهائه بالشروق ويسبحن في معنى
مسبحات على الحال فان قلت هل من فرق بين يسبحن ومسبحات قلت نعم وما اختير
يسبحن على مسبحات الا لذلك وهو الدلالة على حدوث التسبيح من الجبال شيا فشيا وحالا
بعد حال وكان السامع محاضر تلك الحال يسمعها تسبح ومثله قول الاعشى
الى ضوء نار في يفاع تحرق ولو قال محرقة لم يكن شيا بعد شي قوله محشورة في مقابلة يسبحن
الا انه لما لم يكن في الحشر ما كان في التسبيح من ارادة الدلالة على الحدوث شيا بعد شي جي به
اسما لا فعلا وذلك انه لو قيل وسخرنا الطير يحشرن على ان الحشر يوجد من حاشرها شيا بعد

شي والحاشر هو الله عز وجل لكان خلفا لان حشرها جملة واحدة ادل على القدرة وعن ابن عباس
رضى الله عنهما كان اذا سبح جاوبته الجبال بالتسبيح واجتمعت اليه الطير فسبحت فذلك حشرها
وقرى والطير محشورة بالرفع كل له اواب كل واحد من الجبال والطير لاجل داود
اى لاجل تسبيحه مسبح لانها كانت تسبح بتسبيحه ووضع الاواب موضع المسبح اما لانها كانت
ترجع التسبيح والمرجع رجاع لانه يرجع الى فعله رجوعا بعد رجوع واما لان الاواب وهو التواب
الكثير الرجوع الى الله وطلب مرضاته من عادته ان يكثر ذكر الله ويديم تسبيحه وتقديسه وقيل
الضمير لله اى كل من داود والجبال والطير لله اواب اى مسبح مرجع للتسبيح وشددنا ملكه
قويناه قال الله تعالى سنشد عضدك وقرى شددنا على المبالغة قيل كان يبيت حول محرابه
اربعون الف مستلئم يحرسونه وقيل الذى شد الله به ملكه وقذف في قلوب قومه الهيبة
ان رجلا ادعى عنده على آخر بقرة وعجز عن اقامة البينة فاوحى الله اليه في المنام ان اقتل المدعى
عليه فقال هذا منام فاعيد الوحى في اليقظة فاعلم الرجل فقال ان الله لم ياخذنى بهذا
الذنب ولكن بانى قتلت اباه هذا غيلة فقتله فقال الناس ان اذنب احد ذنبا اظهره الله عليه
فقتله فهابوه وآتيناه الحكمة الحكمة الزبور وعلم الشرائع وقيل كل كلام وافق الحق فهو حكمة
وفصل الخطاب الفصل التمييز بين الشيئين وقيل للكلام البين فصل بمعنى المفصول كضرب
الامير لانهم قالوا كلام ملتبس وفي كلامه لبس والملتبس المختلط فقيل في نقيضه فصل اى
مفصول بعضه من بعض فمعنى فصل الخطاب البين من الكلام الملخص الذى يتبينه من
يخاطب به لا يلتبس عليه ومن فصل الخطاب وملخصه ان لا يخطى صاحبه مظان الفصل و
الوصل فلا يقف في كلمة الشهادة على المستثنى منه ولا يتلو قوله فويل للمصلين الا موصولا بما بعده
ولا والله يعلم وانتم حتى يصله بقوله لا تعلمون ونحو ذلك وكذلك مظان العطف وتركه والاضمار
والاظهار والحذف والتكرار وان شئت كان الفصل بمعنى الفاصل كالصوم والزور واردت
بفصل الخطاب الفاصل من الخطاب الذى يفصل بين الصحيح والفاسد والحق والباطل والصواب

الخطاب وهو كلامه في القضايا والحكومات وتدابير الملك والمشورات وعن علي بن ابي طالب
رضي الله عنه هو قوله البينة على المدعي واليمين على المدعى عليه وهو من الفصل بين
الحق والباطل ويدخل فيه قول بعضهم هو قوله اما بعد لانه يفتتح اذا تكلم في الامر الذي
له شان بذكر الله وتحميده فاذا اراد ان يخرج الى الغرض المسوق له فصل بينه وبين
ذكر الله بقوله اما بعد ويجوز ان يراد بالخطاب القصد الذي ليس فيه اختصار مخل ولا
اشباع ممل ومنه جاء في صفة كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم فصل لا نزر ولا هذر
وهل اتاك نبؤ الخصم اذ تسوروا المحراب كان اهل زمان داود يسال بعضهم بعضا
ان ينزل له عن امراته فيتزوجها اذا اعجبته وكانت لهم عادة في المواساة بذلك قد
اعتادوها وقد روينا ان الانصار كانوا يواسون المهاجرين بمثل ذلك فاتفق ان عين
داود عليه السلم وقعت على امراة رجل يقال له اوريا فاحبها فساله النزول له عنها
فاستحيى ان يرده ففعل فتزوجها وهي ام سليمان عليه السلم فقيل له انك مع عظم منزلتك
وارتفاع مرتبتك وكبر شانك وكثرة نسائك لم يكن ينبغي لك ان تسال رجلا ليس له الا امراة واحدة
النزول لك عنها كان الواجب عليك مغالبة هواك وقهر نفسك والصبر على ما امتحنت به وقيل
خطبها اوريا ثم خطبها داود فاثره اهلها فكان ذنبه ان خطب على خطبة اخيه المؤمن
مع كثرة نسائه واما ما يذكر ان داود عليه السلم تمنى منزلة آبائه ابراهيم واسحق ويعقوب فقال
يا رب ان آبائي قد ذهبوا بالخير كله فاوحى اليه انهم ابتلوا ابتلايا فصبروا عليها قد ابتلي
ابراهيم بنمروذ وذبح ولده واسحق بذبحه وذهاب بصره ويعقوب بالحزن على يوسف فسال
الابتلاء فاوحى اليه انك لمبتلى في يوم كذا فاحترس فلما حان ذلك اليوم دخل محرابه
واغلق بابه وجعل يصلي ويقرا الزبور فجاءه الشيطان في صورة حمامة من ذهب فمد يده
لياخذها لابن صغير له فطارت فامتد اليها فطارت فوقعت في كوة فتبعها فابصر امراة
جميلة قد نقضت شعرها وغطى بدنها وهي امراة اوريا وهو من غزاة البلقاء فكتب الى

ايوب بن صوريا وهو صاحب بعث البلقاء ان ابعث اوريا وقدمه على التابوت وكان من
يتقدم على التابوت لا يحل له ان يرجع حتى يفتح الله على يديه او يستشهد ففتح الله على يديه
وسلم فامر برده مرة اخرى وثالثة حتى قتل فاتاه خبر قتله فلم يحزن كما كان يحزن على
الشهداء وتزوج امراته فهذا ونحوه مما يقبح ان يحدث به عن بعض المتسمين بالصلاح من
افناء المسلمين فضلا عن بعض اعلام الانبياء وعن سعيد بن المسيب والحارث الاعور
ان علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال من حدثكم بحديث داود على ما يرويه القصاص جلدته
مائة وستين وهو حد الفرية على الانبياء وروي انه حدث بذلك عمر بن عبد العزيز رحمه الله
وعنده رجل من اهل الحق فكذب المحدث به وقال ان كانت القصة على ما في كتاب الله
فما ينبغي ان يلتمس خلافها واعظم بان يقال غير ذلك وان كانت على ما ذكرت وكف الله
عنها سترا على نبيه فما ينبغي اظهارها عليه فقال عمر لسماعي هذا الكلام احب الي مما طلعت
عليه الشمس والذي يدل عليه المثل الذي ضربه الله لقصته عليه السلم ليس الا طلبه الى
زوج المراة ان ينزل له عنها فحسب فان قلت لم جاءت على طريق التمثيل والتعريض
دون التصريح قلت لكونها ابلغ في التوبيخ من قبل ان التامل اذا اداه الى الشعور
بالمعرض به كان اوقع في نفسه واشد تمكنا من قلبه واعظم اثرا فيه واجلب لاحتشامه
وحيائه وادعى الى التنبه على الخطا فيه من ان يبادره به صريحا مع مراعاة حسن الادب بترك
المجاهرة الا ترى الى الحكماء كيف اوصوا في سياسة الولد اذا وجدت منه هنة منكرة بان
يعرض له بانكارها عليه ولا يصرح وان تحكى له حكاية ملاحظة لحاله اذا تاملها استسمج
حال صاحب الحكاية فاستسمج حال نفسه وذلك ازجر له لانه ينصب ذلك مثالا لحاله و
مقياسا لشانه فيتصور قبح ما وجد منه بصورة مكشوفة مع انه اصون لما بين الوالد والولد
من حجاب الحشمة فان قلت فلم كان ذلك على وجه التحاكم اليه قلت ليحكم بما
حكم به من قوله لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه حتى يكون محجوجا بحكمه ومعترفا على نفسه بظلمه

وهل اتيك نبا الخصم ظاهره الاستفهام ومعناه الدلالة على انه من الانباء العجيبة التى حقها
ان تشيع ولا تخفى على احد والتشويق الى استماعه والخصم الخصما وهو يقع على الواحد
والجمع كالضيف قال الله تعالى حديث ضيف ابرهيم المكرمين لانه مصدر فى اصله تقول خصمه
خصما كما تقول ضافه ضيفا **فان قلت** هذا جمع وقوله خصمان تثنية فكيف استقام
ذلك **قلت** معنى خصمان فريقان خصمان والدليل عليه قراءة من قرا خصمان بغى بعضهم
على بعض ونحوه قوله تعالى هذان خصمان اختصموا **فان قلت** فما تصنع بقوله ان هذا
اخى له وهو دليل على اثنين **قلت** هذا قول البعض المراد بقوله بعضنا على بعض
فان قلت فقد جاء فى الرواية انه بعث اليه ملكان **قلت** معناه ان التحاكم كان
بين ملكين ولا يمنع ذلك ان يصحبهما آخرون **فان قلت** فاذا كان التحاكم بين اثنين
كيف سماهم جميعا خصما فى قوله نبا الخصم وخصمان **قلت** لما كان صحب كل واحد
من المتحاكمين فى صورة الخصم صحت التسمية به **فان قلت** بم انتصب اذ **قلت**
لا يخلو اما ان ينتصب باتاك او بالنبا او بمحذوف فلا يسوغ انتصابه باتاك لان اتيان النبا
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقع الا فى عهده لا فى عهد داود عليه السلم ولا بالنبا لان النبا
الواقع فى عهد داود لا يصح اتيانه رسول الله صلى الله عليه وسلم وان اردت بالنبا القصة
فى نفسها لم يكن ناصبا فبقى ان ينتصب بمحذوف وتقديره وهل اتاك نبا تحاكم الخصم ويجوز ان
ينتصب بالخصم لما فيه من معنى الفعل واما اذ الثانية فبدل من الاولى تسوروا المحراب
تصعدوا سوره ونزلوا اليه والسور الحائط المرتفع ونظيره فى الابنية تسنمه اذا علا
سنامه وتذراه اذا علا ذروته **اذ دخلوا على داود ففزع منهم** روى ان الله تعالى بعث اليه ملكين
فى صورة انسانين فطلبا ان يدخلا عليه فوجداه فى يوم عبادته فمنعهما الحرس فتسوروا عليه
المحراب فلم يشعر الا وهما بين يديه جالسان ففزع منهم قال ابن عباس رضى الله عنهما ان
داود عليه السلم جزا زمانه اربعة اجزاء يوما للعبادة ويوما للقضاء ويوما للاشتغال بخواص
اموره

اموره ويوما يجمع بنى اسرائيل فيعظهم ويبكيهم فجاؤه فى غير يوم القضاء ففزع منهم ولانهم نزلوا
عليه من فوق وفى يوم الاحتجاب والحرس حوله لا يتركون من يدخل عليه **قالوا خصمان بغى بعضنا**
على بعض خصمان خبر مبتدا محذوف اى نحن خصمان **فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط** ولا تجر (اى ظلم)
وقرئ ولا تشطط اى ولا تبعد عن الحق وقرئ ولا تشطط ولا تشاطط وكلها من معنى الشطط
وهو مجاوزة الحد وتخطى الحق **واهدنا الى سواء الصراط** وسطه ومحجته ضربه مثلا لعين الحق (اى الى عدل الطريق)
ومحضه **ان هذا اخى له تسع وتسعون نعجة ولى نعجة واحدة** اخى بدل من هذا او خبر لان
والمراد اخوة الدين او اخوة الصداقة والالفة او اخوة الشركة والخلطة لقوله تعالى وان
كثيرا من الخلطاء وكل واحدة من هذه الاخوات تدلى بحق مانع من الاعتداء والظلم وقرئ
تسع وتسعون بفتح التاء ونعجة بكسر النون وهذا من اختلاف اللغات نحو نطع ونطع
ولقوة ولقوة **فقال اكفلنيها** ملكنيها وحقيقته اجعلنى اكفلها كما اكفل ما تحت يدى **وعزنى**
فى الخطاب وغلبنى يقال عزه يعزه قال قطاة عزها شرك فباتت تجاذبه وقد علق الجناح
يريد جاءنى بحجاج لم اقدر ان اورد عليه ما ارده به واراد بالخطاب مخاطبة المحاج المجادل
او اراد خطبت المراة وخطبها هو فخاطبنى خطابا اى غالبنى فى الخطبة فغلبنى حيث زوجها
دونى وقرئ وعازنى من المعازة وهى المغالبة وقرا ابو حيوة وعزنى بتخفيف الزاى طلبا
للخفة وهو تخفيف غريب وكانه قاسه على نحو ظلت ومست **فان قلت** ما معنى ذكر النعاج
قلت كان تحاكمهم فى نفسه تمثيلا وكلامهم تمثيلا لان التمثيل ابلغ فى التوبيخ لما ذكرنا و
للتنبيه على انه امر يستحيى من كشفه فيكنى عنه كما يكنى عما يستسمج الافصاح به وللستر على
داود عليه السلم والاحتفاظ بحرمته ووجه التمثيل فيه ان مثلت قصة اوريا مع داود عليه السلم
بقصة رجل له نعجة واحدة ولخليطه تسع وتسعون فاراد صاحبه تتمة المائة فطمع فى نعجة
خليطه واراده على الخروج من ملكها اليه وحاجه فى ذلك محاجة حريص على بلوغ مراده
والدليل عليه قوله وان كثيرا من الخلطاء وانما خص هذه القصة لما فيها من الرمز الى الغرض

ن الاخفش ج

وذكر فى الخبر ان داود كانت له تسعة وتسعون امراة فتزوج امراة على شرط ان يكون ولدها بعده خليفة بعده سليمان

بذكر النعجة فان قلت انما يستقيم طريقة التمثيل اذا فسرت الخطاب بالجدال فان فسرته
بالمفاعلة من الخطبة لم يستقم قلت الوجه مع هذا التفسير ان اجعل النعجة استعارة
عن المراة كما استعاروا لها الشاة في نحو قوله يا شاة ما قنص لمن حلت له وللاعشى
فرميت غفلة عينه عن شاته وشبهها بالنعجة من قال كنعاج الملا تعسفن رملا
لولا ان الخلطاء يأباه الا ان يضرب داود الخلطاء ابتداء مثلا لهم ولقصتهم فان قلت الملائكة عليهم
السلام كيف صح منهم ان يخبروا عن انفسهم بما لم يتلبسوا منه بقليل ولا كثير ولا هو من شانهم قلت
هو تصوير للمسالة وفرض لها فصوروها في انفسهم وكانوا في صورة الاناسي كما تقول في تصوير المسائل
زيد له اربعون شاة وعمرو له اربعون وانت تشير اليهما فخلطاها وحال عليه الحول كم يجب فيها وما
لزيد وعمرو سبد ولا لبد وتقول ايضا في تصويرها لي اربعون شاة ولك اربعون فخلطناها وما
لكما من الاربعين اربعة ولا ربعها فان قلت ما وجه قراءة ابن مسعود رضي الله عنه ولي نعجة انثى
قلت يقال امراة انثى للحسناء الجميلة والمعنى وصفها بالعراقة في ابن الانوثة وفتورها
وذلك املح لها وازيد في تكسرها وتثنيها الا ترى الى وصفهم لها بالكسول والمكسال وقوله
فتور القيام قطيع الكلام وقوله تمشي رويدا تكاد تنغرف قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك
الى نعاجه جواب قسم محذوف وفي ذلك استنكار لفعل خليطه وتهجين لطمعه والسؤال مصدر
مضاف الى المفعول كقوله من دعاء الخير وقد ضمن معنى الاضافة فعدي تعديتها كانه قيل
باضافة نعجتك الى نعاجه على وجه السؤال والطلب فان قلت كيف سارع الى تصديق
احد الخصمين حتى ظلم الاخر قبل استماع كلامه قلت ما قال ذلك الا بعد اعتراف
صاحبه ولكنه لم يحك في القران لانه معلوم ويروى انه قال انا اريد ان آخذها منه واكمل
نعاجي مائة فقال داود عليه السلام ان رمت ذلك ضربنا منك هذا وهذا واشار الى طرف الانف
والجبهة فقال يا داود انت احق ان يضرب منك هذا وهذا وانت فعلت كيت وكيت ثم
نظر داود فلم ير احدا فعرف ما وقع فيه وان كثيرا من الخلطاء ليبغي بعضهم على بعض الا
الذين

يعني قليل هم

الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم الخلطاء الشركاء الذين خلطوا اموالهم
الواحد خليط وهي الخلطة وقد غلبت في الماشية والشافعي رضي الله عنه يعتبرها
فاذا كان الرجلان خليطين في ماشية بينهما غير مقسومة او لكل واحد منهما ماشية على
حدة الا ان مراحهما ومسقاهما وموضع حلبهما والراعي والكلب واحد والفحولة مختلطة
فهما يزكيان زكاة الواحد فان كان اربعون شاة فعليهما شاة وان كانوا ثلثة ولهم مائة
وعشرون لكل واحد اربعون فعليهم واحد كما لو كانت لواحد وعند ابي حنيفة رضي الله عنه
لا تعتبر الخلطة والخليط والمنفرد عنده واحد ففي اربعين بين خليطين لا شيء عنده وفي
مائة وعشرين بين ثلثة ثلث شياه فان قلت فهذه الخلطة ما تقول فيها قلت عليهما
شاة واحدة فيجب على ذي النعجة اداء جزء من مائة جزء من الشاة عند الشافعي وعند ابي حنيفة
لا شيء عليه فان قلت ماذا اراد بذكر حال الخلطاء في ذلك المقام قلت قصد به
الموعظة الحسنة والترغيب في ايثار عادة الخلطاء الصلحاء الذين حكم لهم بالقلة وان يكره
اليهم الظلم والاعتداء الذي عليه اكثرهم مع التاسف على حالهم وان يسلي المظلوم عما
جرى عليه من خليطه وان له في اكثر الخلطاء اسوة وقرئ ليبغي بفتح الياء على تقدير النون
الخفيفة وحذفها كقوله اضرب عنك الهموم طارقها وهو جواب قسم محذوف وليبغ
بحذف الياء اكتفاء منها بالكسرة وما في وقليل ما هم للابهام وفيه تعجب من قلتهم وان اردت
ان تتحقق فائدتها وموقعها فاطرحها من قول امرئ القيس وحديث ما على قصره وانظر
هل بقي له معنى قط وظن داود انما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعا واناب لما كان
الظن الغالب يداني العلم استعير له ومعناه وعلم داود وايقن انما فتناه انا ابتليناه
لا محالة بامراة اوريا هل يثبت ام يزل وقرئ فتناه بالتشديد للمبالغة وافتناه من قوله
لئن فتنتني لهي بالامس افتنت وفتناه وفتناه على ان الالف ضمير الملكين وعبر بالراكع
عن الساجد لانه ينحني ويخضع كالساجد وبه استشهد ابو حنيفة واصحابه رضي الله عنهم

في سجدة التلاوة على ان الركوع يقوم مقام السجود وعن الحسن لانه لا يكون ساجدا حتى يركع
ويجوز ان يكون قد استغفر الله لذنبه وخر ثم بركعتي الاستغفار واناب فيكون المعنى
وخر للسجود راكعا اى مصليا لان الركوع يجعل عبارة عن الصلوة واناب ورجع الى الله
بالتوبة والتنصل وروى انه بقي ساجدا اربعين يوما وليلة لا يرفع راسه الا لصلوة مكتوبة
او ما لا بد منه ولا يرقا دمعه حتى نبت العشب من دمعه الى راسه ولم يشرب ماء الا وثلثاه
دمع وجهد نفسه راغبا الى الله في العفو عنه حتى كاد يهلك واشتغل بذلك عن الملك حتى
وثب ابن له يقال له ايشا على ملكه ودعا الى نفسه واجتمع اليه اهل الزيغ من بني اسرائيل
فلما غفر له حاربه فهزمه وروى انه نقش خطيئته في كفه حتى لا ينساها وقيل ان الخصمين
كانا انسيين وكانت الخصومة على الحقيقة بينهما اما كانا خليطين في الغنم واما كان احدهما
موسرا وله نسوان كثيرة من المهارى والسرارى والثاني معسرا ما له الا امراة واحدة فاستنزله
عنها وانما فزع بدخولهما عليه في غير وقت الحكومة ان يكونا مغتالين وما كان ذنب داود
عليه السلم الا انه صدق احدهما على الآخر وظلمه قبل مسالته يا داود انا جعلناك خليفة في الارض
اى استخلفناك على الملك في الارض كمن يستخلفه بعض السلاطين على بعض البلاد ويملكه
عليها ومنه قولهم خلفاء الله في ارضه او جعلناك خليفة ممن كان قبلك من الانبياء القائمين
بالحق وفيه دليل على ان حاله بعد التوبة بقيت على ما كانت عليه لم تتغير فاحكم بين الناس
بالحق اى بحكم الله اذ كنت خليفته ولا تتبع الهوى ما يهوى النفس في قضائك وغيره مما يتصرف فيه
من اسباب الدين والدنيا فيضلك الهوى فيكون سبب ضلالك عن سبيل الله عن دلائله التي
نصبها في العقول وعن شرائعه التي شرعها واوحى بها ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم
عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب يوم الحساب متعلق بنسوا اى بنسيانهم يوم الحساب
او بقوله لهم اى لهم عذاب يوم القيامة بسبب نسيانهم وهو ضلالهم عن سبيل الله وعن بعض
خلفاء بني مروان انه قال لعمر بن عبد العزيز او للزهري رحمهما الله هل سمعت ما بلغنا قال وما

هو

هو قال بلغنا ان الخليفة لا يجرى عليه القلم ولا تكتب عليه معصية فقال يا امير المؤمنين الخلفاء
افضل ام الانبياء ثم تلا هذه الآية وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا خلقا باطلا لا لغرض صحيح وحكمة
بالغة او مبطلين عابثين كقوله وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما الا
بالحق وتقديره ذوى باطل او عبثا فوضع باطلا موضعه كما وضعوا هنيئا موضع المصدر او
صفة اى ما خلقناهما وما بينهما للعبث واللعب ولكن للحق المبين وهو ان خلقنا نفوسا
اودعناها العقل والتمييز ومنحناها التمكن وازحنا عللها ثم عرضناها للمنافع العظيمة
بالتكليف واعددنا لها عاقبة وجزاء على حسب اعمالهم ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا
من النار ذلك اشارة الى خلقها باطلا والظن بمعنى المظنون اى خلقها للعبث لا للحكمة هو
مظنون الذين كفروا فان قلت اذا كانوا مقرين بان الله خالق السماوات والارض لقوله
ولئن سالتهم من خلق السماوات والارض ليقولن الله فبم جعلوا ظانين انه خلقها للعبث
لا للحكمة قلت لما كان انكارهم للبعث والحساب والثواب والعقاب مؤديا الى ان
خلقها عبث وباطل جعلوا كانهم يظنون ذلك ويقولونه لان الجزاء هو الذى سيقت اليه
الحكمة في خلق العالم من راسها فمن جحده فقد جحد الحكمة من اصلها ومن جحد الحكمة
في خلق العالم فقد سفه الخالق فظهر بذلك انه لا يعرفه ولا يقدره حق قدره فكان اقراره
بانه خالقه كلا اقرار ام نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض ام نجعل
المتقين كالفجار ام منقطعة ومعنى الاستفهام فيها الانكار والمراد انه لو بطل الجزاء
كما يقول الكافرون لاستوت عند الله احوال من اصلح وافسد واتقى وفجر ومن سوى
بينهم كان سفيها ولم يكن حكيما كتاب انزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر اولوا الالباب
وقرئ ليتدبروا على الاصل ولتدبروا على الخطاب وتدبر الآيات التفكر فيها والتامل
الذي يؤدي الى معرفة ما يدبر ظاهرها من التاويلات الصحيحة والمعاني الحسنة لان من
اقتنع بظاهر المتلو لم يحل منه بكثير طائل وكان مثله كمثل من له لقحة درور لا يحلبها ومهرة

[illegible] لا يتدبرونه وعن الحسن قد قرا هذا القرآن عبيد وصبيان لا علم لهم بتأويله حفظوا
حروفه وضيعوا حدوده حتى ان احدهم ليقول والله لقد قرأت القرآن فما اسقطت
منه حرفا وقد والله اسقطه كله ما يرى للقرآن عليه اثر في خلق ولا عمل والله ما هو بحفظ
حروفه واضاعة حدوده والله ما هؤلاء بالحكماء ولا الوزعة لا اكثر الله في الناس مثل هؤلاء
اللهم اجعلنا من العلماء المتدبرين واعذنا من القراء المتكبرين ووهبنا لداود سليمان
نعم العبد انه اواب وقرئ نعم العبد على الاصل والمخصوص بالمدح محذوف وعلل كونه
ممدوحا بكونه اوابا رجاعا اليه بالتوبة او مسبحا مؤوبا للتسبيح مرجعا له لان كل مؤوب
اواب اذ عرض عليه بالعشي الصافنات الجياد الصافن الذي في قوله
الف الصفون فما يزال كانه مما يقوم على الثلاث كسيرا وقيل الذي يقوم على طرف سنبك
يد او رجل وهو المتخيم واما الصافن فالذي يجمع بين يديه وعن النبي صلى الله عليه وسلم من سره
ان يقوم الناس له صفونا فليتبوأ مقعده من النار اي واقفين كما خدم الجبابرة فان
قلت ما معنى وصفها بالصفون قلت الصفون لا يكاد يكون في الهجن وانما هو في
العراب الخلص وقيل وصفها بالصفون والجودة ليجمع لها بين الوصفين المحمودين واقفة
وجارية يعني اذا وقفت كانت ساكنة مطمئنة في مواقفها واذا جرت كانت سراعا خفافا
في جريها وروي ان سليمان عليه السلام غزا اهل دمشق ونصيبين فاصاب الف فرس
وقيل ورثها من ابيه واصابها ابوه من العمالقة وقيل خرجت من البحر لها اجنحة
فقعد يوما بعدما صلى الاولى على كرسيه واستعرضها فلم تزل تعرض عليه حتى غربت الشمس
وغفل عن العصر او عن ورد من الذكر كان له وقت العشي وتهيبوه فلم يعلموه فاغتم
لما فاته فاستردها وعقرها متقربا لله وبقي مائة فما في ايدي الناس من الجياد فمن نسلها
وقيل لما عقرها ابدله الله خيرا منها وهي الريح تجري بامره فان قلت ما معنى احببت
حب الخير عن ذكر ربي قلت احببت مضمن معنى فعل يتعدى بعن كانه
قيل

قيل انبت حب الخير عن ذكر ربي او جعلت حب الخير مجزيا او مغنيا عن ذكر ربي وذكر
ابو الفتح الهمداني في كتاب التبيان ان احببت بمعنى لزمت من قوله مثل بعير السوء اذ احبا
وليس بذاك والخير المال كقوله ان ترك خيرا وقوله انه لحب الخير لشديد والمال الخيل التي
شغلته او سمى الخيل خيرا كانها نفس الخير لتعلق الخير بها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الخيل معقود بنواصيها الخير الى يوم القيامة وقال في زيد الخيل حين وفد عليه واسلم ما وصف
لي رجل فرأيته الا كان دون ما بلغني الا زيد الخيل وسماه زيد الخير وسأل رجل بلالا رضي الله عنه
عن قوم يستبقون من السابق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له الرجل اردت الخيل
فقال وانا اردت الخير حتى توارت بالحجاب التواري بالحجاب مجاز في غروب الشمس عن
تواري الملك او المخبأة بحجابهما والذي دل على ان الضمير للشمس مرور ذكر العشي
ولا بد للمضمر من جري ذكر او دليل ذكر وقيل الضمير للصافنات اي حتى توارت بحجاب
الليل يعني الظلام ومن بدع التفاسير ان الحجاب جبل دون قاف بمسيرة سنة تغرب الشمس
من ورائه ردوها علي فطفق مسحا بالسوق والاعناق فجعل يمسح مسحا اي يمسح السيف
بسوقها واعناقها يعني يقطعها تقول مسح علاوته اذا ضرب عنقه ومسح المسفر الكتاب اذا
قطع اطرافه بسيفه وعن الحسن كسف عراقيبها وضرب اعناقها اراد بالكسف القطع ومنه
الكسف في القاب الزحاف في العروض ومن قاله بالشين المعجمة فمصحف وقيل مسحها بيده
استحسانا لها واعجابا بها فان قلت بم اتصل قوله ردوها علي قلت بمحذوف
تقديره قال ردوها علي فاضمر واضمر ما هو جواب له كان قائلا قال فماذا قال سليمان لانه
موضع مقتض للسؤال اقتضاء ظاهرا وهو اشتغال نبي من انبياء الله بامر الدنيا حتى تفوته
الصلاة عن وقتها وقرئ بالسؤق بهمز الواو لضمتها كما في ادؤر ونظيره الغؤور في مصدر غارت
الشمس واما من قرأ بالسؤوق فقد جعل الضمة في السين كانها في الواو للتلاصق كما
قيل مؤسى ونظير ساق وسوق اسد واسد وقرئ بالساق اكتفاء بالواحد عن الجمع لامن الالباس

ولقد فتنا سليمان والقينا على كرسيه جسدا ثم اناب قيل فتن سليمان بعد ما ملك عشرين سنة
وملك بعد الفتنة عشرين سنة وكان من فتنته انه ولد له ابن فقالت الشياطين ان عاش لم ينفك
من السحرة فسبيلنا ان نقتله او نخبله فعلم ذلك وكان يغذوه في السحابة فما راعه الا ان
القي على كرسيه ميتا فتنبه على خطائه في ان لم يتوكل فيه على ربه فاستغفر ربه وتاب اليه
وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال سليمان لاطوفن الليلة على سبعين امراة كل واحدة
تاتي بفارس يجاهد في سبيل الله ولم يقل ان شاء الله فطاف عليهن فلم تحمل الا امراة واحدة
جاءت بشق رجل والذي نفسي بيده لو قال ان شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرسانا اجمعون وذلك
قوله ولقد فتنا سليمان وهذا ونحوه مما لا باس به واما ما يروى من حديث الخاتم والشيطان
وعبادة الوثن في بيت سليمان عليه السلام فالله اعلم بصحته حكوا ان سليمان بلغه خبر
صيدون وهي مدينة في بعض الجزائر وان بها ملكا عظيم الشان لا يقوى عليه لتحصنه
بالبحر فخرج اليه تحمله الريح حتى اناخ بها بجنوده من الجن والانس فقتل ملكها واصاب
بنتا له اسمها جرادة من احسن الناس وجها فاصطفاها لنفسه واسلمت واحبها وكان
لا يرقا دمعها حزنا على ابيها فامر الشياطين فمثلوا لها صورة ابيها فكستها مثل كسوته
وكانت تغدو اليها وتروح مع ولائدها يسجدن لها كعادتهن في ملكه فاخبر آصف سليمان
بذلك فكسر الصورة وعاقب المراة ثم خرج وحده الى فلاة وفرش له الرماد فجلس عليه
تائبا الى الله متضرعا وكانت له ام ولد يقال لها امينة اذا دخل للطهارة او لاصابة
امراة وضع خاتمه عندها وكان ملكه في خاتمه فوضعه عندها يوما واتاها الشيطان
صاحب البحر وهو الذي دل سليمان على الماس حين امر ببناء بيت المقدس واسمه صخر
على صورة سليمان فقال يا امينة خاتمي فتختم به وجلس على كرسي سليمان وعكفت عليه
الطير والجن والانس وغير سليمان عن هيئته فاتى امينة لطلب الخاتم فانكرته وطردته
فعرف ان الخطيئة قد ادركته وكان يدور على البيوت يتكفف واذا قال انا سليمان حثوا
مطلب كفا من الطعام
عليه

عليه التراب وسبوه ثم عمد الى السماكين ينقل لهم السمك فيعطونه كل يوم سمكتين فمكث على ذلك
اربعين صباحا عدد ما عبد الوثن في بيته فانكر آصف وعظماء بني اسرائيل حكم الشيطان وسال
آصف نساء سليمان فقلن ما يدع امراة منا في دمها ولا نغتسل من جنابة وقيل بل نفذ حكمه في
كل شيء الا فيهن ثم طار الشيطان وقذف الخاتم في البحر وابتلعته سمكة ووقعت السمكة في يد
سليمان فبقر بطنها فاذا هو بالخاتم فتختم به ورفع ساجدا ورجع اليه ملكه وجاب صخرة
لصخر فجعله فيها وسد عليه باخرى ثم اوثقها بالحديد والرصاص وقذفه في البحر قيل
لما افتتن كان يسقط الخاتم من يده لا يتماسك فيها فقال له آصف انك لمفتون بذنبك فالخاتم
لا يقر في يدك فتب الى الله ولقد ابى العلماء المتقنون قبوله وقالوا هذا من اباطيل اليهود
والشياطين لا يتمكنون من مثل هذه الافاعيل وتسليط الله اياهم على عباده حتى يقعوا في
بعض الاحكام وعلى نساء الانبياء حتى يفجروا بهن قبيح واما اتخاذ التماثيل فيجوز ان يختلف
فيه الشرائع الا ترى الى قوله من محاريب وتماثيل واما السجود للصورة فلا يظن بنبي الله ان
يأذن فيه واذا كان بغير علمه فلا عليه وقوله والقينا على كرسيه جسدا ناب عن افادة
معنى انابة الشيطان منابه نبوا ظاهرا قال رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد
من بعدي قدم الاستغفار على استيهاب الملك جريا على عادة الانبياء والصالحين في تقديمهم
امر دينهم على امور دنياهم لا ينبغي لا يتسهل ولا يكون ومعنى من بعدي دوني فان قلت
اما يشبه الحسد والحرص على الاستبداد بالنعمة ان يستعطي الله ما لا يعطيه غيره
قلت كان سليمان عليه السلام ناشئا في بيت الملك والنبوة ووارثا لهما فاراد ان يطلب
من ربه معجزة فطلب على حسب الفه ملكا زائدا على الممالك زيادة خارقة للعادة بالغة
حد الاعجاز ليكون ذلك دليلا على نبوته قاهرا للمبعوث اليهم ولن يكون معجزة حتى تخرق
العادات فذلك معنى قوله لا ينبغي لاحد من بعدي وقيل كان ملكا عظيما فخاف ان يعطى
مثله احد فلا يحافظ على حدود الله فيه كما قالت الملائكة اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك

الدماء ونحن نسبح بحمدك وقيل ملكا لا أسلبه ولا يقوم غيري فيه مقامي كما سلبته مرة وأقيم
مقامي غيري ويجوز أن يقال علم الله فيما اختصه به من ذلك الملك العظيم مصالح في الدين
وعلم أنه لا يضطلع بأعبائه غيره وأوجبت الحكمة استيهابه فأمره أن يستوهبه إياه فاستوهبه
بأمر من الله على الصفة التي علم الله أنه لا يضبطه عليها إلا هو وحده دون سائر عباده
أو أراد أن يقول ملكا عظيما فقال لا ينبغي لأحد من بعدي ولم يقصد بذلك إلا عظم الملك
وسعته كما تقول لفلان ما ليس لأحد من الفضل والمال وربما كان للناس أمثال ذلك
ولكنك تريد تعظيم ما عنده وعن الحجاج أنه قيل له إنك حسود فقال أحسد مني من قال
وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي وهذا من جرأته على الله تعالى وشيطنته كما حكي عنه طاعتنا
أوجب من طاعة الله لأنه شرط في طاعته فقال فاتقوا الله ما استطعتم وأطلق طاعتنا
فقال وأولي الأمر منكم فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب قرئ الريح والرياح
رخاء لينة طيبة لا تزعزع وقيل طيعة له لا تمتنع عليه حيث أصاب حيث قصد و
أراد حكى الأصمعي عن العرب أصاب الصواب فأخطأ الجواب وعن رؤبة أن رجلين
من أهل اللغة قصداه ليسألاه عن هذه الكلمة فخرج إليهما فقال أين تصبان فقالا هذه
طلبتنا فرجعا ويقال أصاب الله بك خيرا والشياطين كل بناء وغواص وآخرين مقرنين
في الأصفاد والشياطين عطف على الريح وكل بناء بدل من الشياطين وآخرين عطف على كل
داخل في حكم البدل وهو بدل الكل من الكل كانوا يبنون له ما شاء من الأبنية ويغوصون
له فيستخرجون اللؤلؤ وهو أول من استخرج الدر من البحر وكان يقرن مردة الشياطين
بعضهم مع بعض في القيود والسلاسل للتأديب والكف عن الفساد وعن السدي كان
يجمع أيديهم إلى أعناقهم مغللين في الجوامع والصفد القيد وسمي به العطاء لأنه ارتباط
للمنعم عليه ومنه قول علي رضي الله عنه من برك فقد أسرك ومن جفاك فقد أطلقك وقال
الغل يدا مطلقها وأرق رقبة معتقها وقال حبيب إن العطاء إسار وتبعه من قال
ومن

ومن وجد الإحسان قيدا تقيدا وفرقوا بين الفعلين فقالوا صفده قيده وأصفده أعطاه
كوعد وأوعد هذا عطاؤنا أي هذا الذي أعطيناك من الملك والمال والبسطة عطاؤنا وكرامتنا عليك
فامنن أو أمسك بغير حساب يعني جما كثيرا لا يكاد يقدر على حسبه وحصره فامنن من المنة
وهي العطاء أي فأعط منه ما شئت أو أمسك مفوضا إليك التصرف فيه وفي قراءة ابن مسعود رضي
الله عنه هذا فامنن أو أمسك عطاؤنا بغير حساب أو هذا التسخير عطاؤنا فامنن على من شئت
من الشياطين بالإطلاق وأمسك من شئت منهم في الوثاق بغير حساب أي لا حساب عليك في ذلك
وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب واذكر عبدنا أيوب عطف بيان وإذ بدل اشتمال منه إذ نادى ربه أني مسني
الشيطان بنصب وعذاب بأني مسني حكاية لكلامه الذي ناداه بسببه ولو لم يحك لقال بأنه
مسه لأنه غائب وقرئ بنصب بضم النون وفتحها مع سكون الصاد وفتحهما وضمهما فالنصب
والنصب كالرشد والرشد والنصب على أصل المصدر والنصب تثقيل نصب والمعنى
واحد وهو التعب والمشقة والعذاب الألم يريد مرضه وما كان يقاسي فيه من أنواع الوصب
وقيل الضر في البدن والعذاب في ذهاب الأهل والمال فإن قلت لم نسبه إلى الشيطان
ولا يجوز أن يسلطه الله على أنبيائه ليقضي من إتعابهم وتعذيبهم وطره ولو قدر على ذلك لم يدع
صالحا إلا وقد نكبه وأهلكه وقد تكرر في القرآن أنه لا سلطان له إلا الوسوسة فحسب قلت
لما كانت وسوسته إليه وطاعته له فيما وسوس سببا فيما مسه الله به من النصب والعذاب نسبه
إليه وقد راعى الأدب في ذلك حيث لم ينسبه إلى الله في دعائه مع أنه فاعله ولا يقدر عليه إلا
هو وقيل أراد ما كان يوسوس به إليه في مرضه من تعظيم ما نزل به من البلاء ويغريه على
الكراهة والجزع فالتجأ إلى الله في أن يكفيه ذلك بكشف البلاء أو بالتوفيق في دفعه ورده
بالصبر الجميل وروي أنه كان يعوده ثلاثة من المؤمنين فارتد أحدهم فسأل عنه فقيل ألقى
إليه الشيطان أن الله لا يبتلي الأنبياء والصالحين وذكر في سبب بلائه أن رجلا استغاثه
على ظالم فلم يغثه وقيل كانت مواشيه في ناحية ملك كافر فداهنه ولم يغزه وقيل أعجب

حكاية لما اجيب به ايوب عليه السلام اى اضرب برجلك الارض وعن قتادة هى ارض الجابية فضربها فنبعت عين فقيل هذا مغتسل بارد وشراب اى هذا ماء تغتسل به وتشرب منه فيبرأ باطنك وظاهرك وتنقلب ما بك قلبة وقيل نبعت له عينان فاغتسل من احديهما وشرب من الاخرى فذهب الداء من ظاهره وباطنه باذن الله وقيل ضرب برجله اليمنى فنبعت عين حارة فاغتسل منها ثم باليسرى فنبعت باردة فشرب منها ووهبنا له اهله ومثلهم معهم رحمة منا وذكرى لاولى الالباب رحمة وذكرى مفعول لهما والمعنى ان الهبة كانت للرحمة له ولتذكير اولى الالباب اذا سمعوا بما انعمنا به عليه لصبره رغبهم فى الصبر على البلاء وعاقبة الصابرين وما يفعل الله بهم وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث انا وجدناه صابرا نعم العبد انه اواب وخذ معطوف على اركض والضغث الحزمة الصغيرة من حشيش او ريحان او غير ذلك وعن ابن عباس رضى الله عنهما قبضة من الشجر كان حلف فى مرضه ليضربن امراته مائة اذا برأ فحلل الله يمينه باهون شىء عليه وعليها لحسن خدمتها اياه ورضاه عنها وهذه الرخصة باقية وعن النبى صلى الله عليه وسلم انه اتى بمخدج قد خبث بامة فقال خذوا عثكالا فيه مائة شمراخ فاضربوه بها ضربة ويجب ان يصيب المضروب كل واحد من المائة اما اطرافها قائمة واما اعراضها مبسوطة مع وجود صورة الضرب وكان السبب فى يمينه انها ابطأت عليه ذاهبة فى حاجة فحرج صدره وقيل باعت ذؤابتيها برغيفين وكانتا متعلق ايوب اذا قام وقيل قال لها الشيطان اسجدى لى سجدة فارد عليكم مالكم واولادكم فهمت بذلك فادركتها العصمة فذكرت ذلك له فحلف وقيل اوهمها الشيطان ان ايوب اذا شرب الخمر برأ فعرضت له بذلك وقيل سألته ان يقرب للشيطان بعناق وجدناه صابرا علمناه صابرا فان قلت كيف وجده صابرا وقد شكا اليه ما به واسترحمه قلت الشكوى الى الله لا تسمى جزعا فلقد قال يعقوب عليه السلام انما اشكو بثى وحزنى الى الله وكذلك شكوى العليل الى الطبيب وذلك ان اصبر الناس على البلاء لا يخلو من تمنى العافية وطلبها

فاذا

فاذا صح ان يسمى صابرا مع تمنى العافية وطلب الشفاء فليسم صابرا مع اللجاء الى الله والدعاء بكشف ما به ومع التعالج ومشاورة الاطباء على ان ايوب عليه السلام كان يطلب الشفاء خيفة على قومه من الفتنة حيث كان الشيطان يوسوس اليهم كما كان يوسوس اليه انه لو كان نبيا لما ابتلى بمثل ما ابتلى به وارادة القوة على الطاعة فقد بلغ امره الى ان لم يبق منه الا القلب واللسان ويروى انه قال فى مناجاته الهى قد علمت انه لم يخالف لسانى قلبى ولم يتبع قلبى بصرى ولم يهبنى ما ملكت يمينى ولم آكل الا ومعى يتيم ولم ابت شبعان ولا كاسيا ومعى جائع او عريان فكشف الله عنه واذكر عبادنا ابراهيم واسحق ويعقوب عطف بيان لعبادنا ومن قرأ عبدنا جعل ابراهيم وحده عطف بيان له ثم عطف ذريته على عبدنا وهى اسحق ويعقوب كقراءة ابن عباس رضى الله عنهما واله ابيك ابراهيم واسمعيل واسحق لما كانت اكثر الاعمال تباشر بالايدى غلبت فقيل فى كل عمل هذا مما عملت ايديهم وان كان عملا لا يتأتى فيه المباشرة بالايدى او كان العمال جذما لا ايدى لهم وعلى ذلك ورد قوله عز وجل اولى الايدى والابصار يريد اولى الاعمال والفكر كأن الذين لا يعملون اعمال الآخرة ولا يجاهدون فى الله ولا يفكرون افكار ذوى الديانات ولا يستبصرون فى حكم الزمنى الذين لا يقدرون على اعمال جوارحهم والمسلوبى العقول الذين لا استبصار بهم وفيه تعريض بكل من لم يكن من عمال الله ولا من المستبصرين فى دين الله وتوبيخ على تركهم المجاهدة والتأمل مع كونهم متمكنين منهما وقرئ اولى الايادى على جمع الجمع وفى قراءة ابن مسعود رضى الله عنه اولى الايد على طرح الياء والاكتفاء بالكسرة وتفسيره بالايد من التأييد قلق غير متمكن انا اخلصناهم بخالصة ذكرى الدار اخلصناهم جعلناهم لنا خالصين بخالصة بخصلة خالصة لا شوب فيها ثم فسرها بقوله ذكرى الدار شهادة لذكرى الدار بالخلوص والصفاء وانتفاء الكدورة عنها وقرئ على الاضافة والمعنى بما خلص من ذكرى الدار على انهم لا يشوبون ذكرى الدار بهم آخر انما همهم ذكرى الدار لا غير ومعنى ذكرى الدار ذكراهم الآخرة دائبا ونسيانهم اليها ذكرى الدنيا او تذكيرهم الآخرة وترغيبهم فيها وتزهيدهم فى الدنيا كما هو شأن الانبياء وديدنهم وقيل ذكرى الدار الثناء الجميل فى الدنيا ولسان الصدق الذى ليس لغيرهم فان قلت ما معنى

أخلصناهم بخالصة قلت معناه أخلصناهم بسبب هذه الخصلة وبأنهم من أهلها أو
أخلصناهم بتوفيقهم لها واللطف بهم في اختيارها ويعضد الأول قراءة من قرأ بخالصتهم
وإنهم عندنا لمن المصطفين المختارين من بين أبناء جنسهم الأخيار جمع خير أو خيّر على
التخفيف كأموات جمع ميت أو ميّت واذكر إسماعيل واليسع وذا الكفل وكل من الأخيار
كأن حرف التعريف دخل على يسع وقرئ والليسع كأن حرف التعريف دخل على ليسع فيعل
من اللسع والتنوين في وكلّ عوض من المضاف إليه ومعناه وكلهم من الأخيار هذا ذكر
هذا نوع من الذكر وهو القرآن لما أجرى ذكر الأنبياء وأتمه وهو باب من أبواب التنزيل
ونوع من أنواعه وأراد أن يذكر على عقبه بابا آخر وهو ذكر الجنة وأهلها قال هذا ذكر
ثم قال وإن للمتقين لحسن مآب كما يقول الجاحظ في كتبه فهذا باب ثم يشرع في باب آخر
ويقول الكاتب إذا فرغ من فصل من كتابه وأراد الشروع في آخر هذا وقد كان كيت
وكيت والدليل عليه أنه لما أتم ذكر أهل الجنة وأراد أن يعقبه بذكر أهل النار قال هذا
وإن للطاغين وقيل معناه هذا شرف وذكر جميل يذكرون به أبدا وعن ابن عباس رضي الله عنهما
هذا ذكر من مضى من الأنبياء جنات عدن مفتحة لهم الأبواب جنات عدن معرفة
لقوله جنات عدن التي وعد الرحمن واستشهد على أنها عطف بيان لحسن مآب ومفتحة
حال والعامل فيها ما في للمتقين من معنى الفعل وفي مفتحة ضمير الجنات والأبواب بدل
من الضمير تقديره مفتحة هي الأبواب كقولهم ضرب زيد اليد والرجل وهو من بدل الاشتمال
وقرئ جنات عدن مفتحة بالرفع على أن جنات عدن مبتدأ ومفتحة خبره أو كلاهما خبر
مبتدأ محذوف أي هو جنات عدن هي مفتحة لهم متكئين فيها يدعون فيها بفاكهة كثيرة
وشراب وعندهم قاصرات الطرف أتراب كأنه اللدات سمين أترابا لأن التراب مسهن
في وقت واحد وإنما جعلن على سن واحدة لأن التحاب بين الأقران أثبت وقيل هن أتراب
لأزواجهن أسنانهن كأسنانهم هذا ما توعدون قرئ توعدون بالتاء والياء ليوم الحساب
أي

أي لأجل يوم الحساب كما تقول هذا ما تدخرونه ليوم الحساب أي اليوم تجزى كل نفس ما عملت إن هذا
لرزقنا ما له من نفاد أي انقطاع أبدا هذا كما ذكر وإن للطاغين لشر مآب جهنم يصلونها
فبئس المهاد كقوله لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش شبه ما تحتهم من النار بالمهاد الذي
تفترشه النائم هذا فليذوقوه حميم وغساق أي هذا حميم وغساق فليذوقوه أو العذاب هذا
فليذوقوه ثم ابتدأ فقال هو حميم وغساق أو هذا فليذوقوه بمنزلة فإياي فارهبون أي ليذوقوا
هذا فليذوقوه والغساق بالتخفيف والتشديد ما يغسق من صديد أهل النار يقال غسقت
العين إذا سال دمعها وقيل الحميم يحرق بحره والغساق يحرق ببرده وقيل لو قطرت منه
قطرة في المشرق لنتنت أهل المغرب ولو قطرت منه قطرة في المغرب لنتنت أهل المشرق
وعن الحسن الغساق عذاب لا يعلمه إلا الله إن الناس أخفوا لله طاعة فأخفى لهم ثوابا
في قوله فلا تعلم نفس ما أخفي لهم وأخفوا معصية فأخفى لهم عقوبة وآخر من شكله أزواج
وآخر ومذوقات أخر من شكل هذا المذوق من مثله في الشدة والفظاعة أزواج أجناس
وقرئ وآخر أي وعذاب آخر أو ومذوق آخر وأزواج صفة لآخر لأنه يجوز أن يكون
ضروبا أو صفة للثلاثة وهي حميم وغساق وآخر من شكله وقرئ من شكله بالكسر وهي لغة
وأما الغنج فبالكسر لا غير هذا فوج مقتحم معكم هذا جمع كثيف قد اقتحم معكم النار أي دخل
النار في صحبتكم وقرانكم والاقتحام ركوب الشدة والدخول فيها والقحمة الشدة وهذه
حكاية كلام الطاغين بعضهم مع بعض أي يقولون هذا والمراد بالفوج أتباعهم الذين
اقتحموا معهم الضلالة فيقتحمون معهم العذاب لا مرحبا بهم دعاء منهم على أتباعهم تقول
لمن تدعو له مرحبا أي أتيت رحبا من البلاد لا ضيقا أو رحبت بلادك رحبا ثم تدخل
عليه لا في دعاء السوء وبهم بيان للمدعو عليهم إنهم صالوا النار تعليل لاستيجابهم الدعاء
عليهم ونحوه قوله تعالى كلما دخلت أمة لعنت أختها وقيل هذا فوج مقتحم معكم كلام الخزنة
لرؤساء الكفرة في أتباعهم ولا مرحبا بهم إنهم صالوا النار كلام الرؤساء وقيل هذا كله

كلام الخزنة قالوا اى الاتباع بل انتم لا مرحبا بكم يريدون ان الدعاء الذى دعوتم به علينا انتم احق
به وعللوا ذلك بقولهم انتم قدمتموه لنا فبئس القرار والضمير للعذاب او لصليهم فان قلت
ما معنى تقديمهم العذاب لهم قلت المقدم هو عمل السوء قال الله تعالى وذوقوا عذاب
الحريق ذلك بما قدمت ايديكم ولكن الرؤساء لما كانوا السبب فيه باغوائهم وكان العذاب
جزاءهم عليه قيل انتم قدمتموه لنا فجعل الرؤساء هم المقدمين وجعل الجزاء هو المقدم فجمع
بين مجازين لان العاملين هم المقدمون فى الحقيقة لا رؤساؤهم والعمل هو المقدم لا جزاؤه
فان قلت فالذى جعل قوله لا مرحبا بهم من كلام الخزنة ما يصنع بقوله بل انتم لا مرحبا
بكم والمخاطبون اعنى رؤساءهم لم يتكلموا بما يكون هذا جوابا له قلت كانه قيل
هذا الذى دعا به علينا الخزنة انتم يا رؤساء احق به منا لاغوائكم ايانا وتسببكم فيما نحن
فيه من العذاب وهذا صحيح كما لو زين قوم لقوم بعض المساوى فارتكبوه فقيل للمزينين
اخزى الله هؤلاء ما اسوأ فعلهم فقال المزين لهم للمزينين بل انتم اولى بالخزى منا فلولا
انتم لم نرتكب ذلك قالوا ربنا من قدم لنا هذا فزده عذابا ضعفا اى
مضاعفا ومعناه ذا ضعف ونحوه قوله تعالى ربنا هؤلاء اضلونا فآتهم عذابا
ضعفا وهو ان يزيد على عذابه مثله فيصير ضعفين كقوله عز وجل ربنا آتهم ضعفين من
العذاب وجاء فى التفسير عذابا ضعفا حيات وافاعى وقالوا الضمير للطاغين ما لنا
لا نرى رجالا يعنون فقراء المسلمين الذين لا يؤبه لهم من الاشرار من الاراذل الذين لا خير
فيهم ولا جدوى ولانهم كانوا على خلاف دينهم فكانوا عندهم اشرارا اتخذناهم سخريا قرئ بلفظ
الاخبار على انه صفة لرجالا مثل قوله كنا نعدهم من الاشرار وبهمزة الاستفهام على انه انكار
على انفسهم وتانيب لها فى الاستسخار منهم وقوله ام زاغت عنهم الابصار له وجهان من الاتصال
احدهما ان يتصل بقوله ما لنا اى ما لنا لا نراهم فى النار كانهم ليسوا فيها بل ازاغت عنهم
ابصارنا فلا نراهم وهم فيها قسموا امرهم بين ان يكونوا من اهل الجنة وبين ان يكونوا من اهل
النار

النار لانه خفى عليهم مكانهم والوجه الثانى ان يتصل باتخذناهم سخريا اما ان تكون ام متصلة
على معنى اى الفعلين فعلنا بهم الاستسخار منهم ام الازدراء بهم والتحقير وان ابصارنا كانت
تعلو عنهم وتقتحمهم على معنى انكار الامرين جميعا على انفسهم وعن الحسن كل ذلك قد فعلوا
اتخذوهم سخريا وزاغت عنهم ابصارهم محقرة لهم واما ان تكون منقطعة بعد مضى اتخذناهم
سخريا على الخبر او الاستفهام كقولك انها لابل ام شاء وازيد عندك ام عندك عمرو ولك ان
تقدر همزة الاستفهام محذوفة فيمن قرا بغير همزة لان ام تدل عليها فلا تفترق القراءتان اثباتا لها
وحذفا وقيل الضمير فى قالوا لصناديد قريش كابى جهل والوليد واضرابهما والرجال
عمار وصهيب وبلال واشباههم وقرئ سخريا بالضم والكسر ان ذلك الذى حكينا عنهم لحق
لا بد ان يتكلموا به ثم بين ما هو فقال هو تخاصم اهل النار وقرئ بالنصب على انه صفة
لذلك لان اسماء الاشارة توصف باسماء الاجناس فان قلت لم سمى ذلك تخاصما قلت
شبه تقاولهم وما يجرى بينهم من السؤال والجواب بما يجرى بين المتخاصمين من نحو ذلك ولان
قول الرؤساء لا مرحبا بهم وقول اتباعهم بل انتم لا مرحبا بكم من باب الخصومة فسمى التقاول
كله تخاصما لاجل اشتماله على ذلك قل انما انا منذر وما من اله الا الله الواحد القهار
قل يا محمد لمشركى مكة ما انا الا رسول منذر انذركم عذاب الله للمشركين واقول لكم ان دين
الحق توحيد الله وان تعتقدوا ان لا اله الا الله الواحد بلا ند ولا شريك القهار لكل شى
وان الملك والربوبية له فى العالم كله وهو العزيز الذى لا يغلب اذا عاقب العصاة وهو مع
ذلك الغفار لذنوب من التجأ اليه او قيل لهم ما انا الا منذر لكم ما اعلم لكم وانا انذركم
عقوبة من هذه صفته فان مثله حقيق بان يخاف عقابه كما هو حقيق بان يرجى ثوابه
قل هو نبأ عظيم انتم عنه معرضون ما كان لى من علم بالملا الاعلى اذ يختصمون اى هذا
الذى انبأتكم به من كونى رسولا منذرا وان الله واحد لا شريك له نبأ عظيم لا يعرض عن
مثله الا غافل شديد الغفلة ثم احتج لنبوته بان ما ينبئ به عن الملا الاعلى واختصامهم

رب السموات والارض وما بينهما العزيز الغفار

امر ما كان لي به من علم قط ثم علمته ولم يسلك الطريق الذي يسلكه الناس في علم ما لم يعلموا وهو الاخذ
من اهل العلم وقراءة الكتب فعلم ان ذلك لم يحصل الا بالوحي من الله ان يوحى الي الا انما انا
نذير اي لانما انا نذير ومعناه ما يوحى الي الا للانذار فحذف اللام وانتصب بافضاء الفعل اليه
ويجوز ان يرتفع على معنى ما يوحى الي الا هذا وهو ان انذر وابلغ ولا افرط في ذلك اي
ما اومر الا بهذا الامر وحده وليس الي غير ذلك وقرئ انما بالكسر على الحكاية اي الا هذا القول
وهو ان اقول لكم انما انا نذير مبين ولا ادعي شيا اخر وقيل النبا العظيم قصص آدم والانباء
به من غير سماع من احد وعن ابن عباس رضي الله عنهما القرآن وعن الحسن يوم القيامة فان
قلت بم يتعلق اذ يختصمون قلت بمحذوف لان المعنى ما كان لي من علم بكلام الملا
الاعلى وقت اختصامهم واذ قال بدل من اذ يختصمون فان قلت ما المراد بالملا الاعلى
قلت اصحاب القصة الملائكة وآدم وابليس لانهم كانوا في السماء وكان التقاول بينهم
فان قلت ما كان التقاول بينهم انما كان بين الله وبينهم لان الله سبحانه هو الذي قال لهم
وقالوا له فانت بين امرين اما ان تقول الملا الاعلى هولاء وكان التقاول بينهم ولم يكن التقاول
بينهم واما ان تقول التقاول كان بين الله وبينهم فقد جعلته من الملا الاعلى قلت
كانت مقاولة الله سبحانه بواسطة ملك فكان المقاول في الحقيقة هو الملك المتوسط فصح ان
التقاول كان بين الملائكة وآدم وابليس وهم الملا الاعلى والمراد بالاختصام التقاول
على ما سبق اذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من طين فان قلت كيف صح ان يقول لهم
اني خالق بشرا وما عرفوا ما البشر ولا عهدوا به قبل قلت وجهه ان يكون قد قال
لهم اني خالق خلقا من صفته كيت وكيت ولكنه حين حكاه اقتصر على الاسم فاذا سويته
فاذا اتممت خلقه وعدلته ونفخت فيه من روحي واحييته وجعلته حساسا متنفسا
فقعوا له ساجدين فسجد الملائكة كلهم اجمعون كل للاحاطة واجمعون للاجتماع فافادا معا
انهم سجدوا عن آخرهم ما بقي منهم ملك الا سجد وانهم سجدوا جميعا في وقت واحد غير متفرقين
في

في اوقات فان قلت كيف ساغ السجود لغير الله قلت الذي لا يسوغ هو السجود لغير
الله على وجه العبادة فاما على وجه التكرمة والتبجيل فلا ياباه العقل الا ان يعرف الله فيه مفسدة
فينهى عنه الا ابليس فان قلت كيف استثنى ابليس من الملائكة وهو من الجن قلت
قد امر بالسجود معهم فغلبوا عليه في قوله فسجد الملائكة ثم استثني كما يستثنى الواحد منهم
استثناء متصلا استكبر وكان من الكافرين اريد وجود كفره ذلك الوقت وان لم يكن
قبله كافرا لان كان مطلق في جنس الاوقات الماضية فهو صالح لايها شئت ويجوز
ان يراد وكان من الكافرين في الازمنة الماضية في علم الله قال يا ابليس ما منعك ان
تسجد لما خلقت بيدي فان قلت ما وجه قوله خلقت بيدي قلت قد سبق لنا
ان ذا اليدين يباشر اكثر اعماله بيديه فغلب العمل باليدين على ساير الاعمال التي تباشر
بغيرهما حتى قيل في عمل القلب هو مما عملت يداك وحتى قيل لمن لا يدي له يداك اوكتا وفوك نفخ
وحتى لم يبق فرق بين قولك هذا مما عملته وهذا مما عملته يداك ومنه قوله تعالى مما عملت
ايدينا ولما خلقت بيدي فان قلت فما معنى قوله ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي
قلت الوجه الذي استنكر له ابليس السجود لآدم واستنكف منه انه سجود لمخلوق
فذهب بنفسه وتكبر ان يكون سجوده لغير الخالق وانضم الى ذلك ان آدم مخلوق من طين
وهو مخلوق من نار وراى للنار فضلا على الطين فاستعظم ان يسجد لمخلوق مع فضله
عليه في المنصب وزل عنه ان الله سبحانه حين امر به اعز عباده عليه واقربهم منه
زلفى وهم الملائكة وهم احق بان يذهبوا بانفسهم عن التواضع للبشر الضئيل ويستنكفوا
من السجود له من غيرهم ثم لم يفعلوا وتبعوا امر الله وجعلوه قدام اعينهم ولم يلتفتوا
الى التفاوت بين الساجد والمسجود له تعظيما لامر ربهم واجلالا لخطابه كان هو مع
انحطاطه عن مراتبهم حرى بان يقتدي بهم ويقتفي اثرهم ويعلم انهم في السجود لمن هو
دونهم بامر الله اوغل في عبادته منهم في السجود له لما فيه من طرح الكبرياء وخفض الجناح

مخلوق

فقيل له ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي اي ما منعك عن السجود لشيء هو كما تقول
خلقته بيدي لا شك في كونه مخلوقا امتثالا لامري واعظاما لخطابي كما فعلت الملائكة
فذكر له ما تركه من السجود مع ذكر العلة التي تشبث بها في تركه وقيل له لم تركته مع وجود
هذه العلة وقد امرك الله به يعني كان عليك ان تعتبر امر الله ولا تعتبر هذه العلة ومثاله
ان يامر الملك وزيره ان يزور بعض سقاط الحشم فيمتنع اعتبارا لسقوطه فيقول له ما منعك
ان تتواضع لمن لا يخفى علي سقوطه يريد هلا اعتبرت امري وخطابي وتركت اعتبار سقوطه
وفيه اني خلقته بيدي فانا اعلم بحاله ومع ذلك امرت الملائكة بان يسجدوا له لداعي حكمة
دعاني اليه من انعام عليه بالتكرمة السنية وابتلاء للملائكة فمن انت حتى يصرفك عن السجود
له ما لم يصرفني عن الامر بالسجود له وقيل معنى لما خلقت بيدي لما خلقت بغير واسطة
وقرئ بيدي كما قرئ بمصرخي وبيدي على التوحيد استكبرت ام كنت من العالين
ممن علوت وفقت فاجاب بانه من العالين حيث قال انا خير منه وقيل استكبرت الآن ام
لم تزل منذ كنت من المستكبرين ومعنى الهمزة التقرير وقرئ استكبرت بحذف حرف الاستفهام
لان ام تدل عليه او بمعنى الاخبار خلقتني من نار وخلقته من طين هذا على سبيل الاولى
اي لو كان مخلوقا من نار لما سجدت له لانه مخلوق مثلي فكيف اسجد لمن هو دوني لانه من
طين والنار تغلب الطين وتاكله وقد جرت الجملة الثانية من الاولى وهي خلقتني من نار
مجرى المعطوف عطف البيان من المعطوف عليه في البيان والايضاح قال فاخرج منها فانك
رجيم منها من الجنة وقيل من السماوات وقيل من الخلقة التي انت فيها لانه كان يفتخر
بخلقته فغير الله خلقته فاسود بعدما كان ابيض وقبح بعدما كان حسنا واظلم بعدما
كان نورانيا والرجيم المرجوم ومعناه المطرود كما قيل له المدحور والملعون لان من طرد
رمي بالحجارة على اثره والرجم الرمي بالحجارة او لان الشياطين يرجمون بالشهب فان قلت
قوله وان عليك لعنتي الى يوم الدين كان لعنة ابليس غايتها يوم الدين ثم تنقطع قلت كيف

تنقطع

تنقطع وقد قال الله تعالى فاذن مؤذن بينهم ان لعنة الله على الظالمين ولكن المعنى ان
عليه اللعنة في الدنيا فاذا كان يوم الدين اقترن له باللعنة ما ينسى عنده اللعنة فكانها
انقطعت فان قلت ما الوقت المعلوم الذي اضيف اليه اليوم قلت الوقت الذي
تقع فيه النفخة الاولى ويومه اليوم الذي وقت النفخة جزء من اجزائه ومعنى المعلوم انه
معلوم عند الله معين لا يستقدم ولا يستاخر قال فبعزتك اقسام بعزة الله وهي سلطانه و
قهره لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين قال فالحق والحق اقول لاملان جهنم
منك وممن تبعك منهم اجمعين قرئ فالحق والحق منصوبين على ان الاول مقسم به كقوله ان
عليك الله ان تبايعا وجوابه لاملان والحق اقول اعتراض بين المقسم به والمقسم عليه
ومعناه ولا اقول الا الحق والمراد بالحق اما اسمه عز وجل الذي في قوله ان الله هو الحق
او الحق الذي هو نقيض الباطل عظمه الله باقسامه به ومرفوعين على ان الاول مبتدأ
محذوف الخبر كقوله لعمرك اي فالحق قسمي لاملان والحق اقوله اي اقوله كقوله
كله لم اصنع ومجرورين على ان الاول مقسم به قد اضمر حرف قسمه كقولك الله لافعلن
والحق اقول اي ولا اقول الا الحق على حكاية لفظ المقسم به ومعناه التوكيد والتشديد
وهذا الوجه جائز في المنصوب والمرفوع ايضا وهو وجه دقيق حسن وقرئ برفع الاول
ونصب الثاني وتخريجه على ما ذكرنا منك من جنسك وهم الشياطين وممن تبعك
منهم من ذرية آدم فان قلت اجمعين تاكيد لماذا قلت لا يخلو ان يؤكد به
الضمير في منهم او الكاف في منك مع من تبعك ومعناه لاملان جهنم من المتبوعين
والتابعين اجمعين لا اترك منهم احدا او لاملانها من الشياطين وممن تبعهم من جميع الناس
لا تفاوت في ذلك بين ناس وناس بعد وجود الاتباع منهم من اولاد الانبياء وغيرهم
قل ما اسالكم عليه من اجر الضمير للقرآن او الوحي وما انا من المتكلفين من الذين يتصنعون
ويتحلون بما ليسوا من اهله وما عرفتموني قط متصنعا ولا مدعيا ما ليس عندي حتى انتحل

النبوة واتقول القرآن ان هو الا ذكر من الله للعالمين للثقلين اوحي الي فانا ابلغه وعن
رسول الله صلى الله عليه للمتكلف ثلث علامات ينازع من فوقه ويتعاطى ما لا ينال ويقول ما
يعلم ولتعلمن نبأه بعد حين اي ما ياتيكم عند الموت او يوم القيامة او عند ظهور الاسلام و
فشوه من صحة خبره وانه الحق والصدق وفيه تهديد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة ص كان له بوزن كل جبل سخره الله لداود عشر حسنات وعصمه ان يصر
على ذنب صغير او كبير

كلفه عملا بلا اجر صحاح

سورة الزمر مكية الا قوله قل يا عبادي الذين اسرفوا خمسة وسبعون وقيل ثنتان وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم تنزيل الكتاب
قرئ بالرفع على انه مبتدأ اخبر عنه بالظرف او خبر مبتدأ محذوف والجار صلة التنزيل كما
تقول نزل من عند الله او غير صلة كما تقول هذا الكتاب من فلان الى فلان وهو على هذا
خبر بعد خبر او خبر مبتدأ محذوف تقديره هذا تنزيل الكتاب هذا من الله او حال من التنزيل
عمل فيها معنى الاشارة وبالنصب على اضمار فعل نحو اقرأ والزم فان قلت ما المراد بالكتاب
قلت الظاهر على الوجه الاول انه القرآن وعلى الثاني انه السورة انا انزلنا
الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصا له الدين ممحضا له الدين من الشرك والرياء بالتوحيد
وتصفية السر وقرئ الدين بالرفع وحق من رفعه ان يقرأ مخلصا بفتح اللام كقوله تعالى
واخلصوا دينهم لله حتى يطابق قوله الا لله الدين الخالص والخالص والمخلص واحد
الا ان تصف الدين بصفة صاحبه على الاسناد المجازي كقولهم شعر شاعر واما من جعل
مخلصا حالا من العابد وله الدين مبتدأ وخبرا فقد جاء باعراب رجع به الكلام الى قولك لله
الدين الا لله الدين الخالص اي هو الذي وجب اختصاصه بان يخلص له الطاعة من كل
شائبة كدر لاطلاعه على الغيوب والاسرار ولانه الحقيق بذلك لخلوص نعمته عن استجرار
المنفعة بها وعن قتادة الدين الخالص شهادة ان لا اله الا الله وعن الحسن الاسلام والذين اتخذوا
من

١٦

اي عبدوا من دونه اربابا و
يعني يقولون ما نعبدهم
اي ليشفعوا لنا ويقربونا
يعني منزلة
اي يقضي بينهم يوم القيامة

من دونه اولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ان الله يحكم بينهم فيما هم فيه مختلفون الذين
اتخذوا يحتمل المتخذين وهم الكفرة والمتخذين وهم الملائكة وعيسى عليهم السلام واللات والعزى
عن ابن عباس رضي الله عنهما فالضمير في اتخذوا على الاول راجع الى الذين وعلى الثاني الى
المشركين ولم يجر ذكرهم لكونه مفهوما والراجع الى الذين محذوف والمعنى والذين اتخذهم
المشركون اولياء والذين اتخذوا في موضع الرفع على الابتداء فان قلت فالخبر ما هو قلت
هو على الاول اما ان الله يحكم بينهم او ما اضمر من القول قبل قوله ما نعبدهم وعلى الثاني ان
الله يحكم بينهم فان قلت فاذا كان ان الله يحكم بينهم الخبر فما موضع القول المضمر قلت
يجوز ان يكون في موضع الحال اي قائلين ذلك ويجوز ان يكون بدلا من الصلة فلا يكون له محل
كما ان المبدل منه كذلك وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه باظهار القول قالوا ما نعبدهم وفي قراءة
ابي رضي الله عنه ما نعبدكم الا لتقربونا على الخطاب حكاية لما خاطبوا به آلهتهم وقرئ نعبدهم
بضم النون اتباعا للعين كما تتبعها الهمزة في الامر والتنوين في عذابن اركض والضمير في بينهم
لهم ولاوليائهم والمعنى ان الله يحكم بينهم بانه يدخل الملائكة وعيسى الجنة ويدخلهم النار مع الحجارة
التي نحتوها وعبدوها من دون الله يعذبهم بها حيث يجعلهم واياها حصب جهنم واختلافهم
ان الذين يعبدون موحدون وهم مشركون واولئك يعادونهم ويلعنونهم وهم يرجون شفاعتهم
وتقريبهم الى الله زلفى وقيل كان المسلمون اذا قالوا لهم من خلق السماوات والارض اقروا
وقالوا الله فاذا قالوا لهم فما لكم تعبدون الاصنام قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى
فالضمير في بينهم عائد اليهم والى المسلمين والمعنى ان الله يحكم يوم القيامة بين المتنازعين
من الفريقين ان الله لا يهدي من هو كاذب كفار المراد بمنع الهداية منع اللطف تسجيلا
عليهم بان لا لطف لهم وانهم في علم الله من الهالكين وقرئ كذاب وكذوب وكذبهم قولهم
في بعض من اتخذوا من دون الله اولياء بنات الله ولذلك عقبه محتجا عليهم بقوله لو اراد الله
ان يتخذ ولدا لاصطفى ما يخلق ما يشاء يعني لو اراد الله اتخاذ الولد لامتنع ولم يصح لكونه

محالا ولم يتات الا ان يصطفي من خلقه بعضه ويختصهم ويقربهم كما يختص الرجل
ويقربه وقد فعل ذلك بالملائكة فافتتنتم به وغركم اختصاصه اياهم فزعمتم انه اولاده
جهلا منكم به وبحقيقته المخالفة لحقائق الاجسام والاعراض كانه قال لو اراد اتخاذ
الولد لم يزل على ما فعل من اصطفاء ما شاء من خلقه وهم الملائكة الا انكم لجهلكم به حسبتم
اصطفاءهم اتخاذهم اولادا ثم تماديتم في جهلكم وسفهكم فجعلتموهم بنات فكنتم كذابين كفارين
مبالغين في الافتراء على الله وملائكته غالين في الكفر ثم قال سبحانه هو الله الواحد القهار
فنزه ذاته عن ان يكون له احد ما نسبوا اليه من الاولاد والاولياء ودل على ذلك بما ينافيه
وهو انه واحد فلا يجوز ان يكون له صاحبة لانه لو كانت له صاحبة لكانت من جنسه ولا جنس
له واذا لم يتات ان يكون له صاحبة لم يتات ان يكون له ولد وهو معنى قوله انى يكون له ولد
ولم يكن له صاحبة وقهار غلاب لكل شيء ومن الاشياء آلهتهم فهو يغلبهم فكيف يكون له اولياء
وشركاء خلق السماوات والارض بالحق يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل وسخر
الشمس والقمر كل يجري لاجل مسمى ثم دل بخلق السماوات والارض وتكوير كل واحد من
الملوين على الاخر وتسخير النيرين وجريهما لاجل مسمى وبث الناس على كثرة عددهم من نفس
واحدة وخلق الانعام على انه واحد لا يشارك قهار لا يغالب والتكوير اللف واللي يقال كار
العمامة على راسه وكورها وفيه اوجه منها ان الليل والنهار خلفة يذهب هذا ويغشى
مكانه هذا واذا غشي مكانه فكانما البسه ولف عليه كما يلف اللباس على اللابس ومنه
قول ذي الرمة في وصف السراب تلوي الثنايا باحقيها حواشيه
لي الملاء بابواب التفاريج ومنها ان كل واحد منهما يغيب الاخر اذا طرا عليه فشبه في
تغييبه اياه بشيء ظاهر لف عليه ما غيبه عن مطامح الابصار ومنها ان هذا يكر على هذا
كرورا متتابعا فشبه ذلك بتتابع اكوار العمامة بعضها على اثر بعض الا هو العزيز الغفار
الغالب القادر على عقاب المصرين الغفار لذنوب التائبين او الغالب الذي يقدر على ان يعاجلهم
بالعقوبة

بالعقوبة وهو يحلم عنهم ويؤخرهم الى اجل مسمى فسمى الحلم عنهم مغفرة خلقكم من نفس واحدة ثم
جعل منها زوجها فان قلت ما وجه قوله ثم جعل منها زوجها وما يعطيه من معنى التراخي
قلت هما آيتان من جملة الآيات التي عددها دالا على وحدانيته تشعيب هذا الخلق الفائت
للحصر من نفس آدم وخلق حواء من قصيراه الا ان احديهما جعلها الله عادة مستمرة والاخرى
لم يجر بها العادة ولم يخلق انثى غير حواء من قصيرى رجل فكانت ادخل في كونها آية واجلب
لعجب السامع فعطفها بثم على الآية الاولى للدلالة على مباينتها لها فضلا ومزية [illegible]
فيما يرجع الى زيادة كونها آية فهو من التراخي في الحال والمنزلة لا من التراخي في الوجود وقيل
ثم متعلق بمعنى واحدة كانه قيل خلقكم من نفس وحدت ثم شفعها الله بزوج وقيل اخرج
ذرية آدم من ظهره كالذر ثم خلق بعد ذلك حواء وانزل لكم من الانعام وقضى لكم وقسم لان قضاياه وقسمه
موصوفة بالنزول من السماء حيث كتب في اللوح كل كائن يكون وقيل لا تعيش الا بالنبات
والنبات لا يقوم الا بالماء وقد انزل الماء فكانه انزلها وقيل خلقها في الجنة ثم انزلها ثمانية
ازواج ذكرا وانثى من الابل والبقر والضان والمعز والزوج اسم لواحد معه آخر فاذا
انفرد فهو فرد ووتر قال الله تعالى فجعل منه الزوجين الذكر والانثى خلقا من بعد خلق
حيوانا سويا من بعد عظام مكسوة لحما من بعد عظام عارية من بعد مضغ من بعد علق
من بعد نطف في ظلمات ثلث هي البطن والرحم والمشيمة وقيل الصلب والرحم والبطن
ذلكم الذي هذه افعاله هو الله ربكم له الملك لا اله الا هو فانى تصرفون فكيف يعدل بكم عن
عبادته الى عبادة غيره ان تكفروا فان الله غني عنكم عن ايمانكم وانكم المحتاجون اليه لاستضراركم
بالكفر واستنفاعكم بالايمان ولا يرضى لعباده الكفر رحمة لهم لانه يوقعهم في الهلكة وان تشكروا
يرضه لكم اي يرضى الشكر لكم لانه سبب فوزكم وفلاحكم فاذن ما كره كفركم ولا رضي شكركم الا
لكم ولصلاحكم لا لان منفعة ترجع اليه لانه الغني الذي لا يجوز عليه الحاجة ولقد تمحل
بعض الغواة ليثبت لله ما نفاه عن ذاته من الرضى لعباده الكفر فقال هذا من العام الذي

وقدرته صح

خلقكم في بطون امهاتكم

أريد به الخاص وما أراد إلا عباده الذين عناهم في قوله إن عبادي ليس لك عليهم سلطان
يريد المعصومين كقوله عينا يشرب بها عباد الله تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا وقرئ
يرضه لكم بضم الهاء بوصل وبغير وصل وبسكونها ولا تزر وازرة وزر أخرى ثم إلى ربكم مرجعكم
فينبئكم بما كنتم تعملون إنه عليم بذات الصدور وإذا مس الإنسان ضر دعا ربه منيبا
إليه ثم إذا خوله أعطاه قال أبو النجم أعطى فلم يبخل ولم يبخل كوم الذرى من خول المخول
وفي حقيقته وجهان أحدهما جعله خائل مال من قولهم هو خائل مال إذا كان متعهدا
له حسن القيام به ومنه ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يتخول أصحابه
بالموعظة والثاني جعله يخول من خال يخول إذا اختال وافتخر وفي معناه قول العرب
إن الغني طويل الذيل مياس نعمة منه نسي ما كان يدعو إليه من قبل أي نسي الضر الذي
كان يدعو الله إلى كشفه وقيل نسي ربه الذي كان يتضرع إليه ويبتهل إليه وما بمعنى
من كقوله وما خلق الذكر والأنثى وجعل لله أندادا ليضل عن سبيله قرئ ليضل بفتح الياء
وضمها يعني أن نتيجة جعله لله أندادا ضلاله عن سبيل الله أو إضلاله والنتيجة قد تكون
غرضا في الفعل وقد تكون غير غرض وقوله قل تمتع بكفرك قليلا إنك من أصحاب النار
من باب الخذلان والتخلية فكأنه قيل له إذ قد أبيت قبول ما أمرت به من الإيمان و
الطاعة فمن حقك أن لا تؤمر به بعد ذلك وتؤمر بتركه مبالغة في خذلانه وتخليته وشأنه
لأنه لا مبالغة في الخذلان أشد من أن يبعث على عكس ما أمر به ونظيره في المعنى قوله
متاع قليل ثم مأواهم جهنم أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة
ربه قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولو الألباب قرئ أمن
هو قانت بالتخفيف على إدخال همزة الاستفهام على من وبالتشديد على إدخال أم عليه ومن
مبتدأ خبره محذوف تقديره أمن هو قانت كغيره وإنما حذف لدلالة الكلام عليه وهو جري
ذكر الكافر قبله وقوله بعده هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وقيل معناه أمن
هو

هو قانت أفضل أم من هو كافر وأهذا أفضل أم من هو قانت على الاستفهام المتصل والقانت
القائم بما يجب عليه من الطاعة ومنه قوله صلى الله عليه وسلم أفضل الصلاة طول القنوت
وهو القيام فيها ومنه القنوت في الوتر لأنه دعاء المصلي قائما ساجدا حال وقرئ ساجد وقائم
على أنه خبر بعد خبر والواو للجمع بين الصفتين وقرئ ويحذر عذاب الآخرة وأراد بالذين
يعلمون العاملين من علماء الديانة كأنه جعل من لا يعمل غير عالم وفيه ازدراء عظيم بالذين
يقتنون العلوم ثم لا يقنتون ويفتنون فيها ثم يفتنون بالدنيا فهم عند الله جهلة حيث
جعل القانتين هم العلماء ويجوز أن يرد على سبيل التشبيه أي كما لا يستوي العالمون والجاهلون
كذلك لا يستوي القانتون والعاصون وقيل نزلت في عمار بن ياسر وأبي حذيفة بن المغيرة
المخزومي وعن الحسن أنه سئل عن رجل يتمادى في المعاصي ويرجو فقال هذا تمن وإنما
الرجاء قوله وقرئ إنما يذكر بالإدغام قل يا عبادي الذين آمنوا اتقوا ربكم
للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة في هذه الدنيا متعلق بأحسنوا لا بحسنة معناه الذين
أحسنوا في هذه الدنيا فلهم حسنة في الآخرة وهي دخول الجنة أي حسنة غير مكتنهة بالوصف
وقد علقه السدي بحسنة ففسر الحسنة بالصحة والعافية فإن قلت إذا علق الظرف
بأحسنوا فإعرابه ظاهر فما معنى تعلقه بحسنة ولا يصح أن يقع صفة لها لتقدمه قلت
هو صفة لها إذا تأخر فإذا تقدم كان بيانا لمكانها فلم يخل التقدم بالتعلق وإن لم يكن
التعلق وصفا ومعنى وأرض الله واسعة أن لا عذر للمفرطين في الإحسان البتة حتى
إن اعتلوا بأوطانهم وبلادهم وأنهم لا يتمكنون فيها من التوفر على الإحسان وصرف
هممهم إليه قيل لهم فإن أرض الله واسعة وبلاده كثيرة فلا تجتمعوا مع العجز وتحولوا إلى
بلاد أخر واقتدوا بالأنبياء والصالحين في مهاجرتهم إلى غير بلادهم ليزدادوا إحسانا
إلى إحسانهم وطاعة إلى طاعتهم وقيل هو للذين كانوا في بلد المشركين فأمروا بالمهاجرة
عنه كقوله تعالى ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها وقيل هي أرض الجنة إنما يوفى

الصابرون الذين صبروا على مفارقة اوطانهم وعشايرهم وعلى غيرها من تجرع الغصص
واحتمال البلايا في طاعة الله وازدياد الخير اجرهم بغير حساب لا يحاسبون عليه وقيل
بغير مكيال وغير ميزان يغرف لهم غرفا وهو تمثيل للتكثير وعن ابن عباس رضي الله عنهما
لا يهتدى اليه حساب الحساب ولا يعرف وعن النبي صلى الله عليه وسلم ينصب الله الموازين
يوم القيامة فيؤتى باهل الصلوة فيؤتون اجورهم بالموازين ويؤتى باهل الصدقة فيؤتون
اجورهم بالموازين ويؤتى باهل الحج فيؤتون اجورهم بالموازين ويؤتى باهل البلاء فلا ينصب
لهم ميزان ولا ينشر لهم ديوان ويصب عليهم الاجر صبا قال الله تعالى انما يوفى الصابرون
اجرهم بغير حساب حتى يتمنى اهل العافية في الدنيا ان اجسادهم تقرض بالمقاريض مما يذهب
به اهل البلاء من الفضل قل اني امرت ان اعبد الله مخلصا له الدين وامرت لان اكون
اول المسلمين قل اني امرت باخلاص الدين وامرت بذلك لاجل ان اكون اول المسلمين
اي مقدمهم وسابقهم في الدنيا والآخرة والمعنى ان الاخلاص له السبقة في الدين فمن
اخلص كان سابقا فان قلت كيف عطف امرت على امرت وهما واحد قلت
ليسا بواحد لاختلاف جهتيهما وذلك ان الامر بالاخلاص وتكليفه شيء والامر به ليحرز
القائم به قصب السبق في الدين شيء واذا اختلف وجها الشيء وصفتاه تنزل بذلك
منزلة شيئين مختلفين ولك ان تجعل اللام مزيدة مثلها في اردت لان افعل ولا تزاد
الا مع ان خاصة دون الاسم الصريح كانها زيدت عوضا من ترك الاصل الى ما يقوم مقامه
كما عوض السين في استطاع عوضا من ترك الاصل الذي هو اطوع والدليل على هذا
الوجه مجيئه بغير لام في قوله وامرت ان اكون من المسلمين وامرت ان اكون من
المؤمنين وامرت ان اكون اول من اسلم وفي معناه اوجه ان اكون اول من اسلم
في زماني ومن قومي لانه اول من خالف دين آبائه وخلع الاصنام وحطمها وان اكون
اول الذين دعوتهم الى الاسلام اسلاما وان اكون اول من دعا نفسه الى ما دعا اليه غيره
لاكون

لاكون مقتدى بي في قولي وفعلي جميعا ولا يكون صفتي صفة الملوك الذين يامرون بما
لا يفعلون وان افعل ما استحق به الاولية من اعمال السابقين دلالة على السبب بالمسبب
قل اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم يعني ان الله امرني ان اخلص له الدين من الشرك
والرياء وكل شوب بدليلي العقل والراي فان عصيت ربي بمخالفة الدليلين استوجبت عذابه
فلا اعصيه ولا اتابع امركم وذلك حين دعوه الى دين آبائه فان قلت ما معنى التكرير
في قوله قل اني امرت ان اعبد الله مخلصا له الدين وقوله قل الله اعبد مخلصا له ديني
قلت ليس بتكرير لان الاول للاخبار بانه مامور من جهة الله باحداث العبادة والاخلاص
والثاني اخبار بانه يختص الله وحده دون غيره لعبادته مخلصا له دينه ولدلالته على ذلك قدم
المعبود على فعل العبادة واخره في الاول فالكلام اولا واقع في الفعل نفسه وايجاده وثانيا فيمن
يفعل الفعل لاجله ولذلك رتب عليه قوله فاعبدوا ما شئتم من دونه والمراد بهذا الامر الوارد
على وجه التخيير المبالغة في الخذلان والتخلية على ما حققت فيه القول مرتين قل ان الخاسرين
الذين خسروا انفسهم واهليهم يوم القيامة قل ان الكاملين في الخسران الجامعين لوجوهه واسبابه
هم الذين خسروا انفسهم لوقوعها في هلكة لا هلكة بعدها وخسروا اهليهم لانهم ان كانوا من اهل
النار فقد خسروهم كما خسروا انفسهم وان كانوا من اهل الجنة فقد ذهبوا عنهم ذهابا
لا رجوع بعده اليهم وقيل وخسروهم لانهم لم يدخلوا مدخل المؤمنين الذين لهم اهل في الجنة
يعني وخسروا اهليهم الذين كانوا يكونون لهم لو آمنوا ولقد وصف خسرانهم بغاية الفظاعة
في قوله الا ذلك هو الخسران المبين حيث استانف الجملة وصدرها بحرف التنبيه ووسط
الفصل بين المبتدا والخبر وعرف الخسران ونعته بالمبين لهم من فوقهم ظلل من النار
ومن تحتهم اطباق من النار هي ظلل لآخرين ذلك يخوف الله به عباده ذلك العذاب
هو الذي يتوعد به الله عباده ويخوفهم ليجتنبوا ما يوقعهم فيه يا عباد فاتقون ولا تتعرضوا
لما يوجب سخطي وهذه عظة من الله ونصيحة بالغة وقرئ يا عبادي والذين اجتنبوا
الطاغوت

فعلوت من الطغيان كالملكوت والرحموت الا ان فيها قلبا بتقديم اللام على العين
اطلقت على الشيطان او الشياطين لكونها مصدرا وفيها مبالغات وهي التسمية بالمصدر
كان عين الشيطان طغيان وان البناء بناء مبالغة فان الرحموت الرحمة الواسعة
والملكوت الملك المبسوط والقلب وهو للاختصاص اذ لا تطلق على غير الشيطان
والمراد بها ههنا الجمع وقرئ الطواغيت ان يعبدوها بدل من الطاغوت بدل الاشتمال
وانابوا الى [illegible] لهم البشرى هي البشارة بالثواب كقوله تعالى لهم البشرى في الحيوة الدنيا
وفي الاخرة الله عز وجل يبشرهم بذلك في وحيه على السنة رسله وتتلقاهم الملائكة
عند حضور الموت مبشرين وحين يحشرون قال الله تعالى يوم ترى المومنين والمومنات
يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم بشراكم اليوم جنات فبشر عبادي الذين يستمعون القول
فيتبعون احسنه اولئك الذين هداهم الله واولئك هم اولوا الالباب اراد بعباده
الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه الذين اجتنبوا وانابوا لا غيرهم وانما اراد بهم
ان يكونوا مع الاجتناب والانابة على هذه الصفة فوضع الظاهر موضع الضمير اراد ان
يكونوا نقادا في الدين يميزون بين الحسن والاحسن والفاضل والافضل فاذا اعترضهم
امران واجب وندب اختاروا الواجب وكذلك المباح والندب حراصا على ما هو اقرب
عند الله واكثر ثوابا ويدخل تحته المذاهب واختيار اثبتها على السبك واقواها عند السبر
وابينها دليلا او امارة وان لا تكون في مذهبك كما قال القائل ولا تكن مثل عير قيد فانقادا
يريد المقلد وقيل يستمعون القران وغيره فيتبعون القران وقيل يستمعون اوامر الله
فيتبعون احسنها نحو القصاص والعفو والانتصار والاغضاء والابداء والاخفاء كقوله و
ان تعفوا اقرب للتقوى وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم وعن ابن عباس رضي الله عنهما
هو الرجل يجلس مع القوم فيسمع الحديث فيه محاسن ومساوي فيحدث باحسن ما سمع ويكف
عما سواه ومن الوقفة من يقف على فبشر عبادي ويبتدي الذين يستمعون القول يرفعه
على

على الابتداء وخبره اولئك افمن حق عليه كلمة العذاب افانت تنقذ من في النار اصل
الكلام امن حق عليه كلمة العذاب فانت تنقذه جملة شرطية دخل عليها همزة الانكار
والفاء فاء الجزاء ثم دخلت الفاء التي في اولها للعطف على محذوف يدل عليه الخطاب تقديره
اانت مالك امرهم فمن حق عليه العذاب فانت تنقذه والهمزة الثانية هي الاولى كررت
لتوكيد معنى الانكار والاستبعاد ووضع من في النار موضع الضمير فالاية على هذا
جملة واحدة ووجه اخر وهو ان يكون جملتين افمن حق عليه العذاب فانت تخلصه
افانت تنقذ من في النار وانما جاز حذف فانت تخلصه لان افانت تنقذ يدل عليه نزل
استحقاقهم العذاب وهم في الدنيا منزلة دخولهم النار حتى نزل اجتهاد رسول الله صلى
الله عليه وسلم وكده نفسه في دعائهم الى الايمان منزلة انقاذهم من النار وقوله افانت
تنقذ يفيد ان الله تعالى هو الذي يقدر على الانقاذ وحده من النار لا يقدر على ذلك
احد غيره فكما لا تقدر انت ان تنقذ الداخل في النار من النار لا تقدر ان تخلصه مما
هو فيه من استحقاق العذاب بتحصيل الايمان فيه لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من
فوقها غرف علالي بعضها فوق بعض فان قلت ما معنى قوله مبنية قلت معناه
والله اعلم انها بنيت بناء المنازل التي على الارض وسويت تسويتها تجري من تحتها
الانهار كما تجري من تحت المنازل من غير تفاوت بين العلو والسفل وعد الله لا يخلف
الله الميعاد وعد الله مصدر موكد لان قوله لهم غرف في معنى وعدهم الله ذلك الم
تر ان الله انزل من السماء ماء هو المطر وقيل كل ما في الارض فهو من السماء ينزل
منها الى الصخرة ثم يقسمه الله فسلكه فادخله ونظمه ينابيع في الارض عيونا ومسالك
ومجاري كالعروق في الاجساد ثم يخرج به زرعا مختلفا الوانه هيئاته من خضرة وحمرة وصفرة
وبياض وغير ذلك واصنافه من بر وشعير وسمسم وغيرها ثم يهيج يتم جفافه عن الاصمعي
لانه اذا تم جفافه حان له ان يثور عن منابته ويذهب فتراه مصفرا ثم يجعله حطاما
فتاتا ودرينا

النبات البالي المسود

ان في ذلك لذكرى لاولي الالباب لتذكيرا وتنبيها على انه لا بد من صانع حكيم وان ذلك كائن
عن تقدير وتدبير لا عن تعطيل واهمال ويجوز ان يكون مثلا للدنيا كقوله انما مثل الحيوة الدنيا
واضرب لهم مثل الحيوة الدنيا وقرئ مصفارا افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من
ربه افمن عرف الله انه من اهل اللطف فلطف به حتى انشرح صدره للاسلام ورغب فيه و
قبله كمن لا لطف له فهو حرج الصدر قاسي القلب ونور الله هو لطفه وقرأ رسول الله صلى الله
عليه وسلم هذه الاية فقيل يا رسول الله كيف انشراح الصدر قال اذا دخل النور القلب انشرح
وانفسح فقيل يا رسول الله فما علامة ذلك قال الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور
والتاهب للموت قبل نزول الموت وهو نظير قوله امن هو قانت في حذف الخبر فويل للقاسية
قلوبهم من ذكر الله اولئك في ضلال مبين من ذكر الله من اجل ذكر الله اي اذا ذكر الله عندهم
او اياته اشمازوا وازدادت قلوبهم قساوة كقوله فزادتهم رجسا الى رجسهم وقرئ عن ذكر
الله فان قلت ما الفرق بين من وعن في هذا قلت اذا قلت قسا قلبه من ذكر
الله فالمعنى ما ذكرت من ان القسوة من اجل الذكر وبسببه واذا قلت عن ذكر الله فالمعنى
غلظ عن قبول الذكر وجفا عنه ونظيره سقاه من العيمة اي من اجل عطشه وسقاه عن
العيمة اذا ارواه حتى ابعده عن العطش الله نزل احسن الحديث كتابا متشابها مثاني عن
ابن مسعود رضي الله عنه ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ملوا ملة فقالوا له حدثنا
فنزلت وايقاع اسم الله مبتدا وبناء نزل عليه فيه تفخيم لاحسن الحديث ورفع منه واستشهاد
منه على حسنه وتاكيد لاستناده الى الله وانه من عنده وان مثله لا يجوز ان يصدر الا عنه
وتنبيه على انه وحي معجز مباين لسائر الاحاديث وكتابا بدل من احسن الحديث ويحتمل ان
يكون حالا منه ومتشابها مطلق في مشابهة بعضه بعضا فكان متناولا لتشابه معانيه
في الصحة والاحكام والبناء على الحق والصدق ومنفعة الخلق وتناسب الفاظه وتناصفها
في التخير والاصابة وتجاوب نظمه وتاليفه في الاعجاز والتبكيت ويجوز ان يكون مثاني بيانا
لكونه

تنقبض منه

لكونه متشابها لان القصص المكررة لا تكون الا متشابهة والمثاني جمع مثنى بمعنى مردد و
مكرر لما ثني من قصصه وانبائه واحكامه واوامره ونواهيه ووعده ووعيده ومواعظه
وقيل لانه يثنى في التلاوة فلا يمل كما جاء في وصفه لا يتفه ولا يتشان ولا يخلق
بكثرة الرد ويجوز ان يكون جمع مثنى مفعل من التثنية بمعنى التكرير والاعادة كما كان في
قوله تعالى ثم ارجع البصر كرتين بمعنى كرة بعد كرة ولبيك وسعديك وحنانيك فان قلت
كيف وصف الواحد بالجمع قلت انما صح ذلك لان الكتاب جملة ذات تفاصيل وتفاصيل
الشي هي جملته لا غير الا تراك تقول القران اسباع واخماس وسور وايات وكذلك تقول اقاصيص
واحكام ومواعظ مكررات ونظيره قولك الانسان عظام وعروق واعصاب الا انك تركت
الموصوف الى الصفة واصله كتابا متشابها فصولا مثاني ويجوز ان يكون كقولك برمة اعشار
وثوب اخلاق ويجوز ان لا يكون مثاني صفة ويكون منتصبا على التمييز من متشابها كما تقول
رايت رجلا حسنا شمائل والمعنى متشابهة مثانيه فان قلت ما فائدة التثنية والتكرير قلت
النفوس انفر شي عن حديث الوعظ والنصيحة فما لم يكرر عليها عودا عن بدء لم يرسخ فيها
ولم يعمل عمله ومن ثم كانت عادة رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يكرر عليهم ما كان يعظ
به وينصح ثلث مرات وسبعا ليركزه في قلوبهم ويغرسه في صدورهم تقشعر منه جلود الذين
يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله اقشعر الجلد اذا تقبض تقبضا شديدا
وتركيبه من حروف القشع وهو الاديم اليابس مضموما اليها حرف رابع وهو الراء ليكون
رباعيا ودالا على معنى زائد يقال اقشعر جلده من الخوف وقف شعره وهو مثل في شدة
الخوف فيجوز ان يريد به الله سبحانه التمثيل تصويرا لافراط خشيتهم وان يريد التحقيق و
المعنى انهم اذا سمعوا بالقران وبايات وعيده اصابتهم خشية تقشعر منها جلودهم ثم اذا
ذكروا الله ورحمته وجوده بالمغفرة لانت جلودهم وقلوبهم وزال عنها ما كان بها من الخشية
والقشعريرة فان قلت ما وجه تعديته بالى قلت ضمن معنى فعل متعد بالى

من الشي التافه وهو [illegible]

كانه قيل سكنت او اطمانت الى ذكر الله لينة غير منقبضة راجية غير خاشية فان قلت
لم اقتصر على ذكر الله من غير ذكر الرحمة قلت لان اصل امره الرافة والرحمة
ورحمته هي سابقة غضبه فلا صالة رحمته اذا ذكر لم يخطر بالبال قبل كل شي من صفاته
الا كونه رؤفا رحيما فان قلت لم ذكرت الجلود وحدها اولا ثم قرنت بها القلوب ثانيا
قلت اذا ذكرت الخشية التي محلها القلوب فقد ذكرت القلوب فكانه قيل تقشعر
جلودهم من اثار الوعيد وتخشى قلوبهم في اول وهلة فاذا ذكروا الله ومبنى امره على الرافة
والرحمة استبدلوا بالخشية رجاء في قلوبهم وبالقشعريرة لينا في جلودهم ذلك اشارة الى الكتاب
وهو هدى الله يهدي به يوفق من يشاء يعني عباده المتقين حتى يخشوا تلك الخشية ويرجوا ذلك
الرجاء كما قال هدى للمتقين ومن يضلل الله ومن يخذله من الفساق والفجرة فما له من هاد او ذلك
الكائن من الخشية والرجاء هدى الله اي اثر هداه وهو لطفه فسماه هدى لانه حاصل بالهدى
يهدي به بهذا الاثر من يشاء من عباده يعني من صحب اولئك ورآهم خاشعين راجين وكان
ذلك مرغبا لهم في الاقتداء بسيرتهم وسلوك طريقهم ومن يضلل الله ومن لم يؤثر فيه الطافه لقسوة
قلبه واصراره على فجوره فما له من هاد من يؤثر فيه شي قط افمن يتقي بوجهه سوء العذاب يوم
القيامة يقال اتقاه بدرقته استقبله بها فوقى بها نفسه اياه واتقاه بيده وتقديره افمن يتقي
بوجهه سوء العذاب كمن امن العذاب فحذف الخبر كما حذف في نظائره وسوء العذاب شدته
ومعناه ان الانسان اذا لقي مخوفا من المخاوف استقبله بيده وطلب ان يقي بها وجهه
لانه اعز اعضائه عليه والذي يلقى في النار يلقى مغلولة يداه الى عنقه فلا يتهيا له ان يتقي
النار الا بوجهه الذي كان يتقي المخاوف بغيره وقاية له ومحاماة عليه وقيل المراد بالوجه الجملة
وقيل نزلت في ابي جهل وقيل للظالمين وقال لهم خزنة النار ذوقوا وبال ما كنتم تكسبون كذب
الذين من قبلهم فاتيهم العذاب من حيث لا يشعرون من الجهة التي لا يحتسبون ولا يخطر ببالهم
ان الشر ياتيهم منها بينما هم آمنون رافهون اذ فوجئوا من مامنهم فاذاقهم الله الخزي في الحيوة
الدنيا

الدنيا ولعذاب الآخرة لو كانوا يعلمون الخزي الذل والصغار كالمسخ والخسف والقتل والجلاء
لشبه ذلك من نكال الله ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون قرآنا
عربيا حال مؤكدة كقولك جاءني زيد رجلا صالحا وانسانا عاقلا ويجوز ان ينتصب على المدح غير ذي عوج
مستقيما بريا من التناقض والاختلاف فان قلت فهلا قيل مستقيما او غير معوج قلت فيه
فائدتان احدهما نفي ان يكون فيه عوج قط كما قال ولم يجعل له عوجا والثاني ان لفظ العوج مختص بالمعاني
دون الاعيان وقيل المراد بالعوج الشك واللبس وانشد ٥ وقد اتاك يقين غير ذي عوج ٥
من الاله وقول غير مكذوب ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل هل يستويان
واضرب لقومك مثلا وقل لهم ما تقولون في رجل من المماليك قد اشترك فيه شركاء بينهم اختلاف وتنازع
كل واحد منهم يدعي انه عبده فهم يتجاذبونه ويتعاورونه في مهن شتى ومشاده واذا عنت له حاجة
تدافعوه فهو متحير في امره سادر قد تشعبت الهموم قلبه وتوزعت افكاره لا يدري ايهم يرضى بخدمته
وعلى ايهم يعتمد في حاجاته وفي آخر قد سلم لمالك واحد وخلص له فهو معتنق لما لزمه من خدمته
معتمد عليه فيما يصلحه فهمه واحد وقلبه مجتمع اي هذين العبدين احسن حالا واحمد شانا
والمراد بمثل حال من يثبت آلهة شتى وما يلزمه على قضية مذهبه من ان يدعي كل واحد منهم
عبوديته ويتشاكسوا في ذلك ويتغالبوا كما قال تعالى ولعلا بعضهم على بعض ويبقى هو متحيرا ضائعا
لا يدري ايهم يعبد وعلى ربوبية ايهم يعتمد وممن يطلب رزقه وممن يلتمس رفقه فهمه وقلبه
اوزاع وحال من لم يثبت الا الها واحدا فهو قائم بما كلفه عارف بما ارضاه وما اسخطه متفضل
عليه في عاجله مؤمل للثواب في آجله وفيه صلة شركاء كما تقول اشتركوا فيه والتشاكس والتشاخس
الاختلاف تقول تشاكست احواله وتشاخست اسنانه سالما لرجل خالصا له وقرئ سلما بفتح الفاء
والعين وفتح الفاء وكسرها مع سكون العين وهي مصادر سلم والمعنى ذا سلامة لرجل اي ذا
خلوص له من الشركة من قولهم سلمت له الضيعة وقرئ بالرفع على الابتداء اي وهناك رجل سالم
لرجل وانما جعله رجلا ليكون افطن لما شقي به او سعد فان المراة والصبي قد يغفلان عن ذلك

وهل يستويان مثلا هل يستويان صفة على التمييز والمعنى هل يستوي صفتاهما وحالاهما
وانما اقتصر في التمييز على الواحد لبيان الجنس وقرئ مثلين كقوله واكثر اموالا واولادا مع
قوله اشد منهم قوة ويجوز فيمن قرأ مثلين ان يكون الضمير في يستويان للمثلين لان التقدير مثل
رجل ومثل رجل والمعنى هل يستويان فيما يرجع الى الوصفية كما تقول كفى بهما رجلين الحمد لله
الواحد الذي لا شريك له دون كل معبود سواه اي يجب ان يكون الحمد متوجها اليه وحده والعبادة
فهل ثبت انه لا اله الا هو بل اكثرهم لا يعلمون فيشركون به غيره انك ميت وانهم ميتون كانوا
يتربصون برسول الله صلى الله عليه وسلم موته فاخبر ان الموت يعمهم فلا معنى للتربص وسماته
الباقي بالفاني وعن قتادة نعى الى نبيه نفسه ونعى اليكم انفسكم وقرئ مائت ومائتون والفرق
بين الميت والمائت ان الميت صفة لازمة كالسيد واما المائت فصفة حادثة تقول زيد مائت
غدا كما تقول سائد غدا اي سيموت وسيسود واذا قلت زيد ميت فكما تقول حي في نقيضه
فيما يرجع الى اللزوم والثبوت والمعنى في قوله انك ميت وانهم ميتون انك واياهم وان كنتم
احياء فانتم في عداد الموتى لان ما هو كائن فكان قد كان ثم انكم ثم انك واياهم فغلب ضمير
المخاطب على ضمير الغيب يوم القيامة عند ربكم تختصمون فتحتج انت عليهم بانك بلغت وكذبوا
واجتهدت في الدعوة فلجوا في العناد ويعتذرون بما لا طائل تحته تقول الاتباع اطعنا سادتنا
وكبراءنا وتقول السادات اغوتنا الشياطين وآباؤنا الاقدمون وقد حمل على اختصام
الجميع وان الكفار يخاصم بعضهم بعضا حتى يقال لهم لا تختصموا لدي والمؤمنون الكافرين
يبلتونهم بالحجج واهل القبلة يكون بينهم الخصام قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما لقد عشنا
برهة من دهرنا ونحن نرى ان هذه الآية انزلت فينا وفي اهل الكتاب قلنا كيف نختصم وبيننا
واحد ودينا واحد وكتابنا واحد حتى رأيت بعضنا يضرب وجوه بعض بالسيف فعرفت
انها نزلت فينا وقال ابو سعيد الخدري كنا نقول ربنا واحد ونبينا واحد ودينا واحد فما
هذه الخصومة فلما كان يوم صفين وشد بعضنا على بعض بالسيوف قلنا نعم هو هذا وعن ابراهيم
النخعي

النخعي قالت الصحابة ما خصومتنا ونحن اخوان فلما قتل عثمان رضي الله عنه قالوا هذه خصومتنا
وعن ابي العالية نزلت في اهل القبلة والوجه الذي يدل عليه كلام الله هو ما قدمت اولا الا ترى
الى قوله فمن اظلم ممن كذب على الله وقوله والذي جاء بالصدق وصدق به وما هو الا بيان وتفسير
للذين يكون بينهم الخصومة فمن اظلم ممن كذب على الله افترى على الله باضافة الولد والشريك اليه
وكذب بالصدق بالامر الذي هو الصدق بعينه وهو ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم اذ جاءه فاجاءه
بالتكذيب كما سمع به من غير وقفة لاعمال رويته او اهتمام بتمييز بين حق وباطل كما يفعل اهل
النصفة فيما يسمعون اليس في جهنم مثوى للكافرين اي لهؤلاء الذين كذبوا على الله وكذبوا بالصدق
واللام في الكافرين اشارة اليهم والذي جاء بالصدق وصدق به هو رسول الله صلى الله عليه وسلم
جاء بالحق وآمن به واراد به اياه ومن تبعه كما اراد بموسى اياه وقومه في قوله ولقد آتينا موسى
الكتاب لعلهم يهتدون فلذلك قال اولئك هم المتقون الا ان هذا في الصفة وذاك في الاسم ويجوز
ان يريد والفوج او الفريق الذي جاء بالصدق وصدق به وهم الرسول الذي جاء بالصدق وصحابته
الذين صدقوا به وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه والذين جاءوا بالصدق وصدقوا به وقرئ وصدق
به بالتخفيف اي صدق به الناس ولم يكذبهم به يعني اداه اليهم كما نزل عليه من غير تحريف وقيل
وصار صادقا به اي بسببه لان القرآن معجزة والمعجزة تصديق من الحكيم الذي لا يفعل القبيح
لمن يجريها على يده ولا يجوز ان يصدق الا الصادق فيصير لذلك صادقا بالمعجزة وقرئ وصدق به
لهم ما يشاؤون عند ربهم ذلك جزاء المحسنين ليكفر الله عنهم اسوأ الذي عملوا ويجزيهم اجرهم باحسن الذي كانوا
يعملون فان قلت ما معنى اضافة الاسوأ والاحسن الى الذي عملوا وما معنى التفضيل فيهما
قلت اما الاضافة فما هي من اضافة افعل الى الجملة التي تفضل عليها ولكن من اضافة
الشيء الى ما هو بعضه من غير تفضيل كقولك الاشج اعدل بني مروان واما التفضيل فانذار بان
السيئ الذي يفرط منهم من الصغائر والزلات المكفرة هو عندهم الاسوأ لاستعظامهم المعصية
والحسن الذي يعملونه هو عند الله الاحسن لحسن اخلاصهم فيه فلذلك ذكر سيئهم بالاسوأ وحسنهم

بالاحسن وقرى اسواء الذى عملوا جمع سوء اليس الله بكاف عبده ادخلت همزة الانكار
على كلمة النفى فافيد معنى اثبات الكفاية وتقريرها قرى بكاف عبده وهو رسول الله صلى
الله عليه وسلم وبكاف عباده وهم الانبياء ويخوفونك وذلك ان قريشا قالت لرسول الله صلى الله
عليه وسلم انا نخاف ان تخبلك الهتنا وانا نخشى عليك معرتها لعيبك اياها ويروى انه صلى
الله عليه وسلم بعث خالدا رضى الله عنه الى العزى ليكسرها فقال له سادنها احذركها يا خالد
ان لها شدة لا يقوم لها شى فعمد خالد اليها فهشم انفها فقال الله عز وجل اليس الله بكاف
نبيه ان يعصمه من كل سوء ويدفع عنه كل بلاء فى مواطن الخوف وفى هذا تهكم بهم لانهم
خوفوه ما لا يقدر على نفع ولا ضر او اليس الله بكاف انبياءه ولقد قالت اممهم نحو ذلك
فكفاهم الله وذلك قول قوم هود عليه السلم ان نقول الا اعتراك بعض آلهتنا بسوء ويجوز
ان يريد العبد والعباد على الاطلاق لانه كافيهم فى الشدائد وكافل مصالحهم وقرى يكافى
عباده على الاضافة ويكافى عباده ويكافى يحتمل ان يكون غير مهموز مفاعلة من الكفاية
كقولك يجازى فى يجزى وهو ابلغ من كفى لبنائه على لفظ المغالبة والمباراة وان يكون
مهموزا من المكافاة وهى المجازاة لما تقدم من قوله ويجزيهم اجرهم بالذين من دونه اراد
الاوثان التى اتخذوها آلهة من دونه ومن يضلل الله فما له من هاد ومن يهد الله فما
له من مضل اليس الله بعزيز بغالب منيع ذى انتقام ينتقم من اعدائه وفيه وعيد لقريش
ووعد للمؤمنين بانه ينتقم لهم منهم وينصرهم عليهم ولئن سالتهم من خلق السماوات والارض
ليقولن الله قل ارايتم ما تدعون من دون الله ان ارادنى الله بضر هل هن كاشفات
ضره او ارادنى برحمة هل هن ممسكات رحمته قل حسبى الله عليه يتوكل المتوكلون قرى
كاشفات ضره وممسكات رحمته بالتنوين على الاصل وبالاضافة للتخفيف فان قلت
لم فرض المسالة فى نفسه دونهم قلت لانهم خوفوه معرة الاوثان وتخبيلها فامر
بان يقررهم اولا بان خالق العالم هو الله وحده ثم يقول لهم بعد التقرير فان ارادنى خالق العالم
الذى

الذى اقررتم به بضر من مرض او فقر او غير ذلك من النوازل او برحمة من صحة او غنى
ونحوهما هل هؤلاء اللاتى خوفتمونى اياهن كاشفات عنى ضره او ممسكات رحمته حتى
اذا القمهم الحجر وقطعهم حتى لا يجيروا بنت شفة قال حسبى الله كافيا لمعرة اوثانكم عليه
يتوكل المتوكلون وفيه تهكم ويروى ان النبى صلى الله عليه وسلم سالهم فسكتوا فنزل قل حسبى
الله فان قلت لم قيل كاشفات وممسكات على التانيث بعد قوله ويخوفونك بالذين من
دونه قلت انثهن وكن اناثا وهن اللات والعزى ومناة قال الله تعالى افرايتم
اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى الكم الذكر وله الانثى ليضعفها ويعجزها زيادة
تضعيف وتعجيز عما طالبهم به من كشف الضر وامساك الرحمة لان الانوثة من باب اللين
والرخاوة كما ان الذكورة من باب الشدة والصلابة كانه قال الاناث اللاتى هن اللات
والعزى ومناة اضعف مما تدعون لهن واعجز وفيه تهكم ايضا قل يا قوم اعملوا على مكانتكم
على حالكم التى انتم عليها وجهتكم من العداوة التى تمكنتم منها والمكانة بمعنى المكان فاستعيرت
عن العين للمعنى كما يستعار هنا وحيث للزمان وهما للمكان فان قلت حق
الكلام فانى عامل على مكانتى فلم حذف قلت للاختصار ولما فيه من زيادة الوعيد
والايذان بان حاله لا تقف وتزداد كل يوم قوة وشدة لان الله ناصره ومعينه ومظهره على
الدين كله الا ترى الى قوله فسوف تعلمون كيف توعدهم بكونه منصورا عليهم عاليا عليهم فى الدنيا
والاخرة لانهم اذا اتاهم الخزى والعذاب فذلك عزه وغلبته من حيث ان الغلبة تتم له بعز
عزيز من اوليائه وبذل ذليل من اعدائه من ياتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم يخزيه مثل
مقيم فى وقوعه صفة للعذاب اى عذاب مخزله وهو يوم بدر وعذاب دائم وهو عذاب النار
وقرى مكاناتكم انا انزلنا عليك الكتاب للناس بالحق فمن اهتدى فلنفسه ومن ضل فانما يضل
عليها وما انت عليهم بوكيل للناس لاجلهم ولاجل حاجتهم اليه ليبشروا وينذروا فتقوى دواعيهم
الى اختيار الطاعة على المعصية ولا حاجة لى الى ذلك فانا الغنى فمن اختار الهدى فقد نفع

نفسه ومن اختار الضلالة فقد ضرها وما وكلت عليهم لتجبرهم على الهدى فان التكليف مبني
الاختيار دون الاجبار الله يتوفى الانفس حين موتها الانفس الجمل كما هي وتوفيها اماتتها وهو
ان تسلب ما هي حية حساسة دراكة من صحة اجزائها وسلامتها لانها عند سلب الصحة
كان ذاتها قد سلبت والتي لم تمت في منامها يريد ويتوفى الانفس التي لم تمت في منامها
اي يتوفاها حين تنام تشبيها للنائمين بالموتى ومنه قوله تعالى وهو الذي يتوفيكم بالليل حيث
لا يميزون ولا يتصرفون كما ان الموتى كذلك فيمسك الانفس التي قضى عليها الموت الحقيقي
اي لا يردها في وقتها حية ويرسل الاخرى النائمة الى اجل مسمى الى وقت ضربه لموتها وقيل
يتوفى الانفس يستوفيها ويقبضها وهي الانفس التي تكون معها الحيوة والحركة ويتوفى الانفس
التي لم تمت في منامها وهي انفس التمييز قالوا فالتي يتوفى في النوم هي نفس التمييز لا نفس
الحيوة لان نفس الحيوة اذا زالت زال معها النفس والنائم يتنفس ورووا عن ابن عباس
رضي الله عنهما في ابن ادم نفس وروح بينهما مثل شعاع الشمس والنفس التي بها العقل
والتمييز والروح التي بها النفس والتحرك فاذا نام العبد قبض الله نفسه ولم يقبض روحه
والصحيح ما ذكرت اولا لان الله عز وعلا علق التوفي والموت والمنام جميعا بالانفس وما الذين
عنوا بنفس الحيوة والحركة ونفس العقل والتمييز غير متصف بالموت والنوم وانما الجملة التي
تموت وهي التي تنام ان في ذلك ان في توفي الانفس مايته ونائمة وامساكها وارسالها الى اجل
لايات على قدرة الله وعلمه لقوم يتفكرون يجيلون فيه افكارهم ويعتبرون وقرئ قضى عليها
الموت على البناء للمفعول ام اتخذوا بل اتخذ قريش والهمزة للانكار من دون الله من دون
اذنه شفعاء حين قالوا هؤلاء شفعونا عند الله ولا يشفع عنده احد الا باذنه الا ترى الى
قوله قل لله الشفاعة جميعا اي هو مالكها فلا يستطيع احد شفاعة الا بشرطين ان يكون المشفوع
له مرتضى وان يكون الشفيع ماذونا له وههنا الشرطان مفقودان جميعا قل اولو كانوا
معناه ايشفعون ولو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون اي ولو كانوا على هذه الصفة لا يملكون شيئا
قط

قط حتى يملكوا الشفاعة ولا عقل لهم قل لله الشفاعة جميعا له ملك السماوات والارض تقرير لقوله
لله الشفاعة جميعا لانه اذا كان له الملك كله والشفاعة من الملك كان مالكا لها فان قلت بم
يتصل قوله ثم اليه ترجعون قلت بما يليه معناه له ملك السماوات والارض اليوم ثم اليه
ترجعون يوم القيامة فلا يكون الملك في ذلك اليوم الا له فله ملك الدنيا والاخرة واذا ذكر الله
وحده اشمازت قلوب الذين لا يؤمنون بالاخرة واذا ذكر الذين من دونه اذا هم يستبشرون
مدار المعنى على قوله وحده اي اذا افرد الله بالذكر ولم تذكر معه آلهتهم اشمازوا اي نفروا
وانقبضوا واذا ذكر الذين من دونه وهم آلهتهم ذكر الله معهم او لم يذكر استبشروا لافتتانهم
بها ونسيانهم حق الله الى هواهم فيها وقيل اذا قيل لا اله الا الله وحده لا شريك له نفروا لان
فيه نفيا لآلهتهم وقيل اراد استبشارهم بما سبق اليه لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم من
ذكر آلهتهم حين قرأ والنجم عند باب الكعبة فسجدوا معه لفرحهم ولقد تقابل الاستبشار
والاشمئزاز اذ كل واحد منهما غاية في بابه لان الاستبشار ان يمتلئ قلبه سرورا حتى ينبسط
له بشرة وجهه ويتهلل والاشمئزاز ان يمتلئ غما وغيظا حتى يظهر الانقباض في اديم وجهه
فان قلت ما العامل في اذا ذكر قلت العامل في اذا المفاجاة تقديره وقت ذكر الذين من
دونه فاجاؤا وقت الاستبشار قل اللهم فاطر السماوات والارض عالم الغيب والشهادة انت تحكم بين
عبادك فيما كانوا فيه يختلفون بعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم وبشدة شكيمتهم في الكفر و
العناد فقيل له ادع الله باسمائه العظمى وقل انت وحدك تقدر على الحكم بيني وبينهم ولا
حيلة لغيرك فيهم وفيه وصف لحالهم واعذار لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتسلية له و
وعيد لهم وعن الربيع بن خثيم وكان قليل الكلام انه اخبر بقتل الحسين رضي الله عنه وسخط
على قاتله وقالوا الآن يتكلم فما زاد على ان قال آه او قد فعلوا وقرأ هذه الاية وروي انه
قال على اثره قتل من كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجلسه في حجره ويضع فاه على فيه
ولو ان للذين ظلموا ما في الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيامة وبدا لهم من الله

ما لم يكونوا يحتسبون وعيد لاكنه لفظاعته وشدته وهو نظير قوله في الوعد فلا تعلم نفس ما اخفي
لهم والمعنى وظهر لهم من سخط الله وعذابه ما لم يكن قط في حسابهم ولم يحدثوا به نفوسهم وقيل
عملوا اعمالا حسبوها حسنات فاذا هي سيئات وعن سفيان الثوري انه قراها فقال ويل لاهل
الرياء ويل لاهل الرياء وجزع محمد بن المنكدر عند موته فقيل له فقال اخشى اية من كتاب
الله وتلاها فانا اخشى ان يبدو لي من الله ما لم احتسبه وبدا لهم سيئات ما كسبوا اي سيئات اعمالهم
التي كسبوها او سيئات كسبهم حين تعرض صحايفهم وكانت خافية عليهم كقوله احصاه الله ونسوه
او اراد بالسيئات انواع العذاب التي يجازون بها على ما كسبوا فسماها سيئات كما قال وجزاء
سيئة سيئة مثلها وحاق بهم ونزل بهم واحاط ما كانوا به يستهزئون جزاء هزئهم فاذا مس الانسان
ضر دعانا ثم اذا خولناه نعمة منا قال انما اوتيته على علم التخويل مختص بالتفضل يقال خولني
اذا اعطاك على غير جزاء على علم اي على علم مني اني ساعطاه لما فيّ من فضل واستحقاق
او على علم من الله بي وباستحقاقي او على علم مني بوجوه الكسب كما قال قارون على علم عندي
فان قلت لم ذكر الضمير في اوتيته وهو للنعمة قلت ذهابا به الى المعنى لان قوله
نعمة منا شيا من النعمة وقسمة منها ويحتمل ان يكون ما في انما موصولة لا كافة فيرجع
اليها الضمير على معنى ان الذي اوتيته على علم بل هي فتنة انكار لقوله كانه قال ما
خولناك ما خولناك من النعمة لما تقول بل هي فتنة اي ابتلاء وامتحان اتشكر ام تكفر فان
قلت كيف ذكر الضمير ثم انثه قلت حملا على المعنى اولا وعلى اللفظ اخرا ولان
الخبر لما كان مونثا اعني فتنة ساغ تانيث المبتدا لاجله لانه في معناه كقولهم ما جاءت حاجتك
وقرئ بل هو فتنة على وفق انما اوتيته فان قلت ما السبب في عطف هذه الاية بالفاء وعطف
مثلها في اول السورة بالواو قلت السبب في ذلك ان هذه وقعت مسببة عن قوله واذا
ذكر الله وحده اشمازت على معنى انهم يشمئزون عن ذكر الله ويستبشرون بذكر الالهة فاذا
مس احدهم ضر دعا من اشماز عن ذكره دون من استبشر بذكره وما بينهما من الآي اعتراض
فان

فان قلت حق الاعتراض ان يوكد المعترض بينه وبينه قلت ما في الاعتراض
من دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه بامر منه وقوله انت تحكم بينهم ثم ما عقبه من الوعيد
العظيم تاكيد لانكار اشمئزازهم واستبشارهم ورجوعهم الى الله في الشدايد دون آلهتهم
كانه قيل قل يا رب لا تحكم بيني وبين هولاء الذين يجترئون عليك مثل هذه الجراة ويرتكبون مثل
هذا المنكر الا انت وقوله ولو ان للذين ظلموا متناول لهم او لكل ظالم ان جعل مطلقا او
اياهم خاصة ان عنيتهم به كانه قيل ولو ان لهولاء الظالمين ما في الارض جميعا ومثله معه
لافتدوا به حين احكم عليهم بسوء العذاب وهذه الاسرار والنكت لا يبرزها الا علم النظم
والا بقيت محتجبة في اكمامها واما الاية الاولى فلم تقع مسببة وما هي الا جملة ناسبت جملة
قبلها فعطفت عليها بالواو كقولك قام زيد وقعد عمرو فان قلت من اي وجه وقعت
مسببة والاشمئزاز عن ذكر الله ليس بمقتض لالتجائهم اليه بل هو مقتض لصدوفهم عنه
قلت في هذا التسبب لطف وبيانه انك تقول زيد مومن بالله فاذا مسه ضر التجا اليه
فتجيء بالفاء مجيئك به ثمه كان الكافر حين التجا الى الله التجاء المومن اليه مقيم كفره
مقام الايمان ومجريه مجراه في جعله سببا في الالتجاء فانت تحكي ما عكس فيه الكافر الا
ترى انك تقصد بهذا الكلام الانكار والتعجب من فعله ولكن اكثرهم لا يعلمون قد قالها الذين
من قبلهم الضمير في قالها راجع الى قوله انما اوتيته على علم لانها كلمة او جملة من القول و
قرئ قد قاله على معنى القول والكلام وذلك والذين من قبلهم هم قارون وقومه حيث قال
انما اوتيته على علم وقومه راضون بها فكانهم قالوها ويجوز ان يكون في الامم الخالية آخرون
قائلون مثلها فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون من متاع الدنيا ويجمعون منه فاصابهم سيئات
ما كسبوا والذين ظلموا من هولاء من مشركي قومك سيصيبهم سيئات ما كسبوا مثل ما اصاب
اولئك فقتل صناديدهم ببدر وحبس عنهم الرزق فقحطوا سبع سنين ثم بسط لهم فمطروا
سبع سنين اولم يعلموا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ان في ذلك لايات لقوم يومنون

فقيل لهم اولم يعلموا انه لا قابض ولا باسط الا الله عز وجل قل يا عبادي الذين اسرفوا على
انفسهم جنوا عليها بالاسراف في المعاصي والغلو فيها لا تقنطوا قرئ بفتح النون وكسرها
وضمها ان الله يغفر الذنوب جميعا يعني بشرط التوبة وقد ذكر هذا الشرط في القرآن مكررا
فكان ذكره فيما ذكر فيه ذكرا له فيما لم يذكر فيه لان القرآن في حكم كلام واحد ولا يجوز فيه
التناقض وفي قراءة ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم يغفر الذنوب جميعا لمن يشاء والمراد
لمن يشاء من تاب لان مشيئة الله تابعة لحكمته وعدله لا لملكه وجبروته وقيل في قراءة النبي
صلى الله عليه وسلم وفاطمة رضي الله عنها يغفر الذنوب جميعا ولا يبالي ونظيره نفي المبالاة نفي
الخوف في قوله ولا يخاف عقباها وقيل قال اهل مكة يزعم محمد ان من عبد الاوثان وقتل
النفس التي حرم الله لم يغفر له فكيف ولم نهاجر وقد عبدنا الاوثان وقتلنا النفس التي حرم
الله فنزلت وروي انه اسلم عياش بن ابي ربيعة والوليد بن الوليد ونفر معهما ثم فتنوا
وعذبوا فافتتنوا وكنا نقول لا يقبل الله لهم صرفا ولا عدلا ابدا فنزلت فكتب بها عمر رضي الله عنه
اليهم فاسلموا وهاجروا وقيل نزلت في وحشي قاتل حمزة رضي الله عنه وعن رسول الله صلى
الله عليه وسلم ما احب ان لي الدنيا وما فيها بهذه الآية فقال رجل يا رسول الله ومن اشرك
فسكت ساعة ثم قال الا ومن اشرك قالها ثلث مرات انه هو الغفور الرحيم وانيبوا الى ربكم وتوبوا
اليه واسلموا له من قبل ان ياتيكم العذاب ثم لا تنصرون واسلموا له واخلصوا له العمل وانما
ذكر الانابة على اثر المغفرة لئلا يطمع طامع في حصولها بغير توبة وللدلالة على انها شرط فيها
لازم لا تحصل بدونه واتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم مثل قوله الذين يستمعون القول
فيتبعون احسنه من قبل ان ياتيكم العذاب وانتم لا تشعرون اي يفجاكم وانتم غافلون كانكم
لا تحسون شيئا لفرط غفلتكم وسهوكم ان تقول نفس يا حسرتى على ما فرطت في جنب الله كراهة
ان تقول فان قلت لم نكرت قلت لان المراد بها بعض الانفس وهي نفس الكافر
ويجوز ان يراد نفس متميزة من الانفس اما بلجاج في الكفر شديد او بعذاب عظيم ويجوز ان
يراد

ويجوز ان يراد التكثير كما قال الاعشى ورب بقيع لو هتفت بجوه اتاني كريم ينفض الراس مغضبا
وهو يريد افواجا من الكرام ينصرونه لا كريما واحدا ونظيره رب بلد قطعت ورب بطل
قارعته وقد اختلس الطعنة ولا يقصد الا التكثير وقرئ يا حسرتي على الاصل ويا حسرتاي
على الجمع بين العوض والمعوض عنه والجنب الجانب يقال انا في جنب فلان وجانبه وناحيته
وفلان لين الجنب والجانب ثم قالوا فرط في جنبه وفي جانبه يريدون في حقه قال سابق
البربري اما تتقين الله في جنب وامق له كبد حرى عليك تقطع وهذا من باب الكناية
لانك اذا اثبت الامر في مكان الرجل وحيزه فقد اثبته فيه الا ترى الى قوله
ان السماحة والمروة والندى في قبة ضربت على ابن الحشرج ومنه قول الناس لمكانك
فعلت كذا يريدون لاجلك وفي الحديث من الشرك الخفي ان يصلي الرجل لمكان الرجل وكذلك
فعلت هذا من جهتك فمن حيث لم يبق فرق فيما يرجع الى اداء الغرض بين ذكر المكان و
تركه قيل فرطت في جنب الله على معنى في ذات الله فان قلت فمرجع كلامك الى ان
ذكر الجنب كلا ذكر سوى ما يعطي من حسن الكناية وبلاغتها فكانه قيل فرطت في الله فما معنى
فرطت في الله قلت لا بد من تقدير مضاف محذوف سواء ذكر الجنب او لم يذكر والمعنى
فرطت في طاعة الله او عبادة الله وما اشبه ذلك وفي حرف عبد الله وحفصة في ذكر الله
وما في ما فرطت مصدرية مثلها في بما رحبت وان كنت لمن الساخرين قال قتادة لم يكفه
ان ضيع طاعة الله حتى سخر من اهلها ومحل وان كنت النصب على الحال كانه قال فرطت
وانا ساخر اي فرطت في حال سخريتي وروي انه كان في بني اسرائيل عالم ترك علمه وفسق
اتاه ابليس فقال له تمتع من الدنيا ثم تب فاطاعه وكان له مال فانفقه في الفجور فاتاه ملك
الموت في الذ ما كان فقال يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله ذهب عمري في طاعة الشيطان
واسخطت ربي فندم حين لم ينفعه الندم فانزل الله خبره في القرآن او تقول لو ان الله هداني
لكنت من المتقين لا يخلو اما ان يريد به الهداية بالالجاء او بالالطاف او بالوحي فالالجاء خارج

عن الحكمة ولم يكن من اهل الالطاف فيلطف به واما الوحي فقد كان ولكنه اعرض ولم يتبعه
حتى يهتدي وانما يقول هذا تحيرا في امره وتعللا بما لا يجدي عليه كما حكى عنهم التعلل باغواء
الرؤساء والشياطين ونحو ذلك ونحوه لو هدانا الله لهديناكم او تقول حين ترى العذاب لو
ان لي كرة فاكون من المحسنين بلى قد جاءتك اياتي فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين
قوله بلى قد جاءتك اياتي رد من الله عليه معناه بلى قد هديت بالوحي فكذبت به واستكبرت
عن قبوله واثرت الكفر على الايمان والضلالة على الهدى وقرئ بكسر التاء على مخاطبة النفس
فان قلت هلا قرن الجواب بما هو جواب له وهو قوله لو ان الله هداني ولم يفصل بينهما
باية قلت لانه لا يخلو اما ان يقدم على اخرى القرائن الثلث فيفرق بينها واما ان تؤخر
القرينة الوسطى فلم يحسن الاول لما فيه من تبتير النظم بالجمع بين القرائن واما الثاني فلما فيه من
نقض الترتيب وهو التحسر على التفريط في الطاعة ثم التعلل بفقد الهداية ثم تمني الرجعة
فكان الصواب ما جاء عليه وهو انه حكى اقوال النفس على ترتيبها ونظمها ثم اجاب من منها
عما اقتضى الجواب فان قلت كيف صح ان يقع بلى جوابا لغير منفي قلت لو ان الله
هداني فيه معنى ما هديت ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة اليس في جهنم
مثوى للمتكبرين كذبوا على الله وصفوه بما لا يجوز عليه وهو متعال عنه فاضافوا اليه الولد
والشريك وقالوا هؤلاء شفعاؤنا وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم وقالوا والله امرنا بها
ولا يبعد عنهم قوم يسفهونه بفعل القبائح ويجوز ان يخلق خلقا لا لغرض ويولم لا لغرض
ويظلمونه بتكليف ما لا يطاق ويجسمونه بكونه مرئيا مدركا بالحاسة ويثبتون له يدا
وجنبا متسترين بالبلكفة ويجعلون له اندادا باثباتهم معه قدماء وجوههم مسودة وضع في
موضع الحال ان كان ترى من رؤية البصر ومفعول ثان ان كان من رؤية القلب وينجي
الله الذين اتقوا قرئ ينجي وينجي بمفازة بفلاحهم يقال فاز بكذا اذا افلح به وظفر بمراده
منه وتفسير المفازة قوله لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون كانه قيل وما مفازتهم فقيل لا يمسهم
اي

اي ينجيهم بنفي السوء والحزن عنهم او بسبب منجاتهم من قول الله تعالى فلا تحسبنهم بمفازة
من العذاب اي بمنجاة منه لان النجاة من اعظم الفلاح وسبب منجاتهم العمل الصالح ولهذا
فسر ابن عباس رضي الله عنهما المفازة بالاعمال الحسنة ويجوز بسبب فلاحهم لان العمل الصالح
سبب الفلاح وهو دخول الجنة ويجوز ان يسمى العمل الصالح في نفسه مفازة لانه سببها وقرئ
بمفازاتهم على ان لكل متق مفازة فان قلت لا يمسهم ما محله من الاعراب على التفسيرين
قلت اما على التفسير الاول فلا محل له لانه كلام مستانف واما على الثاني فمحله النصب على
الحال الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل له مقاليد السماوات والارض اي هو مالك امرها
وحافظها وهو من باب الكناية لان حافظ الخزائن ومدبر امرها هو الذي يملك مقاليدها
ومنه قولهم فلان القيت اليه مقاليد الملك وهي المفاتيح لا واحد لها من لفظها وقيل
مقليد ويقال اقليد واقاليد والكلمة اصلها فارسية فان قلت ما للكتاب العربي
المبين وللفارسية قلت التعريب احالها عربية كما اخرج الاستعمال المهمل من كونه
مهملا فان قلت بم اتصل قوله والذين كفروا بايات الله اولئك هم الخاسرون قلت
بقوله وينجي الله الذين اتقوا اي ينجي الله المتقين بمفازاتهم والذين كفروا هم الخاسرون
واعترض بينهما بانه خالق الاشياء كلها وهو مهيمن عليها فلا يخفى عليه شيء من اعمال المكلفين
منها وبما يستحقون عليها من الجزاء وقد جعل متصلا بما يليه على ان كل شيء في السماوات
والارض فالله خالقه وفاتح بابه والذين كفروا وجحدوا ان يكون الامر كذلك اولئك هم
الخاسرون وقيل سال عثمان رضي الله عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تفسير قوله مقاليد
السماوات والارض فقال يا عثمان ما سالني عنها احد قبلك تفسيرها لا اله الا الله والله اكبر
وسبحان الله وبحمده واستغفر الله ولا حول ولا قوة الا بالله هو الاول والاخر والظاهر
والباطن بيده الخير يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير وتاويله على هذا ان لله هذه الكلمات
يوحد بها ويمجد وهي مفاتيح خير السماوات والارض من تكلم بها من المتقين اصابه والذين

كفروا بآيات الله وكلمات توحيده وتمجيده اولئك هم الخاسرون قل افغير الله تامروني
اعبد ايها الجاهلون افغير الله منصوب باعبد وتامروني اعتراض ومعناه افغير
الله اعبد بامركم وذلك حين قال له المشركون استلم بعض آلهتنا ونومن بالهك او ينتصب
بما يدل عليه جملة قوله تامروني اعبد لانه في معنى تعبدونني وتقولون لي اعبد والاصل
تامرونني ان اعبد فحذف ان ورفع الفعل كما في قوله الا ايهذا الزاجري احضر الوغى
الا تراك تقول افغير الله تقولون لي اعبده وافغير الله تقولون لي اعبد فكذلك افغير الله
تامرونني ان اعبده وافغير الله تامرونني ان اعبد والدليل على صحة هذا الوجه قراءة
من قرا اعبدَ بالنصب وقرئ تامرونني على الاصل وتامروني على ادغام النون او حذفها
ولقد اوحي اليك والى الذين من قبلك لئن اشركت ليحبطن عملك قرئ ليحبطن عملك
وليحبطن على البناء للمفعول ولنحبطن بالنون والياء اي ليحبطن الله او الشرك
فان قلت الموحى اليهم جماعة فكيف قال لئن اشركت على التوحيد قلت معناه
اوحي اليك لئن اشركت ليحبطن عملك والى الذين من قبلك مثله او اوحي اليك والى كل واحد
منهم لئن اشركت كما تقول كسانا حلة اي كل واحد منا فان قلت ما الفرق بين اللامين
قلت الاولى موطئة للقسم المحذوف والثانية لام الجواب وهذا الجواب ساد مسد
الجوابين اعني جوابي القسم والشرط فان قلت كيف صح هذا الكلام مع علم الله تعالى
ان رسله لا يشركون ولا تحبط اعمالهم قلت هو على سبيل الفرض والمحالات يصح
فرضها لاغراض فكيف بما ليس بمحال الا ترى الى قوله ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم
جميعا يعني على سبيل الالجاء ولن يكون ذلك لامتناع الداعي اليه ووجود الصارف عنه
فان قلت ما معنى قوله ولتكونن من الخاسرين قلت يحتمل ولتكونن من الخاسرين بسبب
حبوط العمل ويحتمل ولتكونن في الآخرة من جملة الخاسرين الذين خسروا انفسهم ان مت
على الردة ويجوز ان يكون غضب الله على الرسول اشد فلا امهال الا ترى الى قوله اذا لاذقناك
ضعف

ضعف الحيوة وضعف الممات بل الله فاعبد رد لما امروه به من استلام بعض آلهتهم كانه قال لا تعبد
ما امروك بعبادته بل ان كنت عاقلا فاعبد الله فحذف الشرط وجعل تقديم المفعول عوضا عنه
وكن من الشاكرين على ما انعم به عليك من ان جعلك سيد ولد آدم وجوز الفراء نصبه بفعل
مضمر هذا معطوف عليه تقديره بل الله اعبد فاعبد لما كان العظيم من الاشياء اذا عرفه
الانسان حق معرفته وقدره في نفسه حق تقديره عظمه حق تعظيمه قيل وما قدروا الله حق قدره
وقرئ بالتشديد على معنى وما عظموه كنه تعظيمه ثم نبههم على عظمته وجلالة شانه على طريقة
التخييل فقال والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه والغرض من
هذا الكلام اذا اخذته كما هو بجملته ومجموعه تصوير عظمته والتوقيف على كنه جلاله لا غير
من غير ذهاب بالقبضة وباليمين الى جهة حقيقة او جهة مجاز وكذلك حكم ما يروى ان جبريل عليه السلام
جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابا القسم ان الله تعالى يمسك السماوات يوم القيامة
على اصبع والارضين على اصبع والجبال على اصبع والشجر على اصبع والثرى على اصبع وسائر
الخلق على اصبع ثم يهزهن فيقول انا الملك فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم تعجبا مما قال
ثم قرا تصديقا له وما قدروا الله حق قدره الآية وانما ضحك افصح العرب وتعجب لانه لم يفهم منه الا ما يفهمه
علماء البيان من غير تصور امساك ولا اصبع ولا هز ولا شيء من ذلك ولكن فهمه وقع اول شيء
وآخره على الزبدة والخلاصة التي هي الدلالة على القدرة الباهرة وان الافعال العظام
التي تتحير فيها الافهام والاذهان ولا تكتنهها الاوهام هينة عليه هوانا لا يوصل السامع الى الوقوف عليه
الا اجراء العبارة في مثل هذه الطريقة من التخييل ولا ترى بابا في علم البيان ادق ولا الطف
من هذا الباب ولا انفع واعون على تعاطي تاويل المشتبهات من كلام الله في القرآن وسائر الكتب
السماوية وكلام الانبياء فان اكثره وعليته تخييلات قد زلت فيها الاقدام قديما وما اتي الزالون
الا من قلة عنايتهم بالبحث والتنقير حتى يعلموا ان في عداد العلوم الدقيقة علما لو قدروه حق قدره
لما خفي عليهم ان العلوم كلها مفتقرة اليه وعيال عليه اذ لا يحل عقدها المورّبة ولا يفك

قيودها المكررة للامم وكم من آية من آيات التنزيل وحديث من احاديث الرسول قد ضيم و
سيم الخسف بالتأويلات الغثة والوجوه الرثة لان من تأول ليس من هذا العلم في عير ولا نفير
ولا يعرف قبيلا من دبير والمراد بالارض الارضون السبع يشهد لذلك شاهدان قوله جميعا وقوله
والسماوات ولان الموضع موضع تفخيم وتعظيم فهو مقتض للمبالغة مع القصد الى الجمع وتأكيده
بالجميع اتبع الجميع مؤكده قبل مجيء الخبر ليعلم اول الامر ان الخبر الذي يرد لا يقع عن ارض
واحدة ولكن عن الاراضي كلهن والقبضة المرة من القبض فقبضت قبضة من اثر الرسول
والقُبضة بالضم المقدار المقبوض بالكف ويقال ايضا اعطني قبضة من كذا تريد معنى القبضة
تسمية بالمصدر كما روي انه نهى عن خطفة السبع وكلا المعنيين محتمل والمعنى والارضون
جميعا قبضته اي ذوات قبضته يقبضهن قبضة واحدة يعني ان الارضين مع عظمهن وبسطتهن
لا يبلغن الا قبضة واحدة من قبضاته كانه يقبضها قبضة بكف واحدة كما تقول الجزور
اكلة لقمان والقلة جرعة تريد انهما لا تفيان الا باكلة فذة من اكلاته وجرعة فردة
من جرعاته واذا اريد معنى القبضة فظاهر لان المعنى ان الارضين بجملتها مقدار ما يقبضه
بكف واحدة **فان قلت** ما وجه قراءة من قرأ قبضته بالنصب **قلت** جعلها ظرفا
مشبها للمبهم بالموقت مطويات من الطي الذي هو ضد النشر كما قال تعالى يوم نطوي السماء
كطي السجل للكتب وعادة طاوي السجل ان يطويه بيمينه وقيل قبضته ملكه بلا مدافع
ولا منازع وبيمينه بقدرته وقيل مطويات بيمينه مفنيات بقسمه لانه اقسم ان يفنيها
ومن اشتم رائحة من علم هذا فليعرض عليه هذا التأويل ليتلهى بالتعجب منه ومن قائله
ثم يبكي حمية لكلام الله المعجز بفصاحته وما مني به من امثاله واثقل منه على الروح واصدع
للكبد تدوين العلماء قوله واستحسانهم له وحكايته على فروع المنابر واستجلاب الاهتزاز
به من السامعين وقرئ مطويات على نظم السماوات في حكم الارض ودخولها تحت القبضة
ونصب مطويات على الحال سبحانه وتعالى عما يشركون ما ابعد من هذه قدرته وعظمته وما اعلاه
عما

في عما يضاف اليه من الشركاء ونفخ في الصور فصعق من في السماوات ومن في الارض الا من شاء
الله ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون **فان قلت** اخرى ما محلها من الاعراب **قلت**
يحتمل الرفع والنصب اما الرفع فعلى قوله فاذا نفخ في الصور نفخة واحدة ثم نفخ فيه اخرى وانما
حذفت لدلالة اخرى عليها ولكونها معلومة بذكرها في غير مكان وقرئ قياما ينظرون يقلبون
ابصارهم في الجهات نظر المبهوت اذا فاجأه خطب وقيل ينظرون ماذا يفعل بهم ويجوز ان
يكون القيام بمعنى الوقوف والجمود في مكان لتحيرهم واشرقت الارض بنور ربها ووضع
الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء وقضي بينهم بالحق وهم لا يظلمون قد استعار الله النور للحق
والبرهان والقرآن في مواضع من التنزيل وهذا من ذاك والمعنى واشرقت الارض بما يقيمه
فيها من الحق والعدل ويبسطه من القسط في الحساب ووزن الحسنات والسيئات وينادي
عليه بانه مستعار اضافته الى اسمه لانه هو الحق العدل واضافة اسمه الى الارض لانه يزينها حيث
ينشر فيها عدله وينصب فيها موازين قسطه ويحكم بالحق بين اهلها ولا ترى ازين للبقاع من
العدل ولا اعمر لها منه وفي هذه الاضافة ان ربها وخالقها هو الذي يعدل فيها وانما يجور فيها
غير ربها ثم ما عطف على اشراق الارض من وضع الكتاب والمجيء بالنبيين والشهداء والقضاء
بالحق وهو النور المذكور وترى الناس يقولون للملك العادل اشرقت الآفاق بعدلك واضاءت
الدنيا بقسطك كما يقال اظلمت البلاد بجور فلان وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الظلم ظلمات
يوم القيامة وكما فتح الآية باثبات العدل ختمها بنفي الظلم وقرئ واشرقت على البناء للمفعول من
شرقت بالضوء تشرق اذا امتلأت به واغتصت واشرقها الله كما تقول ملأ الارض عدلا وطبقها
عدلا والكتاب صحائف الاعمال ولكنه اكتفى باسم الجنس وقيل اللوح المحفوظ والشهداء
الذين يشهدون للامم وعليهم من الحفظة والاخيار وقيل المستشهدون في سبيل الله
ووفيت كل نفس ما عملت وهو اعلم بما يفعلون وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا حتى اذا جاءوها
فتحت ابوابها وقال لهم خزنتها الم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم

مقام رسل خزنة

[illegible] قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين الزمر الافواج المتفرقة بعضها
في اثر بعض وقد تزمروا قال الراجز حتى احزألت زمر بعد زمر وقيل في زمر الذين
اتقوا هي الطبقات المختلفة الشهداء والزهاد والعلماء والقراء وغيرهم وقرئ نذر منكم
فان قلت لم اضيف اليهم اليوم قلت اراد لقاء وقتكم هذا وهو وقت دخولهم
النار لا يوم القيامة وقد جاء استعمال اليوم والايام مستفيضا في اوقات الشدة قالوا
بلى اتونا وتلوا علينا ولكن وجبت علينا كلمة الله لاملأن لسوء اعمالنا كما قالوا غلبت علينا
شقوتنا وكنا قوما ضالين فذكروا عملهم الموجب لكلمة العذاب وهو الكفر والضلال قيل
ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين اللام في المتكبرين للجنس لان مثوى
المتكبرين فاعل بئس وبئس فاعلها اسم معرف بلام الجنس او مضاف الى مثله والمخصوص
بالذم محذوف تقديره فبئس مثوى المتكبرين جهنم وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا
حتى اذا جاءوها وفتحت ابوابها حتى هي التي تحكى بعدها الجملة والجملة المحكية بعدها هي
الشرطية الا ان جزاءها محذوف وانما حذف لانه في صفة ثواب اهل الجنة فدل بحذفه على
انه شيء لا يحيط به الوصف وحق موقعه ما بعد خالدين وقيل حتى اذا جاءوها جاءوها وفتحت
ابوابها اي مع فتح ابوابها وقيل ابواب جهنم لا تفتح الا عند دخول اهلها فيها واما
الجنة فمتقدم فتحها بدليل قوله جنات عدن مفتحة لهم الابواب فلذلك جيء بالواو كانه قيل
حتى اذا جاءوها وقد فتحت ابوابها فان قلت كيف عبر عن الذهاب بالفريقين جميعا
بلفظ السوق قلت المراد بسوق اهل النار طردهم اليها بالهوان والعنف كما
يفعل بالاسارى والخارجين على السلطان اذا سيقوا الى حبس او قتل والمراد بسوق
اهل الجنة سوق مراكبهم لانه لا يذهب بهم الا راكبين وحثها اسراعا بهم الى دار الكرامة و
الرضوان كما يفعل بمن يشرف ويكرم من الوافدين على بعض الملوك فشتان ما بين السوقين
قال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم من دنس المعاصي وطهرتم من خبث الخطايا فادخلوها

جعل دخول الجنة متسببا عن الطيب والطهارة فما هي الا دار الطيبين ومثوى الطاهرين
لانها دار طهرها الله من كل قذر فلا يدخلها الا مناسب لها موصوف بصفتها فما ابعد احوالنا
من تلك المناسبة وما اضعف سعينا في اكتساب تلك الصفة الا ان يهب لنا الوهاب الكريم توبة
نصوحا تنقي انفسنا من درن الذنوب وتميط وضر هذه القلوب خالدين مقدرين الخلود
وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده واورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم اجر
العاملين الارض عبارة عن المكان الذي اقاموا فيه واتخذوه مقرا ومتبوأ وقد اورثوها
اي ملكوها وجعلوا ملوكها واطلق تصرفهم فيها كما يشاءون تشبيها بحال الوارث وتصرفه فيما
يرثه واتساعه فيه وذهابه في انفاقه طولا وعرضا فان قلت ما معنى قوله حيث نشاء
وهل يتبوأ احدهم مكان غيره قلت يكون لكل واحد منهم جنة لا توصف سعة وزيادة على
الحاجة فيتبوأ من جنته حيث يشاء ولا يحتاج الى جنة غيره وترى الملائكة حافين من حول العرش
محدقين من حوله يسبحون بحمد ربهم يقولون سبحان الله والحمد لله متلذذين لا متعبدين وقضي
بينهم بالحق فان قلت الام يرجع الضمير في قوله بينهم قلت يجوز ان يرجع الى العباد
كلهم وان ادخال بعضهم النار وبعضهم الجنة الا قضاء بينهم بالحق والعدل وان يرجع الى الملائكة
على ان ثوابهم وان كانوا معصومين جميعا لا يكون على سنن واحد ولكن يفاضل بين مراتبهم
على حسب تفاضلهم في اعمالهم فهو القضاء بينهم بالحق فان قلت قوله وقيل الحمد لله رب العالمين
من القائل ذلك قلت المقضي بينهم اما جميع العباد واما الملائكة كانه قيل وقضي بينهم
بالحق وقالوا الحمد لله على قضائه بيننا بالحق وانزال كل منا منزلته التي هي حقه عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الزمر لم يقطع الله رجاءه يوم القيامة واعطاه الله ثواب
الخائفين الذين خافوا وعن عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ
كل ليلة بني اسرائيل والزمر

سورة المؤمن مكية قال الحسن الا قوله وسبح بحمد ربك لان الصلوات

نزلت بالمدينة وقد قيل الحواميم كلها مكية عن ابن عباس وابن الحنفية
رضي الله عنهم وهي خمس وثمانون آية وقيل ثنتان وثمانون آية

بسم الله الرحمن الرحيم **حم تنزيل الكتاب من الله العزيز**
العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا إله إلا هو إليه المصير

قرئ بإمالة حا وتفخيمها وبتسكين الميم وفتحها ووجه الفتح التحريك لالتقاء الساكنين وإيثار
أخف الحركات نحو أين وكيف أو النصب بإضمار اقرأ ومنع الصرف للتعريف والتأنيث أو
للتعريف وأنها على زنة أعجمي نحو قابيل وهابيل والتوب والثوب والأوب أخوات في معنى
الرجوع والطول الفضل والزيادة يقال لفلان على فلان طول والإفضال يقال طال عليه وتطول
إذا تفضل **فإن قلت** كيف اختلفت هذه الصفات تعريفا وتنكيرا والموصوف معرفة يقتضي أن
يكون مثله معارف **قلت** أما غافر الذنب وقابل التوب فمعرفتان لأنه لم يرد بهما حدوث
الفعلين وأنه يغفر الذنب ويقبل التوب الآن أو غدا حتى يكونا في تقدير الانفصال فتكون
إضافتهما غير حقيقية وإنما أريد ثبوت ذلك ودوامه فكان حكمهما حكم إله الخلق ورب العرش
وأما شديد العقاب فأمره مشكل لأنه في تقدير شديد عقابه لا ينفك من هذا التقدير وقد جعله
الزجاج بدلا وفي كونه بدلا وحده بين الصفات نبو ظاهر والوجه أن يقال لما صودف بين هؤلاء
المعارف هذه النكرة الواحدة فقد آذنت بأن كلها أبدال غير أوصاف ومثال ذلك قصيدة
جاءت تفاعيلها كلها على مستفعلن فهي محكوم عليها بأنها من بحر الرجز فإن وقع فيها جزء
واحد على متفاعلن كانت من الكامل ولقائل أن يقول هي صفات وإنما حذف الألف واللام
من شديد العقاب ليزاوج ما قبله وما بعده لفظا فقد غيروا كثيرا من كلامهم عن قوانينه لأجل
الازدواج حتى قالوا ما يعرف سحادليه من عنادليه فثنوا ما هو وتر لأجل ما هو شفع على أن
الخليل قال في قولهم ما يحسن بالرجل مثلك أن يفعل ذلك وما يحسن بالرجل خير منك أن يفعل
إنه على نية الألف واللام كما كان الجماء الغفير على نية طرح الألف واللام ومما سهل ذلك
الأ

الأمن من اللبس وجهالة الموصوف ويجوز أن يقال قد تعمد تنكيره وإبهامه للدلالة على فرط
الشدة وعلى ما لا شيء أدهى منه وأمر لزيادة الإنذار ويجوز أن يقال هذه النكتة هي الداعية
إلى اختيار البدل على الوصف إذا سلكت طريقة الإبدال **فإن قلت** ما بال الواو في قوله وقابل
التوب **قلت** فيها نكتة جليلة وهي إفادة الجمع للمذنب التائب بين رحمتين بين أن يقبل
توبته فيكتبها له طاعة من الطاعات وأن يجعلها محاءة للذنوب كأن لم يذنب كأنه قال جامع المغفرة
والقبول وروي أن عمر رضي الله عنه افتقد رجلا ذا بأس شديد من أهل الشام فقيل له تتابع
في هذا الشراب فقال عمر رضي الله عنه لكاتبه اكتب من عمر إلى فلان سلام عليك وأنا أحمد إليك
الله الذي لا إله إلا هو بسم الله الرحمن الرحيم حم إلى قوله إليه المصير وختم الكتاب وقال لرسوله
لا تدفعه إليه حتى تجده صاحيا ثم أمر من عنده بالدعاء له بالتوبة فلما أتته الصحيفة جعل يقرؤها
ويقول قد وعدني الله أن يغفر لي وحذرني عقابه فلم يبرح يرددها حتى بكى ثم نزع فأحسن
النزوع وحسنت توبته فلما بلغ عمر رضي الله عنه أمره قال هكذا فاصنعوا إذا رأيتم أخا لكم
قد زل زلة فسددوه ووفقوه وادعوا له الله أن يتوب عليه ولا تكونوا أعوانا للشياطين
عليه **ما يجادل في آيات الله إلا الذين كفروا** سجل على المجادلين في آيات الله بالكفر والمراد
الجدال بالباطل من الطعن فيها والقصد إلى إدحاض الحق وإطفاء نور الله وقد دل على ذلك
في قوله وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فأما الجدال فيها لإيضاح ملتبسها وحل مشكلها
ومقادحة أهل العلم في استنباط معانيها ورد أهل الزيغ بها وعنها فأعظم جهاد في سبيل الله
وقوله صلى الله عليه وسلم إن جدالا في القرآن كفر وإيراده منكرا وإن لم يقل إن الجدال تمييز
منه بين جدال وجدال **فلا يغررك تقلبهم في البلاد** **فإن قلت** من أين تسبب لقوله فلا يغررك ما قبله **قلت**
من حيث إنهم لما كانوا مشهودا عليهم من قبل الله بالكفر والكافر لا أحد أشقى منه عند
الله وجب على من تحقق ذلك أن لا ترجح أحوالهم في عينه ولا يغره إقبالهم في دنياهم
وتقلبهم في البلاد بالتجارات النافقة والمكاسب المربحة وكانت قريش كذلك يتقلبون في بلاد

الشام واليمن ولهم الاموال يتجرون فيها ويتربحون فان مصير ذلك وعاقبته الى الزوال ووراه شقاوة الابد ثم ضرب لتكذيبهم وعداوتهم للرسل وجدالهم بالباطل وما ادخر لهم من سوء العاقبة مثلا ما كان من نحو ذلك من الامم وما اخذهم به من عقابه واحله بساحتهم من انتقامه وقرى فلا يغرك كذبت قبلهم قوم نوح والاحزاب من بعدهم الاحزاب الذين تحزبوا على الرسل وناصبوهم وهم عاد وثمود وفرعون وغيرهم وهمت كل امة من هذه الامم التي هي قوم نوح والاحزاب برسولهم وقرى برسولها لياخذوه ليتمكنوا منه ومن الايقاع به واصابته بما ارادوا من تعذيب او قتل ويقال للاسير اخيذ وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فاخذتهم يعني انهم قصدوا اخذه فجعلت جزاءهم على ارادة اخذه ان اخذتهم فكيف كان عقاب فانكم تمرون على بلادهم ومساكنهم فتعاينون اثر ذلك وهذا تقرير فيه معنى التعجيب وكذلك حقت كلمة ربك على الذين كفروا انهم اصحاب النار انهم اصحاب النار في محل الرفع بدل من كلمة ربك اي مثل ذلك الوجوب وجب على الكفرة كونهم من اصحاب النار ومعناه كما وجب اهلاكهم في الدنيا بالعذاب المستاصل كذلك وجب اهلاكهم بعذاب النار في الاخرة او في محل النصب بحذف لام التعليل وايصال الفعل والذين كفروا قريش ومعناه كما وجب اهلاك اولئك الامم كذلك وجب اهلاك هولاء لان علة واحدة تجمعهم انهم من اصحاب النار وقرى كلمات الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين امنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم روي ان حملة العرش ارجلهم في الارض السفلى ورؤسهم قد خرقت العرش وهم خشوع لا يرفعون طرفهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا تتفكروا في عظم ربكم ولكن تفكروا فيما خلق الله من الملائكة فان خلقا من الملائكة يقال له اسرافيل زاوية من زوايا العرش على كاهله وقدماه في الارض السفلى وقد مرق راسه من سبع سماوات وانه ليتضاءل من عظمة الله حتى يصير كانه الوصع وفي الحديث ان الله تعالى امر جميع الملائكة ان يغدوا

ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما يعني يا ربنا رحمتك واسعة وعلمك محيط

انهم اصحاب النار يعني ... يجبرون اليها ... وقراءة نافع ... من كلمات بلفظ ... الباقون كلمة ربك بلفظ الواحد ... معنى ... عبارة عن الجنس ... قرأ ... ابتداء وقراءة العامة بالنصب

يستغفرون للذين امنوا للمؤمنين وفي الاية تفضيل المؤمنين ... الملائكة مشتغلين بالدعاء للمؤمنين ثم ... دعائهم للمؤمنين ... ربنا يعني يقولون ربنا ... ويقال معناه ملات كل شيء نعمة وعلما ما فيهما ...

وبذلك تمدحوا على حملة العرش تفضيلا لهم على سائر الملائكة وقيل خلق الله العرش من جوهرة خضراء وبين القائمتين من قوائمه خفقات الطير المسرع ثمانين الف عام وقيل حول العرش سبعون الف صف من الملائكة يطوفون به مهللين مكبرين ومن ورائهم سبعون الف صف قيام قد وضعوا ايديهم على عواتقهم رافعين اصواتهم بالتهليل والتكبير ومن ورائهم مائة الف صف قد وضعوا الايمان على الشمائل ما منهم احد الا وهو يسبح بما لا يسبح به الاخر وقرا ابن عباس رضي الله عنهما العرش بضم العين فان قلت ما فائدة قوله ويؤمنون به ولا يخفى على احد ان حملة العرش ومن حوله من الملائكة الذين يسبحون بحمده مؤمنون قلت فائدته اظهار شرف الايمان وفضله والترغيب فيه كما وصف الانبياء في غير موضع من كتابه بالصلاح لذلك وكما عقب اعمال الخير بقوله ثم كان من الذين امنوا فابان بذلك فضل الايمان وفائدة اخرى وهي التنبيه على ان الامر لو كان كما يقول المجسمة لكان حملة العرش ومن حوله مشاهدين معاينين ولما وصفوا بالايمان لانه انما يوصف بالايمان الغائب فلما وصفوا به على سبيل الثناء عليهم علم ان ايمانهم وايمان من في الارض وكل من غاب عن ذلك المقام سواء في ان ايمان الجميع بطريق النظر والاستدلال لا غير وانه لا طريق الى معرفته الا هذا وانه منزه عن صفات الاجرام وقد روعي التناسب في قوله ويؤمنون به ويستغفرون للذين امنوا كانه قيل ويؤمنون به ويستغفرون لمن في مثل حالهم وصفتهم وفيه تنبيه على ان الاشتراك في الايمان يجب ان يكون ادعى شيء الى النصيحة وابعثه على امحاض الشفقة وان تفاوتت الاجناس وتباعدت الاماكن فانه لا تجانس بين ملك وانسان ولا بين سماوي وارضي قط ثم لما جاء جامع الايمان جاء معه التجانس الكلي والتناسب الحقيقي حتى استغفر من حول العرش لمن فوق الارض قال الله تعالى ويستغفرون لمن في الارض ربنا اي يقولون ربنا وهذا المضمر يحتمل ان يكون بيانا ليستغفرون مرفوع المحل مثله وان يكون حالا فان قلت تعالى الله عن المكان فكيف صح ان يقال وسع كل شيء قلت الرحمة والعلم هما اللذان

وسعا كل شيء في المعنى والاصل وسع كل شيء رحمتك وعلمك ولكن ازيل الكلام عن اصله
بان اسند الفعل الى صاحب الرحمة والعلم واخرجا منصوبين على التمييز للاغراق في وصفه
بالرحمة والعلم كأن ذاته رحمة وعلم واسعان كل شيء فان قلت قد ذكر الرحمة والعلم فوجب
ان يكون ما بعد الفاء مشتملا على حديثهما جميعا وما ذكر الا الغفران وحده قلت معناه
فاغفر للذين علمت منهم التوبة واتباع سبيلك وسبيل الله سبيل الحق التي نهجها لعباده ودعاهم
اليها ربنا وادخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من آبائهم وازواجهم وذرياتهم انك انت
العزيز الحكيم اي الملك الذي لا يغلب وانت مع ملكك وعزتك لا تفعل شيئا الا بداعي الحكمة
وموجب حكمتك ان تفي بوعدك وقهم السيئات ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته وذلك
هو الفوز العظيم وقهم السيئات اي العقوبات او جزاء السيئات فحذف المضاف على ان السيئات
هي الصغائر او الكبائر المتوب عنها والوقاية منها التكفير او قبول التوبة فان قلت ما
الفائدة في استغفارهم لهم وهم تائبون صالحون موعودون المغفرة والله لا يخلف الميعاد قلت
هذا بمنزلة الشفاعة وفائدته زيادة الكرامة والثواب وقرئ جنة عدن وصلح بضم اللام والفتح
افصح يقال صلح فهو صالح وصلح فهو صليح وذريتهم ان الذين كفروا ينادون اي ينادون
يوم القيامة فيقال لهم لمقت الله اكبر والتقدير لمقت الله انفسكم اكبر من مقتكم انفسكم فاستغنى
بذكرها مرة اذ تدعون الى الايمان فتكفرون اي غضب الله واذ تدعون منصوب بالمقت الاول والمعنى انه يقال
لهم يوم القيامة كان الله يمقت انفسكم الامارة بالسوء والكفر حين كان الانبياء يدعونكم
الى الايمان فتأبون قبوله وتختارون عليه الكفر اشد مما تمقتونهن اليوم وانتم في النار اذ
اوقعتكم فيها باتباعكم هواهن وعن الحسن لما رأوا اعمالهم الخبيثة مقتوا انفسهم فنودوا
لمقت الله اكبر وقيل معناه لمقت الله اياكم الآن اكبر من مقت بعضكم لبعض كقوله يكفر
بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا واذ تدعون تعليل والمقت اشد البغض فوضع في موضع
ابلغ الانكار واشده قالوا ربنا امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين فاعترفنا بذ[نوبنا]

اثنتين اماتتين واحياءتين او موتتين وحيوتين واراد بالاماتتين خلقهم اولا امواتا واماتتهم
عند انقضاء آجالهم وبالاحياءتين الاحياءة الاولى واحياءة البعث وناهيك تفسيرا لذلك
قوله تعالى وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم وكذا عن ابن عباس رضي الله عنهما فان قلت كيف
صح ان يسمى خلقهم امواتا اماتة قلت كما صح ان تقول سبحان من صغر جسم البعوضة
وكبر جسم الفيل وقولك للحفار ضيق فم الركية ووسع اسفلها وليس ثم نقل من كبر الى صغر
ولا من صغر الى كبر ولا من ضيق الى سعة ولا من سعة الى ضيق وانما اردت الانشاء على
تلك الصفات والسبب في صحته ان الصغر والكبر جائزان معا على المصنوع الواحد من غير ترجح
لاحدهما وكذلك الضيق والسعة فاذا اختار الصانع احد الجائزين وهو متمكن منهما على السواء
فقد صرف المصنوع عن الجائز الآخر فجعل صرفه عنه كنقله منه ومن جعل الاماتتين التي بعد
حياة الدنيا والتي بعد حياة القبر لزمه اثبات ثلاث احياءات وهو خلاف ما في القرآن الا ان يتمحل
فيجعل احداها غير معتد بها او يزعم ان الله يحييهم في القبور وتستمر بهم تلك الحياة فلا يموتون
بعدها ويعدهم في المستثنين من الصعقة في قوله الا من شاء الله فان قلت كيف تسبب هذا
لقوله فاعترفنا بذنوبنا قلت قد انكروا البعث فكفروا وتبع ذلك من الذنوب ما لا يحصى
لان من لم يخش العاقبة تخرق في المعاصي فلما رأوا الاماتة والاحياء قد تكررا عليهم علموا ان
الله قادر على الاعادة قدرته على الانشاء فاعترفوا بذنوبهم التي اقترفوها من انكار البعث وما تبعه
من معاصيهم فهل الى خروج اي الى نوع من الخروج سريع او بطيء من سبيل قط ام اليأس واقع
دون ذلك فلا خروج ولا سبيل اليه وهذا كلام من غلب عليه اليأس والقنوط وانما يقولون
ذلك تعللا وتحيرا ولهذا جاء الجواب على حسب ذلك وهو قوله ذلكم بانه اذا دعي الله وحده كفرتم وان يشرك
به تؤمنوا اي ذلكم الذي انتم فيه وان لا سبيل لكم الى خروج قط بسبب كفركم بتوحيد الله وايمانكم
بالاشراك به فالحكم لله حيث حكم عليكم بالعذاب السرمد وقوله العلي الكبير دلالة على الكبرياء و
العظمة وعلى ان عقاب مثله لا يكون الا كذلك وهو الذي يطابق كبرياءه ويناسب جبروته

وقيل كان الحرورية اخذوا قولهم لا حكم الا لله من هذا هو الذي يريكم آياته من الريح و
السحاب والرعد والبرق والصواعق ونحوها وينزل لكم من السماء رزقا الرزق المطر لانه
سببه وما يتذكر الا من ينيب وما يتعظ وما يعتبر بآيات الله الا من يتوب من الشرك ويرجع الى
الله فان المعاند لا سبيل الى تذكره واتعاظه ثم قال للمنيبين فادعوا الله اي اعبدوه مخلصين
له الدين من الشرك ولو كره الكافرون وان غاظ ذلك اعداكم ممن ليس على دينكم رفيع الدرجات
ذو العرش يلقي الروح على من يشاء من عباده ثلثة اخبار لقوله هو مترتبة على قوله الذي
يريكم او اخبار مبتدأ محذوف وهي مختلفة تعريفا وتنكيرا وقرئ رفيع الدرجات بالنصب
المدح ورفيع الدرجات كقوله ذي المعارج وهي مصاعد الملائكة الى ان تبلغ العرش وهي دليل
على عزته وملكوته وعن ابن جبير سماء فوق سماء والعرش فوقهن ويجوز ان يكون عبارة عن رفعة
شانه وعلو سلطانه كما ان ذا العرش عبارة عن ملكه وقيل هي درجات ثوابه التي يعطيها
اولياءه في الجنة الروح من امره الذي هو سبب الحيوة من امره يريد الوحي الذي هو امر بالخير
وبعث عليه فاستعار له الروح كما قال او من كان ميتا فاحييناه لينذر يوم التلاق لينذر
الله او الملقي عليه وهو الرسول او الروح وقرئ لتنذر اي لتنذر الروح لانها تؤنث او على
خطاب الرسول وقرئ لينذر يوم التلاق على البناء للمفعول ويوم التلاقي يوم القيامة لان الخلائق
تلتقي فيه وقيل يلتقي فيه اهل السماء واهل الارض وقيل المعبود والعابد يوم هم بارزون
ظاهرون لا يسترهم شيء من جبل او اكمة او بناء لان الارض بارزة قاع صفصف ولا عليهم ثياب من قبورهم
انما هم عراة مكشوفون كما جاء في الحديث يحشرون عراة حفاة غرلا لا يخفى على الله منهم شيء
اي من اعمالهم واحوالهم وعن ابن مسعود رضي الله عنه لا يخفى عليه منهم شيء فان قلت
قوله لا يخفى على الله منهم شيء بيان وتقرير لبروزهم والله تعالى لا يخفى عليه منهم شيء برزوا او
لم يبرزوا فما معناه قلت معناه انهم كانوا يتوهمون في الدنيا اذا استتروا بالحيطان
والحجب ان الله تعالى لا يراهم ويخفى عليه اعمالهم فهم اليوم صائرون من البروز والانكشاف
الى

الى حال لا يتوهمون فيها مثل ما كانوا يتوهمونه قال الله تعالى ولكن ظننتم ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون
وقال يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وذلك لعلمهم ان الناس يبصرونهم وظنهم
ان الله لا يبصرهم وهو معنى قوله وبرزوا لله الواحد القهار لمن الملك اليوم لله الواحد القهار
حكاية لما يسأل عنه في ذلك اليوم ولما يجاب به ومعناه انه ينادي مناد لمن الملك اليوم فيجيبه
اهل المحشر لله الواحد القهار وقيل يجمع الله الخلائق يوم القيمة في صعيد واحد بارض
بيضاء كانها سبيكة فضة لم يعص الله فيها قط فاول ما يتكلم به ان ينادي مناد لمن الملك
اليوم لله الواحد القهار اليوم تجزى الآية فهذا يقتضي ان يكون المنادي هو المجيب اليوم تجزى
كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم ان الله سريع الحساب لما قرر ان الملك لله وحده في ذلك عدد
نتائج ذلك وهي ان كل نفس تجزى ما كسبت وان الظلم مأمون لان الله ليس بظلام للعبيد
وان الحساب لا يبطئ لان الله لا يشغله حساب عن حساب فيحاسب الخلق كله في وقت واحد
وهو اسرع الحاسبين وعن ابن عباس رضي الله عنهما اذا اخذ في حسابهم لم يقل اهل الجنة
الا فيها ولا اهل النار الا فيها وانذرهم يوم الآزفة اذ القلوب لدى الحناجر كاظمين الآزفة
القيامة سميت لازوفها اي لقربها ويجوز ان تريد بيوم الآزفة وقت الخطبة الآزفة وهي مشارفتهم
دخول النار فعند ذلك ترتفع قلوبهم عن مقارها فتلصق بحناجرهم فلا هي تخرج فيموتوا
ولا ترجع الى مواضعها فيتنفسوا ويتروحوا ولكنها معترضة كالشجى كما قال فلما رأوه
زلفة سيئت وجوه الذين كفروا فان قلت كاظمين بما انتصب قلت هو حال
عن اصحاب القلوب على المعنى لان المعنى اذ قلوبهم لدى حناجرهم كاظمين عليها ويجوز
ان يكون حالا عن القلوب وان القلوب كاظمة على غم وكرب فيها مع بلوغها الحناجر
وانما جمع الكاظم جمع السلامة لانه وصفها بالكظم الذي هو من افعال العقلاء كما قال رأيتهم
لي ساجدين وقال فظلت اعناقهم لها خاضعين وتعضده قراءة من قرأ كاظمون ويجوز
ان يكون حالا عن قوله وانذرهم اي وانذرهم مقدرين او مشارفين الكظم لقوله فادخلوها خالدين

ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع الحميم المحب المشفق والمطاع مجاز في المشفع لان
حقيقة الطاعة نحو حقيقة الامر في انها لا تكون الا لمن فوقك **فان قلت** ما معنى قوله
ولا شفيع يطاع **قلت** يحتمل ان يتناول النفي الشفاعة والطاعة معا وان يتناول
الطاعة دون الشفاعة كما تقول ما عندي كتاب يباع فهو محتمل نفي البيع وحده وان عندك
كتابا الا انك لا تبيعه ونفيهما وان لا كتاب عندك ولا كونه مبيعا ونحوه ولا ترى الضب بها ينجحر
يريد نفي الضب وانجحاره **فان قلت** فعلى اي الاحتمالين يجب حمله **قلت** على
نفي الامرين جميعا من قبل ان الشفعاء هم اولياء الله واولياء الله لا يحبون ولا يرضون
الا من احبه الله ورضيه وان الله لا يحب الظالمين فلا يحبونهم واذا لم يحبوهم لم ينصروهم
ولم يشفعوا لهم قال الله تعالى وما للظالمين من انصار وقال ولا يشفعون الا لمن ارتضى
ولان الشفاعة لا تكون الا في زيادة التفضل واهل التفضل وزيادته انما هم اهل الثواب
بدليل قوله ويزيدهم من فضله وعن الحسن والله ما يكون لهم شفيع البتة **فان قلت**
الغرض حاصل بذكر الشفيع ونفيه فما الفائدة في ذكر هذه الصفة ونفيها **قلت**
في ذكرها فائدة جليلة وهي انها ضمت اليه ليقام انتفاء الموصوف مقام الشاهد على
انتفاء الصفة لان الصفة لا تتاتى بدون موصوفها فيكون ذلك ازالة لتوهم وجود الموصوف
بيانه انك اذا عوتبت على القعود عن الغزو فقلت ما لي فرس اركبه ولا معي سلاح
احارب به فقد جعلت عدم الفرس وفقد السلاح علة مانعة من الركوب والمحاربة
كانك تقول كيف يتاتى مني الركوب والمحاربة ولا فرس لي ولا سلاح معي فكذلك قوله ولا
شفيع يطاع معناه كيف يتاتى التشفيع ولا شفيع فكان ذكر التشفيع والاستشهاد
على عدم تاتيه بعدم الشفيع وضعا لانتفاء الشفيع موضع الامر المعروف غير المنكر
الذي لا ينبغي ان يتوهم خلافه يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور الخائنة صفة للنظرة او
مصدر بمعنى الخيانة كالعافية بمعنى المعافاة والمراد استراق النظر الى ما لا يحل كما
يفعل

يفعل اهل الريب ولا يحسن ان يراد الخائنة من الاعين لان قوله وما تخفي الصدور لا يساعد
عليه **فان قلت** بم اتصل قوله يعلم خائنة الاعين **قلت** هو خبر من اخبار هو في قوله
هو الذي يريكم اياته مثل يلقي الروح ولكن يلقي الروح قد علل بقوله لينذر يوم التلاق ثم استطرد
ذكر احوال يوم التلاق الى قوله ولا شفيع يطاع فبعد لذلك عن اخواته والله يقضي بالحق يعني
والذي هذه صفاته واحواله لا يقضي الا بالحق والعدل لاستغنائه عن الظلم والذين تدعون
من دونه وآلهتكم لا يقضون بشيء وهذا تهكم بهم لان ما لا يوصف بالقدرة لا يقال فيه يقضي او
لا يقضي ان الله هو السميع البصير تقرير لقوله تعالى يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور
ووعيد لهم بانه يسمع ما يقولون ويبصر ما يعملون وانه يعاقبهم عليه وتعريض بما يدعون من
دون الله وانها لا تسمع ولا تبصر وقرئ تدعون بالتاء والياء اولم يسيروا في الارض فينظروا
كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم كانوا هم اشد منهم قوة وآثارا في الارض فاخذهم
الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق هم في كانوا هم اشد منهم فصل **فان قلت** من
حق الفصل ان لا يقع الا بين معرفتين فما باله واقعا بين معرفة وغير معرفة وهو اشد منهم **قلت**
قد ضارع المعرفة في انه لا يدخله الالف واللام فاجري مجراه وقرئ منكم وهي في مصاحف اهل
الشام وآثارا يريد حصونهم وقصورهم وعددهم وما يوصف بالشدة من آثارهم او اراد
واكثر آثارا كقوله متقلدا سيفا ورمحا ذلك بانهم كانت تاتيهم رسلهم بالبينات فكفروا فاخذهم
الله انه قوي شديد العقاب ولقد ارسلنا موسى باياتنا وسلطان مبين وحجة ظاهرة وهي
المعجزات الى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر كذاب فسموا السلطان
المبين سحرا وكذبا فلما جاءهم بالحق بالنبوة من عندنا قالوا اقتلوا ابناء الذين آمنوا معه
واستحيوا نساءهم **فان قلت** اما كان قتل الابناء واستحياء النساء من قبل خيفة
ان يولد المولود الذي انذرته الكهنة بظهوره وزوال ملكه على يده **قلت** قد كان
ذلك القتل حينئذ وهذا قتل آخر وعن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله قالوا اقتلوا

أعيدوا عليهم القتل كالذي كان اولا تريد ان هذا قتل غير القتل الاول وما كيد الكافرين
الا في ضلال في ضياع وذهاب باطلا لم يجد عليهم يعني انهم باشروا قتلهم اولا فما اغنى عنهم
ونفذ قضاء الله باظهار من خافوه فما يغني عنهم هذا القتل الثاني وكان فرعون قد كف
عن قتل الولدان فلما بعث موسى واحس بانه قد وقع اعاده عليهم غيظا وحنقا وظنا
منه انه يصدهم بذلك عن مظاهرة موسى عليه السلم وما علم ان كيده ضايع في الكرتين جميعا
وقال فرعون ذروني اقتل موسى كانوا اذا هم بقتله كفوه بقولهم ليس بالذي تخافه وهو [لقومه]
اقل من ذلك واضعف وما هو الا بعض السحرة ومثله لا يقاوم الا ساحرا مثله ويقولون
اذا قتلته ادخلت الشبهة على الناس واعتقدوا انك عجزت عن معارضته بالحجة والظاهر
ان فرعون كان قد استيقن انه نبي وان ما جاء به آيات وما هو بسحر ولكن الرجل كان فيه
خب وجربزة وكان قتالا سفاكا للدماء في اهون شي فكيف لا يقتل من احس منه
بانه هو الذي يثل عرشه ويهدم ملكه ولكنه كان يخاف ان هم بقتله ان يعاجل بالهلاك
وقوله وليدع ربه شاهد صدق على فرط خوفه منه ومن دعوته ربه وكان قوله ذروني اقتل
موسى تمويها على قومه وايهاما انهم هم الذين يكفونه وما كان يكفه الا ما في نفسه من هول
الفزع اني اخاف ان يبدل دينكم ان يغير ما انتم عليه وكانوا يعبدونه ويعبدون الاصنام
بدليل قوله ويذرك وآلهتك او ان يظهر في الارض الفساد الفساد في الارض التقاتل
والتهايج الذي يذهب معه الامن وتتعطل المزارع والمكاسب والمعايش ويهلك الناس
قتلا وضياعا كانه قال اني اخاف ان يفسد عليكم دينكم بدعوتكم الى دينه او يفسد عليكم
دنياكم بما يظهر من الفتن بسببه وفي مصاحف اهل الحجاز وان يظهر بالواو ومعناه اني اخاف
فساد دينكم ودنياكم معا وقرئ يظهر من اظهر والفساد منصوب اي يظهر موسى الفساد
وقرئ يظّهّر بتشديد الظاء والهاء من تظهّر بمعنى تظاهر اي تتابع وتعاون وقال موسى
لما سمع موسى عليه السلم بما اجراه فرعون من حديث قتله قال لقومه اني عذت بربي وربكم
اني

اني عذت بالله الذي هو ربي وربكم وقوله وربكم فيه بعث لهم على ان يقتدوا به فيعوذوا
بالله عياذه ويعتصموا بالتوكل عليه اعتصامه وقال من كل متكبر لتشمل استعاذته فرعون
وغيره من الجبابرة وليكون على طريقة التعريض فيكون ابلغ واراد بالتكبر الاستكبار عن
الاذعان للحق وهو اقبح استكبار وادله على دناءة صاحبه ومهانة نفسه على فرط ظلمه
وعسفه وقال لا يؤمن بيوم الحساب لانه اذا اجتمع في الرجل التجبر والتكذيب بالجزاء [الا لا يصدق]
وقلة المبالاة بالعاقبة فقد استكمل اسباب القسوة والجراءة على الله وعباده ولم يترك عظيمة
الا ارتكبها وعذت ولذت اخوان وقرئ عت بالادغام وقال رجل مومن من آل فرعون
يكتم ايمانه اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم وقرئ رجل بسكون
الجيم كما يقال عضد في عضد [وهي اليد والعضد] وكان قبطيا ابن عم لفرعون آمن بموسى سرا وقيل كان
اسرائيليا ومن آل فرعون صفة لرجل او صلة ليكتم اي يكتم ايمانه من آل فرعون واسمه
سمعان او حبيب وقيل خربيل او حزبيل والظاهر انه كان من آل فرعون فان المومنين
من بني اسرائيل لم يقلوا ولم يعزوا والدليل عليه قول فرعون ابناء الذين آمنوا معه
وقول المومن فمن ينصرنا من باس الله ان جاءنا دليل ظاهر على انه يتنصح لقومه ان يقول
لان يقول وهذا انكار منه عظيم وتبكيت شديد كانه قال اترتكبون الفعلة الشنعاء التي
هي قتل نفس محرمة وما لكم علة قط في ارتكابها الا كلمة الحق التي نطق بها وهي قوله ربي
الله مع انه لم يحضر لتصحيح قوله بينة واحدة ولكن بينات عدة من عند من نسب اليه
الربوبية وهو ربكم لا ربه وحده وهو استدراج لهم الى الاعتراف به وليلين بذلك جماحهم
ويكسر من سورتهم ولك ان تقدر مضافا محذوفا اي وقت ان يقول والمعنى اتقتلونه ساعة
سمعتم منه هذا القول من غير روية ولا فكر في امره وقوله بالبينات يريد بالبينات
العظيمة التي عهدتموها وشهدتموها وان يك كاذبا فعليه كذبه وان يك صادقا يصبكم
بعض الذي يعدكم [illegible] ثم اخذ في الاحتجاج عليهم [illegible] فقال [illegible]

وعن ابي حارث عن عروة قال قلت لعبد الله حدثني باشد شي صنعه المشركون برسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي عند الكعبة فلوى ثوبه على عنقه وخنقه خنقا شديدا فاقبل ابا بكر رضه فاخذ بمنكبه فدفعه عن رسول صلى الله عليه وسلم ثم قال ابو بكر رضه يا قوم اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم

وان يك كاذبا فعليه كذبه يعني فعليه وبال كذبه فلا ينبغي ان تقتلوه بغير حجة ولا برهان وان يك صادقا في قوله فكذبتموه يصبكم بعض الذي يعدكم يعني بعض ذلك يصبكم في الدنيا ويقال بعض الذي يعدكم يعني جميع الذي يعدكم

كاذبا او صادقا فان يك كاذبا فعليه كذبه اى يعود عليه كذبه ولا يتخطاه ضرره وان يك صادقا يصبكم بعض ما يعدكم ان تعرضتم له فان قلت لم قال بعض الذى يعدكم وهو نبى صادق لا بد لما يعدهم ان يصيبهم كله لا بعضه قلت لانه احتاج فى مقاولة خصوم موسى ومناكريه الى ان يلاوصهم ويداريهم ويسلك معهم طريق الانصاف فى القول وياتيهم من جهة المناصحة فجاء بما علم انه اقرب الى تسليمهم لقوله وادخل فى تصديقهم له وقبولهم منه فقال ان يك صادقا يصبكم بعض الذى يعدكم وهو كلام المنصف فى مقاله غير المشتط فيه ليسمعوا منه ولا يردوا عليه وذلك انه حين فرضه صادقا فقد اثبت انه صادق فى جميع ما يعد ولكنه اردفه يصبكم بعض الذى يعدكم ليهضمه بعض حقه فى ظاهر الكلام فيريهم انه ليس بكلام من اعطاه حقه وافيا فضلا ان يتعصب له او يرمى بالحصا من ورائه وتقديم الكاذب على الصادق ايضا من هذا القبيل وكذلك قوله ان الله لا يهدى من هو مسرف كذاب فان قلت فعن ابى عبيدة انه فسر البعض بالكل وانشد بيت لبيد

تراك امكنة اذا لم ارضها او يرتبط بعض النفوس حمامها

قلت ان صحت الرواية عنه فقد حق فيه قول المازنى فى مسالة العلقى كان اجفى من ان يفقه ما اقول له ان الله لا يهدى من هو مسرف كذاب يحتمل انه ان كان مسرفا كذابا خذله الله واهلكه ولم يستقم له امر فتتخلصون منه وانه لو كان مسرفا كذابا لما هداه الله للنبوة ولما عضده بالبينات وقيل ما تولى ابو بكر رضى الله عنه من رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اشد من ذلك طاف بالبيت فلقوه حين فرغ فاخذوا بمجامع ردائه فقالوا انت الذى تنهانا عما كان يعبد اباؤنا فقال انا ذاك فقام ابو بكر رضى الله عنه فالتزمه من ورائه وقال اتقتلون رجلا ان يقول ربى الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم رافعا صوته بذلك وعيناه تسفحان حتى ارسلوه وعن جعفر الصادق رضى الله عنه ان مؤمن آل فرعون قال ذلك سرا وابو بكر قاله ظاهرا يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين فى الارض فى ارض مصر عالين فيها على بنى اسرائيل

فمن

40

فمن ينصرنا من باس الله ان جاءنا يعنى ان لكم ملك مصر وقد علوتم الناس وقهرتموهم فلا تفسدوا امركم على انفسكم ولا تتعرضوا لباس الله وعذابه فانه لا قبل لكم به ان جاءكم ولا يمنعكم منه احد وقال ينصرنا وجاءنا لانه منهم فى القرابة وليعلمهم بان الذى ينصحهم به هو مساهم لهم فيه قال فرعون ما اريكم الا ما ارى اى ما اشير عليكم برأى الا بما ارى من قتله يعنى لا استصوب الا قتله وهذا الذى تقولونه غير صواب وما اهديكم بهذا الراى الا سبيل الرشاد يريد سبيل الصلاح والصواب وما اعلمكم الا ما اعلم من الصواب ولا ادخر منه شيئا ولا اسر عنكم خلاف ما اظهر يعنى ان لسانه وقلبه متواطئان على ما يقول وقد كذب فقد كان مستشعرا للخوف الشديد من موسى ولكنه كان يتجلد ولولا استشعاره لم يستشر احدا ولم يقف الامر على الاشارة فى الرشاد فعال من رشد بالكسر كعلام او من رشد بالفتح كعباد وقيل هو من ارشد كجبار من اجبر وليس بذاك لان فعالا من افعل لم يجئ الا فى عدة احرف نحو دراك وسآر وجبار ولا يصح القياس على القليل ويجوز ان يكون نسبة الى الرشد كعواج وبتات غير منظور فيه الى فعل وقال الذى آمن يا قوم انى اخاف عليكم مثل يوم الاحزاب مثل ايامهم لانه لما اضافه الى الاحزاب وفسرهم بقوم نوح وعاد وثمود لم يلتبس ان كل حزب منهم كان له يوم دمار فاقتصر على الواحد من الجمع لان المضاف اليه اغنى عن ذلك كقوله كلوا فى بعض بطنكم تعفوا وقال الزجاج مثل يوم حزب حزب مثل داب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم داب هؤلاء دؤبهم فى عملهم من الكفر والتكذيب وسائر المعاصى يعنى مثل وكون ذلك دائبا دائما منهم لا يفترون عنه ولا بد من حذف مضاف يريد مثل جزاء دابهم فان قلت بم انتصب مثل الثانى قلت بانه عطف بيان لمثل الاول لان آخر ما تناولته الاضافة قوم نوح ولو قلت اهلك الله الاحزاب قوم نوح وعاد وثمود لم يكن الا عطف بيان لاضافة قوم الى اعلام فسرى ذلك الحكم الى اول ما تناولته الاضافة وما الله يريد ظلما للعباد يعنى ان تدميرهم كان عدلا وقسطا لانهم استوجبوه باعمالهم وهو ابلغ من قوله وما ربك

يظلام للعبيد حيث جعل المنفي ارادة الظلم لان من كان عن ارادة الظلم بعيدا كان عن
الظلم ابعد وحيث نكر الظلم كانه نفى ان يريد ظلما ما لعباده ويجوز ان يكون معناه كمعنى
قوله ولا يرضى لعباده الكفر اى لا يريد لهم ان يظلموا يعنى انه دمرهم لانهم كانوا ظالمين وياقوم
انى اخاف عليكم يوم التناد التنادى ما حكى الله تعالى في سورة الاعراف من قوله ونادى
اصحاب الجنة اصحاب النار ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة ويجوز ان يكون تصايحهم
بالويل والثبور وقرئ بالتشديد وهو ان يند بعضهم من بعض كقوله يوم يفر المرء من
اخيه وعن الضحاك اذا سمعوا زفير النار ندوا هربا فلا ياتون قطرا من الاقطار الا وجدوا
ملائكة صفوفا فبيناهم يموج بعضهم في بعض اذا سمعوا مناديا اقبلوا الى الحساب يوم تولون
مدبرين عن قتادة منصرفين عن موقف الحساب الى النار وعن مجاهد فارين عن النار
غير معجزين ما لكم من الله من عاصم ومن يضلل الله فما له من هاد ولقد جاءكم يوسف من قبل
بالبينات هو يوسف بن يعقوب وقيل هو يوسف بن ابرهيم بن يوسف بن يعقوب اقام فيهم
ثنتا عشرة سنة وقيل ان فرعون موسى هو فرعون يوسف عمر الى زمنه وقيل هو
فرعون آخر فما زلتم في شك مما جاءكم به وبخهم بان يوسف اتاكم بالمعجزات فشككتم فيها
ولم تزالوا شاكين كافرين حتى اذا هلك قبض قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا حكما من
عند انفسكم من غير برهان وتقدمة عزم منكم على تكذيب الرسل فاذا جاءكم رسول جحدتم
وكذبتم بناء على حكمكم الباطل الذى اسستموه وليس قولهم لن يبعث الله من بعده رسولا
بتصديق لرسالة يوسف وكيف وقد شكوا فيها وكفروا بها وانما هو تكذيب لرسالة من بعده
مضموم الى تكذيب رسالته وقرئ الن يبعث الله على ادخال همزة الاستفهام على حرف النفي
كان بعضهم يقرر بعضا بنفي البعث ثم قال كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب اى مثل
هذا الخذلان المبين يخذل الله كل مسرف في عصيانه مرتاب في دينه الذين يجادلون في
آيات الله بغير سلطان اتاهم كبر مقتا عند الله وعند الذين آمنوا كذلك يطبع الله على
كل

كل قلب متكبر جبار الذين يجادلون بدل من من هو مسرف فان قلت كيف جاز ابداله
منه وهو جمع وذلك موحد قلت لانه لا يريد مسرفا واحدا وكانه قال كل مسرف فان
قلت فما فاعل كبر قلت ضمير من هو مسرف فان قلت اما قلت هو جمع ولهذا ابدلت
منه الذين يجادلون قلت بلى هو جمع في المعنى واما اللفظ فموحد فحمل البدل على معناه
والضمير الراجع اليه على لفظه وليس ببدع ان يحمل على اللفظ تارة وعلى المعنى اخرى وله
نظائر ويجوز ان يرفع الذين يجادلون على الابتداء ولا بد في هذا الوجه من حذف مضاف يرجع
اليه الضمير في كبر تقديره جدال الذين يجادلون كبر مقتا ويحتمل ان يكون الذين يجادلون مبتدأ
وبغير سلطان اتاهم خبرا وفاعل كبر قوله كذلك اى كبر مقتا مثل ذلك الجدال ويطبع الله
كلام مستانف ومن قال كبر مقتا عند الله جدالهم فقد حذف الفاعل والفاعل لا يصح حذفه
وفي كبر مقتا ضرب من التعجب والاستعظام لجدالهم والشهادة على خروجهم من حد اشكاله
من الكبائر وقرئ سلطان بضم اللام وقرئ قلب بالتنوين ووصف القلب بالتكبر والتجبر
لانه مركزهما ومنبعهما كما تقول رأت العين وسمعت الاذن ونحوه قوله تعالى فانه آثم قلبه
وان كان الآثم هو الجملة ويجوز ان يكون على حذف المضاف اى على كل ذى قلب متكبر
يجعل الصفة لصاحب القلب وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحا لعلي ابلغ الاسباب اسباب
السماوات فاطلع الى اله موسى واني لاظنه كاذبا قيل الصرح البناء الظاهر الذى لا يخفى
على الناظر وان بعد استقوه من صرح الشيء اذا ظهر واسباب السماوات طرقها وابوابها
وما يؤدى اليها وكل ما اداك الى شيء فهو سبب اليه كالرشاء ونحوه فان قلت
ما فائدة هذا التكرير ولو قيل لعلي ابلغ اسباب السماوات قلت اذا ابهم الشيء
ثم اوضح كان تفخيما لشانه فلما اراد تفخيم ما امل بلوغه من اسباب السماوات ابهمها
ثم اوضحها ولانه لما كان بلوغها امرا عجيبا اراد ان يورده على نفس متشوقة اليه ليعطيه
السامع حقه من التعجب فابهمه ليشوق اليه نفس هامان ثم اوضحه وقرئ فاطلع

بالنصب على جواب الترجي تشبيها للترجي بالتمني وكذلك ومثل ذلك التزيين وذلك
الصد زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل والمزين إما الشيطان بوسوسته
كقوله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل أو الله تعالى على وجه التسبيب
لأنه مكن الشيطان وأمهله ومثله زينا لهم أعمالهم فهم يعمهون وقرئ وزين له سوء عمله
على البناء للفاعل والفعل لله عز وجل دل عليه قوله إلى إله موسى وصد بفتح الصاد وضمها
وكسرها على نقل حركة العين إلى الفاء كما قيل قيل وما كيد فرعون إلا في تباب التباب
الخسران والهلاك وصد مصدر معطوف على سوء عمله وصدوا هو وقومه وقال الذي
آمن يا قوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد يا قوم إنما هذه الحيوة الدنيا متاع وإن الآخرة
هي دار القرار من عمل سيئة فلا يجزى إلا مثلها ومن عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن
فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب ويا قوم ما لي أدعوكم إلى النجاة وتدعونني إلى
النار تدعونني لأكفر بالله وأشرك به ما ليس لي به علم وأنا أدعوكم إلى العزيز الغفار لا جرم أن
ما تدعونني ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة وأن مردنا إلى الله وأن المسرفين هم أصحاب النار
قال أهدكم سبيل الرشاد فأجمل لهم ثم فسر فافتتح بذم الدنيا وتصغير شأنها لأن الإخلاد
إليها هو أصل الشر كله ومنه يتشعب جميع ما يؤدي إلى سخط الله ويجلب الشقاوة في العاقبة
وثنى بتعظيم الآخرة والاطلاع على حقيقتها وأنها هي الوطن والمستقر وذكر الأعمال
سيئها وحسنها وعاقبة كل منهما ليثبط عما يتلف وينشط لما يزلف ثم وازن بين الدعوتين
دعوته إلى دين الله الذي ثمرته النجاة ودعوتهم إلى اتخاذ الأنداد الذي عاقبته النار و
حذر وأنذر واجتهد في ذلك واحتشد لا جرم أنه استثناه من آل فرعون وجعله
حجة عليهم وعبرة للمعتبرين وهو قوله فوقاه الله سيئات ما مكروا وحاق بآل فرعون
سوء العذاب وفي هذا أيضا دليل بين أن الرجل كان من آل فرعون والرشاد نقيض الغي
وفيه تعريض شبيه بالتصريح أن ما عليه فرعون وقومه هو سبيل الغي فلا يجزى إلا مثلها

لأن الزيادة على مقدار جزاء السيئة قبيحة وأما الزيادة على مقدار جزاء الحسنة فحسنة لأنها فضل
قرئ يَدخلون ويُدخلون بغير حساب واقع في مقابلة إلا مثلها يعني أن جزاء السيئة له حساب وتقدير
لئلا يزيد على الاستحقاق فأما جزاء العمل الصالح فبغير حساب وتقدير بل ما يثيب من الزيادة على الحق
والكثرة والسعة فإن قلت لم كرر نداء قومه ولم جيء بالواو في النداء الثالث دون الثاني قلت
أما تكرير النداء ففيه زيادة تنبيه لهم وإيقاظ عن سنة الغفلة وفيه أنهم قومه وعشيرته وهم فيما يوبقهم
وهو يعلم وجه خلاصهم ونصيحتهم عليه واجبة فهو يتحزن لهم ويتلطف بهم ويستدعي بذلك أن لا
يتهموه فإن سرورهم سروره وغمهم غمه وينزلوا على تنصيحه لهم كما كرر إبراهيم عليه السلام في نصيحة أبيه
يا أبت وأما المجيء بالواو العاطفة فلأن الثاني داخل على كلام هو بيان للمجمل وتفسير له فأعطى
الداخل عليه حكمه في امتناع دخول الواو وأما الثالث فداخل على كلام ليس بتلك المثابة تقول
دعاه إلى كذا ودعاه له كما تقول هداه إلى الطريق وهداه له به علم أي بربوبيته والمراد بنفي العلم
نفي المعلوم كأنه قال وأشرك به ما ليس بإله وما ليس بإله كيف يصح أن يعلم إلها لا جرم سياقه
على مذهب البصريين أن يجعل لا ردا لما دعاه إليه قومه وجرم فعل بمعنى حق وأن مع ما في حيزه
فاعله أي حق ووجب بطلان دعوته أو بمعنى كسب من قوله تعالى ولا يجرمنكم شنآن قوم أن
صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا أي كسب ذلك الدعاء إليه بطلان دعوته على معنى
أنه ما حصل من ذلك إلا ظهور بطلان دعوته ويجوز أن يقال إن لا جرم نظير لا بد فعل من
الجرم وهو القطع كما أن بدا فعل من التبديد وهو التفريق فكما أن معنى لا بد أنك تفعل كذا
بمعنى لا بعد لك من فعله فكذلك لا جرم أن لهم النار أي لا قطع لذلك بمعنى أنهم أبدا يستحقون
النار لا انقطاع لاستحقاقهم ولا قطع لبطلان دعوة الأصنام أي لا تزال باطلة لا ينقطع ذلك
فينقلب حقا وروي عن العرب لا جرم أنه يفعل بضم الجيم وسكون الراء بزنة بُد وفَعَل وفُعْل
أخوان كرُشد ورَشَد وعُدم وعَدَم ليس له دعوة معناه أن ما تدعونني إليه ليس له دعوة إلى نفسه
قط أي من حق المعبود بالحق أن يدعو العباد إلى طاعته ثم يدعو العباد إليها إظهارا لدعوة

دينهم وما تدعونه اليه والى عبادته لا يدعو هو الى ذلك ولا يدعي الربوبية ولو كان حيوانا ناطقا
لضج منه دعائكم وقوله في الدنيا ولا في الاخرة يعني انه في الدنيا جماد لا يستطيع شيا من دعاء
وفي الآخرة اذا انشاه الله حيوانا تبرا من الدعاة اليه ومن عبدته وقيل معناه
ليس له استجابة دعوة تنفع في الدنيا ولا في الاخرة او دعوة مستجابة جعلت الدعوة التي
لا استجابة لها ولا منفعة كلا دعوة او سميت الاستجابة باسم الدعوة كما سمي الفعل المجازى
عليه باسم الجزاء في قوله كما تدين تدان قال الله تعالى له دعوة الحق والذين يدعون من دونه
لا يستجيبون لهم بشيء المسرفين عن قتادة المشركين وعن مجاهد السفاكين للدماء بغير حلها
وقيل الذين غلب شرهم خيرهم هم المسرفون فستذكرون ما اقول لكم وقرئ فستذكرون
اي فسيذكر بعضكم بعضا وافوض امري الى الله لانهم توعدوه ان الله بصير بالعباد فوقاه
الله سيئات ما مكروا شدائد مكرهم وما هموا به من الحاق انواع العذاب بمن خالفهم وقيل نجا
مع موسى عليه السلم وحاق بآل فرعون سوء العذاب ما هموا به من تعذيب المسلمين ورجع عليهم
كيدهم النار بدل من سوء العذاب او خبر مبتدا محذوف كأن قائلا قال ما سوء العذاب فقيل
هو النار او مبتدا خبره يعرضون عليها وفي هذا الوجه تعظيم للنار وتهويل من عذابها وعرضهم
عليها احراقهم بها يقال عرض الامام الاسارى على السيف اذا قتلهم به وقرئ النار بالنصب
وهي تعضد الوجه الاخير وتقديره يدخلون النار يعرضون عليها ويجوز ان تنصب على الاختصاص
غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة ادخلوا آل فرعون اشد العذاب غدوا وعشيا في هذين
الوقتين يعذبون بالنار وفيما بين ذلك الله اعلم بحالهم فاما ان يعذبوا بجنس آخر من العذاب
او ينفس عنهم ويجوز ان يكون غدوا وعشيا عبارة عن الدوام هذا ما دامت الدنيا فاذا قامت
الساعة قيل لهم ادخلوا يا آل فرعون اشد عذاب جهنم وقرئ ادخلوا آل فرعون اي يقال
لخزنة جهنم ادخلوهم فان قلت قوله وحاق بآل فرعون سوء العذاب معناه انه رجع
عليهم ما هموا به من المسلمين كقول العرب من حفر لاخيه جبا وقع فيه منكبا فاذا
فسـ

فسر سوء العذاب بنار جهنم لم يكن مكرهم راجعا عليهم لانهم لا يعذبون بجهنم قلت يجوز
ان يهم الانسان ان يغرق قوما فيحرق بالنار ويسمى ذلك حيقا لانه هم بسوء فاصابه ما يقع
عليه اسم السوء ولا يشترط في الحيق ان يكون الحائق ذلك السوء بعينه ويجوز ان يهم فرعون
لما سمع انذار المسلمين بالنار وقول المؤمن وان المسرفين هم اصحاب النار فيفعل نحو
ما فعل نمرود ويعذبهم في النار فحاق به مثل ما اضمره وهم بفعله ويستدل بهذه الاية على
اثبات عذاب القبر واذ يتحاجون واذكر وقت يتحاجون في النار فيقول الضعفاء للذين
استكبروا انا كنا لكم تبعا تباعا كخدم في جمع خادم او ذوي تبع اي اتباع او وصفا
بالمصدر فهل انتم مغنون عنا نصيبا من النار قال الذين استكبروا انا كل فيها وقرئ كلا
على التاكيد لاسم ان وهو معرفة والتنوين عوض من المضاف اليه يريد انا كلنا او كلنا فيها
فان قلت هل يجوز ان يكون كلا حالا قد عمل فيها فيها قلت لا لان الظرف لا يعمل في الحال
متقدمة كما يعمل في الظرف متقدما تقول كل يوم لك ثوب ولا تقول قائما في الدار زيد ان الله
قد حكم بين العباد قضى بينهم وفصل بان ادخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار وقال الذين
في النار لخزنة جهنم للقوام بتعذيب اهلها ادعوا ربكم فان قلت هلا قيل الذين في النار
لخزنتها قلت لان في ذكر جهنم تهويلا وتفظيعا ويحتمل ان جهنم هي ابعد النار قعرا من
قولهم بئر جهنام بعيدة القعر وقولهم في النابغة جهنام تسمية بها لزعمهم انه يلقي الشعر على
لسان المنتسب اليه فهو بعيد الغور في علمه بالشعر كما قال ابو نواس في خلف الاحمر
قليذم من العيالم الخسف وفيها اعتى الكفار واطغاهم فلعل الملائكة الموكلين بعذاب
اولئك اجوب دعوة لزيادة قربهم من الله تعالى فلهذا تعمدهم اهل النار بطلب الدعوة منهم
قالوا اولم تك تاتيكم رسلكم بالبينات الزام للحجة وتوبيخ وانهم خلفوا وراءهم اوقات الدعاء و
التضرع وعطلوا الاسباب التي يستجيب الله لها الدعوات قالوا بلى قالوا فادعوا وما
دعاء الكافرين الا في ضلال قالوا فادعوا انتم فانا لا نجترئ على ذلك ولا نشفع الا بشرط كون

للشفوع له غير ظالم والمراد نفي الشفاعة مع موانعها وذلك قبل الفصل بين الفريقين
وليس قولهم فادعوا لرجاء المنفعة ولكن للدلالة على الخيبة وان الملك المقرب اذا لم يسمع
دعاؤه كيف يسمع دعاء الكافر انا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحيوة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد
اي في الدنيا والاخرة يعني انه يغلبهم في الدارين جميعا بالحجة والظفر على مخالفيهم وان غلبوا
في الدنيا في بعض الاحايين امتحانا من الله فالعاقبة لهم ويتيح الله من يقتص من اعدائهم
ولو بعد حين والاشهاد جمع شاهد كصاحب واصحاب يريد الحفظة من الملائكة والانبياء
والمؤمنين من امة محمد صلى الله عليه وسلم لتكونوا شهداء على الناس يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم
اليوم الثاني بدل من الاول ويحتمل انهم يعتذرون بمعذرة ولكنها لا تنفع لانها باطلة وانهم
لو جاؤا بمعذرة لم تكن مقبولة لقوله ولا يؤذن لهم فيعتذرون ولهم اللعنة البعد من رحمة الله
ولهم سوء الدار اي سوء دار الآخرة وهو عذابها وقرئ تقوم ولا تنفع بالتاء ولقد
آتينا موسى الهدى يريد بالهدى جميع ما آتاه في باب الدين من المعجزات والتورية والشرائع
واورثنا بني اسرائيل من بعده الكتاب اي التورية هدى وذكرى لاولي الالباب
ارشادا وتذكرة لهم وانتصابهما على المفعول له او على الحال واولوا الالباب المؤمنون
به العاملون به فاصبر ان وعد الله حق يعني ان نصر الرسل في ضمان الله وضمان الله لا يخلف
واستشهد بموسى وما آتاه من اسباب الهدى والنصرة على فرعون وجنوده وابقاء آثاره هدى
في بني اسرائيل والله ناصرك كما نصرهم ومظهرك على الدين كله ومبلغ ملك امتك مشارق الارض
ومغاربها فاصبر على ما يجيء عليك من قومك من الغصص فان العاقبة لك وما سبق به وعدي
نصرتك واعلاء كلمتك حق واستغفر لذنبك واقبل على التقوى واستدرك الفرطات
بالاستغفار وسبح بحمد ربك ودم على عبادة ربك والثناء عليه بالعشي والابكار وقيل هما
صلوتا الفجر والعصر ان الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان اتاهم ان في صدورهم
الا كبر الا تكبر وتعظم وهو ارادة التقدم والرياسة وان لا يكون احد فوقهم ولذلك عادوك
ودفعوا

ودفعوا الآيات خيفة ان تتقدمهم ويكونوا تحت يدك وامرك ونهيك لان النبوة تحتها كل ملك ورياسة
او ارادة ان يكون لهم النبوة دونك حسدا وبغيا ويدل عليه قوله لو كان خيرا ما سبقونا اليه
او ارادة دفع الآيات بالجدال ما هم ببالغيه اي ببالغي موجب الكبر ومقتضيه وهو متعلق
ارادتهم من الرياسة او النبوة او دفع الآيات وقيل المجادلون هم اليهود وكانوا يقولون
يخرج صاحبنا المسيح بن داود يريدون الدجال ويبلغ سلطانه البر والبحر وتسير
معه الانهار وهو آية من آيات الله فيرجع الينا الملك فسمى الله تمنيهم ذلك كبرا ونفى ان
يبلغوا متمناهم فاستعذ بالله فالتجئ اليه من كيد من يحسدك ويبغي عليك انه هو السميع
لما تقول ويقولون البصير بما تعمل ويعملون فهو ناصرك عليهم وعاصمك من شرهم فان قلت
كيف اتصل قوله لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس بما قبله قلت ان مجادلتهم
في آيات الله كانت مشتملة على انكار البعث وهو اصل المجادلة ومدارها فحجوا بخلق السموات
والارض لانهم كانوا مقرين بان الله خالقها بانها خلق عظيم لا تقادر قدره وخلق الناس بالقياس
اليه شيء قليل مهين فمن قدر على خلقها مع عظمها كان على خلق الانسان مع مهانته اقدر
وهو ابلغ من الاستشهاد بخلق مثله ولكن اكثر الناس لا يعلمون لانهم لا ينظرون ولا يتاملون
لغلبة الغفلة عليهم واتباعهم اهواءهم وما يستوي الاعمى والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات
ولا المسيء قليلا ما يتذكرون ضرب الاعمى والبصير مثلا للمحسن والمسيء وقرئ يتذكرون
بالياء والتاء والتاء اعم ان الساعة لآتية لا ريب فيها لابد من مجيئها ولا محالة وليس بمرتاب
فيها لانه لابد من جزاء ولكن اكثر الناس لا يؤمنون لا يصدقون بها وقال ربكم ادعوني استجب لكم ادعوني
اعبدوني والدعاء بمعنى العبادة كثير في القرآن ويدل عليه قوله ان الذين يستكبرون عن عبادتي
والاستجابة الاثابة وفي تفسير مجاهد اعبدوني اثبكم وعن الحسن وقد سئل عنها اعملوا
وابشروا فانه حق على الله ان يستجيب للذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله
وعن الثوري انه قيل له ادع الله فقال ان ترك الذنوب هو الدعاء وفي الحديث اذا شغل

عبدي عن الدعاء أعطيته أفضل ما أعطي السائلين. وروى النعمان بن بشير عن رسول الله صلى الله عليه وسلم «الدعاء هو العبادة» وقرأ هذه الآية. ويجوز أن يريد الدعاء والاستجابة على ظاهرهما ويريد بعبادتي دعائي لأن الدعاء باب من العبادة ومن أفضل أبوابها يصدقه قول ابن عباس رضي الله عنهما أفضل العبادة الدعاء. وعن كعب أعطى الله هذه الأمة ثلث خلال لم يعطهن إلا نبياً مرسلاً كان يقول لكل نبي أنت شاهدي على خلقي وقال لهذه الأمة لتكونوا شهداء على الناس وكان يقول ما عليك من حرج وقال لنا ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج وكان يقول ادعني أستجب لك وقال لنا ادعوني أستجب لكم. وعن ابن عباس رضي الله عنهما وحدوني أغفر لكم وهذا تفسير للدعاء بالعبادة ثم للعبادة بالتوحيد. إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين صاغرين. الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصراً من الإسناد المجازي لأن الإبصار في الحقيقة لأهل النهار. فإن قلت لم قرن الليل بالمفعول له والنهار بالحال وهلا كانا حالين أو مفعولاً لهما فيراعى حق المقابلة؟ قلت هما متقابلان من حيث المعنى لأن كل واحد منهما يؤدي مؤدى الآخر ولأنه لو قيل لتبصروا فيه فاتت الفصاحة التي في الإسناد المجازي ولو قيل ساكناً والليل يجوز أن يوصف بالسكون على الحقيقة ألا ترى إلى قولهم ليل ساج وساكن لا ريح فيه لم تتميز الحقيقة من المجاز. إن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون. فإن قلت فهلا قيل لمفضل أو لمتفضل؟ قلت لأن الغرض تنكير الفضل وأن يجعل فضلاً لا يوازيه فضل وذلك إنما يستوي بالإضافة. فإن قلت فلو قيل ولكن أكثرهم فلا يتكرر ذكر الناس؟ قلت في هذا التكرير تخصيص لكفران النعمة بهم وأنهم هم الذين يكفرون فضل الله ولا يشكرونه كقوله إن الإنسان لكفور إن الإنسان لربه لكنود إن الإنسان لظلوم كفار. ذلكم ذلك المعلوم المتميز بالأفعال الخاصة التي لا يشاركه فيها أحد هو الله ربكم خالق كل شيء لا إله إلا هو أخبار مترادفة أي هو الجامع لهذه الأوصاف من الإلهية والربوبية وخلق كل شيء وإنشائه لا يمتنع عليه شيء والوحدانية لا ثاني له فأنى

تؤفكون

تؤفكون فكيف ومن أي وجه تصرفون عن عبادته إلى عبادة الأوثان. كذلك يؤفك الذين كانوا بآيات الله يجحدون أي كل من جحد بآيات الله ولم يتأملها ولم تكن فيه همة طلب الحق وخشية العاقبة أفك كما أفكوا. وقرئ خالق كل شيء نصباً على الاختصاص. وتؤفكون بالياء والتاء. الله الذي جعل لكم الأرض قراراً والسماء بناء هذه أيضاً دلالة أخرى على تميزه بأفعال خاصة وهي أنه جعل الأرض مستقراً والسماء بناء أي قبة ومنه أبنية العرب لمضاربهم لأن السماء في منظر العين كقبة مضروبة على وجه الأرض. وصوركم فأحسن صوركم وقرئ بكسر الصاد والمعنى واحد قيل لم يخلق حيواناً أحسن صورة من الإنسان وقيل لم يخلقهم منكوسين كالبهائم كقوله في أحسن تقويم. ورزقكم من الطيبات ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين فادعوه فاعبدوه مخلصين له الدين من الشرك والرياء قائلين الحمد لله رب العالمين. وعن ابن عباس رضي الله عنهما من قال لا إله إلا الله فليقل على إثرها الحمد لله رب العالمين. قل إني نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله لما جاءني البينات من ربي وأمرت أن أسلم لرب العالمين. فإن قلت أما نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عبادة الأوثان بأدلة العقل حتى جاءته البينات من ربه؟ قلت بلى ولكن البينات لما كانت مقوية لأدلة العقل ومؤكدة لها ومضمنة ذكرها نحو قوله أتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون وأشباه ذلك من التنبيه على أدلة العقل كان ذكر البينات ذكراً لأدلة العقل والسمع جميعاً وإنما ذكر ما يدل على الأمرين جميعاً لأن ذكر تناصر أدلة العقل وأدلة السمع أقوى في إبطال مذهبهم وإن كانت أدلة العقل وحدها كافية. هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلاً ثم لتبلغوا أشدكم ثم لتكونوا شيوخاً ومنكم من يتوفى من قبل ولتبلغوا أجلاً مسمى. لتبلغوا أشدكم متعلق بفعل محذوف تقديره ثم يبقيكم لتبلغوا وكذلك لتكونوا وأما ولتبلغوا أجلاً مسمى فمعناه ويفعل ذلك لتبلغوا أجلاً مسمى وهو وقت الموت وقيل يوم القيامة. وقرئ شيوخاً بكسر الشين وشيخاً على التوحيد كقوله طفلاً والمعنى كل واحد منكم أو اقتصر على الواحد لأن الغرض بيان

الجنس من قبل من قبل الشيخوخة او من قبل هذه الاحوال اذا خرج سقطا ولعلكم تعقلون
ما في ذلك من العبر والحجج هو الذي يحيي ويميت فاذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون
فانما يكونه من غير كلفة ولا معاناة جعل هذا نتيجة من قدرته على الاحياء والاماتة و
ساير ما ذكر من افعاله الدالة على ان مقدورا لا يمتنع عليه كانه قال فلذلك من
الاقتدار اذا قضى امرا كان اهون شي واسرعه الم تر الى الذين يجادلون في ايات الله
انى يصرفون الذين كذبوا بالكتاب بالقرآن وبما ارسلنا به رسلنا من الكتب فان قلت
وهل قوله فسوف تعلمون اذ الاغلال في اعناقهم والسلاسل يسحبون في الحميم
الا مثل قولك سوف اصوم امس قلت المعنى على اذا لا ان الامور المستقبلة
لما كانت في اخبار الله متيقنة مقطوعا بها عبر عنها بلفظ ما كان ووجد والمعنى على
الاستقبال وعن ابن عباس رضي الله عنهما والسلاسل يسحبون بالنصب وفتح الياء
على عطف الجملة الفعلية على الاسمية وعنه والسلاسل بجر السلاسل ووجهه انه
لو قيل اذ اعناقهم في الاغلال لكان قوله اذ الاغلال في اعناقهم لكان صحيحا مستقيما فلما
كانتا عبارتين معتقبتين حمل قوله والسلاسل على العبارة الاخرى ونظيره
مشائيم ليسوا مصلحين عشيرة ولا ناعب كانه قيل بمصلحين وقرئ وبالسلاسل يسحبون
ثم في النار يسجرون من سجر التنور اذا ملاه بالوقود ومنه السجير كانه سجر بالحب
اي ملئ ومعناه انهم في النار فهي محيطة بهم وهم مسجورون بالنار مملوة بها اجوافهم ومنه
قوله تعالى نار الله اللهم اجرنا من نارك انا عائذون بجوارك ثم قيل لهم اينما كنتم تشركون من دون
الله قالوا ضلوا عنا غابوا عن عيوننا فلا نراهم ولا ننتفع بهم فان قلت اما ذكرت في
تفسير قوله انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم انهم مقرونون بآلهتهم فكيف يكونون معهم
وقد ضلوا عنهم قلت يجوز ان يضلوا عنهم اذا وبخوا وقيل لهم اين ما كنتم تشركون من
دون الله يغيثوكم ويشفعوا لكم وان يكونوا معهم في ساير الاوقات وان يكونوا معهم في جميع اوقاتهم

الا

الا انهم لما لم ينفعوهم فكانهم ضالون عنهم بل لم نكن ندعو من قبل شيئا اي تبين لنا انهم لم يكونوا
شيئا وما كنا نعبد بعبادتهم شيئا كما تقول حسبت ان فلانا شيء فاذا هو ليس بشيء اذا خبرته فلم تر
عنده خيرا كذلك يضل الله الكافرين مثل ضلال آلهتهم عنهم يضلهم عن آلهتهم حتى لو طلبوا
الالهة او طلبتهم الالهة لم يتصادفوا ذلكم بما كنتم تفرحون في الارض بغير الحق وبما كنتم تمرحون
ذلكم الاضلال بسبب ما كان لكم من الفرح والمرح بغير الحق وهو الشرك وعبادة الاوثان
ادخلوا ابواب جهنم السبعة المقسومة لكم قال الله تعالى لها سبعة ابواب لكل باب منهم جزء
مقسوم خالدين فيها مقدرين الخلود فبئس مثوى المتكبرين عن الحق المستحقين به مثواكم او
جهنم فان قلت اليس قياس النظم ان يقال فبئس مدخل المتكبرين كما تقول زرت الله
فنعم المزار وصل في المسجد الحرام فنعم المصلى قلت الدخول الموقت بالخلود في
معنى الثواء فاصبر ان وعد الله حق فاما نرينك بعض الذي نعدك اصله فان نرك وما مزيدة
لتوكيد معنى الشرط ولذلك الحقت النون بالفعل الا تراك لا تقول ان تكرمني اكرمك ولكن
اما تكرمني اكرمك فان قلت لا يخلو اما ان تعطف او نتوفينك على نرينك وتشركهما في جزاء
واحد وهو قوله فالينا يرجعون فقولك فاما نرينك بعض الذي نعدهم فالينا يرجعون غير صحيح
فان جعلت فالينا يرجعون مختصا بالمعطوف الذي هو نتوفينك بقي المعطوف عليه بغير جزاء قلت
فالينا يرجعون متعلق بنتوفينك وجزاء نرينك محذوف تقديره فاما نرينك بعض الذي نعدهم
من العذاب وهو القتل يوم بدر فذاك او ان نتوفينك قبل يوم بدر فالينا يرجعون يوم القيامة
فننتقم منهم اشد الانتقام ونحوه قوله تعالى فاما نذهبن بك فانا منهم منتقمون او نرينك
الذي وعدناهم فانا عليهم مقتدرون ولقد ارسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم
من لم نقصص عليك قيل بعث الله ثمانية آلاف نبي اربعة آلاف من بني اسرائيل واربعة آلاف
من ساير الناس وعن علي رضي الله عنه ان الله بعث اسود فهو ممن لم يقصص عليه وهذا
في اقتراحهم الايات على رسول الله صلى الله عليه وسلم عنادا يعني انا قد ارسلنا كثيرا من الرسل

وما كان لرسول لواحد منهم ان ياتي بآية الا باذن الله فمن لي بان آتي بآية مما تقترحونه الا ان
يشاء الله ويأذن في الاتيان بها فاذا جاء امر الله قضي بالحق وعيد ورد عقيب اقتراح الآيات
وامر الله القيامة وخسر هنالك المبطلون المعاندون الذين اقترحوا الآيات وقد اتتهم الآيات
فانكروها وسموها سحرا الله الذي جعل لكم الانعام لتركبوا منها ومنها تاكلون ولكم فيها
منافع ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم الانعام الابل خاصة فان قلت لم قال لتركبوا منها
ولتبلغوا عليها ولم يقل ولتاكلوا منها ولتصلوا الى منافع او هلا قال منها تركبون ومنها
تاكلون وتبلغون عليها حاجة في صدوركم قلت في الركوب الركوب في الحج والغزو
وفي بلوغ الحاجة الهجرة من بلد الى بلد لاقامة دين او طلب علم وهذه اغراض دينية
اما واجبة او مندوب اليها مما يتعلق به ارادة الحكيم واما الاكل واصابة المنافع فمن جنس
المباح الذي لا يتعلق به ارادته ومعنى قوله وعليها وعلى الفلك تحملون وعلى الانعام وحدها
لا تحملون ولكن عليها وعلى الفلك في البر والبحر فان قلت هلا قيل وفي الفلك كما قال
تعالى قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين قلت معنى الايعاء ومعنى الاستعلاء
كلاهما مستقيم لان الفلك وعاء لمن يكون فيها حمولة له لمن يستعليها فلما صح المعنيان
ان صحت للعبارتان وايضا فليطابق قوله وعليها ويزاوجه ثم يريكم آياته فاي آيات الله تنكرون
فاي آيات الله جاءت على اللغة المستفيضة وقولك فاية آيات الله قليل لان التفرقة
بين المذكر والمؤنث في الاسماء غير الصفات نحو حمار وحمارة غريب وهي في اي اغرب لابهامه
افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا اكثر منهم واشد
قوة وآثارا في الارض فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون وآثارا قصورهم ومصانعهم وقيل
مشيهم بارجلهم لعظم اجرامهم فما اغنى ما نافية او مضمنة معنى الاستفهام ومحلها النصب
والثانية موصولة او مصدرية ومحلها الرفع يعني اي شيء اغنى عنهم مكسوبهم او كسبهم فلما
جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم فيه وجوه منها انه اراد العلم الوارد على
طريق التهكم في قوله بل ادارك علمهم في الآخرة وعلمهم في الآخرة انهم كانوا يقولون لا نبعث
ولا

ولا نعذب وما اظن الساعة قائمة ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى وما اظن الساعة
قائمة ولئن رددت الى ربي لاجدن خيرا منها منقلبا وكانوا يفرحون بذلك ويدفعون به البينات
وعلم الانبياء كما قال عز وجل كل حزب بما لديهم فرحون ومنها ان يريد علم الفلاسفة والدهريين
من بني يونان وكانوا اذا سمعوا بوحي الله دفعوه وصغروا علم الانبياء الى علمهم وعن سقراط
انه سمع بموسى عليه السلام وقيل له لو هاجرت اليه فقال نحن قوم مهذبون فلا حاجة بنا الى من يهذبنا
ومنها ان يوضع قوله فرحوا بما عندهم من العلم ولا علم عندهم البتة موضع قوله لم يفرحوا
بما جاءهم من العلم مبالغة في نفي فرحهم بالوحي الموجب لاقصى الفرح والمسرة مع تهكم بفرط
جهلهم وخلوهم من العلم ومنها ان يراد فرحوا بما عند الرسل من العلم فرح ضحك منه و
استهزاء به كانه قال استهزؤا بالبينات وبما جاؤا به من علم الوحي فرحين مرحين ويدل
عليه قوله وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن ومنها ان يجعل الفرح للرسل ومعناه ان الرسل لما
راوا جهلهم المتمادي واستهزاءهم بالحق وعلموا سوء عاقبتهم وما يلحقهم من العقوبة على جهلهم
واستهزائهم فرحوا بما اوتوا من العلم وشكروا الله عليه وحاق بالكافرين جزاء جهلهم واستهزائهم
ويجوز ان يريد بقوله فرحوا به من العلم علمهم بامور الدنيا ومعرفتهم بتدبيرها كما قال تعالى يعلمون
ظاهرا من الحيوة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون ذلك مبلغهم من العلم فلما جاءهم الرسل
بعلوم الديانات وهي ابعد شيء من علمهم لبعثها على رفض الدنيا والظلف عن الملاذ
والشهوات ولم يلتفتوا اليها وصغروها واستهزؤا بها واعتقدوا انه لا علم انفع واجلب
للفوائد من علمهم ففرحوا به فلما راوا باسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين
الباس شدة العذاب ومنه قوله تعالى بعذاب بئيس فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا باسنا فان قلت
اي فرق بين قولك فلم يك ينفعهم ايمانهم وبينه لو قيل فلم ينفعهم ايمانهم قلت هو من كان
في نحو قوله ما كان لله ان يتخذ من ولد والمعنى فلم يصح ولم يستقم ان ينفعهم ايمانهم فان قلت
كيف ترادفت هذه الفاءات قلت اما قوله فما اغنى عنهم فهو نتيجة قوله كانوا اكثر منهم

واما قوله فلما جاءتهم رسلهم فجار مجرى البيان والتفسير لقوله فما اغنى عنهم كقولك رزق زيد المال فمنع المعروف فلم يحسن الى الفقراء وقوله فلما راوا باسنا تابع لقوله فلما جاءتهم كانه قال فكفروا فلما راوا باسنا آمنوا وكذلك فلم يك ينفعهم ايمانهم تابع لايمانهم لما راوا باس الله سنة الله التي قد خلت في عباده وخسر هنالك الكافرون سنة الله بمنزلة وعد الله وما اشبهه من المصادر المؤكدة وهنالك مكان مستعار للزمان اي وخسروا وقت رؤية الباس وكذلك قوله وخسر هنالك المبطلون بعد قوله فاذا جاء امر الله قضي بالحق اي وخسروا وقت مجيء امر الله او وقت القضاء بالحق عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة المؤمن لم يبق روح نبي ولا صديق ولا شهيد ولا مؤمن الا صلى عليه واستغفر له

سورة السجدة مكية وهي اربع وخمسون وقيل ثلث وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم ان جعلت حم اسما للسورة كانت في موضع المبتدإ وتنزيل خبره وان جعلتها تعديدا للحروف كان تنزيل خبرا لمبتدإ محذوف وكتاب بدل من تنزيل او خبر بعد خبر او خبر مبتدإ محذوف وجوز الزجاج ان يكون تنزيل مبتدأ وكتاب خبره ووجهه ان تنزيلا تخصص بالصفة فساغ وقوعه مبتدأ كتاب فصلت آياته ميزت وجعلت تفاصيل في معان مختلفة من احكام وامثال ومواعظ ووعد ووعيد وغير ذلك وقرئ فصلت اي فرقت بين الحق والباطل او فصل بعضها من بعض باختلاف معانيها من قولك فصل من البلد قرآنا عربيا نصب على الاختصاص والمدح اي اريد بهذا الكتاب المفصل قرآنا من صفته كيت وكيت وقيل هو نصب على الحال اي فصلت آياته في حال كونه قرآنا عربيا لقوم يعلمون اي لقوم عرب يعلمون ما نزل عليهم من الآيات المفصلة المبينة بلسانهم العربي المبين لا يلتبس عليهم شيء منه فان قلت بم تعلق قوله لقوم يعلمون قلت يجوز ان يتعلق بتنزيل او بفصلت اي تنزيل من الله لاجلهم او فصلت آياته لهم والاجود ان يكون صفة مثل ما قبله وما بعده اي قرآنا عربيا

كائنا

كائنا لقوم عرب لئلا يفرق بين الصلات والصفات بشيرا ونذيرا وقرئ بشير ونذير صفة للكتاب او خبر مبتدإ محذوف فاعرض اكثرهم فهم لا يسمعون لا يقبلون ولا يطيعون من قولك تشفعت الى فلان فلم يسمع قولي ولقد سمعه ولكنه لما لم يقبله ولم يعمل بمقتضاه فكانه لم يسمعه وقالوا قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب الاكنة جمع كنان وهي الغطاء والوقر بالفتح الثقل وقرئ بالكسر وهذه تمثيلات لنبو قلوبهم عن تقبل الحق واعتقاده كانها في غلف واغطية تمنع من نفوذه فيها كقوله وقالوا قلوبنا غلف ومج اسماعهم له كان بها صمما عنه ولتباعد المذهبين والدينين كان بينهم وما هم عليه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم وما هو عليه حجابا ساترا وحاجزا منيعا من جبل او نحوه فلا تلاقي ولا ترائي فاعمل على دينك اننا عاملون على ديننا او فاعمل في ابطال امرنا اننا عاملون في ابطال امرك وقرئ انا عاملون فان قلت هل لزيادة من في قوله ومن بيننا وبينك حجاب فائدة قلت نعم لانه لو قيل وبيننا وبينك حجاب لكان المعنى ان حجابا حاصل وسط الجهتين واما بزيادة من فالمعنى ان الحجاب ابتداء منا وابتداء منك فالمسافة المتوسطة لجهتنا وجهتك مستوعبة بالحجاب لا فراغ فيها فان قلت هلا قيل على قلوبنا اكنة كما قيل وفي آذاننا وقر ليكون الكلام على نمط واحد قلت هو على نمط واحد لانه لا فرق في المعنى بين قولك قلوبنا في اكنة وعلى قلوبنا اكنة والدليل عليه قوله تعالى انا جعلنا على قلوبهم اكنة ولو قيل انا جعلنا قلوبهم في اكنة لم يختلف المعنى وترى المطابيع منهم لا يراعون الطباق والملاحظة الا في المعاني قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد فاستقيموا اليه واستغفروه فان قلت من اين كان قوله انما انا بشر مثلكم يوحى الي جوابا لقولهم قلوبنا في اكنة قلت من حيث انه قال لهم اني لست بملك وانما انا بشر مثلكم وقد اوحي الي دونكم فصحت بالوحي الي وانا بشر نبوتي واذا صحت نبوتي وجب عليكم اتباعي وفيما يوحى الي انما الهكم اله واحد فاستقيموا اليه فاستووا اليه بالتوحيد واخلاص العبادة غير ذاهبين يمينا ولا شمالا ولا ملتفتين الى ما يسول لكم الشيطان من اتخاذ الاولياء والشفعاء وتوبوا اليه عما سبق لكم من الشرك

واستغفروه وقرئ قال انما انا بشر وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكوة وهم بالاخرة
هم كافرون فان قلت لم خص من بين اوصاف المشركين منع الزكوة مقرونا بالكفر بالاخرة
قلت لان احب شيء الى الانسان ماله وهو شقيق روحه فاذا بذله في سبيل الله فذلك اقوى
دليل على ثباته واستقامته وصدق نيته وتضرع طويته الا ترى الى قوله عز وعلا ومثل الذين
ينفقون اموالهم ابتغاء مرضاة الله وتثبيتا من انفسهم اي يثبتون انفسهم ويدلون على ثباتها
بانفاق الاموال وما خدع المؤلفة قلوبهم الا بلمظة من الدنيا فقرت عصبيتهم ولانت شكيمتهم
واهل الردة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تظاهروا الا بمنع الزكوة فنصبت لهم
الحروب وجوهدوا وفيه بعث للمؤمنين على اداء الزكوة وتخويف شديد من منعها حيث
جعل المنع من اوصاف المشركين وقرن بالكفر بالاخرة وقيل كانت قريش يطعمون الحاج
ويحرمون من آمن منهم برسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل لا يفعلون ما يكونون به
ازكياء وهو الايمان ان الذين امنوا وعملوا الصالحات لهم اجر غير ممنون الممنون المقطوع
وقيل لا يمن عليهم لانه انما يمن التفضل واما الاجر فحق اداؤه وقيل نزلت في المرضى
والزمنى والهرمى اذا عجزوا عن الطاعة كتب لهم الاجر كاصح ما كانوا يعملون قل
ائنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين وتجعلون له اندادا ذلك رب العالمين ائنكم
بهمزتين الثانية بين بين وآئنكم بالف بين همزتين ذلك الذي قدر على خلق الارض في مدة
يومين هو رب العالمين وجعل فيها رواسي جبالا ثوابت فان قلت ما معنى قوله
من فوقها وهلا اقتصر على قوله وجعل فيها رواسي كقوله وجعلنا فيها رواسي شامخات
وجعلنا في الارض رواسي وجعل لها رواسي قلت لو كانت تحتها كالاساطين لها تستقر
عليها او مركوزة فيها كالمسامير لمنعت من الميدان وانما اختار ارساءها فوق الارض
ليكون المنافع في الجبال معرضة لطالبيها وحاضرة لمحصليها وليبقى ان الارض والجبال
اثقال على اثقال كلها مفتقرة الى ممسك لا بد لها منه وهو ممسكها عز وعلا بقدرته وبارك
فيها واكثر خيرها وانماءها وقدر فيها اقواتها ارزاق اهلها ومعايشهم وما يصلحهم وفي
قراءة

وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه وقسم فيها اقواتها في اربعة ايام سواء فذلكة لمدة خلق الارض
وما فيها كانه قال كل ذلك في اربعة ايام كاملة مستوية بلا زيادة ولا نقصان قيل خلق الارض
في يوم الاحد ويوم الاثنين وما فيها يوم الثلثاء ويوم الاربعاء وقال الزجاج في تتمة اربعة ايام
يريد بالتتمة اليومين وقرئ سواء بالحركات الثلث الجر على الوصف والنصب على استوت سواء
اي استواء والرفع على هي سواء فان قلت بم تعلق قوله للسائلين قلت بمحذوف
كانه قيل هذا الحصر لاجل من سال في كم خلقت الارض وما فيها او بقدر اي قدر فيها الاقوات
لاجل الطالبين لها المحتاجين اليها من المقتاتين وهذا الوجه الاخير لا يستقيم الا على تفسير
الزجاج فان قلت هلا قيل في يومين واي فائدة في هذه الفذلكة قلت اذا قال
في اربعة ايام وقد ذكر ان الارض خلق في يومين علم ان ما فيها خلق في يومين فبقيت المخايرة
بين ان تقول في يومين وان تقول في اربعة ايام سواء وكانت في اربعة ايام سواء فائدة ليست في يومين
وهي الدلالة على انها كانت اياما كاملة بغير زيادة ولا نقصان ولو قال في يومين وقد يطلق
اليومان على اكثرهما لكان يجوز ان يريد باليومين الاولين والاخرين اكثرهما ثم استوى الى
السماء من قولك استوى الى مكان كذا اذا توجه اليه توجها لا يلوي على شيء وهو من الاستواء
الذي هو ضد الاعوجاج ونحوه قولهم استقام اليه وامتد اليه ومنه قوله تعالى فاستقيموا
اليه والمعنى ثم دعاه داعي الحكمة الى خلق السماء بعد خلق الارض وما فيها من غير صارف يصرفه
عن ذلك وهي دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين قيل كان
عرشه قبل خلق السماوات والارض على الماء فاخرج من الماء دخانا فارتفع فوق الماء وعلا
عليه فايبس الماء فجعله ارضا واحدة ثم فتقها فجعلها ارضين ثم خلق السماء من الدخان
المرتفع ومعنى امر السماء والارض بالاتيان وامثالهما انه اراد تكوينهما فلم يمتنعا عليه ووجدتا
كما اراد هما وكانتا في ذلك كالمامور المطيع اذا ورد عليه فعل الآمر المطاع وهو من المجاز
الذي يسمى التمثيل ويجوز ان يكون تخييلا ويبنى الامر فيه على ان الله تعالى كلم السماء والارض

وقال لهما ائتيا شئتما ذلك او ابيتماه فقالتا اتينا على الطوع لا على الكره والغرض تصوير اثر قدرته
في المقدورات لا غير من غير ان تحقق شيء من الخطاب والجواب ونحوه قول القائل قال الجدار
للوتد لم تشقني قال الوتد اسال من يدقني فلم يتركني ورايي الحجر الذي ورائي **فان قلت** لم ذكر
الارض مع السماء وانتظمهما في الامر بالاتيان والارض مخلوقة قبل السماء بيومين **قلت** قد خلق
جرم الارض اولا غير مدحوة ثم دحاها بعد خلق السماء كما قال والارض بعد ذلك دحاها فالمعنى ائتيا
على ما ينبغي ان تاتيا عليه من الشكل والوصف ائتي يا ارض مدحوة قرارا ومهادا لا هلك وائتي يا سماء
مقببة سقفا لهم ومعنى الاتيان الحصول والوقوع كما تقول اتى عمله مرضيا وجاء مقبولا ويجوز ان يكون
المعنى لتات كل واحدة منكما صاحبتها الاتيان الذي اريده وتقتضيه الحكمة والتدبير من كون الارض
قرارا للسماء وكون السماء سقفا للارض وتنصره قراءة من قرا آتيا وآتينا من المواتاة وهي الموافقة
اي لتوات كل واحدة اختها ولتوافقها قالتا وافقنا وساعدنا ويحتمل وافقا امري ومشيتي ولا
تمتنعا **فان قلت** ما معنى طوعا او كرها **قلت** هو مثل للزوم تاثير قدرته فيهما وان امتناعهما
من تاثير قدرته محال كما تقول الجبار لمن تحت يده لتفعلن هذا شئت او ابيت ولتفعلنه طوعا او كرها
وانتصابهما على الحال بمعنى طائعتين او مكرهتين **فان قلت** هلا قيل طائعتين على اللفظ او طائعات
على المعنى لانها سماوات وارضون **قلت** لما جعلن مخاطبات ووصفن بالطوع والكره قيل طائعين
في موضع طائعات نحو قوله ساجدين **فقضيهن سبع سماوات في يومين** يجوز ان يرجع الضمير في قضيهن
الى السماء على المعنى كما قال طائعين ونحوه اعجاز نخل خاوية ويجوز ان يكون ضميرا مبهما مفسرا
بسبع سماوات والفرق بين القضيتين ان احدهما على الحال والثاني على التمييز قيل خلق السماوات
وما فيها في يومين في يوم الخميس والجمعة وفرغ في اخر ساعة من يوم الجمعة فخلق فيها آدم وهي الساعة
التي تقوم فيها القيامة وفي هذا دليل على ما ذكرت من انه لو قال في يومين في موضع اربعة ايام سواء لم
يعلم انهما يومان كاملان ام ناقصان **فان قلت** فلو قيل خلق الارض في يومين كاملين وقدر
فيها اقواتها في يومين كاملين او قيل بعض ذكر اليومين تلك اربعة سواء **قلت** الذي اورده
سبحانه

مخاطبات و

سبحانه اخصر وافصح واحسن طباقا لما عليه التنزيل من مغاصات القرائح ومصاك الركب
ليتميز الفاضل من الناقص والمتقدم من الناكص وترفع الدرجات وتتضاعف الثواب **واوحى**
في كل سماء امرها ما امر به فيها ودبره من خلق الملائكة والنيرات وغير ذلك او شانها وما يصلحها
وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم وحفظا وحفظناها حفظا يعني من
المسترقة بالثواقب ويجوز ان يكون مفعولا له على المعنى كانه قال وخلقنا المصابيح زينة وحفظا
فان اعرضوا فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فان اعرضوا بعد ما تتلو عليهم من
هذه الحجج على وحدانيته وقدرته فحذرهم ان تصيبهم صاعقة اي عذاب شديد الوقع كانه صاعقة
وقرئ صعقة مثل صعقة عاد وثمود وهي المرة من الصعق او الصعق يقال صعقته الصاعقة
صعقا فصعق صعقا وهو من باب فعلته ففعل **اذ جاءتهم النذر من بين ايديهم ومن خلفهم ان**
لا تعبدوا الا الله قالوا لو شاء ربنا لانزل ملائكة فانا بما ارسلتم به كافرون من بين ايديهم و
من خلفهم اي اتوهم من كل جانب واجتهدوا بهم واعملوا فيهم كل حيلة فلم يروا منهم الا العتو
والاعراض كما حكى الله عن الشيطان لآتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم يعني لآتينهم من كل جهة و
لاعملن فيهم كل حيلة وتقول استدرت بفلان من كل جانب فلم يكن لي فيه حيلة وعن الحسن انذروهم
من وقائع الله فيمن قبلهم من الامم وعذاب الاخرة لانهم اذا حذروهم ذلك فقد جاؤهم بالوعظ
من جهة الزمن الماضي وما جرى فيه على الكفار ومن جهة المستقبل وما سيجري عليهم وقيل
معناه اذ جاءتهم الرسل من قبلهم ومن بعدهم **فان قلت** الرسل الذين من قبلهم ومن بعدهم كيف يوصفون
بانهم جاؤهم وكيف يخاطبونهم بقولهم انا بما ارسلتم به كافرون **قلت** قد جاءهم هود وصالح
داعيين الى الايمان بهما وبجميع الرسل ممن جاء من بين ايديهم اي من قبلهم وممن يجيء من خلفهم
اي من بعدهم فكان الرسل جميعا قد جاؤوهم وقولهم انا بما ارسلتم به كافرون خطاب منهم
لهود وصالح ولسائر الانبياء الذين دعوا الى الايمان بهم ان في ان لا تعبدوا بمعنى اي او
مخففة من الثقيلة اصله بانه لا تعبدوا اي بان الشان والحديث قولنا لكم لا تعبدوا ومفعول

شاء محذوف اى لو شاء ربنا ارسال الرسل لانزل ملائكة فانا بما ارسلتم به كافرون معناه فاذ
انتم بشر ولستم بملائكة فانا لا نؤمن بكم وبما جئتم به وقولهم ارسلتم به ليس باقرار بالارسال و
انما هو على كلام الرسل وفيه تهكم كما قال فرعون ان رسولكم الذى ارسل اليكم لمجنون روى ان ابا جهل
قال فى ملاء من قريش قد التبس علينا امر محمد فلو التمستم لنا رجلا عالما بالشعر والكهانة والسحر
فكلمه ثم اتانا ببيان عن امره فقال عتبة بن ربيعة والله لقد سمعت الشعر والكهانة والسحر
وعلمت من ذلك علما وما يخفى على فاتاه فقال يا محمد ائت خير ام هاشم ائت خير ام عبد المطلب
ائت خير ام عبد الله فبم تشتم آلهتنا وتضللنا فان كنت تريد الرياسة عقدنا لك اللواء فكنت
رئيسنا وان تك بك الباءة زوجناك عشر نسوة تختار من اى بنات قريش شئت وان كان بك
المال جمعنا لك ما تستغنى به ورسول الله صلى الله عليه وسلم ساكت فلما فرغ قال بسم الله الرحمن الرحيم
حم الى قوله مثل صاعقة عاد وثمود فامسك عتبة على فيه وناشده بالرحم ورجع الى اهله و
لم يخرج الى قريش فلما احتبس عنهم قالوا ما نرى عتبة الا قد صبا فانطلقوا اليه وقالوا يا
عتبة ما حبسك عنا الا انك قد صبات فغضب واقسم لا يكلم محمدا ثم قال والله لقد كلمته
فاجابنى بشئ والله ما هو بشعر ولا كهانة ولا سحر ولما بلغ صاعقة عاد وثمود امسكت بفيه وناشدته
بالرحم ان يكف وقد علمتم ان محمدا اذا قال شيئا لم يكذب فخفت ان ينزل بكم العذاب فاما عاد
فاستكبروا فى الارض اى تعظموا فيها على اهلها بغير الحق بما لا يستحقون به التعظم وهو
القوة وعظم الاجرام او استعلوا فى الارض واستولوا عليها بغير استحقاق للولاية وقالوا
من اشد منا قوة كانوا ذوى اجسام طوال وخلق عظيم وبلغ من قوتهم ان الرجل كان ينزع
الصخرة من الجبل فيقلعها بيده اولم يروا ان الله الذى خلقهم هو اشد منهم قوة فان قلت
القوة هى الشدة والصلابة فى البنية وهى نقيضة الضعف واما القدرة فمن الاجلة يصح الفعل
من الفاعل من تميز بذات او بصحة بنية وهى نقيضة العجز والله سبحانه وتعالى لا يوصف
بالقوة الا على معنى القدرة فكيف صح قوله هو اشد منهم قوة وانما يصح اذا اريد بالقوة فى
الموضعين

الموضعين شئ واحد قلت القدرة فى الانسان هى صحة البنية والاعتدال والقوة الشدة
والصلابة فى البنية وحقيقتها زيادة القدرة فكما صح ان يقال الله اقدر منهم جاز ان يقال
اقوى منهم على معنى انه يقدر لذاته على ما لا يقدرون عليه بازدياد قدرهم وكانوا باياتنا يجحدون
كانوا يعرفون انها حق ولكنهم جحدوها كما يجحد المودع الوديعة وهو معطوف على فاستكبروا
اى كانوا فسقة كفرة فارسلنا عليهم ريحا صرصرا الصرصر العاصفة التى تصرصر اى تصوت
فى هبوبها وقيل الباردة التى تحرق بشدة بردها تكرير لبناء الصر وهو البرد الذى يصر
اى يجمع ويقبض فى ايام نحسات قرئ بكسر الحاء وسكونها ونحس نحسا نقيض سعد سعدا
وهو نحس واما نحس فاما مخفف نحس او صفة على فعل او وصف بالمصدر لنذيقهم عذاب
الخزى فى الحيوة الدنيا ولعذاب الاخرة اخزى وهم لا ينصرون وقرئ لتذيقهم على ان الاذاقة
للريح او للايام النحسات واضاف العذاب الى الخزى وهو الذل والاستكانة على انه وصف
للعذاب كانه قال عذاب خزى كما تقول فعل السوء تريد الفعل السيئ والدليل عليه قوله
عز وجل ولعذاب الاخرة اخزى وهو من الاسناد المجازى ووصف العذاب بالخزى
ابلغ من وصفهم به الا ترى الى البون بين قولك هو شاعر وله شعر شاعر واما ثمود قرئ بالرفع
والنصب منونا وغير منون والرفع افصح لوقوعه بعد حرف الابتداء وقرئ بضم الثاء
فهديناهم فدللناهم على طريقى الضلالة والرشد كقوله تعالى وهديناه النجدين فاستحبوا
العمى على الهدى فاختاروا الدخول فى الضلالة على الدخول فى الرشد فان قلت اليس
معنى قولك هديته حصلت فيه الهدى والدليل عليه قولك هديته فاهتدى بمعنى تحصيل
البغية وحصولها كما تقول ردعته فارتدع فكيف ساغ استعماله فى الدلالة المجردة قلت
للدلالة على انه مكنهم فازاح عللهم ولم يبق لهم عذرا ولا علة فكانه حصل البغية فيهم بتحصيل
ما يوجبها ويقتضيها فاخذتهم صاعقة العذاب داهية العذاب وقارعة العذاب الهون
الهوان وصف به العذاب مبالغة او ابدله منه ولو لم يكن فى القران حجة على القدرية الذين

هم مجوس هذه الامة بشهادة نبيها صلى الله عليه وسلم وكفى به شاهدا الا هذه لكفى به حجة بما كانوا
يكسبون ويحبنا الذين امنوا وكانوا يتقون ويوم يحشر اعداء الله الى النار قرئ يحشر على البناء
للمفعول ونحشر بالنون وضم الشين وكسرها ويحشر على البناء للفاعل اى يحشر الله عز وجل اعداء
الله الكفار من الاولين والاخرين فهم يوزعون يحبس اولهم على آخرهم اى يستوقف سوابقهم
حتى تلحق بهم تواليهم وهى عبارة عن كثرة اهل النار نسال الله تعالى ان يجيرنا منها بسعة رحمته
حتى اذا ما جاؤها وشهد عليهم سمعهم وابصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون وقالوا لجلودهم
لم شهدتم علينا قالوا انطقنا الله الذى انطق كل شىء وهو خلقكم اول مرة واليه ترجعون فان
قلت ما فى قوله حتى اذا ما جاؤها ما هى قلت مزيدة للتاكيد ومعنى التاكيد فيها
ان وقت مجيئهم النار لا محالة ان يكون وقت الشهادة عليهم ولا وجه لان يخلو منها ومثله قوله
اثم اذا ما وقع آمنتم به اى لا بد لوقت وقوعه من ان يكون وقت ايمانهم به وشهادة الجلود بالملامسة
الحرام وما اشبه ذلك مما يفضى اليها من المحرمات فان قلت كيف تشهد عليهم اعضاؤهم
وكيف تنطق قلت الله تعالى ينطقها كما انطق الشجرة بان يخلق فيها كلاما وقيل
المراد بالجلود الجوارح وقيل هى كناية عن الفروج واراد بكل شىء كل شىء من الحيوان كما
اراد به فى قوله والله على كل شىء قدير كل شىء من المقدورات والمعنى ان نطقنا ليس بعجيب
من قدرة الله الذى قدر على انطاق كل حيوان وعلى خلقكم وانشائكم اول مرة وعلى اعادتكم
ورجعكم الى جزائه وانما قالوا لهم لم شهدتم علينا لما تعاظمهم من شهادتها وكبر عليهم الافتضاح
على السنة جوارحهم وما كنتم تستترون ان يشهد عليكم سمعكم ولا ابصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم
ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون وذلكم ظنكم الذى ظننتم بربكم ارديكم فاصبحتم من الخاسرين المعنى
انكم كنتم تستترون بالحيطان والحجب عند ارتكاب الفواحش وما كان استتاركم ذلك خيفة
ان يشهد عليكم جوارحكم لانكم كنتم غير عالمين بشهادتها عليكم بل كنتم جاحدين بالبعث والجزاء
اصلا ولكنكم انما استترتم لظنكم ان الله لا يعلم كثيرا مما كنتم تعملون وهو الخفيات من اعمالكم وذلك
الظن

الظن هو الذى اهلككم وفى هذا تنبيه على ان من حق المؤمن ان لا يذهب عنه ولا يزل عن ذهنه
ان عليه من الله عينا كالئة ورقيبا مهيمنا حتى يكون فى اوقات خلواته من ربه اهيب واحسن
احتشاما واوفر تحفظا وتصونا منه مع الملاء ولا يتبسط فى سره مراقبة من التشبه بهؤلاء الظانين
وقرئ ولكن زعمتم وذلكم رفع بالابتداء وظنكم وارداكم خبران ويجوز ان يكون ظنكم بدلا من
ذلكم وارداكم الخبر فان يصبروا فالنار مثوى لهم فان يصبروا لم ينفعهم الصبر ولم ينفكوا به من
الثواء فى النار وان يستعتبوا فما هم من المعتبين وان يسالوا العتبى وهى الرجوع لهم الى ما
يحبون فجزعا مما هم فيه لم يعتبوا ولم يعطوا العتبى ولم يجابوا اليها ونحوه قوله عز وجل اجزعنا
ام صبرنا ما لنا من محيص وقرئ وان يستعتبوا فما هم من المعتبين اى ان سئلوا ان يرضوا
ربهم فما هم فاعلون اى لا سبيل لهم الى ذلك وقيضنا لهم وقدرنا لهم يعنى لمشركى مكة يقال هذان
ثوبان قيضان اذا كانا متكافئين والمقايضة المعاوضة قرناء اخدانا من الشياطين جمع قرين
كقوله ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين فان قلت كيف جاز ان يقيض
لهم القرناء من الشياطين وهو ينهاهم عن اتباع خطواتهم قلت معناه انه خذلهم ومنعهم التوفيق
لتصميمهم على الكفر فلم يبق لهم قرناء سوى الشياطين والدليل عليه ومن يعش نقيض فزينوا لهم ما بين
ايديهم وما خلفهم ما تقدم من اعمالهم وما هم عازمون عليها او ما بين ايديهم من امر الدنيا واتباع
الشهوات وما خلفهم من امر العاقبة وان لا بعث ولا حساب وحق عليهم القول يعنى كلمة العذاب
فى امم من الجن والانس فى جملة امم ومثل فى هذه ما فى قوله ان تك عن احسن الصنيعة مأفوكا ففى آخرين قد افكوا
يريد فانت فى جملة آخرين فانت فى عداد آخرين لست فى ذلك باوحد فان قلت فى امم
ما محله قلت محله النصب على الحال من الضمير فى عليهم اى حق عليهم القول كائنين فى
جملة امم انهم كانوا خاسرين تعليل لاستحقاقهم العذاب والضمير لهم وللامم وقال الذين كفروا
لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون والغوا فيه بفتح العين وضمها يقال لغا
يلغى ولغا يلغو واللغو الساقط من الكلام الذى لا طائل تحته قال من اللغا ورفث التكلم

والمعنى لا تسمعوا له اذا قرئ وتشاغلوا عند قراءته برفع الاصوات بالخرافات والهذيان والرطل
وما اشبه ذلك حتى تخلطوا على القارئ وتشوشوا عليه وتغلبوه على قراءته كانت قريش توصي
بذلك بعضهم بعضا فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا ولنجزينهم اسوأ الذي كانوا يعملون يجوز
ان يريد بالذين كفروا هؤلاء اللاغين والآمرين لهم باللغو خاصة وان يذكر الذين كفروا عامة
لينظروا تحت ذكرهم وقد ذكرنا اضافة اسوأ بما اغنى عن اعادته وعن ابن عباس رضي الله
عنهما عذابا شديدا يوم بدر واسوأ الذي كانوا يعملون في الآخرة ذلك جزاء اعداء الله النار ذلك
اشارة الى الاسوأ ويجب ان يكون التقدير اسوأ جزاء الذي كانوا يعملون حتى يستقيم هذه الاشارة
والنار عطف بيان للجزاء او خبر مبتدأ محذوف فان قلت ما معنى قوله لهم فيها دار الخلد
قلت معناه ان النار في نفسها دار الخلد كقوله لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة والمعنى
ان رسول الله اسوة حسنة ويقول لك في هذه الدار دار السرور وانت تعني الدار بعينها جزاء
بما كانوا بآياتنا يجحدون اي جزاء بما كانوا يلغون فيها فذكر الجحود الذي هو سبب اللغو وقال
الذين كفروا ربنا ارنا اللذين اضلانا اي الشيطانين اللذين اضلانا من الجن والانس
لان الشيطان على ضربين جني وانسي قال الله تعالى وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن
وقال الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس وقيل هما ابليس وقابيل لانهما
سنا الكفر والقتل بغير حق وقرئ ارنا بسكون الراء لثقل الكسرة كما قالوا في فخذ فخذ
وقيل معناه اعطنا اللذين اضلانا وحكوا عن الخليل انك اذا قلت ارني ثوبك بالكسر فالمعنى
بصرنيه واذا قلته بالسكون فهو استعطاء معناه اعطني ثوبك ونظيره استهار الاتيان في
معنى الاعطاء واصله الاحضار ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا ثم لتراخي الاستقامة
عن الاقرار في المرتبة وفضلها عليه لان الاستقامة لها الشان كله ونحوه قوله انما المؤمنون
الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا والمعنى ثم ثبتوا على الاقرار ومقتضياته وعن ابي بكر الصديق
رضي الله عنه استقاموا فعلا كما استقاموا قولا وعنه انه تلاها ثم قال ما تقولون فيها قالوا لم يذنبوا
قال

كذلك جعلنا صح

نجعلهما تحت اقدامنا ليكونا من الاسفلين

قال حملتم الامر على اشده قالوا فما نقول قال لم يرجعوا الى عبادة الاوثان وعن عمر رضي الله عنه استقاموا
على الطريقة لم يروغوا روغان الثعلب وعن عثمان رضي الله عنه اخلصوا العمل وعن علي رضي الله عنه
ادوا الفرائض وقال سفيان بن عبد الله الثقفي قلت يا رسول الله اخبرني بامر اعتصم به قال قل ربي
الله ثم استقم قال فقلت ما اخوف ما تخاف علي فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بلسان نفسه
فقال هذا تتنزل عليهم الملائكة عند الموت بالبشرى وقيل البشرى في ثلثة مواطن عند الموت وفي
القبر واذا قاموا من قبورهم ان لا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون ان
بمعنى اي او مخففة من الثقيلة واصله بانه لا تخافوا والهاء ضمير الشان وفي قراءة ابن مسعود
رضي الله عنه لا تخافوا اي يقولون لا تخافوا والخوف غم يلحق الانسان لتوقع المكروه والحزن غم
يلحقه لوقوعه من فوات نافع او حصول ضار والمعنى ان الله كتب لكم الامن من كل غم فلن
تذوقوه ابدا وقيل لا تخافوا ما تقدمون عليه ولا تحزنوا على ما خلفتم نحن اولياؤكم في الحيوة
الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهي انفسكم ولكم فيها ما تدعون نزلا من غفور رحيم كما ان الشياطين
قرناء العصاة واخوانهم فكذلك الملائكة اولياء المتقين واحباؤهم في الدارين تدعون تتمنون
والنزل رزق النزيل وهو الضيف وانتصابه على الحال ومن احسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا
وقال انني من المسلمين عن ابن عباس رضي الله عنهما هو رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا الى الاسلام
وعمل صالحا فيما بينه وبين ربه وجعل الاسلام نحلة له وعنه انهم اصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم وعن عائشة رضي الله عنها ما كنا نشك ان هذه الآية نزلت في المؤذنين وهي عامة في
كل من جمع بين هذه الثلث بان يكون موحدا معتقدا لدين الاسلام عاملا بالخير داعيا اليه
وما هم الا طبقة العالمين العاملين من اهل العدل والتوحيد الدعاة الى دين الله وقوله وقال
انني من المسلمين ليس الغرض انه تكلم بهذا الكلام ولكن جعل دين الاسلام مذهبه ومعتقده
كما تقول هذا قول ابي حنيفة تريد مذهبه ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي احسن
فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم وما يلقيها الا الذين صبروا وما يلقيها الا ذو حظ عظيم

يعني ان السيئة والحسنة متفاوتتان في انفسهما فخذ بالحسنة التي هي احسن من اختها
اذا اعترضتك حسنتان وادفع بها السيئة التي ترد عليك من بعض اعدائك ومثال ذلك
رجل اساء اليك اساءة فالحسنة ان تعفو عنه والتي هي احسن ان تحسن اليه مكان اساءته
اليك مثل ان يذمك فتمدحه ويقتل ولدك فتفتدي ولده من يد عدوه فانك اذا فعلت ذلك
انقلب عدوك المشاق مثل الولي الحميم مصافاة لك ثم قال وما يلقى هذه الخليقة او السجية
التي هي مقابلة الاساءة بالحسنة الا اهل الصبر والا رجل خير وفق لحظ عظيم من الخير فان قلت
فهلا قيل فادفع بالتي هي احسن قلت هو على تقدير قول قائل قال فكيف اصنع فقيل ادفع
بالتي هي احسن وقيل لا مزيدة والمعنى لا تستوي الحسنة والسيئة فان قلت فكان
القياس ان يقال ادفع بالتي هي حسنة قلت اجل ولكن وضع التي هي احسن موضع
الحسنة ليكون ابلغ في الدفع بالحسنة لان من دفع بالحسنى يهان عليه الدفع بما دونها وعن
ابن عباس رضي الله عنهما بالتي هي احسن الصبر عند الغضب والحلم عند الجهل والعفو
عند الاساءة وفسر الحظ بالثواب وعن الحسن والله ما عظم حظ دون الحسنة وقيل نزلت
في ابي سفيان بن حرب وكان عدوا مؤذيا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فصار وليا مصافيا
واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه هو السميع العليم النزغ والنسغ بمعنى
وهو شبه النخس والشيطان ينزغ الانسان كانه ينخسه يبعثه على ما لا ينبغي وجعل النزغ
نازغا كما قيل جد جده او اريد واما ينزغنك نازغ وصفا للشيطان بالمصدر او لتسويله
والمعنى وان صرفك الشيطان عما وصيت به من الدفع بالتي هي احسن فاستعذ بالله من
شره وامض على شانك ولا تطعه ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس
ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن ان كنتم اياه تعبدون الضمير في خلقهن لليل والنهار
والشمس والقمر لان حكم جماعة ما لا يعقل حكم الانثى او الاناث يقال الاقلام بريتها وبريتهن
او لما قال ومن آياته كن في معنى الاناث فقيل خلقهن فان قلت اين موضع السجدة قلت

عند

عند الشافعي رضي الله عنه تعبدون وهي رواية مسروق عن عبد الله لذكر لفظ السجدة قبلها
وعند ابي حنيفة رضي الله عنه يسامون لانها تمام المعنى وهي عن ابن عباس وابن عمر وسعيد بن المسيب
رضي الله عنهم لعل ناسا منهم كانوا يسجدون للشمس والقمر كالصابئين في عبادتهم الكواكب
ويزعمون انهم يقصدون بالسجود لهما السجود لله فنهوا عن هذه الواسطة وامروا ان
يقصدوا بسجودهم وجه الله خالصا ان كانوا اياه يعبدون وكانوا موحدين غير مشركين
فان استكبروا فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسامون فان لم يمتثلوا ما
امروا به وابوا الا الواسطة فدعهم وشانهم فان الله عز سلطانه لا يعدم عابدا وساجدا
بالاخلاص وله العباد المقربون الذين ينزهونه بالليل والنهار عن الانداد وقوله عند ربك
عبارة عن الزلفى والمكانة والكرامة وقرئ لا يسامون بكسر الياء ومن آياته انك ترى الارض
خاشعة فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت ان الذي احياها لمحيي الموتى انه على كل شيء
قدير الخشوع التذلل والتقاصر فاستعير لحال الارض اذا كانت قحطة لا نبات فيها
كما وصفها بالهمود في قوله وترى الارض هامدة وهو خلاف وصفها بالاهتزاز والربو وهو
الانتفاخ اذا اخصبت وتزخرفت بالنبات كانها بمنزلة المختال في زيه وهي قبل ذلك كالذليل
الكاسف البال في الاطمار الرثة وقرئ وربأت اي ارتفعت لان النبت اذا هم ان يظهر
ارتفعت له الارض ان الذين يلحدون في آياتنا لا يخفون عليها افمن يلقى في النار خير ام من ياتي
آمنا يوم القيامة اعملوا ما شئتم انه بما تعملون بصير يقال الحد الحافر ولحد اذا مال عن الاستقامة
فحفر في شق فاستعير للانحراف في تاويل آيات القرآن عن جهة الصحة والاستقامة وقرئ يلحدون
ويلحدون على اللغتين وقوله لا يخفون وعيد لهم على التحريف فان قلت بم اتصل قوله ان
الذين كفروا بالذكر لما جاءهم قلت هو بدل من قوله ان الذين يلحدون في آياتنا والذكر
القرآن لانهم لكفرهم به طعنوا فيه وحرفوا تاويله وانه لكتاب عزيز اي منيع محمي بحماية الله
لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه مثل كان الباطل لا يتطرق اليه ولا يجد اليه سبيلا

من جهة من الجهات حتى يصل اليه ويتعلق به **فان قلت** اما طعن فيه الطاعنون وتاوله المبطلون
قلت ولكن الله تعالى قد تقدم في حمايته عن تعلق الباطل به بان قيض قوما عارضوهم
بابطال تاويلهم وافساد اقاويلهم فلم يخلوا طعن طاعن الا ممحوقا ولا قول مبطل الا مضمحلا
ونحوه قوله انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون **تنزيل من حكيم حميد ما يقال لك الا ما قد قيل**
للرسل من قبلك اي ما يقول لك كفار قومك الا مثل ما قال للرسل كفار قومهم من الكلمات المؤذية
والمطاعن في الكتب المنزلة **ان ربك لذو مغفرة** ورحمة لانبيائه **وذو عقاب اليم** لاعدائهم ويجوز ان
يكون ما يقول لك الله الا مثل ما قال للرسل من قبلك والمقول هو قوله ان ربك لذو مغفرة
وذو عقاب اليم فمن حقه ان يرجوه اهل طاعته ويخافه اهل معصيته والغرض تخويف العصاة
ولو جعلناه قرانا اعجميا لقالوا لولا فصلت اياته ءاعجمي وعربي كانوا لتعنتهم يقولون هلا
نزل القران بلغة العجم فقيل لو كان كما يقترحون لم يتركوا الاعتراض والتعنت ولقالوا
لولا فصلت اياته اي بينت ولخصت بلسان نفقهه ءاعجمي وعربي الهمزة همزة الانكار يعني لانكروا
وقالوا اقران اعجمي ورسول عربي او ومرسل اليه عربي وقرئ اعجمي والاعجمي الذي لا يفصح
ولا يفهم كلامه من اي جنس كان والعجمي منسوب الى امة العجم وفي قراءة الحسن اعجمي بغير
همزة الاستفهام على الاخبار بان القران اعجمي والرسول او المرسل اليه عربي والمعنى ان ايات
الله على اي طريقة جاءتهم وجدوا فيها متعنتا لانهم غير طالبين للحق وانما يتبعون اهواءهم ويجوز
في قراءة الحسن هلا فصلت اياته تفصيلا فجعل بعضها بيانا للعجم وبعضها بيانا للعرب **فان قلت**
كيف يصح ان يراد بالعربي المرسل اليهم وهم امة العرب **قلت** هو على ما يجب ان يقع في انكار
المنكر لو راى كتابا عجميا كتب الى قوم من العرب يقولون اكتاب عجمي ومكتوب اليه عربي وذلك لان
مبنى الانكار على تنافر حالتي الكتاب والمكتوب اليه لا على ان المكتوب اليه واحد او جماعة
فوجب ان يجرد لما سيق له من الغرض ولا يوصل به ما يخيل غرضا اخر الا تراك تقول وقد
رايت لباسا طويلا على امراة قصيرة اللباس طويل واللابس قصير ولو قلت واللابسة قصيرة جئت بما
هو

هو لكنة وفضول قول لان الكلام لم يقع في ذكورة اللابس وانوثته انما وقع في غرض وراءهما
قل هو اي القران **للذين امنوا هدى وشفاء** ارشاد الى الحق وشفاء لما في الصدور من الظن
والشك **فان قلت** **والذين لا يؤمنون في اذانهم وقر** منقطع عن ذكر القران فما وجه اتصاله
به **قلت** لا يخلو اما ان يكون الذين لا يؤمنون في موضع الجر معطوفا على قوله للذين
امنوا على معنى قولك هو للذين امنوا هدى وهو للذين لا يؤمنون في اذانهم وقر الا ان فيه
عطفا على عاملين وان كان الاخفش يجيزه واما ان يكون مرفوعا على تقدير والذين لا يؤمنون
هو في اذانهم وقر على حذف المبتدا او في اذانهم منه وقر وقرئ **وهو عليهم عمى** وعم كقوله
تعالى فعميت عليكم انلزمكموها **اولئك ينادون من مكان بعيد** يعني انهم لا يقبلونه ولا يرعونه
اسماعهم فمثلهم في ذلك مثل من يصيح به من مسافة شاطة لا يسمع من مثلها الصوت فلا يسمع
النداء **ولقد اتينا موسى الكتاب فاختلف فيه** فقال بعضهم هو حق وقال بعضهم هو باطل
ولولا كلمة سبقت من ربك الكلمة السابقة هي العدة بالقيامة وان الخصومات تفصل في
ذلك اليوم ولولا ذلك **لقضي بينهم** في الدنيا قال الله تعالى بل الساعة موعدهم ولكن نؤخرهم
الى اجل مسمى **وانهم لفي شك منه مريب من عمل صالحا فلنفسه** فنفسه نفع **ومن اساء فعليها**
فنفسه ضر **وما ربك بظلام للعبيد** فيعذب غير المسيء **اليه يرد علم الساعة** اي اذا سئل عنها قيل
الله يعلم او لا يعلمها الا الله **وما تخرج من ثمرات من اكمامها وما تحمل من انثى ولا تضع الا**
بعلمه وقرئ من ثمرات من اكمامهن والكم بكسر الكاف وعاء الثمرة كجف الطلعة اي وما
يحدث شيء من خروج الثمرة ولا حمل حامل ولا وضع واضع الا وهو عالم به يعلم عدد ايام
الحمل وساعاته واحواله من الخداج والتمام والذكورة والانوثة والحسن والقبح وغير
ذلك **ويوم يناديهم اين شركائي** اضافهم اليه على زعمهم وبيانه في قوله اين شركائي الذين زعمتم
وفيه تهكم وتقريع **قالوا اذناك** اعلمناك **ما منا من شهيد** اي ما منا احد اليوم وقد ابصرنا و
سمعنا يشهد بانهم شركاؤك وما منا الا من هو موحد لك او ما منا من احدهم يشاهدهم لانهم

وضل عنهم ما كانوا يدعون من قبل صح

ضلوا عنهم وضلت عنهم آلهتهم لا يبصرونها في ساعة التوبيخ وقيل هو كلام الشركاء اي ما منا
من شهيد يشهد بما اضافوا الينا من الشركة ومعنى ضلالهم عنهم على هذا التفسير انهم لا ينفعونهم
فكانهم ضلوا عنهم وظنوا وايقنوا ما لهم من محيص مهرب فان قلت آذناك اخبار بايذان
كان منهم فاذ قد آذنوا فلم سئلوا قلت يجوز ان يعاد عليهم ابن شركائي اعادة للتوبيخ
واعادته في القرآن على سبيل الحكاية دليل على اعادة المحكي ويجوز ان يكون المعنى انك
علمت من قلوبنا وعقائدنا الآن انا لا نشهد تلك الشهادة الباطلة لانه اذا علمه من نفوسهم
فكانهم اعلموه ويجوز ان يكون انشاء للايذان ولا يكون اخبارا بايذان قد كان كما تقول
اعلم الملك انه كان من الامر كيت وكيت لا يسأم الانسان من دعاء الخير من طلب السعة
في المال والنعمة وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه من دعاء بالخير وان مسه الشر اي الضيقة
والفقر فيؤس قنوط بولغ فيه من طريقين من طريق بناء فعول ومن طريق التكرير والقنوط
ان يظهر عليه اثر اليأس فيتضاءل وينكسر اي يقطع الرجاء من فضل الله وروحه وهذه
صفة الكافر بدليل قوله تعالى انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون ولئن اذقناه
رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لي اي هذا حقي وصل الي لاني استوجبته بما
عندي من فضل وخير واعمال بر او هذا لي لا يزول عني ونحوه قوله فاذا جاءتهم الحسنة
قالوا لنا هذه وما اظن الساعة قائمة ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى نحو قوله
وما اظن الساعة قائمة ان نظن الا ظنا وما نحن بمستيقنين يريد وما اظنها تكون فان
كانت على طريق التوهم ان لي عند الله الحالة الحسنى من الكرامة والنعمة قايسا امر
الآخرة على امر الدنيا وعن بعضهم للكافر امنيتان تقول في الدنيا ولئن رجعت الى ربي
ان لي عنده للحسنى وتقول في الآخرة يا ليتني كنت ترابا وقيل نزلت في الوليد بن المغيرة
فلننبئن الذين كفروا بما عملوا ولنذيقنهم من عذاب غليظ فلنخبرنهم بحقيقة ما عملوا من
الاعمال الموجبة للعذاب ولنبصرنهم عكس ما اعتقدوا فيها انهم يستوجبون عليها كرامة
وقربة

وقربة عند الله وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا وذلك انهم كانوا ينفقون اموالهم
رياء الناس وطلبا للافتخار والاستكبار لا غير وكانوا يحسبون ان ما هم عليه سبب الغنى و
الصحة وانهم محقوقون بذلك واذا انعمنا على الانسان اعرض ونأى بجانبه واذا مسه
الشر فذو دعاء عريض هذا ايضا ضرب آخر من طغيان الانسان اذا اصابه الله بنعمة ابطرته
النعمة وكانه لم يلق بؤسا قط فنسي المنعم واعرض عن شكره ونأى بجانبه اي ذهب بنفسه وتكبر
وتعظم وان مسه الضر والفقر اقبل على دوام الدعاء واخذ في الابتهال والتضرع وقد استعير
العرض لكثرة الدعاء ودوامه وهو من صفة الاجرام ويستعار له الطول ايضا كما يستعار
الغلظ لشدة العذاب وقرئ ونأى بجانبه بامالة الالف وكسر النون للاتباع ونأى بجانبه على
القلب كما قالوا راء في رأى فان قلت حقق لي معنى قوله ونأى بجانبه قلت فيه
وجهان ان يوضع جانبه موضع نفسه كما ذكرنا في قوله تعالى على ما فرطت في جنب الله ان مكان
الشيء وجهته ينزل منزلة الشيء نفسه ومنه قوله ونفيت عنه مقام الذئب يريد ونفيت عنه
الذئب ومنه قوله ولمن خاف مقام ربه ومنه قول الكتاب حضرة فلان ومجلسه وكتبت الى جهته
والى جانبه العزيز يريدون نفسه وذاته فكانه قال ونأى بنفسه كقولهم في المتكبر ذهب بنفسه وذهبت
به الخيلاء كل مذهب وعصفت به الخيلاء وان يراد بجانبه عطفه وان يكون عبارة عن الانحراف
والازورار كما قالوا ثنى عطفه وتولى بركنه قل ارأيتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به من اضل
ارأيتم اخبروني ان كان القرآن من عند الله يعني ان ما انتم عليه من انكار القرآن وتكذيبه
ليس بامر صادر عن حجة قاطعة حصلتم منها على اليقين وثلج الصدور وانما هو قبل النظر
واتباع الدليل امر محتمل يجوز ان يكون من عند الله وان لا يكون من عنده وانتم لم تنظروا ولم
تفحصوا فما انكرتم ان يكون حقا وقد كفرتم به فاخبروني من اضل منكم وانتم ابعدتم الشوط
في مشاقته ومناصبته ولعله حق فاهلكتم انفسكم وقوله ممن هو في شقاق بعيد موضوع موضع
منكم بيانا لحالهم وصفتهم سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق يعني

يسر الله عز وجل لرسوله صلى الله عليه وسلم وللخلفاء من بعده وأنصار دينه في آفاق الدنيا
وبلاد المشرق والمغرب عموما وفي باحة العرب خصوصا من الفتوح التي لم تتيسر أمثالها
لأحد من خلفاء الأرض قبلهم ومن الإظهار على الجبابرة والأكاسرة وتغليب قليلهم على كثيرهم
وتسليط ضعافهم على أقويائهم وإجرائه على أيديهم أمورا خارجة من المعهود خارقة
للعادات ونشر دعوة الإسلام في أقطار المعمورة وبسط دولته في أقاصيها والاستقراء
يطلعك في التواريخ والكتب المدونة في مشاهد أهله وأيامهم على عجائب لا ترى وقعة من
وقعاتهم إلا علما من أعلام الله وآية من آياته يقوى معها اليقين ويزداد بها الإيمان
ويتبين أن دين الإسلام هو دين الحق الذي لا يحيد عنه إلا مكابر حسه مغالط
نفسه وما الثبات والاستقامة إلا صفة الصدق والحق كما أن الاضطراب والتزلزل
صفة الفرية والزور وأن للباطل ريحا تخفق ثم تسكن ودولة تظهر ثم تضمحل أولم يكف
بربك أنه على كل شيء شهيد بربك في موضع الرفع على أنه فاعل كفى وأنه على كل شيء شهيد
بدل منه تقديره أولم يكفهم أن ربك على كل شيء شهيد ومعناه أن هذا الموعود من إظهار
آيات الله في الآفاق وفي أنفسهم سيرونه ويشاهدونه فيتبينون عند ذلك أن القرآن
تنزيل عالم الغيب الذي هو على كل شيء شهيد أي مطلع مهيمن يستوي عنده غيبه
وشهادته فيكفيهم ذلك دليلا على أنه حق وأنه من عنده ولو لم يكن كذلك لما قوي هذه
القوة ولما نصر حاملوه هذه النصرة ألا إنهم في مرية من لقاء ربهم وقرئ في مرية بالضم
وهي الشك ألا إنه بكل شيء محيط عالم بجمل الأشياء وتفاصيلها وظواهرها وبواطنها
فلا تخفى عليه خافية منهم وهو مجازيهم على كفرهم ومريتهم في لقاء ربهم عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم من قرأ سورة السجدة أعطاه الله بكل حرف عشر حسنات

سورة عسق مكية وتسمى سورة الشورى وهي ثلاث وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم حم عسق قرأ ابن عباس وابن مسعود
رضي الله عنهم

عنهم حم سق كذلك يوحي إليك وإلى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم له ما في السماوات وما في الأرض
وهو العلي العظيم أي مثل ذلك الوحي أو مثل ذلك الكتاب يوحي إليك وإلى الرسل من قبلك
الله يعني أن ما تضمنته هذه السورة من المعاني قد أوحى الله إليك مثله في غيرها من السور و
أوحاه إلى من قبلك يعني إلى رسله على معنى أن الله كرر هذه المعاني في القرآن وفي جميع الكتب
السماوية لما فيها من التنبيه البليغ واللطف العظيم لعباده من الأولين والآخرين ولم يقل أوحى
إليك ولكن على لفظ المضارع ليدل على أن إيحاء مثله عادته وقرئ يوحى إليك على البناء للمفعول
فإن قلت فما رافع اسم الله على هذه القراءة قلت ما دل عليه يوحى كأن قائلا قال من
الموحي فقيل الله كقراءة السلمي وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم على
البناء للمفعول ورفع شركاؤهم على معنى زينه لهم شركاؤهم فإن قلت فما رافعه فيمن قرأ
نوحي بالنون قلت هو مرفوع بالابتداء والعزيز وما بعده أخبار أو العزيز والحكيم صفتان
وله ما في السماوات والظرف خبر تكاد السماوات يتفطرن من فوقهن والملائكة يسبحون بحمد ربهم
ويستغفرون لمن في الأرض ألا إن الله هو الغفور الرحيم قرئ تكاد بالتاء والياء وينفطرن
ويتفطرن وروى يونس عن أبي عمرو قراءة غريبة تتفطرن بتاءين مع النون ونظيرها حرف
نادر روي في نوادر ابن الأعرابي الإبل تتشممن ومعناه يكدن ينفطرن من علو شأن الله وعظمته
يدل عليه مجيئه بعد العلي العظيم وقيل من دعائهم له ولدا كقوله تكاد السماوات يتفطرن
منه فإن قلت لم قال من فوقهن قلت لأن أعظم الآيات وأدلها على الجلال والعظمة
فوق السماوات وهي العرش والكرسي وصفوف الملائكة المرتجة بالتسبيح والتقديس حول
العرش وما لا يعلم كنهه إلا الله من آثار ملكوته العظمى فلذلك قال يتفطرن من فوقهن أي
يبتدئ الانفطار من جهتهن الفوقانية أو لأن كلمة الكفر جاءت من الذين تحت السماوات فكان
القياس أن يقال يتفطرن من تحتهن من الجهة التي جاءت منها الكلمة ولكنه بولغ في ذلك فجعلت مؤثرة
في جهة الفوق كأنه قيل يكدن ينفطرن من الجهة التي فوقهن دع الجهة التي تحتهن ونظيره

في المبالغة قوله عز وعلا يصب من فوق رؤوسهم الحميم يصهر به ما في بطونهم فجعل الحميم مؤثرا
في اجزائهم الباطنة وقيل من فوقهن من فوق الارضين فان قلت كيف صح ان يستغفروا
لمن في الارض وفيهم الكفار اعداء الله تعالى وقد قال الله تعالى اولئك عليهم لعنة الله والملائكة
فكيف يكونون لاعنين مستغفرين لهم قلت قوله لمن في الارض يدل على جنس اهل
الارض وهذه الجنسية قائمة في كلهم وفي بعضهم فيجوز ان يراد به هذا وهذا وقد دل الدليل
على ان الملائكة لا تستغفر الا لاولياء الله وهم المؤمنون فما اراد الله الا اياهم الا ترى الى
قوله في سورة المؤمن ويستغفرون للذين امنوا وحكايته عنهم فاغفر للذين تابوا واتبعوا
سبيلك كيف وصفوا المستغفر لهم بما يستوجب به الاستغفار فما تركوا للذين لم يتوبوا من
المصدقين طمعا في استغفارهم فكيف للكفرة ويحتمل ان يقصدوا بالاستغفار طلب الحلم
والغفران في قوله ان الله يمسك السماوات والارض ان تزولا الى ان قال انه كان حليما
غفورا وقوله وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم والمراد الحلم عنهم وان لا يعاجلهم بالانتقام
فيكون عاما فان قلت قد فسرت قوله تكاد السماوات يتفطرن بتفطرهن فما وجه طباق
ما بعده لما قبله قلت اما على احدهما فكانه قيل تكاد السماوات يتفطرن هيبة من جلاله
واحتشاما من كبريائه والملائكة الذين هم ملء السبع الطباق وحافون حول العرش صفوفا
بعد صفوف يداومون خضوعا لعظمته على عبادته وتسبيحه وتحميده ويستغفرون لمن في الارض
خوفا عليهم من سطواته واما على الثاني فكانه قيل يكدن يتفطرن من اقدام اهل الشرك
على تلك الكلمة الشنعاء والملائكة يوحدون الله وينزهونه عما لا يجوز عليه من الصفات
التي يضيفها اليه الجاهلون به حامدين له على ما اولاهم من الطافه التي علم انهم عندها
يستعصمون مختارين غير ملجئين ويستغفرون لمؤمني اهل الارض الذين تبرؤوا من تلك الكلمة
ومن اهلها او يطلبون الى ربهم ان يحلم عن اهل الارض ولا يعاجلهم بالعقاب مع وجود ذلك
فيهم لما عرفوا في ذلك من المصالح وحرصا على نجاة الخلق وطمعا في توبة الكفار والفساق
منه

منهم والذين اتخذوا من دونه اولياء جعلوا له شركاء وانداداً الله حفيظ عليهم رقيب
على احوالهم واعمالهم لا يفوته منها شيء وهو محاسبهم عليها ومعاقبهم لا رقيب عليهم الا هو
وحده وما انت يا محمد عليهم بوكيل بموكل بهم ولا مفوض اليك امرهم ولا قسرهم على الايمان انما
انت منذر فحسب ومثل ذلك اوحينا اليك وذلك اشارة الى معنى الاية التي قبلها من ان الله
هو الرقيب عليهم وما انت برقيب عليهم ولكن نذير لهم لان هذا المعنى كرره الله في كتابه في مواضع
جمة فالكاف مفعول به لاوحينا قرانا عربيا حال من المفعول به اي اوحيناه اليك وهو قرآن
عربي بين لا لبس فيه عليك لتفهم ما يقال لك ولا تتجاوز حد الانذار ويجوز ان يكون ذلك اشارة
الى مصدر اوحينا اي ومثل ذلك الايحاء البين المفهم اوحينا اليك قرانا عربيا بلسانك لتنذر
ام القرى يقال انذرته كذا وانذرته بكذا وقد عدي الاول اعني لتنذر ام القرى الى المفعول
الاول والثاني وهو قوله وتنذر يوم الجمع الى المفعول الثاني ام القرى اهل ام القرى كقوله واسأل
القرية ومن حولها من العرب وقرئ لينذر بالياء والفعل للقرآن وتنذر يوم الجمع يوم القيامة
لان الخلائق تجمع فيه قال الله تعالى يوم يجمعكم ليوم الجمع وقيل يجمع بين الارواح والاجساد
وقيل يجمع بين كل عامل وعمله لا ريب فيه اعتراض لا محل له فريق في الجنة وفريق في السعير
قرئ فريق وفريقا بالرفع والنصب فالرفع على منهم فريق ومنهم فريق والضمير للمجموعين لان
المعنى يوم جمع الخلائق والنصب على الحال منهم اي متفرقين كقوله تعالى ويوم تقوم الساعة يومئذ
يتفرقون فان قلت كيف يكونون مجموعين متفرقين في حالة واحدة قلت هم مجموعون
في ذلك اليوم مع افتراقهم في داري البؤس والنعيم كما يجتمع الناس يوم الجمعة متفرقين في مسجدين
وان اريد بجمعهم جمعهم في الموقف فالتفرق على معنى مشارفتهم للتفرق ولو شاء الله لجعلهم امة
واحدة ولكن يدخل من يشاء في رحمته والظالمون ما لهم من ولي ولا نصير لجعلهم امة واحدة اي
مؤمنين كلهم على القسر والاكراه كقوله ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها وقوله ولو شاء ربك
لآمن من في الارض كلهم جميعا والدليل على ان المعنى هو الالجاء الى الايمان قوله

أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين وقوله أفأنت تكره بادخال همزة الانكار على المكره دون فعله
دليل على ان الله وحده هو القادر على هذا الاكراه دون غيره والمعنى ولو شاء ربك مشيئة قدرة
لقسرهم جميعا على الايمان ولكنه شاء مشيئة حكمة فكلفهم وبنى امرهم على ما يختارون ليدخل المؤمنين
في رحمته وهم المرادون بمن يشاء ألا ترى الى وضعهم في مقابلة الظالمين ويترك الظالمين بغير ولي
ولا نصير في عذابه أم اتخذوا من دونه اولياء فالله هو الولي هو الذي يجب ان يتولى وحده ويعتقد
انه المولى والسيد والفاء في قوله فالله هو الولي جواب شرط مقدر كأنه قيل بعد انكار كل
ولي سواه ان ارادوا وليا بحق فالله هو الولي بالحق لا ولي سواه وهو يحيي اي ومن شأن هذا
الولي انه يحيي الموتى وهو على كل شيء قدير فهو الحقيق بان يتخذ وليا دون من لا يقدر على شيء وما
اختلفتم فيه من شيء فحكمه الى الله حكاية قول رسول الله صلى الله عليه وسلم للمؤمنين اي ما خالفكم فيه
الكفار من اهل الكتاب والمشركين فاختلفتم انتم وهم فيه من امر من امور الدين فحكم ذلك
المختلف فيه مفوض الى الله وهو اثابة المحقين فيه من المؤمنين ومعاقبة المبطلين ذلكم الله
الحاكم بينكم هو ربي عليه توكلت في رد كيد اعداء الدين واليه انيب ارجع في كفاية شرهم وقيل
وما اختلفتم فيه وتنازعتم من شيء من الخصومات فتحاكموا فيه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولا تؤثروا على حكومته حكومة غيره كقوله فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول وقيل
وما اختلفتم فيه من تأويل آية واشتبه عليكم فارجعوا في بيانه الى المحكم من كتاب الله تعالى
والظاهر من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل وما وقع بينكم الخلاف فيه من العلوم
التي لا تتصل بتكليفكم ولا طريق لكم الى علمه فقولوا الله اعلم كمعرفة الروح قال الله تعالى ويسألونك
عن الروح قل الروح من امر ربي فان قلت هل يجوز حمله على اختلاف المجتهدين في احكام
الشريعة قلت لا لان الاجتهاد لا يجوز بحضرة الرسول صلى الله عليه وسلم فاطر السماوات والارض
قرئ بالرفع والجر فالرفع على انه احد اخبار ذلكم او خبر مبتدأ محذوف والجر على فحكمه الى الله
فاطر السماوات وذلكم الى انيب اعتراض بين الصفة والموصوف جعل لكم من انفسكم خلق لكم
من

من جنسكم من الناس ازواجا ومن الانعام ازواجا ومعناه وخلق للانعام ايضا من انفسها ازواجا
يذرؤكم يكثركم يقال ذرأ الله الخلق بثهم وكثرهم والذر والذرو والذرء اخوات فيه في
هذا التدبير وهو ان جعل الناس والانعام ازواجا حتى كان بين ذكورهم واناثهم التوالد و
التناسل والضمير في يذرؤكم يرجع الى المخاطبين والانعام مغلبا فيه المخاطبون العقلاء على الغيب
مما لا يعقل وهي من الاحكام ذات العلتين فان قلت ما معنى يذرؤكم في هذا التدبير وهلا
قيل يذرؤكم به قلت جعل هذا التدبير كالمنبع والمعدن للبث والتكثير ألا تراك تقول للحيوان
في خلق الازواج تكثير كما قال تعالى ولكم في القصاص حيوة ليس كمثله شيء وهو السميع البصير قالوا
مثلك لا يبخل فنفوا البخل عن مثله وهم يريدون نفيه عن ذاته قصدوا المبالغة في ذلك فسلكوا
به طريق الكناية لانهم اذا نفوه عمن يسد مسده وعمن هو على اخص اوصافه فقد نفوه عنه
ونظيره قولك للعربي العرب لا تخفر الذمم كان ابلغ من قولك انت لا تخفر ومنه قولهم قد ايفعت
لداته وبلغت اترابه يريدون ايفاعه وبلوغه وفي حديث رقيقة بنت صيفي في سقيا عبد المطلب
ألا وفيهم الطيب الطاهر لداته والقصد الى طهارته وطيبه فاذا علم انه من باب الكناية فلم
يقع فرق بين قوله ليس كالله شيء وبين قوله ليس كمثله شيء الا ما تعطيه الكناية من فائدتها
وكأنهما عبارتان معتقبتان على معنى واحد وهو نفي المماثلة عن ذاته ونحوه قوله عز وجل بل
يداه مبسوطتان فان معناه بل هو جواد من غير تصور يد ولا بسط لها لانها وقعت عبارة
عن الجود لا يقصدون شيئا آخر حتى انهم استعملوها فيمن لا يد له فكذلك استعمل هذا
فيمن له مثل ومن لا مثل له ولك ان تزعم ان كلمة التشبيه كررت للتأكيد كما كررها
من قال وصاليات ككما يؤثفين ومن قال فاصبحت مثل كعصف مأكول
له مقاليد السماوات والارض يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر وقرئ ويقدر انه بكل شيء
عليم فاذا علم ان الغنى خير للعبد اغناه والا افقره شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا
والذي اوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى شرع لكم من الدين دين نوح ومحمد

ومن بينهما من الانبياء عليهم السلام ثم فسر المشروع الذي اشترك هؤلاء الاعلام من رسله فيه بقوله
أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه والمراد اقامة دين الاسلام الذي هو توحيد الله وطاعته والايمان
برسله وكتبه وبيوم الجزاء وسائر ما يكون الرجل باقامته مسلما ولم يرد الشرائع التي هي مصالح الامم
على حسب احوالها فانها مختلفة متفاوتة قال الله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ومحل ان
أقيموا اما نصب بدل من مفعول شرع والمعطوفين عليه واما رفع على الاستئناف كانه قيل وما
ذلك المشروع فقيل هو اقامة الدين ونحوه قوله تعالى ان هذه امتكم امة واحدة كبر على المشركين
عظم عليهم وشق عليهم ما تدعوهم اليه من اقامة دين الله والتوحيد الله يجتبي اليه يجتلب اليه
ويجمع والضمير للدين بالتوفيق والتسديد من يشاء من ينفع فيهم توفيقه ويجري عليهم لطفه و
يهدي اليه من ينيب وما تفرقوا يعني اهل الكتاب بعد انبيائهم الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا
بينهم الا بعد ان علموا ان الفرقة ضلال وفساد وامر متوعد عليه على السنة الانبياء ولولا كلمة
سبقت من ربك وهي عدة التاخير الى يوم القيامة لقضي بينهم حين تفرقوا لعظم ما اقترفوا وان الى اجل مسمى
الذين اورثوا الكتاب من بعدهم وهم اهل الكتاب الذين كانوا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
لفي شك منه مريب لفي شك من كتابهم لا يؤمنون به حق الايمان وقيل كان الناس امة واحدة مؤمنين
بعد ان اهلك الله اهل الارض اجمعين بالطوفان فلما مات الاباء اختلف الابناء فيما بينهم وذلك
حين بعث الله اليهم النبيين مبشرين ومنذرين وجاءهم العلم وانما اختلفوا للبغي بينهم وقيل
وما تفرق اهل الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم بمبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم كقوله وما
تفرق الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة وان الذين اورثوا الكتاب من بعدهم
هم المشركون اوتوا القرآن من بعد ما اوتي اهل الكتاب التورية والانجيل وقرئ ورثوا
وورثوا فلذلك فلاجل ذلك التفرق ولما حدث بسببه من تشعب الكفر شعبا فادع الى
الائتلاف والاتفاق على الملة الحنيفية القديمة واستقم عليها وعلى الدعوة اليها كما امرت
كما امرك الله ولا تتبع اهواءهم المختلفة الباطلة وقل آمنت بما انزل الله من كتاب باي كتاب صح
ان

ان الله انزله يعني الايمان بجميع الكتب المنزلة لان المتفرقين آمنوا ببعض وكفروا ببعض كقوله
ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض الى قوله اولئك هم الكافرون حقا وامرت لاعدل بينكم في الحكم
اذا تخاصمتم فتحاكمتم الي الله ربنا وربكم لنا اعمالنا ولكم اعمالكم لا حجة بيننا وبينكم اي لا خصومة
لان الحق قد ظهر وصرتم محجوجين به فلا حاجة الى المحاجة ومعناه لا ايراد حجة بيننا لان المتحاجين
يورد هذا حجته وهذا حجته الله يجمع بيننا يوم القيامة فيفصل بيننا وينتقم لنا منكم وهذه محاجزة
ومتاركة بعد ظهور الحق وقيام الحجة والالزام فان قلت كيف حوجزوا وقد فعل بهم بعد ذلك اي مما نعه
ما فعل من القتل وتخريب البيوت وقطع النخيل والاجلاء قلت المراد محاجزتهم في مواقف
المقاولة لا المقاتلة واليه المصير والذين يحاجون في الله يخاصمون في دينه من بعد ما استجيب
له من بعد ما استجاب له الناس ودخلوا في الاسلام ليردوهم الى دين الجاهلية كقوله ود كثير
من اهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا كان اليهود والنصارى يقولون للمؤمنين كتابنا
قبل كتابكم ونبينا قبل نبيكم ونحن خير منكم واولى بالحق وقيل من بعد ما استجاب الله لرسوله
ونصره يوم بدر واظهر دين الاسلام حجتهم داحضة باطلة زالة عند ربهم وعليهم غضب ولهم عذاب
شديد الله الذي انزل الكتاب اي جنس الكتاب بالحق والعدل والتسوية ومعنى انزال
العدل انه انزله في كتبه المنزلة وقيل الذي يوزن به والميزان ملتبسا بالحق مقترنا به بعيدا من
الباطل او بالغرض الصحيح كما اقتضته الحكمة او بالواجب من التحليل والتحريم وغير ذلك وما
يدريك لعل الساعة في تاويل البعث فلذلك قيل قريب او لعل مجيء الساعة قريب فان قلت
كيف توفق ذكر اقتراب الساعة مع انزال الكتاب والميزان قلت لان الساعة يوم
الحساب ووضع الموازين القسط فكانه قيل امركم الله بالعدل والتسوية والعمل بالشرائع قبل
ان يفاجئكم اليوم الذي يحاسبكم فيه ويزن اعمالكم ويوفي لمن اوفى ويطفف لمن طفف
يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون منها ويعلمون انها الحق الا ان
اي يحذرون
الذين يمارون في الساعة المماراة الملاجة لان كل واحد منهما يمري ما عند صاحبه لفي ضلال

بعيد من الحق لان قيام الساعة غير مستبعد من قدرة الله ولدلالة كلام المعجز على انها
آتية لا ريب فيها ولشهادة العقول على انه لا بد من دار جزاء الله لطيف بعباده بر بليغ البر
بهم قد توصل بره الى جميعهم وتوصل من كل واحد منهم الى حيث لا يبلغه وهم احد من
كلياته وجزئياته فان قلت فما معنى قوله يرزق من يشاء بعد توصل بره الى جميعهم
قلت كلهم مبرورون لا يخلو احد من بره الا ان البر اصناف وله اوصاف والقسمة
بين العباد تتفاوت على حسب تفاوت قضايا الحكمة والتدبير فيطير لبعض العباد صنف من
البر لم يطر مثله لآخر ويصيب هذا حظ له وصف ليس ذلك الوصف لحظ صاحبه فمن
قسم له ما لم يقسم للآخر فقد رزقه وهو الذي اراد بقوله يرزق من يشاء كما يرزق احد
الاخوين ولدا دون الآخر على انه اصابه بنعمة اخرى لم يرزقها صاحب الولد وهو القوي
الباهر القدرة الغالب على كل شيء العزيز المنيع الذي لا يغلب من كان يريد حرث الآخرة
نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب سمي ما يعمله
العامل مما يبتغى به الفائدة والزكاء حرثا على المجاز وفرق بين عملي العاملين بان من عمل للآخرة
وفق في عمله وضوعفت حسناته ومن كان عمله للدنيا اعطي شيئا منها لا ما يريده ويبتغيه
وهو رزقه الذي قسم له وفرغ منه وما له نصيب قط في الآخرة ولم يذكر في معنى عامل الآخرة
وله في الدنيا نصيب على ان رزقه المقسوم له واصل اليه لا محالة للاستهانة بذلك الى جنب ما
هو بصدده من زكاء عمله وفوزه في المآب ام لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله
معنى الهمزة في ام التقرير والتقريع وشركاؤهم شياطينهم الذين زينوا لهم الشرك وانكار البعث
والعمل للدنيا لانهم لا يعلمون غيرها وهو الدين الذي شرعت لهم الشياطين وتعالى الله عن الاذن
والامر به وقيل شركاؤهم اوثانهم وانما اضيفت اليهم لانهم متخذوها شركاء لله فتارة تضاف
اليهم لهذه الملابسة وتارة الى الله ولما كانت سببا لضلالتهم وافتتانهم جعلت شارعة لدين
الكفر كما قال ابرهيم انهن اضللن كثيرا من الناس ولولا كلمة الفصل اي القضاء السابق

بتأجيل الجزاء او ولولا العدة بان الفصل يكون يوم القيمة لقضي بينهم اي بين الكافرين و
المؤمنين او بين المشركين وشركائهم وان الظالمين لهم عذاب اليم وقرأ مسلم بن جندب
وان الظالمين بالفتح عطفا له على كلمة الفصل يعني ولولا كلمة الفصل وتقدير تعذيب الظالمين
في الآخرة لقضي بينهم في الدنيا ترى الظالمين في الآخرة مشفقين خائفين خوفا شديدا ازف قلوبهم
مما كسبوا من السيئات وهو واقع بهم يريد ووباله واقع بهم وواصل اليهم لا بد لهم منه اشفقوا او
لم يشفقوا والذين آمنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات كان روضة جنة المؤمن
اطيب بقعة فيها وانزهها لهم ما يشاؤن عند ربهم ذلك هو الفضل الكبير عند ربهم منصوب بالظرف
لا بيشاؤن ذلك الذي يبشر عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات قرئ يبشر من بشره ويبشر من ابشره
ويبشر من بشره والاصل ذلك الثواب الذي يبشر الله به عباده فحذف الجار كقوله واختار موسى
قومه ثم حذف الراجع الى الموصول كقوله اهذا الذي بعث الله رسولا او ذلك التبشير الذي يبشره
الله عباده قل لا اسألكم عليه اجرا روي انه اجتمع المشركون في مجمع لهم فقال بعضهم لبعض اترون
محمدا يسأل على ما يتعاطاه اجرا فنزلت الآية الا المودة في القربى يجوز ان يكون استثناء متصلا
اي لا اسألكم اجرا الا هذا وهو ان تودوا اهل قرابتي ولم يكن هذا اجرا في الحقيقة لان قرابته
قرابتهم فكانت صلتهم لازمة لهم في المروة ويجوز ان يكون منقطعا اي لا اسألكم اجرا قط ولكني
اسألكم ان تودوا قرابتي الذين هم قرابتكم ولا تؤذوهم فان قلت هلا قيل الا القربى او
الا المودة للقربى وما معنى قوله الا المودة في القربى قلت جعلوا مكانا للمودة ومقرا
لها كقولك لي في آل فلان مودة ولي فيهم هوى وحب شديد تريد احبهم وهم مكان حبي
ومحله وليست في بصلة للمودة كاللام اذا قلت الا المودة للقربى انما هي متعلقة بمحذوف تعلق
الظرف به في قولك المال في الكيس وتقديره الا المودة ثابتة في القربى ومتمكنة فيها والقربى
مصدر كالزلفى والبشرى بمعنى القرابة والمراد في اهل القربى وروي انها لما نزلت قيل
يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم قال علي وفاطمة وابناهما ويدل

عليه ما روى عن علي رضي الله عنه شكوت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حسد الناس لي
فقال اما ترضى ان تكون رابع اربعة اول من يدخل الجنة انا وانت والحسن والحسين وازواجنا
عن ايماننا وشمائلنا وذريتنا خلف ازواجنا وعن النبي صلى الله عليه وسلم حرمت الجنة
على من ظلم اهل بيتي وآذاني في عترتي ومن اصطنع صنيعة الى احد من ولد عبد المطلب
ولم يجازه عليها فانا اجازيه عليها غدا اذا لقيني يوم القيامة وروي ان الانصار قالوا فعلنا
وفعلنا كانهم افتخروا فقال عباس او ابن عباس رضي الله عنهما لنا الفضل عليكم فبلغ ذلك رسول
الله صلى الله عليه وسلم فاتاهم في مجالسهم فقال يا معشر الانصار الم تكونوا اذلة فاعزكم الله بي
قالوا بلى يا رسول الله قال الم تكونوا ضلالا فهداكم الله بي قالوا بلى يا رسول الله قال افلا
تجيبونني قالوا ما نقول يا رسول الله قال الا تقولون الم يخرجك قومك فآويناك او لم يكذبوك
فصدقناك او لم يخذلوك فنصرناك قال ما زال يقول حتى جثوا على الركب وقالوا اموالنا
وما في ايدينا لله ولرسوله فنزلت الاية وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات على
حب آل محمد مات شهيدا الا ومن مات على حب آل محمد مات مغفورا الا ومن مات
على حب آل محمد مات تائبا الا ومن مات على حب آل محمد مات مؤمنا مستكمل الايمان
الا ومن مات على حب آل محمد بشره ملك الموت بالجنة ثم منكر ونكير الا ومن مات على حب
آل محمد يزف الى الجنة كما تزف العروس الى بيت زوجها الا ومن مات على حب آل محمد فتح له
في قبره بابان الى الجنة الا ومن مات على حب آل محمد جعل الله قبره مزار ملائكة الرحمة الا ومن
مات على حب آل محمد مات على السنة والجماعة الا ومن مات على بغض آل محمد جاء يوم القيامة
مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله الا ومن مات على بغض آل محمد مات كافرا الا ومن مات
على بغض آل محمد لم يشم رائحة الجنة وقيل لم يكن بطن من بطون قريش الا وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم
وبينهم قربى فلما كذبوه وابوا ان يبايعوه نزلت والمعنى الا ان تودوني في القربى اي من حق
القربى ومن اجلها كما تقول الحب في الله والبغض في الله بمعنى في حقه ومن اجله يعني
انكم

انكم قومي واحق من اجابني واطاعني فاذ قد ابيتم ذلك فاحفظوا حق القربى ولا تؤذوني
ولا تهيجوا علي وقيل اتت الانصار رسول الله صلى الله عليه وسلم بمال جمعوه وقالوا يا رسول
الله قد هدانا الله بك وانت ابن اختنا وتعروك نوائب وحقوق ومالك سعة فاستعن
بهذا على ما ينوبك فنزلت ورده وقيل القربى التقرب الى الله تعالى اي الا ان تحبوا الله و
رسوله في تقربكم اليه بالطاعة والعمل الصالح وقرئ الا مودة في القربى ومن يقترف حسنة نزد
له فيها حسنا عن السدي انها المودة في آل رسول الله صلى الله عليه وسلم نزلت في ابي بكر الصديق
رضي الله عنه ومودته فيهم والظاهر العموم في اي حسنة كانت الا انها لما ذكرت عقيب
ذكر المودة في القربى دل ذلك على انها تناولت المودة تناولا اوليا كان سائر الحسنات لها
توابع وقرئ يزد اي يزد الله وزيادة حسنها من جهة الله مضاعفتها كقوله من ذا الذي
يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له اضعافا كثيرة وقرئ حسنى وهي مصدر كالبشرى ان
الله غفور شكور الشكور في صفة الله مجاز للاعتداد بالطاعة وتوفية ثوابها والتفضل على
المثاب ام يقولون افترى على الله كذبا ام منقطعة ومعنى الهمزة فيه التوبيخ كانه قيل اتمالكون
ان ينسبوا مثله الى الافتراء ثم الى الافتراء على الله الذي هو اعظم الفرى وافحشها فان يشأ
الله يختم على قلبك ويمح الله الباطل ويحق الحق انه عليم بذات الصدور فان يشأ الله يجعلك
من المختوم على قلوبهم حتى تفترى عليه الكذب فانه لا يجترئ على افتراء الكذب على الله الا
من كان في مثل حالهم وهذا الاسلوب مؤداه استبعاد الافتراء من مثله وانه في البعد
مثل الشرك بالله والدخول في جملة المختوم على قلوبهم ومثال هذا ان يخون بعض الامناء
فيقول لعل الله خذلني لعل الله اعمى قلبي وهو لا يريد اثبات الخذلان وعمى القلب وانما
يريد استبعاد ان يخون مثله والتنبيه على انه ركب من تخوينه امر عظيم ثم قال ومن عادة
الله ان يمحو الباطل ويثبت الحق بكلماته بوحيه او بقضائه كقوله بل نقذف بالحق على الباطل
فيدمغه يعني لو كان مفتريا كما تزعمون لكشف الله افتراءه ومحقه وقذف بالحق على باطله

فيمحقه ويجوز ان يكون عدة لرسول الله صلى الله عليه وسلم بانه يمحو الباطل الذي هم عليه من البهت والتكذيب ويثبت الحق الذي انت عليه بالقرآن وبقضائه الذي لا مرد له من نصرتك عليهم ان الله عليم بما في صدرك وصدورهم فيجري الامر على حسب ذلك وعن قتادة يختم على قلبك ينسك القرآن ويقطع عنك الوحي يعني لو افترى على الله الكذب لفعل به ذلك وقيل يختم على قلبك يربط على قلبك بالصبر حتى لا يشق عليك اذاهم فان قلت ان كان قوله ويمح الله الباطل كلاما مبتدأ غير معطوف على يختم فما بال الواو ساقطة في الخط قلت كما سقطت في قوله ويدع الانسان بالشر دعاءه بالخير وقوله سندع الزبانية على انها مثبتة في بعض المصاحف وهو الذي يقبل التوبة عن عباده يقال قبلت منه الشيء وقبلته عنه فمعنى قبلته منه اخذته منه وجعلته مبدأ قبولي ومنشأه ومعنى قبلته عنه عزلته عنه وابنته عنه والتوبة ان يرجع عن القبيح والاخلال بالواجب بالندم عليهما والعزم ان لا يعاود لان المرجوع عنه قبيح واخلال بالواجب وان كان فيه لعبد حق لم يكن بد من التفصي على طريقه وروى جابر رضي الله عنه ان اعرابيا دخل مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اللهم اني استغفرك واتوب اليك وكبر فلما فرغ من صلوته قال له علي رضي الله عنه يا هذا ان سرعة اللسان بالاستغفار توبة الكذابين وتوبتك تحتاج الى التوبة فقال يا امير المؤمنين وما التوبة قال اسم يقع على ستة معان على الماضي من الذنوب الندامة ولتضييع الفرائض الاعادة ورد المظالم واذابة النفس في الطاعة كما ربيتها في المعصية واذاقة النفس مرارة الطاعة كما اذقتها حلاوة المعصية والبكاء بدل كل ضحك ضحكته ويعفو عن السيئات عن الكبائر اذا تيب عنها وعن الصغائر اذا اجتنبت الكبائر ويعلم ما تفعلون قرئ بالتاء والياء اي يعلمه فيثيب على حسناته ويعاقب على سيئاته ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله ويستجيب لهم فحذف اللام كما حذف في قوله واذا كالوهم اي يثيبهم على طاعتهم ويزيدهم على الواجب تفضلا واذا دعوه استجاب دعاءهم واعطاهم ما طلبوا وزادهم

على

على مطلوبهم وقيل الاستجابة فعلهم اي يستجيبون له بالطاعة اذا دعاهم اليها ويزيدهم هو من فضله على ثوابهم وعن سعيد بن جبير هذا من فعلهم يجيبونه اذا دعاهم وعن ابرهيم بن ادهم انه قيل له ما بالنا ندعو فلا نجاب قال لانه دعاكم فلم تجيبوه ثم قرأ والله يدعو الى دار السلام ويستجيب الذين آمنوا ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض لبغوا من البغي وهو الظلم اي لبغى هذا على ذاك وذاك على هذا لان الغنى مبطرة مأشرة وكفى بحال قارون عبرة ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اخوف ما اخاف على امتي زهرة الدنيا وكثرتها ولبعض العرب

وقد جعل الوسمي ينبت بيننا وبين بني رومان نبعا وشوحطا

يعني انهم احيوا فحدثوا انفسهم بالبغي والتفاتن او من البغي وهو البذخ والكبر اي لتكبروا في الارض وفعلوا ما يتبع الكبر من العلو فيها والفساد وقيل نزلت في قوم من اهل الصفة تمنوا سعة الرزق والغنى قال خباب بن الارت فينا نزلت وذلك انا نظرنا الى اموال بني قريظة والنضير وبني قينقاع فتمنيناها ولكن ينزل بقدر بتقدير يقال قدره قدرا وقدرا ما يشاء انه بعباده خبير بصير يعرف ما يؤول اليه احوالهم فيقدر لهم ما هو اصلح لهم واقرب الى جمع شملهم فيفقر ويغني ويمنع ويعطي ويقبض ويبسط كما توجبه الحكمة الربانية ولو اغناهم جميعا لبغوا ولو افقرهم لهلكوا فان قلت قد نرى الناس يبغي بعضهم على بعض ومنهم مبسوط لهم ومنهم مقبوض عنهم فان كان المبسوط لهم يبغون فلم بسط لهم وان كان المقبوض عنهم يبغون فقد يكون البغي بدون البسط فلم شرطه قلت لا شبهة في ان البغي مع الفقر اقل ومع البسط اكثر واغلب وكلاهما سبب ظاهر للاقدام على البغي والاحجام عنه فلو عم البسط لغلب البغي حتى ينقلب الامر الى عكس ما عليه الآن وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا بفتح النون وكسرها وينشر رحمته اي بركات الغيث ومنافعه وما يحصل به من الخصب وعن عمر رضي الله عنه انه قيل له اشتد القحط وقنط الناس فقال مطروا اذن اراد هذه الآية ويجوز ان يريد رحمته في كل شيء كانه قال ينزل الرحمة التي هي الغيث وينشر غيرها من رحمته

الواسعة

والكافرون لهم عذاب شديد

وهو الولي الذي يتولى عباده باحسانه الحميد المحمود على ذلك بحمده اهل طاعته ومن آياته
خلق السماوات والارض وما بث فيهما من دابة وهو على جمعهم اذا يشاء قدير وما بث يجوز
ان يكون مجرورا او مرفوعا يحمل على المضاف اليه او المضاف فان قلت لم جاز فيهما
من دابة والدواب في الارض وحدها قلت يجوز ان ينسب الشيء الى جميع المذكور
وان كان ملتبسا ببعضه كما يقال بنو تميم فيهم شاعر مجيد او شجاع بطل وانما هو في فخذ من
افخاذهم او فصيلة من فصايلهم وبنو فلان فعلوا كذا وانما فعله نويس منهم ومنه قوله تعالى
يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وانما يخرج من الملح ويجوز ان يكون للملائكة عليهم السلم
مشي مع الطيران فيوصفوا بالدبيب كما يوصف به الاناسي ولا يبعد ان يخلق في السماوات
حيوانا يمشون فيها مشي الاناسي على الارض سبحان الذي خلق ما نعلم وما لا نعلم من اصناف
الخلق اذا تدخل على المضارع كما تدخل على الماضي قال الله عز وجل والليل اذا يغشى ومنه
اذا يشاء قال الشاعر واذا ما اشاء ابعث منها آخر الليل ناشطا مذعورا
ما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير في مصاحف اهل العراق فبما
كسبت باثبات الفاء على تضمين ما معنى الشرط وفي مصاحف اهل المدينة بما كسبت بغير
فاء على ان ما مبتداة وبما كسبت خبرها من غير تضمين معنى الشرط والاية مخصوصة بالمجرمين
ولا يمتنع ان يستوفي الله بعض عقاب المجرم ويعفو عن بعض واما من لا جرم له كالانبياء عم
والاطفال والمجانين فهؤلاء اذا اصابهم شيء من الم او غيره فللعوض الموفي والمصلحة
وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما من اختلاج عرق ولا خدش عود ولا نكبة حجر الا بذنب
ولما يعفو الله عنه اكثر وعن بعضهم من لم يعلم ان ما وصل اليه من الفتن والمصائب
باكتسابه وان ما عفي عنه مولاه اكثر كان قليل النظر في احسان ربه اليه وعن آخر
العبد ملازم للجنايات في كل اوان وجناياته في طاعاته اكثر من جناياته في معاصيه
لان جناية المعصية من وجه وجناية الطاعة من وجوه والله يطهر عبده من جناياته
بانواع

من المصائب ليخفف عنه اثقاله في القيامة ولولا عفوه ورحمته لهلك في اول خطوة وعن علي
رضي الله عنه وقد رفعه من عفي عنه في الدنيا عفي عنه في الآخرة ومن عوقب في الدنيا لم يثن
عليه العقوبة في الآخرة وعنه رضي الله عنه هذه ارجى آية للمؤمنين في القرآن وما انتم بمعجزين بفائتين
ما قضي عليكم من المصائب في الارض وما لكم من دون الله من ولي من متول بالرحمة ولا نصير ومن
آياته الجواري السفن وقرئ الجوار كالاعلام كالجبال قالت الخنساء كانه علم في راسه نار
ان يشا يسكن الريح وقرئ الرياح فيظللن بفتح اللام وكسرها من ظل يظل ويظل نحو ضل يضل
ويضل رواكد ثوابت لا تجري على ظهره على ظهر البحر ان في ذلك لآيات لكل صبار على بلاء الله
شكور لنعمائه وهما صفتا المؤمن المخلص فجعلهما كناية عنه وهو الذي وكل همته بالنظر في آيات الله
فهو يستملي منه العبر او يوبقهن يهلكهن والمعنى انه ان يشا يبتل المسافرين في البحر باحدى بليتين
اما ان يسكن الريح فيركد الجواري على متن البحر ويمنعهن من الجري واما ان يرسل الريح عاصفة
فيهلكهن اغراقا بما كسبوا بسبب ما كسبوا من الذنوب ويعفو عن كثير منها فان قلت علام
عطف يوبقهن قلت على يسكن لان المعنى ان يشا يسكن الريح فيركدن او يعصفها فيغرقن
عصفها فان قلت فما معنى ادخال العفو في حكم الايباق حيث جزم جزمه قلت
معناه او ان يشا يهلك ناسا وينج ناسا على طريق العفو عنهم فان قلت فمن قرا ويعفو قلت
قد استانف الكلام فان قلت فما وجوه القراآت الثلث في ويعلم الذين يجادلون في
آياتنا قلت اما الجزم فعلى ظاهر العطف واما الرفع فعلى الاستيناف واما النصب فللعطف على
تعليل محذوف تقديره لينتقم منهم ويعلم الذين يجادلون ونحوه في العطف على التعليل المحذوف
غير عزيز في القرآن منه قوله تعالى ولنجعله آية للناس وقوله وخلق الله السماوات والارض
بالحق ولتجزى كل نفس ما كسبت واما قول الزجاج النصب على اضمار ان لان قبلها جزاء تقول
ما تصنع اصنع مثله واكرمك وان شئت واكرمك علي وانا اكرمك وان شئت واكرمك جزما
ففيه نظر لما اورده سيبويه في كتابه قال واعلم ان النصب بالفاء والواو في قوله ان تاتني

آتك واعطيك ضعيف وهو نحو من قوله والحق بالحجاز فاستريحا فهذا يجوز وليس بحد
الكلام ولا وجهه الا انه في الجزاء صار اقوى قليلا لانه ليس بواجب انه يفعل الا ان يكون
من الاول فعل فلما ضارع الذي لا يوجبه كالاستفهام ونحوه اجازوا فيه على ضعفه ولا يجوز
ان تحمل القراءة المستفيضة على وجه ضعيف ليس بحد الكلام ولا وجهه ولو كانت من هذا
الباب لما اخلى سيبويه منها كتابه وقد ذكر نظايرها من الايات المشكلة فان قلت
فكيف يصح المعنى على جزم ويعلم قلت كانه قال او ان يشا يجمع بين ثلثة امور هلاك
قوم ونجاة قوم وتحذير اخرين ما لهم من محيص محيد عن عقابه فما اوتيتم من شيء فمتاع الحيوة
الدنيا وما عند الله خير وابقى للذين امنوا وعلى ربهم يتوكلون ما الاولى ضمنت معنى الشرط
فجاءت الفاء في جوابها بخلاف الثانية عن علي رضي الله عنه اجتمع لابي بكر رضي الله عنه مال
فتصدق به كله في سبيل الخير فلامه المسلمون وخطاه الكافرون فنزلت والذين يجتنبون
عطف على للذين امنوا وكذلك ما بعده ومعنى كبائر الاثم الكبائر من هذا الجنس وقرئ
كبير الاثم وعن ابن عباس رضي الله عنهما كبير الاثم هو الشرك والفواحش واذا ما غضبوا
هم يغفرون اي هم الاخصاء بالغفران في حال الغضب لا يغول الغضب احلامهم كما يغول حلوم
الناس والمجيء بهم وايقاعه مبتدا واسناد يغفرون اليه لهذه الفائدة ومثله هم ينتصرون
والذين استجابوا لربهم نزلت في الانصار دعاهم الله عز وجل للايمان به وطاعته فاستجابوا
له بان امنوا به واطاعوه واقاموا الصلوات واتموا الصلوات الخمس وامرهم شورى بينهم
وكانوا قبل الاسلام وقبل مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان بينهم امر اجتمعوا
وتشاوروا فاثنى الله عليهم اي لا ينفردون براي حتى يجتمعوا عليه وعن الحسن ما تشاور
قوم الا هدوا لارشد امرهم والشورى مصدر كالفتيا بمعنى التشاور ومعنى قوله وامرهم
شورى بينهم اي ذو شورى وكذلك قولهم ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمر بن الخطاب رضي
الله عنه الخلافة شورى ومما رزقناهم ينفقون والذين اذا اصابهم البغي هم ينتصرون هو ان
يقتصروا

اي ما لهم من مهرب لهم يهربون اليه من عذاب الله

اي الظلم والعدوان

اي لا يتعدوا اي لا يتجاوزوا من امر الله في الانتصار اي في اخذ حقه من ظالمه

يقتصروا في الانتصار على ما جعله الله تعالى لهم ولا يعتدوا وعن النخعي انه كان اذا قراها
قال كانوا يكرهون ان يذلوا انفسهم فيجترئ عليهم الفساق فان قلت انهم محمودون على الانتصار
قلت نعم لان من اخذ حقه غير متعد حد الله وما امر به فلم يسرف في القتل ان كان ولي
دم او رد على سفيه محاماة على عرضه وردعا له فهو مطيع وكل مطيع محمود وجزاء سيئة
سيئة مثلها كلتا الفعلتين الاولى وجزاؤها سيئة لانها تسوء من تنزل به قال الله تعالى وان
تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك يريد ما يصيبهم من المصائب والبلايا والمعنى انه يجب
اذا قوبلت الاساءة ان تقابل بمثلها من غير زيادة فاذا قال اخزاك الله قال اخزاك الله
فمن عفى واصلح بينه وبين خصمه بالعفو والاغضاء كما قال فاذا الذي بينك وبينه
عداوة كانه ولي حميم فاجره على الله عدة مبهمة لا يقاس امرها في العظم وقوله انه لا يحب الظالمين
دلالة على ان الانتصار لا يكاد يؤمن فيه تجاوز السوية والاعتداء خصوصا في حال الحرد
والتهاب الحمية فربما كان المجازي من الظالمين وهو لا يشعر وعن النبي صلى الله
عليه وسلم اذا كان يوم القيامة نادى مناد من كان له على الله اجر فليقم قال فيقوم خلق
فيقال لهم ما اجركم على الله فيقولون نحن الذين عفونا عمن ظلمنا فيقال لهم ادخلوا الجنة
باذن الله ولمن انتصر بعد ظلمه من اضافة المصدر الى المفعول ويفسره قراءة من قرا بعد
ما ظلم فاولئك اشارة الى معنى من دون لفظه ما عليهم من سبيل للمعاقب ولا للعاتب و
العائب انما السبيل على الذين يظلمون الناس يبتدئونهم بالظلم ويبغون في الارض يتكبرون فيها
ويعلون ويفسدون بغير الحق اولئك لهم عذاب اليم ولمن صبر على الظلم والاذى ولم ينتصر
وفوض امره الى الله ان ذلك منه لمن عزم الامور وحذف الراجع لانه مفهوم كما حذف
من قولهم السمن منوان بدرهم ويحكى ان رجلا سب رجلا في مجلس الحسن رحمه الله فكان المسبوب
يكظم ويعرق فيمسح العرق ثم قام فتلا هذه الاية فقال الحسن عقلها وفهمها اذا ضيعها
الجاهلون وقالوا العفو مندوب اليه ثم قد ينعكس الامر في بعض الاحوال فيرجع ترك العفو

مندوبا اليه وذلك اذا احتيج الى كف زيادة البغي وقطع مادة الاذى وعن النبي صلى الله عليه وسلم
ما يدل عليه وهو ان زينب اسمعت عائشة رضي الله عنها وكان بينهما سبا فلا تنتهي فقال لعائشة
دونك فانتصري ومن يضلل الله ومن يخذل الله فما له من ولي من بعده فليس له من ناصر يتولاه من بعد
خذلانه وترى الظالمين لما راوا العذاب يقولون هل الى مرد من سبيل وتراهم يعرضون عليها خاشعين
متضائلين متقاصرين مما يلحقهم من الذل وقد يعلق من الذل بينظرون ويوقف على خاشعين
ينظرون من طرف خفي اى يبتدئ نظرهم من تحريك لاجفانهم ضعيف خفي بمسارقة كما ترى المصبور
ينظر الى السيف وهكذا ينظر الناظر الى المكاره لا يقدر ان يفتح اجفانه عليها ويملأ عينيه
منها كما يفعل في نظره الى المحاب وقيل يحشرون عميا فلا ينظرون الا بقلوبهم وذلك نظر من طرف
خفي وفيه تعسف وقال الذين امنوا ان الخاسرين الذين خسروا انفسهم واهليهم يوم القيامة
الا ان الظالمين في عذاب مقيم يوم القيامة اما ان يتعلق بخسروا ويكون قول المؤمنين واقعا
في الدنيا واما ان يتعلق بقال اى يقولون يوم القيامة اذا راوهم على تلك الصفة وما كان لهم من
اولياء ينصرونهم من دون الله ومن يضلل الله فما له من سبيل استجيبوا لربكم من قبل ان
ياتي يوم لا مرد له من الله ما لكم من ملجا يومئذ وما لكم من نكير من الله من صلة لا مرد اى
لا يرده الله بعد ما حكم به او من صلة ياتي اى من قبل ان ياتي من الله يوم لا يقدر احد على
رده والنكير الانكار اى ما لكم من مخلص من العذاب ولا تقدرون ان تنكروا شيا مما
اقترفتموه ودون في صحائف اعمالكم فان اعرضوا فما ارسلناك عليهم حفيظا ان عليك
الا البلاغ وانا اذا اذقنا الانسان منا رحمة فرح بها وان تصبهم سيئة بما قدمت ايديهم
فان الانسان كفور اراد بالانسان الجمع لا الواحد لقوله وان تصبهم سيئة ولم يرد الا المجرمين
لان اصابة السيئة بما قدمت ايديهم انما تستقيم فيهم والرحمة النعمة من الصحة والغنى و
الامن والسيئة البلاء من المرض والفقر والمخاوف والكفور البليغ الكفران ولم يقل
فانه كفور ليسجل على ان هذا الجنس موسوم بكفران النعم كما قال ان الانسان لظلوم
كفار

يعرضون عليها

غمط النعمة وهو لم يشكرها يقال غمط عيشه اى بطر

كفار ان الانسان لربه لكنود والمعنى انه يذكر البلاء وينسى النعم ويغمطها لله ملك السماوات
والارض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور او يزوجهم ذكرانا واناثا ويجعل
من يشاء عقيما لما ذكر اذاقة الانسان الرحمة واصابته بضدها اتبع ذلك ان له الملك
وانه يقسم النعمة والبلاء كيف اراد ويهب لعباده من الاولاد ما تقتضيه مشيئته فيخص
بعضا بالاناث وبعضا بالذكور وبعضا بالصنفين جميعا ويعقم آخرين فلا يهب لهم ولدا
قط فان قلت لم قدم الاناث اولا على الذكور مع تقدمهم عليهن ثم رجع فقدمهم ولم عرف
الذكور بعد ما نكر الاناث قلت لانه ذكر البلاء في آخر الآية الاولى وكفران الانسان
بنسيانه الرحمة السابقة عنده ثم عقبه بذكر ملكه ومشيئته وذكر قسمة الاولاد فقدم الاناث
لان سياق الكلام انه فاعل ما يشاؤه لا ما يشاؤه الانسان فكان ذكر الاناث اللاتي من جملة ما
لا يشاؤه الانسان اهم والاهم واجب التقديم وليلي الجنس الذي كانت العرب تعده بلاء ذكر
البلاء واخر الذكور فلما اخرهم لذلك تدارك تاخيرهم وهم احقاء بالتقديم بتعريفهم لان التعريف
تنويه وتشهير كانه قال ويهب لمن يشاء الفرسان الاعلام المذكورين الذين لا يخفون عليكم
ثم اعطى بعد ذلك كلا الجنسين حقه من التقديم والتاخير وعرف ان تقديمهن لم يكن لتقدمهن
ولكن لمقتض آخر فقال ذكرانا واناثا كما قال انا خلقناكم من ذكر وانثى فجعل منه الزوجين
الذكر والانثى وقيل نزلت في الانبياء صلوات الله عليهم وسلامه حيث وهب لشعيب ولوط عليهما السلام
اناثا ولابراهيم عليه السلام ذكورا ولمحمد صلى الله عليه وسلم ذكورا واناثا وجعل يحيى وعيسى
عقيمين انه عليم بمصالح العباد قدير على تكوين ما يصلحهم وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا
او من وراء حجاب او يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء وما صح لاحد من البشر ان يكلمه الله
الا على ثلثة اوجه اما على طريق الوحي وهو الالهام والقذف في القلب او المنام كما اوحى
الى ام موسى والى ابراهيم عليه السلام في ذبح ولده وعن مجاهد اوحى الله الزبور الى داود
عليه السلام في صدره قال عبيد بن الابرص واوحى الي الله ان قد تامروا بابل ابي اوفى فقمت على رجلي

الى الهمني وقذف في قلبي واما على ان يسمعه كلامه الذي يخلقه في بعض الاجرام من غير
ان يبصر السامع من يكلمه لانه في ذاته غير مرئي وقوله من وراء حجاب مثل اي كما يكلم الملك
المحتجب بعض خواصه وهو من وراء الحجاب فيسمع صوته ولا يرى شخصه وذلك كما كلم موسى
عليه السلم ويكلم الملائكة واما على ان يرسل اليه رسولا من الملائكة فيوحي الملك اليه كما كلم
الانبياء غير موسى وقيل وحيا كما اوحى الى الرسل بواسطة الملائكة او يرسل رسولا اي نبيا
كما كلم امم الانبياء على السنتهم ووحيا وان يرسل مصدران واقعان موقع الحال لان ان يرسل
في معنى ارسالا ومن وراء حجاب ظرف واقع موقع الحال ايضا كقوله وعلى جنوبهم والتقدير
وما صح ان يكلم احدا الا موحيا او مسمعا من وراء حجاب او مرسلا ويجوز ان يكون وحيا
موضوعا موضع كلاما لان الوحي كلام خفي في سرعة كما تقول لا اكلمه الا جهرا والا خفاتا لان
الجهر والخفات ضربان من الكلام وكذلك ارسالا جعل الكلام على لسان الرسول بمنزلة الكلام
بغير واسطة تقول قلت لفلان كذا وانما قاله وكيلك او رسولك وقوله او من وراء حجاب معناه
او اسماعا من وراء حجاب ومن جعل وحيا في معنى ان يوحي وعطف يرسل عليه على معنى وما
كان لبشر ان يكلمه الله الا بان يوحي او بان يرسل فعليه ان يقدر قوله او من وراء حجاب تقديرا
يطابقهما عليه نحو او ان يسمع من وراء حجاب وقرئ او يرسل رسولا فيوحي بالرفع على او هو
يرسل او بمعنى مرسلا عطفا على وحيا في معنى موحيا وروي ان اليهود قالت للنبي صلى الله
عليه الا تكلم الله وتنظر اليه ان كنت نبيا كما كلمه موسى ونظر اليه فانا لن نؤمن لك حتى تفعل
ذلك فقال لم ينظر موسى الى الله فنزلت وعن عائشة رضي الله عنها من زعم ان محمدا راى ربه فقد اعظم
على الله الفرية ثم قالت اولم تسمعوا ربكم يقول فتلت هذه الاية انه علي عن صفات المخلوقين حكيم يجري
افعاله على موجب الحكمة فيكلم تارة بواسطة واخرى بغير واسطة اما الهاما واما خطابا وكذلك اوحينا
اليك روحا من امرنا يريد ما اوحي اليه لان الخلق يحيون به في دينهم كما يحيى الجسد بالروح
ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان فان قلت قد علم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان
يدري

يدري ما القران قبل نزوله عليه فما معنى قوله ولا الايمان والانبياء عليهم السلم لا يجوز عليهم اذا
عقلوا وتمكنوا من النظر والاستدلال ان يخطئهم الايمان بالله وتوحيده ويجب ان يكونوا معصومين
من ارتكاب الكبائر ومن الصغائر التي فيها تنفير قبل المبعث وبعده فكيف لا يعصمون من الكفر
قلت الايمان اسم يتناول اشياء بعضها الطريق اليه العقل وبعضها الطريق اليه السمع فعني
به ما الطريق اليه السمع دون العقل وذاك ما كان له فيه علم حتى كسبه بالوحي الا ترى انه
قد فسر الايمان في قوله تعالى وما كان الله ليضيع ايمانكم بالصلوة لانها بعض ما يتناوله الايمان ولكن
جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا من له لطف ومن لا لطف له فلا هداية تجدي
عليه وانك لتهدي الى صراط مستقيم صراط الله الذي له ما في السماوات وما في الارض الا الى
الله تصير الامور صراط الله بدل وقرئ لتهدي اي يهديك الله وقرئ لتدعو عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم من قرا حم عسق كان ممن يصلي عليه الملائكة ويستغفرون له ويسترحمون له

سورة الزخرف مكية وقال مقاتل الا قوله واسال من ارسلنا وهي تسع وثمانون اية

بسم الله الرحمن الرحيم حم والكتاب المبين انا جعلناه قرانا عربيا
لعلكم تعقلون وانه في ام الكتاب لدينا لعلي حكيم اقسم بالكتاب المبين وهو القران وجعل
قوله انا جعلناه قرانا عربيا جوابا للقسم وهو من الايمان الحسنة البديعة لتناسب القسم و
المقسم عليه وكونهما من واد واحد ونظيره قول ابي تمام وثناياك انها اغريض
المبين البين الذي انزل عليهم لانه بلغتهم واساليبهم وقيل الواضح للمتدبرين وقيل
المبين الذي ابان طرق الهدى من طرق الضلالة وابان ما تحتاج اليه الامة في ابواب الديانة
جعلناه بمعنى صيرناه معدى الى مفعولين او بمعنى خلقناه معدى الى واحد كقوله وجعل
الظلمات والنور وقرانا عربيا حال ولعل مستعار لمعنى الارادة لتلاحظ معناها ومعنى
الترجي اي خلقناه عربيا غير عجمي ارادة ان تعقله العرب ولئلا يقولوا لولا فصلت اياته وقرئ
ام الكتاب بالكسر وهي اللوح كقوله بل هو قران مجيد في لوح محفوظ سمي بام الكتاب لانه الاصل

الذي أثبتت فيه الكتب منه تنقل وتستنسخ على رفيع الشان في الكتب لكونه معجزا من بينها
حكيم ذو حكمة بالغة أي منزلته عندنا منزلة كتاب مما صفناه وهو مثبت في أم الكتاب هكذا
أفنضرب عنكم الذكر صفحا بمعنى أفننحي عنكم الذكر ونذوده عنكم على سبيل المجاز من قولهم ضرب
الغرائب عن الحوض قال طرفة اضرب عنك الهموم طارقها ضربك بالسيف قونس الفرس
الفاء للعطف على محذوف تقديره أنهملكم فنضرب عنكم الذكر إنكارا لأن يكون الأمر على خلاف
ما قدم من إنزاله الكتاب وخلقه قرآنا عربيا ليعقلوه ويعملوا بمواجبه وصفحا على وجهين
أما مصدر من صفح عنه إذا أعرض منتصب على أنه مفعول له على معنى أفنعزل عنكم إنزال
القرآن وإلزام الحجة عليه إعراضا عنكم وأما بمعنى الجانب من قولهم نظر إليه بصفح وجهه
وصفح وجهه على معنى أفننحيه عنكم جانبا فينتصب على الظرف كما تقول ضعه جانبا وامش
جانبا وتعضده قراءة من قرأ صفحا بالضم وفي هذه القراءة وجه آخر وهو أن يكون تخفيف
صفح جمع صفوح وينتصب على الحال أي صافحين معرضين أن كنتم قوما مسرفين لأن كنتم
وقرئ إن كنتم وإذ كنتم فإن قلت كيف استقام معنى إن الشرطية وقد كانوا مسرفين على
البت قلت هو من الشرط الذي ذكرت أنه يصدر على المدل بصحة الأمر المتحقق
لثبوته كما يقول الأجير إن كنت عملت لك فوفني حقي وهو عالم بذلك ولكنه يخيل في كلامه
أن تفريطك في الخروج عن الحق فعل من له شك في الاستحقاق مع وضوحه استجهالا له وكم
أرسلنا من نبي في الأولين وما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون وما يأتيهم حكاية حال ماضية
مستمرة أي كانوا على ذلك وهذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن استهزاء قومه فأهلكنا
أشد منهم بطشا الضمير في أشد منهم للقوم المسرفين لأنه صرف الخطاب عنهم إلى رسول الله صلى
الله عليه وسلم يخبره عنهم ومضى مثل الأولين أي سلف في القرآن في غير موضع منه ذكر
قصتهم وحالهم العجيبة التي حقها أن تسير مسير المثل وهذا وعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ووعيد لهم ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم فإن قلت

تذوده أي قليله

مع

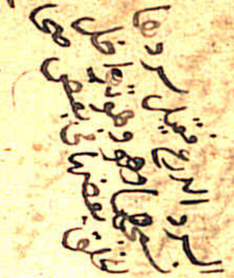

قوله ليقولن خلقهن العزيز العليم وما سرد من الأوصاف عقيبه إن كان من قولهم فما تصنع بقوله
فأنشرنا به بلدة ميتا كذلك تخرجون وإن كان من قول الله فما وجهه قلت هو من قول الله
لا من قولهم ومعنى قوله ليقولن خلقهن العزيز العليم الذي من صفته كيت وكيت لينسبن خلقها
إلى الذي هذه الأوصاف وليسندنه إليه الذي جعل لكم الأرض مهدا وجعل لكم فيها سبلا لعلكم تهتدون
والذي أنزل من السماء ماء بقدر بمقدار يسلم معه البلاد والعباد ولم يكن طوفانا فأنشرنا به بلدة
ميتا كذلك تخرجون والذي خلق الأزواج الأصناف كلها وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون
أي تركبونه فإن قلت يقال ركبوا الأنعام وركبوا في الفلك وقد ذكر الجنسين فكيف قال تركبونه قلت
غلب المتعدي بغير واسطة لقوته على المتعدي بواسطة فقيل تركبونه لتستووا على ظهوره على ظهور
ما تركبون وهو الفلك والأنعام ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا
وما كنا له مقرنين معنى ذكر نعمة الله عليهم أن يذكروها في قلوبهم معترفين بها مستعظمين لها ثم يحمدوا
عليها بألسنتهم وهو ما يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا وضع رجله في الركاب قال بسم
الله فإذا استوى على الدابة قال الحمد لله على كل حال سبحان الذي سخر لنا هذا إلى قوله لمنقلبون
وكبر ثلثا وهلل ثلثا وقالوا إذا ركب في السفينة قال باسم الله مجريها ومرساها إن ربي لغفور رحيم
وعن الحسين بن علي رضي الله عنهما أنه رأى رجلا ركب دابة فقال سبحان الذي سخر لنا هذا قال
أبهذا أمرتم فقال وبم أمرنا قال أن تذكروا نعمة ربكم كأن قد أغفل التحميد فنبهه عليه وهذا
من حسن مراعاتهم لآداب الله ومحافظتهم على دقيقها وجليلها جعلنا الله من المقتدين بهم و
السائرين بسيرتهم فما أحسن بالعاقل النظر في لطائف الصناعات فكيف بالنظر في لطائف الديانة
مقرنين مطيقين يقال أقرن الشيء إذا أطاقه قال ابن هرمة
وأقرنت ما حملتني ولقلما يطاق احتمال الصد يا دعد والهجر وحقيقة أقرنه وجده قرينته
وما يقرن به لأن الصعب لا يكون قرينة للضعيف ألا ترى إلى قولهم في الضعيف لا تقرن به
الصعبة وقرئ مقرنين والمعنى واحد فإن قلت كيف اتصل بذلك قوله وإنا إلى ربنا لمنقلبون

قلت كم من راكب دابة عثرت به او شمست او تقحمت او طاح من ظهرها فهلك وكم من راكبين
في سفينة انكسرت بهم فغرقوا فلما كان الركوب مباشرة امر مخطر واتصالا بسبب من اسباب
التلف كان من حق الراكب وقد اتصل بسبب من اسباب التلف ان لا ينسى عند اتصاله
به يومه وانه هالك لا محالة فمنقلب الى الله غير منفلت من قضايه ولا يدع ذكر ذلك بقلبه
ولسانه حتى يكون مستعدا للقاء الله باصلاحه من نفسه والحذر من ان يكون ركوبه ذلك
من اسباب موته في علم الله وهو غافل عنه ونستعيذ بالله من مقام من يقول لقرنايه تعالوا
نتنزه على الخيل او في بعض الزوارق فيركبون حاملين مع انفسهم اواني الخمر والمعازف فلا
يزالون يسقون حتى تميل طلاهم وهم على ظهور الدواب او في بطون السفن وهي تجري بهم لا
يذكرون الا الشيطان ولا يمتثلون اعناقهم الا اوامره ولقد بلغني ان بعض السلاطين ركب وهو يشرب
من بلد الى بلد بينهما مسيرة شهر فلم يصح الا بعدما اطمانت به الدار فلم يشعر بمسيره ولا احس
به فكم بين فعل اولئك الراكبين وبين ما امر الله به في هذه الاية وقيل يذكرون عند الركوب ركوب
الجنازة وجعلوا له من عباده جزءا متصل بقوله ولئن سالتهم اي ولئن سالتهم عن خالق السماوات
والارض ليعترفن به وقد جعلوا له مع ذلك الاعتراف من عباده جزءا فوصفوه بصفات المخلوقين
ومعنى من عباده جزءا ان قالوا الملائكة بنات الله فجعلوهم جزءا له وبعضا منه كما يكون الولد
بضعة من والده وجزءا له ومن بدع التفاسير تفسير الجزء بالاناث وادعاء ان الجزء في
لغة العرب اسم للاناث وما هو الا كذب على العرب ووضع مستحدث منحول ولم يقنعهم ذلك حتى
اشتقوا منه اجزات المراة ثم صنعوا بيتا وبيتا   ان اجزات حرة يوما فلا عجب
زوجتها من بنات الاوس مجزئة   وقرئ جزؤا بضمتين لكفور مبين لجحود للنعمة
ظاهر جحوده لان نسبة الولد اليه كفر والكفر اصل الكفران كله ام اتخذ مما يخلق بنات
واصفيكم بالبنين ام اتخذ بل اتخذ والهمزة للانكار تجهيلا لهم وتعجيبا من شانهم حيث لم
يرضوا بان جعلوا لله من عباده جزءا حتى جعلوا ذلك الجزء شر الجزئين وهو الاناث دون
الذكور

الذكور على انهم انفر خلق الله عن الاناث وامقتهم لهن ولقد بلغ بهم المقت الى ان وادوهن كانه
قيل هبوا ان اضافة اتخاذ الولد اليه جايزة فرضا وتمثيلا اما تستحيون من الشطط في القسمة
ومن ادعايكم انه اثركم على نفسه بخير الجزئين واعلاهما وترك له شرهما وادناهما وتنكير بنات و
تعريف البنين وتقديمهن في الذكر عليهم لما ذكرت في قوله تعالى يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء
الذكور واذا بشر احدهم بما ضرب للرحمن مثلا بالجنس الذي جعله له مثلا اي شبها لانه اذا جعل
الملائكة جزءا لله وبعضا منه فقد جعله من جنسه ومماثلا له لان الولد لا يكون الا من جنس الوالد
يعني انهم نسبوا اليه هذا الجنس ومن حالهم ان احدهم اذا قيل له قد ولدت لك بنت اغتم
واربد وجهه غيظا وتاسفا وهو مملوء من الكرب وعن بعض العرب ان امراة وضعت انثى
فهجر البيت الذي فيه المراة فقالت   ما لابي حمزة لا ياتينا   يظل في البيت الذي يلينا
غضبان ان لا نلد البنينا   ليس لنا من امرنا ما شينا   وانما ناخذ ما اعطينا   والظلول
بمعنى الصيرورة كما يستعمل اكثر الافعال الناقصة بمعناها وقرئ مسود ومسواد على ان
في ظل ضمير المبشر ووجهه مسود جملة واقعة موقع الخبر او من ينشؤا في الحلية وهو في الخصام
غير مبين ثم قال او يجعل للرحمن من الولد من هذه الصفة المذمومة صفته وهو انه ينشا
في الحلية اي يتربى في الزينة والنعمة وهو اذا احتاج الى مجاثاة الخصوم ومجاراة الرجال كان
غير مبين ليس عنده بيان ولا ياتي ببرهان يحتج به من يخاصمه وذلك لضعف عقول النساء و
نقصانهن عن فطرة الرجال يقال قلما تكلمت امراة فارادت ان تتكلم بحجتها الا تكلمت بالحجة
عليها وفيه انه جعل النشا في الزينة والنعومة من المعايب والمذام وانه من صفة
ربات الحجال فعلى الرجل ان يجتنب ذلك ويانف منه ويربا بنفسه عنه ويعيش كما قال عمر
رضي الله عنه اخشوشنوا واخشوشبوا وتمعددوا وان اراد ان يزين نفسه زينها من
باطن بلباس التقوى وقرئ ينشا وينشا ويناشا ونظير المناشاة بمعنى الانشاء المغالاة بمعنى الاغلاء
وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا قد جمعوا في كفرة ثلث كفرات وذلك انهم

قرئ عباد الرحمن وعبد الرحمن وعند الرحمن وهو مثل لزلفاهم واختصاصهم وإناثا
وأنثا جمع الجمع ومعنى جعلوا سموا وقالوا إنهم إناث أشهدوا خلقهم قرئ أشهدوا
وأأشهدوا بهمزتين مفتوحة ومضمومة وآأشهدوا بألف بينهما وهذا تهكم بهم يعني أنهم يقولون
ذلك من غير أن يستند قولهم إلى علم فإن الله لم يضطرهم إلى علم ذلك ولا تطرقوا إليه باستدلال
ولا أحاطوا به عن خبر يوجب العلم فلم يبق إلا أن يشاهدوا خلقهم فأخبروا عن المشاهدة
ستكتب شهادتهم التي شهدوا بها على الملائكة من أنوثتهم ويسألون وهذا وعيد وقرئ سيكتب
وسنكتب بالياء والنون وشهاداتهم ويساءلون على يفاعلون وقالوا لو شاء الرحمن
ما عبدناهم هما كفرتان أيضا مضمومتان إلى الكفرات الثلاث وهما عبادتهم الملائكة من دون
الله وزعمهم أن عبادتهم بمشيئة الله كما يقول إخوانهم المجبرة فإن قلت ما أنكرت على من
يقول قالوا ذلك على وجه الاستهزاء ولو قالوا جادين لكانوا مؤمنين قلت لا دليل على
أنهم قالوه مستهزئين وادعاء ما لا دليل عليه باطل على أن الله تعالى قد حكى عنهم على سبيل
الذم والشهادة بالكفر أنهم جعلوا له من عباده جزءا وأنه اتخذ بنات وأصفاهم بالبنين
وأنهم جعلوا الملائكة المكرمين إناثا وأنهم عبدوهم وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم فلو
كانوا ناطقين بها على طريق الهزء لكان النطق بالمحكيات قبل هذا المحكي الذي هو إيمان
عنده لو جدوا في النطق به مدحا لهم من قبل أنها كلمات كفر نطقوا بها على طريق الهزء فبقي
أن يكونوا جادين وتشترك كلها في أنها كلمات كفر فإن قالوا نجعل هذا الأخير وحده مقولا
على وجه الهزء دون ما قبله فما بهم إلا تعويج كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه
ولا من خلفه لتسوية مذهبهم الباطل ولو كانت هذه كلمة حق نطقوا بها هزءا لم يكن لقوله تعالى
ما لهم بذلك من علم إن هم إلا يخرصون معنى لأن من قال لا إله إلا الله على طريق الهزء كان
الواجب أن ينكر عليه استهزاؤه ولا يكذب لأنه لا يجوز تكذيب الناطق بالحق جادا كان أو هازئا
فإن قلت ما قولك فيمن يفسر ما لهم بقولهم إن الملائكة بنات الله من علم إن هم إلا يخرصون

في ذلك القول لأنه تعليق عبادتهم بمشيئة الله قلت تمحل مبطل وتحريف مكابر ونحوه قوله
تعالى سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء كذلك كذب الذين
من قبلهم أم آتيناهم كتابا من قبله الضمير في من قبله للقرآن أو الرسول والمعنى أنهم ألصقوا
عبادة غير الله بمشيئة الله قولا قالوه غير مستند إلى علم ثم قال أم آتيناهم كتابا قبل هذا الكتاب نسبنا
فيه الكفر والقبائح إلينا فحصل لهم علم بذلك من جهة الوحي فهم به مستمسكون فاستمسكوا بذلك
الكتاب واحتجوا به بل قالوا لا حجة لهم يستمسكون بها إلا قولهم إنا وجدنا آباءنا على أمة على دين وقرئ
إمة بالكسر وكلتاهما من الأم وهو القصد فالأمة الطريقة التي تؤم أي تقصد كالرحلة للمرحول
إليه والإمة الحالة التي يكون عليها الآم وهو القاصد وقيل على نعمة وحالة حسنة وإنا على آثارهم مهتدون
خبران والظرف صلة لمهتدون وكذلك ما أرسلنا في قرية من نذير إلا قال مترفوها الذين أترفتهم النعمة
أي أبطرتهم فلا يحبون إلا الشهوات والملاهي ويعافون مشاق الدين وتكاليفه إنا وجدنا آباءنا
على أمة وإنا على آثارهم مقتدون قال أولو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم قرئ قل وقال وجئتكم
وجئناكم يعني أتتبعون آباءكم ولو جئتكم بدين أهدى من دين آبائكم قالوا إنا بما أرسلتم به كافرون
قالوا إنا ثابتون على دين آبائنا لا ننفك عنه وإن جئتنا بما هو أهدى وأهدى فانتقمنا منهم فانظر
كيف كان عاقبة المكذبين وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني براء قرئ براء بفتح الباء وضمها وبريء فبريء
وبراء نحو كريم وكرام وبراء مصدر كظماء ولذلك استوى فيه الواحد والاثنان والجماعة والمذكر
والمؤنث يقال نحن البراء منك والخلاء منك إلا الذي فطرني فإنه سيهدين الذي فطرني فيه غير وجه
أن يكون منصوبا على أنه استثناء منقطع كأنه قال لكن الذي فطرني فإنه سيهدين وأن يكون مجرورا
بدلا من المجرور بمن كأنه قال إنني براء مما تعبدون إلا من الذي فطرني فإن قلت كيف
تجعله بدلا وليس من جنس ما يعبدون من وجهين أحدهما أن ذات الله مخالفة لجميع الذوات
فكانت مخالفة لذوات ما يعبدون والثاني أن الله تعالى غير معبود بينهم والأوثان معبودة
قلت قالوا كانوا يعبدون الله مع أوثانهم وأن تكون إلا صفة بمعنى غير على أن ما في مما تعبدون

موصوف بقوله انني براء من آلهة تعبدونها غير الذي فطرني فهو نظير قوله لو كان فيهما آلهة
الا الله لفسدتا فان قلت ما معنى قوله سيهدين على التسويف قلت قال مرة فهو يهدين
ومرة فانه سيهدين فاجمع بينهما وقدّر كانه قال فهو يهدين وسيهدين فيدلان على استمرار
الهداية في الحال والاستقبال وجعلها وجعل ابرهيم صلوات الله عليه كلمة التوحيد التي تكلم
بها وهي قوله انني براء مما تعبدون الا الذي فطرني كلمة باقية في عقبه في ذريته فلا يزال فيهم
من يوحد الله ويدعو الى توحيده لعلهم يرجعون لعل من اشرك منهم يرجع بدعاء من وحد
منهم ونحوه ووصى بها ابرهيم بنيه وقيل وجعلها الله وقرئ كلمة على التخفيف وفي عقبه
كذلك وفي عاقبه اي فيمن عقبه اي خلفه بل متعت هؤلاء وآباءهم يعني اهل مكة وهم من عقب
ابرهيم بالمد في العمر والنعمة فاغتروا بالمهلة وشغلوا بالتنعم واتباع الشهوات وطاعة الشيطان
عن كلمة التوحيد حتى جاءهم الحق وهو القرآن ورسول مبين مبين للرسالة واضحها بما معه من الآيات
البينة فكذبوا به وسموه ساحرا وما جاء به سحرا ولم يوجد منهم ما رجاه ابرهيم وقرئ بل متعنا فان
قلت فما وجه من قرأ متعت بفتح التاء قلت كان الله تعالى اعترض على ذاته في قوله
وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون فقال بل متعتهم بما متعتهم به من طول العمر والسعة في
الرزق حتى شغلهم ذلك عن كلمة التوحيد واراد بذلك الاطناب في تعييرهم لانه اذا متعهم بزيادة
النعم وجب عليهم ان يجعلوا ذلك سببا في زيادة الشكر والثبات على التوحيد والايمان لا ان
يشركوا به ويجعلوا له اندادا فمثاله ان يشكو الرجل اساءة من احسن اليه ثم يقبل على نفسه
فيقول انت السبب في ذلك بمعروفك واحسانك وغرضه بهذا الكلام توبيخ المسيء لا تقبيح فعله
فان قلت قد جعل مجيء الحق والرسول غاية التمتيع ثم اردفه قوله ولما جاءهم الحق قالوا هذا
سحر وانا به كافرون فما طريقة هذا النظم ومؤداه قلت المراد بالتمتيع ما هو سبب له
وهو اشتغالهم بالاستمتاع عن التوحيد ومقتضياته فقال عز وعلا بل اشتغلوا عن التوحيد
حتى جاءهم الحق ورسول مبين فخيل بهذه الغاية انهم تنبهوا عن غفلتهم لاقتضائها التنبيه
ثم

ثم ابتدأ قصتهم عند مجيء الحق فقال ولما جاءهم الحق جاؤوا بما هو شر من غفلتهم التي كانوا عليها وهو ان
ضموا الى شركهم معاندة الحق ومكابرة الرسول ومعاداته والاستخفاف بكتاب الله وشرائعه
والاصرار على افعال الكفرة والاحتكام على حكمة الله في تخير محمد من اهل زمانه وقالوا لولا نزل
هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وهي الغاية في تشويه صورة امرهم وقرئ على رجل بسكون
الجيم من القريتين من احدى القريتين كقوله يخرج منهما اللؤلؤ اي من احدهما والقريتان مكة
والطائف وقيل من رجلي القريتين وهما الوليد بن المغيرة المخزومي وحبيب بن عمرو بن
عمير الثقفي عن ابن عباس رضي الله عنهما وعن مجاهد عتبة بن ربيعة وكنانة بن عبد ياليل
وعن قتادة الوليد بن المغيرة وعروة بن مسعود الثقفي وكان الوليد يقول لو كان حقا
ما يقول محمد لنزل هذا القرآن علي او على ابن مسعود الثقفي وابو مسعود كنية عروة بن
مسعود ما زالوا ينكرون ان يبعث الله بشرا رسولا فلما علموا بتكرير الله الحجج ان الرسل لم يكونوا
الا رجالا من اهل القرى جاؤوا بالانكار من وجه آخر وهو تحكمهم ان يكون احد هذين وقولهم
هذا القرآن ذكر له على وجه الاستهانة به وارادوا بعظم الرجل رياسته وتقدمه في الدنيا و
عزب عن عقولهم ان العظيم من كان عند الله عظيما اهم يقسمون رحمة ربك هذه الهمزة للانكار
اى بعد وغاب
المستقل بالتجهيل والتعجيب من اعتراضهم وتحكمهم وان يكونوا هم المدبرين لامر النبوة والتخير
لها من يصلح لها ويقوم بها والمتولين لقسمة رحمة الله التي لا يتولاها الا هو بباهر قدرته وبالغ
حكمته نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم
بعضا سخريا ثم ضرب لهم مثلا فاعلم انهم عاجزون عن تدبير خويصة امرهم وما يصلحهم في دنياهم
وان الله عز وعلا هو الذي قسم بينهم معيشتهم وقدرها ودبر احوالهم تدبير العالم بها فلم يسو
بينهم ولكن فاوت بينهم في اسباب العيش وغاير بين منازلهم فجعل منهم اقوياء وضعفاء واغنياء
ومحاويج وموالي وخدما ليصرف بعضهم بعضا في حوائجهم ويستخدموهم في مهنهم ويتسخروهم
في اشغالهم حتى يتعايشوا ويترافدوا ويصلوا الى منافعهم ويحصلوا على مرافقهم ولو وكلهم الى

شاهد الوجوه اى

وسخريا تسخيرا اى كلفهم عملا بلا اجرة صحاح

انفسهم وولاهم تدبير امرهم لضاعوا وهلكوا فاذا كانوا في تدبير امر المعيشة الدنية في الحيوة
الدنيا على هذه الصفة فما ظنك بهم في تدبير امر الدين الذي هو رحمة الله الكبرى ورافته العظمى
وهو الطريق الى حيازة حظوظ الاخرة والسلم الى حلول دار السلام ثم قال ورحمت ربك يريد
هذه الرحمة وهي دين الله وما يتبعه من الفوز في المآب خير مما يجمعون مما يجمع هؤلاء من حطام
الدنيا فان قلت معيشتهم ما يعيشون به من المنافع ومنهم من يعيش بالحلال ومنهم من يعيش
بالحرام فاذن قد قسم الله الحرام كما قسم الحلال قلت الله تعالى قسم لكل عبد معيشة وهي
مطاعمه ومشاربه وما يصلحه من المنافع واذن له في تناولها ولكن شرط عليه وكلفه ان
يسلك في تناولها الطرق التي شرعها فاذا سلك فقد تناول قسمته من المعيشة حلالا وسماها رزق
الله واذا لم يسلكها تناولها حراما وليس له ان يسميها رزق الله فالله تعالى قاسم المعايش والمنافع
ولكن العباد هم الذين يكسونها صفة الحرمة بسوء تناولهم وهو عدولهم فيه عما شرعه الله الى ما لم يشرعه
ولولا ان يكون الناس امة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة لبيوتهم بدل اشتمال
من قوله لمن يكفر ويجوز ان تكونا بمنزلة اللامين في قولك وهبت له ثوبا لقميصه وقرئ سقفا بفتح
السين وسكون القاف وبضمها وسكون القاف وبضمهما جمع سقف كرهن ورهن ورهن وعن
الفراء جمع سقيفة وسقفا بفتحتين كانه لغة في سقف وسقوفا ومعارج ومعاريج والمعارج
جمع معرج او اسم جمع لمعراج وهي المصاعد الى العلالي عليها يظهرون اي على المعارج يظهرون
السطوح يعلونها فما استطاعوا ان يظهروه ولبيوتهم ابوابا وسررا بفتح الراء لاستثقال الضمتين
مع حرفي التضعيف عليها يتكئون وزخرفا وان كل ذلك لما متاع الحيوة الدنيا والآخرة عند ربك
للمتقين اللام هي الفارقة بين ان المخففة والنافية وقرئ بكسر اللام اي للذي هو متاع الحيوة
كقوله مثلا ما بعوضة اي ما هو بعوضة ولما بالتشديد بمعنى الا وان نافية وقرئ وقرئ
ما كل ذلك الا لما قال خير مما يجمعون فقلل امر الدنيا وصغرها اردفه ما يقرر قلة الدنيا عنده
من قوله ولولا ان يكون الناس امة واحدة اي ولولا كراهة ان يجتمعوا على الكفر ويطبقوا عليه
لجعلنا

والسلم بفتح اللام واحد السلاليم التي يرتقى عليها صحاح

ان لو اذا ركب مع لا كان للتمني

لحقارة مصدر حقد

لجعلنا لحقارة زهرة الدنيا عندنا للكفار سقوفا ومصاعد وابوابا وسررا كلها من فضة وجعلنا
لهم زخرفا اي زينة من كل شيء والزخرف الذهب والزينة ويجوز ان يكون الاصل سقفا من فضة و
زخرف يعني بعضها من فضة وبعضها من ذهب فنصب عطفا على محل من فضة وفي معناه قول رسول
الله صلى الله عليه وسلم لو وزنت عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها شربة ماء فان قلت
فحين لم يوسع على الكافرين للفتنة التي كان يؤدي اليها التوسعة عليهم من اطباق الناس على الكفر
لحبهم الدنيا وتهالكهم عليها فهلا وسع على المسلمين ليطبق الناس على الاسلام قلت التوسعة
عليهم مفسدة ايضا لما تؤدي اليه من الدخول في الاسلام لاجل الدنيا والدخول في الدين لاجل الدنيا
من دين المنافقين فكانت الحكمة فيما دبر حيث جعل في الفريقين اغنياء وفقراء وغلب الفقر على
الغنى ومن يعش عن ذكر الرحمن قرئ من يعش بضم الشين وفتحها والفرق بينهما انه اذا حصلت
الآفة في بصره قيل عشي واذا نظر نظر العشي ولا آفة به قيل عشا ونظره عرج لمن به الآفة
وعرج لمن يمشي مشية العرجان من غير عرج قال الحطيئة
متى تاته تعشو الى ضوء ناره اي تنظر اليها نظر العشي لما يضعف بصرك من عظم الوقود
واتساع الضوء وهو بين في قول حاتم اعشو اذا ما جارتي برزت حتى يواري جارتي الخدر
وقرئ يعشو على ان من موصولة غير مضمنة معنى الشرط وحق هذا القارئ ان يرفع نقيض
ومعنى القراءة بالفتح ومن يعم عن ذكر الرحمن وهو القرآن كقوله صم بكم عمي واما القراءة بالضم
فمعناها ومن يتعام عن ذكره اي يعرف انه الحق وهو يتجاهل ويتغابى كقوله وجحدوا بها واستيقنتها
انفسهم نقيض له شيطانا فهو له قرين نخذله ونخل بينه وبين الشياطين كقوله وقيضنا لهم قرناء
الم تر انا ارسلنا الشياطين وقرئ يقيض اي يقيض له الرحمن ويقيض له شيطان وانهم ليصدونهم
عن السبيل ويحسبون انهم مهتدون فان قلت لم جمع ضمير من وضمير الشيطان في قوله
وانهم ليصدونهم قلت لان من مبهم في جنس العاشي وقرئ جاءانا على ان الفعل له ولشيطانه
وقد قيض له شيطان مبهم في جنسه فلما جاز ان يتناولا لابهامهما غير واحدين جاز ان يرجع الضمير

رجل جهم الوجه اي قبيح والجهام بالفتح السحاب

اي ويعرض عن القرآن

الخذل ترك النظر والنصرة قيض الله فلانا لفلان

اليهما مجموعا حتى اذا جاءنا العاشي وقرئ جاءانا على ان الفعل له ولشيطانه قال لشيطانه
يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين يريد المشرق والمغرب فغلّب كما قيل العمران والقمران
فان قلت فما بعد المشرقين قلت تباعدهما والاصل تباعد المشرق من المغرب
والمغرب من المشرق فلما غلّب وجمع المفترقين بالتثنية اضاف البعد اليهما ولن ينفعكم
اليوم اذ ظلمتم انكم في العذاب مشتركون انكم في محل الرفع على الفاعلية يعني ولن ينفعكم
كونكم مشتركين في العذاب كما ينفع الواقعين في الامر الصعب اشتراكهم فيه لتعاونهم
في تحمل اعبائه وتقسّمهم لشدته وعنائه وذلك ان كل واحد منكم من العذاب ما لا تبلغه
طاقته ولك ان تجعل الفعل للتمني في قوله يا ليت بيني وبينك على معنى ولن ينفعكم اليوم
ما انتم فيه من تمني مباعدة القرين وقوله انكم في العذاب مشتركون تعليل اي لن ينفعكم
تمنيكم لان حقكم ان تشتركوا انتم وقرناؤكم في العذاب كما كنتم مشتركين في سببه وهو الكفر
وتقويه قراءة من قرأ انكم بالكسر وقيل اذا رأى الممنو بشدة من مُني بمثلها روّحه
ذلك ونفّس بعض كربه وهو التاسي الذي ذكرته الخنساء   اعزّي النفس عنه بالتاسي
فهؤلاء لا يؤسّيهم اشتراكهم ولا يروّحهم لعظم ما هم فيه فان قلت ما معنى قوله اذ ظلمتم قلت
معناه اذ صحّ ظلمكم وتبيّن ولم يبق لكم ولا لاحد شبهة في انكم كنتم ظالمين وذلك يوم القيامة
واذ بدل من اليوم ونظيره اذا ما انتسبنا لم تلدني لئيمة اي تبين اني ولد كريمة افانت تسمع
الصم او تهدي العمي ومن كان في ضلال مبين كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجدّ و
يجتهد ويكدّ روحه في دعاء قومه وهم لا يزيدون على دعائه الا تصميما على الكفر وتماديا في الغي
فانكر عليه بقوله افانت تسمع انكار تعجيب من ان يكون هو الذي يقدر على هدايتهم واراد انه
لا يقدر على ذلك منهم الا هو وحده على سبيل الالجاء والقسر كقوله ان الله يسمع من يشاء وما انت
بمسمع من في القبور فاما نذهبن بك فانا منهم منتقمون او نرينك الذي وعدناهم فانا عليهم
مقتدرون ما في قوله فاما نذهبن بمنزلة لام القسم في انها اذا دخلت دخلت معها النون المؤكدة

والمعنى

والمعنى فان قبضناك قبل ان ننصرك عليهم ونشفي صدور المؤمنين منهم فانا منهم منتقمون
اشد الانتقام في الآخرة كقوله او نتوفينك فالينا يرجعون وان اردنا ان ننجز في حياتك ما
وعدناهم من العذاب النازل بهم وهو يوم بدر فهم تحت ملكتنا وقدرتنا لا يفوتوننا وصفهم بشدة
الشكيمة في الكفر والضلال ثم اتبعه شدة الوعيد بعذاب الدنيا والآخرة وقرئ نرينّك بالنون
الخفيفة فاستمسك بالذي اوحي اليك انك على صراط مستقيم وقرئ بالذي اَوحى اليك على البناء
للفاعل وهو الله عز وجل والمعنى سواء عجلنا لك الظفر والغلبة او اخرناه الى اليوم الآخر
فكن متمسكا بما اوحينا اليك وبالعمل به فانه الصراط المستقيم الذي لا يحيد عنه الا ضال شقي
وزد كل يوم صلابة في المحاماة على دين الله ولا يخرجك الضجر بامرهم الى شيء من اللين والرخاوة
في امرك ولكن كما يفعل الثابت الذي لا ينشّطه تعجيل ظفر ولا يثبّطه تأخره وانه وان الذي
اوحي اليك لذكر لشرف لك ولقومك ولسوف تسألون عنه يوم القيامة وعن قيامكم بحقه وعن
تعظيمكم له وشكركم على ان رُزقتموه وخُصصتم به من بين العالمين واسأل من ارسلنا من قبلك
من رسلنا اجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون ليس المراد بسؤال الرسل حقيقة السؤال
لاحالته ولكنه مجاز عن النظر في اديانهم والفحص عن مللهم هل جاءت عبادة الاوثان قط
في ملة من ملل الانبياء وكفاه نظرا وفحصا نظره في كتاب الله المعجز المصدق لما بين يديه
واخبار الله فيه بانهم يعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا وهذه الآية في نفسها كافية
لا حاجة الى غيرها والسؤال الواقع مجازا عن النظر حيث لا يصح السؤال على الحقيقة كثير منه
مسألة الشعراء الديار والرسوم والاطلال وقول من قال سل الارض من شق انهارك
وغرس اشجارك وجنى ثمارك فانها ان لم تجبك حوارا اجابتك اعتبارا وقيل ان النبي
صلى الله عليه وسلم جمع له الانبياء ليلة الاسراء في بيت المقدس فامّهم وقيل له سلهم فلم يشكك
ولم يسأل وقيل معناه سل امم من ارسلنا وهم اهل الكتابين التوراة والانجيل [illegible] الفراء
هم انما يخبرونه عن كتب الرسل فاذا سألهم فكأنه سأل الانبياء ولقد ارسلنا موسى بآياتنا الى فرعون

تحاماه الناس اي تركوه واجتنبوه صحاح

والمسألة بالكسر الابرة [illegible]

وملايه فقال اني رسول رب العالمين ما اجابوه به عند قوله اني رسول رب العالمين محذوف دل عليه
قوله فلما جاءهم باياتنا وهو مطالبتهم اياه باحضار البينة على دعواه وابراز الاية اذا هم منها يضحكون
اي يسخرون منها ويهزؤن بها ويسمونها سحرا واذا للمفاجاة فان قلت كيف جاز ان يجاب
لما باذا المفاجاة قلت لان فعل المفاجاة معها مقدر وهو عامل النصب في محلها كانه قيل فلما
جاءهم باياتنا فاجاؤا وقت ضحكهم وما نريهم من اية الا هي اكبر من اختها فان قلت اذا جاءتهم
اية واحدة من جملة التسع فما اختها التي فضلت عليها في الكبر من بقية الايات قلت اختها
التي هي اية مثلها وهذه صفة كل واحدة منها فكان المعنى على انها اكبر من بقية الايات على سبيل
التفضيل والاستقراء واحدة بعد واحدة كما تقول هو افضل رجل رايته تريد تفضيله على امة الرجال
الذين رايتهم اذا قرنتهم رجلا رجلا فان قلت فهو كلام متناقض لان معناه ما من اية من التسع
الا وهي اكبر من كل واحدة منها فيكون كل واحدة منها فاضلة ومفضولة في حالة واحدة قلت
الغرض بهذا الكلام انهن موصوفات بالكبر لا يكدن يتفاوتن فيه وكذلك العادة في الاشياء التي تتلاقى
في الفضل وتتقارب منازلهم فيه التقارب اليسير ان يختلف اراء الناس في تفضيلها فيفضل بعضهم
هذا وبعضهم ذاك فعلى ذلك بنى الناس كلامهم فقالوا رايت رجالا بعضهم افضل من بعض وربما اختلفت
اراء الرجل الواحد فيها فتارة يفضل هذا وتارة يفضل ذاك ومنه بيت الحماسة
من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم مثل النجوم التي يسري بها الساري ولقد فاضلت الانمارية بين الكملة
من بنيها ثم قالت لما ابصرت مراتبهم متدانية قليلة التفاوت ثكلتهم ان كنت اعلم ايهم افضل
هم كالحلقة المفرغة لا يدرى اين طرفاها واخذناهم بالعذاب لعلهم يرجعون ارادة ان يرجعوا
عن الكفر الى الايمان فان قلت لو اراد رجوعهم لكان قلت ارادتي فعل غيري ليس
الا ان يامره به ويطلب منه ايجاده فان كان ذلك على سبيل القسر وجد والا دار بين ان يوجد
وبين ان لا يوجد على حسب اختيار المكلف وانما لم يكن الرجوع لان الارادة لم تكن قسرا ولم يختاروه
والمراد بالعذاب السنون والطوفان والجراد وغير ذلك وقالوا يا ايها الساحر ادع لنا ربك بما
عهد

القسر القهر والاكراه

عهد عندك انا لمهتدون قرئ يا ايه الساحر بضم الهاء وقد سبق وجهه فان قلت كيف سموه بالساحر
مع قوله انا لمهتدون قلت قولهم انا لمهتدون وعد منوي اخلافه وعهد معزوم على نكثه معلق
بشرط ان يدعو لهم وينكشف عنهم العذاب الا ترى الى قوله فلما كشفنا عنهم العذاب اذا هم ينكثون فما كانت
تسميتهم اياه بالساحر بمنافية لقولهم انا لمهتدون وقيل كانوا يقولون للعالم الماهر ساحر لاستعظامهم
علم السحر بما عهد عندك بعهده عندك من ان دعوتك مستجابة او بعهده عندك وهو النبوة او بما عهد
عندك فوفيت به وهو الايمان والطاعة او بما عهد عندك من كشف العذاب عمن اهتدى ونادى فرعون
في قومه جعلهم محلا لندائه وموقعا له والمعنى انه امر بالنداء في مجامعهم واماكنهم من نادى فيها بذلك
فاسند النداء اليه كقولك قطع الامير اللص اذا امر بقطعه ويجوز ان يكون عنده عظماء القبط
فيرفع صوته بذلك فيما بينهم ثم ينشر عنه في جموع القبط فكانه نودي به بينهم قال يا قوم اليس لي ملك
مصر وهذه الانهار تجري من تحتي افلا تبصرون يعني انهار النيل ومعظمها اربعة نهر الملك
ونهر طولون ونهر دمياط ونهر تنيس قيل كانت تجري تحت قصره وقيل تحت سريره لارتفاعه
وقيل بين يدي في جناني وبساتيني ويجوز ان يكون الواو عاطفة للانهار على ملك مصر وتجري
نصب على الحال منها وان يكون الواو للحال واسم الاشارة مبتدا والانهار صفة لاسم الاشارة وتجري
خبر للمبتدا وليت شعري كيف ارتقت الى دعوى الربوبية همة من تعظم بملك مصر وعجب
الناس من مدى عظمته وامر فنودي بها في اسواق مصر وازقتها لئلا تخفى تلك الابهة والجلالة
على صغير ولا كبير وحتى يتربع في صدور الدهماء مقدار عزته وملكوته وعن الرشيد انه لما قراها
قال لاولينها اخس عبيدي فولاها الخصيب وكان على وضوئه وعن عبد الله بن طاهر انه
ولاها فخرج اليها فلما شارفها ووقع عليها بصره قال اهي القرية التي افتخر بها فرعون حتى قال
اليس لي ملك مصر والله لهي اقل عندي من ان ادخلها فثنى عنانه ام انا خير ام هذه متصلة
لان المعنى افلا تبصرون ام تبصرون الا انه وضع قوله انا خير موضع تبصرون لانهم اذا قالوا
له انت خير فهم عنده بصراء وهذا من انزال السبب منزلة المسبب ويجوز ان يكون منقطعة على

نكث العهد والحبل نقض

بل أنا خير والهمزة للتقرير وذلك أنه قدم تعديد أسباب الفضل والتقدم عليهم من ملك مصر
وجري الأنهار تحته ونادى بذلك وملأ به مسامعهم ثم قال أنا خير كأنه يقول أثبت عندكم
واستقر أني أنا خير وهذه حالي من هذا الذي هو مهين أي ضعيف حقير وقرئ أما أنا خير
ولا يكاد يبين الكلام لما به من الرتة يريد أنه ليس معه من العدد وآلات الملك والسياسة ما
يعتضد به وهو في نفسه مخل بما ينعت به الرجال من اللثغة والفصاحة وكانت الأنبياء كلهم
أبيناء بلغاء فلولا ألقي عليه أسورة من ذهب أراد بإلقاء الأسورة عليه إلقاء مقاليد الملك
إليه لأنهم كانوا إذا أرادوا تسويد الرجل سوروه بسوار وطوقوه بطوق من ذهب أو جاء
معه الملائكة مقترنين إما مقترنين به من قولك قرنته به فاقترن به وإما من اقترنوا بمعنى
تقارنوا لما وصف نفسه بالملك والعز ووازن بينه وبين موسى صلوات الله عليه ووصفه بالضعف
وقلة الأعضاد اعترض فقال هلا إن كان صادقا ملكه ربه وسوده وسوره وجعل الملائكة
أعضاده وأنصاره وقرئ أساورة جمع أسورة وأساوير جمع إسوار وهي السوار وأساورة على
تعويض التاء من ياء أساوير وقرئ ألقى عليه أسورة وأساور على البناء للفاعل وهو الله عز وجل
فاستخف قومه فاستفزهم وحقيقته حملهم على أن يخفوا له ولما أراد منهم وكذلك استفزه
من قولهم للخفيف فز فأطاعوه إنهم كانوا قوما فاسقين فلما آسفونا انتقمنا منهم فأغرقناهم
أجمعين آسفونا منقول من أسف أسفا إذا اشتد غضبه ومنه الحديث في موت الفجأة
رحمة للمؤمنين وأخذة أسف للكافرين ومعناه أنهم أفرطوا في المعاصي وعدوا طورهم فاستوجبوا
أن نعجل لهم عذابنا وانتقامنا وأن لا نحلم عنهم فجعلناهم سلفا ومثلا للآخرين قرئ سلفا
جمع سالف كخادم وخدم وسلفا بضمتين جمع سليف أي فريق قد سلف وسلفا جمع سلفة
أي ثلة قد سلفت ومعناه فجعلناهم قدوة للآخرين من الكفار يقتدون بهم في استحقاق
مثل عقابهم ونزوله بهم لإتيانهم بمثل أفعالهم وحديثا عجيب الشأن سائرا مسير المثل يحدثون
به ويقال لهم مثلكم مثل قوم فرعون ولما ضرب ابن مريم مثلا لما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم
على

على قريش إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم امتعضوا من ذلك امتعاضا شديدا فقال عبد الله
ابن الزبعرى يا محمد أخاصة لنا ولآلهتنا أم لجميع الأمم فقال صلى الله عليه وسلم هو لكم ولآلهتكم ولجميع الأمم
فقال خصمتك ورب الكعبة ألست تزعم أن عيسى ابن مريم نبي وتثني عليه خيرا وعلى أمه وقد علمت أن النصارى
يعبدونهما وعزير يعبد والملائكة يعبدون فإن كان هؤلاء في النار فقد رضينا أن نكون نحن وآلهتنا
معهم ففرحوا وضحكوا وسكت النبي صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى إن الذين سبقت لهم منا الحسنى ونزلت هذه الآية
والمعنى ولما ضرب عبد الله بن الزبعرى عيسى ابن مريم مثلا وجادل رسول الله صلى الله عليه وسلم بعبادة النصارى
إياه إذا قومك قريش منه من هذا المثل يصدون يرتفع لهم جلبة وضجيج فرحا وجذلا وضحكا
بما سمعوا منه من إسكات رسول الله صلى الله عليه وسلم بجدله كما يرتفع لغط القوم ولجبهم إذا
تعيوا بحجة ثم فتحت عليهم وأما من قرأ يصدون بالضم فمن الصدود أي من أجل هذا المثل يصدون
عن الحق ويعرضون عنه وقيل من الصديد وهو الجلبة وأنهما لغتان نحو يعكف ويعكف ونظائر لها
وقالوا أآلهتنا خير أم هو يعنون أن آلهتنا عندك ليست بخير من عيسى فإذا كان عيسى من حصب
النار كان أمر آلهتنا هينا ما ضربوه أي ما ضربوا هذا المثل لك إلا جدلا إلا لأجل الجدل والغلبة
في القول لا لطلب المميز بين الحق والباطل بل هم قوم خصمون لد شداد الخصومة دأبهم اللجاج كقوله
قوما لدا وذلك أن قوله تعالى إنكم وما تعبدون ما أريد به إلا الأصنام وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم
هو لكم ولآلهتكم ولجميع الأمم إنما قصد به الأصنام ومحال أن يقصد به الأنبياء والملائكة إلا أن ابن الزبعرى
بخبثه وخداعه وخبث دخلته لما رأى كلام الله ورسوله محتملا لفظه وجه العموم مع علمه بأن المراد
به أصنامهم لا غير وجد للحيلة مساغا فصرف معناه إلى الشمول والإحاطة بكل معبود غير الله على
طريقة المحك والجدال وحب المغالبة والمكابرة وتوقح في ذلك فتوقر رسول الله صلى الله عليه وسلم
حتى أجاب عنه ربه إن الذين سبقت لهم منا الحسنى فدل به على أن الآية خاصة في الأصنام على أن
ظاهر قوله وما تعبدون لغير العقلاء وقيل لما سمعوا قوله إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم قالوا
نحن أهدى من النصارى لأنهم عبدوا آدميا ونحن نعبد الملائكة فنزلت وقوله أآلهتنا خير أم هو على

هذا القول تفضيل لآلهتهم على عيسى لان المراد بهم الملائكة وما ضربوه لك الا جدلا ما ضربوه وما قالوا
هذا القول يعني آلهتنا خير ام هو الا للجدل وقرئ آالهتنا خير باثبات همزة الاستفهام واسقاطها لدلالة
ام العديلة عليها وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه خير ام هذا ويجوز ان يكون جدلا حالا اي
جدلين وقيل لما نزلت ان مثل عيسى عند الله قالوا ما يريد محمد بهذا الا ان نعبده وانه
يستاهل ان يعبد وان كان بشرا كما عبدت النصارى المسيح وهو بشر ومعنى يصدون يضجون
ويضجون والضمير في ام هو لمحمد صلى الله عليه وسلم وغرضهم بالموازنة بينه وبين آلهتهم السخرية
والاستهزاء ويجوز ان يقولوا لما انكر عليهم قولهم الملائكة بنات الله وعبدوهم ما قلنا بدعا من القول
ولا فعلنا نكرا من الفعل وان النصارى جعلوا المسيح ابن الله وعبدوه ونحن اشف منهم
قولا وفعلا فانا نسبنا اليه الملائكة وهم نسبوا اليه الاناسي فقيل لهم مذهب النصارى شرك
بالله ومذهبكم شرك مثله وما تنصلكم مما انتم عليه لما اوردتموه الا قياس باطل بباطل ان هو
الا عبد وما عيسى الا عبد كسائر العبيد انعمنا عليه حيث جعلناه آية بان خلقناه من غير
سبب كما خلقنا آدم وشرفناه بالنبوة وجعلناه مثلا لبني اسرائيل وصيرناه عبرة عجيبة
كالمثل السائر لبني اسرائيل ولو نشاء لقدرنا على عجائب الصور وبدائع الفطر لجعلنا منكم
لولدنا منكم يا رجال ملائكة في الارض يخلفون ملائكة يخلفونكم في الارض كما يخلفكم اولادكم
كما ولدنا عيسى من انثى من غير فحل لتعرفوا تميزنا بالقدرة الباهرة ولتعلموا ان الملائكة اجسام
لا تتولد الا من اجسام وذات القديم متعالية عن ذلك وانه وان عيسى عليه السلم لعلم للساعة
اي شرط من اشراطها تعلم به فسمي الشرط علما لحصول العلم به وقرأ ابن عباس رضي الله عنهما
لعَلَم وهو العلامة وقرئ للعلم وقرأ ابي لذكر على تسمية ما يذكر به ذكرا كما سمي ما يعلم
به علما وفي الحديث ان عيسى عليه السلم ينزل على ثنية بالارض المقدسة يقال لها افيق وعليه
ممصرتان وشعر راسه دهين وبيده حربة وبها يقتل الدجال فياتي بيت المقدس والناس
في صلوة الصبح والامام يؤم بهم فيتاخر الامام فيتقدمه عيسى عليه السلم ويصلي خلفه على دين محمد
صلعم

صلى الله عليه وسلم ثم يقتل الخنازير ويكسر الصليب ويخرب البيع والكنايس ويقتل النصارى الا
من آمن به وعن الحسن ان الضمير للقران وان القران تعلم به الساعة لان فيه الاعلام بها فلا تمترن
بها من المرية وهي الشك واتبعون واتبعوا هداي وشرعي او رسولي وقيل هذا امر لرسول الله صلى
الله عليه وسلم ان يقوله هذا صراط مستقيم اي هذا الذي ادعوكم اليه او هذا القران ان جعل الضمير
في وانه للقران ولا يصدنكم الشيطان انه لكم عدو مبين قد ابانت عداوته لكم اذ اخرج اباكم من
الجنة ونزع عنه لباس النور ولما جاء عيسى بالبينات بالمعجزات او بايات الانجيل والشرايع البينات
الواضحات قال قد جئتكم بالحكمة يعني الانجيل والشرايع ولابين لكم بعض الذي تختلفون فيه
فان قلت هلا بين لهم كل الذي يختلفون فيه ولكن بعضه قلت كانوا يختلفون في الديانات
وما يتعلق بالتكليف وفيما سوى ذلك مما لم يتعبدوا بمعرفته والسؤال عنه وانما بعث ليبين لهم
ما اختلفوا فيه مما يعنيهم من امر دينهم فاتقوا الله واطيعون ان الله هو ربي وربكم فاعبدوه هذا
صراط مستقيم فاختلف الاحزاب الفرق المتحزبة بعد عيسى وقيل اليهود والنصارى من بينهم
فويل للذين ظلموا من عذاب يوم اليم وعيد للاحزاب فان قلت من بينهم الى من يرجع الضمير
فيه قلت الى الذين خاطبهم عيسى في قوله قد جئتكم بالحكمة وهم قومه المبعوث اليهم هل ينظرون
الا الساعة ان تاتيهم بغتة وهم لا يشعرون ان تاتيهم بدل من الساعة والمعنى هل ينظرون الا اتيان
الساعة فان قلت اما ادى قوله بغتة مؤدى قوله وهم لا يشعرون فيستغنى عنه قلت
لا لان معنى قوله وهم لا يشعرون وهم غافلون لاشتغالهم بامور دنياهم كقوله تاخذهم وهم يخصمون
ويجوز ان تاتيهم بغتة وهم فطنون الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين يومئذ منصوب
بعدو اي تنقطع في ذلك اليوم كل خلة بين المتخالين في غير ذات الله وتنقلب عداوة ومقتا
الا خلة المتصادقين في الله فانها الخلة الباقية المزدادة قوة اذا راوا ثواب التحاب في
الله والتباغض في الله وقيل الا المتقين الا المجتنبين اخلاء السوء وقيل نزلت في ابي
ابن خلف وعقبة بن ابي معيط ياعبادي لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون حكاية لما ينادى

به المتقون المتصادقون في الله يومئذ. الذين آمنوا بآياتنا منصوب المحل صفة لعبادي لأنه منادى مضاف أي الذين صدقوا بآياتنا وكانوا مسلمين مخلصين وجوههم لنا جاعلين أنفسهم سالمة لطاعتنا. وقيل إذا بعث الله الناس فزع كل أحد فينادي مناد يا عبادي فيرجوها الناس كلهم ثم يتبعها الذين آمنوا فييأس الناس منها غير المسلمين. وقرئ يا عباد. ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تحبرون تسرون سرورا يظهر حباره أي أثره على وجوهكم كقوله تعالى تعرف في وجوههم نضرة النعيم. وقال الزجاج تكرمون إكراما يبالغ فيه والحبرة المبالغة فيما وصف بجميل. يطاف عليهم بصحاف من فضة وأكواب الكوب الكوز لا عروة له. وفيها الضمير للجنة. ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين وأنتم فيها خالدون. وقرئ تشتهي وتشتهيه وهذا حصر لأنواع النعم لأنها إما مشتهاة في القلوب وإما مستلذة في العيون. وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون تلك إشارة إلى الجنة المذكورة وهي مبتدأ والجنة خبر والتي أورثتموها صفة الجنة أو الجنة صفة للمبتدأ الذي هو اسم الإشارة والتي أورثتموها خبر المبتدأ أو التي أورثتموها صفة وبما كنتم تعملون الخبر والباء تتعلق بمحذوف كما في الظروف التي تقع أخبارا وفي الوجه الأول تتعلق بأورثتموها وشبهت في بقائها على أهلها بالميراث الباقي على الورثة وقرئ ورثتموها. لكم فيها فاكهة كثيرة منها تأكلون من للتبعيض أي لا تأكلون إلا بعضها وأعقابها باقية في شجرها فهي مزينة بالثمار أبدا موقرة بها لا ترى شجرة عريانة من ثمرها كما في الدنيا. وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا ينزع رجل في الجنة من ثمرها إلا نبت مكانها مثلاها. إن المجرمين في عذاب جهنم خالدون لا يفتر عنهم لا يخفف ولا ينقص من قولهم فترت عنه الحمى إذا سكنت عنه قليلا ونقص حرها. وهم فيه مبلسون المبلس اليائس الساكت سكوت يأس من فرج. وعن الضحاك يجعل المجرم في تابوت من النار ثم يردم عليه فيبقى فيه خالدا لا يرى ولا يرى. وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين هم فصل عند البصريين عماد عند الكوفيين. وقرئ وهم فيها أي في النار. ونادوا يا مالك قرأ علي وابن مسعود رضي الله عنهما يا مال بالحذف والكسر للترخيم كقول القائل: والحق يا مال غير ما تصف. وقيل لابن عباس إن ابن مسعود رضي الله عنه قرأ

ونادوا

ونادوا يا مال فقال ما أشغل أهل النار عن الترخيم. وعن بعضهم حسن الترخيم أنهم يقتطعون بعض الاسم لضعفهم وعظم ما هم فيه. وقرأ أبو السرار الغنوي يا مال بالرفع كما يقال يا حار. ليقض علينا ربك من قضى عليه إذا أماته فوكزه موسى فقضى عليه والمعنى سل ربك أن يقضي علينا. فإن قلت كيف قال ونادوا يا مالك بعد ما وصفهم بالإبلاس. قلت تلك أزمنة متطاولة وأحقاب ممتدة فتختلف بهم الأحوال فيسكتون أوقاتا لغلبة اليأس عليهم وعلمهم أنه لا فرج ويغوثون أوقاتا لشدة ما بهم. قال إنكم ماكثون لابثون وفيه استهزاء والمراد خالدون. عن ابن عباس رضي الله عنهما إنما يجيبهم بعد ألف سنة. وعن النبي صلى الله عليه وسلم يلقى على أهل النار الجوع حتى يعدل ما هم فيه من العذاب فيقولون ادعوا مالكا فيدعون يا مالك ليقض علينا ربك. لقد جئناكم بالحق كلام الله عز وجل بدليل قراءة من قرأ لقد جئتكم. ويجب أن يكون في قال ضمير الله لما سألوا مالكا أن يسأل الله القضاء عليهم أجابهم الله بذلك. ولكن أكثركم للحق كارهون لا تقبلونه وتنفرون منه وتشمئزون لأن مع الباطل الدعة ومع الحق التعب. أم أبرموا أم أبرم مشركو مكة أمرا من كيدهم ومكرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم فإنا مبرمون كيدنا كما أبرموا كيدهم كقوله أم يريدون كيدا فالذين كفروا هم المكيدون. أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم كانوا يتنادون فيتناجون في أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم. فإن قلت ما المراد بالسر والنجوى. قلت السر ما حدث به الرجل نفسه أو غيره في مكان خال والنجوى ما تكلموا به فيما بينهم. بلى نسمعهما ونطلع عليهما ورسلنا يريد الحفظة لديهم يكتبون ذلك. وعن يحيى بن معاذ الرازي من ستر من الناس ذنوبه وأبداها للذي لا يخفى عليه شيء في السماوات والأرض فقد جعله أهون الناظرين إليه وهو من علامات النفاق. قل إن كان للرحمن ولد وصح ذلك وثبت ببرهان صحيح توردونه وحجة واضحة تدلون بها فأنا أول العابدين فأنا أول من يعظم ذلك الولد وأسبقكم إلى طاعته والانقياد له كما يعظم الرجل ولد الملك لتعظيم أبيه وهذا كلام وارد على سبيل الفرض والتمثيل لغرض

حقب

اي تقولون واغوثاه وحسبه يصيحون بواغوثاه يقال يثبت الرجل اي قال مستغيثا لك

اي بل احكموا امرا في والمكربه

لديهم

صحيح وهو المبالغة في نفي الولد والاطناب فيه وان لا يترك للناطق به شبهة الا مضمحلة مع
الترجمة عن نفسه ثبات القدم في باب التوحيد وذلك انه علق العبادة بكينونة الولد وهي
محال في نفسها فكان المعلق بها محالا مثلها فهو في صورة اثبات الكينونة والعبادة وفي معنى
نفيهما على ابلغ الوجوه واقواها ونظيره ان يقول العدلي للمجبر ان كان الله خالقا للكفر في
القلوب ومعذبا عليه عذابا سرمدا فانا اول من يقول هو شيطان وليس باله فمعنى هذا الكلام
وما وضع له اسلوبه ونظمه نفي ان يكون الله خالقا للكفر وتنزيهه عن ذلك وتقديسه ولكن
على طريق المبالغة فيه من الوجه الذي ذكرنا مع الدلالة على سماجة المذهب وضلالة الذاهب
اليه والشهادة القاطعة باحالته والافصاح عن نفسه بالبراءة منه وغاية النفار والاشمئزاز
من ارتكابه ونحو هذه الطريقة قول سعيد بن جبير رحمه الله للحجاج حين قال له ام والله
لابدلنك بالدنيا نارا تلظى لو عرفت ان ذلك اليك ما عبدت الها غيرك وقد تمحل الناس بما
اخرجوه به من هذا الاسلوب الشريف المكي بالنكت والفوايد المستقل باثبات التوحيد
على ابلغ وجوهه فقيل ان كان للرحمن ولد في زعمكم فانا اول العابدين الموحدين لله المكذبين
قولكم باضافة الولد اليه وقيل ان كان للرحمن ولد في زعمكم فانا اول الانفين من ان
يكون له ولد من عبد يعبد اذا اشتد انفه فهو عبد وعابد وقراء بعضهم عبدين وقيل
هي ان النافية اي ما كان للرحمن ولد فانا اول من قال بذلك وعبد ووحد وروي
ان النضر بن عبد الدار بن قصي قال ان الملائكة بنات الله فنزلت فقال النضر الا ترون
انه قد صدقني فقال له الوليد بن المغيرة ما صدقك ولكن قال ما كان للرحمن ولد فانا اول
الموحدين من اهل مكة ان لا ولد له وقرئ ولد بضم الواو سبحان رب السماوات والارض
رب العرش عما يصفون ثم نزه ذاته موصوفة بربوبية السماوات والارض والعرش عن اتخاذ
الولد ليدل على انه من صفة الاجسام ولو كان جسما لم يقدر على خلق هذا العالم وتدبير امره
فذرهم يخوضوا في باطلهم ويلعبوا في دنياهم حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون وهذا دليل
على

اي قباحة المذهب صحاح

على ان ما يقولونه من باب الجهل والخوض واللعب واعلام لرسول الله صلى الله عليه وسلم
انهم من المطبوع على قلوبهم الذين لا يرجعون البتة وان ركب في دعوتهم كل صعب وذلول
وخذلان لهم وتخلية كقوله اعملوا ما شئتم وايعاد بالشقاء في العاقبة وهو الذي في السماء اله
وفي الارض اله وهو الحكيم العليم ضمن اسمه تعالى معنى وصف فلذلك علق به الظرف في قوله
في السماء والارض كما تقول هو حاتم في طيء حاتم في تغلب على تضمين معنى الجواد الذي شهر به كانك
قلت هو جواد في طيء جواد في تغلب وقرئ وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله ومثله
قوله تعالى وهو الله في السماوات وفي الارض كانه ضمن معنى المعبود او المالك او نحو ذلك و
الراجع الى الموصول محذوف لطول الكلام كقولهم ما انا بالذي قائل لك شيئا وزاده طولا ان المعطوف
داخل في حيز الصلة ويحتمل ان يكون في السماء صلة الذي واله خبر مبتدا محذوف على ان الجملة
بيان للصلة وان كونه في السماء على سبيل الالهية والربوبية لا على معنى الاستقرار وفيه نفي الالهة
التي كانت تعبد في الارض وتبارك الذي له ملك السماوات والارض وما بينهما وعنده علم الساعة
واليه ترجعون قرئ بضم التاء وفتحها ويرجعون بياء مضمومة وقرئ تحشرون ولا يملك آلهتهم
الذين يدعون من دونه من دون الله الشفاعة كما زعموا انهم شفعاؤهم عند الله الا من شهد
بالحق وهم يعلمون ولكن من شهد بالحق وهو توحيد الله وهو يعلم ما يشهد به عن بصيرة وايقان
واخلاص هو الذي يملك الشفاعة وهو استثناء منقطع ويجوز ان يكون متصلا لان في جملة الذين
يدعون من دون الله الملائكة وقرئ تدعون بالتاء وتدعون بتشديد الدال ولئن سالتهم من خلقهم
ليقولن الله فانى يؤفكون وقيله بالحركات الثلث وذكر في النصب عن الاخفش انه حمله
على ام يحسبون انا لا نسمع سرهم ونجواهم وقيله وعنه وقال قيله وعطفه الزجاج على محل الساعة
كما تقول عجبت من ضرب زيد وعمرا وحمل الجر على لفظ الساعة والرفع على الابتداء والخبر ما
بعده وجوز عطفه على علم الساعة على تقدير حذف المضاف معناه وعنده علم الساعة وعلم
قيله والذي قالوه ليس بقوي في المعنى مع وقوع الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه بما لا يحسن

اعتراضا ومع تنافر النظم وأقوى من ذلك وأوجه أن يكون الجر والنصب على إضمار حرف
القسم وحذفه والرفع على قولهم ايمن الله وأمانة الله ويمين الله ولعمرك ويكون قوله إن
هؤلاء قوم لا يؤمنون جواب القسم كأنه قال وأقسم بقيله يا رب أو وقيله يا رب قسمي يا رب إن
هؤلاء قوم لا يؤمنون فاصفح عنهم فأعرض عن دعوتهم يائسا عن إيمانهم وودعهم وتاركهم
وقل لهم سلام أي تسلم منكم ومتاركة فسوف يعلمون وعيد من الله لهم وتسلية لرسوله والضمير
في وقيله لرسول الله صلى الله عليه وسلم وإقسام الله بقيله رفع منه وتعظيم لدعائه والتجائه
إليه عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الزخرف كان ممن يقال له يوم القيامة يا عبادي
لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون ادخلوا الجنة بغير حساب

سورة حم الدخان مكية وهي تسع وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم حم والكتاب المبين إنا أنزلناه في ليلة
مباركة الواو في والكتاب واو القسم إن جعلت حم تعديدا للحروف أو اسما للسورة مرفوعا
على خبر الابتداء المحذوف وواو العطف إن كانت حم مقسما بها وقوله إنا أنزلناه جواب القسم
والكتاب المبين القرآن والليلة المباركة ليلة القدر وقيل ليلة النصف من شعبان ولها
أربعة أسماء الليلة المباركة وليلة البراءة وليلة الصك وليلة الرحمة وقيل بينها وبين ليلة القدر
أربعون ليلة وقيل في تسميتها ليلة البراءة والصك أن البندار إذا استوفى الخراج من
أهله كتب لهم البراءة كذلك الله عز وعلا يكتب لعباده المؤمنين البراءة في هذه الليلة وقيل هي
مختصة بخمس خصال تفريق كل أمر حكيم وفضيلة العبادة فيها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من صلى في هذه الليلة مائة ركعة أرسل الله إليه مائة ملك ثلاثون يبشرونه بالجنة وثلاثون يؤمنونه
من عذاب النار وثلاثون يدفعون عنه آفات الدنيا وعشرة يدفعون عنه مكايد الشيطان ونزول
الرحمة قال صلى الله عليه وسلم إن الله يرحم أمتي في هذه الليلة بعدد شعر أغنام بني كلب وحصول
المغفرة قال صلى الله عليه وسلم إن الله يغفر لجميع المسلمين في تلك الليلة إلا لكاهن أو ساحر أو مشاحن
أو

أو مدمن خمر أو عاق للوالدين أو مصر على الزنا وما أعطي فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم من تمام
الشفاعة وذلك أنه سأل ليلة الثالث عشر في أمته فأعطي الثلث منها ثم سأل ليلة الرابع عشر فأعطي
الثلثين ثم سأل ليلة الخامس عشر فأعطي الجميع إلا من شرد على الله شراد البعير ومن عادة الله في هذه
الليلة أن يزيد فيها ماء زمزم زيادة ظاهرة والقول الأكثر أن المراد بالليلة المباركة ليلة القدر لقوله
تعالى إنا أنزلناه في ليلة القدر ولمطابقة قوله فيها يفرق كل أمر حكيم لقوله تنزل الملائكة والروح
فيها بإذن ربهم من كل أمر وقوله شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن وليلة القدر في أكثر الأقاويل
في شهر رمضان فإن قلت ما معنى إنزال القرآن في هذه الليلة قلت قالوا أنزل جملة
واحدة من السماء السابعة إلى السماء الدنيا وأمر السفرة الكرام بانتساخه في ليلة القدر وكان جبريل ينزله
على رسول الله صلى الله عليه وسلم نجوما نجوما فإن قلت إنا كنا منذرين فيها يفرق كل أمر حكيم ما موقع
هاتين الجملتين قلت هما جملتان مستأنفتان ملفوفتان فسر بهما جواب القسم الذي هو قوله
إنا أنزلناه في ليلة مباركة كأنه قيل أنزلناه لأن من شأننا الإنذار والتحذير من العقاب وكان إنزالنا
إياه في هذه الليلة خصوصا لأن إنزال القرآن من الأمور الحكيمة وهذه الليلة مفرق كل أمر حكيم
والمباركة الكثيرة الخير لما يتيح الله فيها من الأمور التي يتعلق بها منافع العباد في دينهم ودنياهم
ولو لم يوجد فيها إلا إنزال القرآن وحده لكفى به بركة ومعنى يفرق يفصل ويكتب كل أمر حكيم من أرزاق
العباد وآجالهم وجميع أمرهم منها إلى الأخرى القابلة وقيل يبدأ في استنساخ ذلك من اللوح
المحفوظ في ليلة البراءة ويقع الفراغ في ليلة القدر فتدفع نسخة الأرزاق إلى ميكائيل عليه السلام ونسخة
الحروب إلى جبريل عليه السلام وكذلك الزلازل والصواعق والخسف ونسخة الأعمال إلى إسماعيل صاحب
سماء الدنيا وهو ملك عظيم ونسخة المصائب إلى ملك الموت عليه السلام وعن بعضهم يعطى كل عامل بركات
أعماله فيلقى على ألسنة الخلق مدحه وعلى قلوبهم هيبته وقرئ يفرق بالتشديد ويفرق كل على
بنائه للفاعل ونصب كل والفارق الله عز وجل وقرأ زيد بن علي رضي الله عنهما نفرق بالنون كل أمر
حكيم كل شأن ذي حكمة أي مفعول على ما تقتضيه الحكمة وهو من الإسناد المجازي لأن الحكيم صفة

صاحب الأمر على الحقيقة ووصف الآمر به مجاز أمرًا من عندنا نصب على الاختصاص جعل كل
أمر جزلا فخما بأن وصفه بالحكيم ثم زاده جزالة وكسبه فخامة بأن قال أعني بهذا الأمر أمرًا
حاصلا من عندنا كائنا من لدنا وكما اقتضاه علمنا وتدبيرنا ويجوز أن يراد به الأمر الذي هو ضد النهي
ثم إما أن يوضع موضع فرقانا الذي هو مصدر يفرق لأن معنى الأمر والفرقان واحد من حيث انه
إذا حكم بالشيء وكتبه فقد أمر به وأوجبه أو يكون حالا من أحد الضميرين في أنزلناه إما من ضمير
الفاعل أي أنزلناه آمرين أمرًا أو من ضمير المفعول أي أنزلناه في حال كونه أمرًا من عندنا بما يجب
أن يفعل **فإن قلت** إنا كنا مرسلين رحمة من ربك بم يتعلق **قلت** يجوز أن يكون بدلا
من قوله إنا كنا منذرين ورحمة من ربك مفعولا له على معنى إنا أنزلنا القرآن لأن من شأننا إرسال
الرسل بالكتب إلى عبادنا لأجل الرحمة عليهم وأن يكون تعليلا ليفرق أو لقوله أمرًا من عندنا
ورحمة مفعولا به وقد وصف الرحمة بالإرسال كما وصفها به في قوله وما يمسك فلا مرسل له من
بعده أي يفصل في هذه الليلة كل أمر أو تصدر الأوامر من عندنا لأن من عادتنا أن نرسل رحمتنا
وفصل كل أمر من قسمة الأرزاق وغيرها من باب الرحمة وكذلك الأوامر الصادرة من حضرته عز
وعلا لأن الغرض في تكليف العباد تعريضهم للمنافع والأصل إنا كنا مرسلين رحمة منا فوضع
الظاهر موضع الضمير إيذانا بأن الربوبية تقتضي الرحمة على المربوبين وفي قراءة زيد بن علي رضي الله
عنهما أمر من عندنا على هو أمر وهي تنصر انتصابه على الاختصاص وقرأ الحسن رحمه الله رحمة
من ربك على تلك رحمة وهي تنصر انتصابها بأنها مفعول له إنه هو السميع العليم وما بعده تحقيق لربوبيته
وأنها لا تحق إلا لمن هذه أوصافه رب السماوات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين لا إله إلا هو
ربكم ورب آبائكم الأولين وقرئ رب السماوات وربكم ورب آبائكم بالجر بدلا من ربك **فإن قلت**
ما معنى الشرط الذي هو قوله إن كنتم موقنين **قلت** كانوا يقرون بأن للسماوات والأرض ربا وخالقا
فقيل لهم إن إرسال الرسل وإنزال الكتب رحمة من الرب ثم قيل إن هذا الرب هو السميع العليم
الذي أنتم مقرون به ومعترفون بأنه رب السماوات والأرض وما بينهما إن كان إقراركم عن علم وإيقان
كما

كما تقول إن هذا إنعام زيد الذي تسامع الناس بكرمه واشتهروا سخاؤه إن بلغك حديثه وحدثت
بقصته ثم رد أن يكونوا موقنين بقوله بل هم في شك يلعبون فإن إقرارهم غير صادر عن علم ويقين
ولا عن جد وحقيقة بل قول مخلوط بهزء ولعب فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين يوم تأتي السماء
مفعول به لارتقب يقال رقبته وارتقبته نحو نظرته وانتظرته واختلف في الدخان فعن علي
رضي الله عنه وبه أخذ الحسن أنه دخان يأتي من السماء قبل يوم القيامة يدخل في أسماع الكفرة حتى يكون
رأس الواحد كالرأس الحنيذ ويعتري المؤمن منه كهيئة الزكام وتكون الأرض كلها كبيت أوقد فيه
ليس فيه خصاص وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أول الآيات الدخان ونزول عيسى بن مريم ونار
تخرج من قعر عدن أبين تسوق الناس إلى المحشر قال حذيفة رضي الله عنه يا رسول الله وما الدخان
فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم الآية وقال يملأ ما بين المشرق والمغرب يمكث أربعين يوما وليلة
أما المؤمن فيصيبه كهيئة الزكمة وأما الكافر فهو كالسكران يخرج من منخريه وأذنيه
ودبره وعن ابن مسعود رضي الله عنه خمس قد مضت الروم والدخان والقمر والبطشة
واللزام ويروى أنه قيل لابن مسعود إن قاصا عند أبواب كندة يقول إنه دخان يأتي يوم
القيامة فيأخذ بأنفاس الخلق فقال من علم علما فليقل به ومن لم يعلم فليقل الله أعلم فإن من
علم الرجل أن يقول لشيء لا يعلمه الله أعلم ثم قال ألا وسأحدثكم أن قريشا لما استعصت على رسول
الله صلى الله عليه وسلم دعا عليهم فقال اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف
فأصابهم الجهد حتى أكلوا الجيف والعلهز وكان الرجل يرى بين السماء والأرض الدخان وكان
يحدث الرجل فيسمع كلامه ولا يراه من الدخان فمشى إليه أبو سفيان ونفر معه وناشدوه الله والرحم
وواعدوه إن دعا لهم وكشف عنهم أن يؤمنوا فلما كشف عنهم رجعوا إلى شركهم بدخان مبين ظاهر حاله
لا يشك أحد في أنه دخان يغشى الناس يشملهم ويلبسهم وهو في محل الجر صفة لدخان هذا عذاب
أليم منصوب المحل بفعل مضمر وهو يقولون ويقولون منصوب على الحال أي قائلين ذلك ربنا اكشف
عنا العذاب إنا مؤمنون موعدة بالإيمان إن كشف عنهم العذاب أنى لهم الذكرى كيف يذكرون

ويتعظون ويفون بما وعدوه من الايمان عند كشف العذاب وقد جاءهم رسول مبين ثم تولوا عنه
وقالوا معلم مجنون وقد جاءهم ما هو اعظم وادخل في وجوب الاذكار من كشف الدخان وهو
ما ظهر على رسول الله صلى الله عليه وسلم من الآيات والبينات من الكتاب المعجز وغيره من المعجزات
فلم يذكروا وتولوا عنه وبهتوه بان عداسا غلاما اعجميا لبعض ثقيف هو الذي علمه ونسبوه
الى الجنون ثم قال انا كاشفوا العذاب قليلا انكم عائدون اي ريثما نكشف عنكم العذاب
تعودون الى شرككم لا تلبثون عقب الكشف على ما انتم عليه من التضرع والابتهال فان قلت
كيف يستقيم قوله على قول من جعل الدخان قبل القيامة قوله انا كاشفوا العذاب قليلا
قلت اذا اتت السماء بالدخان تضور المعذبون به من الكفار والمنافقين وغوثوا
وقالوا ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون منيبون فيكشفه الله عنهم بعد اربعين يوما
فريثما يكشفه عنهم يرتدون لا يتمهلون ثم قال يوم نبطش البطشة الكبرى يريد يوم القيامة
فاذا جاءت الطامة الكبرى انا منتقمون اي ننتقم منهم في ذلك اليوم فان قلت ثم انتصب
يوم نبطش قلت بما دل عليه انا منتقمون وهو ننتقم ولا يصح ان ينتصب بمنتقمون
لان ان تحجب عن ذلك وقرئ نبطش بضم الطاء وقرأ الحسن نبطش بضم النون كانه
يحمل الملائكة على ان يبطشوا بهم البطشة الكبرى او يجعل البطشة الكبرى باطشة بهم وقيل
البطشة الكبرى يوم بدر ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون وقرئ ولقد فتنا بالتشديد للتاكيد او لوقوعه
على القوم ومعنى الفتنة انه امهلهم ووسع عليهم في الرزق فكان ذلك سببا في ارتكابهم المعاصي
واقترافهم الآثام او ابتلاهم بارسال موسى اليهم فاختاروا الكفر على الايمان او سلبهم ملكهم واغرقهم
وجاءهم رسول كريم على الله وعلى عباده المؤمنين او كريم في نفسه لان الله لم يبعث نبيا الا من سراة
قومه وكرامهم ان ادوا الي عباد الله اني لكم رسول امين ان ادوا الي هي ان المفسرة لان مجيء
الرسول من بعث اليهم متضمن لمعنى القول لانه لا يجيئهم الا مبشرا ونذيرا وداعيا الى الله او المخففة
من الثقيلة ومعناه وجاءهم بان الشان والحديث ادوا الي وعباد الله مفعول به وهم بنو اسرائيل
يقول

عدس لزجر البغل
العدس حب معروف صحاح

التضور الصياح والتلوي عند الضرب او الجوع

الفتنة الاختبار والامتحان صحاح

يقول ادوهم الي وارسلوهم معي كقوله ارسل معنا بني اسرائيل ولا تعذبهم ويجوز ان يكون نداء لهم على
ادوا الي يا عباد الله ما هو واجب لي عليكم من الايمان لي وقبول دعوتي واتباع سبيلي وعلل ذلك
بانه رسول امين غير ظنين قد ائتمنه الله على وحيه ورسالته وان لا تعلوا ان هذه مثل الاولى في
وجهيها اي لا تستكبروا على الله بالاستهانة برسوله ووحيه او لا تستكبروا على نبي الله اني آتيكم
بسلطان مبين بحجة واضحة واني عذت بربي وربكم ان ترجمون ان تقتلون وقرئ عت بالادغام ومعناه
انه عائذ بربه متكل على انه يعصمه منهم ومن كيدهم فهو غير مبال بما كانوا يتوعدونه من الرجم والقتل
وان لم تؤمنوا لي فاعتزلون يريد ان لم تؤمنوا لي فلا موالاة بيني وبين من لا يؤمن فتنحوا عني واقطعوا
اسباب الوصلة عني او فخلوني كفافا لا لي ولا علي ولا تتعرضوا الى بشركم واذاكم فليس جزاء من دعاكم
الى ما فيه فلاحكم ذلك فدعا ربه ان هؤلاء بان هؤلاء قوم مجرمون اي دعا ربه بذلك قيل كان دعاؤه
اللهم عجل لهم ما يستحقونه باجرامهم وقيل هو قوله ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين وانما
ذكر الله تعالى السبب الذي استوجبوا به الهلاك وهو كونهم مجرمين وقرئ ان هؤلاء بالكسر على
اضمار القول اي فدعا ربه فقال ان هؤلاء فاسر بعبادي ليلا انكم متبعون فاسر قرئ بقطع الهمزة من اسرى
ووصلها من سرى وفيه وجهان اضمار القول بعد الفاء فقال اسر بعبادي وان يكون جواب
شرط محذوف كانه قيل قال ان كان الامر كما تقول فاسر بعبادي يعني فاسر ببني اسرائيل فقد
دبر الله ان يتقدموا ويتبعكم فرعون وجنوده فينجي المتقدمين ويغرق التابعين واترك البحر
رهوا الرهو فيه وجهان احدهما انه الساكن قال الاعشى يمشين رهوا فلا الاعجاز خاذلة
ولا الصدور على الاعجاز تتكل اي مشيا ساكنا على هيئته اراد موسى لما جاوز البحر ان يضربه بعصاه
فينطبق كما ضربه فانفلق فامر بان يتركه ساكنا على هيئته قارا على حاله من انتصاب الماء وكون
الطريق يبسا لا يضربه بعصاه ولا يغير منه شيئا ليدخله القبط فاذا حصلوا فيه اطبقه الله عليهم
والثاني ان الرهو الفجوة الواسعة وعن بعض العرب انه رأى جملا فالجا فقال سبحان
الله رهو بين سنامين اي اتركه مفتوحا على حاله منفرجا انهم جند مغرقون وقرئ بالفتح بمعنى لانهم

بعبادي

الفلج بفتحتين تباعد

والمقام الكريم ما كان لهم من المجالس والمنازل الحسنة وقيل المنابر كم تركوا من جنات وعيون
وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين النعمة بالفتح من التنعم وبالكسر من الانعام وقرئ
فاكهين وفكهين كذلك الكاف منصوبة على معنى مثل ذلك الاخراج اخرجناهم منها واورثناها او في
موضع الرفع على الامر كذلك قوما آخرين ليسوا منهم في شيء من قرابة ولا دين ولا ولاء وهم بنو اسرائيل
كانوا مستخرين مستعبدين فاهلكهم الله على ايديهم واورثهم ملكهم وديارهم فما بكت عليهم السماء والارض
اذا مات رجل خطير قالت العرب في تعظيم هلاكه بكت عليه السماء والارض وبكته الريح واظلمت
له الشمس وفي حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مؤمن مات في غربة غابت فيها بواكيه
الا بكت عليه السماء والارض وقال جرير تبكي عليك نجوم الليل والقمرا وقالت الخارجية
ايا شجر الخابور ما لك مورقا كانك لم تجزع على ابن طريف وذلك على سبيل التمثيل والتخييل
مبالغة في وجوب الجزع والبكاء عليه وكذلك ما يروى عن ابن عباس رضي الله عنهما مر
مصلى المؤمن وآثاره في الارض ومصاعد عمله ومهابط رزقه تمثيل ونفي ذلك عنهم في قوله
فما بكت عليهم السماء والارض فيه تهكم بهم وبحالهم المنافية لحال من يعظم فقده فيقال فيه بكت عليه
السماء والارض وعن الحسن فما بكى عليهم الملائكة والمؤمنون بل كانوا بهلاكهم مسرورين يعني فما
بكى عليهم اهل السماء واهل الارض وما كانوا منظرين لما جاء وقت هلاكهم لم ينظروا الى وقت آخر
او لم يمهلوا الى الآخرة بل عجل لهم في الدنيا ولقد نجينا بني اسرائيل من العذاب المهين من فرعون
بدل من العذاب المهين كانه في نفسه كان عذابا مهينا لافراطه في تعذيبهم واهانتهم ويجوز
ان يكون المعنى من العذاب المهين واقعا من جهة فرعون وقرئ من عذاب المهين ووجهه
ان يكون تقدير قوله من فرعون من عذاب فرعون حتى يكون المهين هو فرعون وفي قراءة ابن عباس
رضي الله عنهما من فرعون لما وصف عذاب فرعون بالشدة والفظاعة قال من فرعون على مثل
تعرفونه من هو في عتوه وشيطنته ثم عرف حاله في ذلك بقوله انه كان عاليا من المسرفين اي
كبيرا رفيع الطبقة من بينهم فائقا لهم بليغا في اسرافه او عاليا متكبرا كقوله ان فرعون علا في الارض

واورثناها

ومن المسرفين خبر ثان كانه قيل انه كان متكبرا مسرفا الضمير في ولقد اخترناهم لبني اسرائيل
وعلى علم في موضع الحال اي عالمين بمكان الخيرة وبانهم احقاء بان يختاروا ويجوز ان يكون المعنى
مع علم منا بانهم يزيغون ويفرط منهم الفرطات في بعض الاحوال على العالمين على عالمي زمانهم وقيل
على الناس جميعا لكثرة الانبياء منهم وآتيناهم من الآيات من نحو فلق البحر وتظليل الغمام وانزال
المن والسلوى وغير ذلك من الآيات العظام التي لم يظهر الله في غيرهم مثلها ما فيه بلاء مبين نعمة
ظاهرة لان الله تعالى يبلونا بالنعمة كما يبلو بالمصيبة او اختبار ظاهر لينظر كيف يعملون كقوله
وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم هؤلاء ليقولون ان هي الا موتتنا الاولى هؤلاء اشارة الى كفار قريش فان
قلت كان الكلام واقعا في الحيوة الثانية لا في الموت فهلا قيل ان هي الا حيوتنا الاولى وما
نحن بمنشرين كما قيل ان هي الا حيوتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين وما معنى قوله ان هي الا موتتنا
الاولى وما معنى ذكر الاولى كانهم وعدوا موتة اخرى حتى نفوها وجحدوا واثبتوا الاولى قلت
معناه والله الموفق للصواب انه قيل لهم انكم تموتون موتة تتعقبها حيوة كما تقدمتكم موتة قد تعقبتها
حيوة وذلك قوله عز وجل وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم فقالوا ان هي الا موتتنا الاولى
يريدون ما الموتة التي من شانها ان تتعقبها حيوة الا الموتة الاولى دون الموتة الثانية وما هذه الصفة
التي تصفون بها الموتة من تعقب الحيوة لها الا للموتة الاولى خاصة فلا فرق اذن بين هذا وبين
قوله الا حيوتنا الدنيا في المعنى يقال انشر الله الموتى ونشرهم اذا بعثهم فاتوا بآبائنا ان كنتم صادقين
خطاب للذين كانوا يعدونهم النشور من رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين اي ان صدقتم
فيما تقولون فعجلوا لنا احياء من مات من آبائنا بسؤالكم ربكم ذلك حتى يكون دليلا على ان ما
تعدونه من قيام الساعة وبعث الموتى حق وقيل كانوا يطلبون اليهم ان يدعوا الله فينشر
لهم قصي بن كلاب ليشاوروه فانه كان كبيرهم ومشاورهم في النوازل ومعاظم الشؤون اهم خير
ام قوم تبع والذين من قبلهم اهلكناهم انهم كانوا مجرمين هو تبع الحميري كان مؤمنا وقومه
كافرين ولذلك ذم الله قومه ولم يذمه وهو الذي سار بالجيوش وحير الحيرة وبنى سمرقند وقيل

مذمومًا وكان اذا كتب قال باسم الذى ملك بحرًا وبحرًا وعن النبى صلى الله عليه وسلم لا تسبوا تبعًا
فانه كان قد اسلم وعنه صلى الله عليه وسلم ما ادرى أكان تبع نبيًا او غير نبى وعن ابن عباس رضى الله عنهما
كان نبيًا وقيل نظر الى قبرين بناحية حمير هذا قبر رضوى وقبر حبى بنتى تبع لا تشركان بالله
شيئًا وقيل هو الذى كسا البيت وقيل لملوك اليمن التبابعة لانهم يتبعون كما قيل الاقيال لانهم
يتقيلون وسمى الظل تبعًا لانه يتبع الشمس **فان قلت** ما معنى قوله اهم خير ولا خير فى الفريقين
قلت معناه اهم خير فى القوة والمنعة كقوله تعالى اكفاركم خير من اولئكم بعد ذكر آل فرعون
وفى تفسير ابن عباس رضى الله عنهما اهم اشد ام قوم تبع وما خلقنا السموات والارض وما بينهما
لاعبين وما بينهما وما بين الجنسين وقرأ عبيد بن عمير وما بينهن ما خلقناهما الا بالحق ولكن
اكثرهم لا يعلمون ان يوم الفصل ميقاتهم اجمعين وقرأ عبيد بن عمير ميقاتهم بالنصب على انه اسم ان
ويوم الفصل خبرها اى ان ميعاد حسابهم وجزائهم فى يوم الفصل يوم لا يغنى مولى اى مولى كان
من قرابة او غيرها عن مولى اى مولى كان شيئًا من الاغناء اى قليلا منه ولا هم ينصرون الضمير للموالى
لانهم فى المعنى كثير لتناول اللفظ على الابهام والشياع كل مولى الا من رحم الله فى محل الرفع على البدل
من الواو فى ينصرون اى لا يمنع من العذاب الا من رحمه الله ويجوز ان ينتصب على الاستثناء
انه هو العزيز لا ينتصر منه من عصاه الرحيم لمن اطاعه وقرئ ان شجرة الزقوم بكسر الشين وفيها
ثلث لغات شجرة بكسر الشين وفتحها وشيرة بالياء وروى انه لما نزل اذلك خير نزلا ام شجرة
الزقوم قال ابن الزبعرى ان اهل اليمن يدعون اكل الزبد والتمر التزقم فدعا ابو جهل
بتمر وزبد وقال تزقموا فان هذا هو الذى يخوفكم به محمد فنزل ان شجرة الزقوم طعام الاثيم وهو
الفاجر الكثير الآثام وعن ابى الدرداء انه كان يقرئ رجلا فكان يقول طعام اليتيم فقال
قل طعام الفاجر يا هذا وبهذا يستدل على ان ابدال كلمة مكان كلمة جائز اذا كانت مؤدية
معناها ومنه اجاز ابو حنيفة رضى الله عنه القراءة بالفارسية على شريطة وهى ان يؤدى القارى
المعانى على كمالها من غير ان يخرم منها شيئا قالوا وهذه الشريطة تشهد انها اجازة كلا

لان فى كلام العرب خصوصا فى القرآن الذى هو معجز بفصاحته وغرابة نظمه واساليبه من لطائف
المعانى والاغراض ما لا يستقل باداءه لسان من فارسية وغيرها وما كان ابو حنيفة رضى الله عنه
يحسن الفارسية فلم يكن ذلك منه عن تحقق وتبصر وروى على بن الجعد عن ابى يوسف عن ابى حنيفة
مثل قول صاحبيه فى انكار القراءة بالفارسية كالمهل يغلى فى البطون كغلى الحميم كالمهل وقرى بضم
الميم وفتحها وهو دردى الزيت ويدل عليه قوله يوم تكون السماء كالمهل مع قوله فكانت وردة كالدهان
وقيل هو ذائب الفضة والنحاس والكاف رفع خبر بعد خبر وكذلك تغلى وقرى بالتاء للشجرة
وبالياء للطعام والحميم الماء الحار الذى انتهى غليانه يقال للزبانية خذوه فاعتلوه فقودوه بعنف
وغلظة وهو ان يؤخذ بتلبيب الرجل فيجر الى حبس او قتل ومنه العتل وهو الغليظ الجافى
وقرى بكسر التاء وضمها الى سواء الجحيم الى وسطها ومعظمها ثم صبوا فوق راسه من عذاب الحميم **فان قلت**
هلا قيل صبوا فوق راسه من الحميم كقوله يصب من فوق رؤسهم الحميم لان الحميم هو المصبوب
لا عذابه **قلت** اذا صب عليه الحميم فقد صب عليه عذابه وشدته الا ان صب العذاب طريقه
الاستعارة كقوله صبت عليه صروف الدهر من صبب وكقوله افرغ علينا صبرا فذكر العذاب
معلقا به الصب مستعارا له ليكون اهول واهيب يقال ذق انك انت العزيز الكريم على سبيل
الهزء والتهكم بمن كان يتعزز ويتكرم على قومه وروى ان ابا جهل قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ما بين جبليها اعز ولا اكرم منى فوالله ما تستطيع انت وربك ان تفعلا بى شيئا وقرى انك بمعنى
لانك وعن الحسن بن على رضى الله عنهما انه قرأ به على المنبر ان هذا العذاب او ان هذا الامر هو
ما كنتم به تمترون اى تشكون او تتمارون وتتلاجون ان المتقين فى مقام امين قرى فى مقام
بالفتح وهو موضع القيام والمراد المكان وهو من الخاص الذى وقع مستعملا فى معنى العموم وبالضم
وهو موضع الاقامة والامين من قولك امن الرجل امانة فهو امين وهو ضد الخائن فوصف به
المكان استعارة لان المكان المخيف كانما يخون صاحبه بما يلقى فيه من المكاره فى جنات وعيون
يلبسون من سندس واستبرق متقابلين قيل السندس ما رق من الديباج والاستبرق ما غلظ

منه وهو تعريب إستبره فان قلت كيف ساغ ان يقع في القرآن العربي المبين لفظ اعجمي قلت
اذا عرب خرج من ان يكون عجميا لان معنى التعريب ان يجعل عربيا بالتصرف فيه وتغييره عن منهاجه
واجرائه على اوجه الاعراب كذلك الكاف مرفوعة على الامر كذلك او منصوب على مثل ذلك اتيناهم
وزوجناهم وقرأ عكرمة بحور عين على الاضافة والمعنى بالحور من العين لان العين اما ان يكون
حورا او غير حور فهؤلاء من حور العين لا من شهلهن مثلا وفي قراءة عبد الله بعيس عين والعيساء
البيضاء تعلوها حمرة وقرأ عبيد بن عمير لا يذاقون فيها الموت وقرأ عبد الله لا يذوقون فيها طعم
الموت فان قلت كيف استثنيت الموتة الاولى المذوقة قبل دخول الجنة من الموت المنفي
ذوقه قلت اريد ان يقال لا يذوقون فيها الموت البتة فوضع قوله الا الموتة الاولى موضع ذلك
لان الموتة الماضية محال ذوقها في المستقبل فهو من باب التعليق بالمحال كانه قيل ان كانت الموتة
الاولى يستقيم ذوقها في المستقبل فانهم يذوقونها ووقاهم عذاب الجحيم وقرئ وقاهم بالتشديد
فضلا من ربك ذلك هو الفوز العظيم فضلا من ربك عطاء من ربك وثوابا يعني كل ما اعطى المتقين
من نعيم الجنة والنجاة من النار وقرئ فضل اي ذلك فضل فانما يسرناه بلسانك فذلكة السورة
ومعناه ذكرهم بالكتاب المبين فانما يسرناه اي سهلناه حيث انزلناه عربيا بلسانك بلغتك لعلهم
يتذكرون ارادة ان يفهمه قومك فيتذكروا فارتقب فانتظر ما يحل بهم انهم مرتقبون ما يحل بك
متربصون بك الدوائر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ حم الدخان في ليلة اصبح
يستغفر له سبعون الف ملك وعنه صلى الله عليه وسلم من قرأ حم التي يذكر فيها الدخان
في ليلة جمعة اصبح مغفورا له

سورة الجاثية مكية وهي سبع وقيل ست وثلثون آية

بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم حم
ان جعلتها اسما مبتدأ مخبرا عنه بتنزيل الكتاب لم يكن بد من حذف مضاف تقديره تنزيل حم تنزيل
الكتاب ومن الله صلة للتنزيل وان جعلتها تعديدا للحروف كان تنزيل الكتاب مبتدأ والظرف خبرا

ان في السماوات والارض يجوز ان يكون على ظاهره وان يكون المعنى ان في خلق السماوات لقوله وفي
خلقكم لآيات للمؤمنين وفي خلقكم وما يبث من دابة آيات لقوم يوقنون فان قلت علام عطف
وما يبث اعلى الخلق المضاف ام الضمير المضاف اليه قلت بل على المضاف لان المضاف اليه
ضمير متصل مجرور يقبح العطف عليه استقبحوا ان يقال مررت بك وزيد وهذا ابوك وعمرو وكذلك ان
اكدره كرهوا ان يقولوا مررت بك انت وزيد قرئ آيات لقوم يوقنون بالنصب والرفع على قولك ان زيدا
في الدار وعمرا في السوق او عمرو في السوق واختلاف الليل والنهار وما انزل الله من السماء من رزق
فاحيى به الارض بعد موتها وتصريف الرياح آيات لقوم يعقلون قوله آيات لقوم يعقلون من العطف على
عاملين سواء نصبت او رفعت فالعاملان اذا نصبت هما ان وفي اقيمت الواو مقامها فعملت الجر
في واختلاف الليل والنهار والنصب في آيات واذا رفعت فالعاملان الابتداء وفي عملت الرفع
في آيات والجر في واختلاف وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه وفي اختلاف الليل والنهار فان قلت
العطف على عاملين على مذهب الاخفش سديد لا مقال فيه واباه سيبويه فما وجه تخريج الآية عنده
قلت فيه وجهان احدهما ان يكون على اضمار في والذي حسنه تقدم ذكره في الآيتين قبلها وتعضده
قراءة ابن مسعود رضي الله عنه والثاني ان ينتصب آيات على الاختصاص بعد انقضاء المجرور معطوفا
على ما قبله او على التكرير ورفعها باضمار هي وقرئ واختلاف الليل والنهار بالرفع وقرئ آية وكذلك
وما يبث من دابة آية وقرئ وتصريف الريح والمعنى ان المنصفين من العباد اذا نظروا في
السماوات والارض النظر الصحيح علموا انها مصنوعة وانه لا بد لها من صانع فآمنوا بالله واقروا
فاذا نظروا في خلق انفسهم وتنقلها من حال الى حال وهيئة الى هيئة وفي خلق ما على ظهر الارض من
صنوف الحيوان ازدادوا ايمانا وايقنوا وانتفى عنهم اللبس فاذا نظروا في سائر الحوادث التي
تتجدد في كل وقت كاختلاف الليل والنهار ونزول الامطار وحيوة الارض بها بعد موتها وتصريف
الرياح جنوبا وشمالا وقبولا ودبورا عقلوا واستحكم علمهم وخلص يقينهم وسمي المطر رزقا لانه سبب
الرزق تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق تلك اشارة الى الآيات المتقدمة اي تلك الآيات آيات الله ونتلوها

في محل الحال اي متلوة عليك بالحق والعامل ما دل عليه تلك من معنى الاشارة ونحوه هذا بعلي
شيخا وقرئ يتلوها بالياء فباي حديث بعد الله وآياته يؤمنون اي بعد آيات الله كقولهم اعجبني زيد
وكرمه يريدون اعجبني كرم زيد ويجوز ان يراد بعد حديث الله وهو كتابه وقرآنه كقوله الله نزل
احسن الحديث وقرئ يؤمنون بالياء والتاء ويل لكل افاك اثيم الافاك الكذاب والاثيم المتبالغ
في اقتراف الآثام يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصر يقبل على كفره ويقيم عليه واصله من اصرار
الحمار على العانة وهو ان ينحي عليها صارا اذنيه مستكبرا عن الايمان بالآيات والاذعان لما
تنطق به من الحق مزدريا لها معجبا بما عنده قيل نزلت في النضر بن الحارث وما كان يشتري
من احاديث الاعاجم ويشغل بها الناس عن استماع القرآن والآية عامة في كل من كان مضارا
لدين الله فان قلت ما معنى ثم في قوله ثم يصر مستكبرا قلت كمعناه في قول القائل
يرى غمرات الموت ثم يزورها وذلك ان غمرات الموت حقيقة بان ينجو رائيها بنفسه ويطلب
الفرار عنها واما زيارتها والاقدام على مزاولتها فامر مستبعد فمعنى ثم الايذان بان فعل
المقدم عليها بعد ما رآها وعاينها شيء يستبعد في العادات والطباع وكذلك آيات الله الواضحة
الناطقة بالحق من تليت عليه وسمعها كان مستبعدا في العقول اصراره على الضلالة عندها
واستكباره عن الايمان بها كان لم يسمعها فبشره بعذاب اليم كان مخففة والاصل كانه لم
يسمعها والضمير ضمير الشان كما في قوله كان ظبية تعطو الى ناضر السلم ومحل الجملة
النصب على الحال اي يصر مثل غير السامع واذا بلغه شيء من آياتنا وعلم انه منها اتخذها
اي اتخذ الآيات هزوا ولم يقل اتخذه للاشعار بانه اذا احس بشيء من الكلام انه من جملة
الآيات التي انزلها الله على محمد صلى الله عليه وسلم خاض في الاستهزاء بجميع الآيات ولم يقتصر على
الاستهزاء بما بلغه ويحتمل واذا علم من آياتنا شيئا يمكن ان يتشبث به المعاند ويجد له محملا
يتسلق به عن الطعن والغمزة افترصه واتخذ آيات الله هزوا وذلك نحو اعتراض ابن
الزبعرى في قوله عز وعلا انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم ومغالطته رسول الله صلى
الله عليه

ازويال الازالة والمزاولة كالمجادلة صحاح

اوله ويوما تراءينا بوجه مقسم

واذا علم من آياتنا شيئا

يقوم في الحديث تفاوضوا اي تفاوضوا اي انتقضوا وتفرقوا صحاح

وسلم وقوله خصمتك ويجوز ان يرجع الضمير الى شيء لانه في معنى الآية كقول ابي العتاهية
نفسي بشيء من الدنيا معلقة الله والقائم المهدي يكفيها حيث اراد عتبة وقرئ علم اولئك
اشارة الى كل افاك اثيم لشموله الافاكين لهم عذاب مهين من ورائهم جهنم الوراء اسم للجهة التي
يواريها الشخص من خلف او قدام قال اليس ورائي ان تراخت منيتي ادب مع الولدان ارجف كالنسر
ومنه قوله عز وجل من ورائهم اي من قدامهم ولا يغني عنهم ما كسبوا شيئا من الاموال في دخلهم ومتاجرهم
ولا ما اتخذوا من دون الله من الاوثان اولياء ولهم عذاب عظيم هذا اشارة الى القرآن يدل عليه
قوله والذين كفروا بآيات ربهم لان آيات ربهم هي القرآن اي هذا القرآن هدى كامل في الهداية
كما تقول زيد رجل تريد كامل في الرجولية وانما رجل والذين كفروا بآيات ربهم لهم عذاب من رجز
اليم الرجز اشد العذاب وقرئ بجر اليم ورفعه الله الذي سخر لكم البحر لتجري الفلك فيه
بامره ولتبتغوا من فضله بالتجارة او بالغوص على اللؤلؤ والمرجان واستخراج اللحم الطري
وغير ذلك من منافع البحر ولعلكم تشكرون وسخر لكم ما في السماوات وما في الارض جميعا منه ان
في ذلك لآيات لقوم يتفكرون فان قلت ما معنى منه في قوله جميعا منه وما موقعها من
الاعراب قلت هي واقعة موقع الحال والمعنى انه سخر هذه الاشياء كائنة منه و
حاصلة من عنده يعني انه مكونها وموجدها بقدرته وحكمته ثم مسخرها لخلقه ويجوز ان
يكون خبر مبتدأ محذوف تقديره هي جميعا منه وان يكون وسخر لكم تأكيدا لقوله سخر
لكم ثم ابتدئ قوله ما في السماوات وما في الارض جميعا منه وان يكون وما في الارض
مبتدأ ومنه خبره وقرأ ابن عباس رضي الله عنهما منة وقرأ سلمة بن محارب منه
على ان يكون منه فاعل سخر على الاسناد المجازي او على انه خبر مبتدأ محذوف اي ذلك
او هو منه قل للذين آمنوا حذف المقول لان الجواب دال عليه والمعنى قل لهم اغفروا
يغفروا للذين لا يرجون ايام الله لا يتوقعون وقائع الله باعدائه من قولهم لوقائع العرب
ايام العرب وقيل لا يأملون الاوقات التي وقتها الله لثواب المؤمنين ووعدهم الفوز

فيها قيل نزلت قبل آية القتال ثم نسخ حكمها وقيل نزولها في عمر رضي الله عنه وقد شتمه رجل من
غفار فهم ان يبطش به وعن سعيد بن المسيب رحمه الله كنا بين يدي عمر بن الخطاب رضي الله عنه
وقرأ قارئ هذه الآية فقال عمر ليجزي عمر بما صنع ليجزي تعليل للامر بالمغفرة اي انما امروا
بان يغفروا لما اراده الله من توفيتهم جزاء مغفرتهم يوم القيامة فان قلت قوله تعالى قوما ما
وجه تنكيره وانما اراد الذين آمنوا وهم معارف قلت هو مدح لهم وثناء عليهم كانه قيل
ليجزي اي ما قوم وقوما مخصوصين لصبرهم واغضائهم على اذى اعدائهم من الكفار وعلى ما كانوا
يجرعونهم من الغصص بما كانوا يكسبون من الثواب العظيم بكظم الغيظ واحتمال المكروه
ومعنى قول عمر رضي الله عنه ليجزي عمر بما صنع ليجزي بصبره واحتماله وقوله لرسول الله صلى الله
عليه وسلم عند نزول الآية والذي بعثك بالحق لا ترى الغضب في وجهي وقرئ ليجزي قوما
اي الله عز وجل وليجزي قوم وليجزي قوما على معنى وليجزي الجزاء قوما ولقد آتينا
بني اسرائيل الكتاب التورية والحكم والحكمة والفقه او فصل الخصومات بين الناس لان
الملك كان فيهم والنبوة ورزقناهم من الطيبات مما احل الله لهم واطاب من الارزاق و
فضلناهم على العالمين حيث لم نؤت غيرهم مثل ما آتيناهم وآتيناهم بينات آيات ومعجزات
من الامر من امر الدين فما اختلفوا فيه فما وقع بينهم الخلاف في الدين الا من بعد ما جاءهم
العلم بغيا بينهم الا من بعد ما جاءهم ما هو موجب لزوال الخلاف وهو العلم وانما اختلفوا لبغي
حدث بينهم اي بعداوة وحسد ان ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون ثم جعلناك
على شريعة على طريقة ومنهاج من الامر من امر الدين فاتبعها فاتبع شريعتك الثابتة بالدلائل
والحجج ولا تتبع اهواء الذين لا يعلمون ولا تتبع ما لا حجة عليه من اهواء الجهال ودينهم المبني
على هوى وبدعة وهم رؤساء قريش حين قالوا ارجع الى دين آبائك انهم لن يغنوا عنك من
الله شيئا وان الظالمين بعضهم اولياء بعض والله ولي المتقين ولا تولهم انما يوالي الظالمين
من هو ظالم مثلهم واما المتقون فوليهم الله وهم موالوه وما ابين الفصل بين الولايتين
هذا

والنبوة صح

هذا القرآن بصائر للناس جعل ما فيه من معالم الدين والشرائع بمنزلة البصائر في القلوب كما جعل
روحا وحيوة وهدى وهو هدى من الضلالة ورحمة من العذاب لقوم يوقنون لمن آمن وايقن
وقرئ هذه بصائر اي هذه الآيات ام حسب الذين اجترحوا السيئات الاجتراح الاكتساب ومنه الجوارح
وفلان جارحة اهله اي كاسبهم ان نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات ان نجعلهم ان نصيرهم وهو من
جعل المتعدي الى مفعولين فاولهما الضمير والثاني الكاف والجملة التي هي سواء محياهم ومماتهم بدل من
الكاف لان الجملة تقع مفعولا ثانيا فكانت في حكم المفرد الا تراك لو قلت ان نجعلهم سواء محياهم ومماتهم
كان سديدا كما تقول ظننت زيدا ابوه منطلق ومن قرأ سواء بالنصب اجرى سواء مجرى مستويا و
ارتفع محياهم ومماتهم على الفاعلية وكان مفردا غير جملة ومن قرأ ومماتهم بالنصب جعل محياهم ومماتهم
ظرفين كمقدم الحاج وخفوق النجم اي سواء في محياهم وفي مماتهم والمعنى انكار ان يستوي المسيئون
والمحسنون محيى وان يستووا مماتا لافتراق احوالهم احياء حيث عاش هؤلاء على القيام بالطاعات و
اولئك على ركوب المعاصي ومماتا حيث مات هؤلاء على البشرى بالرحمة والوصول الى ثواب الله ورضوانه
واولئك على الياس من رحمة الله والوصول الى هول ما اعد لهم وقيل معناه انكار ان يستووا في
الممات كما استووا في الحيوة لان المسيئين والمحسنين مستو محياهم في الرزق والصحة وانما يفترقون
في الممات وقيل سواء محياهم ومماتهم كلام مستانف على معنى ان محيا المسيئين ومماتهم سواء وكذلك محيا
المحسنين ومماتهم كل يموت على حسب ما عاش عليه وعن تميم الداري رضي الله عنه انه كان يصلي
ذات ليلة عند المقام فبلغ هذه الآية فجعل يبكي ويردد الى الصباح ساء ما يحكمون وعن الفضيل
انه بلغها فجعل يرددها ويبكي ويقول يا فضيل ليت شعري من اي الفريقين انت وخلق الله السماوات
والارض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون ولتجزى معطوف على بالحق لان فيه معنى التعليل
او على معلل محذوف تقديره وخلق السماوات والارض ليدل بها على قدرته ولتجزى كل نفس افرأيت من اتخذ
الهه هواه اي هو مطواع لهوى النفس يتبع ما يدعوه اليه فكانه يعبده كما يعبد الرجل الهه وقرئ
آلهة هواه لانه كان يستحسن الحجر فيعبده فاذا رأى ما هو احسن رفضه اليه فكانه اتخذ هواه آلهة شتى

يعبد كل وقت واحدًا منها واضله الله على علم وتركه عن الهداية واللطف وخذله على علم عالم بان
ذلك لا يجدى عليه وانه ممن لا لطف له او مع علمه بوجوه الهداية واحاطته بانواع الالطاف المحصلة
والمقربة وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله من بعد اضلال
الله وقرئ غشاوة بالحركات الثلث وغشوة بالفتح والكسر افلا تذكرون وقرئ تتذكرون وقالوا
ما هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيى نموت نحن ونحيى او لانا او يموت بعض ويحيى بعض او نكون
مواتا نطفا في الاصلاب ونحيى بعد ذلك او يصيبنا الامران الموت والحيوة يريدون الحيوة في
الدنيا والموت بعدها وليس وراء ذلك حيوة وقرئ نحيى بضم النون وما يهلكنا الا الدهر وقرئ
الا دهر يمر وما لهم بذلك من علم ان هم الا يظنون وما يقولون ذلك عن علم ولكن عن ظن وتخمين
كانوا يزعمون ان مرور الايام والليالى هو المؤثر في هلاك الانفس وينكرون ملك الموت وقبضه
للارواح بامر الله وكانوا يضيفون كل حادثة تحدث الى الدهر والزمان وترى اشعارهم ناطقة
بشكوى الزمان ومنه قوله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا الدهر فان الله هو الدهر اى فان الله هو
الآتى بالحوادث لا الدهر واذا تتلى عليهم آياتنا بينات ما كان حجتهم الا ان قالوا ائتوا بآبائنا
ان كنتم صادقين قرئ حجتهم بالنصب والرفع على تقديم خبر كان وتاخيره فان قلت لم سمى
قولهم حجة وليس بحجة قلت لانهم ادلوا به كما يدلى المحتج بحجته وساقوه مساقها فسميت
حجة على سبيل التهكم او لانه في حسبانهم وتقديرهم حجة او لانه في اسلوب قوله
تحية بينهم ضرب وجيع كانه قيل ما كان حجتهم الا ما ليس بحجة والمراد نفى ان يكون لهم حجة البتة
فان قلت كيف وقع قوله قل الله يحييكم ثم يميتكم ثم يجمعكم الى يوم القيمة لا ريب فيه ولكن اكثر
الناس لا يعلمون جوابا لقولهم ائتوا بآبائنا ان كنتم صادقين قلت لما انكروا البعث وكذبوا
الرسل وحسبوا ان ما قالوه قول مبكت الزموا ما هم مقرون به من ان الله عز وجل هو الذى يحييهم
ثم يميتهم وضم الى الزام ذلك الزام ما هو واجب الاقرار به ان انصفوا واصغوا الى داعى الحق
وهو جمعهم الى يوم القيمة ومن كان قادرا على ذلك كان قادرا على الاتيان بآبائهم وكان اهون شىء
عليه

ولله ملك السماوات والارض ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون عامل النصب في يوم
تقوم يخسر ويومئذ بدل من يوم تقوم ترى كل امة جاثية باركة مستوفزة على الركب وقرئ جاذية
والجذو اشد استيفازا من الجثو لان الجاذى هو الذى يجلس على اطراف اصابعه وعن ابن
عباس رضى الله عنهما جاثية مجتمعة وعن قتادة جماعات من الجثوة وهى الجماعة وجمعها
جثى وفي الحديث من جثى جهنم وقرئ كل امة على الابتداء وكل امة على الابدال من كل امة تدعى
الى كتابها الى صحائف اعمالها فاكتفى باسم الجنس كقوله ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين
مما فيه اليوم تجزون ما كنتم تعملون محمول على القول هذا كتابنا فان قلت كيف اضيف الكتاب
اليهم والى الله عز وجل قلت الاضافة تكون للملابسة وقد لابسهم ولابسه اما ملابسته اياهم
فلان اعمالهم مثبتة فيه واما ملابسته اياه فلانه مالكه والآمر ملائكته ان يكتبوا فيه اعمال
عباده ينطق عليكم يشهد عليكم بما عملتم بالحق من غير زيادة ولا نقصان انا كنا نستنسخ الملائكة ما
كنتم تعملون اى نستكتبهم اعمالكم فاما الذين آمنوا فيدخلهم ربهم في رحمته في جنته ذلك هو الفوز
المبين وجواب اما محذوف تقديره واما الذين كفروا فيقال لهم افلم تكن آياتى تتلى عليكم والمعنى
الم يأتكم رسلى فلم تكن آياتى تتلى عليكم فحذف المعطوف عليه فاستكبرتم وكنتم قوما مجرمين واذا
قيل ان وعد الله حق والساعة لا ريب فيها قلتم ما ندرى ما الساعة اى شىء الساعة فان قلت
ما معنى ان نظن الا ظنا قلت اصله نظن ظنا ومعناه اثبات الظن فحسب فادخل حرفا
النفى والاستثناء ليفاد اثبات الظن مع نفى ما سواه وزيد نفى ما سوى الظن توكيدا بقوله وما نحن
بمستيقنين وبدا لهم سيئات ما عملوا اى قبائح اعمالهم او عقوبات اعمالهم السيئات كقوله وجزاء سيئة
سيئة مثلها وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون فاليوم ننسيكم لقاء يومكم هذا نترككم في العذاب كما
تركتم عدة لقاء يومكم وهى الطاعة او نجعلكم بمنزلة الشىء المنسى غير المبالى به كما لم تبالوا انتم بلقاء
يومكم ولم تخطروه ببال كالشىء الذى يطرح نسيا منسيا فان قلت ما معنى اضافة اللقاء
الى اليوم قلت كمعنى اضافة المكر في قوله بل مكر الليل والنهار اى نسيتم لقاء الله في يومكم

وماواكم النار وما لكم من ناصرين ذلكم بانكم اتخذتم آيات الله هزوا وغرتكم الحيوة الدنيا

منه او لقا جزاءه فاليوم لا يخرجون منها وقرئ لا يخرجون بفتح اليا ولا هم يستعتبون ولا يطلب
منهم ان يعتبوا ربهم اي يرضوه فلله الحمد رب السماوات ورب الارض رب العالمين وله الكبرياء
في السماوات والارض وهو العزيز الحكيم فاحمدوا الله الذي هو ربكم ورب كل شي من السماوات
والارض والعالمين فان مثل هذه الربوبية العامة توجب الحمد والثناء على كل مربوب وكبروه
فقد ظهرت آثار كبريائه وعظمته في السماوات والارض وحق مثله ان يكبر ويعظم عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم من قرا حم الجاثية ستر الله عورته وسكن روعته يوم الحساب

سورة الاحقاف مكية وهي اربع وقيل خمس وثلثون اية

بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم
ما خلقنا السماوات والارض الا بالحق الا خلقا ملتبسا بالحكمة والغرض الصحيح واجل مسمى وبتقدير
اجل مسمى ينتهي اليه وهو يوم القيامة والذين كفروا عما انذروا من هول ذلك اليوم الذي لا بد لكل
خلق من انتهائه اليه معرضون لا يؤمنون به ولا يهتمون بالاستعداد له ويجوز ان يكون ما مصدرية اي عن
انذارهم ذلك اليوم قل ارايتم ما تدعون من دون الله اروني ماذا خلقوا من الارض ام لهم شرك في
السماوات ائتوني بكتاب من قبل هذا الكتاب وهو القران يعني ان هذا الكتاب ناطق بالتوحيد و
ابطال الشرك وما من كتاب انزل من قبله من كتب الله الا وهو ناطق بمثل ذلك فأتوا بكتاب واحد
منزل من قبله شاهد بصحة ما انتم عليه من عبادة غير الله او اثارة من علم ان كنتم صادقين او بقية
من علم بقيت عليكم من علوم الاولين من قولهم سمنت الناقة على اثارة من شحم اي على بقية شحم كانت
بها من شحم ذاهب وقرئ اثرة اي من شي اوثرتم به وخصصتم من علم لا احاطة به لغيركم وقرئ
اثرة بالحركات الثلث في الهمزة مع سكون الثاء فالاثرة بالكسر بمعنى الاثرة واما الاثرة فالمرة من
مصدر اثر الحديث اذا رواه واما الاثرة بالضم فاسم ما يوثر كالخطبة اسم ما يخطب به ومن اضل ممن
يدعو من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون معنى الاستفهام
فيه انكار ان يكون في الضلال كلهم ابلغ ضلالا من عبدة الاصنام حيث يتركون دعاء السميع المجيب القادر
على

نكد عيش اي الشر ورجل

على تحصيل كل بغية ومرام ويدعون من دونه جمادا لا يستجيب لهم ولا قدرة به على استجابة احد منهم
ما دامت الدنيا والى ان تقوم الساعة واذا قامت القيامة وحشر الناس كانوا لهم اعداء وكانوا عليهم ضدا
فليسوا في الدارين الا على نكد ومضرة لا تتولاهم في الدنيا بالاستجابة وفي الاخرة تعاديهم وتجحد عبادتهم
وانما قيل من وهم لانه اسند اليهم ما يسند الى اولي العلم من الاستجابة والغفلة ولانهم كانوا يصفونهم
بالتمييز جهلا وغباوة ويجوز ان يريد كل معبود من دون الله من الجن والانس والاوثان فغلب غير
الاوثان عليها وقرئ ما لا يستجيب وقرئ يدعو غير الله من لا يستجيب ووصفهم بترك الاستجابة والغفلة
طريقة طريق التهكم بها وبعبدتها ونحوه قوله تعالى ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا
لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم واذا تتلى عليهم آياتنا قال الذين كفروا للحق لما جاءهم هذا سحر مبين
بينات جمع بينة وهي الحجة والشاهد او واضحات مبينات واللام في الحق مثلها في قوله للذين آمنوا
لو كان خيرا اي لاجل الحق ولاجل الذين آمنوا والمراد بالحق الايات وبالذين كفروا المتلو عليهم
فوضع الظاهران موضع الضميرين للتسجيل عليهم بالكفر وللمتلو بالحق لما جاءهم اي بادهوه بالجحد
ساعة اتاهم واول ما سمعوه من غير اجالة فكر ولا اعادة نظر ومن عنادهم وظلمهم انهم سموه سحرا
مبينا ظاهرا امره في البطلان لا شبهة فيه ام يقولون افتراه اضراب عن ذكر تسميتهم الايات سحرا
الى ذكر قولهم ان محمدا افتراه ومعنى الهمزة في ام الانكار والتعجب كانه قيل دع هذا واسمع
قولهم المستنكر المقضي منه العجب وذلك ان محمدا كان لا يقدر عليه حتى يقوله ويفتريه على الله
ولو قدر عليه دون امة العرب لكانت قدرته عليه معجزة لخرقها العادة واذا كانت معجزة كانت
تصديقا من الله والحكيم لا يصدق الكاذب فلا يكون مفتريا والضمير للحق والمراد به الايات
قل ان افتريته على سبيل الفرض عاجلني الله بعقوبة الافتراء عليه فلا تملكون لي من الله شيئا
فلا تقدرون على كفه عن معاجلتي ولا تطيقون دفع شي من عقابه عني فكيف افتريه واتعرض
لعقابه يقال فلان لا يملك اذا غضب ولا يملك عنانه اذا صمم ومثله فمن يملك من الله شيئا ان
اراد ان يهلك المسيح بن مريم ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا ومنه قوله صلى الله عليه وسلم

لا املك لكم من الله شيئا ثم قال هو اعلم بما تفيضون فيه اى تندفعون فيه من القدح في وحي
الله والطعن في آياته وتسميته سحرا تارة وفرية اخرى كفى به شهيدا بيني وبينكم يشهد لي بالصدق
والبلاغ ويشهد عليكم بالكذب والجحود ومعنى ذكر العلم والشهادة وعيد لجزاء افاضتهم
وهو الغفور الرحيم موعدة بالغفران والرحمة ان رجعوا عن الكفر وتابوا وآمنوا واشعار
بحلم الله عنهم مع عظم ما ارتكبوا فان قلت فما معنى اسناد الفعل اليهم في قوله فلا تملكون
لي قلت كان فيما اتاهم به النصيحة لهم والاشفاق عليهم من سوء العاقبة وارادة الخير
بهم فكانه قال لهم ان افتريته وانا اريد بذلك النصح لكم وصدكم عن عبادة الالهة الى عبادة
الله فما تغنون عني ايها المنصوحون ان اخذني الله بعقوبة الافتراء عليه قل ما كنت بدعا من
الرسل البدع بمعنى البديع كالخف بمعنى الخفيف وقرئ بدعا بفتح الدال اى ذا بدع ويجوز
ان يكون صفة على فعل كقولهم دين قيم ولحم زيم كانوا يقترحون عليه الآيات ويسألونه عما لم يوح
به اليه من الغيوب فقيل له قل ما كنت بدعا من الرسل فآتيكم بكل ما تقترحونه واخبركم بكل ما
تسألون عنه من المغيبات فان الرسل لم يكونوا يأتون الا بما آتاهم الله من آياته ولا يخبرون الا بما
اوحي اليهم ولقد اجاب موسى صلوات الله عليه عن قول فرعون فما بال القرون الاولى بقوله علمها
عند ربي وما ادري لانه لا علم لي بالغيب ما يفعل اى الله بي ولا بكم فيما يستقبل من الزمان من افعاله
ويقدر لي ولكم من قضاياه ان اتبع الا ما يوحى الي وعن الحسن رحمه الله وما ادري ما يصير اليه
امري وامركم في الدنيا ومن الغالب منا والمغلوب وعن الكلبي قال له اصحابه وقد ضجروا
من اذى المشركين حتى متى تكون على هذا فقال ما ادري ما يفعل بي ولا بكم أأترك بمكة ام
اومر بالخروج الى ارض قد رفعت لي ورأيتها يعني في منامه ذات نخيل وشجر وعن ابن عباس
رضي الله عنهما ما يفعل بي ولا بكم في الآخرة وقال هي منسوخة بقوله ليغفر لك الله ما تقدم من
ذنبك وما تأخر ويجوز ان يكون نفيا للدراية المفصلة وقرئ ما يفعل بفتح الياء اى يفعل الله
عز وجل فان قلت ان يفعل مثبت غير منفي وكان وجه الكلام ما يفعل بي وبكم قلت
اجل ولكن

الضجر الاضطراب من الغم صحاح

ولكن النفي في ما ادري لما كان مشتملا عليه لتناوله ما وما في حيزه صح ذلك وحسن الا ترى الى
قوله اولم يروا ان الله الذي خلق السماوات والارض ولم يعي بخلقهن بقادر كيف دخلت الباء
في خبر ان وذلك لتناول النفي اياها مع ما في حيزها وما في ما يفعل يجوز ان يكون موصولة منصوبة
وان يكون استفهامية مرفوعة وقرئ يوحي اى الله عز وجل وما انا الا نذير مبين قل ارأيتم
ان كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم جواب
الشرط محذوف تقديره ان كان القرآن من عند الله وكفرتم به الستم ظالمين ويدل على هذا المحذوف
قوله ان الله لا يهدي القوم الظالمين والشاهد من بني اسرائيل عبد الله بن سلام لما قدم رسول
الله صلى الله عليه وسلم المدينة نظر الى وجهه فعلم انه ليس بوجه كذاب وتأمله فتحقق انه هو النبي
المنتظر وقال له اني سائلك عن ثلث لا يعلمهن الا نبي ما اول اشراط الساعة وما اول طعام
يأكله اهل الجنة والولد ينزع الى ابيه او امه فقال صلى الله عليه وسلم اما اول اشراط الساعة
فنار تحشرهم من المشرق الى المغرب واما اول طعام يأكله اهل الجنة فزيادة كبد حوت واما
الولد فاذا سبق ماء الرجل نزعه وان سبق ماء المرأة نزعته فقال اشهد انك رسول الله
حقا ثم قال يا رسول الله ان اليهود قوم بهت وان علموا باسلامي قبل ان تسألهم عني بهتوني
عندك فجاءت اليهود فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم اي رجل عبد الله فيكم قالوا خيرنا وابن
خيرنا وسيدنا وابن سيدنا واعلمنا وابن اعلمنا قال ارأيتم ان اسلم عبد الله قالوا اعاذه الله
من ذلك فخرج اليهم عبد الله فقال اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله فقالوا
شرنا وابن شرنا وانتقصوه قال هذا ما كنت اخاف يا رسول الله واحذر قال سعد بن ابي وقاص
ما سمعت رسول الله صلى الله عليه يقول لاحد يمشي على الارض انه من اهل الجنة الا لعبد الله بن
سلام وفيه نزل وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله الضمير للقرآن اى مثله في المعنى وهو
ما في التوراة من المعاني المطابقة لمعاني القرآن من التوحيد والوعد والوعيد وغير ذلك
ويدل عليه قوله تعالى وانه لفي زبر الاولين ان هذا لفي الصحف الاولى كذلك يوحى اليك

مطلب سأل عبد الله بن سلام النبي عن ثلثة اشياء

جمع بهوت كثير البهتان

والى الدين من قبلك ويجوز ان يكون المعنى ان كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد على
نحو ذلك يعني كونه من عند الله فان قلت اخبرني عن نظم هذا الكلام لاقف على
معناه من جهة النظم قلت الواو الاولى عاطفة لكفرتم على فعل الشرط كما عطفته
ثم في قوله قل ارايتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به وكذلك الواو الآخرة عاطفة لاستكبرتم
على شهد شاهد واما الواو في وشهد فقد عطفت جملة قوله شهد شاهد من بني اسرائيل على
مثله فآمن واستكبرتم على جملة قوله كان من عند الله وكفرتم به ونظيره قوله ان احسنت
اليك واسات واقبلت عليك واعرضت لم تتفق في انك اخذت ضميمين فعطفتهما على
مثليهما والمعنى قل اخبروني ان اجتمع كون القرآن من عند الله مع كفركم به واجتمع
شهادة اعلم بني اسرائيل على نزول مثله فايمانه به مع استكباركم عنه وعن الايمان به الستم
اضل الناس واظلمهم وقد جعل الايمان في قوله فآمن مسببا عن الشهادة على مثله لانه
لما علم ان مثله انزل على موسى عليه السلام وانه من جنس الوحي وليس من كلام البشر وانصف
من نفسه فشهد عليه واعترف كان الايمان نتيجة ذلك وقال الذين كفروا للذين آمنوا
لو كان خيرا ما سبقونا اليه واذ لم يهتدوا به فسيقولون افك قديم للذين آمنوا لاجلهم وهو
كلام كفار مكة قالوا عامة من تتبع محمدا السقاط يعنون الفقراء مثل عمار وصهيب وابن
مسعود رضي الله عنهم فلو كان ما جاء به خيرا ما سبقنا اليه هؤلاء وقيل لما اسلمت جهينة
ومزينة واسلم وغفار قالت بنو عامر وغطفان واسد واشجع لو كان خيرا ما سبقنا
اليه رعاء البهم وقيل ان امة لعمر اسلمت فكان عمر يضربها حتى يفتر ثم يقول لولا
اني فترت لزدتك ضربا فكان كفار قريش يقولون لو كان ما يدعو اليه محمد حقا ما سبقتنا
اليه فلانة وقيل كان اليهود يقولونه عند اسلام عبد الله بن سلام واصحابه فان قلت
لا بد من عامل في الظرف في قوله اذ لم يهتدوا به ومن متعلق بقوله فسيقولون وغير مستقيم
ان يكون فسيقولون هو العامل في الظرف لتدافع دلالتي المضي والاستقبال فما وجه هذا
الكلام

هذا

البهم من الذين ليس معهم شيء صحاح

الفترة الانكار والنصر

الكلام قلت العامل في اذ محذوف لدلالة الكلام عليه كما حذف من قوله فلما ذهبوا به
وقولهم حينئذ الآن وتقديره واذ لم يهتدوا به ظهر عنادهم فسيقولون هذا افك قديم فهذا المضمر
صح به الكلام حيث انتصب به الظرف وكان قوله فسيقولون مسببا عنه كما صح باضمار ان قوله
حتى يقول الرسول لمصادفة حتى مجرورها والمضارع ناصبه وقوله افك قديم كقولهم اساطير الاولين اي اباطيل الاولين
ومن قبله كتاب موسى كتاب موسى مبتدأ ومن قبله ظرف واقع خبرا مقدما عليه وهو ناصب اماما
على الحال كقولك في الدار زيد قائما وقرئ ومن قبله كتاب موسى علي وآتينا الذي قبله التورية
ومعنى اماما قدوة يؤتم به في دين الله وشرائعه كما يؤتم بالامام ورحمة لمن آمن به وعمل بما فيه
وهذا القرآن كتاب مصدق لكتاب موسى او لما بين يديه وتقدمه من جميع الكتب وقرئ مصدق
لما بين يديه ولسانا عربيا حال من ضمير الكتاب في مصدق والعامل فيه مصدق ويجوز ان ينتصب
عن كتاب لتخصصه بالصفة ويعمل فيه معنى الاشارة ويجوز ان يكون مفعولا لمصدق اي يصدق
ذا لسان عربي وهو الرسول لتنذر الذين ظلموا وبشرى للمحسنين قرئ لتنذر بالتاء والياء ولينذر
من نذر ينذر اذا حذر وبشرى في محل النصب معطوف على محل لينذر لانه مفعول له ان الذين
قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون اولئك اصحاب الجنة خالدين فيها
جزاء بما كانوا يعملون ووصينا الانسان بوالديه حسنا حملته امه كرها ووضعته كرها
قرئ حسنا بضم الحاء وسكون السين وبضمهما وفتحهما واحسانا وكرها بالفتح والضم وهما لغتان
في معنى المشقة كالفقر والفقر وانتصابه على الحال اي ذات كره او على انه صفة للمصدر
اي حملا ذا كره وحمله وفصاله ومدة حمله وفصاله ثلثون شهرا وهذا دليل على ان اقل الحمل ستة
اشهر لان مدة الرضاع اذا كانت حولين لقوله عز وجل حولين كاملين لمن اراد ان يتم الرضاعة
بقيت للحمل ستة اشهر وقرئ وفصله والفصل والفصال كالفطم والفطام بناء ومعنى فان قلت
المراد بيان مدة الرضاع لا الفطام فكيف عبر عنه بالفصال قلت لما كان الرضاع يليه
الفصال ويلابسه لانه ينتهي به ويتم سمي فصالا كما سمي المدة بالامد من قال

كلّ حتى مستكمل مدة العمر وهو دون اذا انتهى امده وفيه فايدة وهي الدالة على الرضاع التام
المنتهي بالفصال ووقته حتى اذا بلغ اشده وبلغ اربعين سنة وقرى حتى اذا استوى وبلغ
اشده وبلوغ الاشد ان يكتهل ويستوفي السن الذي يستحكم فيها قوته وعقله وتمييزه وذلك اذا
اناف على الثلاثين وناطح الاربعين وعن قتادة ثلث وثلثون سنة ووجهه ان يكون ذلك
اول الاشد وغايته الاربعين وقيل لم يبعث نبي قط الا بعد اربعين سنة قال رب اوزعني
ان اشكر نعمتك التي انعمت علي وعلى والدي وان اعمل صالحا ترضيه المراد بالنعمة
التي استوزع الشكر عليها نعمة التوحيد والاسلام وجمع بين شكري النعمة عليه وعلى
والديه لان النعمة عليهما نعمة عليه وقيل في العمل المرضي هو الصلوات الخمس فان قلت
ما معنى في قوله واصلح لي في ذريتي قلت معناه ان يجعل ذريته موقعا للصلاح و
مظنة له كانه قال هب لي الصلاح في ذريتي واوقعه فيهم ونحوه يجرح في عراقيبها نصلي
اني تبت اليك عما اني من المسلمين من المخلصين اولئك الذين يتقبل عنهم احسن ما عملوا
ويتجاوز عن سيئاتهم وقرى يتقبل ويتجاوز بفتح الياء والضمير فيهما لله عز وجل وقريا بالنون
فان قلت ما معنى قوله في اصحاب الجنة قلت هو نحو قولك اكرمني الامير في ناس
من اصحابه تريد اكرمني في جملة من اكرم منهم ونظمني في عدادهم ومحله النصب على الحال
على معنى كائنين في اصحاب الجنة ومعدودين فيهم وعد الصدق الذي كانوا يوعدون
وعد الصدق مصدر موكد لان قوله يتقبل ويتجاوز وعد من الله لهم بالتقبل والتجاوز
وقيل نزلت في ابي بكر رضي الله عنه وفي ابيه ابي قحافة وامه ام الخير وفي اولاده واستجابة
دعايه فيهم وقيل لم يكن احد من الصحابة من المهاجرين منهم والانصار اسلم هو ووالداه
وبنوه وبناته غير ابي بكر رضي الله عنهم والذي قال لوالديه اف لكما والذي قال مبتدا خبره
اولئك الذين حق عليهم القول والمراد بالذي قال الجنس القائل ذلك القول ولذلك وقع
الخبر مجموعا وعن الحسن هو في الكافر العاق لوالديه المكذب بالبعث وعن قتادة هو نعت عبد

سوء

سوء عاق لوالديه فاجر لربه وقيل نزلت في عبد الرحمن بن ابي بكر رضي الله عنهما قبل اسلامه وقد
دعاه ابوه ابو بكر وامه ام رومان الى الاسلام فافّف بهما وقال ابعثوا لي جدعان بن عمرو
وعثمان بن عمرو وهما من اجداده حتى اسالهما عما يقول محمد ويشهد لبطلانه ان المراد
بالذي قال جنس القائلين ذلك وان قوله الذين حق عليهم القول هم اصحاب النار وعبد الرحمن
كان من افاضل المسلمين وسرواتهم وعن عايشة رضي الله عنها انكار نزولها فيه وحين كتب
معاوية الى مروان بان يبايع الناس ليزيد قال عبد الرحمن لقد جئتم بها هرقلية اتبايعون
لابنائكم فقال مروان يا ايها الناس هو الذي قال الله فيه والذي قال لوالديه اف لكما
فسمعت عايشة فغضبت وقالت والله ما هو به ولو شئت ان اسميه لسميته ولكن الله لعن
اباك وانت في صلبه فانت فضض من لعنة الله وقرى اف بالفتح والكسر بغير تنوين وبالحركات
الثلث مع التنوين وهو صوت اذا صوّت به الانسان علم انه متضجر كما اذا قال حس علم انه
متوجع واللام للبيان معناه هذا التافيف لكما خاصة ولاجلكما دون غيركما وقرى اتعدانني
بنونين واتعداني باحدهما واتعداني بالادغام وقد قرا بعضهم اتعدانني بفتح النون كانه
استثقل اجتماع النونين والكسرتين والياء ففتح الاولى تحريا للتخفيف كما تحراه من ادغم
ومن طرح احدهما ان اخرج ان ابعث واخرج من الارض وقرى اخرج وقد خلت
القرون من قبلي يعني ولم يبعث منهم احد وهما يستغيثان الله يقولان الغياث بالله منك
ومن قولك وهو استعظام لقوله ويلك آمن ان وعد الله حق فيقول ما هذا الا اساطير
الاولين ويلك دعاء عليه بالثبور والمراد به الحث والتحريض على الايمان لا حقيقة الهلاك
اولئك الذين حق عليهم القول في امم قد خلت من قبلهم من الجن والانس انهم كانوا خاسرين
في امم نحو قوله في اصحاب الجنة وقرى ان بالفتح على معنى آمن بان وعد الله حق ولكل من الجنسين
المذكورين درجات مما عملوا اي منازل ومراتب من جزاء ما عملوا من الخير والشر او من اجل ما
عملوا منهما فان قلت كيف قيل درجات وقد جاء الجنة درجات والنار دركات قلت

هو قول عائشة رضي الله عنها وهو اول من ضرب الدينار وهو اول من احدث البيعة للاولاد من عادتهم ما
وروي فضيض وروي فضض و
فانت قطاعة لعنة الله والفضيض
فعيل بمعنى مفعول من فضضت اذا
ای انت طائفة من اللعنة و
والفضض جمع فضيض
فعالة من الغلظ وهو ما
اى قطعة من اللعنة

يجوز ان يقال ذلك على وجه التغليب لاشتمال كل على الفريقين وليوفيهم وقرئ بالنون تعليل
معلله محذوف لدلالة الكلام عليه كانه قيل وليوفيهم اعمالهم ولا يظلمهم ولا يظلمون
حقوقهم قدر جزاءهم على مقادير اعمالهم فجعل الثواب درجات والعقاب دركات ويوم
يعرض الذين كفروا على النار ناصب الظرف هو القول المضمر قبل اذهبتم وعرضهم على
النار تعذيبهم بها من قولهم عرض بنو فلان على السيف اذا قتلوا به ومنه قوله تعالى النار
يعرضون عليها ويجوز ان يراد عرض النار عليهم من قولهم عرضت الناقة على الحوض يريدون
عرض الحوض عليها فقلبوا ويدل عليه تفسير ابن عباس رضي الله عنهما يجاء بهم اليها فيكشف
لهم عنها اذهبتم طيباتكم في حيوتكم الدنيا اي ما كتب لكم حظ من الطيبات الا ما قد اصبتموه في
دنياكم وقد ذهبتم به واخذتموه فلم يبق لكم بعد استيفاء حظكم شيء منها وعن عمر رضي الله عنه
لو شئت لدعوت بصلايق وصناب وكراكر واسنمة ولكني رايت الله نعى على قوم اذهبوا
طيباتهم فقال اذهبتم طيباتكم في حيوتكم الدنيا وعنه لو شئت لكنت اطيبكم طعاما واحسنكم
لباسا ولكني استبقي طيباتي وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه دخل على اهل الصفة
وهم يرقعون ثيابهم بالادم ما يجدون لها رقاعا فقال ايتم اليوم خير ام يوم يغدو احدكم
في حلة ويروح في اخرى ويغدى عليه بجفنة ويراح عليه باخرى ويستر بيته كما تستر الكعبة
قالوا نحن يومئذ خير قال بل انتم اليوم خير وقرئ ااذهبتم بهمزة الاستفهام وآاذهبتم بالف
بين همزتين واستمتعتم بها فاليوم تجزون عذاب الهون الهوان وقرئ عذاب الهوان
بما كنتم تستكبرون في الارض بغير الحق وبما كنتم تفسقون قرئ بضم السين وكسرها واذكر
اخا عاد اذ انذر قومه بالاحقاف وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه ان لا تعبدوا
الا الله اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم الاحقاف جمع حقف وهو رمل مستطيل مرتفع
فيها انحناء من احقوقف الشيء اذا اعوج وكانت عاد اصحاب عمد يسكنون بين رمال
مشرفين على البحر بارض يقال لها الشحر من بلاد اليمن وقيل بين عمان ومهرة والنذر

جمع

والنذر جمع نذير بمعنى المنذر او الانذار من بين يديه من قبله ومن خلفه ومن بعده وقرئ
من بين يديه ومن بعده والمعنى ان هودا عليه السلام قد انذرهم وقال لهم لا تعبدوا الا الله
اني اخاف عليكم العذاب واعلمهم ان الرسل الذين بعثوا قبله والذين سيبعثون كلهم
منذرون نحو انذاره وعن ابن عباس رضي الله عنهما يعني الرسل الذين بعثوا قبله والذين
بعثوا في زمانه ومعنى ومن خلفه على هذا التفسير ومن بعد انذاره هذا اذا علقت وقد
خلت النذر بقوله انذر قومه ولك ان تجعل قوله وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه
اعتراضا بين انذر قومه وبين ان لا تعبدوا ويكون المعنى واذكر انذار هود قومه عاقبة
الشرك والعذاب العظيم وقد انذر من تقدمه من الرسل ومن تاخر عنه مثل ذلك فاذكرهم
قالوا اجئتنا لتافكنا الافك الصرف يقال افكه عن رايه عن آلهتنا عن عبادتها فاتنا بما تعدنا
من معاجلة العذاب على الشرك ان كنت من الصادقين ان كنت صادقا في وعدك قال فان
قلت من اين طابق قوله انما العلم عند الله جوابا لقولهم فاتنا بما تعدنا قلت من حيث
ان قولهم هذا استعجال منهم بالعذاب الا ترى الى قوله بل هو ما استعجلتم به فقال لهم لا علم عندي
بالوقت الذي يكون فيه تعذيبكم حكمة وصوابا انما علم ذلك عند الله فكيف ادعوه بان
ياتيكم بعذابه في وقت عاجل تقترحونه انتم ومعنى وابلغكم ما ارسلت به وقرئ بالتخفيف ان
الذي هو شاني وشرطي ان ابلغكم ما ارسلت به من الانذار والتخويف والصرف عما يعرضكم
لسخط الله بجهدي ولكني اريكم قوما تجهلون ولكنكم جاهلون لا تعلمون ان الرسل لم يبعثوا
الا منذرين لا مقترحين ولا سائلين غير ما اذن لهم فيه فلما راوه عارضا مستقبل اوديتهم
قالوا هذا عارض ممطرنا فلما راوه في الضمير وجهان ان يرجع الى ما تعدنا وان يكون مبهما
قد وضح امره بقوله عارضا اما تمييزا واما حالا وهذا الوجه اعرب وافصح والعارض السحاب
الذي يعرض في افق من السماء ومثله الحسبي والعنان من حبا وعن اذا عرض واضافة
مستقبل وممطر مجازية غير معرفة بدليل وقوعهما وهما مضافان الى معرفتين وصفا للنكرة

بل هو القول قبله مضمر والقائل هود عليه السلام والدليل عليه قراءة من قرأ قال هود بل هو
وقرئ قل بل ما استعجلتم به ريح فيها عذاب اليم اى قال الله قل تدمر كل شىء بامر ربها
تهلك من نفوس عاد واموالهم الجم الكثير فعبر عن الكثرة بالكلية وقرئ يدمر كل شىء من دمر
دمارا اذا هلك فاصبحوا لا ترى الا مساكنهم الخطاب للرائى من كان وقرئ لا ترى على البناء
للمفعول بالياء والتاء وتاويل القراءة بالتاء وهى عن الحسن لا ترى بقايا ولا اشياء الا مساكنهم
ومنه بيت ذى الرمة وما بقيت الا الضلوع الجراشع وليست بالقوية وقرئ لا ترى الا
مسكنهم ولا يرى الا مسكنهم وروى ان الريح كانت تحمل الفسطاط والظعينة فترفعها فى
الجو حتى ترى كانها جرادة وقيل اول من ابصر العذاب امراة منهم قالت رايت ريحا
فيها كشهب النار وروى اول ما عرفوا به انه عذاب انهم راوا ما كان فى الصحراء من رحالهم
ومواشيهم تطير بهم الريح بين السماء والارض فدخلوا بيوتهم وغلقوا ابوابهم فقطعت الريح
الابواب وصرعتهم وامال الله عليهم الاحقاف فكانوا تحتها سبع ليال وثمانية ايام لهم
انين ثم كشفت الريح عنهم فاحتملتهم فطرحتهم فى البحر وروى ان هودا لما احس بالريح
خط على نفسه وعلى المؤمنين خطا الى جنب عين تنبع وعن ابن عباس رضى الله عنهما
اعتزل هود ومن معه فى حظيرة ما يصيبهم من الريح الا ما يلين على الجلود وتلذه الانفس
وانها لتمر من عاد بالظعن بين السماء والارض وتدمغهم بالحجارة وعن النبى صلى الله عليه وسلم
انه كان اذا راى الريح فزع وقال اللهم انى اسالك خيرها وخير ما ارسلت به واعوذ
بك من شرها وشر ما ارسلت به واذا راى مخيلة قام وقعد وجاء وذهب وتغير لونه
فيقول له يا رسول الله ما تخاف فيقول انى اخاف ان يكون مثل قوم عاد حيث قالوا
هذا عارض ممطرنا فان قلت ما فائدة اضافة الرب الى الريح قلت الدلالة على
ان الريح وتصريف اعنتها مما يشهد لعظم قدرته لانها من اعاجيب خلقه واكابر جنوده
وذكر الامر وكونها مامورة من جهته عز وعلا يعضد ذلك ويقويه كذلك نجزى القوم المجرمين

ولقد

ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه ان نافية اى فيما ما مكناكم فيه الا ان ان احسن فى اللفظ لما
فى مجامعة ما مثلها من التكرير المستبشع ومثله مجتنب الا ترى ان الاصل فى مهما ماما فلبشاعة
التكرير قلبوا الالف هاء ولقد اغث ابو الطيب فى قوله لعمرك ما ما بان منك لضارب
وما ضره لو اقتدى بعذوبة لفظ التنزيل فقال لعمرك ان ما بان منك لضارب وقد جعلت ان
صلة مثلها فيما انشده الاخفش يرجى المرء ما ان لا يراه ويعرض دون ادناه الخطوب
وتؤول بانا مكناهم فى مثل ما مكناكم فيه والوجه هو الاول ولقد جاء عليه غير آية فى القرآن هم احسن
اثاثا ورئيا كانوا اكثر منهم واشد قوة وآثارا وهو ابلغ فى التوبيخ وادخل فى الحث على الاعتبار
وجعلنا لهم سمعا وابصارا وافئدة فما اغنى عنهم سمعهم ولا ابصارهم ولا افئدتهم من شىء اى من
شىء من الاغناء وهو القليل منه اذ كانوا يجحدون بآيات الله وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن فان
قلت بم انتصب اذ كانوا يجحدون قلت بقوله فما اغنى فان قلت لم جرى مجرى التعليل
قلت لاستواء مؤدى التعليل والظرف فى قولك ضربته لاساءته وضربته اذ اساء لانك اذا ضربته
فى وقت اساءته فانما ضربته فيه لوجود اساءته فيه الا ان اذ وحيث غلبتا دون سائر الظروف فى ذلك
ولقد اهلكنا ما حولكم يا اهل مكة من القرى نحو حجر ثمود وقرى قوم لوط ونحوها والمراد اهل القرى
ولذلك قال لعلهم يرجعون وصرفنا الآيات لعلهم يرجعون فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله
قربانا آلهة القربان ما تقرب به الى الله اى اتخذوهم شفعاء متقربا بهم الى الله حيث قالوا هؤلاء شفعاؤنا
عند الله واحد مفعولى اتخذ الراجع الى الذين محذوف والثانى آلهة وقربانا حال ولا يصح
ان يكون قربانا مفعولا ثانيا وآلهة بدلا منه لفساد المعنى وقرئ قربانا بضم الراء والمعنى
فهلا منعهم من الهلاك آلهتهم بل ضلوا عنهم اى غابوا عن نصرتهم وذلك افكهم وذلك اشارة الى
امتناع نصرة آلهتهم لهم وضلالهم عنهم اى وذلك اثر افكهم الذى هو اتخاذهم اياها آلهة
وثمرة شركهم وافترائهم على الله الكذب من كونه ذا شركاء وقرئ افكهم والافك والافك كالحذر
والحذر وقرئ وذلك افكهم اى وذلك الاتخاذ الذى هذا اثره وثمرته صرفهم عن الحق وقرئ

أفّلهم على التشديد للمبالغة وآفكهم جعلهم آفكين وآفكهم اى قولهم الآفك ذو الإفك كما تقول
قول كاذب وذلك إفك مما كانوا يفترون اى بعض ما كانوا يفترون من الإفك وإذ صرفنا
إليك نفرا من الجن أملناهم إليك وأقبلنا بهم نحوك وقرئ صرّفنا بالتشديد لأنهم جماعة والنفر
دون العشرة ويجمع أنفارا وفي حديث أبي ذر رضي الله عنه لو كان ههنا أحد من أنفارنا فلما
حضروه الضمير للقرآن اى فلما كان بمسمع منهم أو لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتعضده قراءة
من قرأ فلما قضى اى أتم قراءته وفرغ منها قالوا قال بعضهم لبعض أنصتوا فلما قضى ولوا
إلى قومهم منذرين أنصتوا اسكتوا مستمعين يقال أنصت لكذا واستنصت له روي أن الجن
كانت تسترق السمع فلما حرست السماء ورجموا بالشهب قالوا ما هذا إلا لنبأ حدث فنهض
سبعة نفر أو تسعة من أشراف جن نصيبين أو نينوى منهم زوبعة فضربوا حتى بلغوا تهامة
ثم اندفعوا إلى وادي النخلة فوافقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قائم في جوف الليل
يصلي أو في صلاة الفجر فاستمعوا لقراءته وذلك عند منصرفه من الطائف حين خرج إليهم يستنصرهم
فلم يجيبوه إلى طلبته وأغروا به سفهاء ثقيف وعن سعيد بن جبير رحمه الله ما قرأ رسول
الله صلى الله عليه وسلم على الجن ولا رآهم وإنما كان يتلو في صلاته فمروا به فوقفوا مستمعين
وهو لا يشعر فأنبأه الله باستماعهم وقيل بل أمر الله رسوله أن ينذر الجن ويقرأ عليهم
فصرف إليه نفرا منهم جمعهم له فقال إني أمرت أن أقرأ على الجن الليلة فمن يتبعني قالها
ثلثا فاطرقوا إلا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال لم يحضره ليلة الجن أحد غيري فانطلقنا
حتى إذا كنا بأعلى مكة في شعب الحجون فخط لي خطا وقال لا تخرج منه حتى أعود إليك ثم
افتتح القرآن وسمعت لغطا شديدا حتى خفت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وغشيته
أسودة كثيرة حالت بيني وبينه حتى ما أسمع صوته ثم انقطعوا كقطع السحاب فقال لي رسول الله
صلى الله عليه وسلم هل رأيت شيئا قلت نعم رجالا سودا مستثفري ثياب بيض فقال أولئك جن
نصيبين وكانوا اثني عشر ألفا والسورة التي قرأها عليهم اقرأ باسم ربك قالوا يا قومنا إنا سمعنا
كتابا

وما كانوا يفترون

يستمعون القرآن

كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم فإن قلت كيف
قالوا من بعد موسى قلت عن عطاء أنهم كانوا على اليهودية وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن
الجن لم تكن سمعت بأمر عيسى فلذلك قالت من بعد موسى يا قومنا أجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر
لكم من ذنوبكم فإن قلت لم بعض في قوله من ذنوبكم قلت لأن من الذنوب ما لا يغفر بالإيمان
كذنوب المظالم ونحوها ونحوه قوله عز وعلا أن اعبدوا الله واتقوه وأطيعون يغفر لكم من ذنوبكم
فإن قلت هل للجن ثواب كما للإنس قلت اختلف فيه فقيل لا ثواب لهم إلا النجاة من النار لقوله
ويجركم من عذاب أليم وإليه كان يذهب أبو حنيفة رضي الله عنه والصحيح أنهم في حكم بني آدم
لأنهم مكلفون مثلهم ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الأرض اى لا ينجي منه مهرب ولا يسبق
قضاءه سابق ونحوه قوله وإنا ظننا أن لا نعجز الله في الأرض ولن نعجزه هربا وليس له من دونه
أولياء أولئك في ضلال مبين أولم يروا أن الله الذي خلق السماوات والأرض ولم يعي بقادر
محله الرفع لأنه خبر أن يدل عليه قراءة عبد الله قادر وإنما دخلت الباء لاشتمال النفي في
أول الآية على أن وما في حيزها وقال الزجاج لو قلت ما ظننت أن زيدا بقائم جاز كأنه قيل
أليس الله بقادر ألا ترى إلى وقوع بلى مقررة للقدرة على كل شيء من البعث وغيره لا لرؤيتهم و
قرئ يقدر ويقال عييت بالأمر إذا لم تعرف وجهه ومنه أفعيينا بالخلق الأول ويوم يعرض الذين
كفروا على النار أليس هذا بالحق قالوا بلى قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون أليس هذا
بالحق محكي بعد قول مضمر وهذا المضمر هو ناصب الظرف وهذا إشارة إلى العذاب بدليل قوله
فذوقوا والمعنى التهكم بهم والتوبيخ لهم على استهزائهم بوعد الله ووعيده وقولهم وما نحن بمعذبين
فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل أولوا الجد والثبات والصبر ومن يجوز أن يكون للتبعيض
ويراد بأولوا العزم بعض الأنبياء قيل هم نوح صبر على أذى قومه كانوا يضربونه حتى يغشى
عليه وإبراهيم على النار وذبح ولده وإسحق على الذبح ويعقوب على فقد ولده وذهاب بصره
ويوسف على الجب والسجن وأيوب على الضر وموسى قال له قومه إنا لمدركون قال كلا إن

قيل العزم توطين النفس على الأمر مع البصيرة

معي رب سبعين وداود بكى على خطيئته أربعين سنة وعيسى لم يضع لبنة على لبنة وقال إنها معبرة
فاعبروها ولا تعمروها وقال الله تعالى في آدم ولم نجد له عزما وفي يونس ولا تكن كصاحب الحوت
ويجوز أن تكون للبيان فيكون أولو العزم صفة الرسل كلهم ولا تستعجل لهم كأنهم يوم يرون ما
يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار ولا تستعجل لكفار قريش بالعذاب أي لا تدع لهم بتعجيله
فإنه نازل بهم لا محالة وإن تأخر وأنهم مستقصرون حينئذ مدة لبثهم في الدنيا حتى يحسبونها
ساعة من نهار بلاغ هذا بلاغ أي هذا الذي وعظتم به كفاية في الموعظة أو هذا تبليغ من
الرسول فهل يهلك إلا القوم الفاسقون إلا الخارجون عن الاتعاظ به والعمل بموجبه ويدل
على معنى التبليغ قراءة من قرأ بلغ فهل يهلك وقرئ بلاغا أي بلغوا بلاغا وقرئ يهلك بفتح الياء
وكسر اللام وفتحها من هلك وهلك ونهلك بالنون إلا القوم الفاسقين عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم من قرأ سورة الأحقاف كتب له عشر حسنات بعدد كل رملة في الدنيا

سورة محمد صلى الله عليه وسلم مدنية عند مجاهد وقال الضحاك مكية وهي سورة القتال

بسم الله الرحمن الرحيم الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله
وأعرضوا وامتنعوا عن الدخول في الإسلام أو صدوا غيرهم عنه قال ابن عباس رضي الله عنهما
هم المطعمون يوم بدر وعن مقاتل كانوا اثني عشر رجلا من أهل الشرك يصدون الناس
عن الإسلام ويأمرونهم بالكفر وقيل هم أهل الكتاب الذين كفروا وصدوا من أراد منهم ومن غيرهم
أن يدخل في الإسلام وقيل هو عام في كل من كفر وصد أضل أعمالهم أبطلها وأحبطها وحقيقته
جعلها ضالة ضائعة ليس لها من يتقبلها ويثيب عليها كالضالة من الإبل التي هي بمضيعة
لا رب لها يحفظها ويعتني بأمرها أو جعلها ضالة في كفرهم ومعاصيهم مغلوبة بها كما يضل الماء
في اللبن وأعمالهم ما عملوه في كفرهم مما كانوا يسمونه مكارم من صلة الأرحام وفك الأسارى و
قرى الأضياف وحفظ الجوار وقيل أبطل ما عملوه من الكيد لرسول الله صلى الله عليه وسلم
والصد عن سبيل الله بأن نصره عليهم وأظهر دينه على الدين كله والذين آمنوا وعملوا الصالحات

قال مقاتل هم ناس من قريش وقيل من الأنصار وقيل هم مؤمنوا أهل الكتاب وقيل هو عام
وقوله وآمنوا بما نزل على محمد اختصاص للإيمان بالمنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين ما
يجب الإيمان به تعظيما لشأنه وتعليما لأنه لا يصح الإيمان ولا يتم إلا به وأكد ذلك بالجملة الاعتراضية
التي هي قوله وهو الحق من ربهم وقيل معناها أن دين محمد هو الحق إذ لا يرد عليه النسخ وهو ناسخ لغيره
وقرئ نُزّل وأُنزل على البناء للمفعول ونزّل على البناء للفاعل ونَزَل بالتخفيف كفر عنهم سيئاتهم ستر
بإيمانهم وعملهم الصالح ما كان منهم من الكفر والمعاصي لرجوعهم عنها وتوبتهم وأصلح بالهم أي حالهم
وشأنهم بالتوفيق في أمور الدين وبالتسلط على الدنيا بما أعطاهم من النصرة والتأييد ذلك بأن
الذين كفروا اتبعوا الباطل وأن الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم ذلك مبتدأ وما بعده خبره
أي ذلك الأمر وهو إضلال أعمال أحد الفريقين وتكفير سيئات الثاني كائن بسبب اتباع هؤلاء الباطل
وهؤلاء الحق ويجوز أن يكون ذلك خبر مبتدأ محذوف أي الأمر كما ذكر بهذا السبب فيكون محل الجار
والمجرور منصوبا على هذا ومرفوعا على الأول والباطل ما لا ينتفع به وعن مجاهد الباطل الشيطان
وهذا الكلام يسميه علماء البيان التفسير كذلك مثل ذلك الضرب يضرب الله للناس أمثالهم والضمير
راجع إلى الناس أو إلى المذكورين من الفريقين على معنى أنه يضرب أمثالهم لأجل الناس ليعتبروا
بهم فإن قلت أين ضرب الأمثال قلت في أن جعل اتباع الباطل مثلا لعمل الكفار واتباع
الحق مثلا لعمل المؤمنين أو في أن جعل الإضلال مثلا لخيبة الكفار وتكفير السيئات مثلا لفوز
المؤمنين فإذا لقيتم الذين كفروا من اللقاء وهو الحرب فضرب الرقاب أصله فاضربوا الرقاب
ضربا فحذف الفعل وقدم المصدر فأنيب منابه مضافا إلى المفعول وفيه اختصار مع إعطاء معنى
التوكيد لأنك تذكر المصدر وتدل على الفعل بالنصبة التي فيه وضرب الرقاب عبارة عن القتل
لأن الواجب أن تضرب الرقاب خاصة دون غيرها من الأعضاء وذلك أنهم يقولون ضرب الأمير
رقبة فلان وضرب عنقه وعلاوته وضرب ما فيه عيناه إذا قتله وذلك أن قتل الإنسان
أكثر ما يكون بضرب رقبته فوقع عبارة عن القتل وإن ضرب غير رقبته من المقاتل كما ذكرنا في قوله

بما كسبت ايديكم على ان في هذه العبارة من الغلظة والشدة ما ليس في لفظ القتل لما فيه من تصوير
القتل باشنع صورة وهو نفر العنق واطارة العضو الذي هو راس البدن وعلوه واوجه اعضائه
ولقد زاد في هذه الغلظة في قوله فاضربوا فوق الاعناق واضربوا منهم كل بنان حتى اذا اثخنتموهم
اكثرتم قتلهم واغلظتموه من الثخين وهو الغليظ او اثقلتموهم بالقتل والجراح حتى اذهبتم
عنهم النهوض فشدوا الوثاق فاسروهم والوثاق بالفتح والكسر اسم ما يوثق به فاما منا بعد
واما فداء منا وفداء منصوبان بفعلين مضمرين اي فاما تمنون منا واما تفدون فداء والمعنى التخيير
بعد الاسر بين ان تمنوا عليهم فتطلقوهم وبين ان تفادوهم فان قلت كيف حكم اسارى المشركين
قلت اما عند ابي حنيفة رضي الله عنه واصحابه رحمهم الله فاحد امرين اما قتلهم واما استرقاقهم
ايهما راى الامام ويقولون في المن والفداء المذكورين في الاية نزل ذلك في يوم بدر ثم نسخ وعن مجاهد
ليس اليوم من ولا فداء انما هو الاسلام او ضرب العنق ويجوز ان يراد بالمن ان يمن عليهم
بترك القتل ويسترقوا او يمن عليهم بترك القتل فيخلوا لقبولهم الجزية وكونهم من اهل الذمة وبالفداء
ان يفادى باسارى المشركين فقد رواه الطحاوي مذهبنا عن ابي حنيفة رضي الله عنه والمشهور
انه لا يرى فداءهم لا بمال ولا بغيره خيفة ان لا يعودوا حربا للمسلمين واما الشافعي رضي الله عنه
فيقول للامام ان يختار احد اربعة على حسب ما اقتضاه نظره للمسلمين وهي القتل والاسترقاق
والفداء باسارى المسلمين والمن ويحتج بان رسول الله صلى الله عليه وسلم من على ابي عروة
الجمحي وعلى اثال الحنفي وفادى رجلا برجلين من المشركين وهذا كله منسوخ عند اصحاب
الراي وقرئ فدا بالقصر مع فتح الفاء حتى تضع الحرب اوزارها اوزار الحرب آلاتها واثقالها
التي لا يقوم الا بها كالسلاح والكراع قال الاعشى واعددت للحرب اوزارها
وما خاطر الا وخيلا ذكورا وسميت اوزارها لانها لما لم يكن لها بد من جرها فكانها تحملها
وتستقل بها فاذا انقضت فكانها وضعتها وقيل اوزارها آثامها يعني يترك اهل الحرب
وهم المشركون شركهم ومعاصيهم بان يسلموا فان قلت حتى بم تعلقت قلت لا يخلو من
ان

ان يتعلق بالضرب والشد او بالمن والفداء فالمعنى على كلا المتعلقين عند الشافعي رضي الله عنه
انهم لا يزالون على ذلك ابدا الى ان لا تكون حرب مع المشركين وذلك اذا لم تبق لهم شوكة وقيل
اذا نزل عيسى عليه السلام وعند ابي حنيفة رضي الله عنه اذا علق بالضرب والشد فالمعنى انهم يقتلون
ويؤسرون حتى يضع جنس الحرب الاوزار وذلك حين لا تبقى شوكة للمشركين واذا علق بالمن و
الفداء فالمعنى انه يمن عليهم ويفادون حتى يضع حرب بدر اوزارها الا ان يتاول المن والفداء
بما ذكرنا من التاويل ذلك اي الامر ذلك او افعلوا ذلك ولو شاء الله لانتصر منهم لانتقم منهم ببعض اسباب
الهلكة من خسف او رجفة او حاصب او غرق او موت جارف ولكن امركم بالقتال ليبلو بعضكم
ببعض ليبلو المؤمنين بالكافرين بان يجاهدوا او يصبروا حتى يستوجبوا الثواب العظيم و
الكافرين بالمؤمنين بان يعاجلهم على ايديهم ببعض ما وجب لهم من العذاب والذين قتلوا في سبيل
الله قرئ قتلوا بالتخفيف والتشديد وقتلوا وقاتلوا وقرئ فلن يضل اعمالهم ويضل اعمالهم
على البناء للمفعول ويضل اعمالهم وعن قتادة انها نزلت في يوم احد سيهديهم ويصلح بالهم ويدخلهم
الجنة عرفها لهم اعلمها لهم وبينها بما يعلم به كل احد منزله ودرجته من الجنة الى مساكنهم منها
لا يخطئون كانهم كانوا سكانها منذ خلقوا لا يستدلون عليها وعن مقاتل ان الملك الذي وكل
بحفظ عمله في الدنيا يمشي بين يديه فيعرفه كل شيء اعطاه الله او طيبها لهم من العرف وهو طيب
الرائحة وفي كلام بعضهم عرف كنوح القماري وعرف كفوح القماري او حددها لهم فجنة كل
احد محدودة مفرزة عن غيرها من عرف الدار وارفها والعرف والارف الحدود يا ايها الذين
آمنوا ان تنصروا الله دين الله ورسوله ينصركم على عدوكم ويفتح لكم ويثبت اقدامكم في مواطن
الحرب او على محجة الاسلام والذين كفروا يحتمل الرفع على الابتداء وخبره محذوف تقديره تعسوا
والنصب بما يفسره فتعسا لهم كانه قال اتعس الذين كفروا فان قلت علام عطف قوله
واضل اعمالهم قلت على الفعل الذي نصب تعسا لان المعنى فقال تعسا لهم او فقضى
تعسا لهم وتعسا له نقيض لعا له قال الاعشى والتعس اولى لها من ان اقول لعا

يريد في العثور والانحطاط اقرب لها من الانتعاش والثبوت وعن ابن عباس رضي الله عنهما يريد
في الدنيا القتل وفي الآخرة التردي في النار ذلك بانهم كرهوا ما انزل الله فاحبط اعمالهم
كرهوا القرآن وما انزل الله فيه من التكاليف والاحكام لانهم قد الفوا الاهمال واطلاق العنان
في الشهوات والملاذ فشق عليهم ذلك وتعاظمهم افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة
الذين من قبلهم دمر الله عليهم دمره اهلكه ودمر عليه اهلك عليه ما يختص به والمعنى دمر
الله عليهم ما اختص بهم من انفسهم واولادهم واموالهم وكل ما كان لهم وللكافرين امثالها
للعاقبة المذكورة او للهلكة لان التدمير يدل عليها او للسنة لقوله عز وعلا سنة الله في الذين
خلوا ذلك بان الله مولى الذين آمنوا وان الكافرين لا مولى لهم مولى الذين آمنوا وليهم وناصرهم
وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه ولي الذين آمنوا ويروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان
في الشعب يوم احد وقد فشت فيهم الجراحات وفيه نزلت فنادى المشركون اعل هبل فنادى
المسلمون الله اعلى واجل فنادى المشركون يوم بيوم والحرب سجال ان لنا عزى ولا عزى لكم
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قولوا الله مولانا ولا مولى لكم ان القتلى مختلفة اما قتلانا فاحياء
يرزقون واما قتلاكم ففي النار يعذبون فان قلت قوله تعالى وردوا الى الله مولاهم الحق مناقض
لهذه الآية قلت لا تناقض بينهما لان الله مولى عباده جميعا على معنى انه ربهم ومالك
امرهم واما على معنى الناصر فهو مولى المؤمنين خاصة ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات
جنات تجري من تحتها الانهار والذين كفروا يتمتعون ينتفعون بمتاع الحيوة الدنيا اياما
قلائل ويأكلون غافلين غير مفكرين في العاقبة كما تأكل الانعام في مسارحها ومعالفها غافلة
عما هي بصدده من النحر والذبح والنار مثوى لهم منزل ومقام وكأين من قرية هي اشد
قوة من قريتك التي اخرجتك اهلكناهم وقرئ وكائن بوزن كاعن واراد بالقرية اهلها ولذلك
قال اهلكناهم كانه قال وكم من قوم هم اشد قوة من قومك الذين اخرجوك اهلكناهم ومعنى
اخرجوك كانوا سبب خروجك فان قلت كيف قال فلا ناصر لهم وانما هو امر قد مضى قلت

مجراه

مجراه مجرى الحال المحكية كقوله اهلكناهم فهم لا ينصرون افمن كان على بينة من ربه كمن زين
له سوء عمله واتبعوا اهواءهم من زين له هم اهل مكة الذين زين لهم الشيطان شركهم وعداوتهم
لله ورسوله ومن كان على بينة من ربه اي على حجة من عنده وبرهان وهو القرآن المعجز وسائر
المعجزات هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرئ امن كان على بينة وقال سوء عمله واتبعوا للحمل
على لفظ من ومعناه مثل الجنة التي وعد المتقون فيها انهار من ماء غير آسن وانهار من لبن لم يتغير
طعمه وانهار من خمر لذة للشاربين وانهار من عسل مصفى ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة من
ربهم كمن هو خالد في النار وسقوا ماء حميما فان قلت ما معنى قوله مثل الجنة التي وعد
المتقون فيها انهار كمن هو خالد في النار قلت هو كلام في صورة الاثبات ومعنى النفي والانكار
لانطوائه تحت حكم كلام مصدر بحرف الانكار ودخوله في حيزه وانخراطه في سلكه وهو قوله افمن
كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله فكانه قيل امثل الجنة كمن هو خالد في النار اي كمثل
جزاء من هو خالد في النار فان قلت فلم عري من حرف الانكار وما فائدة التعرية قلت
تعريته من حرف الانكار فيها زيادة تصوير لمكابرة من يسوي بين المتمسك بالبينة والتابع لهواه وانه
بمنزلة من يثبت التسوية بين الجنة التي تجري فيها تلك الانهار وبين النار التي يسقى اهلها
الحميم ونظيره قول القائل افرح ان ارزأ الكرام وان اورث ذودا شصائصا نبلا
هو كلام منكر للفرح برزية الكرام ووراثة الذود مع تعريه من حرف الانكار لانطوائه
تحت حكم قول من قال له اتفرح بموت اخيك وبوراثة ابله والذي طرح
لاجله حرف الانكار ارادة ان يصور قبح ما ازن به فكانه قال له نعم مثلي يفرح بمرزأة الكرام
وبان يستبدل منهم ذودا يقل طائله وهو من التسليم الذي تحته كل انكار ومثل الجنة
صفة الجنة العجيبة الشأن وهو مبتدأ خبره كمن هو خالد وقوله فيها انهار داخل في حكم الصلة
كالتكرير لها الا ترى الى صحة قولك التي فيها انهار ويجوز ان يكون خبر مبتدأ محذوف اي هي
فيها انهار وكأن قائلا قال وما مثلها فقيل فيها انهار وان يكون في موضع الحال اي مستقرة فيها
انهار

وفي قراءة علي رضي الله عنه أمثال الجنة اي ما صفاتها كصفات النار وقرئ أسن يقال أسن الماء وأجن اذا تغير طعمه وريحه وأنشد ليزيد بن معاوية لقد سقتني رضابا غير ذي أسن كالمسك فُتَّ على ماء العناقيد من لبن لم يتغير طعمه كما يتغير ألبان الدنيا فلا يعود قارصا ولا حازرا ولا ما يكره من الطعوم لذة تأنيث لذ وهو اللذيذ او وصف بمصدر وقرئ بالحركات الثلث فالجر على صفة الخمر والرفع على صفة الانهار والنصب على العلة اي لاجل لذة الشاربين والمعنى ما هو الا التلذذ الخالص ليس معه ذهاب عقل ولا خمار ولا صداع ولا آفة من آفات الخمر مصفى لم يخرج من بطون النحل فيخالطه الشمع وغيره ماء حميما قيل اذا دنا منهم شوى وجوههم وانمازت فروة رؤسهم فاذا شربوه قطع امعاءهم ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم ماذا قال آنفا هم المنافقون كانوا يحضرون مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فيستمعون بكلامه ولا يعونه ولا يلقون له بالا تهاونا منهم فاذا خرجوا قالوا لأولي العلم من الصحابة ماذا قال الساعة على جهة الاستهزاء وقيل كان يخطب فاذا عاب المنافقين خرجوا فقالوا ذلك للعلماء وقيل قالوه لعبد الله بن مسعود رضي الله عنه وعن ابن عباس رضي الله عنهما انا منهم وقد سميت فيمن سئل وقرئ أنفا على فعل نصب على الظرف قال الزجاج هو من استأنفت الشيء اذا ابتدأته والمعنى ماذا قال في اول وقت يقرب منا أولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا اهواءهم والذين اهتدوا زادهم الله هدى بالتوفيق وآتاهم تقواهم اعانهم عليها او آتاهم جزاء تقواهم وعن السدي بين لهم ما يتقون وقرئ واعطاهم وقيل الضمير في زادهم لقول الرسول او لاستهزاء المنافقين فهل ينظرون الا الساعة ان تأتيهم استمال من الساعة نحو ان تطأوهم من قوله ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات وقرئ ان تأتهم بالوقف على الساعة واستئناف الشرط وهي في مصاحف اهل مكة كذلك فان قلت فما جزاء الشرط قلت قوله فانى لهم ومعناه ان تأتهم الساعة فكيف لهم ذكراهم اي تذكرهم واتعاظهم اذا جاءتهم الساعة يعني لا تنفعهم الذكرى حينئذ كقوله يومئذ يتذكر الانسان وانى له الذكرى فان قلت

ثم يتصل قوله فقد جاء اشراطها على القراءتين قلت باتيان الساعة اتصال العلة بالمعلول كقولك ان اكرمني زيد فانا حقيق بالاكرام اكرمه والاشراط العلامات قال ابو الاسود فان كنت قد ازمعت بالصرم بيننا فقد جعلت اشراط اوله تبدو وقيل مبعث محمد خاتم الانبياء صلى الله عليه وعليهم منها وانشقاق القمر والدخان وعن الكلبي كثرة المال والتجارة وشهادة الزور وقطع الارحام وقلة الكرام وكثرة اللئام وقرئ بغتة بوزن جربة وهي غريبة لم ترد في المصادر اختها وهي مروية عن ابي عمرو وما اخوفني ان تكون غلطة من الراوي على ابي عمرو وان يكون الصواب بغتة بفتح الغين من غير تشديد كقراءة الحسن فيما تقدم فاعلم انه لا اله الا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات لما ذكر حال المؤمنين وحال الكافرين قال اذا علمت ان الامر كما ذكر من سعادة هؤلاء وشقاوة هؤلاء فاثبت على ما انت عليه من العلم بوحدانية الله وعلى التواضع وهضم النفس باستغفار ذنبك وذنوب من على دينك والله يعلم متقلبكم ومثواكم والله يعلم احوالكم ومتصرفاتكم ومتقلبكم في معاشكم ومتاجركم ويعلم حيث تستقرون من منازلكم او متقلبكم في حياتكم ومثواكم في القبور او متقلبكم في اعمالكم ومثواكم من الجنة والنار ومثله حقيق بان يتقى ويخشى وان يستغفر ويسترحم وعن سفيان بن عيينة انه سئل عن فضل العلم فقال الم تسمع قوله حين بدأ به فاعلم انه لا اله الا الله واستغفر لذنبك فامر بالعمل بعد العلم وقال اعلموا انما الحيوة الدنيا لعب الى قوله سابقوا الى مغفرة وقال واعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة ثم قال بعد فاحذروه وقال واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه ثم امر بالعمل بعده ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة فاذا انزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال كانوا يدعون الحرص على الجهاد ويتمنونه بالسنتهم ويقولون لولا انزلت سورة في معنى الجهاد فاذا انزلت وامروا فيها بما تمنوا وحرصوا عليه كاعوا وشق عليهم وسقطوا في ايديهم كقوله فلما كتب عليهم القتال اذا فريق منهم يخشون الناس محكمة مبينة غير متشابهة لا تحتمل وجها الا وجوب القتال وعن قتادة كل سورة فيها ذكر القتال فهي محكمة وهي اشد القرآن على المنافقين وقيل

لما محكمة لان النسخ لا يرد عليها من قبل ان القتال قد نسخ ما كان من الصفح والمهادنة وهو
غير منسوخ الى يوم القيامة وقيل هي المحدثة لانها حين يحدث نزولها لا يتناولها النسخ ثم تنسخ
بعد ذلك او تبقى غير منسوخة وفي قراة عبد الله سورة محدثة وقرى فاذا نزلت سورة وذكر
فيها القتال على البناء للفاعل ونصب القتال الذين في قلوبهم مرض هم الذين كانوا على
حرف غير ثابتي الاقدام ينظرون اليك نظر المغشي عليه من الموت اي تشخص ابصارهم جبنا
وهلعا كما ينظر من اصابته الغشية عند الموت فاولى لهم وعيد بمعنى فويل لهم وهو افعل
من الولي وهو القرب ومعناه الدعاء عليهم بان يليهم المكروه طاعة وقول معروف كلام مستانف
اي طاعة وقول معروف خير لهم وقيل هي حكاية قولهم اي قالوا طاعة وقول معروف بمعنى امرنا
طاعة وقول معروف وتشهد له قراة ابي يقولون امرنا طاعة وقول معروف فاذا عزم الامر
اي جد والعزم والجد لاصحاب الامر وانما يسندان الى الامر اسنادا مجازيا ومنه قوله تعالى
ان ذلك من عزم الامور فلو صدقوا الله فيما زعموا من الحرص على الجهاد او فلو صدقوا في ايمانهم
وواطأت قلوبهم فيه السنتهم لكان خيرا لهم فهل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا في الارض وتقطعوا
ارحامكم عسيت وعسيتم لغة اهل الحجاز واما بنو تميم فيقولون عسى ان تفعل وعسى ان تفعلوا
ولا يلحقون الضماير وقرا نافع بكسر السين وهو غريب وقد نقل الكلام من الخطاب على طريقة الالتفات
ليكون ابلغ في التوبيخ فان قلت ما معنى فهل عسيتم ان تفسدوا في الارض قلت معناه
هل يتوقع منكم الافساد فان قلت فكيف يصح هذا في كلام الله عز وجل وهو عالم بما كان و
يكون قلت معناه انكم لما عهد منكم احقاء بان يقول لكم كل من ذاقكم وعرف تمرضكم و
رخاوة عقدكم في الايمان يا هؤلاء ما ترون هل يتوقع منكم ان توليتم امور الناس وتامرتم
عليهم لما تبين منكم من الشواهد ولاح من المخايل ان تفسدوا في الارض وتقطعوا ارحامكم
تناحرا على الملك وتهالكا على الدنيا وقيل ان اعرضتم وتوليتم عن دين رسول الله وسنته
ان ترجعوا الى ما كنتم عليه في الجاهلية من الافساد في الارض بالتغاور والتناهب وقطع

الارحام مقاتلة بعض الاقارب بعضا ووأد البنات وقرى وليتم وفي قراة علي بن ابي طالب
رضي الله عنه توليتم اي ان تولاكم ولاة غشمة خرجتم معهم ومشيتم تحت لوائهم وافسدتم بافسادهم
وقرى وتقطعوا وتقطعوا من التقطيع والتقطع اولئك اشارة الى المذكورين الذين لعنهم الله
فاصمهم واعمى ابصارهم الذين لعنهم الله لافسادهم وقطعهم الارحام فمنعهم الطافه وخذلهم حتى صموا
عن استماع الموعظة وعموا عن ابصار طريق الهدى ويجوز ان يريد بالذين امنوا المومنين الخلص
الثابتين وانهم يتشوفون الى الوحي اذا ابطا عليهم فاذا انزلت سورة في معنى الجهاد رايت
المنافقين فيما بينهم يضجرون منها افلا يتدبرون القرآن ويتصفحونه وما فيه من المواعظ والزواجر
ووعيد العصاة حتى لا يجسروا على المعاصي ثم قال ام على قلوب اقفالها وام بمعنى بل وهمزة التقرير
للتسجيل عليهم بان قلوبهم مقفلة لا يتوصل اليها ذكر وعن قتادة اذن والله يجدوا في القرآن
زاجرا عن معصية الله لو تدبروه ولكنهم اخذوا بالمتشابه فهلكوا فان قلت لم نكرت القلوب
واضيفت الاقفال اليها قلت اما التنكير ففيه وجهان ان يراد على قلوب قاسية مبهم امرها
في ذلك او يراد على بعض القلوب وهي قلوب المنافقين واما اضافة الاقفال فلانه يريد الاقفال
المختصة بها وهي اقفال الكفر التي استغلقت فلا تنفتح وقرى اقفالها على المصدر ان الذين ارتدوا
على ادبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان سول لهم جملة من مبتدا وخبر وقعت خبرا لان
كقولك ان زيدا عمرو مر به سول لهم سهل لهم ركوب العظائم من السول وهو الاسترخاء
وقد اشتقه من السؤل من لا علم له بالتصريف والاشتقاق جميعا واملى لهم ومد لهم في الآمال
والاماني وقرى واملي لهم يعني ان الشيطان يغويهم وانا انظرهم كقوله انما نملي لهم وقرى
واملي لهم على البناء للمفعول اي امهلوا ومد في عمرهم وقرى وسول لهم ومعناه كيد الشيطان
زين لهم على تقدير حذف المضاف فان قلت من هؤلاء قلت اليهود كفروا بمحمد صلى
الله عليه وسلم من بعد ما تبين لهم الهدى وهو نعته في التوراة وقيل هم المنافقون ذلك بانهم
قالوا للذين كرهوا ما نزل الله سنطيعكم في بعض الامر الذين قالوا اليهود والذين كرهوا

ما انزل الله المنافقون وقيل عكسه وانه قول المنافقين لقريظة والنضير لئن أخرجتم لنخرجن
معكم وقيل بعض امر التكذيب برسول الله صلى الله عليه وسلم او بلا اله الا الله او ترك القتال
معه وقيل هو قول احد الفريقين للمشركين سنطيعكم في التظافر على عداوة رسول الله صلى الله
عليه وسلم والقعود عن الجهاد معه ومعنى في بعض الامر في بعض ما تامرون به او في بعض الامر
الذي يهمكم والله يعلم اسرارهم وقرئ إسرارهم على المصدر قالوا ذلك سرا فيما بينهم فافشاه الله عليهم
فكيف اذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم وادبارهم فكيف يعملون وما حيلتهم حينئذ وقرئ توفاهم
ويحتمل ان يكون ماضيا ومضارعا قد حذفت احدى تائيه على محصته كقوله ان الذين توفاهم الملائكة
وعن ابن عباس رضي الله عنهما لا يتوفى احد على معصيته الا يضرب من الملائكة في وجهه ودبره
ذلك اشارة الى التوفي الموصوف بانهم اتبعوا ما اسخط الله من كتمان نعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم وكرهوا رضوانه الايمان برسول الله صلى الله عليه وسلم فاحبط اعمالهم ام حسب الذين في
قلوبهم مرض ان لن يخرج الله اضغانهم احقادهم واخراجها ابرازها لرسول الله صلى الله عليه وسلم
وللمؤمنين واظهارهم على نفاقهم وعداوتهم لهم وكانت صدورهم تغلي حنقا عليهم ولو نشاء لاريناكهم
لعرفناكهم ودللناك عليهم فلعرفتهم حتى تعرفهم باعيانهم لا يخفون عليك بسيماهم بعلامتهم وهو ان
يسمهم الله بعلامة يعلمون بها وعن انس رضي الله عنه ما خفي على رسول الله صلى الله عليه وسلم
بعد هذه الآية شيء من المنافقين كان يعرفهم بسيماهم ولقد كنا في بعض الغزوات وفيها تسعة
من المنافقين يشكوهم الناس فناموا ذات ليلة واصبحوا وعلى جبهة كل واحد منهم مكتوب
هذا منافق ولتعرفنهم فان قلت اي فرق بين اللامين في فلعرفتهم ولتعرفنهم قلت
الاولى هي الداخلة في جواب لو كالتي في لاريناكهم كررت في المعطوف واما اللام في ولتعرفنهم
مع النون في جواب قسم محذوف في لحن القول في نحوه واسلوبه وعن ابن عباس رضي الله عنهما
هو قولهم ما لنا ان اطعنا من الثواب ولا يقولون ما علينا ان عصينا من العقاب وقيل اللحن
ان تلحن بكلامك اي تميله الى نحو من الانحاء ليفطن له صاحبك كالتعريض والتورية قال

ولقد

ولقد لحنت لكم لكيما تفقهوا واللحن يعرفه ذوو الالباب وقيل للمخطئ لاحن لانه يعدل
بالكلام عن الصواب والله يعلم اعمالكم ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو اخباركم
ما يحكى عنكم وما يخبر به عن اعمالكم ليعلم حسنها من قبيحها لان الخبر على حسب المخبر عنه ان
حسنا فحسن وان قبيحا فقبيح وقرأ يعقوب ونبلو بسكون الواو على معنى ونحن نبلو اخباركم وقرئ
وليبلونكم ويعلم ويبلو بالياء وعن الفضيل انه كان اذا قرأها بكى وقال اللهم لا تبتلنا فانك
ان بلوتنا فضحتنا وهتكت استارنا وعذبتنا ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وشاقوا
الرسول من بعد ما تبين لهم الهدى لن يضروا الله شيئا وسيحبط اعمالهم التي عملوها في دينهم يرجون
بها الثواب لانها مع كفرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم باطلة وهم قريظة والنضير او سيحبط اعمالهم
التي عملوها والمكائد التي نصبوها في مشاقة الرسول اي سيبطلها فلا يصلون منها الى اغراضهم
بل يستضرون بها ولا تثمر لهم الا القتل والجلاء عن اوطانهم وقيل هم رؤساء قريش والمطعمون
يوم بدر يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول ولا تبطلوا اعمالكم اي ولا تحبطوا
الطاعات بالكبائر كقوله لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي الى ان قال ان تحبط اعمالكم
وعن ابي العالية كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يرون انه لا يضر مع الاخلاص ذنب
كما لا ينفع مع الشرك عمل حتى نزلت ولا تبطلوا اعمالكم فكانوا يخافون الكبائر على اعمالهم
وعن حذيفة رضي الله عنه فخافوا ان تحبط الكبائر اعمالهم وعن ابن عمر رضي الله عنهما كنا
نرى انه ليس شيء من حسناتنا الا مقبولا حتى نزل ولا تبطلوا اعمالكم فقلنا ما هذا الذي
يبطل اعمالنا فقلنا الكبائر الموجبات والفواحش حتى نزل ان الله لا يغفر ان يشرك به
ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فكففنا عن القول في ذلك فكنا نخاف على من اصاب الكبائر
ونرجو لمن لم يصبها وعن قتادة رحم الله عبدا لم يحبط عمله الصالح بعمله السيئ وقيل
لا تبطلوها بمعصيتهما وعن ابن عباس رضي الله عنهما لا تبطلوها بالرياء والسمعة وعنه
بالشك والنفاق وقيل بالعجب فان العجب يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب وقيل

ولا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار
قيل هم اصحاب القليب والظاهر العموم فلن يغفر الله لهم فلا تهنوا فلا تضعفوا ولا تذلوا للعدو
ولا تدعوا الى السلم وقرئ السلم وهما المسالمة وانتم الاعلون اي الاغلبون الاقهرون والله معكم
اي ناصركم وعن قتاده لا تكونوا اول الطائفتين ضرعت الى صاحبتها بالموادعة وقرئ ولا تدعوا
من ادعى القوم وتداعوا اذا دعوا نحو قولك ارتموا الصيد وتراموه وتدعوا مجزوم لدخوله
في حكم النهي او منصوب لاضمار ان ونحو قوله وانتم الاعلون قوله انك انت الاعلى ولن يتركم
اعمالكم من وترت الرجل اذا قتلت له قتيلا من ولد او اخ او حميم او حربته وحقيقته افردته
من قريبه او ماله من الوتر وهو الفرد فشبه اضاعة عمل العامل وتعطيل ثوابه بوتر الواتر
وهو من فصيح الكلام ومنه قوله صلى الله عليه وسلم من فاتته صلوة العصر فكانما وتر اهله وماله
اي افرد عنهما قتلا ونهبا انما الحيوة الدنيا لعب ولهو وان تؤمنوا وتتقوا يؤتكم اجوركم
ثواب ايمانكم وتقواكم ولا يسألكم اموالكم اي ولا يسألكم جميعها انما يقتصر منكم على ربع العشر ثم
قال ان يسألكموها فيحفكم اي يجهدكم ويطلبه كله والاحفاء المبالغة وبلوغ الغاية في كل شيء
يقال احفاه في المسئلة اذا لم يترك شيئا من الالحاح واحفى شاربه استاصله تبخلوا ويخرج
اضغانكم اي تضطغنون على رسول الله صلى الله عليه وسلم وتضيق صدوركم لذلك واظهرتم كراهتكم
ومقتكم لدين يذهب باموالكم والضمير في يخرج لله عز وجل اي يضغنكم بطلب اموالكم او للبخل
لانه سبب الاضطغان وقرئ نخرج بالنون ويخرج بالياء والتاء مع فتحهما ورفع اضغانكم ها انتم
هؤلاء موصول بمعنى الذين صلته تدعون او انتم يا مخاطبون هؤلاء الموصوفون ثم استانف
وصفهم كانهم قالوا وما وصفنا فقيل تدعون لتنفقوا في سبيل الله قيل هي النفقة في
الغزو وقيل الزكوة كانه قيل الدليل على انه لو احفاكم لبخلتم وكرهتم العطاء
واضطغنتم انكم تدعون الى اداء ربع العشر فمنكم من يبخل ناس يبخلون به ومن يبخل
بالصدقة واداء الفريضة فلا يتعداه ضرر بخله فانما يبخل عن نفسه يقال بخلت عليه وعنه وكذلك
ضننت عليه وعنه والله الغني وانتم الفقراء ثم اخبر انه لا يامر بذلك ولا يدعوا اليه لحاجته
اليه فهو الغني الذي يستحيل عليه الحاجات ولكن لحاجتكم وفقركم الى الثواب وان تتولوا
معطوف على وان تؤمنوا وتتقوا يستبدل قوما غيركم يخلق قوما سواكم على خلاف صفتكم راغبين
في الايمان والتقوى غير متولين عنهما كقوله ويات بخلق جديد وقيل هم الملائكة وقيل الانصار
وعن ابن عباس رضي الله عنهما كندة والنخع وعن الحسن العجم وعن عكرمة فارس والروم
وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القوم وكان سلمان الى جنبه فضرب على فخذه وقال
هذا وقومه والذي نفسي بيده لو كان الايمان منوطا بالثريا لتناوله رجال من فارس عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة محمد كان حقا على الله ان يسقيه من انهار الجنة

سورة الفتح مدنية وهي تسع وعشرون اية

بسم الله الرحمن الرحيم انا فتحنا لك فتحا مبينا هو فتح
مكة وقد نزلت مرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مكة عام الحديبية عدة له بالفتح
وجئ به على لفظ الماضي على عادة رب العزة سبحانه في اخباره لانها في تحققها وتيقنها بمنزلة
الكائنة الموجودة وفي ذلك من الفخامة والدلالة على علو شان المخبر ما لا يخفى فان قلت
كيف جعل فتح مكة علة للمغفرة قلت لم يجعل علة للمغفرة ولكن لاجتماع ما عدد من
الامور الاربعة وهي المغفرة واتمام النعمة وهداية الصراط المستقيم والنصر العزيز كانه
قيل يسرنا لك فتح مكة ونصرناك على عدوك لنجمع لك بين عز الدارين واغراض العاجل
والآجل ويجوز ان يكون فتح مكة من حيث انه جهاد للعدو سببا للغفران والثواب والفتح
الظفر بالبلد عنوة او صلحا بحرب او بغير حرب لانه منغلق ما لم يظفر به فاذا ظفر به وحصل
في اليد فقد فتح وقيل هو فتح الحديبية ولم يكن فيه قتال شديد ولكن ترام بين القوم بسهام
وحجارة وعن ابن عباس رضي الله عنهما رموا المشركين حتى ادخلوهم ديارهم وعن الكلبي
ظهروا عليهم حتى سألوا الصلح فان قلت كيف يكون فتحا وقد احصروا فنحروا وحلقوا

بالحديبية قلت كان ذلك قبل المدينة فلما طلبوها وتمت كان فتحا مبينا وعن موسى بن
عقبة اقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحديبية راجعا فقال رجل من اصحابه ما هذا
بفتح لقد صدونا عن البيت وصد هدينا فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم فقال بئس الكلام
هذا بل هو اعظم الفتوح قد رضي المشركون ان يدفعوكم عن بلادهم بالراح ويسالوكم القضية
ويرغبوا اليكم في الامان وقد راوا منكم ما كرهوا وعن الشعبي نزلت بالحديبية واصاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم في تلك الغزوة ما لم يصب في غزوة اصاب ان بويع بيعة الرضوان و
غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر وظهرت الروم على فارس وبلغ الهدي محله واطعموا نخل
خيبر وكان في فتح الحديبية آية عظيمة وذلك انه نزح ماؤها حتى لم يبق فيها قطرة فتمضمض
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم مجه فيها فدرت بالماء حتى شرب جميع من كان معه وقيل
فجاشت بالماء حتى امتلأت ولم ينفد ماؤها بعد وقيل هو فتح خيبر وقيل فتح الروم وقيل
فتح الله له بالاسلام والنبوة والدعوة بالحجة والسيف ولا فتح ابين منه واعظم وهو راس الفتوح
كلها اذ لا فتح من فتوح الاسلام الا وهو تحته ومتشعب منه وقيل معناه قضينا لك قضاء
بينا على اهل مكة ان تدخلها انت واصحابك من قابل لتطوفوا بالبيت من الفتاحة وهي الحكومة
وكذا عن قتادة ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر يريد جميع ما فرط منك وعن
مقاتل ما تقدم في الجاهلية وما بعدها وقيل ما تقدم من حديث مارية وما تاخر من امراة زيد
ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما وينصرك الله نصرا عزيزا فيه عز ومنعة او
وصف بصفة المنصور اسنادا مجازيا او عزيزا صاحبه هو الذي انزل السكينة في قلوب المؤمنين
السكينة للسكون كالبهيتة للبهتان اي انزل الله في قلوبهم السكون والطمأنينة بسبب الصلح
والامن ليعرفوا فضل الله عليهم بتيسير الامن بعد الخوف والهدنة غب القتال فيزدادوا
يقينا الى يقينهم او انزل فيها السكون الى ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من الشرائع ليزدادوا
ايمانا بالشرائع مقرونا الى ايمانهم وهو التوحيد عن ابن عباس رضي الله عنهما ان اول ما اتاهم
به

به النبي صلى الله عليه وسلم التوحيد فلما آمنوا بالله وحده انزل الصلوة والزكوة ثم الحج ثم الجهاد
فازدادوا ايمانا الى ايمانهم او انزل فيها الوقار والعظمة لله ولرسوله ليزدادوا باعتقاد ذلك ايمانا
الى ايمانهم وقيل انزل فيها الرحمة ليتراحموا فيزداد ايمانهم ولله جنود السماوات والارض وكان
الله عليما حكيما يسلط بعضها على بعض كما يقتضيه علمه وحكمته ومن قضيته ان سكن قلوب المؤمنين
بصلح الحديبية ووعدهم ان يفتح لهم ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار
خالدين فيها ويكفر عنهم سيئاتهم وكان ذلك عند الله فوزا عظيما اي انما قضى ذلك ليعرف المؤمنون
نعمة الله فيه ويشكروها فيستحقوا الثواب فيثيبهم ويعذب الكافرين والمنافقين لما غاظهم
من ذلك وكرهوه ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات الظانين بالله ظن
السوء وقع السوء عبارة عن رداءة الشيء وفساده والصدق عن جودته وصلاحه فقيل في المرضي
الصالح من الافعال فعل صدق وفي المسخوط الفاسد منها فعل سوء ومعنى ظن السوء ظنهم ان
الله تعالى لا ينصر الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ولا يرجعهم الى مكة ظافرين فاتحيها عنوة وقهرا
عليهم دائرة السوء اي ما يظنونه ويتربصونه بالمؤمنين فهو حائق بهم ودائر عليهم والسوء الهلاك
والدمار وقرئ دائرة السوء بالفتح اي الدائرة التي يذمونها ويسخطونها فهي عندهم دائرة سوء وعند
المؤمنين دائرة صدق فان قلت هل من فرق بين السوء والسوء قلت هما كالكره والكره
والضعف والضعف من ساء الا ان المفتوح غلب في ان يضاف اليه ما يراد ذمه من كل
شيء واما السوء فجار مجرى الشر الذي هو نقيض الخير يقال اراد به السوء واراد به الخير ولذلك
اضيف الظن الى المفتوح لكونه مذموما وكانت الدائرة محمودة فكان حقها ان لا تضاف اليه الا على
التاويل الذي ذكرنا واما دائرة السوء بالضم فلان الذي اصابهم مكروه وشدة فصح ان يقع عليه اسم السوء
كقوله عز وجل ان اراد بكم سوءا او اراد بكم رحمة وغضب الله عليهم ولعنهم واعد لهم جهنم وساءت
مصيرا ولله جنود السماوات والارض وكان الله عزيزا حكيما انا ارسلناك شاهدا تشهد على امتك
كقوله ويكون الرسول عليكم شهيدا ومبشرا ونذيرا لتؤمنوا الضمير للناس بالله ورسوله ويعزروه

ويعزروه ويقووه بالنصر ويوقروه ويعظموه ويسبحوه من التسبيح او من السبحة والكل ضمائر لله عز وجل و
المراد بتعزير الله تعزير دينه ورسوله ومن فرق الضمائر فقد ابعد وقرئ لتؤمنوا وتعزروه
وتوقروه بالتاء والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولامته وقرئ وتعزروه بضم الزاء وكسرها
وتعزروه بضم التاء والتخفيف وتعززوه بالزائين وتوقروه من اوقره بمعنى وقره وتسبحوا
الله بكرة واصيلا عن ابن عباس رضي الله عنهما صلوة الفجر وصلوة الظهر والعصر ان الذين يبايعونك
انما يبايعون الله لما قال انما يبايعون الله اكده تاكيدا على طريقة التخييل فقال يد الله فوق ايديهم
يريد ان يد رسول الله صلى الله عليه وسلم التي تعلو ايدي المبايعين هي يد الله والله منزه عن الجوارح
وعن صفات الاجسام وانما المعنى تقرير عقد الميثاق مع الرسول صلى الله عليه وسلم كعقده مع
الله من غير تفاوت بينهما كقوله من يطع الرسول فقد اطاع الله والمراد بيعة الرضوان فمن نكث
فانما ينكث على نفسه فلا يعود ضرر نكثه الا عليه قال جابر بن عبد الله بايعنا رسول الله صلى الله
عليه وسلم تحت الشجرة على الموت وعلى ان لا نفر فما نكث احد منا البيعة الا جد بن قيس وكان
منافقا اختبا تحت ابط بعيره ولم يسر مع القوم وقرئ انما يبايعون لله اي لاجل الله ولوجهه
وقرئ ينكث بضم الكاف وكسرها ومن اوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه اجرا عظيما قرئ بما
عاهد وعهد وفسيؤتيه بالنون والياء يقال وفيت بالعهد واوفيته واوفيت به وهي لغة
تهامة ومنها قوله اوفوا بالعقود والموفون بعهدهم سيقول لك المخلفون من الاعراب شغلتنا اموالنا
واهلونا فاستغفر لنا هم الذين خلفوا عن الحديبية وهم اعراب غفار ومزينة وجهينة
واسلم واشجع والديل وذلك انه صلى الله عليه وسلم حين اراد المسير الى مكة عام الحديبية
معتمرا استنفر من حول المدينة من الاعراب واهل البوادي ليخرجوا معه حذرا من قريش
ان يعرضوا له بحرب او يصدوه عن البيت واحرم هو صلى الله عليه وسلم وساق معه الهدي
ليعلم انه لا يريد حربا فتثاقل كثير من الاعراب وقالوا نذهب الى قوم قد غزوه في عقر
داره بالمدينة وقتلوا اصحابه فنقاتلهم وظنوا انه يهلك فلا ينقلب الى المدينة واعتلوا بالشغل

باهاليهم واموالهم وانه ليس لهم من يقوم باشغالهم وقرئ شغّلتنا بالتشديد يقولون بالسنتهم
ما ليس في قلوبهم تكذيب لهم في اعتذارهم وان الذي خلفهم ليس بما يقولون وانما هو الشك في الله
والنفاق وطلبهم للاستغفار ايضا ليس بصادر عن حقيقة قل فمن يملك لكم من الله شيئا فمن يمنعكم
من مشيئة الله وقضائه ان اراد بكم ضرا ما يضركم من قتل او هزيمة او اراد بكم نفعا من ظفر وغنيمة
وقرئ ضرا بالفتح والضم والاهلون جمع اهل ويقال اهلات على تقدير تاء التانيث كارض وارضات
وقد جاء اهلة واما اهال فاسم جمع كليال وقرئ الى اهلهم وزين على البناء للفاعل وهو الشيطان
او الله عز وجل وكلاهما جاء في القرآن وزين لهم الشيطان اعمالهم زينا لهم اعمالهم وظننتم ظن
السوء وكنتم قوما بورا مصدر كالهلك من هلك بناء ومعنى ولذلك وصف به الواحد والجمع
والمذكر والمؤنث ويجوز ان يكون جمع بائر كعائذ وعوذ والمعنى وكنتم قوما فاسدين في انفسكم
وقلوبكم ونياتكم لا خير فيكم او هالكين عند الله مستوجبين لسخطه وعقابه ومن لم يؤمن بالله و
رسوله فانا اعتدنا للكافرين سعيرا للكافرين مقام مقام لهم للايذان بان من لم يجمع بين الايمانين
الايمان بالله وبرسوله فهو كافر ونكر سعيرا لانها نار مخصوصة كما نكر نارا تلظى ولله ملك السموات
والارض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ولله ملك السموات والارض يدبره تدبير قادر حكيم فيغفر
ويعذب بمشيئته ومشيئته تابعة لحكمته وحكمته المغفرة للتائب وتعذيب المصر وكان الله غفورا
رحيما رحمته سابقة لغضبه حيث يكفر السيئات باجتناب الكبائر ويغفر الكبائر بالتوبة
سيقول المخلفون الذين تخلفوا عن الحديبية اذا انطلقتم الى مغانم الى غنائم خيبر لتاخذوها
ذرونا نتبعكم يريدون ان يبدلوا كلام الله وقرئ كلم الله ان يغيروا موعد الله لاهل الحديبية
وذلك انه وعدهم ان يعوضهم من مغانم مكة مغانم خيبر اذا قفلوا موادعين لا يصيبون منهم
شيئا وقيل هو قوله تعالى لن تخرجوا معي ابدا قل لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل فسيقولون
بل تحسدوننا ان نصيب معكم من الغنائم قرئ بضم السين وكسرها بل كانوا لا يفقهون الا قليلا لا يفهمون
الا فهما قليلا وهو فطنتهم لامور الدنيا دون امور الدين كقوله تعالى يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا

فإن قلت ما الفرق بين حرفي الإضراب قلت الأول إضراب معناه رد أن يكون حكم الله
أن لا يتبعوهم وإثبات الحسد والثاني إضراب عن وصفهم بإضافة الحسد إلى المؤمنين إلى وصفهم
بما هو أطم منه وهو الجهل وقلة الفقه قل للمخلفين من الأعراب هم الذين تخلفوا عن الحديبية
ستدعون إلى قوم أولي بأس شديد تقاتلونهم أو يسلمون يعني بني حنيفة قوم مسيلمة وأهل
الردة الذين حاربهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه لأن مشركي العرب والمرتدين هم الذين لا تقبل
منهم إلا الإسلام أو السيف عند أبي حنيفة رضي الله عنه ومن عداهم من مشركي العجم وأهل
الكتاب والمجوس دون مشركي العجم تقبل منهم الجزية وعند الشافعي رضي الله عنه لا تقبل الجزية
إلا من أهل الكتاب والمجوس دون مشركي العجم والعرب وهذا دليل على إمامة أبي بكر الصديق
رضي الله عنه فإنهم لم يدعوا إلى الحرب في أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن بعد وفاته
وكيف يدعوهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مع قوله تعالى فقل لن تخرجوا معي أبدا ولن تقاتلوا
معي عدوا وقيل هم فارس والروم ومعنى يسلمون ينقادون لأن الروم نصارى وفارس
مجوس تقبل منهم إعطاء الجزية فإن قلت عن قتادة أنهم ثقيف وهوازن وكان ذلك
في أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت إن صح ذلك فالمعنى لن تخرجوا معي أبدا ما
دمتم على ما أنتم عليه من الاضطراب في الدين أو على قول مجاهد كان الموعد أنهم لا يتبعون
رسول الله إلا متطوعين لا نصيب لهم في المغنم فإن تطيعوا يؤتكم الله أجرا حسنا وإن تتولوا
كما توليتم من قبل يريد في غزوة الحديبية يعذبكم عذابا أليما أو يسلمون معطوف على تقاتلونهم
أي يكون أحد الأمرين إما المقاتلة أو الإسلام لا ثالث لهما وفي قراءة أبي أو يسلموا بمعنى إلى أن
يسلموا ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج ومن يطع الله ورسوله
يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار ومن يتول يعذبه عذابا أليما نفى الحرج عن هؤلاء من
ذوي العاهات في التخلف عن الغزو وقرئ ندخله ونعذبه بالنون لقد رضي الله عن المؤمنين
إذ يبايعونك تحت الشجرة هي بيعة الرضوان سميت بهذه الآية وقصتها أن النبي صلى الله عليه وسلم

حين

حين نزل الحديبية بعث خراش بن أمية الخزاعي رسولا إلى أهل مكة فهموا به فمنعه الأحابيش
فلما رجع دعا بعمر رضي الله عنه ليبعثه فقال إني أخافهم على نفسي لما عرف من عداوتي إياهم وما
بمكة عدوي يمنعني ولكن أدلك على رجل هو أعز بها مني وأحب إليهم عثمان بن عفان فبعثه
فخبرهم أنه لم يأت لحرب وإنما جاء زائرا لهذا البيت معظما لحرمته فوقروه وقالوا إن شئت أن تطوف
بالبيت فافعل فقال ما كنت لأطوف قبل أن يطوف رسول الله صلى الله عليه وسلم واحتبس عندهم فأرجف
بأنهم قتلوه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نبرح حتى نناجز القوم ودعا الناس إلى البيعة
فبايعوه تحت الشجرة وكانت سمرة قال جابر بن عبد الله رضي الله عنه لو كنت أبصر لأريتكم مكانها وقيل
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا في أصل الشجرة وعلى ظهره غصن من أغصانها قال عبد الله بن
المغفل رضي الله عنه وكنت قائما على رأسه وبيدي غصن من الشجرة أذب عنه فرفعت الغصن عن
ظهره فبايعوه على الموت دونه وعلى أن لا يفروا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أنتم اليوم خير
أهل الأرض وكان عدد المبايعين ألفا وخمسمائة وخمسة وعشرين وقيل ألفا وأربعمائة وقيل ألفا
وثلاثمائة فعلم ما في قلوبهم من الإخلاص وصدق الضمائر فيما بايعوا عليه فأنزل السكينة عليهم أي الطمأنينة
والأمن بسبب الصلح على قلوبهم وأثابهم فتحا قريبا وقرئ وآتاهم وهو فتح خيبر غب انصرافهم من
مكة وعن الحسن فتح هجر وهو أجل فتح اتسعوا بثمرها زمانا ومغانم كثيرة يأخذونها هي مغانم خيبر
وكانت أرضا ذات عقار وأموال فقسمها عليهم ثم أتاه عثمان بالصلح فصالحهم وانصرف بعد أن
نحر بالحديبية وحلق وكان الله عزيزا حكيما وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها وهي ما يفيء على
المؤمنين إلى يوم القيامة فعجل لكم هذه المغانم يعني مغانم خيبر وكف أيدي الناس عنكم يعني أيدي
أهل خيبر وحلفائهم من أسد وغطفان حين جاؤوا لنصرتهم فقذف الله في قلوبهم الرعب
فنكصوا وقيل أيدي أهل مكة بالصلح ولتكون هذه الكفة آية للمؤمنين وعبرة يعرفون
بها أنهم من الله عز وجل بمكان وأنه ضامن نصرهم والفتح عليهم وقيل رأى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فتح مكة في منامه ورؤيا الأنبياء وحي فتأخر ذلك إلى السنة القابلة

فجعل فتح خيبر علامة وعنوانا لفتح مكة ويهديكم صراطا مستقيما ويزيدكم بصيرة ويقينا وثقة
بفضل الله واخرى معطوفة على هذه اى فعجل لكم هذه المغانم ومغانم اخرى لم تقدروا
عليها وهى مغانم هوازن فى غزوة حنين وقال لم تقدروا عليها لما كان فيها من الجولة قد
احاط الله بها اى قدر عليها واستولى واظهركم عليها وغنمكموها ويجوز فى اخرى النصب
بفعل مضمر يفسره قد احاط الله بها تقديره وقضى الله اخرى قد احاط بها واما لم تقدروا عليها
فصفة لاخرى والرفع على الابتداء لكونها موصوفة بلم تقدروا وقد احاط بها خبر المبتداء
والجر باضمار رب فان قلت قوله ولتكون اية للمؤمنين كيف موقعه قلت هو كلام
معترض ومعناه ولتكون الكفة آية للمؤمنين فعل ذلك ويجوز ان يكون المعنى وعدكم المغانم
فعجل هذه الغنيمة وكف الاعداء لينفعكم بها ولتكون آية للمؤمنين اذا وجدوا وعد الله بها
صادقا لان صدق الاخبار عن الغيوب معجزة وآية ويزيدكم بذلك هداية وايقانا وكان الله
على كل شىء قديرا ولو قاتلكم الذين كفروا من اهل مكة ولم يصالحوا وقيل من حلفاء اهل خيبر
لولوا الادبار لغلبوا وانهزموا ثم لا يجدون وليا ولا نصيرا سنة الله التى قد خلت من قبل
ولن تجد لسنة الله تبديلا سنة الله فى موضع المصدر المؤكد اى سن الله غلبة انبيائه سنة
وهو قوله لاغلبن انا ورسلى وهو الذى كف ايديهم عنكم وايديكم عنهم ببطن مكة من بعد ان
اظفركم عليهم وكان الله بما تعملون بصيرا ايديهم ايدى اهل مكة اى قضى بينهم وبينكم المكافة
والمحاجزة بعد ما خولكم الظفر عليهم والغلبة وذلك يوم الفتح وبه استشهد ابو حنيفة رضى
الله عنه على ان مكة فتحت عنوة لا صلحا وقيل كان ذلك فى غزوة الحديبية لما روى ان
عكرمة بن ابى جهل خرج فى خمسمائة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم من هزمه وادخله
حيطان مكة وعن ابن عباس رضى الله عنهما اظهر الله المسلمين عليهم بالحجارة حتى ادخلوهم
البيوت وقرئ تعملون بالياء والتاء هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدى قرئ
والهدى والهدى بتخفيف الياء وتشديدها وهذا ما يهدى الى الكعبة بالنصب عطفا على الضمير

منصوب فى صدوكم اى صدوكم وصدوا الهدى وبالجر عطفا على المسجد الحرام بمعنى وصدوكم
عن نحر الهدى معكوفا ان يبلغ محله محبوسا عن ان يبلغ وبالرفع على وصد الهدى ومحله مكانه
الذى يحل فيه نحره اى يجب وهذا دليل لابى حنيفة رضى الله عنه على ان المحصر محل هديه الحرم
فان قلت فكيف حل رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه وانما نحر هديهم بالحديبية قلت
بعض الحديبية من الحرم وروى ان مضارب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت فى الحل ومصلاه
فى الحرم فان قلت فاذن قد نحر فى الحرم قلم قيل معكوفا ان يبلغ محله قلت المراد
المحل المعهود وهو منى ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم ان تطؤوهم فتصيبكم
منهم معرة بغير علم ليدخل الله فى رحمته من يشاء لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا اليما
لم تعلموهم صفة للرجال والنساء جميعا وان تطؤوهم بدل اشتمال منهم او من الضمير المنصوب
فى تعلموهم والمعرة مفعلة من عره بمعنى عراه اذا دهاه ما يكرهه ويشق عليه وبغير علم متعلق
بان تطؤوهم يعنى ان تطؤوهم غير عالمين بهم والوطء والدوس عبارة عن الايقاع والابادة
قال ووطئتنا وطأ على حنق وطأ المقيد نابت الهرم وقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم وان آخر وطأة وطئها الله بوج والمعنى انه كان بمكة قوم من المسلمين مختلطون
بالمشركين غير متميزين منهم ولا معروفى الاماكن فقيل ولولا كراهة ان تهلكوا ناسا مؤمنين
بين ظهرانى المشركين وانتم غير عارفين بهم فتصيبكم باهلاكهم مكروه ومشقة لما كف ايديكم
عنهم وحذف جواب لولا لدلالة الكلام عليه ويجوز ان يكون لو تزيلوا كالتكرير للولا رجال
مؤمنون لمرجعهما الى معنى واحد ويكون لعذبنا هو الجواب فان قلت اى معرة تصيبهم
اذا قتلوهم وهم لا يعلمون قلت تصيبهم وجوب الدية والكفارة وسوء قالة المشركين
انهم فعلوا باهل دينهم مثل ما فعلوا بنا من غير تمييز والمأثم اذا جرى منهم بعض التقصير
فان قلت قوله ليدخل الله فى رحمته من يشاء تعليل لماذا قلت لما دلت عليه
الاية وسيقت له من كف الايدى عن اهل مكة والمنع عن قتلهم صونا لما بين اظهرهم

من المومنين كانه قال كان الكف ومنع التعذيب ليدخل الله في رحمته اي في توفيقه لزيادة
الخير والطاعة مومنيهم او ليدخل في الاسلام من رغب فيه من مشركيهم لو تزيلوا لو تفرقوا
وتميز بعضهم من بعض من زاله يزيله وقرئ لو تزايلوا اذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية
حمية الجاهلية فانزل الله سكينته على رسوله وعلى المومنين والزمهم كلمة التقوى وكانوا احق
بها واهلها وكان الله بكل شيء عليما اذ يجوز ان يعمل فيه ما قبله اي لعذبناهم او صدوهم عن
المسجد الحرام في ذلك الوقت وان ينتصب باضمار اذكر والمراد بحمية الذين كفروا وسكينة
المومنين والحمية الانفة والسكينة الوقار ما يروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما
نزل بالحديبية بعثت قريش سهيل بن عمرو القرشي وحويطب بن عبد العزى ومكرز بن حفص
الاخيف على ان يعرضوا على النبي صلى الله عليه وسلم ان يرجع من عامه ذلك على ان يخلي
له قريش مكة من العام القابل ثلثة ايام ففعل ذلك وكتبوا بينهم كتابا فقال صلى الله عليه وسلم
لعلي اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل واصحابه ما نعرف هذا ولكن اكتب باسمك اللهم
ثم قال اكتب هذا ما صالح عليه رسول الله اهل مكة فقالوا لو كنا نعلم انك رسول الله ما صددناك
عن البيت ولا قاتلناك ولكن اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله اهل مكة فقال صلى الله
عليه وسلم اكتب ما يريدون فانا اشهد اني رسول الله وانا محمد بن عبد الله فهم المسلمون ان يابوا
ذلك ويشمئزوا منه فانزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم السكينة فتوقروا وحلموا وكلمة
التقوى بسم الله الرحمن الرحيم ومحمد رسول الله قد اختارها الله لنبيه وللذين معه اهل
الخير ومستحقيه ومن هو اولى بالهداية من غيرهم وقيل هي كلمة الشهادة وعن الحسن
كلمة التقوى هي الوفاء بالعهد ومعنى اضافتها الى التقوى انها سبب التقوى واساسها
وقيل كلمة اهل التقوى وفي مصحف الحارث بن سويد صاحب عبد الله وكانوا اهلها
واحق بها وهو الذي دفن مصحفه ايام الحجاج لقد صدق الله رسوله الرويا بالحق لتدخلن
المسجد الحرام ان شاء الله آمنين محلقين رؤسكم ومقصرين لا تخافون راى رسول الله صلى الله عليه

قبل خروجه الى الحديبية كانه واصحابه قد دخلوا بمكة آمنين وقد حلقوا وقصروا فقص
الرويا على اصحابه ففرحوا واستبشروا وحسبوا انهم داخلوها في عامهم وقالوا ان رويا رسول
الله صلى الله عليه وسلم حق فلما تاخر ذلك قال عبد الله بن ابي وعبد الله بن نفيل ورفاعة بن الحارث
والله ما حلقنا ولا قصرنا ولا راينا المسجد الحرام فنزلت ومعنى صدق الله رسوله الرويا صدقه في
رؤياه ولم يكذبه تعالى الله عن الكذب وعن كل قبيح علوا كبيرا فحذف الجار واوصل الفعل
كقوله تعالى صدقوا ما عاهدوا الله عليه فان قلت بم تعلق بالحق قلت اما بصدق اي صدقه
فيما راى وفي كونه وحصوله صدقا ملتبسا بالحق اي بالغرض الصحيح والحكمة البالغة وذلك
ما فيه من الابتلاء والتمييز بين المومن المخلص وبين من في قلبه مرض ويجوز ان يتعلق بالرويا
حالا منها اي صدقه الرويا ملتبسة بالحق على معنى انها لم تكن من اضغاث الاحلام ويجوز ان يكون
بالحق قسما اما بالحق الذي هو نقيض الباطل او بالحق الذي هو من اسمائه ولتدخلن جوابه وعلى
الاول هو جواب قسم محذوف فان قلت ما وجه دخول ان شاء الله في اخبار الله تعالى قلت
فيه وجوه ان يعلق عدته بالمشية تعليما لعباده ان يقولوا في عداتهم مثل ذلك متادبين بادب
الله ومقتدين بسنته وان يريد لتدخلن جميعا ان شاء الله ولم يمت منكم احد او كان ذلك
على لسان ملك فادخل الملك ان شاء الله او هي حكاية ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه
وقص عليهم وقيل هو متعلق بآمنين فعلم ما لم تعلموا من الحكمة والصواب في تاخير فتح مكة
الى العام القابل فجعل من دون ذلك اي من دون فتح مكة فتحا قريبا وهو فتح خيبر لتستروح
اليه قلوب المومنين الى ان تيسر الفتح الموعود هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق لدين
الاسلام ليظهره ليعلنه على الدين كله على جنس الدين كله يريد الاديان المختلفة من اديان
المشركين والجاحدين واهل الكتاب ولقد حقق ذلك سبحانه فانك لا ترى دينا قط الا وللاسلام
دونه العزة والغلبة وقيل هو عند نزول عيسى حين لا يبقى على وجه الارض كافر وقيل
هو اظهاره بالحجج والايات وفي هذه الاية تاكيد لما وعد من الفتح وتوطين لنفوس المومنين على ان

انه سيفتح لهم من البلاد ويقيض لهم من الغلبة على الاقاليم ما يستقلون اليه فتح مكة وكفى
بالله شهيدا على ان ما وعده كائن عن الحسن شهد على نفسه انه سيظهر دينك محمد رسول الله
والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا محمد
اما خبر مبتدا اي هو محمد لتقدم قوله هو الذي ارسل رسوله واما مبتدا ورسول الله عطف بيان
والخبر اشداء والذين معطوف على المبتدا ورحماء خبر ثان وكذا تراهم ويبتغون ويجوز ان
يكون تراهم مستانفا وعن ابن عامر انه قرا ورسول الله بالنصب على المدح والذين معه اصحابه
اشداء على الكفار رحماء بينهم جمع شديد ورحيم ونحوه اذلة على المومنين اعزة على الكافرين
واغلظ عليهم بالمومنين رؤف رحيم وعن الحسن بلغ من تشددهم على الكفار انهم كانوا
يتحرزون من ثيابهم ان تلزق بثيابهم ومن ابدانهم ان تمس ابدانهم وبلغ من ترحمهم فيما بينهم
انه كان لا يرى مومن مومنا الا صافحه وعانقه والمصافحة لم يختلف فيها الفقهاء واما المعانقة
فقد كرهها ابو حنيفة رضي الله عنه وكذلك التقبيل قال لا احب ان يقبل الرجل من الرجل
وجهه ولا يده ولا شيئا من جسده وقد رخص ابو يوسف رحمه الله في المعانقة ومن حق المسلمين
في كل زمان ان يراعوا هذا التشدد وهذا التعطف فيتشددوا على من ليس على ملتهم ودينهم
ويتحاموه ويعاشروا اخوتهم في الاسلام متعطفين بالبر والصلة وكف الاذى والمعونة
والاحتمال والاخلاق السجيحة ووجه من قرا اشداء ورحماء بالنصب ان ينصبهما على المدح
او على الحال بالمقدر في معه ويجعل تراهم الخبر سيماهم في وجوههم من اثر السجود سيماهم
علامتهم وقرئ سيمياؤهم وفيها ثلث لغات هاتان والسيماء والمراد بها السمة التي تحدث في
جبهة السجاد من كثرة السجود وقوله من اثر السجود يفسرها اي من التاثير الذي يؤثره السجود
وكان كل من العليين علي بن الحسين زين العابدين وعلي بن عبد الله بن عباس ابي الاملاك يقال
له ذو الثفنات لان كثرة سجودهما احدثت في مواقعها منهما اشباه ثفنات البعير وقرئ من اثر
السجود ومن آثار السجود وكذا عن سعيد بن جبير رحمه الله هي السمة في الوجه فان قلت

فقد

فقد جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم لا تعلبوا صوركم وعن ابن عمر رضي الله عنهما انه راى رجلا
قد اثر في وجهه السجود فقال ان صورة وجهك انفك فلا تعلب وجهك ولا تشن صورتك قلت
ذلك اذا اعتمد بجبهته على الارض لتحدث فيه تلك السمة وذلك رياء ونفاق نستعيذ بالله منه ونحن
فيما حدث في جبهة السجاد الذي لا يسجد الا خالصا لوجه الله تعالى وعن بعض المتقدمين كنا نصلي
فلا يرى بين اعيننا شيء ونرى احدنا الآن يصلي فيرى بين عينيه ركبة العنز فما ندري اثقلت
الارؤس ام خشنت الارض وانما اراد بذلك من تعمد ذلك للنفاق وقيل هو صفرة الوجه من خشية
الله وعن الضحاك ليس بالندب في الوجوه ولكنه صفرة وعن سعيد بن المسيب ندى الطهور وتراب
الارض وعن عطاء استنارت وجوههم من طول ما صلوا بالليل كقوله من كثر صلوته بالليل
حسن وجهه بالنهار ذلك الوصف مثلهم في التورية ومثلهم في الانجيل كزرع اخرج شطأه اي
العجيب الشان في الكتابين جميعا ثم ابتدا فقال كزرع يريد هم كزرع وقيل تم الكلام عند قوله
ذلك مثلهم في التورية ثم ابتدا ومثلهم في الانجيل كزرع ويجوز ان يكون ذلك اشارة مبهمة اوضحت
بقوله كزرع اخرج شطأه كقوله وقضينا اليه ذلك الامر ان دابر هؤلاء مقطوع مصبحين وقرئ
الانجيل بفتح الهمزة شطأه فراخه يقال اشطأ الزرع اذا فرخ وقرئ شطأه وشطاه بتخفيف
الهمزة وشطاءه بالمد وشطه بحذف الهمزة ونقل حركتها الى ما قبلها وشطوه بقلبها واوا فآزره
من الموازرة وهي المعاونة وعن الاخفش انه افعل وقرئ فأزره بالتخفيف والتشديد اي
فشد ازره وقواه ومن جعل آزر افعل فهو في معنى القراءتين فاستغلظ فصار من الدقة
الى الغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات
منهم مغفرة واجرا عظيما فاستوى على سوقه فاستقام على قصبه جمع ساق وقيل مكتوب
في الانجيل سيخرج قوم ينبتون نبات الزرع يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر وعن عكرمة
اخرج شطأه بابي بكر فآزره بعمر فاستغلظ بعثمان فاستوى على سوقه بعلي رضي الله عنهم اجمعين
وهذا مثل ضربه الله لبدء امر الاسلام وترقيه في الزيادة الى ان قوي واستحكم لان النبي صلى الله
عليه وسلم

تام وحده ثم قواه الله تعالى بمن آمن معه كما يقوي الطاقة الاولى من الزرع ما احتف بها مما تولد
منها حتى يعجب الزراع قوله ليغيظ بهم الكفار تعليل لما دل عليه تشبيههم بالزرع من نمائهم وترقيهم في الزيادة والقوة ويجوز ان يعلل به وعد الله الذين
آمنوا لان الكفار اذا سمعوا بما اعد لهم في الآخرة مع ما يعزهم به في الدنيا غاظهم ذلك
ومعنى منهم البيان كقوله تعالى فاجتنبوا الرجس من الاوثان عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم من قرأ سورة الفتح فكانما كان ممن شهد مع محمد صلى الله عليه وسلم فتح مكة

سورة الحجرات مدنية وهي ثماني عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الذين آمنوا لا تقدموا
بين يدي الله ورسوله قدمه واقدمه منقولان بتثقيل الحشو والهمزة من قدمه اذا تقدمه
في قوله تعالى يقدم قومه ونظيرهما معنى ونقلا سلفه واسلفه وفي قوله لا تقدموا من غير
ذكر مفعول وجهان احدهما ان يحذف ليتناول كل ما يقع في النفس مما تقدم والثاني ان لا يقصد قصد
مفعول ولا حذفه ويتوجه بالنهي الى نفس التقدمة كانه قيل لا تقدموا على التلبس بهذا
الفعل ولا تجعلوه منكم بسبيل كقوله هو الذي يحيي ويميت ويجوز ان يكون من قدم بمعنى
تقدم كوجه وبين ومنه مقدمة الجيش خلاف ساقته وهي الجماعة المتقدمة منه و
تعضده قراءة من قرأ لا تقدموا بحذف احدى تاءي تتقدموا الا ان الاول املأ بالحسن
واوجه واشد ملاءمة لبلاغة القرآن والعلماء له اقبل وقرئ لا تقدموا من القدوم
اي لا تقدموا الى امر من امور الدين قبل قدومهما ولا تعجلوا عليهما وحقيقة قولهم
جلست بين يدي فلان ان تجلس بين الجهتين المسامتتين ليمينه وشماله قريبا منه فسميت
الجهتان يدين لكونهما على سمت اليدين مع القرب منهما توسعا كما يسمى الشيء باسم غيره اذا
جاوره وداناه في غير موضع وقد جرت هذه العبارة هنا على سنن ضرب من المجاز وهو
الذي يسميه اهل البيان تمثيلا ولمجيئها هكذا فائدة جليلة ليست في الكلام العريان وهي

تصوير الهجنة والشناعة فيما نهوا عنه من الاقدام على امر من الامور دون الاحتذاء على امثلة
الكتاب والسنة والمعنى ان لا تقطعوا امرا الا بعد ما يحكمان به ويأذنان فيه فتكونوا اما عاملين
بالوحي المنزل واما مقتدين برسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه يدور تفسير ابن عباس رضي الله عنهما
وعن مجاهد رحمه الله لا تفتاتوا على الله شيئا حتى يقصه على لسان رسوله ويجوز ان يجري مجرى
قولك سرني زيد وحسن حاله واعجبت بعمرو وكرمه وفائدة هذا الاسلوب الدلالة على قوة الاختصاص
ولما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم من الله بالمكان الذي لا يخفى سلك به هذا المسلك وفي هذا
تمهيد وتوطئة لما نقم منهم فيما يتلوه من رفع اصواتهم فوق صوته لان من احظاه الله بهذه الاثرة
واختصه هذا الاختصاص القوي كان ادنى ما يجب له من التهيب والاجلال ان يخفض بين
يديه الصوت ويخافت لديه بالكلام وقيل بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى تهامة سرية
سبعة وعشرين رجلا عليهم المنذر بن عمرو الساعدي فقتلتهم بنو عامر وعليهم عامر بن الطفيل الا
ثلثة نفر نجوا فلقوا رجلين من بني سليم قرب المدينة فاعتزيا لهم الى بني عامر لانهم اعز من بني سليم
فقتلوهما وسلبوهما ثم اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بئس ما صنعتم كانا من سليم والسلب
ما كسوتهما فودى رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزلت اي لا تعملوا شيئا من ذات انفسكم حتى تستأمروا
رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن مسروق دخلت على عائشة رضي الله عنها في اليوم الذي يشك
فيه فقالت للجارية اسقيه عسلا فقلت اني صائم فقالت قد نهى الله عن صوم هذا اليوم وفيه نزلت
وعن الحسن ان ناسا ذبحوا يوم الاضحى قبل الصلوة فنزلت وامرهم رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان يعيدوا ذبحا آخر وهذا مذهب ابي حنيفة رضي الله عنه الا ان نزول الشمس وعند الشافعي
رضي الله عنه يجوز الذبح اذا مضى من الوقت مقدار الصلوة وعن الحسن ايضا لما استقر
رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة اتته الوفود من الآفاق فاكثروا عليه بالمسائل فنهوا ان يبتدئوه
بالمسألة حتى يكون هو المبتدئ وعن قتادة ذكر لنا ان اناسا كانوا يقولون لو انزل في كذا لكان
كذا فكره الله ذلك منهم وانزلها وقيل هي عامة في كل قول وعمل ويدخل فيها انه اذا جرت

وقال مقاتل نزلت الآية في ثلثة نفر وذلك ان النبي عم بعث سرية واحد عليهم المنذر بن عمرو فخرج بنو عامر بن صعصعة عند بئر معونة فرصدوهم على الطريق فقتلوهم فرجع ثلثة فلما دنوا الى المدينة خرج رجلان من بني سليم صالحا القوم وقد كان اهلها ... فقالا نحن من بني عامر اقرب الى المدينة واخذوا شيئا ... وجاؤا به الى النبي عم فنزلت يا ايها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله يعني لا تعجلوا بامر حتى تستأمروا ...

وروي ... اي لا تعملوا بخلاف الكتاب والسنة

والدنيا ...

مسالة في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يسبقوه بالجواب وان لا يمشي بين يديه الا للحاجة
وان يستأني في الافتتاح بالطعام واتقوا الله فانكم ان اتقيتموه عاقتكم التقوى عن التقدمة
المنهي عنها وعن جميع ما يقتضي مراقبة الله بجنبه فان التقي حذر لا يشافه امرا الا عن
ارتفاع الريب وهذا كما تقول لمن يقارف بعض الرذايل لا تفعل هذا وتحفظ مما يلصق بك العار
فتنهاه اولا عن عين ما قارفه ثم تعم وتشيع وتامره بما لو امتثل فيه امرك لم يرتكب تلك الفعلة
وكل ما يضرب في طريقها ويتعلق بسببها ان الله سميع لما تقولون عليم بما تعملون وحق مثله ان
يتقى ويراقب يا ايها الذين آمنوا اعادة النداء عليهم استدعاء منهم لتجديد الاستبصار عند كل
خطاب وارد وتطرية الانصات لكل حكم نازل وتحريك منهم لئلا يفتروا ويغفلوا عن تاملهم وما
وما اخذوا به عند حضور مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم من الادب الذي المحافظة
عليه تعود عليهم بعظيم الجدوى في دينهم وذلك ان في اعظام صاحب الشرع اعظام ما ورد
به ومستعظم الحق لا يدعه استعظامه ان يالو عملا بما يحدوه عليه وارتداعا عما يصده
عنه وانتهاء الى كل خير والمراد بقوله لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي انه اذا نطق
ونطقتم فعليكم ان لا تبلغوا باصواتكم وراء الحد الذي يبلغه بصوته وان تغضوا منها
بحيث يكون كلامه عاليا لكلامكم وجهره باهرا لجهركم حتى يكون مزيته عليكم لائحة وسابقته
واضحة وامتيازه عن جمهوركم كشية الابلق غير خاف لا ان تغمروا صوته بلغطكم وتبهروا
منطقه بصخبكم وبقوله ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض انكم اذا كلمتموه وهو
صامت فاياكم والعدول عما نهيتم عنه من رفع الصوت بل عليكم ان لا تبلغوا به الجهر الدائر
بينكم وان تتعمدوا في مخاطبته القول اللين المقرب من الهمس الذي يضاد الجهر كما تكون
مخاطبة المهيب المعظم عاملين بقوله عز اسمه وتعزروه وتوقروه وقيل معنى ولا تجهروا له بالقول
كجهر بعضكم لبعض لا تقولوا له يا محمد يا احمد وخاطبوه بالنبوة قال ابن عباس رضي الله عنهما
لما نزلت هذه الاية قال ابو بكر رضي الله عنه يا رسول الله والله لا اكلمك الا السرار او اخا السرار

اي عليم بخلقه ويقال سميع لقول المستامنين عليم بنيات الذين يتلونها اي المستامنين وفي الاية بيان رافة الله تعالى على عباده ... سماهم مؤمنين مع معصيتهم ... يا ايها الذين امنوا ولم يقل يا ايها الذين عصوا

حتى القى الله وعن عمر رضي الله عنه انه كان يكلم النبي صلى الله عليه وسلم كاخي السرار لا يسمعه
حتى يستفهمه وكان ابو بكر رضي الله عنه اذا قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد ارسل اليهم
من يعلمهم كيف يسلمون ويامرهم بالسكينة والوقار عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس الغرض
برفع الصوت ولا الجهر ما يقصد به الاستخفاف والاستهانة لان ذلك كفر والمخاطبون مؤمنون
وانما الغرض صوت هو في نفسه والمسموع من جرسه غير مناسب لما يهاب به العظماء ويوقر
الكبراء فيتكلف الغض منه ورده الى حد يميل به الى ما يستبين فيه المامور به من التعزير والتوقير
ولم يتناول النهي ايضا رفع الصوت الذي لا يتاذى به رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ما كان
منهم في حرب او مجادلة معاند او ارهاب عدو او ما اشبه ذلك ففي الحديث انه قال صلى الله عليه
وسلم للعباس بن عبد المطلب رضي الله عنه لما انهزم الناس يوم حنين اصرخ بالناس وكان
العباس اجهر الناس صوتا يروى ان غارة اتتهم يوما فصاح العباس باصباحاه فاسقطت
الحوامل لشدة صوته وفيه يقول نابغة بن جعدة زجر ابي عروة السباع اذا اشفق ان
زعمت الرواة انه يزجر السباع عن الغنم فيفتق مرارة السبع في جوفه وفي قراءة ابن مسعود
رضي الله عنه لا ترفعوا باصواتكم والباء مزيدة محذو بها حذو التشديد في قول الاعلم الهذلي
رفعت عيني بالحجاز الى اناس بالمناقب وليس المعنى في هذه القراءة انهم نهوا عن التشديد
تخيلا ان يكون ما دون التشديد مسوغا لهم ولكن المعنى نهيهم عما كانوا عليه من الجلبة
واستجفاؤهم فيما كانوا يفعلون وعن ابن عباس رضي الله عنه نزلت في ثابت بن قيس بن شماس
وكان في اذنه وقر وكان جهوري الصوت وكان اذا كلم رفع صوته وربما كان يكلم رسول
الله صلى الله عليه وسلم فيتاذى بصوته وعن انس رضي الله عنه ان هذه الاية لما نزلت فقد
ثابت فتفقده رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبر بشانه فدعاه فساله فقال يا رسول الله لقد
انزلت اليك هذه الاية واني رجل جهير الصوت فاخاف ان يكون عملي قد حبط فقال له رسول
الله صلى الله عليه وسلم لست هناك انك تعيش بخير وتموت بخير وانك من اهل الجنة واما ما يروى عن

يختلطن بالغنم

ان اسقطت الحوامل حملها

الرفع م

استجفى عده جافيا

عن الحسن انها نزلت فيمن كان يرفع صوته من المنافقين فوق صوت رسول الله صلى الله عليه وسلم
فمحمله والخطاب للمومنين على ان ينهى المومنون ليندرج المنافقون تحت النهى ليكون الامر
اغلظ عليهم واشق وقيل كان المنافقون يرفعون اصواتهم ليظهروا قلة مبالاتهم به فيقتدى
بهم ضعفة المسلمين وكاف التشبيه في محل النصب اى لا تجهروا له جهرا مثل جهر بعضكم لبعض
وفي هذا انهم لم ينهوا عن الجهر مطلقا حتى لا يسوغ لهم الا ان يكلموه بالهمس والمخافتة وانما
نهوا عن جهر مخصوص مقيد بصفة اعنى الجهر المنعوت بمماثلة ما قد اعتادوه منه فيما
بينهم وهو الخلو عن مراعاة ابهة النبوة وجلالة مقدارها وانحطاط ساير الرتب وان جلت
عن رتبتها ان تحبط اعمالكم وانتم لا تشعرون ان تحبط اعمالكم منصوب الموضع على انه
مفعول له وفي متعلقه وجهان احدهما ان يتعلق بمعنى النهى فيكون المعنى انتهوا عما نهيتم
عنه لحبوط اعمالكم اى لخشية حبوطها على تقدير حذف المضاف كقوله تعالى يبين الله لكم
ان تضلوا والثاني ان يتعلق بنفس الفعل ويكون المعنى انهم نهوا عن الفعل الذي فعلوه
لاجل الحبوط لانه لما كان بصدد الاداء الى الحبوط جعل كانه فعل لاجله وكانت العلة
والسبب في ايجاده على سبيل التمثيل كقوله ليكون لهم عدوا فان قلت لخص الفرق بين الوجهين
قلت تلخيصه ان تقدر الفعل في الثاني مضموما اليه المفعول له كانهما شيء واحد ثم يصب
النهى عليهما جميعا صبا وفي الاول يقدر النهى موجها على الفعل على حياله ثم يعلل له منهيا
عنه فان قلت باى النهيين يتعلق المفعول له قلت بالثاني عند البصريين مقدرا
اضماره عند الاول كقوله آتوني افرغ عليه قطرا وبالعكس عند الكوفيين وايهما كان فمرجع
المعنى الى ان الرفع والجهر كلاهما منصوص اداؤه الى حبوط العمل وقراءة ابن مسعود رضي
الله عنه فتحبط اعمالكم اظهر نصا بذلك لان ما بعد الفاء لا يكون الا مسببا عما قبله فينزل
الحبوط من الجهر منزلة الحلول من الطغيان في قوله فيحل عليكم غضبي والحبوط من حبطت
الابل اذا اكل الخضر فنفخ بطنها وربما هلكت ومنه قوله صلى الله عليه وسلم وان مما ينبت
الربيع

الربيع لما يقتل حبطا او يلم ومن اخواته حبجت الابل اذا اكلت العرفج فاصابها ذلك واحبض
عمله مثل احبطه وحبط الجرح وحبر اذا غفر وهو نكسه وتراميه الى الفساد جعل
العمل السيئ في اضراره بالعمل الصالح كالداء والحرض لمن يصاب به اعاذنا الله من حبط
الاعمال وخيبة الآمال وقد دلت الاية على امرين هائلين احدهما ان فيما يرتكب من يومن من
الآثام ما يحبط عمله والثاني ان في آثامه ما لا يدرى انه محبط ولعله عند الله كذلك فعلى المومن
ان يكون في تقواه كالماشي في طريق شائك لا يزال يحترز ويتوقى ويتحفظ ان الذين يغضون اصواتهم
عند رسول الله اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة واجر عظيم امتحن الله
من قولك امتحن فلان لامر كذا او جرب له ودرب للنهوض به فهو مضطلع به غير وان
عنه والمعنى انهم صبر على التقوى اقوياء على احتمال مشاقها او وضع الامتحان موضع المعرفة
لان تحقق الشيء باختباره كما يوضع الخبر موضعها وكانه قيل عرف الله قلوبهم للتقوى ويكون
اللام متعلقة بمحذوف واللام هي التي في قولك انت لهذا الامر اى كائن له ومختص به قال
انت لها احمد من بين البشر اعداء من لليعملات على الوجى وهي مع معمولها منصوبة على
الحال او ضرب الله قلوبهم بانواع المحن والتكاليف الصعبة لاجل التقوى اى لتثبت فتظهر
تقواها ويعلم انهم متقون لان حقيقة التقوى لا تعلم الا عند المحن والشدائد والاصطبار عليها
وقيل اخلصها للتقوى من قولهم امتحن الذهب وفتنه اذا اذابه فخلص ابريزه من خبثه
ونقاه وعن عمر رضي الله عنه اذهب الشهوات عنها والامتحان افتعال من محنه وهو اختبار
بليغ او بلاء جهيد قال ابو عمرو كل شيء جهدته قد محنته وانشد
اتت رذايا باديا كلالها قد محنت واضطربت آطالها قيل انزلت في الشيخين رضي الله
عنهما لما كان منهما من غض الصوت والبلوغ به اخا السرار وهذه الاية بنظمها الذي
رتبت عليه من ايقاع الغاضين اصواتهم اسما لان المؤكدة وتصيير خبرها جملة من مبتدا
وخبر معرفتين معا والمبتدا اسم الاشارة واستيناف الجملة المستودعة ما هو جزاؤهم على
الدين واولئك

قلوبهم موضعا للتقوى لهم مغفرة لذنوبهم واجر عظيم اى ثواب وافر في الجنة اى يجعل ثوابهم في الدنيا ان يخلص قلوبهم للتقوى وفي الاخرة اجر عظيم

عليهم وايراد الجزاء نكرة مبهما امره ناظرة في الدلالة على غاية الاعتداد والارتضاء لما فعل
الذين وقروا رسول الله صلى الله عليه وسلم من خفض اصواتهم وفي الاعلام بمبلغ عزة
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقدر شرف منزلته وفيها تعريض بعظيم ما ارتكب الرافعون اصواتهم
واستيجابهم ضد ما استوجب هؤلاء ان الذين ينادونك من وراء الحجرات اكثرهم لا يعقلون
الوراء الجهة التي يوازيها عنك الشخص بظله من خلف او قدام ومن لابتداء الغاية وان
المناداة نشأت من ذلك المكان **فان قلت** افرق بين الكلامين بين ما تثبت فيه من
وبين ما تسقط عنه **قلت** الفرق بينهما ان المنادي والمنادى في احدهما يجوز ان يجمعهما
الوراء والثاني لا يجوز لان الوراء تصير بدخول من مبتدأ الغاية ولا تجتمع على الجهة الواحدة
ان يكون مبتدأ ومنتهى لفعل واحد والذي يقال ناداني فلان من وراء الدار لا يريد وجه
الدار ولا دبرها ولكن اي قطر من اقطارها الظاهرة كان مطلقا بغير تعيين واختصاص
والانكار لم يتوجه عليهم من قبل ان النداء وقع منهم في ادبار الحجرات او في وجوهها و
وانما انكر عليهم انهم نادوه من البر والخارج مناداة الاجلاف بعضهم لبعض من غير قصد
الى جهة دون جهة والحجرة الرقعة من الارض المحجورة بحائط يحوط عليها وحظيرة الابل تسمى
الحجرة وهي فعلة بمعنى مفعولة كالغرفة والقبضة وجمعها الحجرات بضمتين والحجرات بفتح
الجيم والحجرات بتسكينها وقرئ بهن جميعا والمراد حجرات نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم
وكانت لكل منهن حجرة ومناداتهم من ورائها يحتمل انهم قد تفرقوا على الحجرات متطلبين
له فناداه بعضهم من وراء هذه وبعض من وراء تلك وانهم قد اتوها حجرة حجرة فنادوه من
ورائها وانهم نادوه من وراء الحجرة التي كان فيها ولكنها جمعت اجلالا لرسول الله صلى الله عليه
وسلم ولمكان حرمته والفعل وان كان مسندا الى جميعهم فانه يجوز ان يتولاه بعضهم وكان
الباقون راضين وكانهم تولوه جميعا فقد ذكر الاصم ان الذي ناداه عيينة بن حصن والاقرع
ابن حابس والاخبار عن اكثرهم بانهم لا يعقلون يحتمل ان يكون فيهم من قصد بالمحاشاة ويحتمل
ان

ان الذين ينادونك الخ نزلت الاية
[illegible] نفر وذلك ان النبي عم بعث
[illegible]مة بن زيد فانتهى الى قبيلة وهي
[illegible] عنبر واغار عليهم وسبا ذراريهم
[illegible] جماعة منهم ليشتروا اساراهم
[illegible] فنادوهم وكان وقت الظهيرة
[illegible] النبي عم في الحجرة فنادوا من وراء
[illegible] وكان لازواج النبي عم حجرات
[illegible] خرج النبي عم كلموه في امر الذراري
[illegible] لواحد منهم حكم فقال حكمت
[illegible] نصف الاسارى وتبيع النصف
[illegible] رسول الله عم فنزلت الاية ان
[illegible] ينادونك من وراء الحجرات اكثرهم
[illegible]ون

ان يكون الحكم بقلة العقلاء فيهم قصدا الى نفي ان يكون فيهم من يعقل فان القلة تقع موقع النفي
في كلامهم روي ان وفد بني تميم اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقت الظهيرة وهو راقد فجعلوا
ينادونه يا محمد اخرج الينا فاستيقظ فخرج ونزلت وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم
فقال هم جفاة بني تميم لولا انهم من اشد الناس قتالا للاعور الدجال لدعوت الله عليهم ان يهلكهم
وورود الاية على النمط الذي وردت عليه فيه ما لا يخفى على الناظر من بينات اكبار محل رسول الله
صلى الله عليه وسلم واجلاله منها مجيئها على النظم المسجل على الصائحين به بالسفه والجهل لما اقدموا
عليه ومنها لفظ الحجرات وايقاعها كناية عن موضع خلوته ومقيله مع بعض نسائه ومنها المرور
على لفظها بالاقتصار على القدر الذي تبين به ما استنكر عليهم ومنها التعريف باللام دون الاضافة
ومنها ان شفع ذمهم باستجفائهم واستركاك عقولهم وقلة ضبطهم لمواقع التمييز في المخاطبات تهوينا
للخطب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وتسلية له واماطة لما تداخله من ايحاش تعجرفهم وسوء
ادبهم وهلم جرا من اول السورة الى اخر هذه الاية فتامل كيف ابتدئ بايجاب ان تكون الامور
التي تنتمي الى الله ورسوله متقدمة على الامور كلها من غير حصر ولا تقييد ثم اردف ذلك النهي
عما هو من جنس التقديم من رفع الصوت والجهر كان الاول بساط للثاني ووطاء لذكره ثم ذكر
ما هو ثناء على الذين تحاموا ذلك فغضوا اصواتهم دلالة على عظم موقعه عند الله ثم جيء على عقب
ذلك بما هو اطم وهجنته اتم من الصياح برسول الله صلى الله عليه وسلم في حال خلوته ببعض
حرماته من وراء الجدر كما يصاح باهون الناس قدرا لينبه على فظاعة ما زجروا اليه
وجسروا عليه لان من رفع الله قدره عن ان يجهر له بالقول حتى خاطبه جلة المهاجرين والانصار
باخي السرار كان صنيع هؤلاء من المنكر الذي بلغ في التفاحش مبلغا ومن هذا وامثاله
يقتطف ثمر الالباب ويقتبس محاسن الاداب كما يحكى عن ابي عبيد ومكانه من العلم والزهد
وثقة الرواية ما لا يخفى انه قال ما دققت بابا على عالم قط حتى يخرج في وقت خروجه ولو انهم
صبروا حتى تخرج اليهم انهم صبروا في موضع الرفع على الفاعلية لان المعنى ولو ثبت صبرهم والصبر

حبس النفس عن ان تنازع الى هواها قال الله تعالى واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم
وقولهم صبر عن كذا محذوف منه المفعول وهو النفس وهو حبس فيه شدة ومشقة على
المحبوس ولهذا قيل للحبس على اليمين او القتل صبر وفي كلام بعضهم الصبر مر لا يتجرعه الا حر
فان قلت هل من فرق بين حتى تخرج والى ان تخرج **قلت** ان حتى مختصة بالغاية
المضروبة تقول اكلت السمكة حتى راسها ولو قلت حتى نصفها او صدرها لم يجز والى عامة في
كل غاية فقد افادت حتى بوضعها ان خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم غاية قد ضربت
لصبرهم فما كان لهم ان يقطعوا امرا دون الانتهاء اليها **فان قلت** فاي فائدة في قوله اليهم
قلت فيه انه لو خرج ولم يكن خروجه اليهم ولاجلهم للزمهم ان يصبروا الى ان يعلموا ان
خروجه اليهم لكان خيرا لهم في كان اما ضمير فاعل الفعل المضمر بعد لو واما ضمير مصدر صبروا
كقولهم من كذب كان شرا له والله غفور رحيم بليغ الغفران والرحمة واسعهما فلن يضيق غفرانه
ورحمته عن هؤلاء ان تابوا وانابوا يا ايها الذين امنوا ان جاءكم فاسق بنبا فتبينوا بعث رسول
الله صلى الله عليه وسلم الوليد بن عقبة اخا عثمن لامه وهو الذي ولاه عثمن رضي الله عنه
الكوفة بعد سعد بن ابي وقاص فصلى بالناس وهو سكران صلوة الفجر اربعا ثم قال هل ازيدكم
فعزله عثمن رضي الله عنه عنهم مصدقا الى بني المصطلق وكانت بينه وبينهم احنة فلما شارف
ديارهم ركبوا مستقبلين له فحسبهم مقاتليه فرجع وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم قد ارتدوا
ومنعوا الزكوة فوردوا وقالوا نعوذ بالله من غضبه وغضب رسوله فاتهمهم فقال لتنتهن
او لابعثن اليكم رجلا هو عندي كنفسي يقاتل مقاتلتكم ويسبي ذراريكم ثم ضرب بيده على
كتف علي رضي الله عنه وقيل بعث اليهم خالد بن الوليد فوجدهم منادين بالصلوات متهجدين
فسلموا اليه الصدقات فرجع وفي تنكير الفاسق والنبا شياع في الفساق والانباء كانه
قال اي فاسق جاءكم باي نبا فتوقفوا فيه وتطلبوا بيان الامر وانكشاف الحقيقة ولا تعتمدوا
قول الفاسق لان من لا يتحامى جنس الفسوق لا يتحامى الكذب الذي هو نوع منه والفسوق الخروج
من

من الشيء والانسلاخ منه يقال فسقت الرطبة عن قشرها ومن مقلوبه فقست البيضة اذا كسرتها
واخرجت ما فيها ومن مقلوبه ايضا قفست الشيء اذا اخرجته من يد مالكه مغتصبا له عليه
ثم استعمل في الخروج عن القصد والانسلاخ من الحق وقرأ ابن مسعود فتثبتوا والتثبت والتبين متقاربان وهما طلب
الثبات والبيان والتعرف ولما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم والذين معه بالمنزلة التي لا يجسر
احد ان يخبرهم بكذب وما كان يقع مثل ما فرط من الوليد الا في الندرة قيل ان جاءكم بحرف الشك
وفيه ان على المؤمنين ان يكونوا على هذه الصفة لئلا يطمع فاسق في مخاطبتهم بكلمة زور
ان تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين ان تصيبوا مفعول له اي كراهة اصابتكم
قوما بجهالة حال كقوله ورد الله الذين كفروا بغيظهم يعني جاهلين بحقيقة الامر وكنه القصة
والاصباح بمعنى الصيرورة والندم ضرب من الغم وهو ان تغتم على ما وقع منك تتمنى انه
لم يقع وهو غم يصحب الانسان صحبة لها دوام ولزام لانه كلما تذكر المتندم عليه راجعه
من الندم وهو لزام الشريب ودوام صحبته ومن مقلوباته ادمن الامر ادامه ومدن
بالمكان اقام به ومنه المدينة وقد تراهم يجعلون الهم صاحبا ونجيا وسميرا وضجيعا وموصوفا
بانه لا يفارق صاحبه واعلموا ان فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثير من الامر لعنتم الجملة المصدرة
بلو لا تكون كلاما مستانفا لادائه الى تنافر النظم ولكن متصلا بما قبله حالا من احد الضميرين
في فيكم المستتر المرفوع او البارز المجرور وكلاهما مذهب سديد والمعنى ان فيكم رسول الله على
حالة يجب عليكم تغييرها او انتم على حالة يجب عليكم تغييرها وهي انكم تحاولون منه ان يعمل في
الحوادث على مقتضى ما يعن لكم من راي واستصواب فعل المطواع لغيره التابع له فيما
يرتئيه المحتذي على امثلته ولو فعل ذلك لعنتم اي لوقعتم في الجهد والهلاك يقال فلان يتعنت
فلانا اي يطلب ما يؤديه الى الهلاك وقد اعنت العظم اذا هيض بعد الجبر وهذا يدل على
ان بعض المؤمنين زينوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم الايقاع ببني المصطلق وتصديق قول

الوليد وان نظائر ذلك من الهنات كانت تفرط منهم وان بعضهم كانوا يتصوبون رأي
جدهم في التقوى عن الجسارة على ذلك وهم الذين استثناهم بقوله ولكن الله حبب اليكم
الايمان اي الى بعضكم ولكنه اغنت عن ذكر البعض صفتهم المفارقة لصفة غيرهم وهذا
من ايجازات القرآن ولمحاته اللطيفة التي لا يفطن لها الا الخواص وعن بعض المفسرين
هم الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى وقوله اولئك هم الراشدون والخطاب لرسول الله صلى
الله عليه وسلم اي اولئك المستثنون هم الراشدون يصدق ما قلته فان قلت ما فائدة تقديم
خبر ان على اسمها قلت القصد الى توبيخ بعض المؤمنين على ما استهجن منهم من
استتباع رأي رسول الله لآرائهم فوجب تقديمه لانصباب الغرض اليه فان قلت فلم قيل
يطيعكم دون اطاعكم قلت للدلالة على انه كان في ارادتهم استمرار عمله على ما يستصوبونه
وانه كلما عن لهم رأي في امر كان معمولا عليه بدليل قوله في كثير من الامر كقولك فلان
يقري الضيف ويحمي الحريم تريد انه مما اعتاده ووجد منه مستمرا فان قلت كيف
موقع لكن وشريطتها مفقودة من مخالفة ما بعدها لما قبلها نفيا واثباتا قلت هي
مفقودة من حيث اللفظ حاصلة من حيث المعنى لان الذين حبب اليهم الايمان قد غايرت
صفتهم صفة المتقدم ذكرهم فوقعت لكن في حاق موقعها من الاستدراك ومعنى تحبيب الله
وتكريهه اللطف والامداد بالتوفيق وسبيله الكناية كما سبق وكل ذي لب وراجع الى
بصيرة وذهن لا يغبى عليه ان الرجل لا يمدح بغير فعله وحمل الاية على ظاهرها يؤدي
الى ان يثني عليهم بفعل الله وقد نعى الله هذا على الذين احبوا ان يحمدوا بما
لم يفعلوا فان قلت فان العرب تمدح بالجمال وحسن الوجوه وذلك فعل الله وهو مدح
مقبول عند الناس غير مردود قلت الذي سوغ ذلك لهم انهم رأوا حسن الرواء ووسامة
المنظر في الغالب يسفر عن مخبر مرضي واخلاق محمودة ومن ثم قالوا احسن ما في الدميم
وجهه فلم يجعلوه من صفات المدح لذاته ولكن لدلالته على غيره على ان من محققة النقاد
وعلماء

وعلماء المعاني من دفع صحة ذلك وخطّأ المادح به وقصر المدح على النعت بامهات الخير وهي الفصاحة
والشجاعة والعدل والعفة وما يتشعب منها ويرجع اليها وجعل الوصف بالجمال والثروة وكثرة الحفدة
والاعضاد وغير ذلك مما ليس للانسان فيه عمل غلطا ومخالفة عن المعقول وزينه في قلوبكم وكره اليكم
الكفر تغطية نعم الله وغمطها بالجحود والفسوق الخروج عن قصد الايمان ومحجته بركوب الكبائر
والعصيان ترك الانقياد والمضي لما امر به الشارع والعريف العاصي للعاند واعتصت النواة
اشتدت اولئك هم الراشدون الرشد الاستقامة على طريق الحق مع تصلب فيه من الرشادة
وهي الصخرة قال ابو الوازع كل صخرة رشادة وانشد وغير مقلد وموشمات
صلين الضوء من صم الرشاد فضلا من الله ونعمة فضلا مفعول له او مصدر من غير فعله فان
قلت من اين جاز وقوعه مفعولا له والرشد فعل القوم والفضل فعل الله والشرط ان يتحد
الفاعل قلت لما وقع الرشد عبارة عن التحبيب والتزيين والتكريه مسندة الى اسمه تقدست
اسماؤه صار الرشد كانه فعله فجاز ان ينتصب عنه او لا ينتصب عن الراشدون ولكن عن الفعل
المسند الى اسم الله والجملة التي هي اولئك هم الراشدون اعتراض او عن فعل مقدر كانه قيل
جرى ذلك او كان ذلك فضلا من الله واما كونه مصدرا من غير فعله فان يوضع موضع رشدا
لان رشدهم فضل من الله لكونهم موفقين فيه والفضل والنعمة بمعنى الافضال والانعام والله عليم
باحوال المؤمنين وما بينهم من التمايز والتفاضل حكيم حين يفضل وينعم بالتوفيق على افاضلهم
عن ابن عباس رضي الله عنهما وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على مجلس بعض الانصار وهو
على حمار فبال الحمار فامسك عبد الله بن ابي بانفه وقال خل سبيل حمارك فقد آذانا نتنه فقال عبد الله
ابن رواحة والله ان بول حماره لاطيب من مسكك وروي حماره افضل منك وبول حماره لاطيب
من مسكك وروي حماره افضل منك ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم وطال الخوض بينهما
حتى استبا وتجالدا وجاء قوماهما وهما الاوس والخزرج فتجالدوا بالعصي وقيل بالايدي
والنعال والسعف فرجع اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاصلح بينهم ونزلت وعن مقاتل قرأها

فلا بغيا عليهم فاصطلحوا فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفي إلى أمر الله
البغي الاستطالة في الظلم وإباء الصلح والفيء الرجوع وقد سمي به الظل والغنيمة لأن الظل
يرجع بعد نسخ الشمس والغنيمة ما يرجع من أموال الكفار إلى المسلمين وعن أبي عمرو حتى تفي
بغير همز ووجهه أن أبا عمرو خفف الأولى من الهمزتين الملتقيتين فلطفت على الراوي تلك الخلسة
فظنه قد طرحها فإن قلت ما وجه قوله اقتتلوا والقياس اقتتلتا كما قرأ ابن أبي عبلة أو
اقتتلا كما قرأ عبيد بن عمير على تأويل الرهطين أو النفرين قلت هو مما حمل على المعنى دون
اللفظ لأن الطائفتين في معنى القوم والناس وفي قراءة عبد الله حتى يفيئوا إلى أمر الله فإن
فاءوا فخذوا بينهم بالقسط وحكم الفئة الباغية وجوب قتالها ما قاتلت وعن ابن عمر رضي الله عنهما
ما وجدت في نفسي من شيء ما وجدت من أمر هذه الآية أن لم أقاتل هذه الفئة الباغية كما أمرني
الله تعالى بعد أن اعتزل فإذا كافت وقبضت عن الحرب أيديها تركت وإذا تولت عمل بما روي
عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال يا ابن أم عبد هل تدري كيف حكم الله فيمن بغى من هذه الأمة
قال الله ورسوله أعلم قال لا يجهز على جريحها ولا يقتل أسيرها ولا يطلب هاربها ولا يقسم فيئها
ولا تخلو الفئتان من المسلمين في اقتتالهما إما أن تقتتلا على سبيل البغي منهما جميعا فالواجب
في ذلك أن يمشى بينهما بما يصلح ذات البين ويثمر المكافة والموادعة فإن لم تتحاجزا ولم تصطلحا
وأقامتا على البغي صير إلى مقاتلتهما وإما أن يلتحم بينهما القتال لشبهة دخلت عليهما وكلتاهما
عند أنفسهما محقة فالواجب إزالة الشبهة بالحجج النيرة والبراهين القاطعة وإطلاعهما
على مراشد الحق فإن ركبتا متن اللجاج ولم تعملا على شاكلة ما هديتا إليه ونصحتا به من اتباع
الحق بعد وضوحه لهما فقد لحقتا بالفئتين الباغيتين وإما أن تكون إحداهما الباغية على الأخرى
فالواجب أن تقاتل فئة البغي إلى أن تكف وتتوب فإن فعلت أصلح بينها وبين المبغي عليها بالقسط
والعدل وفي ذلك تفاصيل إن كانت الباغية من قلة العدد بحيث لا منعة لها ضمنت بعد
الفيئة ما جنت وإن كانت كثيرة ذات منعة وشوكة لم تضمن إلا عند محمد بن الحسن رضي الله عنه
فإنه

فإنه كان يفتي بأن الضمان يلزمها إذا فاءت وأما قبل التجمع والتجند أو حين تتفرق عند وضع
الحرب أوزارها فما جنته ضمنته عند الجميع فحمل الإصلاح بالعدل في قوله فأصلحوا بينهما بالعدل
على مذهب محمد واضح منطبق على لفظ التنزيل وعلى قول غيره وجهه أن يحمل على كون الفئة قليلة
العدد والذي ذكروا أن الغرض إماتة الضغائن وسل الأحقاد دون ضمان الجنايات ليس بحسن
الطباق للمأمور به من إعمال العدل ومراعاة القسط فإن قلت فلم قرن بالإصلاح الثاني
العدل دون الأول قلت لأن المراد بالاقتتال في أول الآية أن تقتتلا باغيتين معا أو راكبتي
شبهة وأيتهما كانت فالذي يجب على المسلمين أن يأخذوا به في شأنهما إصلاح ذات البين و
تسكين الدهماء بإراءة الحق والمواعظ الشافية ونفي الشبهة إلا إذا أصرتا فحينئذ تجب المقاتلة
وأما الضمان فلا يتجه وليس كذلك إذا بغت إحداهما فإن الضمان متجه على الوجهين المذكورين
وأقسطوا أمر باستعمال القسط على طريق العموم بعد ما أمر به في إصلاح ذات البين والقول
فيه مثله في الأمر باتقاء الله على عقب النهي عن التقديم بين يديه والقسط بالفتح الجور من القسط
وهو اعوجاج في الرجلين وعود قاسط يابس وأقسطته الرياح وأما القسط بمعنى العدل فالفعل
منه أقسط وهمزته للسلب أي أزال القسط وهو الجور إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم
هذا تقرير لما ألزمه من تولي الإصلاح بين من وقعت بينهم المشاقة من المؤمنين وبيان أن الإيمان
قد عقد بين أهله من السبب القريب والنسب اللاصق ما إن لم يفضل الأخوة ولم يبرز عليها
لم ينقص عنها ولم يتقاصر عن غايتها ثم قد جرت عادة الناس على أنه إذا نشب مثل ذلك بين
اثنين من إخوة الولاد لزم السائر أن يتناهضوا في رفعه وإزاحته ويركبوا الصعب والذلول
مشيا بالصلح وبثا للسفراء بينهما إلى أن يصادف ما وهى من الوفاق من يرقعه وما استشن
من الوصال من يبله فالأخوة في الدين أحق بذلك وبأشد منه وعن النبي صلى الله عليه وسلم
أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يعيبه ولا يتطاول عليه في البنيان فيستر عنه الريح إلا بإذنه
ولا يؤذيه بقتار قدره ثم قال احفظوا ولا يحفظ منكم إلا قليل فإن قلت فلم خص الاثنان بالذكر

يعني كالأخوة في التعاون لأنهم يد واحد كما قال عليه السلام المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا وروي عن النبي عليه السلام ... كعضو واحد إذا اشتكى عضو تداعى الأعضاء إلى الحمى والسهر

حتى قال فأصلحوا بين أخ[illegible]

دون الجميع قلت لان اقل من يقع بينهم الشقاق اثنان فاذا لزمت المصالحة بين الاقل
كان بين الاكثر الزم لان الفساد في شقاق الجميع اكثر منه في شقاق الاثنين وقيل المراد
بالاخوين الاوس والخزرج وقرئ بين اخوتكم واخوانكم والمعنى ليس المؤمنون الا اخوة و
انهم خلص لذلك متمحضون قد انزاحت عنهم شبهات الاجنبية وان لطف حالهم في التمازج
والاتحاد ان يقدموا على ما يتولد منه التقاطع فبادروا قطع ما يقع من ذلك ان وقع واحسموه
واتقوا الله لعلكم ترحمون واتقوا الله فانكم ان فعلتم لم يحملكم التواصل والائتلاف والمسارعة
اي لكي ترحمون ولا تعذبون
الى اماطة ما يفرط منه وكان عند فعلكم ذلك وصول رحمة الله اليكم واستمال رافته عليكم حقيقا
بان تعقدوا به رجاكم يا ايها الذين امنوا لا يسخر قوم من قوم القوم الرجال خاصة لانهم القوام
بامور النساء قال الله تعالى الرجال قوامون على النساء وقال صلى الله عليه وسلم النساء لحم على
وضم الا ما ذب عنه والذابون هم الرجال وهو في الاصل جمع قائم كصوم وزور في جمع صائم و
زائر او تسمية بالمصدر عن بعض العرب اذا اكلت طعاما احببت نوما وابغضت قوما اي قياما
واختصاص القوم بالرجال صريح في الاية وفي قول زهير اقوم آل حصن ام نساء
واما قولهم في قوم فرعون وقوم عاد هم الذكور والاناث فليس لفظ القوم بمتعاط للفريقين
ولكن قصد ذكر الذكور وترك ذكر الاناث لانهن توابع لرجالهن وتنكير القوم والنساء يحتمل معنيين
ان يراد لا يسخر بعض المؤمنين والمؤمنات من بعض وان يقصد افادة الشياع وان تصير
كل جماعة منهم منهية عن السخرية وانما لم يقل رجل من رجل ولا امراة من امراة على التوحيد
اعلاما باقدام غير واحد من رجالهم وغير واحدة من نسائهم على السخرية واستفظاعا للشان
الذي كانوا عليه ولان مشهد الساخر لا يكاد يخلو ممن يتلهى ويستضحك على قوله ولا ياتي
ما عليه من النهي والانكار فيكون شريك الساخر وتلوه في تحمل الوزر وكذلك كل من يطرق
سمعه فيستطيبه ويضحك به فيؤدي ذلك وان اوجده واحد الى تكثر السخرة وانقلاب
الواحد جماعة وقوما وقوله عسى ان يكونوا خيرا منهم كلام مستانف قد ورد مورد جواب
المستخبر

التقوى الا صح

يا ايها الذين امنوا لا يسخر قوم من قوم يعني لا يستهزئ الرجل من اخيه قال بعضهم نزلت الاية في ثابت بن قيس حيث عير الذي وسع له في المكان وقال بعضهم في ينادون من وراء الحجرات استهزؤا بضعفاء المسلمين عسى ان يكونوا خيرا منهم يعني افضل منهم واكرم على الله تعالى من نساء يعني لا يستهزئ من امراة وذلك ان عائشة رضي الله عنها ام سلمة جميلة لولا انها قصيرة عسى ان يكن خيرا منهن افضل ثم صارت الاية عامة في الرجال والنساء فلا يجوز ان يسخر من صاحبه او من خلق الله تعالى وقال ابن مسعود رضي الله عنه بالقول يقول لو سخرت لخشيت ان اكون مثله

المستخبر عن العلة الموجبة لما جاء النهي عنه والا فقد كان حقه ان يوصل بما قبله بالفاء والمعنى
وجوب ان يعتقد كل احد ان المسخور عنه ربما كان عند الله خيرا من الساخر لان الناس لا
يطلعون الا على ظواهر الاحوال ولا علم لهم بالخفيات وانما الذي يزن عند الله خلوص الضمائر
وتقوى القلوب وعلمهم من ذلك بمعزل فينبغي ان لا يجترئ احد على الاستهزاء بمن تقتحمه عينه
اذا رآه رث الحال او ذا عاهة في بدنه او غير لبيق في محادثته فلعله اخلص ضميرا واتقى قلبا
ممن هو على ضد صفته فيظلم نفسه بتحقير من وقره الله والاستهانة بمن عظمه الله ولقد
بلغ بالسلف افراط توقيهم وتصونهم من ذلك ان قال عمرو بن شرحبيل لو رايت رجلا يرضع عنزا
فضحكت منه خشيت ان اصنع مثل الذي صنعه وعن عبد الله بن مسعود البلاء موكل بالقول
لو سخرت من كلب لخشيت ان احول كلبا ولا نساء من نساء عسى ان يكن خيرا منهن وفي
قراءة عبد الله عسوا ان يكونوا وعسين ان يكن فعسى على هذه القراءة هي ذات الخبر كالتي
في قوله فهل عسيتم وعلى الاولى التي لا خبر لها كقوله وعسى ان تكرهوا شيئا ولا تلمزوا انفسكم اللمز
يعني لا يطعن بعضكم في بعض وقال القشيري يعني لا تطعن اخوانكم من المسلمين لانهم كانفسكم قال ظن المؤمنون والمؤمنات بانفسهم خيرا يعني بامثالهم
الطعن والضرب باللسان وقرئ ولا تلمزوا بالضم والمعنى وخصوا ايها المؤمنون انفسكم بالانتهاء
عن عيبها والطعن فيها ولا عليكم ان تعيبوا غيركم ممن لا يدين بدينكم ولا يسير بسيركم ففي الحديث
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذكروا الفاجر بما فيه كي يحذره الناس وعن الحسن في ذكر
الحجاج اخرج الي بنانا قصيرة قل ما عرقت فيها الا عنة في سبيل الله ثم جعل يطبطب شعيرات
له ويقول يا ابا سعيد يا ابا سعيد وقال الحسن لما مات الحجاج اللهم انت امته فاقطع سنته فانه اتانا
اخيفش اعيمش يخطر في مشيته ويصعد المنبر حتى تفوته الصلوة لا من الله يتقي ولا من
الناس يستحيي فوقه الله وتحته مائة الف او يزيدون لا يقول له قائل الصلوة ايها الرجل الصلوة
ايها الرجل هيهات دون ذلك السيف والسوط وقيل معناه لا يعب بعضكم بعضا لان المؤمنين
كنفس واحدة فمتى عاب المؤمن المؤمن فكانما عاب نفسه وقيل معناه لا تفعلوا ما تلمزون
به لان من فعل ما استحق به اللمز فقد لمز نفسه حقيقة ولا تنابزوا بالالقاب التنابز بالالقاب

التداعي بها تفاعل من نبزه وبنو فلان يتنابزون ويتنازبون ويقال النبز والنزب اللقب
السوء والتلقيب المنهي عنه هو ما يتداخل المدعو به كراهة لكونه تقصيرا به وذما له وشينا
فاما ما يحبه مما يزينه وينوه به فلا باس به روي عن النبي صلى الله عليه وسلم من حق المومن
على اخيه ان يسميه باحب اسمايه اليه ولهذا كانت التكنية من السنة والادب الحسن قال عمر
رضي الله عنه اشيعوا الكنى فانها منبهة ولقد لقب ابو بكر بالعتيق والصديق وعمر بالفاروق
وحمزة باسد الله وخالد بسيف الله رضي الله عنهم وقل من المشاهير في الجاهلية والاسلام من ليس له لقب ولم
تزل هذه الالقاب الحسنة في الامم كلها من العرب والعجم تجري في مخاطباتهم ومكاتباتهم من غير
نكير وروي عن الضحاك ان قوما من بني تميم استهزوا ببلال وخباب وعمار وصهيب وابي ذر
وسالم مولى حذيفة فنزلت وعن عايشة رضي الله عنها انها كانت تسخر من زينب بنت خزيمة
الهلالية وكانت قصيرة وعن ابن عباس ان ام سلمة رضي الله عنهم ربطت حقويها بسبيبة و
سدلت طرفها خلفها فكانت تجره فقالت عايشة لحفصة رضي الله عنها انظري ما تجر خلفها كانه
لسان كلب وعن انس رضي الله عنه عيرت نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم ام سلمة بالقصر
وعن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه ان صفية بنت حيي اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت
ان النساء يعيرنني ويقلن يا يهودية بنت يهوديين فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم هلا قلت
ان ابي هارون وان عمي موسى وان زوجي محمد وروي انها نزلت في ثابت بن قيس وكان بدوقر
وكانوا يوسعون له في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم ليسمع فاتى يوما وهو يقول تفسحوا حتى انتهى
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لرجل تنح فلم يفعل فقال من هذا فقال الرجل انا فلان فقال
بل انت ابن فلانة يريد اما كان يعير بها في الجاهلية فخجل الرجل فنزلت فقال ثابت لا افخر على احد
الحسب بعدها ابدا **بئس الاسم الفسوق بعد الايمان ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون** الاسم ههنا
بمعنى الذكر من قولهم طار اسمه في الناس بالكرم او باللوم كما يقال طار ثناه وصيته وحقيقته
ما سما من ذكره وارتفع بين الناس الا ترى الى قولهم اشاد بذكره كانه قيل بئس الذكر المرتفع للمومنين
بسبب

بسبب ارتكاب هذه الجرايم ان يذكروا بالفسق وفي قوله بعد الايمان ثلثة اوجه احدها استقباح
الجمع بين الايمان وبين الفسق الذي يأباه الايمان ويحظره كما تقول بئس الشان بعد الكبر الصبوة
والثاني انه كان في شتايمهم لمن اسلم من اليهود يا يهودي يا فاسق فنهوا عنه وقيل لهم بئس الذكر
ان تذكروا الرجل بالفسق واليهودية بعد ايمانه والجملة على هذا التفسير متعلقة بالنهي عن
التنابز والثالث ان يجعل من فسق غير مومن كما تقول للمتحول عن التجارة الى الفلاحة
بئست الحرفة الفلاحة بعد التجارة **يا ايها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن** يقال جنبه
الشر اذا ابعده عنه وحقيقته جعله منه في جانب فيتعدى الى مفعولين قال الله عز وجل واجنبني
وبني ان نعبد الاصنام ثم يقال في مطاوعه اجتنب الشر فتنقص المطاوعة مفعولا والمامور
باجتنابه هو بعض الظن وذلك البعض موصوف بالكثرة الا ترى الى قوله **ان بعض الظن اثم**
فان قلت بين الفصل بين كثير حيث جاء نكرة وبينه لو جاء معرفة **قلت** مجيئه نكرة يفيد
معنى البعضية وان في الظنون ما يجب ان يجتنب من غير تبيين لذلك ولا تعيين لئلا يجترئ
احد على ظن الا بعد نظر وتامل وتمييز بين حقه وباطله بامارة بينة مع استشعار للتقوى والحذر
ولو عرف لكان الامر باجتناب الظن منوطا بما يكثر منه دون ما يقل ووجب ان يكون كل
ظن متصف بالكثرة مجتنبا وما اتصف منه بالقلة مرخصا في تظنيه والذي يميز الظنون التي
يجب اجتنابها عما سواها ان كل ما لم تعرف له امارة صحيحة وسبب ظاهر كان حراما واجب الاجتناب
وذلك اذا كان المظنون به ممن شوهد منه الستر والصلاح واونست منه الامانة في الظاهر
فظن الفساد والخيانة به محرم بخلاف من اشتهره الناس بتعاطي الريب والمجاهرة بالخبائث
عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله حرم من المسلم دمه وعرضه وان يظن به ظن السوء
وعن الحسن رحمه الله كنا في زمان الظن بالناس حرام وانت اليوم في زمان اعمل واسكت
وظن بالناس ما شئت وعنه لا حرمة لفاجر وعنه ان الفاسق اذا اظهر فسقه وهتك ستره
هتكه الله واذا استتر لم يظهر الله عليه لعله ان يتوب وقد روي من القى جلباب الحياء فلا غيبة

له والآثم الذنب الذى يستحق صاحبه العقاب ومنه قيل لعقوبته الأثام فعال منه كالنكال و
العذاب والوبال قال لقد فعلت هذى النوى بى فعلة أصاب النوى قبل الممات أثامها
والهمزة فيه عن الواو كانه يثم الاعمال اى يكسرها باحباطه وقرئ ولا تحسسوا بالحاء والمعنيان
متقاربان يقال تجسس الامر اذا تطلبه وبحث عنه تفعل من الجس كما ان التلمس بمعنى التطلب
من اللمس لما فى اللمس من الطلب وقد جاء بمعنى الطلب فى قوله تعالى وانا لمسنا السماء
والتحسس التعرف من الحس ولتقاربهما قيل لمشاعر الانسان الحواس بالحاء والجيم والمراد
النهى عن تتبع عورات المسلمين ومعايبهم والاستكشاف عما ستروه وعن مجاهد خذوا
ما ظهر ودعوا ما ستر الله وعن النبى صلى الله عليه وسلم انه خطب فرفع صوته حتى اسمع
العواتق فى خدورهن قال يا معشر من آمن بلسانه ولم يخلص الايمان الى قلبه لا تتبعوا عورات
المسلمين قال من تتبع عورات المسلمين تتبع الله عورته حتى يفضحه ولو فى جوف بيته
وعن زيد بن وهب قلنا لابن مسعود هل لك فى الوليد بن عقبة بن ابى معيط تقطر لحيته
خمرا فقال ابن مسعود رضى الله عنه انا قد نهينا عن التجسس فان ظهر لنا شئ اخذنا به
ولا يغتب بعضكم بعضا غابه واغتابه كغاله واغتاله والغيبة من الاغتياب كالغيلة
من الاغتيال وهى ذكر السوء فى الغيبة وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الغيبة
فقال ان تذكر اخاك بما يكره فان كان فيه فقد اغتبته وان لم يكن فيه فقد بهته وعن
ابن عباس رضى الله عنهما الغيبة ادام كلاب الناس أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا
تمثيل وتصوير لما يناله المغتاب من عرض المغتاب على افظع وجه وافحشه وفيه مبالغات شتى
منها الاستفهام الذى معناه التقرير ومنها جعل ما هو فى الغاية من الكراهة موصولا بالمحبة
ومنها اسناد الفعل الى احدكم والاشعار بان احدا من الاحدين لا يحب ذلك ومنها ان لم
يقتصر على تمثيل الاغتياب باكل لحم الانسان حتى جعل الانسان اخا ومنها ان لم يقتصر
على لحم الاخ حتى جعل ميتا وعن قتادة كما تكره ان وجدت جيفة مدودة ان تاكل منها كذلك
فاكره

فاكره لحم اخيك وهو حى وانتصب ميتا على الحال من اللحم ويجوز ان ينتصب عن الاخ وقرئ ميّتا
ولما قررهم عز وجل بان احدا منهم لا يحب اكل جيفة اخيه عقب ذلك بقوله فكرهتموه اى فتحققت
بوجوب الاقرار عليكم وبانكم لا تقدرون على دفعه وانكاره لاباء البشرية عليكم ان تجحدوه كراهتكم
له وتقززكم منه فليتحقق ايضا ان تكرهوا ما هو نظيره من الغيبة والطعن فى اعراض المسلمين وقرئ
فكرّهتموه اى جبلتم على كراهته فان قلت هلا عدى بالى كما عدى فى قوله وكره اليكم الكفر
وايهما القياس قلت القياس تعديته بنفسه لانه ذو مفعول واحد قبل تثقيل حشوه تقول
كرهت الشئ فاذا ثقل استدعى زيادة مفعول واما تعديته بالى فتأول واجراء لكره مجرى بغض
لان بغض منقول من بغض اليه الشئ فهو بغيض اليه كقولك حبب اليه فهو حبيب اليه فاتقوا
الله ان الله تواب رحيم المبالغة فى التواب للدلالة على كثرة من يتوب عليه من عباده او لانه ما من ذنب
يقترفه المقترف الا كان معفوا عنه بالتوبة او لانه بليغ فى قبول التوبة منزل صاحبها منزلة من لم يذنب
قط لسعة كرمه والمعنى واتقوا الله بترك ما امرتم باجتنابه والندم على ما وجد منكم منه فانكم ان اتقيتم
تقبل الله توبتكم وانعم عليكم بثواب المتقين التائبين وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان سلمان كان يخدم
رجلين من الصحابة ويسوى لهما طعامهما فنام عن شأنه يوما فبعثاه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
يبغى لهما اداما وكان اسامة على طعام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما عندى شئ فاخبرهما سلمان
فعند ذلك قالا لو بعثناه الى بئر سميحة لغار ماؤها فلما راحا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهما
ما لى ارى خضرة اللحم فى افواهكما فقالا ما تناولنا لحما فقال انكما قد اغتبتما ونزلت يا ايها الناس انا خلقناكم
من ذكر وانثى من آدم وحواء وقيل خلقنا كل واحد منكم من اب وام فما منكم احد الا وهو يدلى
بمثل ما يدلى به الآخر سواء بسواء فلا وجه للتفاخر والتفاضل فى النسب وجعلناكم شعوبا وقبائل
لتعارفوا الشعب الطبقة الاولى من الطبقات الست التى عليها العرب وهى الشعب والقبيلة
والعمارة والبطن والفخذ والفصيلة فالشعب يجمع القبائل والقبيلة تجمع العمائر والعمارة تجمع البطون
والبطن تجمع الافخاذ والفخذ تجمع الفصائل خزيمة شعب وقريش عمارة وقصى بطن وهاشم فخذ

والعباس فصيلة وسميت الشعوب لان القبائل تشعبت منها وقرئ لتعارفوا ولتعّارفوا
بالادغام ولتعرفوا اى لتعلموا كيف تتناسبون ولتتعرفوا والمعنى ان الحكمة التى من اجلها
رتبكم على شعوب وقبائل هى ان يعرف بعضكم نسب بعض فلا يعتزى الى غير آبائه لا ان تتفاخروا
بالآباء والاجداد وتدعوا التفاوت والتفاضل فى الانساب ثم بين الخصلة التى بها يفضل الانسان
غيره ويكتسب الشرف والكرم عند الله فقال ان اكرمكم عند الله اتقيكم ان الله عليم خبير وقرئ
أن بالفتح كانه قيل لم لا نتفاخر بالانساب فقيل لان اكرمكم عند الله اتقيكم لا انسبكم وعن
النبى صلى الله عليه وسلم انه طاف يوم فتح مكة فحمد الله واثنى عليه ثم قال الحمد لله الذى اذهب
عنكم عبية الجاهلية وتكبرها يا ايها الناس انما الناس رجلان مومن تقى كريم على الله وفاجر
شقى هين على الله ثم قرأ الآية وعنه صلى الله عليه وسلم من سره ان يكون اكرم الناس فليتق
الله وعن ابن عباس رضى الله عنهما كرم الدنيا الغنى وكرم الآخرة التقوى وعن يزيد بن شجرة
مر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سوق المدينة فراى غلاما اسود يقول من اشترانى فعلى
شرط لا يمنعنى عن الصلوات الخمس خلف رسول الله فاشتراه رجل فكان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يراه عند كل صلوة ففقده فسال عنه صاحبه فقال محموم فعاده ثم سال عنه بعد ايام
فقيل هو لما به فجاءه وهو فى ذمائه فتولى غسله ودفنه فدخل على المهاجرين والانصار امر
عظيم فنزلت قالت الاعراب آمنا قل لم تومنوا ولكن قولوا اسلمنا الايمان هو التصديق مع الثقة
وطمانينة النفس والاسلام الدخول فى السلم والخروج من ان يكون حربا للمومنين باظهار
الشهادتين الا ترى الى قوله ولما يدخل الايمان فى قلوبكم فاعلم ان ما يكون من الاقرار باللسان من
غير مواطاة القلب فهو اسلام وما واطا فيه القلب اللسان فهو ايمان فان قلت ما وجه
قوله قل لم تومنوا ولكن قولوا اسلمنا والذى يقتضيه نظم الكلام ان يقال قل لا تقولوا آمنا
ولكن قولوا اسلمنا او قل لم تومنوا ولكن اسلمتم قلت افاد هذا النظم تكذيب دعواهم
اولا ودفع ما انتحلوه فقيل قل لم تومنوا وروعى فى هذا النوع من التكذيب ادب حسن حين لم
يصرح

يصرح بلفظه فلم يقل كذبتم ووضع لم تومنوا الذى هو نفى ما ادعوا اثباته موضعه ثم نبه على ما فعل من
وضعه موضع كذبتم فى قوله فى صفة المخلصين اولئك هم الصادقون تعريضا بان هولاء هم الكاذبون ورب
تعريض لا يقاومه التصريح واستغنى بالجملة التى هى لم تومنوا عن ان يقال لا تقولوا آمنا لاستهجان
ان يخاطبوا بلفظ مؤداه النهى عن القول بالايمان ثم وصلت بها الجملة المصدرة بكلمة الاستدراك
محمولة على المعنى ولم يقل ولكن اسلمتم ليكون خارجا مخرج الزعم والدعوى كما كان قولهم آمنا كذلك
ولو قيل ولكن اسلمتم لكان خروجه فى معرض التسليم له والاعتداد بقولهم وهو غير معتد به فان قلت
قوله ولما يدخل الايمان فى قلوبكم بعد قوله قل لم تومنوا يشبه التكرير من غير استقلال بفائدة متجددة
قلت ليس كذلك فان فائدة قوله لم تومنوا هو تكذيب دعواهم وقوله ولما يدخل الايمان فى قلوبكم
توقيت لما امروا به ان يقولوه كانه قيل لهم ولكن قولوا اسلمنا حين لم تثبت مواطاة قلوبكم لالسنتكم
لانه كلام واقع موقع الحال من الضمير فى قولوا وما فى لما من معنى التوقع دال على ان هولاء قد
آمنوا فيما بعد وان تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من اعمالكم شيئا ان الله غفور رحيم
ولا يظلمكم يقال التة السلطان حقه اشد الالت وهى لغة غطفان ولغة اسد واهل الحجاز
لاته ليتا وحكى الاصمعى عن ام هشام السلولية انها قالت الحمد لله الذى لا يفات ولا يلات
ولا تصمه الاصوات وقرئ باللغتين لا يلتكم ولا يألتكم ونحوه فى المعنى فلا تظلم نفس شيئا ومعنى
طاعة الله ورسوله ان يتوبوا عما كانوا عليه من النفاق ويعقدوا قلوبهم على الايمان ويعملوا
بمقتضياته فان فعلوا ذلك تقبل الله توبتهم ووهب لهم مغفرته وانعم عليهم بجزيل ثوابه وعن
ابن عباس رضى الله عنهما ان نفرا من بنى اسد قدموا المدينة فى سنة جدبة فاظهروا الشهادة
وافسدوا طرق المدينة بالعذرات واغلوا اسعارها وهم يغدون ويروحون على رسول
الله صلى الله عليه وسلم ويقولون اتتك العرب بانفسها على ظهور رواحلها وجئناك بالاثقال
والذرارى يريدون الصدقة ويمنون عليه فنزلت انما المومنون الذين آمنوا بالله ورسوله
ثم لم يرتابوا ارتاب مطاوع رابه اذا اوقعه فى الشك مع التهمة والمعنى انهم آمنوا ثم لم يقع

في نفوسهم شك فيما آمنوا به ولا اتهموا من صدقوه واعترفوا بأن الحق معه فإن قلت ما معنى ثم ههنا وهي للتراخي وعدم الارتياب يجب أن يكون مقارنا للإيمان لأنه وصف فيه لما تقتضيه من إفادة الإيمان معنى الثقة والطمأنينة التي حقيقتها التيقن وانتفاء الريب قلت الجواب على طريقين أحدهما أن من وجد منه الإيمان ربما اعترضه الشيطان أو بعض المضلين بعد ثلج الصدر فشككه وقذف في قلبه ما يثلم يقينه أو نظر هو نظرا غير سديد يسقط به على الشك ثم يستمر على ذلك راكبا رأسه لا يطلب له مخرجا فوصف المؤمنون حقا بالبعد عن هذه الموبقات ونظيره قوله ثم استقاموا والثاني أن الإيقان وزوال الريب لما كان ملاك الإيمان أفرد بالذكر بعد تقدم الإيمان تنبيها على مكانه وعطف على الإيمان بكلمة التراخي إشعارا باستقراره في الأزمنة المتراخية المتطاولة غضا جديدا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله يجوز أن يكون المجاهد منويا وهو العدو المحارب أو الشيطان أو الهوى وأن يكون جاهد مبالغة في جهد ويجوز أن يراد بالمجاهدة بالنفس الغزو وأن يتناول العبادات بأجمعها وبالمجاهدة بالمال نحو ما صنع عثمان رضي الله عنه في جيش العسرة وأن يتناول الزكوات وكل ما يتعلق بالمال من أعمال البر التي يتحامل فيها الرجل على ماله لوجه الله أولئك هم الصادقون الذين صدقوا في قولهم آمنا ولم يكذبوا كما كذب أعراب بني أسد أو هم الذين إيمانهم إيمان صدق وإيمان حق وجد وثبات قل أتعلمون الله بدينكم والله يعلم ما في السماوات وما في الأرض والله بكل شيء عليم يقال ما علمت بقدومك أي ما شعرت به ولا أحطت به ومنه قوله أتعلمون الله بدينكم وفيه تجهيل لهم يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا علي إسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين من عليه يدا إذا أسداها إليه كقولك أنعم عليه وأفضل عليه والمنة النعمة التي لا يستثيب مسديها من يزلها إليه واشتقاقها من المن الذي هو القطع لأنه إنما يسديها إليه ليقطع بها حاجته لا غير من غير أن يعمد لطلب مثوبة ثم يقال من عليه صنعه إذا اعتده عليه

منة وإنعاما وسياق هذه الآية فيه لطف ورشاقة وذلك أن الكائن من الأعراب قد سماه الله إسلاما ونفى أن يكون كما زعموا إيمانا فلما منوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان منهم قال الله سبحانه لرسوله صلى الله عليه وسلم إن هؤلاء يعتدون عليك بما ليس جديرا بالاعتداد به من حدثهم الذي حق تسميته أن يقال له إسلام فقل لهم لا تعتدوا علي إسلامكم أي حدثكم المسمى إسلاما عندي لا إيمانا ثم قال بل الله يعتد عليكم أن أمدكم بتوفيقه حيث هداكم للإيمان على ما زعمتم وادعيتم أنكم أرشدتم إليه ووفقتم له إن صح زعمكم وصدقت دعواكم إلا أنكم تزعمون وتدعون ما الله عليم بخلافه وفي إضافة الإسلام إليهم وإيراد الإيمان غير مضاف ما لا يخفى على المتأمل وجواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه تقديره إن كنتم صادقين في ادعائكم الإيمان فلله المنة عليكم وقرئ إن هداكم بكسر الهمزة وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه إذ هداكم إن الله يعلم غيب السماوات والأرض والله بصير بما تعملون قرئ بالتاء والياء وهذا بيان لكونهم غير صادقين في دعواهم يعني أنه عز وجل يعلم كل مستتر في العالم ويبصر كل عمل تعملونه في سركم وعلانيتكم لا يخفى عليه منه شيء فكيف يخفى عليه ما في ضمائركم ولا يطلع على صدقكم وكذبكم وذلك أن حاله مع كل معلوم واحدة لا تختلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحجرات أعطي من الأجر بعدد من أطاع الله وعصاه

سورة ق مكية وهي خمس وأربعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم ق والقرآن المجيد بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم الكلام في ق والقرآن المجيد بل عجبوا نحوه في ص والقرآن ذي الذكر بل الذين كفروا سواء بسواء لالتقائهما في أسلوب واحد والمجيد ذو المجد والشرف على غيره من الكتب ومن أحاط علما بمعانيه وعمل بما فيه مجد عند الله وعند الناس وهو بسبب من الله المجيد فجاز اتصافه بصفته قوله بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم إنكار لتعجبهم مما ليس بعجب وهو أن ينذرهم بالمخوف رجل منهم قد عرفوا وساطته فيهم وعدالته وأمانته ومن كان على صفته لم يكن إلا ناصحا لقومه مترفرفا مشفقا

عليهم خائفا أن ينالهم سوء ويحل بهم مكروه وإذا علم أن مخوفا أظلهم لزمه أن ينذرهم ويحذرهم
فكيف بما هو غاية المخاوف ونهاية المحاذير وإنكار ليعجبهم مما أنذرهم به من البعث مع علمهم
بقدرة الله على خلق السماوات والأرض وما بينهما وعلى اختراع كل شيء وإبداعه وإقرارهم بالنشأة
الأولى ومع شهادة العقل بأنه لا بد من الجزاء ثم عول على أحد الإنكارين بقوله فقال الكافرون
هذا شيء عجيب أئذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد دلالة على أن تعجبهم من البعث أدخل
في الاستبعاد وأحق بالإنكار ووضع الكافرون موضع الضمير للشهادة على أنهم في قولهم هذا
مقدمون على الكفر العظيم وهذا إشارة إلى الرجع وإذا منصوب بمضمر معناه أحين نموت
ونبلى نرجع ذلك رجع بعيد مستبعد مستنكر كقولك هذا بعيد وقد أبعد فلان في قوله بعيد
من الوهم والعادة ويجوز أن يكون الرجع بمعنى المرجوع وهو الجواب ويكون من كلام الله تعالى
استبعادا لإنكارهم ما أنذروا به من البعث والوقف قبله على هذا التفسير حسن وقرئ إذا
متنا على لفظ الخبر ومعناه إذا متنا بعد أن نرجع والدال عليه ذلك رجع بعيد فإن
قلت فما ناصب الظرف إذا كان الرجع بمعنى المرجوع قلت ما دل عليه المنذر
من المنذر به وهو البعث قد علمنا ما تنقص الأرض منهم رد لاستبعادهم الرجع لأن من لطف
علمه حتى تغلغل إلى ما تنقص الأرض من أجساد الموتى وتأكله من لحومهم وعظامهم كان
قادرا على رجعهم أحياء كما كانوا عن النبي صلى الله عليه وسلم كل ابن آدم يبلى إلا عجب
الذنب وعن السدي ما تنقص الأرض منهم ما يموت فيدفن في الأرض وعندنا كتاب حفيظ
محفوظ من الشياطين ومن التغيير وهو اللوح المحفوظ أو حافظ لما أودعه وكتب فيه
بل كذبوا بالحق لما جاءهم إضراب أتبع الإضراب الأول للدلالة على أنهم جاؤوا بما هو أفظع من تعجبهم
وهو التكذيب بالحق الذي هو النبوة الثابتة بالمعجزات في أول وهلة من غير تفكر ولا تدبر
فهم في أمر مريج مضطرب يقال مرج الخاتم في إصبعه وجرج فيقولون تارة شاعر وتارة
ساحر وتارة كاهن لا يثبتون على شيء واحد وقرئ لما جاءهم بكسر اللام وما المصدرية واللام
هي

هي التي في قولهم لخمس خلون أي عند مجيئه إياهم وقيل الحق القرآن وقيل الإخبار بالبعث
أفلم ينظروا حين كفروا بالبعث إلى آثار قدرة الله في خلق العالم إلى السماء فوقهم كيف بنيناها
رفعناها بغير عمد وزيناها وما لها من فروج من فتوق يعني أنها ملساء سليمة من العيوب
لا فتق فيها ولا صدع ولا خلل كقوله هل ترى من فطور والأرض مددناها دحوناها وألقينا
فيها رواسي جبالا ثوابت لولا هي لتكفأت وأنبتنا فيها من كل زوج من كل صنف بهيج
يبتهج به لحسنه تبصرة وذكرى ليتبصر به ويذكر لكل عبد منيب راجع إلى ربه مفكر في
بدائع خلقه وقرئ تبصرة وذكرى بالرفع أي خلقها تبصرة ونزلنا من السماء ماء مباركا كثير
المنافع فأنبتنا به جنات وحب الحصيد وحب الزرع الذي من شأنه أن يحصد وهو ما
يقتات به من نحو الحنطة والشعير وغيرهما والنخل باسقات طوالا في السماء وفي قراءة
رسول الله صلى الله عليه وسلم باصقات بإبدال السين صادا لأجل القاف لها طلع نضيد
منضود بعضه فوق بعض إما أن يراد كثرة الطلع وتراكمه أو كثرة ما فيه من الثمر رزقا
للعباد على أنبتناها رزقا لأن الإنبات في معنى الرزق أو على أنه مفعول له أي أنبتناها لنرزقهم
وأحيينا به بلدة ميتا كذلك الخروج كما حييت هذه البلدة الميتة كذلك تخرجون أحياء
بعد موتكم والكاف في محل الرفع على الابتداء كذبت قبلهم قوم نوح وأصحاب الرس وثمود وعاد
وفرعون وإخوان لوط وأصحاب الأيكة وقوم تبع كل كذب الرسل فحق وعيد أراد بفرعون
قومه كقوله من فرعون وملائهم لأن المعطوف عليه قوم نوح والمعطوفات جماعات كل يجوز أن
يراد به كل واحد منهم وأن يراد جميعهم إلا أنه وحد الضمير الراجع إليه على اللفظ دون المعنى
فحق وعيد فوجب وحل وعيدي وهو كلمة العذاب وفيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم
وتهديد لهم أفعيينا بالخلق الأول عيي بالأمر إذا لم يهتد لوجه عمله والهمزة للإنكار والمعنى
إنا لم نعجز كما علموا عن الخلق الأول حتى نعجز عن الثاني ثم قال هم لا ينكرون قدرتنا على الخلق
الأول واعترافهم بذلك في طيه الاعتراف بالقدرة على الإعادة بل هم في لبس من خلق جديد

وشبهة قد لبس عليهم الشيطان وحيرهم ومنه قول علي رضي الله عنه يا حار انه لملبوس عليك
اعرف الحق تعرف اهله ولبس الشيطان عليهم تسويله اليهم ان احياء الموتى امر خارج عن
العادة فتركوا لذلك القياس الصحيح ان من قدر على الانشاء كان على الاعادة اقدر فان قلت
لم نكر الخلق الجديد وهلا عرف كما عرف الخلق الاول قلت قصد في تنكيره الى خلق جديد
له شان عظيم وحال شديدة حق من سمع به ان يهتم به ويخاف ويبحث عنه ولا يقعد على لبس في مثله
ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه الوسوسة الصوت الخفي ومنها وسواس الحلي ووسوسة
النفس ما يخطر ببال الانسان ويهجس في ضميره من حديث النفس والباء مثلها في قولك صوت بكذا
وهمس به ويجوز ان يكون للتعدية والضمير للانسان اي ما تجعله موسوسا وما مصدرية لانهم يقولون
حدث نفسه بكذا كما يقولون حدثته به نفسه قال واكذب النفس اذا حدثتها
ونحن اقرب اليه من حبل الوريد مجاز والمراد قرب علمه منه وانه يتعلق بمعلومه منه ومن
احواله تعلقا لا يخفى عليه شيء من خفياته فكان ذاته قريبة منه كما يقال الله في كل مكان
وقد جل عن الامكنة وحبل الوريد مثل في فرط القرب كقولهم هو مني مقعد القابلة ومعقد
الازار قال ذو الرمة والموت ادنى لي من الوريد والحبل العرق شبه بواحد الحبال
الا ترى الى قوله كان وريديه رشاء خلب والوريدان عرقان مكتنفان لصفحتي العنق
في مقدمها متصلان بالوتين يردان من الراس اليه وقيل سمي وريدا لان الروح ترده فان
قلت ما وجه اضافة الحبل الى الوريد والشيء لا يضاف الى نفسه قلت فيه وجهان
احدهما ان يكون الاضافة للبيان كقولهم بعير سانية والثاني ان يراد حبل العاتق فيضاف الى
الوريد كما يضاف الى العاتق لاجتماعهما في عضو واحد كما لو قيل حبل العلباء مثلا اذ يتلقى المتلقيان
عن اليمين وعن الشمال قعيد اذ منصوب باقرب وساغ ذلك لان المعاني يعمل في الظرف
متقدمة ومتاخرة والمعنى انه لطيف يتوصل علمه الى خطرات النفس وما لا شيء اخفى منه
وهو اقرب من الانسان من كل قريب حين يتلقى الحفيظان ما يتلفظ به ايذانا بان استحفاظ
الملكين

الملكين امر هو غني عنه وكيف لا يستغني عنه وهو مطلع على اخفى الخفيات وانما ذلك لحكمة
اقتضت ذلك وهي ما في كتبة الملكين وحفظهما وعرض صحائف العمل يوم يقوم الاشهاد وعلم
العبد بذلك مع علمه باحاطة الله بعمله من زيادة لطف له في الانتهاء عن السيئات والرغبة في الحسنات
وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان مقعد ملكيك على ثنيتيك ولسانك قلمهما وريقك مدادهما وانت
تجري فيما لا يعنيك لا تستحيي من الله ولا منهما ويجوز ان يكون تلقي الملكين بيانا للقرب يعني ونحن
قريبون منه مطلعون على احواله مهيمنون عليه اذ حفظتنا وكتبتنا موكلون به والتلقي التلقن
بالحفظ والكتبة والقعيد المقاعد كالجليس بمعنى المجالس وتقديره عن اليمين قعيد وعن الشمال
قعيد من المتلقيين فترك احدهما لدلالة الثاني عليه كقوله كنت منه ووالدي بريا
ما يلفظ من قول الا لديه رقيب ملك يرقب عمله عتيد حاضر واختلف فيما يكتب الملكان
فقيل يكتبان كل شيء حتى انينه في مرضه وقيل لا يكتبان الا ما يوجر عليه او يوزر به ويدل عليه
قوله صلى الله عليه وسلم كاتب الحسنات على يمين الرجل وكاتب السيئات على يسار الرجل وكاتب الحسنات
امين على كاتب السيئات فاذا عمل حسنة كتبها ملك اليمين عشرا واذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب
الشمال دعه سبع ساعات لعله يسبح او يستغفر وقيل ان الملائكة يجتنبون الانسان عند غائطه
وعند جماعه وقرئ ما يلفظ على البناء للمفعول لما ذكر انكارهم للبعث واحتج عليهم بوصف
قدرته وعلمه اعلمهم ان ما انكروه وجحدوه هم لاقوه عن قريب عند موتهم وعند قيام الساعة ونبه
على اقتراب ذلك بان عبر عنه بلفظ الماضي وهو قوله وجاءت سكرة الموت ونفخ في الصور
وسكرة الموت شدته الذاهبة بالعقل والباء في بالحق للتعدية يعني واحضرت سكرة الموت
حقيقة الامر الذي انطق الله [illegible] وبعث به رسله او حقيقة الامر وجلية الحال من
سعادة الميت وشقاوته وقيل الحق الذي خلق له الانسان من ان لكل نفس ذائقة الموت
ويجوز ان يكون الباء مثلها في قوله تنبت بالدهن اي وجاءت ملتبسة بالحق اي بحقيقة الامر
او بالحكمة والغرض الصحيح كقوله خلق السماوات والارض بالحق وقرا ابو بكر وابن مسعود رضي الله عنهما

سكرة الحق بالموت على اضافة السكرة الى الحق والدلالة على انها السكرة التى كتبت على الانسان
واوجبت له وانها حكمة والباء للتعدية لانها سبب زهوق الروح لشدتها او لان الموت يعقبها
فكانها جاءت به ويجوز ان يكون المعنى جاءت ومعها الموت وقيل سكرة الحق سكرة الله اضيفت
الى الله تعظيما لشانها وتهويلا وقرئ سكرات الموت ذلك ما كنت منه تحيد الاشارة الى الموت
والخطاب للانسان فى قوله ولقد خلقنا الانسان على طريق الالتفات او الى الحق والخطاب للفاجر
تحيد تنفر وتهرب وعن بعضهم انه سئل زيد بن اسلمة عن ذلك فقال الخطاب لرسول الله صلى
الله عليه وسلم فحكاه لصالح بن كيسان فقال والله ما سن عالية ولا لسان فصيح ولا معرفة بكلام
العرب هو للكافر ثم حكاهما للحسين بن عبد الله بن عباس رضى الله عنهم فقال اخالفهما جميعا
هو للبر والفاجر ونفخ فى الصور ذلك يوم الوعيد على تقدير حذف المضاف اى وقت ذلك يوم
الوعيد والاشارة الى مصدر نفخ وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد ملكان احدهما يسوقه الى المحشر
والاخر يشهد عليه بعمله او ملك واحد جامع بين الامرين كانه قيل معها ملك يسوقه ويشهد
عليه ومحل معها سائق النصب على الحال من كل لتعرفه بالاضافة الى ما هو فى حكم المعرفة
لقد كنت فى غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد قرئ لقد كنت عنك غطاءك
فبصرك بالكسر على خطاب النفس اى يقال لها لقد كنت جعلت الغفلة كانها غطاء غطى به
جسده كله او غشاوة غطى بها عينيه فهو لا يبصر شيئا فاذا كان يوم القيامة تيقظ وزالت عنه
الغفلة وغطاؤها فيبصر ما لم يبصره من الحق ورجع بصره الكليل عن الابصار لغفلته
حديدا لتيقظه وقال قرينه هو الشيطان الذى قيض له فى قوله نقيض له شيطانا فهو له قرين
تشهد له قوله قال قرينه ربنا ما اطغيته هذا ما لدى عتيد هذا شئ لدى وفى ملكتى عتيد
لجهنم والمعنى ان ملكا يسوقه وآخر يشهد عليه وشيطانا مقرونا به يقول قد اعتدته
لجهنم وهيأته لها باغوائى واضلالى فان قلت كيف اعرابه هذا الكلام قلت
ان جعلت ما موصوفة فعتيد صفة لها وان جعلتها موصولة فهو بدل او خبر بعد خبر او خبر مبتدا
محذوف

محذوف القيا خطاب به للملكين السائق والشهيد ويجوز ان يكون خطابا للواحد على وجهين
احدهما قول المبرد ان تثنية الفاعل نزلت منزلة تثنية الفعل لاتحادهما كانه قيل الق الق للتاكيد
والثانى ان العرب اكثر ما يرافق الرجل منهم اثنان فكثر على السنتهم خليلى وصاحبى وقفا
واسعدا حتى خاطبوا الواحد خطاب الاثنين وعن الحجاج انه كان يقول يا حرسى اضربا
عنقه وقرأ الحسن القين بالنون الخفيفة ويجوز ان يكون الالف فى القيا بدلا من النون اجراء
للوصل مجرى الوقف فى جهنم كل كفار عنيد معاند مجانب للحق معاد لاهله مناع للخير كثير المنع
للمال عن حقوقه جعل ذلك عادة له لا يبذل منه قط او مناع لجنس الخير ان يصل الى اهله
يحول بينه وبينهم قيل نزلت فى الوليد بن المغيرة كان يمنع بنى اخيه من الاسلام وكان يقول
من دخل منكم فيه لم انفعه بخير ما عشت معتد ظالم متخط للحق مريب شاك فى الله وفى
دينه الذى جعل مع الله الها آخر الذى جعل مبتدا مضمن معنى الشرط ولذلك اجيب بالفاء
ويجوز ان يكون الذى جعل منصوبا بدلا من كل كفار ويكون فالقياه فى العذاب الشديد تكريرا
للتوكيد فان قلت لم اخليت هذه الجملة من الواو وادخلت على الاولى قلت لانها
استؤنفت كما تستأنف الجمل الواقعة فى حكاية التقاول كما رأيت فى حكاية المقاولة بين
موسى وفرعون فان قلت فاين التقاول هاهنا قلت لما قال قرينه هذا ما لدى عتيد
وتبعه قوله قال قرينه ربنا ما اطغيته ولكن كان فى ضلال بعيد وتلاه لا تختصموا لدى
علم ان ثم مقاولة من الكافر لكنها طرحت لما يدل عليها كانه قال رب هو اطغانى فقال
قرينه ربنا ما اطغيته واما الجملة الاولى فواجب عطفها للدلالة على الجمع بين معناها ومعنى
ما قبلها فى الحصول اعنى مجئ كل نفس مع الملكين وقول قرينه ما قال له ما اطغيته ما جعلته
طاغيا وما اوقعته فى الطغيان ولكنه طغى واختار الضلالة على الهدى كقوله وما كان لى عليكم
من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لى قال لا تختصموا لدى وقد قدمت اليكم بالوعيد
قال لا تختصموا استئناف مثل قوله قال قرينه كان قائلا قال فماذا قال الله فقيل قال لا تختصموا

والمعنى لا تختصموا في دار الجزاء وموقف الحساب فلا فائدة في اختصامكم ولا طائل تحته وقد اوعدتكم بعذابي على الطغيان في كتبي وعلى السنة رسلي فما تركت لكم حجة علي ثم قال ما يبدل القول لدي لا تطمعوا ان ابدل قولي ووعيدي فاعفيكم عما اوعدتكم به وما انا بظلام للعبيد فاعذب من ليس بمستوجب للعذاب والباء في بالوعيد مزيدة مثلها في ولا تلقوا بايديكم او معدية على ان قدم مطاوع بمعنى تقدم ويجوز ان يقع الفعل على جملة قوله ما يبدل القول لدي وما انا بظلام للعبيد ويكون بالوعيد حالا اي قدمت اليكم هذا ملتبسا بالوعيد مقترنا به او قدمته اليكم موعدا لكم به **فان قلت** ان قوله وقد قدمت واقع موقع الحال من لا تختصموا والتقديم بالوعيد في الدنيا والخصومة في الآخرة واجتماعهما في زمان واحد واجب **قلت** معناه ولا تختصموا وقد صح عندكم اني قدمت اليكم بالوعيد وصحة ذلك عندهم في الآخرة **فان قلت** كيف قال بظلام على لفظ المبالغة **قلت** فيه وجهان ان يكون من قولك هو ظالم لعبده وظلام لعبيده وان يراد لو عذبت من لا يستحق العذاب لكنت ظلاما مفرط الظلم فنفى ذلك يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد قرئ نقول بالنون والياء وعن سعيد بن جبير يوم يقول الله لجهنم وعن ابن مسعود والحسن يقال وانتصاب اليوم بظلام او بمضمر نحو اذكر وانذر ويجوز ان ينتصب بنفخ كانه قيل ونفخ في الصور يوم نقول لجهنم وعلى هذا يشار بذلك الى يوم نقول ولا يقدر حذف المضاف وسؤال جهنم وجوابها من باب التخييل الذي يقصد به تصوير المعنى في القلب وتبيينه وفيه معنيان احدهما انها تمتلئ مع اتساعها وتباعد اطرافها حتى لا يسعها شيء ولا يزاد على امتلائها كقوله لاملان جهنم والثاني انها من السعة بحيث يدخلها من يدخلها وفيها موضع للمزيد ويجوز ان يكون هل من مزيد استكثارا للداخلين فيها واستبعادا للزيادة عليهم لفرط كثرتهم او طلبا للزيادة غيظا على العصاة والمزيد اما مصدر كالمحيد والمميد واما اسم مفعول كالمبيع وازلفت الجنة للمتقين غير بعيد نصب على الظرف اي مكانا غير بعيد او على الحال وتذكيره لانه على زنة المصدر كالزئير والصليل والمصادر

يستوي

يستوي في الوصف بها المذكر والمؤنث او على حذف الموصوف اي شيئا غير بعيد ومعناه التوكيد كما تقول هو قريب غير بعيد وعزيز غير ذليل هذا ما توعدون لكل اواب حفيظ قرئ يوعدون بالتاء والياء وهي جملة اعتراضية ولكل اواب بدل من قوله للمتقين بتكرير الجار كقوله للذين استضعفوا لمن آمن منهم وهذا اشارة الى الثواب او الى مصدر ازلفت والاواب الرجاع الى ذكر الله والحفيظ الحافظ لحدوده من خشي الرحمن بدل بعد بدل تابع لكل ويجوز ان يكون بدلا عن موصوف اواب وحفيظ ولا يجوز ان يكون في حكم اواب وحفيظ لان من لا يوصف به ولا يوصف من بين الموصولات الا بالذي وحده ويجوز ان يكون مبتدأ خبره يقال لهم ادخلوها بسلام لان من في معنى الجمع ويجوز ان يكون منادى كقولهم من لا يزال محسنا احسن الي وحذف حرف النداء للتقريب بالغيب حال من المفعول اي خشيه وهو غائب لم يعرفه وكونه معاقبا الا بطريق الاستدلال او صفة لمصدر خشي اي خشيه خشية ملتبسة بالغيب حيث خشي عقابه وهو غائب او خشيه بسبب الغيب الذي اوعده به من عذابه وقيل في الخلوة حيث لا يراه احد **فان قلت** كيف قرن بالخشية اسمه الدال على سعة الرحمة **قلت** للثناء البليغ على الخاشي وهو خشيته مع علمه انه الواسع الرحمة كما اثنى عليه بانه خاش مع ان المخشي عنه غائب ونحوه والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة فوصفهم بالوجل مع كثرة الطاعات وجاء بقلب منيب وصف القلب بالانابة وهي الرجوع الى الله لان الاعتبار بما ثبت منها في القلب يقال لهم ادخلوها بسلام اي سالمين من العذاب وزوال النعم او مسلما عليكم يسلم عليكم الله وملائكته ذلك يوم الخلود اي يوم تقدير الخلود كقوله فادخلوها خالدين اي مقدرين الخلود لهم ما يشاؤون فيها ولدينا مزيد وهو ما لم يخطر ببالهم ولم تبلغه امانيهم حتى يشاؤوه وقيل ان السحاب يمر باهل الجنة فيمطرهم الحور فتقول نحن المزيد الذي قال الله عز وجل ولدينا مزيد وكم اهلكنا قبلهم من قرن هم اشد منهم بطشا فنقبوا وقرئ بالتخفيف فخرقوا في البلاد ودوخوا والتنقيب التنقير عن الامر والبحث والطلب قال الحارث بن حلزة

نقبوا في البلاد من حذر الموت وجالوا في الارض كل مجال ودخلت الفاء للتسبب عن قولهم
اشد منهم بطشا اى شدة بطشهم اقدرتهم على التنقيب وقوتهم عليه ويجوز ان يراد فنقب اهل
مكة في اسفارهم ومسايرهم في بلاد القرون فهل راوا لهم محيصا حتى يؤملوا مثله لانفسهم والدليل
على صحته قراءة من قرا فنقبوا على الامر كقوله فسيحوا في الارض وقرى بكسر القاف مخففة من
النقب وهو ان تنقب خف البعير قال ما مسها من نقب ولا دبر والمعنى فنقبت
اخفاف ابلهم او حفيت اقدامهم ونقبت كما تنقب اخفاف الابل لكثرة طرقهم في البلاد هل من
محيص من الله او من الموت ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب اى قلب واع لان من لا يعي
قلبه فكانه لا قلب له او القى السمع القاء السمع الاصغاء وهو شهيد اى حاضر بفطنته لان من لا
يحضر ذهنه فكانه غايب وقد ملح الامام عبد القاهر رحمه الله في قوله لبعض من ياخذ عنه
ما شئت من زهزهة والفتى بمصقلا باد لسقي الزروع او وهو مؤمن شاهد على صحته و
انه وحي من الله او وهو بعض الشهداء في قوله لتكونوا شهداء على الناس وعن قتادة وهو شاهد
على صدقه من اهل الكتاب لوجود نعته عنده وقرا السدي وجماعة القى السمع على البناء
للمفعول ومعناه لمن القى غيره السمع وفتح له اذنه فحسب ولم يحضر ذهنه وهو حاضر الذهن
متفطن وقيل القى سمعه او السمع منه ولقد خلقنا السماوات والارض وما بينهما في ستة
ايام وما مسنا من لغوب اللغوب الاعياء وقرى بالفتح بزنة القبول والولوع وقيل نزلت
في اليهود لعنت تكذيبا لقولهم خلق الله السماوات والارض في ستة ايام اولها الاحد واخرها
الجمعة واستراح يوم السبت واستلقى على العرش وقالوا ان الذي وقع من التشبيه في هذه
الامة انما وقع من اليهود ومنهم اخذ فاصبر على ما يقولون فاصبر على ما يقول اليهود وياتون
به من الكفر والتشبيه وقيل فاصبر على ما يقول المشركون من انكارهم البعث فان من قدر
على خلق العالم قدر على بعثهم والانتقام منهم وقيل هي منسوخة باية السيف وقيل الصبر
مامور به في كل حال وسبح بحمد ربك حامدا ربك والتسبيح محمول على ظاهره وعلى الصلوة فالصلوة

قبل

قبل طلوع الشمس وقبل الغروب ومن الليل فسبحه وادبار السجود بحمد ربك

قبل طلوع الشمس الفجر وقبل الغروب الظهر والعصر ومن الليل العشاآن وقيل التهجد
وادبار السجود التسبيح في آثار الصلوات والسجود والركوع يعبر بهما عن الصلوة وقيل
النوافل بعد المكتوبات وعن علي رضي الله عنه الركعتان بعد المغرب وروي عن النبي صلى الله
عليه وسلم من صلى بعد المغرب قبل ان يتكلم كتبت صلوته في عليين وعن ابن عباس رضي الله عنهما
الوتر بعد العشاء والادبار جمع دبر وقرى وادبار من ادبرت الصلوة اذا انقضت وتمت
ومعناه وقت انقضاء السجود كقولهم آتيك خفوق النجم واستمع يوم ينادي المنادي يعني واستمع
لما اخبرك به من حال يوم القيامة وفي ذلك تهويل وتعظيم لشان المخبر به والمحدث عنه كما يروى
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال سبعة ايام لمعاذ بن جبل يا معاذ اسمع ما اقول لك ثم
حدثه بعد ذلك فان قلت بم انتصب اليوم قلت بما دل عليه ذلك يوم الخروج اى يوم
ينادي المنادي يخرجون من القبور ويوم يسمعون بدل من ينادي والمنادي اسرافيل ينفخ في
الصور وينادي ايتها العظام البالية والاوصال المتقطعة واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة
ان الله يامركن ان تجتمعن لفصل القضاء وقيل اسرافيل عليه السلام ينفخ وجبريل عليه السلام ينادي
بالحشر من مكان قريب من صخرة بيت المقدس وهي اقرب الارض من السماء باثني عشر ميلا
وهي وسط الارض وقيل من تحت اقدامهم وقيل من منابت شعورهم يسمع من كل
شعرة ايتها العظام البالية يوم يسمعون الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج الصيحة النفخة
الثانية وبالحق متعلق بالصيحة والمراد به البعث والحشر للجزاء انا نحن نحيي ونميت
والينا المصير يوم تشقق الارض منهم قرى تشقق وتشقق بادغام التاء في الشين وتشقق
على البناء للمفعول وتنشق مراعا حال من المجرور ذلك حشر علينا يسير تقديم الظرف
يدل على الاختصاص يعني لا يتيسر مثل ذلك الامر العظيم الا على القادر الذات الذي لا يشغله
شان عن شان كما قال ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة نحن اعلم بما يقولون تهديد لهم
وتسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وما انت عليهم بجبار كقوله بمسيطر حتى تقسرهم على

الامان انما انت داع وباعث وقيل اريد التحلم عنهم وترك الغلظة عليهم ويجوز ان يكون من جبره على الامر بمعنى اجبره اى ما انت بوال عليهم تجبرهم على الايمان وعلى بمنزلته في قولك هو عليهم اذا كان واليهم ومالك امرهم فذكر بالقرآن من يخاف وعيد كقوله انما انت منذر من يخشاها لانه لا ينفع الا فيه دون المصر على الكفر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة ق هون الله عليه تارات الموت وسكراته

سورة الذاريات مكية وهي ستون اية

بسم الله الرحمن الرحيم والذاريات ذروا الرياح لانها تذرو التراب وغيره قال الله تعالى تذروه الرياح وقرئ بادغام التاء في الذال فالحاملات وقرا السحاب لانها تحمل المطر وقرئ وقرا بفتح الواو على تسمية المحمول بالمصدر او على ايقاعه موقع حملا فالجاريات يسرا الفلك ومعنى يسرا جريا ذا يسر اى ذا سهولة فالمقسمات امرا الملائكة لانها تقسم الامور من الامطار والارزاق وغيرها او تفعل التقسيم مامورة بذلك وعن مجاهد تتولى تقسيم امر العباد جبريل للغلظة وميكائيل للرحمة وملك الموت لقبض الارواح واسرافيل للنفخ وعن علي رضي الله عنه انه قال وهو على المنبر سلوني قبل ان لا تسالوني ولن تسالوا بعدي مثلي فقام ابن الكواء فقال ما الذاريات قال الرياح قال فالحاملات وقرا قال السحاب قال فالجاريات يسرا قال الفلك قال فالمقسمات امرا قال الملائكة وكذا عن ابن عباس رضي الله عنهما وعن الحسن المقسمات السحاب يقسم الله بها ارزاق العباد وقد حملت على الكواكب السبعة ويجوز ان يراد الرياح لا غير لانها تنشئ السحاب وتقله وتصرفه وتجري في الجو جريا سهلا وتقسم الامطار بتصريف السحاب فان قلت ما معنى الفاء على التفسيرين قلت اما على الاول فمعنى التعقيب فيها انه اقسم بالرياح فبالسحاب الذي تسوقه فبالفلك التي تجريها بهبوبها فبالملائكة التي تقسم الارزاق باذن الله من الامطار وتجارات البحر ومنافعها واما على الثاني فلانها تبتدئ في الهبوب فتذرو التراب والحصباء فتقل

فتقل السحاب فتجري في الجو باسطة فتقسم المطر انما توعدون لصادق جواب القسم وما موصولة او مصدرية والموعود البعث ووعد صادق كعيشة راضية وان الدين لواقع الدين الجزاء والواقع الحاصل والسماء ذات الحبك الطرائق مثل حبك الرمل والماء اذا ضربته الريح وكذلك حبك الشعر آثار تثنيه وتكسره قال زهير مكلل باصول النجم تنسجه ريح خريق لضاحي مائه حبك والدرع محبوكة لان حلقها مطرق طرائق ويقال ان خلقة السماء كذلك وعن الحسن حبكها نجومها والمعنى انها تزينها كما تزين الموشي طرائق الوشي وقيل حبكها صفاقتها واحكامها من قولهم فرس محبوك المعاقم اى محكمها واذا اجاد الحائك الحياكة قالوا ما احسن حبكه وهي جمع حباك كمثال ومثل او حبيكة كطريقة وطرق وقرئ الحبك بوزن القفل والحبك بوزن السلك والحبك بوزن الجبل والحبك بوزن البرق والحبك بوزن النعم والحبك بوزن الابل انكم لفي قول مختلف قولهم في الرسول ساحر وشاعر ومجنون وفي القرآن شعر وسحر واساطير الاولين وعن الضحاك قول الكفرة لا يكون مستويا انما هو متناقض مختلف وعن قتادة منكم مصدق ومكذب ومقر ومنكر يؤفك عنه الضمير للقرآن او الرسول اى يصرف عنه من صرف الصرف الذي لا صرف اشد منه واعظم كقوله لا يهلك على الله الا هالك وقيل يصرف عنه من صرف في سابق علم الله اى علم فيما لم يزل انه مافوك عن الحق لا يرعوي ويجوز ان يكون الضمير لما توعدون او للدين اقسم بالذاريات على ان وقوع امر القيامة حق ثم اقسم بالسماء على انهم في قول مختلف في وقوعه فمنهم شاك ومنهم جاحد ثم قال يؤفك عن الاقرار بامر القيامة من هو المافوك ووجه آخر وهو ان يرجع الضمير الى قول مختلف وعن مثله في قوله ينهون عن اكل وعن شرب اى يتناهون في السمن بسبب الاكل والشرب وحقيقته يصدر تناهيهم في السمن عنهما وكذلك يصدر افكهم عن القول المختلف وقرا سعيد بن جبير يؤفك عنه من افك على البناء للفاعل اى من افك الناس عنه وهم قريش وذلك ان الحي كانوا يبعثون الرجل ذا العقل والراي ليسال

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون احذره فيرجع فيخبرهم وعن زيد بن علي رضي الله عنهما
يأفك عنه من أفك اي يصرف الناس عنه من هو مأفوك في نفسه وعنه ايضا يأفك عنه من
أفك اي يصرف الناس عنه من هو افاك كذاب وقرئ يؤفن عنه من أفن اي يحرمه من حرم
من أفن الضرع اذا نهكه حلبا قتل الخراصون دعاء عليهم كقوله قتل الانسان ما اكفره واصله
الدعاء بالقتل والهلاك ثم جرى مجرى لعن وقبح والخراصون الكذابون المقدرون ما لا يصح
وهم اصحاب القول المختلف واللام اشارة اليهم كانه قيل قتل هؤلاء الخراصون وقرئ قتل
الخراصين اي قتل الله الذين هم في غمرة في جهل يغمرهم ساهون غافلون عما امروا به يسألون
فيقولون ايان يوم الدين اي متى يوم الجزاء وقرئ بكسر الهمزة وهي لغة فان قلت كيف وقع
ايان ظرفا لليوم وانما يقع الاحيان ظروفا للحدثان قلت معناه ايان وقوع يوم الدين
فان قلت فبم انتصب اليوم الواقع في الجواب قلت بفعل مضمر دل عليه السؤال
اي يقع يوم هم على النار يفتنون ويجوز ان يكون مفتوحا لاضافته الى غير متمكن وهو الجملة فان
قلت فما محله مفتوحا قلت يجوز ان يكون محله منصوبا بالمضمر الذي هو يقع ورفعا
على هو يوم هم على النار يفتنون وقراءة ابن ابي عبلة بالرفع يفتنون يحرقون ويعذبون ومنه
الفتين وهي الحرة لان حجارتها كانها محرقة ذوقوا فتنتكم في محل الحال اي مقولا لهم هذا القول
هذا مبتدأ والذي خبره اي هذا العذاب هو الذي كنتم به تستعجلون ويجوز ان يكون هذا بدلا
من فتنتكم اي ذوقوا هذا العذاب ان المتقين في جنات وعيون آخذين ما آتاهم ربهم
لكل ما اعطاهم راضين به يعني انه ليس فيما آتاهم الا ما هو متلقى بالقبول مرضي غير مسخوط
لان جميعه حسن طيب ومنه قوله تعالى ويأخذ الصدقات اي يقبلها ويرضاها انهم كانوا قبل
ذلك محسنين قد احسنوا اعمالهم وتفسير احسانهم ما بعده كانوا قليلا من الليل ما يهجعون ما مزيدة
والمعنى كانوا يهجعون في طائفة قليلة من الليل ان جعلت قليلا ظرفا ولك ان تجعله صفة للمصدر
اي كانوا يهجعون هجوعا قليلا ويجوز ان يكون ما مصدرية او موصولة على كانوا قليلا من الليل هجوعهم

او ما يهجعون فيه وارتفاعه بقليلا على الفاعلية وجه مبالغة لفظ الهجوع وهو الفرار
من النوم قال قد حصت البيضة رأسي فما اطعم نوما غير تهجاع وقوله قليلا ومن الليل
لان الليل وقت السبات والراحة وزيادة ما المؤكدة لذلك وبالاسحار هم يستغفرون وصفهم بانهم
يحيون الليل متهجدين فاذا اسحروا اخذوا في الاستغفار كانهم اسلفوا في ليلهم الجرائم وقوله وهم يستغفرون
فيه انهم هم المستغفرون الاحقاء بالاستغفار دون المصرين وكانهم المختصون به لاستدامتهم له
واطنابهم فيه فان قلت هل يجوز ان يكون ما نافية كما قال بعضهم وان يكون المعنى انهم لا
يهجعون من الليل قليلا ويحيونه كله قلت لا لان ما النافية لا تعمل ما بعدها فيما قبلها
تقول زيدا لم اضرب ولا تقول زيدا ما ضربت وفي اموالهم حق للسائل والمحروم السائل الذي
يستجدي والمحروم الذي يحسب غنيا فيحرم الصدقة لتعففه وعن النبي صلى الله عليه وسلم
ليس المسكين الذي ترده الاكلة والاكلتان والتمرة والتمرتان قالوا فما هو قال الذي لا يجدي
ولا يتصدق عليه وقيل الذي لا ينمى له مال وقيل المحارف الذي لا يكاد يكسب وفي الارض
آيات تدل على الصانع وقدرته وحكمته وتدبيره حيث هي مدحوة كالبساط لما فوقها كما قال الذي
جعل لكم الارض مهادا وفيها المسالك والفجاج للمتقلبين فيها والماشين في مناكبها وهي مجزأة
فمن سهل وجبل وبر وبحر وقطع متجاورات من صلبة ورخوة وعذاة وسبخة وهي
كالطروقة تلقح بالوان النبات وانواع الاشجار بالثمار المختلفة الالوان والطعوم والروائح
تسقى بماء واحد وتفضل بعضها على بعض في الاكل وكلها موافقة لحوائج ساكنيها ومنافعهم
ومصالحهم في صحتهم واعتلالهم وما فيها من العيون المنفجرة والمعادن المفتنة والدواب
المنبثة في برها وبحرها المختلفة الصور والاشكال والافعال من الوحشي والانسي والهوام
وغير ذلك للموقنين للموحدين الذين سلكوا الطريق السوي البرهاني الموصل الى المعرفة
فهم نظارون بعيون باصرة وافهام نافذة كلما راوا آية عرفوا وجه تأملها فازدادوا ايمانا مع
ايمانهم وايقانا الى ايقانهم وفي انفسكم في حال ابتدائها وتنقلها من حال الى حال وفي بواطنها

وفطرها عليها من عجائب الفطر وبدائع الخلق ما تتحير فيه الأذهان وحسبك بالقلوب وما ركز فيها من
العقول وخصت به من أصناف المعاني وبالألسن والنطق ومخارج الحروف وما في تركيبها و
ترتيبها ولطائفها من الآيات الساطعة والبينات القاطعة على حكمة المدبر دع الأسماع والأبصار
والأطراف وسائر الجوارح وتأتيها لما خلقت له وما سوى في الأعضاء من المفاصل للانعطاف
والتثني فإنه إذا جسا شيء منها جاء العجز وإذا استرخى أناخ الذل فتبارك الله أحسن الخالقين
أفلا تبصرون وفي السماء رزقكم هو المطر لأنه سبب الأقوات وعن سعيد بن جبير هو الثلج وكل عين
أي أفلا تتفكرون
دائمة منه وعن الحسن أنه كان إذا رأى السحاب قال لأصحابه فيه والله رزقكم ولكنكم تحرمونه
بخطاياكم وما توعدون الجنة هي على ظهر السماء السابعة تحت العرش أو أراد أن ما ترزقونه في الدنيا
وما توعدونه في العقبى كله مقدور مكتوب في السماء فورب السماء والأرض إنه لحق مثل ما
أنكم تنطقون قرئ مثل ما بالرفع صفة للحق أي حق مثل نطقكم وبالنصب على إنه لحق حقا
ومن قرأ بالنصب فهو على معنى التوكيد
مثل نطقكم ويجوز أن يكون فتحا لإضافته إلى غير متمكن وما مزيدة بنص الخليل وهذا كقول
الناس إن هذا الحق كما أنك ترى وتسمع ومثل ما أنك ههنا وهذا الضمير إشارة إلى ما ذكر من
أمر الآيات والرزق وأمر النبي صلى الله عليه وسلم أو إلى ما توعدون وعن الأصمعي أقبلت من
جامع البصرة فطلع أعرابي على قعود فقال من الرجل قلت من بني أصمع قال من أين أقبلت
قلت من موضع يتلى فيه كلام الرحمن قال اتل علي فتلوت والذاريات فلما بلغت قوله وفي
السماء رزقكم قال حسبك فقام إلى ناقته فنحرها ووزعها على من أقبل وأدبر وعمد إلى
سيفه وقوسه فكسرهما وولى فلما حججت مع الرشيد طفقت أطوف فإذا أنا بمن يهتف بي
بصوت رقيق فالتفت فإذا أنا بالأعرابي قد نحل واصفر فسلم علي واستقرأ السورة
فلما بلغت الآية صاح وقال قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا ثم قال وهل غير هذا فقرأ فورب السماء
والأرض إنه لحق مثل ما فصاح وقال يا سبحان الله من أغضب الجليل حتى حلف لم يصدقوه
بقوله حتى ألجأوه إلى اليمين قالها ثلاثا وخرجت معها نفسه هل أتاك حديث ضيف ابرهيم
المكرمين

١٢٧

المكرمين هل أتاك تفخيم للحديث وتنبيه على أنه ليس من علم رسول الله صلى الله عليه وسلم
وإنما عرفه بالوحي والضيف للواحد والجماعة كالزور والصوم لأنه في الأصل مصدر ضافه
وكانوا اثني عشر ملكا وقيل تسعة عاشرهم جبريل وقيل ثلاثة جبريل وميكائيل وملك معهما
وجعلهم ضيفا لأنهم كانوا في صورة الضيف حيث أضافهم ابرهيم أو لأنهم كانوا في حسبانه
كذلك وإكرامهم أن ابرهيم خدمهم بنفسه وأخدمهم امرأته وعجل لهم القرى أو أنهم في أنفسهم
مكرمون قال الله تعالى بل عباد مكرمون إذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال سلام سلاما مصدر
أي سلموا عليه فرد عليهم السلام
ساد مسد الفعل مستغنى به عنه وأصله نسلم عليكم سلاما وأما سلام فمعدول به إلى
الرفع على الابتداء وخبره محذوف معناه عليكم سلام للدلالة على ثبات السلام كأنه قصد
أن يحييهم بأحسن مما حيوه به أخذا بأدب الله وهذا أيضا من إكرامه لهم وقرئا مرفوعين
وقرئ سلاما قال سلما والسلم السلام وقرئ سلاما قال سلم قوم منكرون أنكرهم للسلام
الذي هو علم الإسلام أو أراد أنهم ليسوا من معارفه أو من جنس الناس الذين عهدهم كما
لو أبصر العرب قوما من الخزر أو رأى لهم حالا وشكلا خلاف حال الناس وشكلهم أو كان
هذا سؤالا لهم كأنه قال أنتم قوم منكرون فعرفوني من أنتم فراغ إلى أهله فذهب إليهم في خفية
أي مال وقيل عمد وقيل عدل
من ضيوفه ومن أدب المضيف أن يخفي أمره وأن يبادره بالقرى من غير أن يشعر به الضيف
حذرا من أن يكفه ويعذره قال قتادة كان عامة مال نبي الله ابرهيم عليه السلم البقر فجاء بعجل سمين
فقربه إليهم قال ألا تأكلون الهمزة للإنكار أنكر عليهم ترك الأكل أو حثهم عليه فأوجس منهم
خيفة فأضمر وإنما خافهم لأنهم لم يتحرموا بطعامه فظن أنهم يريدون به سوءا وعن ابن عباس
رضي الله عنهما وقع في نفسه أنهم ملائكة أرسلوا للعذاب وعن عون بن شداد مسح جبريل
العجل بجناحه فقام يدرج حتى لحق بأمه قالوا لا تخف وبشروه بغلام عليم أي يبلغ ويعلم
يعني لما رآه يخاف قالوا لا تخف يعني لا تخش منا
وعن الحسن عليم نبي والمبشر به إسحق وهو أكثر الأقاويل وأصحها لأن الصفة صفة سارة
لا هاجر وهي امرأة ابرهيم وهو بعلها وعن مجاهد هو إسمعيل فأقبلت امرأته في صرة
أي أخذت امرأته

في صيحة من صرّ الجندب وصرّ القلم والباب ومحله النصب على الحال اى فجاءت صارّة
قال الحسن اقبلت الى بيتها وكانت في زاوية تنظر اليهم لانها وجدت حرارة الدم فلطمت
وجهها من الحياء وقيل فاخذت في صرة كما تقول اقبل يشتمني وقيل صرتها قولها
اوّه وقيل يا ويلتى وعن عكرمة رنتها فصكت وجهها فلطمت ببسط يديها وقيل
فضربت باطراف اصابعها جبهتها فعل المتعجب وقالت عجوز انا عجوز عقيم فكيف الد
كذلك قال ربك انه هو الحكيم العليم كذلك مثل ذلك الذي قلنا واخبرنا به قال ربك
انما نخبرك عن الله والله قادر على ما تستبعدين وروى ان جبريل قال لها انظرى الى
سقف بيتك فنظرت فاذا جذوعه مورقة مثمرة قال فما خطبكم ايها المرسلون اى فما
شانكم وما طلبكم وقالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين الى قوم لوط لنرسل عليهم حجارة من طين
يريد السجيل وهي طين طبخ كما يطبخ الآجر حتى صار في صلابة الحجارة مسومة معلمة
من السومة وهي العلامة على كل واحد منها اسم من يهلك به وقيل اعلمت بانها من حجارة
العذاب وقيل بعلامة تدل انها ليست من حجارة الدنيا عند ربك للمسرفين سماهم مسرفين كما
سماهم عادين لاسرافهم وعدوانهم في عملهم حيث لم يقنعوا بما ابيح لهم فاخرجنا من كان فيها
من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين الضمير في فيها للقرية ولم يجر
لها ذكر لكونها معلومة وفيه دليل على ان الايمان والاسلام واحد وانهما صفتا مدح قيل
هم لوط وابنتاه وقيل كان لوط واهل بيته الذين نجوا ثلثة عشر وعن قتادة لو كان فيها
اكثر من ذلك لانجاهم ليعلموا ان الايمان محفوظ لا ضيعة على اهله عند الله وتركنا فيها
آية للذين يخافون العذاب الاليم آية علامة يعتبر بها الخائفون دون القاسية قلوبهم قال ابن
جريج هي صخر منضود فيها وقيل ماء اسود منتن وفي موسى اذ ارسلناه الى فرعون
بسلطان مبين وفي موسى معطوف على وفي الارض آيات او على قوله وتركنا فيها آية على معنى
وجعلنا في موسى آية كقوله علفتها تبنا وماء باردا فتولى بركنه فازور واعرض كقوله
ونأى

ونأى بجانبه وقيل فتولى بما كان يتقوى به من جنوده وملكه وقرئ بركنه بضم الكاف وقال
ساحر اى هو ساحر او مجنون فاخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم وهو مليم آت بما يلام عليه
من كفره وعناده والجملة مع الواو حال من الضمير في فاخذناه فان قلت كيف وصف نبي
الله يونس عليه السلام بما وصف به فرعون في قوله فالتقمه الحوت وهو مليم قلت موجبات
اللوم تختلف وعلى حسب اختلافها تختلف مقادير اللوم فراكب الكبيرة ملوم على مقدارها
وكذلك مقترف الصغيرة الا ترى الى قوله وعصوا رسله وعصى آدم ربه لان الكبيرة والصغيرة
يجمعهما اسم العصيان كما يجمعهما اسم القبيح والسيئة وفي عاد اذ ارسلنا عليهم الريح العقيم
التي لا خير فيها من انشاء مطر او القاح شجر وهي ريح الهلاك واختلف فيها فعن علي
رضي الله عنه النكباء وعن ابن عباس رضي الله عنهما الدبور وعن ابن المسيب الجنوب ما
تذر من شيء اتت عليه الا جعلته كالرميم كل ما رمّ اى بلى وتفتت من عظم او نبات او غير
ذلك وفي ثمود اذ قيل لهم تمتعوا حتى حين تفسيره قوله تمتعوا في داركم ثلثة ايام فعتوا عن
امر ربهم فاستكبروا عن امتثاله فعتوا عن امر ربهم فاخذتهم الصاعقة وقرئ الصعقة وهي
المرة من مصدر صعقتهم الصاعقة والصاعقة النازلة نفسها وهم ينظرون كانت نهارا يعاينونها
وروى ان العمالقة كانوا معهم في الوادي ينظرون اليهم وما ضرتهم فما استطاعوا من قيام
كقوله فاصبحوا في دارهم جاثمين وقيل هو من قولهم ما يقوم به اذا عجز عن دفعه وما كانوا منتصرين
ممتنعين من العذاب وقوم نوح من قبل انهم كانوا قوما فاسقين وقوم قرئ بالجر على معنى
وفي قوم نوح وتقويه قراءة عبد الله وفي قوم نوح وبالنصب على معنى واهلكنا قوم نوح لان ما
قبله يدل عليه او واذكر قوم نوح والسماء بنيناها بايد بقوة والايد والآد القوة وقد آد
يئيد وهو ائد وانا لموسعون لقادرون من الوسع وهو الطاقة والموسع القوي على الانفاق
وعن الحسن لموسعون الرزق بالمطر وقيل جعلنا بينها وبين الارض سعة والارض فرشناها
فنعم الماهدون فنعم الماهدون نحن ومن كل شيء اى من كل شيء من الحيوان خلقنا زوجين

ذكرا وانثى وعن الحسن السماء والارض والليل والنهار والشمس والقمر والبر والبحر
والموت والحيوة فعدد اشياء وقال كل اثنين منها زوج والله تعالى فرد لا مثل له لعلكم تذكرون
اى فعلنا ذلك كله من بناء السماء وفرش الارض وخلق الازواج ارادة ان تتذكروا فتعرفوا
الخالق وتعبدوه ففروا الى الله الى طاعته وثوابه من معصيته وعقابه ووحدوه ولا تشركوا
به وكرر قوله انى لكم منه نذير مبين ولا تجعلوا مع الله الها اخر انى لكم منه نذير مبين كرر قوله
انى لكم منه نذير مبين عند الامر بالطاعة والنهى عن الشرك ليعلم ان الايمان لا ينفع الا مع العمل
كما ان العمل لا ينفع الا مع الايمان وانه لا يفوز عند الله الا الجامع بينهما الا ترى الى قوله لا
ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل او كسبت فى ايمانها خيرا والمعنى قل يا محمد ففروا الى الله
كذلك ما اتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر او مجنون كذلك الامر مثل ذلك وذلك
اشارة الى تكذيبهم الرسول وتسميته ساحرا ومجنونا ثم فسر ما اجمل بقوله ما اتى ولا يصح ان يكون
الكاف منصوبة باتى لان ما النافية لا تعمل ما بعدها فيما قبلها ولو قيل لم يات لكان صحيحا على
معنى مثل ذلك الاتيان لم يات من قبلهم رسول الا قالوا اتواصوا به الضمير للقول يعنى اتواصى
الاولون والاخرون بهذا القول حتى قالوه جميعا متفقين عليه بل هم قوم طاغون اى لم يتواصوا
به لانهم لم يتلاقوا فى زمان واحد بل جمعتهم العلة الواحدة وهى الطغيان والطغيان هو الحامل عليه
فتول عنهم فاعرض عن الذين كررت عليهم الدعوة فلم يجيبوا وعرفت منهم العناد واللجاج فما
انت بملوم فلا لوم عليك فى اعراضك بعد ما بلغت الرسالة وبذلت مجهودك فى البلاغ والدعوة وذكر
ولا تدع التذكير والموعظة بايام الله فان الذكرى تنفع المؤمنين اى تؤثر فى الذين عرف الله منهم
انهم يدخلون فى الايمان او تزيد الداخلين فيه ايمانا وروى انه لما نزلت فتول عنهم حزن رسول
الله صلى الله عليه وسلم واشتد ذلك على اصحابه وراوا ان الوحى قد انقطع وان العذاب قد حضر
فانزل الله وذكر وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون اى وما خلقت الجن والانس الا لاجل العبادة
ولم ارد من جميعهم الا اياها فان قلت لو كان مريدا للعبادة منهم لكانوا كلهم عبادا قلت

انما

انما اراد منهم ان يعبدوه مختارين للعبادة لا مضطرين اليها لانه خلقهم ممكنين فاختار بعضهم ترك
العبادة مع كونه مريدا لها ولو ارادها على القسر والالجاء لوجدت من جميعهم ما اريد منهم من رزق
وما اريد ان يطعمون ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين يعنى ان شانى مع عبادى ليس كشان
السادة مع عبيدهم فان ملاك العبيد انما يملكونهم ليستعينوا بهم فى تحصيل معايشهم وارزاقهم فاما
مجهز فى تجارة ليفى ربحا او مرتب فى فلاحة ليغتل ارضا او مسلم فى حرفة لينفع ما جرته او محتطب
او محتش او مستق او طابخ او خابز وما اشبه ذلك من الاعمال والمهن التى هى تصرف فى اسباب
المعيشة وابواب الرزق فاما مالك ملك العبيد وقال لهم استغلوا بما يسعدكم فى انفسكم ولا اريد
ان اصرفكم فى تحصيل رزقى ولا رزقكم وانا غنى عنكم وعن مرافقكم ومتفضل عليكم برزقكم
وبما يصلحكم ويعيشكم من عندى فما هو الا انا وحدى المتين الشديد القوة قرئ بالرفع صفة
لذو وبالجر صفة للقوة على تاويل الاقتدار والمعنى فى وصفه بالقوة والمتانة انه القادر البليغ
الاقتدار على كل شئ وقرئ الرازق وفى قراءة النبى صلى الله عليه وسلم انى انا الرازق فان للذين
ظلموا ذنوبا مثل ذنوب اصحابهم فلا يستعجلون الذنوب الدلو العظيمة وهذا تمثيل اصله فى
السقاة يتقسمون الماء فيكون لهذا ذنوب ولهذا ذنوب قال لنا ذنوب ولكم ذنوب
فان ابيتم فلنا القليب ولما قال عمرو بن شاس وفى كل حى قد خبطت بنعمة
فحق لشاس من نداك ذنوب قال الملك نعم واذنبة والمعنى فان للذين ظلموا رسول الله صلى
الله عليه وسلم بالتكذيب من اهل مكة لهم نصيب من عذاب الله مثل نصيب اصحابهم ونظرائهم
من القرون وعن قتادة سجلا من عذاب الله مثل سجل اصحابهم فويل للذين كفروا من يومهم
الذى يوعدون من يومهم من يوم القيامة وقيل من يوم بدر عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم من قرا سورة والذاريات اعطاه الله تعالى عشر حسنات بعدد كل ريح
هبت وجرت فى الدنيا

سورة الطور مكية وهى تسع واربعون وقيل ثمان واربعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم والطور وكتاب مسطور في رق منشور

الطور الجبل الذي كلم الله عليه موسى صلوات الله عليه وهو بمدين والكتاب المسطور في
الرق المنشور والرق الصحيفة وقيل الجلد الذي يكتب فيه الكتاب الذي يكتب فيه
الاعمال قال الله تعالى ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا وقيل هو ما كتبه الله
لموسى وهو يسمع صرير القلم وقيل اللوح المحفوظ وقيل القرآن ونكر لانه كتاب مخصوص
من بين جنس الكتب كقوله ونفس وما سويها والبيت المعمور الضراح في السماء الرابعة وعمرانه
كثرة غاشيته من الملائكة وقيل الكعبة لكونها معمورة بالحجاج والعمار والمجاورين و
السقف المرفوع السماء والبحر المسجور المملوء وقيل الموقد من قوله واذا البحار سجرت
وروي ان الله تعالى يجعل يوم القيامة البحار كلها نارا تسجر بها نار جهنم وعن علي رضي الله
عنه انه سأل يهوديا اين موضع النار في كتابكم قال في البحر قال علي رضي الله عنه ما اراه
الا صادقا لقوله والبحر المسجور ان عذاب ربك لواقع لنازل قال جبير بن مطعم رضي الله عنه
اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم اكلمه في الاسارى فالفيته في صلوة الفجر يقرأ سورة
الطور فلما بلغ الى عذاب ربك لواقع اسلمت خوفا من ان ينزل العذاب يوم تمور السماء
مورا تمور تضطرب وتجيء وتذهب وقيل المور تحرك في تموج وهو الشيء يتردد في عرض
كالداغصة في الركبة وتسير الجبال سيرا فويل يومئذ للمكذبين الذين هم في خوض يلعبون
غلب الخوض في الاندفاع في الباطل والكذب ومنه قوله وكنا نخوض مع الخائضين ويهزؤن
خضتم كالذي خاضوا يوم يدعون الى نار جهنم دعا الدع الدفع العنيف وذلك ان خزنة
النار يغلون ايديهم الى اعناقهم ويجمعون نواصيهم الى اقدامهم ويدفعونهم الى النار دفعا
على وجوههم وزخا في اقفيتهم وقرأ زيد بن علي رضي الله عنهما يدعون من الدعاء اي يقال
لهم هلموا الى النار وادخلوا النار دعا مدعوعين يقال لهم هذه النار التي كنتم بها
تكذبون افسحر هذا يعني كنتم تقولون هذا سحر افسحر هذا يريد اهذا المصداق ايضا

ودخلت

دخلت الفاء لهذا المعنى ام انتم لا تبصرون كما كنتم لا تبصرون في الدنيا يعني ام انتم عمي عن المخبر
عنه كما كنتم عميا عن الخبر وهذا تقريع وتهكم اصلوها فاصبروا او لا تصبروا سواء عليكم سواء
خبره محذوف اي سواء عليكم الامران الصبر وعدمه فان قلت لم علل استواء الصبر وعدمه
بقوله انما تجزون ما كنتم تعملون قلت لان الصبر انما يكون له مزية على الجزع لنفعه في
العاقبة بان يجازى عليه الصابر جزاء الخير فاما الصبر على العذاب الذي هو الجزاء فلا عاقبة
له ولا منفعة فلا مزية له على الجزع ان المتقين في جنات ونعيم في اية جنات واي نعيم بمعنى الكمال
في الصفة او في جنات ونعيم مخصوصة بالمتقين خلقت لهم خاصة وقرئ فاكهين وفكهين و
فاكهون من نصبه حالا جعل الظرف مستقرا ومن رفعه خبرا جعل الظرف لغوا اي متلذذين
بما آتاهم ربهم فان قلت علام عطف قوله ووقاهم ربهم قلت على قوله في جنات
او على آتاهم ربهم على ان تجعل ما مصدرية والمعنى فاكهين بايتائهم ربهم ووقايتهم عذاب الجحيم
ويجوز ان يكون الواو للحال وقد بعدها مضمرة كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون يقال لهم كلوا
واشربوا اكلا وشربا هنيئا او طعاما وشرابا هنيئا وهو الذي لا تنغيص فيه ويجوز ان يكون مثله في
قوله هنيئا مريئا غير داء مخامر لعزة من اعراضنا ما استحلت اعني صفة استعملت استعمال
المصدر القائم مقام الفعل مرتفعا به ما استحلت كما يرتفع بالفعل كانه قيل هنأ عزة المستحل
من اعراضنا وكذلك معنى هنيئا ههنا هناكم الاكل والشرب او هناكم ما كنتم تعملون و
الباء مزيدة كما في كفى بالله والباء متعلقة بكلوا واشربوا اذا جعلت الفاعل الاكل والشرب
متكئين على سرر مصفوفة وزوجناهم بحور عين وقرئ بعيس عين والذين آمنوا معطوف
على حور عين اي قرناهم بالحور وبالذين آمنوا اي بالرفقاء والجلساء منهم كقوله اخوانا
على سرر متقابلين فيتمتعون تارة بملاعبة الحور وتارة بمؤانسة الاخوان المؤمنين واتبعناهم
ذرياتهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يرفع ذرية المؤمن في درجته وان كانوا
دونه لتقر بهم عينه ثم تلا هذه الآية فيجمع الله لهم انواع السرور بسعادتهم في انفسهم وبمزاوجة

للحور العين وبمؤانسة الاخوان المؤمنين وباجتماع اولادهم ونسلهم ثم قال بايمان الحقنا بهم
ذرياتهم اى بسبب ايمان عظيم رفيع المحل وهو ايمان الاباء الحقنا بدرجاتهم ذريتهم وان كانوا لا يستاهلونها
تفضلا عليهم وعلى ابائهم لنتم سرورهم ونكمل نعمتهم **فان قلت** ما معنى تنكير الايمان **قلت**
معناه الدلالة على انه ايمان خاص عظيم المنزلة ويجوز ان يراد ايمان الذرية الدانى المحل كانه قال بشىء
من الايمان لا يؤهلهم لدرجة الاباء الحقناهم بهم وقرئ واتبعتهم ذريتهم واتبعتهم ذريتهم وذرياتهم
وقرئ ذرياتهم بكسر الذال ووجه اخر وهو ان يكون والذين امنوا مبتدا خبره بايمان الحقنا
بهم ذرياتهم وما بينهما اعتراض وما التناهم وما نقصناهم يعنى وفرنا عليهم جميع ما ذكرنا من الثواب
والتفضل وما نقصناهم من ثواب عملهم من شىء وقيل معناه وما نقصناهم من ثوابهم شيئا نعطيه
الابناء حتى يلحقوا بهم انما الحقناهم بهم على سبيل التفضل قرئ التناهم وهو من بابين من الت
يالت ومن لات يليت كاماتَ يميت وآلتناهم من آلت يولت كآمن يؤمن ولتناهم من
لات يليت وولتناهم من ولت يلت ومعناهن واحد كل امرئ بما كسب رهين اى مرهون كان
نفس العبد رهن عند الله بالعمل الصالح الذى هو مطالب به كما يرهن الرجل عبده بدين عليه
فان عمل صالحا فكها وخلصها والا اوبقها وامددناهم وزدناهم فى وقت بعد وقت بفاكهة ولحم
مما يشتهون يتنازعون يتعاطون ويتعاورون هم وجلساؤهم من اقربائهم واخوانهم كاسا
خمرا لا لغو فيها فى شربها ولا تاثيم اى لا يتكلمون فى اثناء الشرب بسقط الحديث وما لا طائل تحته
كفعل المتنادمين فى الدنيا على الشراب فى سفههم وعربدتهم ولا يفعلون ما يؤثم به فاعله اى
ينسب الى الاثم لو فعله فى دار التكليف من الكذب والشتم والفواحش وانما يتكلمون بالحكم
والكلام الحسن متلذذين بذلك لان عقولهم ثابتة غير زائلة وهم حكماء علماء وقرئ لا لغو
ولا تاثيم ويطوف عليهم غلمان لهم اى مملوكون لهم مخصوصون بهم كانهم لؤلؤ مكنون فى الصدف لانه
رطبا احسن واصفى او مخزون لانه لا يخزن الا الثمين الغالى القيمة وقيل لقتادة هذا الخادم
فكيف المخدوم فقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده ان فضل المخدوم على الخادم
كفضل

كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وقال عليه السلام ان ادنى اهل الجنة منزلة من ينادى
الخادم من خدامه فيجيبه الف ببابه لبيك لبيك واقبل بعضهم على بعض يتساءلون يتحادثون ويسال
بعضهم بعضا عن احواله واعماله وما استوجب به نيل ما عند الله قالوا انا كنا قبل فى اهلنا
مشفقين ارقاء القلوب من خشية الله فمن الله علينا ووقانا وقرئ ووقانا بالتشديد عذاب
السموم عذاب النار ووهجها ولفحها والسموم الريح الحارة التى تدخل المسام فسميت بها نار جهنم
لانها بهذه الصفة انا كنا من قبل من قبل لقاء الله والمصير اليه يعنون فى الدنيا ندعوه نعبده ونساله
الوقاية انه هو البر المحسن الرحيم العظيم الرحمة الذى اذا عبد اثاب واذا سئل اجاب وقرئ
انه بالفتح بمعنى لانه فذكر فما انت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون فاثبت على تذكير الناس وموعظتهم
ولا يثبطنك قولهم كاهن او مجنون ولا تبال به فانه قول باطل متناقض لان الكاهن يحتاج فى كهانته
الى فطنة ودقة نظر والمجنون مغطى على عقله وما انت بحمد الله وانعامه عليك بصدق النبوة
ورجاحة العقل احد هذين ام يقولون شاعر نتربص به ريب المنون وقرئ يتربص به ريب
المنون على البناء للمفعول وريب المنون ما يقلق النفوس ويشخص بها من حوادث الدهر
من المنون وريبه تتوجع وقيل المنون الموت وهو فى الاصل فعول من منه اذا قطعه
لان الموت قطوع ولذلك سميت شعوب قالوا ننتظر به نوائب الزمان فيهلك كما هلك من قبله
من الشعراء زهير والنابغة قل تربصوا فانى معكم من المتربصين اتربص هلاككم كما تتربصون
هلاكى ام تامرهم احلامهم عقولهم والبابهم ومنه قولهم احلام عاد والمعنى اتامرهم احلامهم بهذا
التناقض فى القول وهو قولهم كاهن وشاعر مع قولهم مجنون وكانت قريش يدعون اهل الاحلام و
النهى ام هم قوم طاغون مجاوزون الحد فى العناد مع ظهور الحق لهم **فان قلت** ما معنى كون
الاحلام آمرة **قلت** هو مجاز لادائها الى ذلك كقوله اصلوتك تامرك ان نترك ما يعبد اباؤنا
وقرئ بل هم قوم طاغون ام يقولون تقوله اختلقه من تلقاء نفسه بل لا يؤمنون فلكفرهم و
عنادهم يرمون بهذه المطاعن مع علمهم ببطلان قولهم وانه ليس بمتقول للاجماع لعربى عنده وما محمد

الا واحد من العرب فليأتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين وقرئ بحديث مثله على الاضافة
والضمير لرسول الله صلى الله عليه وسلم ومعناه ان مثل محمد صلى الله عليه ليس بمعوز في العرب
فان قدر محمد صلى الله عليه على نظمه كان مثله قادرا عليه فليأتوا بحديث ذلك المثل ام خلقوا
ام احدثوا وقدروا التقدير الذي عليه فطرتهم من غير شيء من غير مقدر ام هم الخالقون الذين خلقوا
انفسهم حيث لا يعبدون الخالق ام خلقوا السماوات والارض بل لا يوقنون اي اذا سئلوا من
خلقكم وخلق السماوات والارض قالوا الله وهم شاكون فيما يقولون لا يوقنون وقيل اخلقوا
من اجل لا شيء من جزاء ولا حساب وقيل اخلقوا من غير اب وام ام عندهم خزائن ربك
خزائن الرزق حتى يرزقوا النبوة من شاؤا او اعندهم خزائن علمه حتى يختاروا لها من اختاره
حكمة ومصلحة ام هم المسيطرون الارباب الغالبون حتى يدبروا امر الربوبية ويبنوا الامور
على ارادتهم ومشيتهم وقرئ المصيطرون بالصاد ام لهم سلم منصوب الى السماء يستمعون صاعدين
فيه الى كلام الملائكة وما يوحى اليهم من علم الغيب حتى يعلموا ما هو كائن من تقدم هلاكه
على هلاكهم وظفرهم في العاقبة دونه كما يزعمون فليأت مستمعهم بسلطان مبين بحجة واضحة
تصدق استماع مستمعهم ام له البنات ولكم البنون ام تسألهم اجرا فهم من مغرم مثقلون
المغرم ان يلتزم الانسان ما ليس عليه اي لزمهم مغرم ثقيل فدحهم فزهدهم ذلك في اتباعك
ام عندهم الغيب اي اللوح المحفوظ فهم يكتبون ما فيه حتى يقولوا لا نبعث وان بعثنا لم نعذب
ام يريدون كيدا وهو كيدهم في دار الندوة برسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين فالذين كفروا
اشارة اليهم او اريد بهم كل من كفر بالله هم المكيدون هم الذين يعود عليهم وبال كيدهم ويحيق
بهم مكرهم وذلك انهم قتلوا يوم بدر او المغلوبون في الكيد من كايدته فكدته ام لهم اله غير الله
سبحان الله عما يشركون وان يروا كسفا من السماء ساقطا يقولوا سحاب مركوم الكسف القطعة
وهو جواب قولهم او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا يريد انهم لشدة طغيانهم وعنادهم
لو اسقطناه عليهم لقالوا هذا سحاب مركوم بعضه فوق بعض يمطرونا ولم يصدقوا انه كسف
ساقط

ساقط للعذاب فذرهم حتى يلاقوا وقرئ يلقوا ويلقوا يومهم الذي فيه يصعقون يموتون وقرئ
يصعقون يقال صعقه فصعق وذلك عند النفخة الاولى نفخة الصعق يوم لا يغني عنهم كيدهم شيئا
ولا هم ينصرون وان للذين ظلموا وان لهؤلاء الظلمة عذابا دون ذلك دون يوم القيامة
وهو القتل ببدر والقحط سبع سنين وعذاب القبر وفي مصحف عبد الله دون ذلك قريبا
ولكن اكثرهم لا يعلمون فاصبر لحكم ربك بامهالهم وما يلحقك فيه من المشقة والكلفة فانك باعيننا
مثل اي بحيث نراك ونكلاك وجمع العين لان الضمير بلفظ ضمير الجماعة الا ترى الى قوله ولتصنع
على عيني وقرئ باعيننا بالادغام وسبح بحمد ربك حين تقوم من اي مكان قمت وقيل من منامك
ومن الليل فسبحه وادبار النجوم واذا ادبرت النجوم من اخر الليل وقرئ وادبار بالفتح
يعني في اعقاب النجوم واثارها اذا غربت والمراد الامر بقول سبحان الله وبحمده في هذه الاوقات
وقيل التسبيح الصلوة اذا قام من نومه ومن الليل صلوة العشائين وادبار النجوم صلوة الفجر
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الطور كان حقا على الله ان يؤمنه من عذابه وان ينعمه في جنته

سورة والنجم مكية احدى وستون وقيل ثنتان وستون اية

بسم الله الرحمن الرحيم والنجم اي الثريا وهو اسم غالب
لها اذا طلع قال اذا طلع النجم عشاء ابتغى الراعي كساء او جنس النجوم قال
فباتت تعد النجم في مستجيرة يريد النجوم اذا هوى اذا غرب او انتثر يوم القيامة
او النجم الذي يرجم به اذا هوى اذا انقض او النجم من نجوم القرآن وقد نزل منجما في
عشرين سنة اذا هوى اذا نزل او النبات اذا هوى اذا سقط على الارض وعن عروة بن
الزبير ان عتبة بن ابي لهب وكانت تحته بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم اراد الخروج الى
الشام فقال لآتين محمدا فلاوذينه فاتاه فقال يا محمد هو كافر بالنجم اذا هوى وبالذي دنا
فتدلى ثم تفل في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ورد عليه ابنته وطلقها فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اللهم سلط عليه كلبا من كلابك وكان ابو طالب حاضرا فوجم لها فقال ما كان

اغناك يا ابن اخي عن هذه الدعوة فرجع عتبة الى ابيه فاخبره ثم خرجوا الى الشام فنزلوا منزلا
فاشرف عليهم راهب من الدير فقال لهم ان هذه ارض مسبعة فقال ابو لهب لاصحابه اغيثونا يا
معشر قريش هذه الليلة فاني اخاف على ابني دعوة محمد فجمعوا جمالهم واناخوها حولهم واحدقوا
بعتبة فجاء الاسد يتشمم وجوههم حتى ضرب عتبة فقتله وقال حسان
من يرجع العام الى اهله فما اكيل السبع بالراجع ما ضل صاحبكم وما غوى يعني محمدا صلى الله عليه وسلم
والخطاب لقريش وهو جواب القسم والضلال نقيض الهدى والغي نقيض الرشد اي هو مهتد
راشد وليس كما تزعمون من نسبتكم اياه الى الضلال والغي وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي
يوحى وما آتاكم به من القران ليس بمنطق يصدر عن هواه ورايه انما هو وحي من عند الله يوحى
اليه ويحتج بهذه الاية من لا يرى الاجتهاد للانبياء ويجاب بان الله تعالى اذا سوغ لهم الاجتهاد
كان الاجتهاد وما يستند اليه كله وحيا لا نطقا عن الهوى علمه شديد القوى ملك شديد
قواه والاضافة غير حقيقية لانها اضافة صفة المشبهة الى فاعلها وهو جبريل عليه السلم ومن
قوته انه اقتلع قرى قوم لوط من الماء الاسود وحملها على جناحه ورفعها الى السماء ثم قلبها
وصاح صيحة بثمود فاصبحوا جاثمين وكان هبوطه على الانبياء وصعوده في اوحى من رجعة
الطرف ورأى ابليس يكلم عيسى عليه السلم على بعض عقاب الارض المقدسة فنفحه بجناحه
نفحة فالقاه في اقصى جبل بالهند ذو مرة ذو حصافة في عقله ورايه ومتانة في دينه فاستوى
فاستقام على صورة نفسه الحقيقية دون الصورة التي كان يتمثل بها كلما هبط بالوحي وكان ينزل
في صورة دحية وهو بالافق الاعلى وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم احب ان يراه في
صورته التي جبل عليها فاستوى له في الافق الاعلى وهو افق الشمس فملأ الافق فغشي عليه وقيل
ما رآه احد من الانبياء في صورته الحقيقية غير محمد صلى الله عليه وسلم مرتين مرة في الارض ومرة
في السماء ثم دنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فتدلى فتعلق عليه في الهواء ومنه تدلت الثمرة ودلى
رجليه من السرير والدلو الى التمر المعلق وقال يصف الشاة

تدلى

تدلى عليه بين سب وخيطة ويقال هو مثل القرلى ان راى خيرا تدلى وان لم يره تولى
فكان قاب قوسين مقدار قوسين عربيتين والقاب والقيب والقاد والقيد والقيس المقدار
وقرأ زيد بن علي رضي الله عنهما قاد وقرئ قيد وقدر وقد جاء التقدير بالقوس والرمح والسوط
والذراع والباع والخطوة والشبر والفتر والاصبع ومنه لا صلوة الى ان ترتفع الشمس
مقدار رمحين وفي الحديث لقاب قوس احدكم من الجنة وموضع قده خير من الدنيا وما فيها
والقد السوط ويقال بينهما خطوات يسيرة وقال وقد جعلتني من حزيمة اصبعا
فان قلت كيف تقدير قوله فكان قاب قوسين قلت تقديره فكان مقدار مسافة قربه مثل
قاب قوسين فحذف هذه المضافات كما قال ابو علي وقد جعلتني من حزيمة اصبعا اي ذا
مقدار مسافة اصبع او ادنى اي على تقديركم كقوله او يزيدون فاوحى الى عبده الى عبد الله وان لم
يجر لاسمه عز وجل ذكر لانه لا يلبس كقوله على ظهرها ما اوحى تفخيم للوحي الذي اوحى اليه قيل
اوحى اليه ان الجنة محرمة على الانبياء حتى تدخلها وعلى الامم حتى تدخلها امتك ما كذب الفؤاد
ما رأى ما كذب فؤاد محمد صلى الله عليه وسلم ما رآه ببصره من صورة جبريل اي ما قال فؤاده
لما رآه لم اعرفك ولو قال ذلك لكان كاذبا لانه عرفه يعني انه رآه بعينه وعرفه بقلبه
ولم يشك في ان ما رآه حق وقرئ ما كذب اي صدقه ولم يشك انه جبريل بصورته افتمارونه
من المراء وهو الملاحاة والمجادلة واشتقاقه من مرى الناقة كان كل واحد من المتجادلين
يمري ما عند صاحبه وقرئ افتمرونه افتغلبونه في المراء من ماريته فمريته ولما فيه من معنى
الغلبة عدي بعلى كما تقول غلبته على كذا وقيل افتمرونه افتجحدونه وانشدوا
لئن هجرت اخا صدق ومكرمة لقد مريت اخا ما كان يمريكا وقالوا يقال مريته حقه اذا
جحدته وتعديته بعلى لا يصح الا على مذهب التضمين على ما يرى ولقد رآه نزلة اخرى مرة
اخرى من النزول نصبت النزلة نصب الظرف الذي هو مرة لان الفعلة اسم للمرة من الفعل
فكانت في حكمها اي نزل عليه جبريل نزلة اخرى في صورة نفسه فرآه عليها وذلك ليلة المعراج

وقال مقاتل هي شجرة طوبى تحمل لأهل الجنة الحلي والحلل وجميع أنواع الثمار

عند سدرة المنتهى قيل هي شجرة نبق في السماء السابعة عن يمين العرش ثمرها كقلال هجر وورقها كآذان الفيول تنبع من أصلها الأنهار التي ذكرها الله في كتابه يسير الراكب في ظلها سبعين عاما لا يقطعها والمنتهى هو موضع الانتهاء أو الانتهاء كأنها في منتهى الجنة وآخرها وقيل لم يجاوزها أحد وإليه ينتهي علم الملائكة وغيرهم ولا يعلم أحد ما وراءها وقيل ينتهي إليه أرواح الشهداء عندها جنة المأوى الجنة التي يصير إليها المتقون عن الحسن وقيل يأوي إليها أرواح الشهداء وقرأ علي وابن الزبير رضي الله عنهما وجماعة جنّه المأوى أي ستره بظلاله ودخل فيه وعن عائشة أنها أنكرته وقالت من قرأ به فأجنّه الله إذ يغشى السدرة ما يغشى تعظيم وتكثير لما يغشاها فقد علم بهذه العبارة أن ما يغشاها من الخلائق الدالة على عظمة الله وجلاله أشياء لا يكتنهها النعت ولا يحيط بها الوصف وقد قيل يغشاها الجم الغفير من الملائكة يعبدون الله عندها وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت على كل ورقة من ورقها ملكا قائما يسبح الله وعنه صلى الله عليه وسلم يغشاها رفرف من طير خضر وعن ابن مسعود رضي الله عنه وغيره يغشاها فراش من ذهب ما زاغ البصر بصر رسول الله صلى الله عليه وسلم وما طغى أي أثبت ما رآه إثباتا مستيقنا صحيحا من غير أن يزيغ بصره عنه أو يتجاوزه أو ما عدل عن رؤية العجائب التي أمر برؤيتها ومكن منها وما طغى وما جاوز ما أمر برؤيته لقد رأى والله لقد رأى من آيات ربه الكبرى الآيات التي هي كبراها وعظماها حين رقي به إلى السماء فأري عجائب الملكوت أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى أصنام كانت لهم وهي مؤنثات فاللات كانت لثقيف بالطائف وقيل كانت بنخلة تعبدها قريش وهي فعلة من لوى لأنهم كانوا يلوون عليها ويعكفون عليها للعبادة أو يلتوون عليها أي يطوفون وقرئ اللاتّ بالتشديد وزعموا أنه سمي برجل كان يلتّ عنده السمن بالزيت ويطعمه الحاج وعن مجاهد كان رجل يلتّ السويق بالطائف وكانوا يعكفون على قبره فجعلوه وثنا والعزى كانت لغطفان وهي سمرة وأصلها تأنيث الأعز وبعث إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد رضي الله عنه فقطعها فخرجت منها شيطانة ناشرة شعرها داعية ويلها

ويلها واضعة يدها على رأسها فجعل يضربها بالسيف حتى قتلها وهو يقول يا عزّ كفرانك لا سبحانك إني رأيت الله قد أهانك ورجع فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام تلك العزى ولن تعبد أبدا ومناة صخرة كانت لهذيل وخزاعة وعن ابن عباس رضي الله عنهما لثقيف وقرئ ومناءة وكأنها سميت مناة لأن دماء النسائك كانت تمنى عندها أي تراق ومناءة مفعلة من النوء كأنهم كانوا يستمطرون عندها الأنواء تبركا بها والأخرى ذم وهي المتأخرة الوضيعة المقدار كقوله وقالت أخراهم لأولاهم أي وضعاؤهم لرؤسائهم وأشرافهم ويجوز أن تكون الأولية والتقدم عندهم للات والعزى كانوا يقولون إن الملائكة وهذه الأصنام بنات الله وكانوا يعبدونهم ويزعمون أنهم شفعاؤهم عند الله مع وأدهم البنات فقيل لهم ألكم الذكر وله الأنثى ويجوز أن يراد أن اللات والعزى ومناة إناث وقد جعلتموهن لله شركاء ومن شأنكم أن تحتقروا الإناث وتستنكفوا أن يولدن لكم وينسبن إليكم فكيف تجعلون هؤلاء الإناث أندادا لله وتسمونهن آلهة تلك إذا قسمة ضيزى جائرة من ضازه يضيزه إذا ضامه والأصل ضوزى ففعل بها ما فعل ببيض لتسلم الياء وقرئ ضئزى من ضأزه بالهمز وضيزى بفتح الضاد إن هي ضمير الأصنام أي ما هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان إلا أسماء ليس تحتها في الحقيقة مسميات لأنكم تدعون الإلهية لما هو أبعد شيء منها وأشد منافاة لها ونحوه قوله تعالى ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها أو ضمير الأسماء وهي قولهم اللات والعزى ومناة وهم يقصدون بها أسماء الآلهة يعني ما هذه الأسماء إلا أسماء سميتموها بهواكم وشهوتكم ليس لكم من الله على صحة تسميتها برهان تتعلقون به ومعنى سميتموها سميتم بها يقال سميته زيدا وسميته بزيد إن يتبعون وقرئ بالتاء إلا الظن إلا توهم أن ما هم عليه حق وأن آلهتهم شفعاؤهم وما تشتهيه أنفسهم ويتركون ما جاءهم من الهدى والدليل على أن دينهم باطل أم للإنسان ما تمنى هي أم المنقطعة ومعنى الهمزة فيها الإنكار أي ليس للإنسان ما تمنى والمراد طمعهم في شفاعة الآلهة وهو تمن على الله في غاية البعد وقيل هو قولهم ولئن رجعت إلى ربي إن لي عنده للحسنى وقيل هو قول الوليد بن المغيرة لأوتين

مالا وولدا وقيل هو تمني بعضهم ان يكون هو النبي فلله الاخرة والاولى اي هو مالكهما فهو يعطي
منهما من يشاء ويمنع من يشاء وليس لاحد ان يتحكم عليه في شي منهما وكم من ملك في السماوات لا
تغني شفاعتهم يعني ان امر الشفاعة ضيق وذلك ان الملائكة مع قربتهم وزلفاهم وكثرتهم و
اغتصاص السماوات بجموعهم لو شفعوا باجمعهم لاحد لم تغن شفاعتهم عنه شيا قط ولم تنفع الا
اذا شفعوا من بعد ان ياذن الله لهم في الشفاعة لمن يشاء الشفاعة له ويرضاه ويراه اهلا
لان يشفع له فكيف تشفع الاصنام اليه لعبدتهم ان الذين لا يؤمنون بالاخرة ليسمون الملائكة
اي كل واحد منهم تسمية الانثى لانهم اذا قالوا الملائكة بنات الله فقد سموا كل واحد منهم بنتا
وهي تسمية الانثى وما لهم به من علم اي بذلك وبما يقولون وفي قراءة ابي بها اي بالملائكة او التسمية
ان يتبعون الا الظن وان الظن لا يغني من الحق شيا يعني انما يدرك الحق الذي هو حقيقة الشي
وما هو عليه بالعلم والتيقن لا بالظن والتوهم فاعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحيوة الدنيا
فاعرض عن دعوة من رايته معرضا عن ذكر الله وعن الاخرة ولم يرد الا الدنيا
اسلامه ذلك مبلغهم من العلم ثم قال ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بمن اهتدى
اي انما يعلم الله من يجيب ممن لا يجيب وانت لا تعلم فخفض على نفسك ولا تتعبها فانك لا تهدي
من احببت وما عليك الا البلاغ وقوله ذلك مبلغهم من العلم اعتراض او فاعرض عنه ولا
تقابله ان ربك هو اعلم بالضال والمهتدي وهو مجازيهما بما يستحقان من الجزاء ولله ما في السماوات
وما في الارض ليجزي الذين اساءوا قرئ ليجزي ونجزي بالياء والنون فيهما ومعناه ان الله
عز وجل انما خلق العالم وسوى هذه الملكوت لهذا الغرض وهو ان يجازي المحسن من المكلفين
والمسيء منهم ويجوز ان يتعلق بقوله هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بمن اهتدى لان نتيجة
العلم بالضال والمهتدي جزاؤهما بما عملوا بعقاب ما عملوا من السوء وبالحسنى بالمثوبة الحسنى وهي
الجنة او بسبب ما عملوا من السوء وبسبب الاعمال الحسنى الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش
الا اللمم الكبائر من الاثم لان الاثم جنس يشتمل على كبائر وصغائر والكبائر الذنوب التي لا يسقط
عقابها

عقابها الا بالتوبة وقيل التي يكبر عقابها بالاضافة الى ثواب صاحبها والفواحش ما فحش من
الكبائر كانه قال والفواحش منها خاصة وقرئ كبير الاثم اي النوع الكبير منه وقيل هو الشرك بالله
واللمم ما قل وصغر ومنه اللمم المس من الجنون واللوثة منه والم بالمكان اذا قل فيه لبثه
والم بالطعام قل منه اكله ومنه لقاؤه اخلاء الصفاء لمام والمراد الصغائر من الذنوب ولا يخلو
قوله الا اللمم من ان يكون استثناء منقطعا او صفة كقوله لو كان فيهما آلهة الا الله كانه قيل كبائر
الاثم غير اللمم وآلهة غير الله وعن ابي سعيد الخدري اللمم هي النظرة والغمزة والقبلة وعن السدي
الخطرة من الذنب وعن الكلبي كل ذنب لم يذكر الله عليه حدا ولا عذابا وعن عطاء عادة النفس في الحين
بعد الحين ان ربك واسع المغفرة حيث يكفر الصغائر باجتناب الكبائر والكبائر بالتوبة هو
اعلم بكم اذ انشاكم من الارض واذ انتم اجنة في بطون امهاتكم فلا تزكوا انفسكم هو اعلم بمن اتقى فلا
تنسبوها الى زكاء العمل وزيادة الخير والطاعات او الى الزكاء والطهارة من المعاصي ولا تثنوا
عليها واهضموها فقد علم الله الزكي منكم والتقي اولا وآخرا قبل ان يخرجكم من صلب آدم و
قبل ان تخرجوا من بطون امهاتكم وقيل كان ناس يعملون اعمالا حسنة ثم يقولون صلاتنا وصيامنا
وحجنا فنزلت وهذا اذا كان على سبيل الاعجاب او الرياء فاما من اعتقد ان ما عمله من العمل
الصالح من الله وبتوفيقه وتاييده ولم يقصد به التمدح لم يكن من المزكين انفسهم لان المسرة بالطاعة
طاعة وذكرها شكر افرايت الذي تولى واعطى قليلا واكدى قطع عطيته وامسك واصله اكداء
الحافر وهو ان تلقاه كدية وهي صلابة كالصخرة فيمسك عن الحفر ونحوه اجبل الحافر ثم استعير
فقيل اجبل الشاعر اذا افحم روي ان عثمان رضي الله عنه كان يعطي ماله في الخير فقال له عبد الله
ابن سعد بن ابي سرح وهو اخوه من الرضاعة يوشك ان لا يبقى لك شي فقال عثمان ان لي ذنوبا
وخطايا واني اطلب بما اصنع رضى الله وارجو عفوه فقال عبد الله اعطني ناقتك برحلها وانا
اتحمل عنك ذنوبك كلها فاعطاه واشهد عليه وامسك عن العطاء فنزلت ومعنى تولى ترك المركز
يوم احد فعاد عثمان رضي الله عنه الى احسن من ذلك واجمل اعنده علم الغيب فهو يرى فهو يعلم

ان ما قال له اخوه من احتمال اوزاره حق ام لم ينبأ بما في صحف موسى وابرهيم الذي وفى
قرئ مخففا ومشددا والتشديد مبالغة في الوفاء او بمعنى وفر واتم كقوله فاتمهن واطلاقه
ليتناول كل وفاء وتوفيه من ذلك تبليغه الرسالة واستقلاله باعباء النبوة والصبر على ذبح ولده
وعلى نار نمروذ وقيامه باضيافه وخدمته اياهم بنفسه وانه كان يخرج كل يوم فيمشي فرسخا
يرتاد ضيفا فان وافقه اكرمه والا نوى الصوم وعن الحسن ما امره الله بشيء الا وفى به وعن
الهذيل بن شرحبيل كان بين نوح وبين ابرهيم يؤخذ بجريرة غيره ويقتل بابيه وابنه وعمه
وخاله والزوج بامراته والعبد بسيده فاول من خالفهم ابرهيم وعن عطاء بن السائب عهد ان لا
يسال مخلوقا فلما قذف في النار قال له جبريل وميكائيل الك حاجة فقال اما اليكم فلا وعن
النبي صلى الله عليه وسلم وفى عمله كل يوم باربع ركعات في صدر النهار وهي صلوة الضحى وروي
الا اخبركم لم سمى الله خليله الذي وفى كان يقول اذا اصبح وامسى فسبحان الله حين تمسون الى
حين تظهرون وقيل وفى سهام الاسلام وهي ثلثون عشرة في التوبة التائبون وعشرة في الاحزاب
ان المسلمين وعشرة في المؤمنين قد افلح المؤمنون وقرئ في صحف بالتخفيف ان لا تزر وازرة وزر
اخرى ان مخففة من الثقيلة والمعنى انه لا تزر والضمير ضمير الشان ومحل ان وما بعدها الجر
بدلا من ما في صحف موسى او الرفع على هو ان لا تزر كان قائلا قال وما في صحف موسى وابرهيم فقيل
ان لا تزر وان ليس للانسان الا ما سعى الا سعيه فان قلت اما صح في الاخبار الصدقة عن
الميت والحج عنه وله الاضعاف قلت فيه جوابان احدهما ان سعي غيره لما لم ينفعه الا مبنيا
على سعي نفسه وهو ان يكون مؤمنا صالحا وكذلك الاضعاف كان سعي غيره كانه سعي نفسه لكونه
تابعا له وقائما بقيامه والثاني ان سعي غيره لا ينفعه اذا عمله لنفسه ولكن اذا نواه به فهو بحكم
الشرع كالنائب عنه والوكيل القائم مقامه وان سعيه سوف يرى ثم يجزيه ثم يجزى العبد سعيه
يقال جزاه الله عمله وجزاه على عمله بحذف الجار وايصال الفعل ويجوز ان يكون الضمير للجزاء ثم
فسره بقوله الجزاء الاوفى او ابدله عنه كقوله واسروا النجوى الذين ظلموا وان الى ربك المنتهى
قرئ

قرئ بالفتح على معنى ان هذا كله في الصحف وبالكسر على الابتداء وكذلك ما بعده والمنتهى مصدر بمعنى
الانتهاء اي ينتهي اليه الخلق ويرجعون اليه كقوله والى الله المصير وانه هو اضحك وابكى خلق قوتي
الضحك والبكاء وانه هو امات واحيى وانه خلق الزوجين الذكر والانثى من نطفة اذا تمنى
اذا تدفق في الرحم يقال منى وامنى وعن الاخفش من منى المانى اي قدر المقدر وان عليه
النشاة الاخرى قرئ النشاة والنشاة بالمد وقال عليه لانها واجبة عليه في الحكمة ليجازي على
الاحسان والاساءة وانه هو اغنى واقنى واعطى القنية وهي المال الذي تاثلته وعزمت ان
لا تخرجه من يدك وانه هو رب الشعرى مرزم الجوزاء وهي التي تطلع وراءها وتسمى كلب الجبار
وهما شعريان الغميصاء والعبور واراد العبور وكانت خزاعة تعبدها سن لهم ذلك ابو كبشة
تشبيها له به لمخالفته اباءهم في دينهم يريد انه رب معبودهم هذا وانه اهلك عادا الاولى قوم هود
وعاد الاخرى ارم وقيل الاولى القدماء لانهم اولى الامم هلاكا بعد قوم نوح او المتقدمون في الدنيا
الاشراف وقرئ عادا لولى وعاد لولى بادغام التنوين في اللام وطرح همزة اولى ونقل ضمتها الى
لام التعريف وثمودا وقرئ وثمود فما ابقى وقوم نوح من قبل انهم كانوا هم اظلم واطغى لانهم كانوا
يؤذونه ويضربونه حتى لا يكون به حراك وينفرون عنه حتى كانوا يحذرون صبيانهم ان يسمعوا
منه وما اثر فيهم دعاؤه قريبا من الف سنة والمؤتفكة والقرى التي ائتفكت باهلها اي انقلبت
وهم قوم لوط يقال افكه فائتفك وقرئ والمؤتفكات اهوى رفعها الى السماء على جناح جبريل
اللهم ثم اهواها الى الارض اي اسقطها فغشاها ما غشى تهويل وتعظيم لما صب عليها من العذاب
وامطر عليها من الصخر المنضود فباي آلاء ربك تتمارى تتشكك والخطاب لرسول الله صلى الله عليه
وسلم او للانسان على الاطلاق وقد عدد نعما ونقما وسماها كلها آلاء من قبل ما في نقمه من
المزاجر والمواعظ للمعتبرين هذا القرآن نذير من النذر الاولى اي انذار من جنس الانذارات
الاولى التي انذر بها من قبلكم او هذا الرسول منذر من المنذرين الاولين وقال الاولى على تاويل الجماعة
ازفت الآزفة قربت الموصوفة بالقرب في قوله اقتربت الساعة ليس لها من دون الله نفس كاشفة

اى مبيّنة متى تقوم كقوله لا يجليها لوقتها الا هو او ليس لها نفس كاشفة اى قادرة على كشفها
اذا وقعت الا الله غير انه لا يكشفها او ليس لها الآن نفس كاشفة بالتاخير وقيل الكاشفة
مصدر بمعنى الكشف كالعافية وقرأ طلحة ليس لها مما يدعون من دون الله كاشفة وهى على الظالمين
ساءت الغاشية **افمن هذا الحديث** وهو القرآن **تعجبون** انكارا **وتضحكون** استهزاء **ولا تبكون**
والبكاء والخشوع حق عليكم وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه لم يُرَ ضاحكا بعد نزولها
وقرئ تعجبون تضحكون بغير واو **وانتم سامدون** شامخون مبرطمون وقيل لاهون لاعبون
وقال بعضهم لجاريته اسمدى لنا اى غنى لنا **فاسجدوا لله واعبدوا** واعبدوا الله ولا تعبدوا
الالهة ٥ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والنجم اعطاه الله عشر حسنات بعدد
من صدّق بمحمد صلى الله عليه وسلم وجحد به بمكة ٥

سورة القمر مكية وهى خمس وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم **اقتربت الساعة وانشق القمر**
انشقاق القمر من آيات رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعجزاته النيرة عن انس ان الكفار
سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم آية فانشق القمر مرتين وكذا عن ابن عباس وابن مسعود رضى الله
عنهما قال ابن عباس انفلق فلقتين فلقة ذهبت وفلقة بقيت وقال ابن مسعود رايت حراء
بين فلقتى القمر وعن بعض الناس ان معناه ينشق يوم القيامة وقوله **وان يروا آية يعرضوا و
يقولوا سحر مستمر** يرده وكفى به رادا وفى قراءة حذيفة وقد انشق القمر اى اقتربت الساعة وقد
حصل من آيات اقترابها ان القمر قد انشق كما تقول اقبل الامير وقد جاء المبشر بقدومه
وعن حذيفة انه خطب بالمدائن ثم قال الا ان الساعة قد اقتربت وان القمر قد انشق على عهد
نبيكم مستمر دائم مطرد وكل شئ قد انقادت طريقته ودامت حاله قيل فيه قد استمر لما راوا تتابع
المعجزات وترادف الآيات قالوا هذا سحر مستمر وقيل مستمر قوى محكم من قولهم استمر مريره وقيل
هو من استمر الشئ اذا اشتدت مرارته اى مستبشع عندنا مر على لهواتنا لا نقدر ان نسيغه
كما

كما لا يساغ المر الممقر وقيل مستمر مار ذاهب يزول ولا يبقى تمنية لانفسهم وتعللا وقرئ وان
يروا **وكذبوا واتبعوا اهواءهم** وما زين لهم الشيطان من دفع الحق بعد ظهوره **وكل امر مستقر** اى
كل امر لا بد ان يصير الى غاية يستقر عليها وان امر محمد صلى الله عليه وسلم سيصير الى غاية يتبين
عندها انه حق او باطل وسيظهر لهم عاقبته او وكل امر من امرهم وامره مستقر اى سيثبت و
يستقر على حالة خذلان او نصرة فى الدنيا وشقاوة او سعادة فى الآخرة وقرئ بفتح القاف يعنى كل امر
ذو مستقر اى ذو استقرار او ذو موضع استقرار او زمان استقرار وعن ابى جعفر مستقر بكسر القاف
والجر عطفا على الساعة اى اقتربت الساعة واقترب كل امر مستقر يستقر ويتبين حاله **ولقد جاءهم
من الانباء** من القرآن المودع انباء القرون الخالية او انباء الآخرة وما وصف من عذاب الكفار
ما فيه مزدجر ازدجار او موضع ازدجار والمعنى هو فى نفسه موضع للازدجار ومظنة له
كقوله لكم فى رسول الله اسوة حسنة اى هو اسوة وقرئ مزجر بقلب تاء الافتعال زايا وادغام
الزاى فيها **حكمة بالغة** بدل من ما او على هو حكمة وقرئ بالنصب حالا من ما **فان قلت** ان كانت
ما موصولة ساغ لك ان تنصب حكمة حالا فكيف تعمل ان كانت موصوفة وهو الظاهر **قلت**
تخصصها الصفة فيحسن نصب الحال عنها **فما تغن النذر** نفى او انكار وما منصوبة اى فاى
غناء تغنى النذر **فتول عنهم** لعلمك ان الانذار لا يغنى فيهم نصب **يوم يدع الداعى** بيخرجون او
باضمار اذكر وقرئ باسقاط الياء اكتفاء بالكسرة عنها والداعى اسرافيل او جبريل كقوله يوم
ينادى المناد **الى شئ نكر** منكر فظيع تنكره النفوس لانها لم تعهد بمثله وهو هول يوم القيامة
وقرئ نكر بالتخفيف ونكر بمعنى انكر **خشعا ابصارهم** حال من الخارجين فعل للابصار
وذكر كما تقول يخشع ابصارهم وقرئ خاشعة على تخشع ابصارهم وخشعا على يخشعن
ابصارهم وهى لغة من يقول اكلونى البراغيث وهم طيئ ويجوز ان يكون فى خشعا ضميرهم
وتقع ابصارهم بدلا عنه وقرئ خشع ابصارهم على الابتداء والخبر ومحل الجملة النصب على
الحال كقوله وجدته حاضراه الجود والكرم وخشوع الابصار كناية عن الذلة والخزى

لان ذلة الذليل وعزة العزيز تظهران في عيونهما وقرئ يخرجون من الاجداث من القبور
كانهم جراد منتشر الجراد مثل في الكثرة والتموج يقال في الجيش الكثير المايج بعضه في بعض
جاؤا كالجراد وكالدبا منتشر في كل مكان لكثرته مهطعين الى الداعي مسرعين مادي اعناقهم
اليه وقيل ناظرين اليه لا يقلعون بابصارهم قال تعبدني نمر بن سعد وقد ارى
ونمر بن سعد لي مطيع ومهطع يقول الكافرون هذا يوم عسير كذبت قبلهم قوم اهل مكة قوم
نوح فكذبوا عبدنا فان قلت ما معنى قوله فكذبوا بعد قوله كذبت قلت معناه كذبوا
فكذبوا عبدنا اي كذبوه تكذيبا على عقب تكذيب كلما مضى منهم قرن مكذب تبعه قرن مكذب او
كذبت قوم نوح الرسل فكذبوا عبدنا اي لما كانوا مكذبين بالرسل جاحدين للنبوة راسا كذبوا نوحا
لانه من جملة الرسل وقالوا مجنون هو مجنون وازدجر وانتهروه بالضرب والشتم والوعيد
بالرجم في قوله لتكونن من المرجومين وقيل هو من جملة قيلهم اي قالوا هو مجنون وقد ازدجرته
الجن وتخبطته وذهبت بلبه وطارت بقلبه فدعا ربه اني مغلوب قرئ اني بمعنى فدعا باني
مغلوب واني على ارادة القول فدعا فقال اني مغلوب غلبني قومي فلم يسمعوا مني واستحكم الياس
من اجابتهم لي فانتصر فانتقم منهم بعذاب تبعثه عليهم وانما دعا بذلك بعد ما طم عليه الامر
وبلغ السيل الزبى فقد روي ان الواحد من امته كان يلقاه فيخنقه حتى يخر مغشيا عليه
فيفيق وهو يقول اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون قرئ ففتحنا مخففا ومشددا وكذلك
وفجرنا ابواب السماء بماء منهمر منصب في كثرة ويتابع لم ينقطع اربعين يوما وفجرنا الارض
عيونا وجعلنا الارض كلها كانها عيون تتفجر وهو ابلغ من قولك وفجرنا عيون الارض ونظيره
في النظم واشتعل الراس شيبا فالتقى الماء يعني مياه السماء والارض وقرئ الماآن اي النوعان
من الماء السماوي والارضي ونحوه قولك عندي تمران تريد ضربان من التمر برني ومعقلي
قال لنا ابلان فيهما ما علمتم وقرا الحسن الماوان بقلب الهمزة واوا كقولهم علباوان
على امر قد قدر على حال قدرها الله كيف شاء وقيل على حال جاءت مقدرة مستوية وهي ان
قدر

قدر ما انزل من السماء كقدر ما اخرج من الارض سواء بسواء وقيل على امر قد قدر في اللوح
انه يكون وهو هلاك قوم نوح بالطوفان وحملناه على ذات الواح ودسر اراد السفينة وهي
من الصفات التي تقوم مقام الموصوفات فينوب منابها ويؤدي مؤداها بحيث لا يفصل بينها
وبينها ونحوه ولكن قميصي مسرودة من حديد اراد ولكن قميصي درع وكذلك
ولو في عيون النازيات باكرع اراد ولو عيون الجراد الا ترى انك لو جمعت بين السفينة وبين هذه
الصفة او بين الدرع والجراد وهاتين الصفتين لم يصح وهذا من فصيح الكلام وبديعه والدسر
جمع دسار وهو المسمار فعال من دسره اذا دفعه لانه يدسر به منفذه تجري باعيننا جزاء
له لما قدم من فتح ابواب السماء وما بعده اي فعلنا ذلك جزاء لمن كان كفر وهو نوح عليه السلام
وجعله مكفورا لان النبي نعمة من الله ورحمة قال الله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين
فكان نوح عليه السلام نعمة مكفورة ومن هذا المعنى ما يحكى ان رجلا قال للرشيد الحمد لله عليك
فقال ما معنى هذا الكلام قال انت نعمة حمدت الله عليها ويجوز ان يكون على تقدير حذف الجار وايصال
الفعل وقرا قتادة كفر اي جزاء للكافرين وقرا الحسن جزاء اي مجازاة ولقد تركناها آية فهل من
مدكر الضمير في تركناها للسفينة او للفعلة اي جعلناها آية يعتبر بها وعن قتادة ابقاها
الله بارض الجزيرة وقيل على الجودي دهرا طويلا حتى نظر اليها اوايل هذه الامة والمدكر
المعتبر وقرئ مذتكر على الاصل ومذكر بقلب التاء ذالا وادغام الذال فيها وهذا نحو مزجر
والنذر جمع نذير وهو الانذار ولقد يسرنا القرآن للذكر سهلناه للادكار والاتعاظ بان شحناه
بالمواعظ الشافية وصرفنا فيه من الوعد والوعيد فهل من مدكر متعظ وقيل ولقد سهلناه
للحفظ واعنا عليه من اراد حفظه فهل من طالب لحفظه ليعان عليه ويجوز ان يكون المعنى
ولقد هيأناه للذكر من يسر ناقته للسفر اذا رحلها ويسر فرسه للغزو اذا اسرجه والجمه
قال وقمت اليه باللجام ميسرا هنالك يجزيني الذي كنت اصنع ويروى ان كتب اهل
الاديان نحو التورية والانجيل لا يتلوها اهلها الا نظرا ولا يحفظونها ظاهرا كما القرآن

كذبت عاد فكيف كان عذابي ونذر وانذاراتي لهم بالعذاب قبل نزوله او انذاراتي في تعذيبهم لمن بعدهم انا ارسلنا عليهم ريحا صرصرا في يوم نحس في يوم شؤم وقرئ في يوم نحس كقوله في ايام نحسات مستمر قد استمر عليهم ودام حتى اهلكهم او استمر عليهم جميعا على كبيرهم وصغيرهم حتى لم يبق منهم نسمة وكان في اربعاء في اخر الشهر لا تدور ويجوز ان يريد بالمستمر الشديد المرارة والبشاعة تنزع الناس تقلعهم عن اماكنهم وكانوا يصطفون آخذين بعضهم بايدي بعض ويتدخلون في الشعاب ويحفرون الحفر فيندسون فيها فتنزعهم وتكبهم وتدق رقابهم كانهم اعجاز نخل منقعر يعني انهم كانوا يتساقطون على الارض امواتا وهم جثث عظام طوال كانهم اعجاز نخل وهي اصولها بلا فروع منقعر منقلع عن مغارسه وقيل شبهوا باعجاز النخل لان الريح كانت تقطع رؤسهم فتبقى اجسادا بلا رؤس وذكر صفة نخل ولو حملها على المعنى لانث كما قال اعجاز نخل خاوية فكيف كان عذابي ونذر ولقد يسرنا القران للذكر فهل من مدكر كذبت ثمود بالنذر فقالوا ابشرا منا واحدا نصب بفعل يفسره نتبعه وقرئ ابشر منا واحد على الابتداء ونتبعه خبره والاول اوجه للاستفهام انا اذا لفي ضلال وسعر كان يقول ان لم تتبعوني كنتم في ضلال عن الحق وسعر ونيران جمع سعير فعكسوا عليه فقالوا ان اتبعناك كنا اذن كما تقول وقيل الضلال الخطاء والبعد عن الصواب والسعر الجنون يقال ناقة مسعورة قال

كان بها سعرا اذا العيس هزها ذميل وارخاء من السير متعب

فان قلت كيف انكروا ان يتبعوا بشرا منهم واحدا قلت قالوا ابشرا انكارا لان يتبعوا مثلهم في الجنسية وطلبوا ان يكون من جنس اعلى من جنس البشر وهم الملائكة وقالوا منا لانه اذا كان منهم كانت المماثلة اقوى وقالوا واحدا انكارا لان تتبع الامة رجلا واحدا او ارادوا واحدا من افنائهم ليس باشرفهم وافضلهم ويدل عليه قولهم االقي الذكر عليه من بيننا اي انزل عليه الوحي من بيننا وفينا من هو احق منه بالاختيار للنبوة بل هو كذاب اشر بطر متكبر حمله بطره وشطارته وطلبه التعظم علينا على ادعاء ذلك سيعلمون غدا عند نزول العذاب بهم او يوم القيامة

الفاقة من الكذاب الاشر اصالح ام من كذبه وقرئ ستعلمون بالتاء على حكاية ما قال لهم صالح مجيبا لهم او هو كلام الله على سبيل الالتفات وقرئ الاشر بضم الشين كقولهم حدث وحدث وحذر وحذر واخوات لها وقرئ الاشر وهو الابلغ في الشرارة والاخير والاشر اصل قولهم هو خير منه وشر منه وهو اصل مرفوض وقد حكى ابن الانباري قول العرب هو اخير واشر وما اخيره وما اشره انا مرسلوا الناقة باعثوها ومخرجوها من الهضبة كما سالوا فتنة لهم امتحانا لهم وابتلاء فارتقبهم فانتظرهم وتبصر ما هم صانعون واصطبر على اذاهم ولا تعجل حتى ياتيك امري ونبئهم ان الماء قسمة بينهم مقسوم بينهم لها شرب يوم ولهم شرب يوم وانما قال بينهم تغليبا للعقلاء كل شرب محتضر محضور لهم او للناقة وقيل يحضرون الماء في نوبتهم واللبن في نوبتها فنادوا صاحبهم قدار بن سالف احيمر ثمود فتعاطى فعقر فاجترا على تعاطي الامر العظيم غير مكترث له فاحدث العقر بالناقة وقيل فتعاطى الناقة فعقرها او فتعاطى السيف فكيف كان عذابي ونذر انا ارسلنا عليهم صيحة واحدة صيحة جبريل فكانوا كهشيم المحتظر الهشيم الشجر اليابس المتهشم المتكسر والمحتظر الذي يعمل الحظيرة وما يحتظر به ييبس بطول الزمان وتتوطاه البهائم فيتحطم ويتهشم وقرا الحسن بفتح الظاء وهو موضع الاحتظار اي الحظيرة ولقد يسرنا القران للذكر فهل من مدكر كذبت قوم لوط بالنذر انا ارسلنا عليهم حاصبا ريحا تحصبهم بالحجارة اي ترميهم بسحر بقطع من الليل وهو السدس الاخير منه وقيل هما سحران فالسحر الاعلى قبل انصداع الفجر والاخر عند انصداعه وانشد

مرت باعلى السحرين تذال

وصرف لانه نكرة ويقال لقيته بسحر اذا لقيته في سحر يومه نعمة مفعول له من عندنا كذلك نجزي من شكر نعمة الله بايمانه وطاعته ولقد انذرهم لوط بطشتنا اخذتنا فتماروا فكذبوا بالنذر متشاكين ولقد راودوه عن ضيفه فطمسنا اعينهم فمسحناها وجعلناها كسائر الوجه لا يرى لها شق روي انهم لما عالجوا باب لوط عليه السلام ليدخلوا قالت الملائكة خلهم يدخلوا انا رسل ربك لن يصلوا اليك فصفقهم جبريل بجناحه صفقة فتركهم يترددون لا يهتدون الى الباب حتى اخرجهم لوط فذوقوا فقلت لهم ذوقوا على السنة الملائكة عذابي ونذر

ولقد صبحهم بكرة اول النهار وباكرة كقوله مشرقين ومصبحين وقرا زيد بن علي بكرة غير منصرفة
تقول اتيته بكرة وغدوة بالتنوين اذا اردت التنكير وبكرة وغدوة اذا عرفت وقصدت
بكرة نهارك وغدوته عذاب مستقر ثابت قد استقر عليهم الى ان يفضي بهم الى عذاب الآخرة
فان قلت ما فائدة تكرير قوله فذوقوا عذابي ونذر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر
قلت فائدته ان يجددوا عند استماع كل نبأ من انباء الاولين ادكارا واتعاظا وان
يستانفوا بنبها واستيقاظا اذا سمعوا الحث على ذلك والبعث عليه وان تقرع لهم العصا
مرات ويقعقع لهم الشن تارات لئلا يغلبهم السهو ولا يستولي عليهم الغفلة وهكذا حكم
التكرير في قوله فباي آلاء ربكما تكذبان عند كل نعمة عدها في سورة الرحمن وقوله ويل يومئذ للمكذبين
عند كل آية اوردها في سورة والمرسلات وكذلك تكرير الانباء والقصص في انفسها لتكون تلك
العبر حاضرة للقلوب مصورة للاذهان مذكورة غير منسية في كل اوان ولقد جاء آل فرعون النذر
موسى وهرون وغيرهما من الانبياء عليهم السلام لانهما عرضا عليهم ما انذر به المرسلون او جمع نذير
وهو الانذار كذبوا بآياتنا كلها بالآيات التسع فاخذناهم اخذ عزيز لا يغالب مقتدر لا يعجزه شيء
اكفاركم يا اهل مكة خير من اولئكم الكفار المعدودين قوم نوح وهود وصالح ولوط وآل فرعون
اي اهم خير قوة وآلة ومكانة في الدنيا او اقل كفرا وعنادا يعني ان كفارهم مثل اولئك بل شر
منهم ام لكم براءة في الزبر ام انزلت عليكم يا اهل مكة براءة في الكتب المتقدمة ان من كفر منكم وكذب
الرسل كان آمنا من عذاب الله فامنتم بتلك البراءة ام يقولون نحن جميع جماعة امرنا مجتمع
منتصر ممتنع لا يرام ولا يضام وعن ابي جهل انه ضرب فرسه يوم بدر فتقدم في الصف وقال نحن
ننتصر اليوم من محمد واصحابه فنزلت سيهزم الجمع عن عكرمة لما نزلت هذه الآية قال عمر رضي الله عنه
اي جمع يهزم فلما راى رسول الله صلى الله عليه وسلم يثب في الدرع ويقول سيهزم الجمع عرف تاويلها
ويولون الدبر اي الادبار كما قال كلوا في بعض بطنكم وقرئ الادبار بل الساعة موعدهم والساعة
ادهى اشد وافظع والداهية الامر المنكر الذي لا يهتدى لدوائه وامر من الهزيمة والقتل
والاسر

والاسر وقرئ سنهزم الجمع ان المجرمين في ضلال وسعر في هلاك ونيران او في ضلال عن الحق
في الدنيا ونيران في الآخرة يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا مس سقر كقولك وجد مس
الحمى وذاق طعم الضرب لان النار اذا اصابتهم بحرها ولحقتهم بايلامها فكانها تمسهم مسا بذلك كما
يمس الحيوان ويباشر لما يؤذي ويولم وذوقوا على ارادة القول وسقر علم لجهنم من سقرته النار و
صقرته اذا لوحته قال ذو الرمة اذا ذابت الشمس اتقى صقراتها بافنان مرفوع الصريمة معبل
وعدم صرفها للتعريف والتانيث انا كل شيء خلقناه بقدر كل شيء منصوب بفعل يفسره الظاهر وقرئ
كل شيء بالرفع والقدر والقدر التقدير وقرئ بهما اي خلقنا كل شيء مقدرا محكما مرتبا على حسب
ما اقتضته الحكمة او مقدرا مكتوبا في اللوح معلوما قبل كونه قد علمنا حاله وزمانه وما امرنا الا واحدة
كلمح بالبصر الا كلمة واحدة سريعة التكوين كلمح بالبصر اراد قوله كن يعني انه اذا اراد تكوين شيء لم
يلبث كونه ولقد اهلكنا اشياعكم اشباهكم في الكفر من الامم فهل من مدكر وكل شيء فعلوه في الزبر في
دواوين الحفظة وكل صغير وكبير من الاعمال ومن كل ما هو كائن مستطر مسطور في اللوح ان المتقين
في جنات ونهر وانهار اكتفى باسم الجنس وقيل هو السعة والضياء من النهار وقرئ بسكون
الهاء ونهر جمع نهر كاسد واسد في مقعد صدق في مكان مرضي وقرئ في مقاعد صدق عند
مليك مقتدر مقربين عند مليك مبهم امره في الملك والاقتدار فلا شيء الا وهو تحت ملكه وقدرته
فاي منزلة اكرم من تلك المنزلة واجمع للغبطة كلها والسعادة باسرها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرا سورة القمر في كل غب بعثه الله يوم القيامة ووجهه مثل القمر ليلة البدر

سورة الرحمن مكية وقيل مدنية وهي ست وسبعون آية ويقال سبع ويقال ثمان

بسم الله الرحمن الرحيم الرحمن علم القرآن خلق الانسان علمه البيان
عدد الله عز وعلا آلاءه فاراد ان يقدم اول شيء ما هو اسبق قدما من ضروب آلائه واصناف
نعمائه وهي نعمة الدين فقدم من نعمة الدين ما هو في اعلى مراتبها واقصى مراقيها وهو انعامه
بالقرآن وتنزيله وتعليمه لانه اعظم وحي الله رتبة واعلاه منزلة واحسنه في ابواب الدين اثرا

وهو سنام الكتب السماوية ومصداقها والعياذ عليها وأخر ذكر خلق الانسان عن ذكره ثم
أتبعه اياه ليعلم انه انما خلقه للدين وليحيط علما بوحيه وكتبه وما خلق الانسان من اجله
وكان الغرض في انشائه كان مقدما عليه وسابقا له ثم ذكر ما تميز به من سائر الحيوان من البيان
وهو المنطق الفصيح المعرب عما في الضمير والرحمن مبتدأ وهذه الافعال مع ضمائرها اخبار
مترادفة واخلاؤها من العاطف لمجيئها على نمط التعديد كما تقول زيد اغناك بعد فقر اعزك بعد
ذل كثرك بعد قلة فعل بك ما لم يفعل احد باحد فما تنكر باحسانه الشمس والقمر بحسبان بحساب
معلوم وتقرير سوى يجريان في بروجهما ومنازلهما وفي ذلك منافع للناس عظيمة منها علم السنين
والحساب والنجم والشجر يسجدان النجم النبات الذي ينجم من الارض لا ساق له كالبقول والشجر
الذي له ساق وسجودهما انقيادهما لله فيما خلقا له وانهما لا يمتنعان تشبيها بالساجد من المكلفين
في انقياده فان قلت كيف اتصلت هاتان الجملتان بالرحمن قلت استغنى فيهما عن الوصل
اللفظي بالوصل المعنوي لما علم ان الحسبان حسبانه والسجود له لا لغيره كانه قيل الشمس والقمر
بحسبانه والنجم والشجر يسجدان له فان قلت كيف أخل بالعاطف في الجمل الاول ثم جيء به
بعد قلت بكت بتلك الجمل الاول واردة على سنن التعديد الذين انكروا الرحمن وآلاءه
كما بكت منكر ايادي المنعم عليه من الناس بتعديدها عليه في المثال الذي قدمته ثم رد الكلام
الى منهاجه بعد التبكيت في وصل ما يجب وصله للتناسب والتقارب بالعاطف فان قلت
اي تناسب بين هاتين الجملتين حتى وسط بينهما العاطف قلت ان الشمس والقمر سماويان
والنجم والشجر ارضيان فبين القبيلتين تناسب من حيث التقابل وان السماء والارض لا
تزالان تذكران قرينتين وان جري الشمس والقمر بحسبان من جنس الانقياد لامر الله فهو مناسب
لسجود النجم والشجر وقيل علم القرآن جعله علامة وآية وعن ابن عباس رضي الله عنهما
الانسان آدم وعنه رضي الله عنه محمد صلى الله عليه وسلم وعن مجاهد النجم نجوم السماء
والسماء رفعها خلقها مرفوعة مسموكة حيث جعلها منشأ احكامه ومصدر قضاياه ومتنزل
اوامره

ومتنزل اوامره ونواهيه ومسكن ملائكته الذين يهبطون بالوحي على انبيائه ونبه بذلك على كبرياء
شانه وملكه وسلطانه ووضع الميزان وفي قراءة عبد الله وخفض الميزان واراد به كل ما يوزن
به الاشياء وتعرف مقاديرها من ميزان وقرسطون ومكيال ومقياس اي خلقه موضوعا محفوظا
على الارض حيث علق به احكام عباده وقضاياهم وما تعبدهم به من التسوية والتعديل في اخذهم و
اعطائهم ان لا تطغوا في الميزان لان لا تطغوا او هي ان المفسرة وقرأ عبد الله لا تطغوا بغير ان
على ارادة القول واقيموا الوزن بالقسط وقوموا وزنكم بالعدل ولا تخسروا الميزان ولا تنقصوه
امر بالتسوية ونهي عن الطغيان الذي هو اعتداء وزيادة وعن الخسران الذي هو تطفيف ونقصان
وكرر لفظ الميزان تشديدا للتسوية وتقوية للامر باستعماله والحث عليه وقرئ والسماء بالرفع
ولا تخسر بفتح التاء وضم السين وكسرها وفتحها يقال خسر الميزان يخسره ويخسره واما
الفتح فعلى ان الاصل ولا تخسروا في الميزان فحذف الجار واوصل الفعل والارض وضعها
خفضها مدحوة على الماء للانام للخلق وهو كل ما على ظهر الارض من دابة وعن الحسن الانس والجن
فهي كالمهاد لهم يتصرفون فوقها فيها فاكهة ضروب مما يتفكه به والنخل ذات الاكمام هي كل ما يكم
اي يغطي من ليفه وسعفه وكفراه وكله منتفع به كما ينتفع بالمكموم من ثمره وجماره وجذوعه
وقيل الاكمام اوعية الثمر الواحد كم بكسر الكاف والحب ذو العصف والريحان العصف
ورق الزرع وقيل التبن والريحان الرزق وهو اللب اراد فيها ما يتلذذ به من الفواكه
والجامع بين التلذذ والتغذي وهو ثمر النخل وما يتغذى به وهو الحب قرئ والريحان بالكسر
ومعناه والحب ذو العصف الذي هو علف الانعام والريحان الذي هو مطعم الناس وبالضم
على وذو الريحان فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وقيل معناه وفيها الريحان الذي
يشم وفي مصاحف اهل الشام والحب ذا العصف والريحان اي وخلق الحب والريحان
او اخص الحب والريحان ويجوز ان يراد وذا الريحان فيحذف المضاف ويقام المضاف اليه
مقامه فباي آلاء ربكما تكذبان الخطاب في ربكما تكذبان للثقلين بدلالة الانام عليهما وقوله سنفرغ

لكم ايها الثقلان خلق الانسان من صلصال كالفخار وخلق الجان من مارج من نار فباى آلاء
ربكما تكذبان الصلصال الطين اليابس له صلصلة والفخار الطين المطبوخ بالنار وهو الخزف
فان قلت قد اختلف التنزيل في هذا وذلك قوله عز وجل من حمأ مسنون من طين لازب من
تراب قلت هو متفق في المعنى ومفيد انه خلقه من تراب جعله طينا ثم حمأ مسنونا
ثم صلصالا والجان ابو الجن قيل هو ابليس والمارج اللهب الصافي الذي لا دخان فيه وقيل
المختلط بسواد النار من مرج الشيء اذا اضطرب واختلط فان قلت فما معنى قوله
من نار قلت هو بيان لمارج كانه قيل من صاف من نار او مختلط من نار او اراد من نار
مخصوصة كقوله فانذرتكم نارا تلظى رب المشرقين ورب المغربين فباى آلاء ربكما تكذبان قرئ
رب المشرقين بالجر بدلا من ربكما واراد مشرقي الصيف والشتاء ومغربيهما مرج البحرين يلتقيان
لدسل البحر الملح والبحر العذب متجاورين متلاقيين لا فصل بين الماءين في مرأى العين
بينهما برزخ حاجز من قدرة الله تعالى لا يبغيان لا يتجاوزان حدهما ولا يبغي احدهما على
الآخر بالممازجة فباى آلاء ربكما تكذبان يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان فباى آلاء ربكما تكذبان قرئ
يخرج ويخرج من اخرج وخرج ويخرج اي الله عز وجل اللؤلؤ والمرجان بالنصب ويخرج
بالنون واللؤلؤ والمرجان هذا الخرز الاحمر وهو البسذ وقيل اللؤلؤ كبار الدر
والمرجان صغاره فان قلت لم قال منهما وانما يخرجان من الملح قلت لما التقيا
وصارا كالشيء الواحد جاز ان يقال يخرجان منهما كما يقال يخرجان من البحر ولا يخرجان
من جميع البحر ولكن من بعضه ويقول خرجت من البلد وانما خرجت من محلة من محاله
بل من دار واحدة من دوره وقيل لا يخرجان الا من ملتقى الملح والعذب وله الجوار
المنشآت في البحر كالاعلام فباى آلاء ربكما تكذبان الجوار السفن وقرئ الجوار بحذف الياء
ورفع الراء ونحوه لها ثنايا اربع حسان واربع فكلها ثمان والمنشآت المرفوعات الشرع
وقرئ بكسر الشين وهي الرافعات الشرع او اللاتي ينشئن الامواج بجريهن والاعلام جمع علم
وهو

وهو الجبل الطويل كل من عليها على الارض فان ويبقى وجه ربك ذاته والوجه يعبر به عن
الجملة والذات ومساكين مكة يقولون اين وجه عربي كريم ينقذني من الهوان ذو الجلال و
الاكرام صفة الوجه وقرأ عبد الله ذي على صفة ربك ومعناه الذي يجله الموحدون عن
التشبيه بخلقه وعن افعالهم او الذي يقال له ما اجلك واكرمك او من عنده الجلال والاكرام
للمخلصين من عباده وهذه الصفة من عظيم صفات الله ولقد قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم الظوا بيا ذا الجلال والاكرام وعنه صلى الله عليه وسلم انه مر برجل وهو يصلي
ويقول يا ذا الجلال والاكرام فقال قد استجيب لك فباى آلاء ربكما تكذبان ما النعمة في ذلك قلت
هو اعظم النعمة وهو مجيء وقت الجزاء عقيب ذلك يسأله من في السماوات والارض كل من
اهل السماوات والارض مفتقرون اليه فيسأله اهل السماوات ما يتعلق بدينهم واهل الارض
ما يتعلق بدينهم ودنياهم كل يوم هو في شأن اي كل وقت وحين يحدث امورا ويجدد احوالا
كما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه تلاها فقيل له وما ذلك الشأن فقال من شأنه
ان يغفر ذنبا ويفرج كربا ويرفع قوما ويضع آخرين وعن ابن عيينة الدهر عند الله يومان
احدهما اليوم الذي هو مدة الدنيا فشأنه فيه الامر والنهي والاماتة والاحياء والاعطاء والمنع
والآخر يوم القيامة فشأنه فيه الجزاء والحساب وقيل نزلت في اليهود حين قالوا ان الله
لا يقضي يوم السبت شيئا وسأل بعض الملوك وزيره عنها فاستمهله الى الغد وذهب كئيبا يفكر
فيها فقال غلام له اسود يا مولاي اخبرني ما اصابك لعل الله يسهل لك على يدي فاخبره فقال انا
افسرها للملك فاعلمه فقال ايها الملك شأن الله انه يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل
ويخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويشفي سقيما ويسقم سليما ويبتلي معافى
ويعافي مبتلى ويعز ذليلا ويذل عزيزا ويفقر غنيا ويغني فقيرا فقال الامير احسنت وامر
الوزير ان يخلع عليه ثياب الوزارة فقال يا مولاي هذا من شأن الله وعن عبد الله بن طاهر
انه دعا الحسين بن الفضل وقال له اشكلت علي ثلث آيات دعوتك لتكشفها لي قوله تعالى

فاصبح من النادمين وقد صح ان الندم توبة وقوله كل يوم هو في شان وصح ان القلم جف
بما هو كائن الى يوم القيامة وقوله وان ليس للانسان الا ما سعى فما بال الاضعاف فقال الحسين
يجوز ان لا يكون الندم توبة في تلك الامة ويكون توبة في هذه الامة لان الله تعالى خص هذه الامة
بخصائص لم تشاركهم فيها الامم وقيل ان ندم قابيل لم يكن على قتل هابيل ولكن على حمله واما
قوله وان ليس للانسان الا ما سعى فمعناه ليس له الا ما سعى عدلا ولي ان اجزيه بواحدة الفا
فضلا واما قوله كل يوم هو في شان فانها شؤون يبديها لا شؤون يبتديها فقام عبد الله وقبل
راسه وسوغ خراجه فباى الاء ربكما تكذبان سنفرغ لكم ايها الثقلان فباى الاء ربكما تكذبان
سنفرغ لكم مستعار من قول الرجل لمن يتهدده سافرغ لك يريد سأتجرد للايقاع بك من كل ما
يشغلني عنه حتى لا يكون لي شغل سواه والمراد التوفر على النكاية فيه والانتقام منه ويجوز
ان يراد ستنتهي الدنيا وتبلغ آخرها وتنتهي عند ذلك شؤون الخلق التي ارادها بقوله كل
يوم هو في شان فلا يبقى الا شان واحد وهو جزاؤكم فجعل ذلك فراغا لهم على طريق المثل وقرئ
سيفرغ لكم اي الله تعالى وسافرغ وسنفرغ بالنون مفتوحا ومكسورا وفتح الراء وسيفرغ
بالياء مفتوحا ومضموما مع فتح الراء وفي قراءة ابي سنفرغ اليكم بمعنى سنقصد اليكم والثقلان
الانس والجن سميا بذلك لانهما ثقلا الارض يا معشر الجن والانس كالترجمة لقوله ايها الثقلان
ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والارض فانفذوا لا تنفذون الا بسلطان فباى
آلاء ربكما تكذبان ان استطعتم ان تهربوا من قضائي وتخرجوا من ملكوتي ومن سمائي وارضي فافعلوا
ثم قال لا تقدرون على النفوذ الا بسلطان يعني بقوة وقهر وغلبة وانى لكم ذلك ونحوه وما انتم بمعجزين
في الارض ولا في السماء وروي ان الملائكة تنزل فتحيط بجميع الخلائق فاذا رآهم الجن والانس هربوا
فلا ياتون وجها الا وجدوا الملائكة احاطت به يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران
فباى الاء ربكما تكذبان شواظ ونحاس كلاهما بالضم والكسر والشواظ اللهب الخالص والنحاس
الدخان وانشد تضيء كضوء سراج السليط لم يجعل الله فيه نحاسا وقيل الصفر المذاب
يصب

يصب على رؤوسهم وعن ابن عباس رضي الله عنهما اذا خرجوا من قبورهم ساقهم شواظ الى المحشر
وقرئ ونحاس مرفوعا عطفا على شواظ ومجرورا عطفا على نار وقرئ ونحس جمع نحاس وهو الدخان
نحو لحاف ولحف وقرئ ونحس اي ونقتل بالعذاب وقرئ نرسل عليكما شواظا من نار ونحاسا
فلا تنتصران فلا تمتنعان فاذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان فباى الاء ربكما
تكذبان وردة حمراء كالدهان كدهن الزيت كما قال كالمهل وهو دردي الزيت وهو جمع دهن او اسم ما يدهن به
كالحزام والادام قال كانهما مزادتا متعجل فريان لما تدهنا بدهان وقيل الدهان الاديم
الاحمر وقرا عبيد بن عمير وردة بالرفع بمعنى فحصلت سماء وردة وهو من الكلام الذي يسمى التجريد
كقوله فلئن بقيت لارحلن بغزوة تحوي الغنائم او يموت كريم فيومئذ لا يسال عن ذنبه انس ولا جان
اي ولا بعض من الجن فوضع الجان الذي هو ابو الجن موضع الجن كما يقال هاشم و
يراد ولده وانما وحد ضمير الانس في قوله عن ذنبه لكونه في معنى البعض والمعنى لا يسألون لانهم
يعرفون بسيماء المجرمين وهي سواد الوجوه وزرقة العيون فان قلت هذا خلاف قوله فوربك
لنسالنهم اجمعين وقوله وقفوهم انهم مسؤولون قلت ذلك يوم طويل وفيه مواطن فيسالون
في موطن ولا يسالون في آخر قال قتادة قد كانت مسالة ثم ختم على افواه القوم وتكلمت ايديهم وارجلهم
بما كانوا يعملون وقيل لا يسال عن ذنبه ليعلم من جهته ولكن يسال سؤال توبيخ وقرا الحسن وعمرو بن عبيد
ولا جأن فرارا من التقاء الساكنين وان كان على حده فباى الاء ربكما تكذبان يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ
بالنواصي والاقدام فباى الاء ربكما تكذبان عن الضحاك يجمع بين ناصيته وقدمه في سلسلة من وراء
ظهره وقيل تسحبهم الملائكة تارة تاخذ بالنواصي وتارة بالاقدام هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون يطوفون
بينها وبين حميم آن فباى الاء ربكما تكذبان حميم آن ماء حار قد انتهى حره ونضجه اي يعاقب عليهم بين
التصلية بالنار وبين شرب الحميم وقيل اذا استغاثوا من النار جعل غياثهم الحميم وقيل ان
واديا من اودية جهنم يجتمع فيه صديد اهل النار فينطلق بهم في الاغلال فيغمسون فيه حتى تنخلع
اوصالهم ثم يخرجون منها وقد احدث الله لهم خلقا جديدا وقرئ يطوفون من التطويف ويطوفون

اى يتطوفون ويطافون وفي قراءة عبد الله هذه جهنم التي كنتما بها تكذبان تصليان لا تموتان فيها
ولا تحييان يطوفون بينها ونعمة الله فيما ذكر من هول العذاب نجاة الناجي منه برحمته وفضله وما
في الانذار به من اللطف ولمن خاف مقام ربه جنتان فباى الاء ربكما تكذبان مقام ربه موقفه الذي
يقف فيه العباد للحساب يوم القيامة يوم يقوم الناس لرب العالمين ونحوه ولمن خاف مقامي وعيد او
ان يولد مقام ربه ان الله قائم عليه اى حافظ مهيمن من قوله افمن هو قائم على كل نفس بما كسبت
فهو يراقب ذلك فلا يجسر على معصية وقيل هو مقحم كما تقول اخاف جانب فلان وفعلت هذا
لمكانك ونفيت عنه مقام الذنب كالرجل اللعين او مقام نفسه عند الذنب فان قلت لم قال
جنتان قلت الخطاب للثقلين فكانه قيل لكل خائفين منكما جنتان جنة للخائف الانسي
وجنة للخائف الجني ويجوز ان يقال جنة لفعل الطاعات وجنة لترك المعاصي لان التكليف دائر
عليها وان يقال جنة يثاب بها واخرى تضم اليها على وجه التفضل لقوله تعالى وزيادة ذواتا
افنان فباى الاء ربكما تكذبان خص الافنان بالذكر وهي الغصنة التي تتشعب من فروع الشجر
لانها هي التي تورق وتثمر فمنها تمتد الظلال ومنها تجتنى الثمار وقيل الافنان الوان
النعم ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين قال ومن كل افنان اللذاذة والصبا
لهوت به والعيش اخضر ناضر فيهما عينان تجريان حيث شاؤا في الاعالي والاسافل وقيل
تجريان من جبل من مسك وعن الحسن تجريان بالماء الزلال احديهما التسنيم والاخرى السلسبيل
فباى الاء ربكما تكذبان فيهما من كل فاكهة زوجان صنفان قيل صنف معروف وصنف غريب
فباى الاء ربكما تكذبان متكئين نصب على المدح للخائفين او حال منهم لان من خاف في معنى الجمع
على فرش بطائنها من استبرق من ديباج ثخين واذا كانت البطائن من الاستبرق فما ظنك
بالظهائر وقيل ظهائرها من سندس وقيل من نور وجنى الجنتين دان قريب يناله القائم والقاعد
والنائم وقرئ وجنى بكسر الجيم فباى الاء ربكما تكذبان فيهن في هذه الالاء المعدودة من الجنتين
والعينين والفاكهة والفرش والجنى او في الجنتين لاشتمالهما على اماكن وقصور ومجالس قاصرات

الطرف

١٤٤

الطرف نساء قصرن ابصارهن على ازواجهن لا ينظرن الى غيرهم لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان
لم يطمث الانسيات منهن احد من الانس ولا الجنيات احد من الجن وهذا دليل على ان الجن
يطمثون كما يطمث الانس وقرئ لم يطمثهن بضم الميم فباى الاء ربكما تكذبان كانهن الياقوت
والمرجان فباى الاء ربكما تكذبان قيل هن في صفاء الياقوت وبياض المرجان وصغار الدر انصع
بياضا قيل ان الحوراء تلبس سبعين حلة فيرى مخ ساقها من ورائها كما يرى الشراب الاحمر
في الزجاجة البيضاء هل جزاء الاحسان في العمل الا الاحسان في الثواب وعن محمد بن الحنفية رضي الله عنه
هي مسجلة للبر والفاجر اى مرسلة يعني ان كل من احسن احسن اليه وكل من اساء اسيئ اليه
فباى الاء ربكما تكذبان ومن دونهما ومن دون تينك الجنتين الموعودتين للمقربين جنتان لمن دونهم
من اصحاب اليمين فباى الاء ربكما تكذبان مدهامتان قد ادهامتا من شدة الخضرة فباى الاء
ربكما تكذبان فيهما عينان نضاختان فوارتان بالماء والنضخ اكثر من النضح لان النضح غير معجمة
مثل الرش فباى الاء ربكما تكذبان فيهما فاكهة ونخل ورمان فباى الاء ربكما تكذبان فان قلت
لم عطف النخل والرمان على الفاكهة وهما منها قلت اختصاصا لهما وبيانا لفضلهما كانهما
لما لهما من المزية جنسان اخران كقوله وجبريل وميكائيل او لان النخل ثمره فاكهة وطعام
والرمان فاكهة ودواء فلم يخلصا للتفكه ومنه قال ابو حنيفة رضي الله عنه اذا حلف لا ياكل فاكهة
فاكل رمانا او رطبا لم يحنث وخالفه صاحباه رحمهما الله فيهن خيرات حسان فباى الاء ربكما
تكذبان خيرات خيّرات فخففت كقوله صلى الله عليه وسلم هينون لينون واما خير الذي
هو بمعنى اخير فلا يقال فيه خيرون ولا خيرات وقرئ خيّرات على الاصل والمعنى فاضلات
الاخلاق حسان الخلق حور مقصورات في الخيام قصرن في خدورهن يقال امراة قصيرة
وقصورة ومقصورة مخدرة وقيل ان الخيمة من خيامهن درة مجوفة فباى الاء ربكما تكذبان
لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان فباى الاء ربكما تكذبان قبلهم قبل اصحاب الجنتين دل عليه ذكر الجنتين
متكئين على رفرف خضر وعبقري حسان فباى الاء ربكما تكذبان متكئين نصب على الاختصاص والرفرف

ضرب من البسط وقيل الوسائد وقيل كل ثوب عريض رفرف ويقال
لاطراف البسط وفضول الفسطاط رفارف ورفرف السحاب هيدبه والعبقري منسوب الى عبقر
تزعم العرب انه بلد الجن فينسبون اليه كل شي عجيب وقرى رفارف خضر بضمتين وعباقري
كمدايني نسبة الى عباقر في اسم البلد وروى ابو حاتم عباقري بفتح القاف ومنع الصرف وهذا لا وجه
لصحته **فان قلت** كيف تقاصرت صفات هاتين الجنتين عن الاوليين حتى قيل ومن دونهما **قلت**
مدهامتان دون ذواتا افنان ونضاختان دون تجريان وفاكهة دون كل فاكهة وكذلك صفة الحور
والمتكا **تبارك اسم ربك ذي الجلال والاكرام** وقرى ذو الجلال صفة للاسم عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم من قرا سورة الرحمن ادى شكر ما انعم الله عليه

سورة الواقعة مكية وهي سبع وتسعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم **اذا وقعت الواقعة ليس لوقعتها كاذبة** وقعت
الواقعة كقولك كانت الكائنة وحدثت الحادثة والمراد القيامة وصفت بالوقوع لانها تقع لا محالة
فكانه قيل اذا وقعت التي لا بد من وقوعها ووقوع الامر نزوله يقال وقع ما كنت اتوقعه اي نزل
ما كنت اترقب نزوله **فان قلت** بم انتصب اذا **قلت** بليس كقولك يوم الجمعة ليس لي شغل
او بمحذوف يعني اذا وقعت كان كيت وكيت او باضمار اذكر كاذبة نفس كاذبة اي لا تكون
حين تقع نفس تكذب على الله وتكذب في تكذيب الغيب لان كل نفس حينئذ مومنة صادقة مصدقة
واكثر النفوس اليوم كواذب مكذبات كقوله فلما راوا باسنا قالوا امنا بالله وحده لن يومنوا به
حتى يروا العذاب الاليم ولا يزال الذين كفروا في مرية منه حتى تاتيهم الساعة واللام مثلها في
قوله تعالى يا ليتني قدمت لحياتي او ليس لها نفس تكذبها وتقول لها لم تكوني كما لها اليوم نفوس كثيرة
يكذبنها يقلن لها لن تكوني او هي من قولهم كذبت فلانا نفسه في الخطب العظيم اذا شجعته على
مباشرته وقالت له انك تطيقه وما فوقه فتعرض له ولا تبال به على معنى انها وقعة لا تطاق شدة
وفظاعة وان لا نفس حينئذ تحدث صاحبها بما تحدثه به عند عظائم الامور وتزين له احتمالها
واطاقتها

واطاقتها لانهم يومئذ اضعف من ذلك واذل الا ترى الى قوله كالفراش المبثوث والفراش مثل في الضعف
وقيل كاذبة مصدر كالعافية بمعنى التكذيب من قولك حمل على قرنه فما كذب اي فما جبن وما تثبط
وحقيقته فما كذب نفسه فيما حدثته به من اطاقته له واقدامه عليه قال زهير
اذا ما الليث كذب عن اقرانه صدقا اي اذا وقعت لم يكن لها رجعة ولا ارتداد **خافضة رافعة**
على هي خافضة رافعة ترفع اقواما وتضع آخرين اما وصفا لها بالشدة لان الواقعات العظام كذلك
يرتفع فيها ناس الى مراتب ويتضع ناس واما ان الاشقياء يحطون الى الدركات والسعداء يرفعون
الى الدرجات واما انها تزلزل الاشياء وتزيلها عن مقارها فتخفض بعضا وترفع بعضا حيث يسقط
السماء كسفا وتنتثر الكواكب وتنكدر وتسير الجبال فتمر في الجو مر السحاب وقرى خافضة
رافعة بالنصب على الحال **اذا رجت الارض رجا** حركت تحريكا شديدا حتى ينهدم كل شي فوقها من
جبل وبناء **وبست الجبال بسا** وفتتت حتى تعود كالسويق او سيقت من بس الغنم اذا ساقها
كقوله وسيرت الجبال **فكانت هباء منبثا** متفرقا وقرى بالتاء اي منقطعا وقرى رجت وبست اي
ارتجت وذهبت وفي كلام بنت الخس عينها هاج وصلاها راج وهي تمشي وتفاج **فان قلت**
بم انتصب اذا رجت **قلت** هو بدل من اذا وقعت ويجوز ان ينتصب بخافضة رافعة
اي تخفض وترفع وقت رج الارض وبس الجبال لانه عند ذلك ينخفض ما هو مرتفع و
يرتفع ما هو منخفض **وكنتم ازواجا** اصنافا يقال للاصناف التي بعضها مع بعض او يذكر بعضها
مع بعض ازواج **ثلثة فاصحاب الميمنة** الذين يوتون صحائفهم بايمانهم **ما اصحاب الميمنة واصحاب
المشامة** الذين يوتونها بشمائلهم **ما اصحاب المشامة** او اصحاب المنزلة السنية واصحاب المنزلة
الدنية من قولك فلان مني باليمين وفلان مني بالشمال اذا وصفتهما بالرفعة والضعة وذلك
لتيمنهم بالميامن وتشاومهم بالشمائل ولتفاولهم بالسانح وتطيرهم من البارح ولذلك اشتقوا لليمين
الاسم من اليمن وسموا الشمال الشومى وقيل اصحاب الميمنة واصحاب المشامة اصحاب اليمن
والشوم لان السعداء ميامين على انفسهم بطاعتهم والاشقياء مشائيم عليها بمعصيتهم وقيل

يؤخذ بأهل الجنة ذات اليمين وبأهل النار ذات الشمال **والسابقون السابقون** المخلصون الذين سبقوا الى ما دعاهم الله اليه وشقوا الغبار في طلب مرضاة الله وقيل الناس ثلثة فرجل ابتكر الخير في حداثة سنه ثم داوم عليه حتى خرج من الدنيا فهذا السابق المقرب ورجل ابتكر عمره بالذنب وطول الغفلة ثم تراجع بتوبة فهذا صاحب اليمين ورجل ابتكر الشر في حداثة سنه ثم لم يزل عليه حتى خرج من الدنيا فهذا صاحب الشمال ما اصحاب الميمنة وما اصحاب المشأمة تعجيب من حال الفريقين في السعادة والشقاوة والمعنى اى شيء هم والسابقون السابقون يريد والسابقون من عرفت حالهم وبلغك وصفهم كقوله وعبد الله عبد الله وقول ابي النجم وشعري شعري كانه قال وشعري ما انتهى اليك وسمعت بفصاحته وبراعته وقد جعل السابقون تاكيدا واولئك المقربون خبرا وليس بذاك ووقف بعضهم على والسابقون وابتدا السابقون اولئك المقربون والصواب ان يوقف على الثاني لانه تمام الجملة وهو في مقابلة ما اصحاب الميمنة وما اصحاب المشأمة **اولئك المقربون في جنات النعيم** الذين قربت درجاتهم في الجنة من العرش واعليت مراتبهم وقرئ في جنة النعيم **ثلة من الاولين** الثلة الامة من الناس الكثيرة قال وجاءت اليهم ثلة خندفية بجيش كتيار من السيل مزبد وقوله **وقليل من الآخرين** كفى به دليلا على الكثرة وهي من الثل وهو الكسر كما ان الامة من الام وهو الشج كانها جماعة كسرت من الناس وقطعت منهم والمعنى ان السابقين كثير من الاولين وهم الامم من لدن آدم الى محمد عليهما السلم وقليل من الآخرين وهم امة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل من متقدمي هذه الامة ومن الآخرين من متأخريها وعن النبي صلى الله عليه وسلم الثلتان جميعا من امتي **فان قلت** كيف قال وقليل من الآخرين ثم قال وثلة من الآخرين **قلت** هذا في السابقين وذاك في اصحاب اليمين وانهم يتكاثرون من الاولين والآخرين جميعا **فان قلت** فقد روي انه لما نزلت شق ذلك على المسلمين فما زال رسول الله صلى الله عليه وسلم يراجع ربه حتى نزلت ثلة من الاولين وثلة من الآخرين **قلت** هذا لا يصح لامرين احدهما ان هذه الآية واردة في السابقين ورودا ظاهرا وكذلك الثانية في اصحاب اليمين الا ترى كيف عطف اصحاب اليمين ووعدهم على

على

على السابقين ووعدهم والثاني ان النسخ في الاخبار غير جائز وعن الحسن سابقوا الامم اكثر من سابقي امتنا وتابعوا الامم مثل تابعي هذه الامة وثلة خبر مبتدإ محذوف اى هم ثلة **على سرر موضونة** مرمولة بالذهب مشبكة بالدر والياقوت قد دوخل بعضها في بعض كما توضن حلق الدرع قال الاعشى ومن نسج داود موضونة وقيل متواصلة ادني بعضها من بعض **متكئين عليها** **متقابلين** حالان من الضمير في على وهو العامل فيهما اى استقروا عليها متكئين متقابلين لا ينظر بعضهم في اقفاء بعض وصفوا بحسن العشرة وتهذيب الاخلاق والآداب **يطوف عليهم ولدان مخلدون** مبقون ابدا على شكل الولدان وحد الوصافة لا يتحولون عنه وقيل مقرطون والخلدة القرط وقيل هم اولاد اهل الدنيا لم تكن لهم حسنات فيثابوا عليها ولا سيئات فيعاقبوا عليها روي عن علي رضي الله عنه وعن الحسن رحمه الله وفي الحديث اولاد الكفار خدام اهل الجنة **باكواب واباريق وكاس من معين** الاكواب اوان بلا عرى وخراطيم والاباريق ذوات الخراطيم **لا يصدعون عنها** اى بسببها وحقيقته لا يصدر صداعهم عنها او لا يفرقون عنها وقرأ مجاهد لا يصدعون بمعنى لا يتصدعون لا يتفرقون كقوله يومئذ يصدعون ويصدعون اى لا يصدع بعضهم بعضا لا يفرقونهم **ولا ينزفون** **وفاكهة مما يتخيرون** ياخذون خيره وافضله **ولحم طير مما يشتهون** يتمنون وقرئ ولحوم طير **وحور عين كامثال اللؤلؤ المكنون** وحور عين بالرفع على وفيها حور عين كبيت الكتاب الا رواكد جمرهن هباء ومشجج **فيه** او للعطف على ولدان وبالجر عطفا على جنات النعيم كانه قال هم في جنات وفاكهة ولحم وحور او على اكواب لان معنى يطوف عليهم ولدان مخلدون باكواب ينعمون باكواب وبالنصب على ويؤتون حورا **جزاء بما كانوا يعملون** جزاء مفعول له اى يفعل بهم ذلك كله جزاء باعمالهم **لا يسمعون فيها لغوا** **ولا تأثيما الا قيلا سلاما سلاما** اما بدل من قيلا بدليل قوله لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما واما مفعول به لقيلا بمعنى لا يسمعون فيها الا ان يقولوا سلاما سلاما والمعنى انهم يفشون السلام بينهم فيسلمون سلاما بعد سلام وقرئ سلام سلام على الحكاية **واصحاب اليمين ما اصحاب اليمين في سدر مخضود** **وطلح منضود** السدر شجر النبق والمخضود الذي لا شوك له كانما خضد شوكه وعن مجاهد الموقر

الذي يثنى أغصانه لكثرة حمله من خضد الغصن إذا ثناه وهو رطب والطلح شجر الموز وقيل هو شجر
أم غيلان وله نوار كثير طيب الرائحة وعن السدي شجر يشبه طلح الدنيا ولكن له ثمر أحلى من العسل
وعن علي رضي الله عنه أنه قرأ وطلع وما شأن الطلح وقرأ قوله تعالى لها طلع نضيد فقيل أو نحولها
قال آي القرآن لا تهاج اليوم ولا تحول وعن ابن عباس نحوه والمنضود الذي نضد بالحمل من أسفله
إلى أعلاه فليست له ساق بارزة وظل ممدود ممتد منبسط لا يتقلص كظل ما بين طلوع الفجر
وطلوع الشمس وماء مسكوب يسكب لهم أين شاؤوا وكيف شاؤوا لا يتعنون فيه وقيل دائم الجرية
لا ينقطع وقيل مصبوب يجري على الأرض في غير أخدود وفاكهة كثيرة لا مقطوعة هي دائمة لا تنقطع
في بعض الأوقات كفواكه الدنيا ولا ممنوعة لا تمنع عن متناولها بوجه ولا يحظر عليها كما يحظر على
بساتين الدنيا وقرئ وفاكهة كثيرة بالرفع على وهناك فاكهة كقوله وحور عين وفرش جمع فراش
وقرئ وفرش بالتخفيف مرفوعة نضدت حتى ارتفعت أو مرفوعة على الأسرة وقيل هي النساء
لأن المرأة تكنى عنها بالفراش مرفوعة على الأرائك قال الله تعالى هم وأزواجهم في ظلال على الأرائك
متكئون ويدل عليه قوله إنا أنشأناهن وعلى التفسير الأول أضمر لهن لأن ذكر الفراش وهي المضاجع
دل عليهن إنا أنشأناهن إنشاء ابتدأنا خلقهن ابتداء جديدا من غير ولادة فإما أن يراد اللاتي ابتدئ
إنشاؤهن أو اللاتي أعيد إنشاؤهن وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أم سلمة سألته عن
قول الله تعالى إنا أنشأناهن إنشاء فقال يا أم سلمة هن اللواتي قبضن في دار الدنيا عجائز شمطا رمصا
جعلهن الله بعد الكبر أترابا على ميلاد واحد في الاستواء كلما أتاهن أزواجهن وجدوهن أبكارا
فلما سمعت رسول الله عائشة ذلك قالت وا وجعاه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس هناك
وجع وقالت عجوز لرسول الله صلى الله عليه وسلم ادع الله أن يدخلني الجنة فقال إن الجنة لا تدخلها
العجائز فولت وهي تبكي فقال صلى الله عليه وسلم أخبروها أنها ليست يومئذ بعجوز وقرأ الآية عربا
وقرئ عربا بالتخفيف جمع عروب وهي المتحببة إلى زوجها الحسنة التبعل أترابا مستويات
في السن بنات ثلث وثلثين وأزواجهن أيضا كذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل أهل الجنة
الجنة

الجنة مردا بيضا جعادا مكحلين أبناء ثلث وثلثين واللام في لأصحاب اليمين من صلة أنشأنا وجعلنا
ثلة من الأولين وثلة من الآخرين وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال في سموم في حر نار ينفذ في
المسام وحميم وماء حار متناه في الحرارة وظل من يحموم من دخان أسود بهيم لا بارد ولا كريم نفي
لصفتي الظل عنه يريد أنه ظل ولكن لا كسائر الظلال سماه ظلا ثم نفى عنه برد الظل وروحه ونفعه
لمن يأوي إليه من أذى الحر وذلك كرمه ليمحق ما في مدلول الظل من الاسترواح إليه والمعنى أنه
ظل حار ضار إلا أن للنفي في نحو هذا شأنا ليس للإثبات وفيه تهكم بأصحاب المشأمة وأنهم لا يستأهلون
الظل البارد الكريم الذي هو لأضدادهم في الجنة وقرئ لا بارد ولا كريم بالرفع أي لا هو كذلك
إنهم كانوا قبل ذلك مترفين وكانوا يصرون على الحنث العظيم الحنث الذنب العظيم ومنه قولهم
بلغ الغلام الحنث أي الحلم ووقت المؤاخذة بالمآثم ومنه حنث في يمينه خلاف بر فيها ويقال تحنث
إذا تأثم وتحرج وكانوا يقولون أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون أو آباؤنا الأولون
دخلت همزة الاستفهام على حرف العطف فإن قلت كيف حسن العطف على المضمر في لمبعوثون
من غير تأكيد بنحن قلت حسن للفاصل الذي هو الهمزة كما حسن في قوله ما أشركنا ولا آباؤنا
لفصل لا المؤكدة للنفي وقرئ أو آباؤنا قل إن الأولين والآخرين لمجموعون وقرئ لمجمعون إلى
ميقات يوم معلوم إلى ما وقتت به الدنيا من يوم معلوم والإضافة بمعنى من كخاتم فضة والميقات
ما وقت به الشيء أي حد ومنه مواقيت الإحرام وهي الحدود التي لا يتجاوزها من يريد دخول
مكة إلا محرما ثم إنكم أيها الضالون عن الهدى المكذبون بالبعث وهم أهل مكة ومن في مثل حالهم لآكلون
من شجر من زقوم من الأولى لابتداء الغاية والثانية لبيان الشجر وتفسيره فمالئون منها البطون
فشاربون عليه من الحميم أنث ضمير الشجر على المعنى وذكر على اللفظ في قوله منها وعليه
ومن قرأ من شجرة من زقوم فقد جعل الضميرين للشجرة وإنما ذكر الثاني على تأويل الزقوم لأنه تفسيرها
وهي في معناه فشاربون شرب الهيم قرئ بالحركات الثلث فالفتح والضم مصدران وعن جعفر
الصادق رضي الله عنه أيام أكل وشرب بفتح الشين وأما المكسور فبمعنى المشروب أي ما يشربه الهيم

وهي الابل التي بها الهيام وهو داء تشرب منه فلا تروى جمع اهيم وهيماء قال ذو الرمة
فاصبحن كالهيماء لا الماء مبرد صداها ولا يقضي عليها هيامها وقيل الهيم الرمال ووجهه ان
يكون جمع الهيام بفتح الهاء وهو الرمل الذي لا يتماسك جمع على فعل كسحاب وسحب ثم خفف وفعل
به ما فعل بجمع ابيض والمعنى انه يسلط عليهم من الجوع ما يضطرهم الى اكل الزقوم الذي هو كالمهل
فاذا ملأوا منه البطون سلط عليهم من العطش ما يضطرهم الى شرب الحميم الذي يقطع امعاءهم
فيشربونه شرب الهيم **فان قلت** كيف صح عطف الشاربين على الشاربين وهما لذوات متفقة
وصفتان متفقتان فكان عطفا للشيء على نفسه **قلت** ليستا بمتفقتين من حيث ان
كونهم شاربين للحميم على ما هو عليه من تناهي الحرارة وقطع الامعاء امر عجيب وشربهم له على ذلك
كما يشرب الهيم الماء امر عجيب ايضا فكانتا صفتين مختلفتين **هذا نزلهم يوم الدين** النزل الرزق
الذي يعد للنازل تكرمة له وفيه تهكم كما في قوله فبشرهم بعذاب اليم وكقول ابي الشعر الضبي
وكنا اذا الجبار بالجيش ضافنا جعلنا القنا والمرهفات له نزلا وقرئ نزلهم بالتخفيف **نحن
خلقناكم فلولا تصدقون** تحضيض على التصديق اما بالخلق لانهم وان كانوا مصدقين به الا
انهم لما كان مذهبهم خلاف ما يقتضيه التصديق فكانهم مكذبون به واما بالبعث لان من خلق
اولا لم يمتنع عليه ان يخلق ثانيا **افرأيتم ما تمنون** ما تمنونه اي تقذفونه في الارحام من النطف
وقرأ ابو السمال بفتح التاء يقال امنى النطفة ومناها قال الله تعالى من نطفة اذا تمنى
أأنتم تخلقونه تقدرونه وتصورونه **ام نحن الخالقون نحن قدرنا بينكم الموت** تقديرا وقسمنا
عليكم قسمة الرزق على اختلاف وتفاوت كما يقتضيه مشيتنا فاختلف اعماركم من قصير وطويل
ومتوسط وقرئ قدرنا بالتخفيف سبقته بالشيء اذا اعجزته عنه وغلبته عليه ولم
تمكنه منه فمعنى قوله **وما نحن بمسبوقين على ان نبدل امثالكم** انا قادرون على ذلك لا
تغلبوني عليه وامثالكم جمع مثل اي على ان نبدل منكم ومكانكم اشباهكم من الخلق **وننشئكم
فيما لا تعلمون** وعلى ان ننشئكم في خلق لا تعلمونها وما عهدتم بمثلها يعني انا نقدر على الامرين

جميعا

جميعا على خلق ما يماثلكم وما لا يماثلكم فكيف نعجز عن اعادتكم ويجوز ان يكون امثالكم جمع مثل
اي على ان نبدل ونغير صفاتكم التي انتم عليها في خلقكم واخلاقكم وننشئكم في صفات لا تعلمونها **ولقد
علمتم النشأة الاولى افلا تذكرون** قرئ النشأة والنشاة وفي هذا دليل على صحة القياس حيث جهلهم
في ترك قياس النشأة الاخرى على الاولى **افرأيتم ما تحرثون** من الطعام اي تبذرون حبه وتعملون في ارضه
أأنتم تزرعونه تنبتونه وتردونه نباتا يرف وينمي الى ان يبلغ الغاية وعن رسول الله صلى الله عليه
وسلم لا يقولن احدكم زرعت وليقل حرثت قال ابو هريرة رضي الله عنه ارأيتم الى قوله افرأيتم الآية
ام نحن الزارعون لو نشاء لجعلناه حطاما الحطام من حطم كالفتات والجذاذ من فت وجذ
وهو ما صار هشيما وتحطم **فظلتم** وقرئ بالكسر وفظللتم على الاصل **تفكهون** تعجبون وعن الحسن تندمون
على تعبكم فيه وانفاقكم عليه او على ما اقترفتم من المعاصي التي اصبتم بذلك من اجلها وقرئ تفكنون بعد خضرته
ومنه الحديث مثل العالم كمثل الحمة يأتيها البعداء ويتركها القرباء فبينا هم اذ غار ماؤها فانتفع
بها قوم وبقي قوم يتفكنون اي يتندمون **انا لمغرمون** لملزمون غرامة ما انفقنا او مهلكون لهلاك رزقنا
من الغرام وهو الهلاك **بل نحن** قوم **محرومون** محارفون محدودون لا حظ لنا ولا بخت ولو كنا محدودين
لما جرى علينا هذا وقرئ أئنا **افرأيتم الماء الذي تشربون** يريد الماء العذب الصالح للشرب **أأنتم انزلتموه
من المزن ام نحن المنزلون** المزن السحاب الواحدة مزنة وقيل هو السحاب الابيض خاصة وهو
اعذب ماء **لو نشاء جعلناه اجاجا فلولا تشكرون** اجاجا ملحا زعاقا لا يقدر على شربه **فان قلت**
لم ادخلت اللام على جواب لو في قوله لجعلناه حطاما ونزعت منه ههنا **قلت** ان لو لما كانت
داخلة على جملتين معلقة ثانيتهما بالاولى تعليق الجزاء بالشرط ولم تكن مخلصة للشرط كان ولا عاملة
مثلها وانما سرى فيها معنى الشرط اتفاقا من حيث افادتها في مضموني جملتيها ان الثاني امتنع
لامتناع الاول افتقرت في جوابها الى ما ينصب علما على هذا التعلق فزيدت هذه اللام ليكون علما
على ذلك فاذا حذفت بعد ما صارت علما مشهورا مكانه فلان الشيء اذا علم وشهر موقعه وصار
مألوفا ومأنوسا به لم يبال باسقاطه عن اللفظ استغناء بمعرفة السامع الا ترى الى ما يحكى عن رؤبة

انه كان يقول خير لمن قال له كيف اصبحت فيحذف الجار لعلم كل احد بمكانه وتساوي حالي حذفه
واثباته لشهرة امره وناهيك بقول اوس حتى اذا الكلاب قال لها كاليوم مطلبا ولا طلبا وحذفه
لم ار فاذن حذفها اختصار لفظي وهي ثابتة في المعنى فاستوى الموضعان لا فرق بينهما على ان تقدم
ذكرها والمسافة قصيرة مغن عن ذكرها ثانية ونائب عنه ويجوز ان يقال ان هذه اللام مفيدة معنى التاكيد
لا محالة فادخلت في آية المطعوم دون آية المشروب للدلالة على ان امر المطعوم مقدم على امر المشروب
وان الوعيد بفقده اشد واصعب من قبل ان المشروب انما يحتاج اليه تبعا للمطعوم الا ترى
انك تسقي ضيفك بعد ان تطعمه ولو عكست قعدت تحت قول ابي العلاء
اذا سقيت ضيوف الناس محضا سقوا اضيافهم شبما زلالا وسقى بعض العرب فقال انا لا اشرب
الا على ثميلة ولهذا قدمت آية المطعوم على آية المشروب افرايتم النار التي تورون تقدحونها
وتستخرجونها من الزناد والعرب تقدح بعودين يحك احدهما على الاخر ويسمون الاعلى
الزند والاسفل الزندة شبهوهما بالفحل والطروقة ءانتم انشاتم شجرتها التي منها الزناد
ام نحن المنشئون نحن جعلناها تذكرة تذكير النار جهنم حيث علقنا بها اسباب المعايش كلها
وعممنا بالحاجة اليها البلوى لتكون حاضرة للناس ينظرون اليها ويذكرون ما اوعدوا
به او جعلناها تذكرة وانموذجا من جهنم لما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ناركم
هذه التي توقد بنو آدم جزء من سبعين جزءا من حر جهنم ومتاعا ومنفعة للمقوين للذين
ينزلون القواء وهي القفر او للذين خلت بطونهم او مزاودهم من الطعام يقال اقويت من ايام
اي لم آكل شيئا فسبح باسم ربك فاحدث التسبيح بذكر اسم ربك او اراد بالاسم الذكر اي بذكر
ربك العظيم صفة للمضاف او للمضاف اليه والمعنى انه لما ذكر ما دل على قدرته وانعامه على
عباده قال فاحدث التسبيح وهو ان تقول سبحان الله اما تنزيها له عما يقول الظالمون الذين
يجحدون وحدانيته ويكفرون نعمته واما تعجبا من امرهم في غمط آلائه واياديه الظاهرة
واما شكرا لله على النعم التي عدها ونبه عليها فلا اقسم معناه فاقسم ولا مزيدة مؤكدة مثلها في
قوله

الثميلة بقيد العلف في جوف البهيمة

قوله لئلا يعلم اهل الكتاب وقرأ الحسن فلاقسم ومعناه فلانا اقسم اللام لام الابتداء دخلت على جملة
من مبتدأ وخبر وهي انا اقسم كقولك لزيد منطلق ثم حذف المبتدأ ولا يصح ان يكون اللام لام القسم
لامرين احدهما ان حقها ان تقرن بها النون المؤكدة والاخلال بها ضعيف قبيح والثاني ان لا فعلن
في جواب القسم للاستقبال وفعل القسم يجب ان يكون للحال بمواقع النجوم بمساقطها ومغاربها ولعل الله تعالى
في آخر الليل اذا انحطت النجوم الى المغرب افعالا مخصوصة عظيمة او للملائكة عبادات موصوفة
او لانه وقت قيام المتهجدين والمبتهلين اليه من عباده الصالحين ونزول الرحمة والرضوان عليهم
فلذلك اقسم بمواقعها واستعظم ذلك بقوله وانه لقسم لو تعلمون عظيم او اراد بمواقعها منازلها
مسايرها وله في ذلك من الدليل على عظم القدرة والحكمة ما لا يحيط به الوصف وقوله وانه لقسم لو تعلمون
عظيم اعتراض في اعتراض لانه اعترض به بين القسم والمقسم عليه وهو قوله انه لقرآن كريم واعترض
بلو تعلمون بين الموصوف وصفته وقيل مواقع النجوم اوقات وقوع نجوم القرآن اي اوقات نزولها
انه لقرآن كريم حسن مرضي في جنسه من الكتب او نفاع جم المنافع او كريم على الله في كتاب مكنون
لا يمسه الا المطهرون مكنون مصون من غير المقربين من الملائكة لا يطلع عليه من سواهم وهم المطهرون
من جميع الادناس ادناس الذنوب وما سواها ان جعلت الجملة صفة لكتاب مكنون وهو اللوح المحفوظ
وان جعلتها صفة للقرآن فالمعنى لا ينبغي ان يمسه الا من هو على الطهارة من الناس يعني مس
المكتوب منه ومن الناس من حمله على القراءة ايضا وعن ابن عمر رضي الله عنه احب الي ان لا يقرأ
الا وهو طاهر وعن ابن عباس رضي الله عنهما في رواية انه كان يبيح القراءة للجنب ونحوه قول رسول
الله صلى الله عليه وسلم المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه اي لا ينبغي له ان يظلمه او يسلمه
وقرئ المتطهرون والمطهرون بالادغام والمطهرون من اطهره بمعنى طهره والمطهرون بمعنى
يطهرون انفسهم او غيرهم بالاستغفار لهم والوحي الذي ينزلونه تنزيل صفة رابعة للقرآن اي منزل
من رب العالمين او وصف بالمصدر لانه نزل نجوما من بين سائر كتب الله فكانه في نفسه تنزيل ولذلك
جرى مجرى بعض اسمائه فقيل جاء في التنزيل كذا ونطق به التنزيل او هو تنزيل على حذف المبتدأ وقرئ

تنزيلا على نزل تنزيلا افبهذا الحديث يعني القرآن انتم مدهنون اي متهاونون به كمن يدهن في
الامر اي يلين جانبه ولا يتصلب فيه تهاونا به وتجعلون رزقكم انكم تكذبون على حذف المضاف يعني و
تجعلون شكر رزقكم التكذيب اي وضعتم التكذيب موضع الشكر وقرأ علي رضي الله عنه وتجعلون شكركم
انكم تكذبون وقيل هي قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتجعلون شكركم لنعمة القرآن انكم تكذبون
به وقيل نزلت في الانواء ونسبتهم السقيا اليها والرزق المطر يعني وتجعلون شكر ما يرزقكم الله من
الغيث انكم تكذبون بكونه من الله حيث تنسبونه الى النجوم وقرئ يكذبون وهو قولهم في القرآن سحر و
شعر وافتراء وفي المطر هو من الانواء ولان كل مكذب بالحق كاذب فلولا اذا بلغت الحلقوم وانتم
حينئذ تنظرون ونحن اقرب اليه منكم ولكن لا تبصرون فلولا ان كنتم غير مدينين ترجعونها ان
كنتم صادقين ترتيب الآية فلولا ترجعونها اذا بلغت الحلقوم ان كنتم غير مدينين وفلولا الثانية مكررة
للتوكيد والضمير في ترجعونها للنفس وهي الروح وفي اقرب اليه للمحتضر غير مدينين غير مربوبين
من دان السلطان الرعية اذا ساسهم ونحن اقرب اليكم منكم يا اهل الميت بقدرتنا وعلمنا او
بملائكة الموت والمعنى انكم في جحودكم افعال الله وآياته في كل شيء ان انزل عليكم كتابا معجزا قلتم
سحر وافتراء وان ارسل اليكم رسولا صادقا قلتم ساحر كذاب وان رزقكم مطرا يحييكم به قلتم صدق
نوء كذا على مذهب يؤدي الى الاهمال والتعطيل فما لكم لا ترجعون الروح الى البدن بعد بلوغه الحلقوم
ان لم يكن ثمة قابض وكنتم صادقين في تعطيلكم وكفركم بالمحيي المميت المبدئ المعيد فاما ان كان
المتوفى من المقربين من السابقين من الازواج الثلثة المذكورة في اول السورة فروح فله استراحة
وروت عائشة رضي الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فروح بالضم وقرأ به الحسن وقال
الروح الرحمة لانها كالحيوة للمرحوم وقيل البقاء اي فهذان له معا وهو الخلود مع الرزق والنعيم
وريحان وجنة نعيم الريحان الرزق واما ان كان من اصحاب اليمين فسلام لك من اصحاب اليمين
اي فسلام لك يا صاحب اليمين من اخوانك اصحاب اليمين اي يسلمون عليك كقوله الا قيلا سلاما
سلاما واما ان كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم كقوله هذا نزلهم يوم الدين وقرئ بالتخفيف
وتصلية

وتصلية جحيم قرئت بالرفع والجر عطفا على نزل وحميم ان هذا الذي انزل في هذه السورة لهو حق اليقين
اي الحق الثابت من اليقين فسبح باسم ربك العظيم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الواقعة
في كل ليلة لم تصبه فاقة ابدا

سورة الحديد مكية وهي تسع وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم سبح لله ما في السماوات والارض جاء في بعض
الفواتح سبح على لفظ الماضي وفي بعضها على لفظ المضارع وكل واحد منهما معناه ان من شان ما
اسند اليه التسبيح ان يسبحه وذلك هجيراه وديدنه وقد عدي هذا الفعل باللام تارة وبنفسه
اخرى في قوله وتسبحوه واصله التعدي بنفسه لان معنى سبحته بعدته عن السوء منقول من سبح
اذا ذهب وبعد فاللام لا يخلو اما ان يكون مثل اللام في نصحته ونصحت له واما ان يراد بسبح
لله احدث التسبيح لاجل الله ولوجهه خالصا ما في السماوات والارض ما يتأتى منه التسبيح ويصح وهو
العزيز الحكيم له ملك السماوات والارض يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير فان قلت ما محل يحيي
قلت يجوز ان لا يكون له محل ويكون جملة برأسها كقوله له ملك السماوات وان يكون مرفوعا على هو يحيي
ومنصوبا حالا من المجرور في له والجار عاملا فيها ومعناه ويحيي النطف والبيض والموتى
يوم القيامة ويميت الاحياء هو الاول هو القديم الذي كان قبل كل شيء والآخر الذي يبقى بعد هلاك
كل شيء والظاهر بالادلة الدالة عليه والباطن لكونه غير مدرك بالحواس فان قلت فما معنى
الواو قلت الواو الاولى معناها الدلالة على انه الجامع بين الصفتين الاولية والاخرية
والثالثة على انه الجامع بين الظهور والاخفاء واما الوسطى فعلى انه الجامع بين مجموع الصفتين
الاوليين ومجموع الصفتين الاخريين فهو المستمر الوجود في جميع الاوقات الماضية والآتية
وهو في جميعها ظاهر وباطن جامع للظهور بالادلة والخفاء فلا يدرك بالحواس وفي هذا حجة على من
جوز ادراكه في الآخرة بالحاسة وقيل الظاهر العالي على كل شيء الغالب له من ظهر عليه اذا علاه
وغلبه والباطن الذي بطن كل شيء اي علم باطنه وليس بذلك مع العدول عن الظاهر المفهوم وهو بكل شيء عليم

هو الذي خلق السماوات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الارض وما
يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم اينما كنتم والله بما تعملون بصير له ملك
السماوات والارض والى الله ترجع الامور يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وهو عليم
بذات الصدور فآمنوا بالله ورسوله وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه يعني ان الاموال التي
في ايديكم انما هي اموال الله بخلقه وانشائه لها وانما مولكم اياها وخولكم الاستمتاع بها وجعلكم خلفاء
في التصرف فيها فليست هي باموالكم في الحقيقة وما انتم فيها الا بمنزلة الوكلاء والنواب فانفقوا منها
في حقوق الله وليهن عليكم الانفاق منها كما يهون على الرجل النفقة من مال غيره اذا اذن له فيه او
جعلكم مستخلفين ممن كان قبلكم فيما في ايديكم بتوريثه اياكم فاعتبروا بحالهم حيث انتقل منهم اليكم وسينتقل
منكم الى من بعدكم فلا تبخلوا به وانفعوا بالانفاق منها انفسكم فالذين آمنوا منكم وانفقوا لهم اجر
كبير وما لكم لا تؤمنون بالله والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم وقد اخذ ميثاقكم ان كنتم مؤمنين
لا تؤمنون حال من معنى الفعل في ما لكم كما تقول ما لك قائما بمعنى ما تصنع قائما اي وما لكم كافرين بالله
والواو في والرسول يدعوكم واو الحال فهما حالان متداخلان وقرئ وما لكم لا تؤمنون بالله ورسوله
والرسول يدعوكم والمعنى واي عذر لكم في ترك الايمان والرسول يدعوكم اليه وينبهكم عليه ويتلو
عليكم الكتاب الناطق بالبراهين والحجج وقبل ذلك قد اخذ الله ميثاقكم بالايمان حيث ركب فيكم
العقول ونصب لكم الادلة ومكنكم من النظر وازاح عللكم فاذ لم تبق لكم علة بعد ادلة العقول و
تنبيه الرسول فما لكم لا تؤمنون ان كنتم مؤمنين لموجب ما فان هذا الموجب لا مزيد عليه وقرئ
اخذ ميثاقكم على البناء للفاعل وهو الله عز وجل هو الذي ينزل على عبده آيات بينات ليخرجكم الله
بآياته من الظلمات الى النور ظلمات الكفر الى نور الايمان او ليخرجكم الرسول بدعوته وان الله بكم
لرؤوف رحيم وقرئ لرؤف وما لكم ان لا تنفقوا في ان لا تنفقوا في سبيل الله ولله ميراث السماوات
والارض يرث كل شيء فيهما لا يبقى منه باق لاحد من مال وغيره يعني واي غرض لكم في ترك الانفاق
في سبيل الله والجهاد مع رسوله والله مهلككم فوارث اموالكم وهو من ابلغ البعث على الانفاق في سبيل
الله

الله لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل ثم بين التفاوت بين المنفقين منهم فقال لا يستوي
منكم من انفق قبل فتح مكة قبل عز الاسلام وقوة اهله ودخول الناس في دين الله افواجا وقلة الحاجة
الى القتال والنفقة فيه ومن انفق من بعد الفتح فحذف لوضوح الدلالة اولئك الذين انفقوا قبل الفتح
وهم السابقون الاولون من المهاجرين والانصار الذين قال فيهم النبي صلى الله عليه وسلم لو انفق احدكم
مثل احد ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه اعظم درجة من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا وقرئ قبل
الفتح وكلا وكل واحد من الفريقين وعد الله الحسنى اي المثوبة الحسنى وهي الجنة مع تفاوت الدرجات
وقرئ بالرفع على وكل وعده الله وقيل نزلت في ابي بكر رضي الله عنه لانه اول من اسلم واول من انفق
في سبيل الله والله بما تعملون خبير من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا القرض الحسن الانفاق في سبيله
شبه ذلك بالقرض على سبيل المجاز لانه اذا اعطى ماله لوجهه فكانه اقرضه اياه فيضاعفه له اي
يعطيه اجره على انفاقه مضاعفا اضعافا من فضله وله اجر كريم يعني وذلك الاجر المضموم اليه الاضعاف
كريم في نفسه وقرئ فيضعفه وقرئ منصوبين على جواب الاستفهام والرفع عطف على يقرض او على
فهو يضاعفه يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم بشراكم اليوم جنات تجري
من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم يوم ترى ظرف لقوله وله اجر كريم او منصوب باضمار اذكر
تعظيما لذلك اليوم وانما قال بين ايديهم وبايمانهم لان السعداء يؤتون صحائف اعمالهم من هاتين الجهتين
كما ان الاشقياء يؤتونها من شمائلهم ومن وراء ظهورهم فجعل النور في الجهتين شعارا لهم وآية لانهم
هم الذين بحسناتهم سعدوا وبصحائفهم البيض افلحوا فاذا ذهب بهم الى الجنة ومروا على الصراط
يسعون سعى بسعيهم ذلك النور جنيبا لهم ومتقدما ويقول لهم الذين يتلقونهم من الملائكة بشراكم اليوم
وقرئ ذلك الفوز يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا انظروا الينا لانهم يسرع
بهم الى الجنة كالبروق الخاطفة على ركاب تزف بهم وهؤلاء مشاة او انظروا الينا لانهم اذا نظروا
اليهم استقبلوهم بوجوههم والنور بين ايديهم فيستضيئون به وقرئ انظرونا من النظرة وهي الامهال
جعل اتئادهم في المضي الى ان يلحقوا بهم انظارا لهم نقتبس من نوركم نصب منه وذلك ان يلحقوا

بهم فيستنيروا به قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا طرد لهم وتهكم بهم اى ارجعوا الى الموقف الى
حيث أعطينا هذا النور فالتمسوه هنالك فمن ثم يقتبس او ارجعوا الى الدنيا فالتمسوا نورا بتحصيل
سببه وهو الايمان او ارجعوا خايبين وتنحوا عنا فالتمسوا نورا آخر فلا سبيل لكم الى هذا النور
وقد علموا ان لا نور وراءهم وانما هو تخييب واقناط لهم فضرب بينهم بسور بين المومنين والمنافقين
بحائط حائل بين شق الجنة وشق النار قيل هو الاعراف له لذلك السور باب لاهل الجنة يدخلون
منه باطنه باطن السور او الباب وهو الشق الذى يلى الجنة فيه الرحمة وظاهره ما ظهر لاهل
النار من قبله من عنده ومن جهته العذاب وهو الظلمة والنار وقراءة زيد بن على رضى الله عنه
فضرب بينهم على البناء للفاعل ينادونهم ألم نكن معكم يريدون موافقتهم فى الظاهر قالوا بلى ولكنكم
فتنتم انفسكم محنتموها بالنفاق واهلكتموها وتربصتم بالمومنين الدوائر وارتبتم وغرتكم الامانى
طول الآمال والطمع فى امتداد الاعمار حتى جاء امر الله وهو الموت وغركم بالله الغرور
الشيطان بان الله عفو كريم لا يعذبكم وقرئ الغرور بالضم فاليوم لا يوخذ منكم فدية ما يفتدى به ولا من
الذين كفروا مأويكم النار هى موليكم قيل هى اولى بكم وانشد قول لبيد
فغدت كلا الفرجين تحسب انه مولى المخافة خلفها وامامها وحقيقته موليكم محراكم ومقمنكم
اى مكانكم الذى يقال فيه هو اولى بكم كما قيل هو مينة الكرم اى مكان لقول القائل انه لكريم ويجوز
ان يراد هى ناصركم اى لا ناصر لكم غيرها والمراد نفى الناصر على البتات ونحوه قولهم اصيب فلان
بكذا فاستنصر الجزع ومنه قوله تعالى يغاثوا بماء كالمهل وقيل تتولاكم كما توليتم فى الدنيا اعمال
اهل النار وبئس المصير ألم يأن للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق
انى الامر يأنى اذا جاء اناه اى وقته وقرئ ألم يئن من آن يئين بمعنى انى يانى وألما يأن قيل
كانوا مجدبين بمكة فلما هاجروا اصابوا الرزق والنعمة ففتروا عما كانوا عليه فنزلت وعن ابن مسعود
رضى الله عنه ما كان بين اسلامنا وبين ان عوتبنا بهذه الآية الا اربع سنين وعن ابن عباس رضى
الله عنهما ان الله استبطأ قلوب المومنين فعاتبهم على رأس ثلث عشرة من نزول القرآن وعن الحسن اما
والله

والله لقد استبطاهم وهم يقرؤن من القرآن اقل مما تقرؤن فانظروا فى طول ما قرأتم منه وما ظهر فيكم
من الفسق وعن ابى بكر رضى الله عنه ان هذه الآية قرئت بين يديه وعنده قوم من اهل اليمامة فبكوا
بكاء شديدا فنظر اليهم فقال هكذا كنا حتى قست القلوب وقرئ نزل ونزل وانزل ولا يكونوا كالذين اوتوا
الكتاب من قبل فطال عليهم الامد فقست قلوبهم ولا يكونوا عطف على تخشع وقرئ بالتاء على الالتفات
ويجوز ان يكون نهيا لهم عن مماثلة اهل الكتاب فى قسوة القلوب بعد ان وبخوا وذلك ان بنى اسرائيل
كان الحق يحول بينهم وبين شهواتهم واذا سمعوا التورية والانجيل خشعوا لله ورقت قلوبهم فلما طال
عليهم الزمان غلبهم الجفاء والقسوة واختلفوا واحدثوا ما احدثوا من التحريف وغيره فان قلت
ما معنى لذكر الله وما نزل من الحق قلت يجوز ان يراد بالذكر وبما نزل من الحق القرآن لانه
جامع للامرين للذكر والموعظة وانه حق نازل من السماء وان يراد خشوعها اذا ذكر الله واذا تلى القرآن
لقوله اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا اراد بالامد الاجل كقوله اذا انتهى امده
وقرئ الامد اى الوقت الاطول وكثير منهم فاسقون خارجون عن دينهم رافضون لما فى الكتابين اعلموا
ان الله يحيى الارض بعد موتها قيل هذا تمثيل لاثر الذكر فى القلوب وانه يحييها كما يحيى الغيث الارض
قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون ان المصدقين والمصدقات واقرضوا الله قرضا حسنا يضاعف لهم
ولهم اجر كريم المصدقين المتصدقين وقرئ على الاصل وهو المتصدقين من صدق وهم الذين صدقوا
الله ورسوله يعنى المومنين فان قلت علام عطف قوله واقرضوا قلت على معنى الفعل
فى المصدقين لان اللام بمعنى الذين واسم الفاعل بمعنى اصدقوا كانه قيل ان الذين اصدقوا واقرضوا
والقرض الحسن ان يتصدق من الطيب عن طيبة النفس وصحة النية على المستحق للصدقة وقرئ يضعف
ويضاعف بكسر العين اى يضاعف الله والذين آمنوا بالله ورسله اولئك هم الصديقون والشهداء عند
ربهم يريد ان المومنين بالله ورسله هم عند الله بمنزلة الصديقين والشهداء وهم الذين سبقوا الى التصديق
واستشهدوا فى سبيل الله لهم اجرهم ونورهم اى مثل اجر الصديقين والشهداء ومثل نورهم فان قلت
كيف يسوى بينهم فى الاجر ولا بد من التفاوت قلت المعنى ان الله يعطى المومنين اجرهم ويضاعفه

لهم بفضله حتى يساووا اجرهم مع اضعافه اجرا ولذلك وجوز ان يكون والشهداء مبتدأ ولهم اجرهم
خبره والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب الجحيم اعلموا انما الحيوة الدنيا لعب ولهو وزينة
وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد كمثل غيث اعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا
ثم يكون حطاما وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحيوة الدنيا الا متاع
الغرور سابقوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والارض اعدت للذين آمنوا بالله
ورسله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ما اصاب من مصيبة في الارض ولا في
انفسكم الا في كتاب من قبل ان نبرأها ان ذلك على الله يسير لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا
بما آتاكم والله لا يحب كل مختال فخور الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ومن يتول فان الله
هو الغني الحميد لقد ارسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط
وانزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ان الله قوي عزيز

اعلموا انما الحيوة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد كمثل غيث اعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور سابقوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والارض اعدت للذين آمنوا بالله ورسله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ما اصاب من مصيبة في الارض ولا في انفسكم الا في كتاب من قبل ان نبرأها ان ذلك على الله يسير لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يحب كل مختال فخور الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ومن يتول فان الله هو الغني الحميد لقد ارسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وانزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ان الله قوي عزيز

اعلموا انما الحيوة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد كمثل غيث اعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور سابقوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والارض اعدت للذين آمنوا بالله ورسله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ما اصاب من مصيبة في الارض ولا في انفسكم الا في كتاب من قبل ان نبرأها ان ذلك على الله يسير لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يحب كل مختال فخور الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ومن يتول فان الله هو الغني الحميد لقد ارسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وانزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ان الله قوي عزيز

ينصرونه ولا يبصرونه ان الله قوي عزيز غني بقدرته وعزته في اهلاك من يريد هلاكه عنهم وانما كلفهم
الجهاد لينتفعوا به ويصلوا بامتثال الامر فيه الى الثواب ولقد ارسلنا نوحا وابرهيم وجعلنا في
ذريتهما النبوة والكتاب والوحي وعن ابن عباس رضي الله عنهما الخط بالقلم يقال كتب كتابا وكتابة
فمنهم فمن الذرية او من المرسل اليهم وقد دل عليهم ذكر الارسال والمرسلين وهذا تفصيل لحالهم اي
مهتد ومنهم فاسقون ومنهم فاسق والغلبة للفساق ثم قفينا على آثارهم برسلنا وقفينا
بعيسى بن مريم وآتيناه الانجيل قرأ الحسن الانجيل بفتح الهمزة وامره اهون من امر البرطيل والسكينة
فمن رواهما بفتح الفاء لان الكلمة اعجمية لا يلزم فيها حفظ ابنية العرب وجعلنا في قلوب الذين
اتبعوه رأفة وقرئ رآفة على فعالة اي وفقناهم للتراحم والتعاطف بينهم ونحوه في صفة اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم رحماء بينهم ورهبانية ابتدعوها الرهبانية ترهبهم في الجبال فارين من
الفتنة في الدين مخلصين انفسهم للعبادة وذلك ان الجبابرة ظهروا على المسلمين بعد موت عيسى فقاتلوهم
ثلث مرات فقتلوا حتى لم يبق منهم الا القليل فخافوا ان يفتنوا في دينهم فاختاروا الرهبانية ومعناها
الفعلة المنسوبة الى الرهبان وهو الخائف فعلان من رهب كخشيان من خشي وقرئ ورهبانية
بالضم كانها نسبة الى الرهبان وهو جمع راهب كراكب وركبان وانتصابها بفعل مضمر يفسره الظاهر
تقديره وابتدعوها ورهبانية ابتدعوها يعني واحدثوها من عند انفسهم ونذروها ما كتبناها عليهم
لم نفرضها نحن عليهم الا ابتغاء رضوان الله استثناء منقطع اي ولكنهم ابتدعوها ابتغاء رضوان
الله فما رعوها حق رعايتها كما يجب على الناذر رعاية نذره لانه عهد مع الله لا يحل نكثه فآتينا
الذين آمنوا اجرهم يريد اهل الرحمة والرأفة الذين اتبعوا عيسى عليه السلام وكثير منهم فاسقون
الذين لم يحافظوا على نذرهم ويجوز ان يكون الرهبانية معطوفة على ما قبلها وابتدعوها صفة لها في محل
النصب اي وجعلنا في قلوبهم رأفة ورحمة ورهبانية مبتدعة من عندهم بمعنى وفقناهم للتراحم
بينهم ولابتداع الرهبانية واستحداثها ما كتبناها عليهم الا لتبتغوا بها رضوان الله ويستحقوا
بها الثواب على انه كتبها عليهم والزمها اياهم ليتخلصوا من الفتن ويبتغوا بذلك رضى الله وثوابه
فما

فما رعوها جميعا حق رعايتها ولكن بعضهم فآتين المؤمنين المراعين منهم للرهبانية اجرهم وكثير
منهم فاسقون وهم الذين لم يرعوها يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يجوز ان يكون
خطابا للذين آمنوا من اهل الكتاب والذين آمنوا من غيرهم فان كان خطابا لمؤمني اهل الكتاب
فالمعنى يا ايها الذين آمنوا بموسى وعيسى آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم يؤتكم الله كفلين اي
نصيبين من رحمته لايمانكم بمحمد وايمانكم بمن قبله ويجعل لكم يوم القيامة نورا تمشون به وهو النور
المذكور في قوله يسعى نورهم ويغفر لكم ما اسلفتم من الكفر والمعاصي والله غفور رحيم لئلا يعلم
ليعلم اهل الكتاب الذين لم يسلموا ولا مزيدة ان لا يقدرون وان مخففة من الثقيلة اصله انه لا يقدرون
يعني ان الشان لا يقدرون على شيء من فضل الله اي لا ينالون شيئا مما ذكر من فضله من الكفلين
والنور والمغفرة لانهم لم يؤمنوا برسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ينفعهم ايمانهم بمن قبله ولم يكسبهم
فضلا قط وان كان خطابا لغيرهم فالمعنى اتقوا الله واثبتوا على ايمانكم برسول الله صلى الله عليه
وسلم يؤتكم ما وعد من آمن من اهل الكتاب من الكفلين في قوله اولئك يؤتون اجرهم مرتين
ولا ينقصكم من مثل اجرهم لانكم مثلهم في الايمانين لا تفرقوا بين احد من رسله روي ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم بعث جعفرا رضي الله عنه في سبعين راكبا الى النجاشي يدعوه فقدم جعفر
عليه فدعاه فاستجاب له فقال ناس ممن آمن من اهل مملكته وهم اربعون رجلا ائذن لنا في الوفادة
على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذن لهم فقدموا مع جعفر وقد تهيأ لوقعة احد فلما راوا ما
بالمسلمين من خصاصة استاذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجعوا وقدموا باموال لهم فآسوا
بها المسلمين فانزل الله الذين آتيناهم الكتاب الى قوله ومما رزقناهم ينفقون فلما سمع من لم يؤمن
من اهل الكتاب قوله يؤتون اجرهم مرتين فخروا على المسلمين وقالوا اما من آمن بكتابكم و
كتابنا فله اجر مرتين واما من لم يؤمن بكتابكم فله اجر كاجركم فما فضلكم علينا فنزلت وروي ان
مؤمني اهل الكتاب افتخروا على غيرهم من المؤمنين بانهم يؤتون اجرهم مرتين وادعوا الفضل
عليهم فنزلت وقرئ لكي يعلم ولكيلا يعلم وليعلم ولان يعلم بادغام النون في الياء وليستعلم بقلب

الهمزة ياء وادغام النون في الياء وعن الحسن لئلا يعلم بفتح اللام وسكون الياء ورواه قطرب بكسر
اللام لئلا يعلم وقيل في وجهها حذفت همزة أن وادغمت نونها في لام لا فصار للا ثم ادغمت ابدلت
من اللام المدغمة ياء كقولهم ديوان وقيراط ومن فتح اللام فعلى ان اصل لام الجر الفتح كما انشد
اريد لانسى ذكرها وقرئ ان لا يقدروا وان الفضل بيد الله في ملكه وتصرفه واليد مثل يؤتيه من يشاء
ولا يشاء الا ايتاء من يستحقه والله ذو الفضل العظيم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ
سورة الحديد كتب من الذين آمنوا بالله ورسله

سورة المجادلة وهي ثنتان وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم قد سمع الله قول التي تجادلك وتشتكي
الى الله قالت عائشة رضي الله عنها الحمد لله الذي وسع سمعه الاصوات لقد كلمت المجادلة
رسول الله صلى الله عليه وسلم في جانب البيت وانا عنده لا اسمع وقد سمع لها وعن عمر رضي الله عنه
انه كان اذا دخلت عليه اكرمها وقال قد سمع الله لها وقرئ تحاورك اي تراجعك الكلام وتجادلك
اي تسائلك وهي خويلة بنت ثعلبة امرأة اوس بن الصامت اخي عبادة رآها وهي تصلي وكانت
حسنة الجسم فلما سلمت راودها فابت فغضب وكان به خفة ولمم فظاهر منها فاتت رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقالت ان اوسا تزوجني وانا شابة مرغوب في فلما خلا سني ونثرت بطني
اي كثر ولدي جعلني عليه كامه وروي انها قالت له ان لي صبية صغارا ان ضممتهم اليه ضاعوا
وان ضممتهم الي جاعوا فقال ما عندي في امرك شيء وروي انه قال لها حرمت عليه فقالت يا رسول
الله ما ذكر طلاقا وانما هو ابو ولدي واحب الناس الي فقال حرمت عليه فقالت اشكو الى
الله فاقتي ووجدي كلما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حرمت عليه فهتفت وشكت الى
الله فنزلت والله يسمع تحاوركما في شانه ومعناه ان الله سميع بصير يصح ان يسمع
كل مسموع ويبصر كل مبصر فان قلت ما معنى قد في قوله قد سمع الله قلت معناه
التوقع لان رسول الله صلى الله عليه وسلم والمجادلة كانا يتوقعان ان يسمع الله مجادلتها

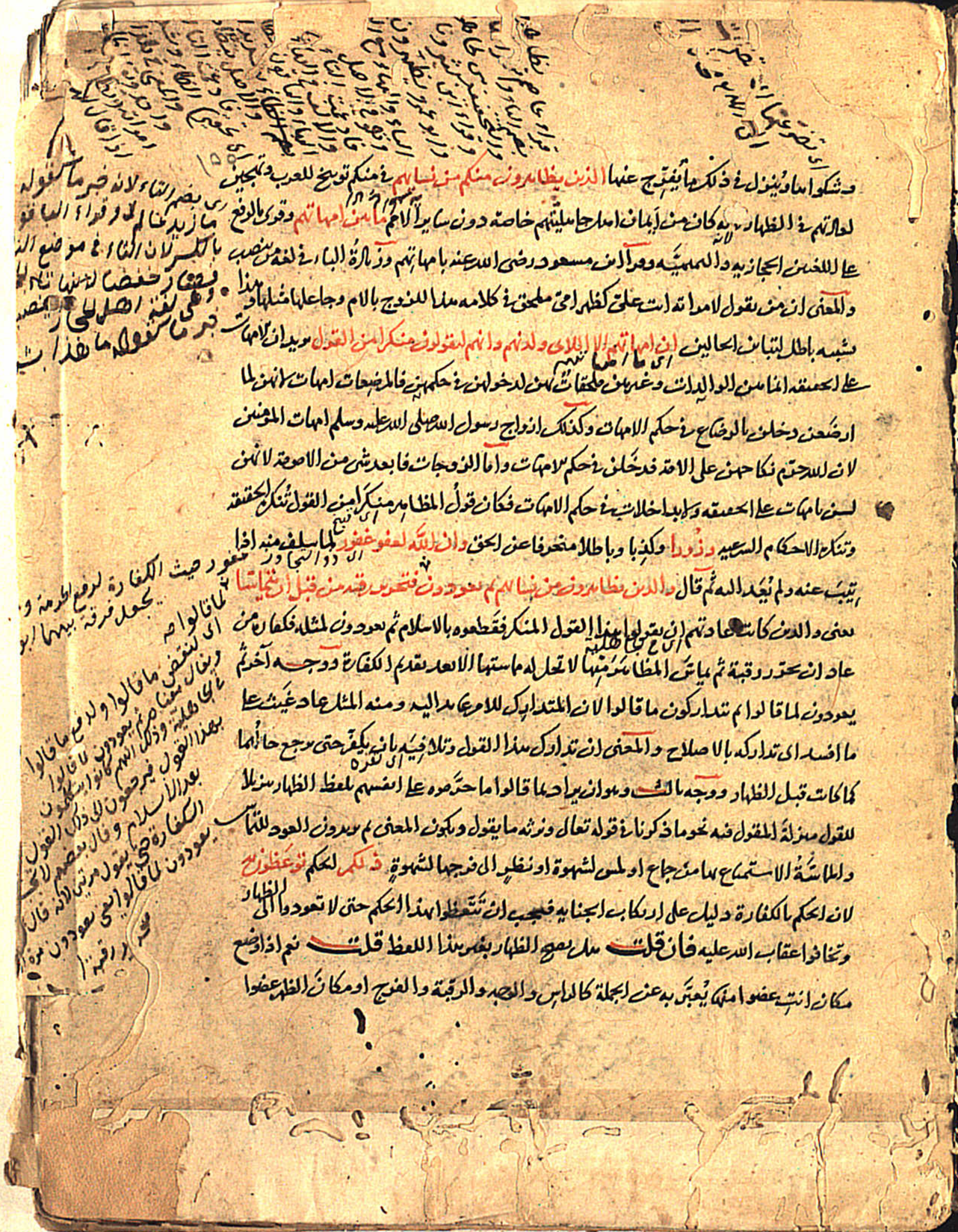

وشكواها وينزل في ذلك ما يفرج عنها الذين يظاهرون منكم من نسائهم في منكم توبيخ للعرب وتهجين
لعادتهم في الظهار لانه كان من ايمان اهل جاهليتهم خاصة دون سائر الامم ما هن امهاتهم وقرئ بالرفع
على اللغتين الحجازية والتميمية وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه بامهاتهم وزيادة الباء في لغة من ينصب
والمعنى ان من يقول لامرأته انت علي كظهر امي ملحق في كلامه هذا للزوج بالام وجاعلها مثلها وهذا
تشبيه باطل لتباين الحالين ان امهاتهم الا اللائي ولدنهم وانهم ليقولون منكرا من القول يريد ان الامهات
على الحقيقة انما هن الوالدات وغيرهن ملحقات بهن لدخولهن في حكمهن فالمرضعات امهات لانهن لما
ارضعن دخلن بالرضاع في حكم الامهات وكذلك ازواج رسول الله صلى الله عليه وسلم امهات المؤمنين
لان الله حرم نكاحهن على الامة فدخلن في حكم الامهات واما الزوجات فابعد شيء من الامومة لانهن
لسن بامهات على الحقيقة ولا بداخلات في حكم الامهات فكان قول المظاهر منكرا من القول تنكره الحقيقة
وتنكره الاحكام الشرعية وزورا وكذبا وباطلا منحرفا عن الحق وان الله لعفو غفور لما سلف منه اذا
تيب عنه ولم يعد اليه ثم قال والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون فتحرير رقبة من قبل ان يتماسا
يعني والذين كانت عادتهم ان يقولوا هذا القول المنكر فقطعوه بالاسلام ثم يعودون لمثله فكفارة من
عاد ان يحرر رقبة ثم يماس المظاهر منها لا تحل له مماستها الا بعد تقديم الكفارة ووجه آخر ثم
يعودون لما قالوا ثم يتداركون ما قالوا لان المتدارك للامر عائد اليه ومنه المثل عاد غيث على
ما افسد اي تداركه بالاصلاح والمعنى ان تدارك هذا القول وتلافيه بان يكفر حتى يرجع حالهما
كما كانت قبل الظهار ووجه ثالث وهو ان يراد بما قالوا ما حرموه على انفسهم بلفظ الظهار تنزيلا
للقول منزلة المقول فيه نحو ما ذكرنا في قوله تعالى ونرثه ما يقول ويكون المعنى ثم يريدون العود للتماس
والمماسة الاستمتاع بها من جماع او لمس لشهوة او نظر الى فرجها لشهوة ذلكم الحكم توعظون به
لان الحكم بالكفارة دليل على ارتكاب الجناية فيجب ان تتعظوا بهذا الحكم حتى لا تعودوا الى الظهار
وتخافوا عقاب الله عليه فان قلت هل يصح الظهار بغير هذا اللفظ قلت نعم اذا وضع
مكان انت عضوا منها يعبر به عن الجملة كالراس والوجه والرقبة والفرج او مكان الظهر عضوا

آخر يحرم النظر اليه من الام كالبطن والفخذ او مكان الام ذات رحم محرم منه من نسب
او رضاع او صهر او جماع نحو ان يقول انت علي كظهر اختي من الرضاع [illegible] من النسب او
امراة ابني او ابي او ام امراتي او بنتها فهو مظاهر وهو مذهب ابي حنيفة واصحابه رحمهم الله
وعن الحسن والنخعي والزهري والاوزاعي والثوري وغيرهم نحوه وقال الشافعي رحمه الله
لا يكون الظهار الا بالام وحدها وهو قول قتادة والشعبي وعن الشعبي لم ينس الله ان يذكر
البنات والاخوات والعمات والخالات اذا اخبر ان الظهار انما يكون بالامهات الوالدات
دون المرضعات وعن بعضهم لا بد من ذكر الظهر حتى يكون ظهارا فان قلت فاذا امتنع
المظاهر من الكفارة هل للمراة ان ترافعه قلت لها ذلك وعلى القاضي ان يجبره على ان
يكفر وان يحبسه ولا شيء من الكفارات يجبر عليه ويحبس الا كفارة الظهار وحدها لانه يضر
بها في ترك التكفير والامتناع من الاستمتاع فيلزم ايفاء حقها فان قلت فان مس قبل
ان يكفر قلت عليه ان يستغفر ولا يعود حتى يكفر لما روي ان سلمة بن صخر البياضي
قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ظاهرت من امراتي ثم ابصرت خلخالها في ليلة قمراء
فواقعتها فقال صلى الله عليه وسلم استغفر ربك ولا تعد حتى تكفر فان قلت اي رقبة
تجزي في كفارة الظهار قلت المسلمة والكافرة جميعا لانها في الاية مطلقة وعند الشافعي
لا تجزي الا المومنة لقوله تعالى في كفارة القتل فتحرير رقبة مومنة ولا تجزي ام الولد والمدبر
والمكاتب الذي ادى شيئا فان لم يود جاز وعند الشافعي رضي الله عنه لا تجزي الا المومنة
لقوله تعالى في كفارة القتل فتحرير رقبة مومنة ولا تجزي ام الولد والمدبر والمكاتب الذي
ادى شيئا فان لم يود جاز وعند الشافعي رضي الله عنه لا يجوز فان قلت فان اعتق بعض الرقبة
او صام بعض الصيام ثم مس قلت عليه ان يستانف نهارا مس او ليلا ناسيا او عامدا
عند ابي حنيفة رضي الله عنه وعند ابي يوسف رحمه الله عتق بعض الرقبة عتق كلها فيجزيه
وان كان المس يفسد الصوم استقبل والا بنى والله بما تعملون خبير فمن لم يجد فصيام شهرين
متتابعين

متتابعين من قبل ان يتماسا فمن لم يستطع فاطعام ستين مسكينا فان قلت كم يعطي المسكين
في الاطعام قلت نصف صاع من بر او صاعا من غيره عند ابي حنيفة وعند الشافعي رضي الله عنهما
مدا من طعام بلده الذي يقتات فيه فان قلت ما بال التماس لم يذكر عند الكفارة بالاطعام كما
ذكر عند الكفارتين قلت اختلف في ذلك فعند ابي حنيفة رضي الله عنه انه لا فرق بين الكفارات
الثلث في وجوب تقديمها على المساس وانما ترك ذكره عند الاطعام دلالة على انه اذا وجد في خلال
الاطعام لم يستانف كما يستانف الصوم اذا وقع في خلاله وعند غيره لم يذكر للدلالة على ان التكفير
قبله وبعده سواء فان قلت الضمير في يتماسا الام يرجع قلت الى ما دل عليه الكلام من
المظاهر والمظاهر منها ذلك البيان والتعليم للاحكام والتنبيه عليها لتومنوا لتصدقوا بالله و
رسوله في العمل بشرايعه التي شرعها من الظهار وغيره ورفض ما كنتم عليه في جاهليتكم وتلك حدود
الله التي لا يجوز تعديها وللكافرين الذين لا يتبعونها ولا يعملون عليها عذاب اليم ان الذين يحادون
يعادون ويشاقون الله ورسوله كبتوا اخزوا واهلكوا كما كبت الذين من قبلهم من اعداء الرسل قيل
اريد كبتهم يوم الخندق وقد انزلنا آيات بينات تدل على صدق الرسول وصحة ما جاء به وللكافرين
بهذه الآيات عذاب مهين يذهب بعزهم وكبرهم يوم يبعثهم الله منصوب بلهم او بمهين او باضمار اذكر
تعظيما لليوم جميعا كلهم لا يترك منهم احد غير مبعوث او مجتمعين في حال واحدة كما تقول حي جميع
فينبئهم بما عملوا تخجيلا لهم وتوبيخا وتشهيرا لحالهم يتمنون عنده المسارعة بهم الى النار لما يلحقهم من
الخزي على رؤس الاشهاد احصاه الله احاط به عددا لم يفته منه شيء ونسوه لانهم تهاونوا به حين
ارتكبوا لم يبالوا به لضراوتهم بالمعاصي وانما تحفظ معظمات الامور والله على كل شيء شهيد الم تر
ان الله يعلم ما في السماوات وما في الارض ما يكون من نجوى ثلثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو
سادسهم ولا ادنى من ذلك ولا اكثر الا هو معهم اينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة ان الله بكل
شيء عليم ما يكون من كان التامة وقرئ بالياء والتاء والتاء على ان النجوى تانيثها غير حقيقي
ومن فاصلة او على ان المعنى ما يكون شيء من النجوى والنجوى التناجي فلا يخلو اما ان يكون

مضافة الى ثلثة اى من نجوى ثلثة نفر او موصوفة بها اى من اهل نجوى ثلثة فحذف الاهل او جعلوا
نجوى فى انفسهم مبالغة كقوله خلصوا نجيا وقرا ابن ابى عبلة ثلثة وممن بالنصب على الحال
باضمار يتناجون لان نجوى تدل عليه او على تاويل نجوى بمتناجين ونصبها من المستكن فيه
فان قلت ما الداعى الى تخصيص الثلثة والخمسة **قلت** فيه وجهان احدهما ان قوما
من المنافقين تحلقوا للتناجى مغايظة للمومنين على هذين العددين ثلثة وخمسة فقيل ما يتناجى
منهم ثلثة ولا خمسة كما ترونهم يتناجون كذلك ولا ادنى من عددهم ولا اكثر الا والله معهم يسمع ما
يقولون فقد روى عن ابن عباس رضى الله عنهما انها نزلت فى ربيعة وحبيب ابنى عمرو وصفوان
ابن امية كانوا يوما يتحدثون فقال احدهم اترى ان الله يعلم ما نقول فقال الاخر يعلم بعضا
ولا يعلم بعضا وقال الثالث ان كان يعلم بعضا فهو يعلمه كله وصدق لان من علم بعض الاشياء
بغير سبب فقد علمها كلها لان كونه عالما بغير سبب ثابت له مع كل معلوم والثانى انه قصد
ان يذكر ما جرت عليه العادة من اعداد اهل النجوى والمتخالين للشورى والمنذرين لذلك
ليسوا بكل احد وانما هم طائفة مجتباة من اولى النهى والاحلام ورهط من اهل الراى و
التجارب واول عددهم الاثنان فصاعدا الى خمسة الى ستة الى ما اقتضته الحال وحكم به الاستصواب
الا ترى الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه كيف ترك الامر شورى بين ستة ولم يتجاوز بها الى سابع فذكر
عز وعلا الثلثة والخمسة وقال ولا ادنى من ذلك فدل على الاثنين والاربعة وقال ولا اكثر فدل
على ما يلى هذا العدد ويقاربه وفى مصحف عبد الله الا الله رابعهم ولا اربعة الا الله خامسهم
ولا خمسة الا الله سادسهم ولا اقل من ذلك ولا اكثر الا الله معهم اذا انتجوا وقرى ولا ادنى من
ذلك ولا اكثر بالنصب على ان لا لنفى الجنس ويجوز ان يكون ولا اكثر بالرفع عطفا على محل لا مع ادنى
كقولك لا حول ولا قوة الا بالله بفتح الحول ورفع القوة ويجوز ان يكونا مرفوعين على الابتداء كقولك
لا حول ولا قوة الا بالله وان يكون ارتفاعهما عطفا على محل من نجوى كانه قيل ما يكون ادنى ولا اكثر
الا هو معهم ويجوز ان يكونا مجرورين عطفا على نجوى كانه قيل ما يكون من ادنى ولا اكثر الا هو معهم
وقرى

وقرى لا اكبر بالباء ومعنى كونه معهم انه يعلم ما يتناجون به ولا يخفى عليه ما هم فيه فكانه مشاهدهم و
محاضرهم وقد تقرر المكان والمشاهدة وقرى ثم ينبئهم على التخفيف **الم تر الى الذين نهوا عن النجوى**
ثم يعودون لما نهوا عنه ويتناجون بالاثم والعدوان ومعصية الرسول كانت اليهود والمنافقون
يتناجون فيما بينهم ويتغامزون باعينهم اذا راوا المومنين يريدون ان يغيظوهم فنهاهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم فعادوا لمثل فعلهم وكان تناجيهم بما هو اثم وعدوان للمومنين وتواص بمعصية
الرسول ومخالفته وقرى ينتجون بالاثم والعدوان بكسر العين ومعصيات الرسول **واذا جاوك حيوك**
بما لم يحيك به الله يعنى انهم يقولون فى تحيتك السام عليك يا محمد والسام الموت والله تعالى يقول و
سلام على عباده الذين اصطفى ويا ايها الرسول ويا ايها النبى **لولا يعذبنا الله بما نقول** كانوا يقولون ما له ان
كان نبيا لا يدعو علينا حتى يعذبنا الله بما نقول فقال الله تعالى **حسبهم جهنم** عذابا **يصلونها فبئس**
المصير يا ايها الذين آمنوا خطاب للمنافقين الذين آمنوا بالسنتهم ويجوز ان يكون للمومنين **اذا تناجيتم**
فلا تتناجوا بالاثم والعدوان ومعصية الرسول اى اذا تناجيتم فلا تشبهوا بالذين يتناجون بالبر
وتناجوا بالبر والتقوى وعن النبى صلى الله عليه وسلم اذا كنتم ثلثة فلا يتناج اثنان دون صاحبهما
فان ذلك يحزنه وروى دون الثالث وقرى فلا تناجوا وعن ابن مسعود رضى الله عنه اذا انتجيتم
فلا تنتجوا **واتقوا الله الذى اليه تحشرون انما النجوى** اللام اشارة الى النجوى بالاثم والعدوان بدليل
قوله ليحزن الذين آمنوا **من الشيطان ليحزن الذين آمنوا** والمعنى ان الشيطان يزينها لهم فكانها
منه ليغيظ الذين آمنوا ويحزنهم **وليس** الشيطان او الحزن **بضارهم شيئا الا باذن الله** **فان قلت**
كيف لا يضرهم الشيطان او الحزن الا باذن الله **قلت** كانوا يوهمون المومنين فى نجواهم وتغامزهم
ان غزاتهم غلبوا وان اقاربهم قتلوا فقال لا يضرهم الشيطان او الحزن بذلك الموهم الا باذن الله اى
بمشيته وهو ان يقضى الموت على اقاربهم او الغلبة على الغزاة وقرى ليحزن وليحزن **وعلى الله فليتوكل**
المومنون يا ايها الذين آمنوا اذا قيل لكم تفسحوا فى المجلس توسعوا فيه وليفسح بعضكم عن بعض من قولهم
افسح عنى اى تنح ولا تتضاموا وقرى تفاسحوا والمراد مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا

يتضامون فيه تنافسا على القرب منه وحرصا على استماع كلامه وقيل هو المجلس من مجالس
القتال وهي مراكز الغزاة كقوله مقاعد للقتال وقرئ في المجالس قيل كان الرجل ياتي الصف
فيقول تفسحوا فيابون لحرصهم على الشهادة وقرئ في المجلس بفتح اللام وهو الجلوس اي توسعوا
في جلوسكم ولا تتضايقوا فيه فافسحوا يفسح الله لكم مطلق في كل ما يبتغي الناس الفسحة فيه من المكان
والرزق والصدر والقبر وغير ذلك واذا قيل انشزوا انهضوا للتوسعة على المقبلين او انهضوا
عن مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا امرتم بالنهوض عنه ولا تملوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالارتكاز فيه او انهضوا الى الصلوة والجهاد واعمال الخير اذا استنهضتم ولا تثبطوا ولا تفرطوا
فانشزوا يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير يرفع الله
المومنين بامتثال اوامره واوامر رسوله صلى الله عليه وسلم والعالمين منهم خاصة درجات بما يعملون
تحتى بالنماء والثناء وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه انه كان اذا قراها قال يا ايها الناس افهموا
هذه الآية ولترغبكم في العلم وعن النبي صلى الله عليه وسلم بين العالم والعابد مائة درجة بين كل
درجتين حضر الجواد المضمر سبعين سنة وعنه صلى الله عليه وسلم فضل العالم على العابد كفضل
القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وعنه صلى الله عليه وسلم يشفع يوم القيامة ثلثة الانبياء
ثم العلماء ثم الشهداء فاعظم بمرتبة هي واسطة بين النبوة والشهادة بشهادة رسول الله صلى الله
عليه وسلم وعن ابن عباس رضي الله عنهما خير سليمان بين العلم والمال والملك فاختار العلم فاعطي
المال والملك معه وقال صلى الله عليه وسلم اوحى الله الى ابرهيم يا ابرهيم اني عليم احب كل عليم
وعن بعض الحكماء ليت شعري اي شيء ادرك من فاته العلم واي شيء فات من ادرك العلم
وعن الاحنف كاد العلماء يكونون اربابا وكل عز لم يوطد بعلم فالى ذل ما يصير وعن الزبيري
العلم ذكر فلا يحبه الا ذكورة الرجال يا ايها الذين آمنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم
صدقة بين يدي نجواكم استعارة ممن له يدان والمعنى قبل نجواكم كقول عمر من افضل ما اوتيت
العرب الشعر يقدمه الرجل امام حاجته فيستمطر به الكريم ويستنزل به اللئيم يريد قبل حاجته
ذلك

ذلك التقديم خير لكم في دينكم واطهر لان الصدقة طهرة روي ان الناس اكثروا مناجاة رسول
الله صلى الله عليه وسلم بما يريدون حتى املوه وابرموه فاريد ان يكفوا عن ذلك فامروا بان
من اراد ان يناجيه قدم قبل مناجاته صدقة قال علي رضي الله عنه لما نزلت دعاني رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال ما تقول في دينار قلت لا يطيقونه قال كم قلت حبة او شعيرة قال انك
لزهيد فلما راوا ذلك اشتد عليهم فارتدعوا وكفوا اما الفقير فلعسرته واما الغني فلشحه
وقيل كان ذلك عشر ليال ثم نسخ وقيل ما كان الا ساعة من نهار وعن علي رضي الله عنه ان في كتاب
الله لآية ما عمل بها احد قبلي ولا يعمل بها احد بعدي كان لي دينار فصرفته فكنت اذا ناجيته تصدقت
بدرهم قال الكلبي تصدق به في عشر كلمات سالهن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن ابن عمر رضي الله عنهما
كان لعلي رضي الله عنه ثلث لو كانت لي واحدة منهن كانت احب الي من حمر النعم تزويجه فاطمة
رضي الله عنها واعطاؤه الراية يوم خيبر وآية النجوى قال ابن عباس رضي الله عنهما هي منسوخة بالآية
التي بعدها وقيل هي منسوخة بالزكوة فان لم تجدوا فان الله غفور رحيم ءاشفقتم ان تقدموا بين يدي
نجواكم صدقات اخفتم تقديم الصدقات لما فيه من الانفاق الذي تكرهونه وان الشيطان يعدكم الفقر
ويامركم بالفحشاء فاذ لم تفعلوا ما امرتم به وشق عليكم وتاب الله عليكم وعذركم ورخص لكم في ان لا تفعلوا
فاقيموا الصلوة وآتوا الزكوة واطيعوا الله ورسوله فلا تفرطوا في الصلوة والزكوة وسائر الطاعات
والله خبير بما تعملون قرئ بالياء والتاء الم تر الى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم كان المنافقون
يتولون اليهود وهم الذين غضب الله عليهم في قوله من لعنه الله وغضب عليه وينقلون
اليهم اسرار المومنين ما هم منكم يا مسلمون ولا منهم ولا من اليهود كقوله مذبذبين بين ذلك لا الى
هولاء ولا الى هولاء ويحلفون على الكذب اي يقولون والله انا لمسلمون فيحلفون على الكذب الذي هو
ادعاء الاسلام وهم يعلمون ان المحلوف عليه كذب بحت فان قلت فما فائدة قوله وهم يعلمون
قلت الكذب ان يكون الخبر لا على وفاق المخبر عنه سواء علم المخبر او لم يعلم فالمعنى انهم الذين
يخبرون وخبرهم خلاف ما يخبرون عنه وهم عالمون بذلك متعمدون له كمن يحلف بالغموس وقيل

كان عبد الله بن نبتل المنافق يجالس رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يرفع حديثه الى اليهود
فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجرة من حجره اذ قال يدخل عليكم الآن رجل قلبه قلب
جبار وينظر بعين شيطان فدخل ابن نبتل وكان ازرق فقال له النبي صلى الله عليه وسلم على ما تشتمني
انت واصحابك فحلف بالله ما فعل فقال صلى الله عليه وسلم فعلت فانطلق فجاء باصحابه فحلفوا بالله
ما سبوه فنزلت اعد الله لهم عذابا شديدا نوعا من العذاب متفاقما انهم ساء ما كانوا يعملون يعني
انهم كانوا في الزمان الماضي المتطاول على سوء العمل مصرين عليه او هي حكاية ما يقال لهم في الآخرة
اتخذوا ايمانهم وقرئ ايمانهم بالكسر اي اتخذوا ايمانهم التي حلفوا بها او ايمانهم الذي اظهروه جنة
اي سترة يتسترون بها من المؤمنين ومن قتلهم فصدوا الناس في خلال امنهم وسلامتهم عن
سبيل الله وكانوا يثبطون من لقوا عن الدخول في الاسلام ويضعفون امر المسلمين عندهم فلهم
عذاب مهين انما وعدهم الله العذاب المهين المخزي لكفرهم وصدهم كقوله الذين كفروا وصدوا
عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله من عذاب
الله شيئا قليلا من الاغناء روي ان رجلا منهم قال لننصرن يوم القيامة بانفسنا واموالنا واولادنا
واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له لله تعالى على انهم مسلمون في
الآخرة كما يحلفون لكم في الدنيا على ذلك ويحسبون انهم على شيء من النفع يعني ليس العجب من حلفهم
لكم فانكم بشر تخفى عليكم السرائر وان لهم نفعا في ذلك دفعا عن ارواحهم واستجرارا فوائد دنيوية
وانهم يفعلونه في دار لا يضطرون فيها الى علم ما يوعدون ولكن العجب من حلفهم لله عالم الغيب
والشهادة مع عدم النفع والاضطرار الى علم ما انذرتهم الرسل والمراد وصفهم بالتوغل في نفاقهم
ومرونهم عليه وان ذلك بعد موتهم وبعثهم باق فيهم لا يضمحل كما قال ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه
وقد اختلف العلماء في كذبهم في الآخرة والقرآن ناطق بثباته نطقا مكشوفا كما ترى في هذه الآية
وفي قوله والله ربنا ما كنا مشركين انظر كيف كذبوا على انفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون
ونحو حسبانهم انهم على شيء من النفع اذا حلفوا استبطاؤهم المؤمنين ليقتبسوا من نورهم

لحسبان

لحسبان ان الايمان الظاهر مما ينفعهم وقيل عند ذلك يختم على افواههم الا انهم هم الكاذبون يعني
انهم الغاية التي لا مطمح وراءها في قول الكذب حيث استوت حالهم فيه في الدنيا والآخرة استحوذ عليهم
استولى عليهم الشيطان لطاعتهم له في كل ما يريده منهم حتى جعلهم رعيته وحزبه فانساهم ذكر الله
ان يذكروا الله اصلا لا بقلوبهم ولا بالسنتهم اولئك حزب الشيطان الا ان حزب الشيطان هم الخاسرون
قال ابو عبيدة حزب الشيطان جنده ان الذين يحادون الله ورسوله اولئك في الاذلين في جملة
من هو اذل خلق الله لا ترى احدا اذل منهم كتب الله في اللوح لاغلبن انا ورسلي بالحجة والسيف
او باحدهما ان الله قوي عزيز لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله
ولو كانوا آباءهم او ابناءهم او اخوانهم او عشيرتهم لا تجد قوما من باب التخييل خيل ان من الممتنع
المحال ان تجد قوما مؤمنين يوالون المشركين والغرض به انه لا ينبغي ان يكون ذلك وحقه ان
يمتنع ولا يوجد بحال مبالغة في النهي عنه والزجر عن ملابسته والتوصية بالتصلب في مجانبة
اعداء الله ومباعدتهم والاحتراس من مخالطتهم ومعاشرتهم وزاد ذلك تاكيدا وتشديدا بقوله
ولو كانوا آباءهم وبقوله اولئك كتب في قلوبهم الايمان وبمقابلة قوله اولئك حزب الشيطان بقوله
اولئك حزب الله فلا تجد شيئا ادخل في الاخلاص من موالاة اولياء الله ومعاداة اعدائه بل
هو الاخلاص بعينه اولئك كتب في قلوبهم الايمان اثبته فيها بما وفقهم فيه وشرح له صدورهم وايدهم
بروح منه بلطف من عنده حييت به قلوبهم ويجوز ان يكون الضمير للايمان اي بروح من الايمان
على انه في نفسه روح لحيوة القلوب به ويدخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها رضي
الله عنهم ورضوا عنه اولئك حزب الله الا ان حزب الله هم المفلحون وعن الثوري انه قال كانوا
يرون انها نزلت فيمن يصحب السلطان وعن عبد العزيز بن ابي رواد انه لقيه المنصور في الطواف
فلما عرفه هرب منه وتلاها وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقول اللهم لا تجعل لفاسق و
لا لفاجر عندي نعمة فاني وجدت فيما اوحيت لا تجد قوما وروي انها نزلت في ابي بكر رضي
الله عنه وذلك ان ابا قحافة سب رسول الله صلى الله عليه وسلم فصكه صكة سقط منها فقال

له رسول الله صلى الله عليه وسلم او فعلته قال نعم قال لا تعد قال والله لو كان السيف قريبا منه
لقتلته وقيل في ابي عبيدة بن الجراح قتل اباه عبد الله بن الجراح يوم احد وفي ابي بكر رضي
الله عنه دعا ابنه يوم بدر الى البراز وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم دعني اكن في الرعلة الاولى
قال متعنا بنفسك يا ابا بكر اما تعلم انك عندي بمنزلة سمعي وبصري وفي مصعب بن عمير قتل اخاه عبيد بن
عمير يوم احد وفي عمر رضي الله عنه قتل خاله العاص بن هشام يوم بدر وفي علي وحمزة وعبيدة
ابن الحارث قتلوا عتبة وشيبة ابني ربيعة والوليد بن عتبة يوم بدر عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم من قرا سورة المجادلة كتب من حزب الله يوم القيامة

سورة الحشر مدنية وهي اربع وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم سبح لله ما في السماوات وما في الارض
وهو العزيز الحكيم هو الذي اخرج الذين كفروا من ديارهم لاول الحشر صالح بنو النضير رسول
الله صلى الله عليه وسلم على ان لا يكونوا عليه ولا له فلما ظهر يوم بدر قالوا هو النبي الذي نعته في
التورية لا ترد له راية فلما هزم المسلمون يوم احد ارتابوا ونكثوا فخرج كعب بن الاشرف
في اربعين راكبا الى مكة فحالفوا عليه قريشا عند الكعبة فامر صلى الله عليه وسلم محمد بن مسلمة
الانصاري فقتل كعبا غيلة وكان اخاه من الرضاعة ثم صبحهم بالكتائب وهو على حمار مخطوم
بليف فقال لهم اخرجوا من المدينة فقالوا الموت احب الينا من ذاك فتنادوا بالحرب وقيل
استمهلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة ايام ليتجهزوا للخروج فدس عبد الله بن ابي
المنافق واصحابه اليهم ان لا تخرجوا من الحصن فان قاتلوكم فنحن معكم لا نخذلكم ولئن خرجتم
لنخرجن معكم فدربوا على الازقة وحصنوها فحاصرهم احدى وعشرين ليلة فلما قذف الله
الرعب في قلوبهم وايسوا من نصر المنافقين طلبوا الصلح فابى عليهم الا الجلاء على ان يحمل كل
ثلثة ابيات على بعير ما شاء من متاعهم فجلوا الى الشام الى اريحا واذرعات الا اهل بيتين
منهم آل ابي الحقيق وآل حيي بن اخطب فانهم لحقوا بالحيرة ولحقت طائفة بالحيرة اللام

في لاول الحشر تعلق باخرج وهي اللام في قوله تعالى يا ليتني قدمت لحياتي وقوله جئته لوقت كذا
والمعنى اخرج الذين كفروا عند اول الحشر ومعنى اول الحشر ان هذا اول حشرهم الى الشام وكانوا
من سبط لم يصبهم جلاء قط وهم اول من اخرج من اهل الكتاب من جزيرة العرب الى الشام او هذا
اول حشرهم وآخر حشرهم اجلاء عمر رضي الله عنه اياهم من خيبر الى الشام وقيل آخر حشرهم حشر يوم
القيامة لان المحشر يكون بالشام وعن عكرمة من شك ان المحشر ههنا يعني الشام فليقرا هذه الاية
وقيل معناه اخرجهم من ديارهم لاول ما حشر لقتالهم لانه اول قتال قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما ظننتم ان يخرجوا لشدة باسهم ووثاقة حصونهم وكثرة عددهم وعدتهم وظنوا انهم مانعتهم
حصونهم ان حصونهم تمنعهم من باس الله فاتيهم الله اي امر الله من حيث لم يحتسبوا من حيث
لم يظنوا ولم يخطر ببالهم وهو قتل رئيسهم كعب بن الاشرف غرة على يد اخيه وذلك مما اضعف
قوتهم وفل من شوكتهم وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بايديهم وايدي المؤمنين وسلب
قلوبهم الامن والطمانينة بما قذف فيها من الرعب والهمهم ان يوافقوا المؤمنين في تخريب
بيوتهم ويعينوا على انفسهم وثبط المنافقين الذين كانوا يتولونهم عن مظاهرتهم وهذا كله لم
يكن في حسبانهم ومنه اتاهم الهلاك فان قلت اي فرق بين قولك وظنوا ان حصونهم تمنعهم
او مانعتهم وبين النظم الذي جاء عليه قلت في تقديم الخبر على المبتدا دليل على فرط وثوقهم
بحصانتها ومنعها اياهم وفي تصيير ضميرهم اسما لان واسناد الجملة اليه دليل على اعتقادهم
في انفسهم انهم في عزة ومنعة لا يبالي معها باحد يتعرض لهم او يطمع في معازتهم وليس ذلك في
قولك وظنوا ان حصونهم تمنعهم وقرئ فاتاهم الله اي فاتاهم الهلاك والرعب الخوف الذي
يرعب الصدر اي يملاه وقذفه اثباته وركزه ومنه قالوا في صفة الاسد مقذف كانما قذف
باللحم قذفا لاكتنازه وتداخل اجزائه قرئ يخربون ويخربون مثقلا ومخففا والتخريب
والاخراب الافساد بالنقض والهدم والخربة الفساد كانوا يخربون بواطنها والمسلمون
ظواهرها لما اراد الله من استيصال شافتهم وان لا تبقى لهم بالمدينة دار ولا منهم ديار والذي

دعاهم الى التخريب حاجتهم الى الخشب والحجارة ليسدوا بها افواه الازقة وان لا يتحسروا
بعد جلائهم على بقائها مساكن للمسلمين وان ينقلوا معهم ما كان في ابنيتهم من جيد الخشب والساج
المليح واما المؤمنون فداعيهم ازالة متحصنهم ومتمنعهم وان يتسع لهم مجال الحرب فان قلت
ما معنى تخريبهم لها بايدي المؤمنين قلت لما عرضوهم لذلك وكانوا السبب فيه فكانهم
امروهم به وكلفوه اياهم فاعتبروا يا اولي الابصار بما دبر الله ويسر من امر اخراجهم وتسليط
المسلمين عليهم من غير قتال وقيل وعد رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين ان يورثهم الله
ارضهم واموالهم بغير قتال فكان كما قال يعني ان الله قد عزم على تطهير ارض المدينة منهم واراحة
المسلمين من جوارهم وتوريثهم اموالهم ولولا ان كتب الله عليهم الجلاء واقتضته حكمته ودعاه
الى اختياره انه اشق عليهم من الموت لعذبهم في الدنيا بالقتل كما فعل باخوانهم بني قريظة ولهم
سواء اجلوا او قتلوا عذاب النار يعني ان نجوا من عذاب الدنيا لم ينجوا من عذاب الاخرة ما قطعتم
من لينة او تركتموها من لينة بيان لما قطعتم ومحل ما نصب بقطعتم كانه قيل اي شيء قطعتم
وانث الضمير الراجع الى ما في قوله او تركتموها لانه في معنى اللينة واللينة النخلة من الالوان
وهي ضروب النخل ما خلا العجوة والبرنية وهما اجود النخيل وياؤها عن واو قلبت لكسرة ما
قبلها كالديمة وقيل اللينة النخلة الكريمة كانهم اشتقوها من اللين قال ذو الرمة
كان قتودي فوقها عش طائر على لينة سوقاء تهفو جنوبها وجمعها لين قائمة على اصولها وقرئ
قوما وعلى اصلها وفيه وجهان انه جمع اصل كرهن ورهن او اكتفى فيه بالضمة عن الواو وقرئ
قائما على اصوله ذهابا الى لفظ ما فباذن الله فقطعها باذن الله وامره وليخزي الفاسقين و
ليذل اليهود ويغيظهم اذن في قطعها وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين امر ان
تقطع نخلهم وتحرق قالوا يا محمد قد كنت تنهى عن الفساد في الارض فما بال قطع النخل وتحريقها
فكان في انفس المؤمنين من ذلك شيء فنزلت يعني ان الله اذن لهم في قطعها ليزيدكم غيظا ويضاعف
لكم حسرة اذا رأيتموهم يتحكمون في اموالكم كيف احبوا ويتصرفون فيها ما شاؤوا واتفق العلماء ان

ذلك بانهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاق الله فان الله شديد العقاب ومن يخالف الله ورسوله في الدين

حصون الكفرة وديارهم لا باس ان تهدم وتحرق وتغرق وترتمي بالمجانيق وكذلك اشجارهم
لا باس بقلعها مثمرة كانت او غير مثمرة وعن ابن مسعود رضي الله عنه قطعوا منها ما كان موضعا
للقتال فان قلت لم خصت اللينة بالقطع قلت ان كانت من الالوان فليستبقوا
لانفسهم العجوة والبرنية وان كان من كرام النخل فليكون غيظ اليهود اشد وروي ان
رجلين كانا يقطعان احدهما العجوة والآخر اللون فسالهما رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال هذا تركتها لرسول الله وقال هذا قطعتها غيظا للكفار وقد استدل به على جواز الاجتهاد
وعلى جوازه بحضرة الرسول صلى الله عليه وسلم لانهما بالاجتهاد فعلا ذلك واحتج به من يقول كل
مجتهد مصيب وما افاء الله على رسوله منهم فما اوجفتم عليه من خيل ولا ركاب ولكن الله يسلط
رسله على من يشاء والله على كل شيء قدير افاء الله على رسوله جعله فيئا له خاصة والايجاف
من الوجيف وهو السير السريع ومنه قوله صلى الله عليه وسلم في الافاضة من عرفات ليس البر
بايجاف الخيل ولا ايضاع الابل على هينتكم ومعنى فما اوجفتم عليه فما اوجفتم على تحصيله وتغنمه
خيلا ولا ركابا ولا تعبتم في القتال عليه وانما مشيتم اليه على ارجلكم والمعنى ان ما خول الله رسوله
صلى الله عليه وسلم من اموال بني النضير شيء لم تحصلوه بالقتال والغلبة ولكن سلطه الله عليهم و
على ما في ايديهم كما يسلط رسله على اعدائهم فالامر فيه مفوض اليه يضعه حيث يشاء يعني انه لا يقسم
قسمة الغنائم التي قوتل عليها واخذت عنوة وقهرا وذلك انهم طلبوا القسمة فنزلت ما افاء الله على
رسوله من اهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كيلا يكون
دولة بين الاغنياء منكم لم يدخل العاطف على هذه الجملة لانها بيان للاولى فهي منها غير اجنبية
عنها بين لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما يصنع بما افاء الله عليه وامره ان يضعه حيث يضع الخمس
من الغنائم مقسوما على الاقسام الخمسة والدولة والدولة بالفتح والضم وقد قرئ بهما ما يدول
للانسان من الجد يقال دالت له الدولة واديل لفلان ومعنى قوله كيلا يكون دولة بين الاغنياء
منكم كيلا يكون الفيء الذي حقه ان يعطى الفقراء ليكون لهم بلغة يعيشون بها جدا بين الاغنياء

وهو قول المعتزلة ذهبت الى ان كل مصيب وعند اهل السنة المجتهد ويخطئ وفي ابحاث كثيرة بين من اراد التفصيل فلا من محلها

يتكاثرون به او كيلا يكون دولة جاهلية بينهم ومعنى الدولة الجاهلية ان الرؤساء
منهم كانوا يستأثرون بالغنيمة لانهم اهل الرياسة والدولة والغلبة وكانوا يقولون من عز
بز والمعنى كيلا يكون اخذه غلبة واثرة جاهلية ومنه قول الحسن اتخذوا عباد الله
خولا ومال الله دولا يريد من غلب منهم اخذه واستأثر به وقيل الدولة ما يتداول
كالغرفة اسم ما يغترف يعني كيلا يكون الفيء شيئا يتداوله الاغنياء بينهم ويتعاورونه فلا
يصيب الفقراء والدولة بالفتح بمعنى التداول اي كيلا يكون ذا تداول بينهم او كيلا يكون
امساكه تداولا بينهم لا يخرجونه الى الفقراء وقرئ دولة بالرفع على كان التامة كقوله
وان كان ذو عسرة يعني كيلا تقع دولة جاهلية ولينقطع اثرها او كيلا يكون تداول له
بينهم او كيلا يكون شيء متعاور بينهم غير مخرج الى الفقراء وما آتاكم الرسول من قسمة
غنيمة او فيء فخذوه وما نهاكم عنه عن اخذه منها فانتهوا عنه ولا تتبعه انفسكم واتقوا
الله ان تخالفوه وتتهاونوا باوامره ونواهيه ان الله شديد العقاب لمن خالف رسوله
والاجود ان يكون عاما في كل ما آتى رسول الله ونهى عنه وامر الفيء داخل في عمومه وعن
ابن مسعود رضي الله عنه انه لقي رجلا محرما وعليه ثيابه فقال له انزع عنك هذا فقال
الرجل اقرأ علي في هذا آية من كتاب الله قال نعم فقرأها عليه للفقراء الذين اخرجوا
من ديارهم واموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا للفقراء بدل من قوله لذي القربى
والمعطوف عليه والذي منع الابدال من لله وللرسول والمعطوف عليهما وان كان المعنى
لرسول الله ان الله عز وجل اخرج رسوله من الفقراء في قوله وينصرون الله ورسوله
وانه يترفع برسول الله عن التسمية بالفقير وان الابدال على ظاهر اللفظ من خلاف
الواجب في تعظيم الله عز وجل اولئك هم الصادقون في ايمانهم وجهادهم والذين تبوؤا الدار
والايمان معطوف على المهاجرين وهم الانصار فان قلت ما معنى عطف الايمان على الدار
ولا يقال تبوأ الايمان قلت معناه تبوؤا الدار واخلصوا الايمان كقوله

علفتها

علفتها تبنا وماء باردا او وجعلوا الايمان مستقرا ومتوطنا لهم لتمكنهم منه واستقامتهم
عليه كما جعلوا المدينة كذلك او اراد دار الهجرة ودار الايمان فاقام لام التعريف في الدار
مقام المضاف اليه وحذف المضاف من دار الايمان ووضع المضاف اليه مقامه او سمي المدينة
لانها دار الهجرة ومكان ظهور الايمان بالايمان من قبلهم من قبل المهاجرين لانهم سبقوهم في تبوء
دار الهجرة والايمان وقيل من قبل هجرتهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم ولا يعلمون
في انفسهم حاجة مما اوتوا اي طلب محتاج اليه مما اوتي المهاجرون من الفيء وغيره والمحتاج
اليه يسمى حاجة يقال خذ منه حاجتك واعطاه من ماله حاجته يعني ان نفوسهم لم تتبع ما اعطوا
ولم تطمح الى شيء منه تحتاج اليه ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة اي خلة واصلها
خصاص البيت وهي فروجه والجملة في موضع الحال اي مفروضة خصاصتهم وكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قسم اموال بني النضير على المهاجرين ولم يعط الانصار الا ثلاثة نفر محتاجين
ابا دجانة سماك بن خرشة وسهل بن حنيف والحارث بن الصمة وقال لهم ان شئتم قسمتم
للمهاجرين من اموالكم ودياركم وشاركتموهم في هذه الغنيمة وان شئتم كانت لكم دياركم واموالكم
ولم يقسم لكم شيء من الغنيمة فقالت الانصار بل نقسم لهم من اموالنا وديارنا ونؤثرهم بالغنيمة
ولا نشاركهم فيها فنزلت ومن يوق شح نفسه الشح بالضم والكسر وقد قرئ بهما اللؤم وان تكون نفس
الرجل كزة حريصة على المنع كما قال يمارس نفسا بين جنبيه كزة اذا هم بالمعروف قالت له مهلا
وقد اضيف الى النفس لانه غريزة فيها واما البخل فهو المنع نفسه ومنه قوله تعالى واحضرت
الانفس الشح ومن يوق شح نفسه ومن غلب ما امرته به منه وخالف هواها بمعونة الله
وتوفيقه فاولئك هم المفلحون الظافرون بما ارادوا وقرئ ومن يوق والذين جاؤا من بعدهم
عطف ايضا على المهاجرين وهم الذين هاجروا من بعد وقيل التابعون باحسان يقولون
ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك
رؤف رحيم لاخوانهم للذين بينهم وبينهم اخوة الكفر ولانهم كانوا يوالونهم ويواخونهم وكانوا

الم تر الى الذين نافقوا يقولون

معهم على المؤمنين في السر ألم تر إلى الذين نافقوا يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب
لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم في قتالكم أحدا من رسول الله والمؤمنين إن حملنا
عليه أو في خذلانكم وإخلاف ما وعدناكم من النصرة أبدا وإن قوتلتم لننصرنكم والله يشهد إنهم لكاذبون
أي في مواعيدهم لليهود وفيه دليل على صحة النبوة لأنه إخبار بالغيب لئن أخرجوا لا يخرجون معهم
ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم ليولن الأدبار ثم لا ينصرون فإن قلت كيف قيل ولئن
نصروهم بعد الإخبار بأنهم لا ينصرونهم قلت معناه ولئن نصروهم على الفرض والتقدير كقوله لئن
أشركت ليحبطن عملك وكما يعلم ما يكون فهو يعلم ما لا يكون لو كان كيف يكون والمعنى ولئن نصر
المنافقون اليهود لينهزمن المنافقون ثم لا ينصرون بعد ذلك أي يهلكهم الله ولا ينفعهم نفاقهم لظهور
كفرهم أو لينهزمن اليهود ثم لا ينفعهم نصرة المنافقين لأنتم أشد رهبة مصدر رهب المبني للمفعول
كأنه قيل أشد مرهوبية وقوله في صدورهم دلالة على نفاقهم يعني أنهم يظهرون لكم في العلانية خوف
الله وأنتم أهيب في صدورهم من الله فإن قلت كأنهم كانوا يرهبون من الله حتى تكون رهبتهم
منهم أشد قلت معناه أن رهبتهم في السر منكم أشد من رهبتهم من الله التي يظهرونها لكم
وكانوا يظهرون لهم رهبة شديدة من الله ويجوز أن يريد أن اليهود يخافونكم في صدورهم أشد
من خوفهم من الله لأنهم كانوا قوما أولي بأس ونجدة فكانوا يشجعون لكم مع إضمار الخيفة في صدورهم
ذلك بأنهم قوم لا يفقهون لا يعلمون الله وعظمته حتى يخشوه حق خشيته لا يقاتلونكم لا يقدرون
على مقاتلتكم جميعا مجتمعين متساندين يعني اليهود والمنافقين إلا كائنين في قرى محصنة بالخنادق
والدروب أو من وراء جدر دون أن يصحروا لكم ويبارزوكم لقذف الله الرعب في قلوبهم وأن تأييد
الله ونصرته معكم وقرئ جُدُر بالتخفيف وجِدار وجَدْر وجُدُر وهما الجدار بأسهم بينهم شديد
يعني أن البأس الشديد الذي يوصفون به إنما هو بينهم إذا اقتتلوا ولو قاتلوكم لم يبق لهم ذلك
البأس والشدة لأن الشجاع يجبن والعزيز يذل عند محاربة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم تحسبهم
جميعا مجتمعين ذوي ألفة واتحاد وقلوبهم شتى متفرقة لا ألفة بينها يعني أن بينهم إحنا وعداوات

فلا

فلا يتعاضدون حق التعاضد ولا يرمون عن قوس واحدة وهذا تجسير للمؤمنين وتشجيع لقلوبهم على
قتالهم ذلك بأنهم قوم لا يعقلون أن تشتت القلوب مما يوهن قواهم ويعين على أرواحهم كمثل الذين من
قبلهم أي مثلهم كمثل أهل بدر في زمان قريب فإن قلت بم انتصب قريبا قلت بمثل على كوجود
مثل أهل بدر قريبا ذاقوا وبال أمرهم سوء عاقبة كفرهم وعداوتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم من قولهم
كلأ وبيل وخيم سيئ العاقبة يعني ذاقوا عذاب القتل في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب أليم عذاب النار
كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إني بريء منك إني أخاف الله رب العالمين مثل
المنافقين في إغرائهم اليهود على القتال ووعدهم إياهم النصر ثم متاركتهم لهم وإخلافهم كمثل الشيطان
إذا استغوى الإنسان بكيده ثم تبرأ منه في العاقبة استغواه قريشا يوم بدر وقوله لهم لا غالب لكم
اليوم من الناس وإني جار لكم إلى قوله إني بريء منكم فكان عاقبتهما أنهما في النار خالدين فيها وذلك
جزاء الظالمين وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه خالدان فيها على أنه خبر أن وفي النار لغو وعلى
أي جزاء المنافقين والكافرين
القراءة المشهورة الظرف مستقر وخالدين فيها حال وقرئ أنا بريء وعاقبتهما بالرفع يا أيها الذين آمنوا
اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون كرر الأمر بالتقوى تأكيدا
أو اتقوا الله في أداء الواجبات لأنه قرن بما هو عمل واتقوا الله في ترك المعاصي لأنه قرن بما يجري
مجرى الوعيد والغد يوم القيامة سماه باليوم الذي يلي يومك تقريبا له وعن الحسن رحمه الله لم يزل يقربه
حتى جعله كالغد ونحوه قوله كأن لم تغن بالأمس يريد تقريب الزمان الماضي وقيل عبر عن
الآخرة بالغد كأن الدنيا والآخرة نهاران يوم وغد فإن قلت ما معنى تنكير النفس والغد
قلت أما تنكير النفس فاستقلال للأنفس النواظر فيما قدمن للآخرة كأنه قال فلتنظر
نفس واحدة في ذلك وأما تنكير الغد فلتعظيمه وإبهام أمره كأنه قيل لغد لا يعرف كنهه لعظمه وعن
مالك بن دينار مكتوب على باب الجنة وجدنا ما عملنا ربحنا ما قدمنا خسرنا ما خلفنا ولا تكونوا كالذين
نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون نسوا حقه فجعلهم ناسين حق أنفسهم بالخذلان
حتى لم يسعوا لها بما ينفعهم عنده أو فأراهم يوم القيامة من الأهوال ما نسوا فيه أنفسهم كقوله لا يرتد إليهم طرفهم

لا يستوي اصحاب النار واصحاب الجنة اصحاب الجنة هم الفائزون هذا تنبيه للناس وايذان
بانهم لفرط غفلتهم وقلة فكرهم في العاقبة وتهالكهم على ايثار العاجلة واتباع الشهوات كانهم
لا يعرفون الفرق بين الجنة والنار والبون العظيم بين اصحابهما وان الفوز مع اصحاب الجنة فمن
حقهم ان يعلموا ذلك وينبهوا عليه كما تقول لمن يعق اباه هو ابوك تجعله بمنزلة من لا يعرفه
فتنبهه بذلك على حق الابوة الذي يقتضي البر والتعطف وقد استدل اصحاب الشافعي رضي الله
عنه بهذه الاية على ان المسلم لا يقتل بالكافر وان الكفار لا يملكون اموال المسلمين بالقهر لو انزلنا
هذا القران على جبل لرايته خاشعا متصدعا من خشية الله هذا تمثيل وتخييل كما مر في قوله
انا عرضنا الامانة وقد دل عليه قوله وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون والغرض توبيخ
الانسان على قسوة قلبه وقلة تخشعه عند تلاوة القران وتدبر قوارعه وزواجره وقرئ مصدعا
على الادغام وتلك الامثال اشارة الى هذا المثل والى امثاله في مواضع من القران هو الله الذي
لا اله الا هو عالم الغيب المعدوم والشهادة الموجود المدرك كانه يشاهده وقيل ما غاب عن
العباد وما شاهدوه وقيل السر والعلانية وقيل الدنيا والاخرة هو الرحمن الرحيم هو الله
الذي لا اله الا هو الملك القدوس بالضم والفتح وقد قرئ بهما البليغ في النزاهة عما يستقبح
ونظيره السبوح وفي تسبيح الملائكة سبوح قدوس رب الملائكة والروح السلام بمعنى السلامة
ومنه دار السلام وسلام عليكم وصف به مبالغة في وصف كونه سليما من النقائص او في
اعطائه السلامة المؤمن واهب الامن وقرئ بفتح الميم بمعنى المؤمن به على حذف الجار كما
تقول في قوم موسى من قوله واختار موسى قومه المختارين بلفظ صفة السبعين المهيمن الرقيب
على كل شيء الحافظ له مفيعل من الامن الا ان همزته قلبت هاء العزيز الجبار القاهر الذي قهر
خلقه على ما اراد اي اجبره المتكبر البليغ الكبرياء والعظمة وقيل المتكبر عن ظلم عباده
سبحان الله عما يشركون هو الله الخالق المقدر لما يوجده البارئ المميز بعضه من بعض بالاشكال
المختلفة المصور الممثل وعن حاطب بن ابي بلتعة انه قرأ البارئ المصور بفتح الواو ونصب الراء

اي

اي الذي يبرأ المصور اي يميز ما يصوره بتفاوت الهيئات يسبح له ما في السموات والارض وهو العزيز
الحكيم وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه وما في الارض عن ابي هريرة رضي الله عنه سالت حبيبي صلى الله عليه
وسلم عن اسم الله الاعظم فقال عليك باخر الحشر فاكثر قراءته فاعدت عليه فاعاد علي فاعدت عليه
فاعاد علي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحشر غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر

سورة الممتحنة مدنية وهي ثلث عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم
اولياء تلقون اليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول واياكم ان تؤمنوا بالله
ربكم ان كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي روي ان مولاة لابي عمرو بن صيفي بن هاشم
يقال لها سارة اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة وهو يتجهز للفتح فقال لها لا مسلمة
جئت قالت لا قال افمهاجرة جئت قالت لا قال فما جاء بك قالت كنتم الاهل والموالي والعشيرة
وقد ذهبت الموالي يعني قتلوا يوم بدر فاحتجت حاجة شديدة فحث عليها بني عبد المطلب
فكسوها وحملوها وزودوها فاتاها حاطب بن ابي بلتعة واعطاها عشرة دنانير وكساها
بردا واستحملها كتابا الى اهل مكة نسخته من حاطب بن ابي بلتعة الى اهل مكة اعلموا
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدكم فخذوا حذركم فخرجت سارة ونزل جبريل عليه السلام بالخبر
فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا وعمارا وعمر وطلحة والزبير والمقداد وابا مرثد رضي الله
عنهم اجمعين وكانوا فرسانا وقال انطلقوا حتى تاتوا روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب
من حاطب الى اهل مكة فخذوه منها وخلوها فان ابت فاضربوا عنقها فادركوها فجحدت وحلفت
فهموا بالرجوع فقال علي رضي الله عنه والله ما كذبنا ولا كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم وسل
سيفه وقال اخرجي الكتاب او تضعي راسك فاخرجته من عقاص شعرها وروي ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم امن جميع الناس يوم الفتح الا اربعة هي احدهم فاستحضر رسول الله
صلى الله عليه وسلم حاطبا وقال ما حملك عليه فقال يا رسول الله ما كفرت منذ اسلمت ولا غششتك

منذ صحبتك ولا احببتهم منذ فارقتهم ولكني كنت امرأ ملصقا في قريش وروى عريرا فيهم اي
غريبا ولم اكن من انفسها وكل من معك من المهاجرين لهم قرابات بمكة يحمون اهاليهم واموالهم
غيري فخشيت على اهلي فاردت ان اتخذ عندهم يدا وقد علمت ان الله ينزل عليهم باسه وان
كتابي لا يغني عنهم شيا فصدقه وقبل عذره فقال عمر رضي الله عنه دعني يا رسول الله اضرب
عنق هذا المنافق فقال وما يدريك يا عمر لعل الله قد اطلع على اهل بدر فقال لهم اعملوا ما شئتم
فقد غفرت لكم ففاضت عينا عمر وقال الله ورسوله اعلم فنزلت عدي اتخذ الى مفعوليه وهما
عدوي اولياء والعدو فعول من عدا كعفو من عفا ولكونه على زنة المصدر اوقع على الجمع
ايقاعه على الواحد فان قلت تلقون بم يتعلق قلت يجوز ان يتعلق بلا تتخذوا حالا
من ضميره وباولياء صفة له ويجوز ان يكون استينافا فان قلت اذا جعلته صفة لاولياء
فقد جرى على غير من هي له فاين الضمير البارز وهو قوله تلقون اليهم انتم المودة قلت ذلك
انما اشترطوه في الاسماء دون الافعال لو قيل اولياء ملقين اليهم بالمودة على الوصف لما كان بد
من الضمير البارز والالقاء عبارة عن ايصال المودة والافضاء بها اليهم يقال القى اليه خراشي
صدره وافضى اليه بشقوره والباء في بالمودة اما زائدة مؤكدة للتعدي مثلها في ولا تلقوا بايديكم
واما ثابتة على ان مفعول تلقون محذوف معناه تلقون اليهم اخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم
بسبب المودة التي بينكم وبينهم وكذلك قوله تسرون اليهم بالمودة اي تفضون اليهم بمودتكم سرا
او تسرون اليهم اسرار رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبب المودة فان قلت وقد كفروا
حال مماذا قلت اما من لا تتخذوا واما من تلقون اي لا تتولوهم او تؤادونهم وهذه حالهم
ويخرجون استيناف كالتفسير لكفرهم وعتوهم او حال من كفروا وان تؤمنوا تعليل ليخرجون
اي يخرجونكم لايمانكم وان كنتم خرجتم متعلق بلا تتخذوا يعني لا تتولوا اعداي ان كنتم اولياي
وقول النحويين في مثله هو شرط جوابه محذوف لدلالة ما قبله عليه تسرون اليهم بالمودة وانا اعلم
بما اخفيتم وما اعلنتم استيناف معناه اي طائل لكم في اسراركم وقد علمتم ان الاخفاء والاعلان

سيان في علمي لا تفاوت بينهما وانا مطلع رسولي على ما تسرون ومن يفعله فقد ضل سواء السبيل
ومن يفعل هذا الاسرار فقد اخطأ طريق الحق والصواب وقرأ الجحدري لما جاءكم اي كفروا لاجل
ما جاءكم بمعنى ان ما كان يجب ان يكون سبب ايمانهم جعلوه سببا لكفرهم ان يثقفوكم ان يظفروا بكم
ويتمكنوا منكم يكونوا لكم اعداء خالصي العداوة ولا يكونوا لكم اولياء كما انتم ويبسطوا اليكم ايديهم والسنتهم
بالسوء بالقتال والشتم وودوا لو تكفرون وتمنوا لو ترتدون عن دينكم فاذن مودة امثالهم ومناصحتهم
خطاء عظيم ومغالطة لانفسكم ونحوه قوله تعالى لا يألونكم خبالا فان قلت كيف اورد جواب الشرط
مضارعا مثله ثم قال وودوا بلفظ الماضي قلت الماضي وان كان يجري في باب الشرط مجرى
المضارع في علم الاعراب فان فيه نكتة كانه قيل وودوا قبل كل شيء كفركم وارتدادكم يعني انهم يريدون
ان يلحقوا بكم مضار الدين والدنيا جميعا من قتل الانفس وتمزيق الاعراض وردكم كفارا وردكم
كفارا اسبق المضار عندهم واولها لعلمهم ان الدين اعز عليكم من ارواحكم لانكم بذالون لها دونه
والعدو اهم شيء عنده ان يقصد اعز شيء عند صاحبه لن تنفعكم ارحامكم اي قراباتكم ولا اولادكم
الذين توالون الكفار من اجلهم وتتقربون اليهم محاماة عليهم ثم قال يوم القيامة يفصل بينكم وبين اقاربكم
واولادكم يوم يفر المرء من اخيه الاية فما لكم ترفضون حق الله مراعاة لحق من يفر منكم غدا خطاء
رايهم في موالاة الكفار بما يرجع الى حال من والوه اولا ثم بما يرجع الى حال من اقتضى تلك الموالاة
ثانيا ليريهم ان ما اقدموا عليه من اي جهة نظرت فيه وجدته باطلا قرئ يفصل ويفصل على
البناء للمفعول ويفصل ويفصل على البناء للفاعل وهو الله عز وجل ونفصل ونفصل بالنون
والله بما تعملون بصير قد كان لكم اسوة حسنة في ابراهيم والذين معه اذ قالوا لقومهم انا برآء
منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابدا حتى تؤمنوا بالله وحده
قرئ اسوة واسوة وهو اسم الموتسى به اي كان فيهم مذهب حسن مرضي بان يؤتسى به ويتبع اثره
وهو قولهم لكفار قومهم ما قالوا حيث كاشفوهم بالعداوة وقشروا لهم العصا واظهروا البغضاء والمقت
وصرحوا بان سبب عداوتهم وبغضائهم ليس الا كفرهم بالله وما دام هذا السبب قائما كانت العداوة قائمة

حتى اذا الوهو وآمنوا بالله وحده انقلبت العداوة موالاة والبغضاء محبة والمقت مقة فافصحوا عن محض الاخلاص ومعنى كفرنا بكم وبما تعبدون من دون الله انا لا نعتد بشانكم ولا بشان آلهتكم وما انتم عندنا على شي فان قلت مم استثنى قوله الا قول ابرهيم قلت من قوله اسوة حسنة لانه اراد بالاسوة الحسنة قولهم الذي حق عليهم ان ياتسوا به ويتخذوه سنة يستنون بها لاستغفرن لك وما املك لك من الله من شي ربنا عليك توكلنا واليك انبنا واليك المصير فان قلت فان كان قوله لاستغفرن لك مستثنى من القول الذي هو اسوة حسنة فما بال قوله وما املك لك من الله من شي وهو غير حقيق بالاستثناء الا ترى الى قوله قل فمن يملك لكم من الله شيا قلت اراد استثناء جملة قوله لابيه والقصد الى موعد الاستغفار له وما بعده مبني عليه وتابع له كانه قال انا استغفر لك وما في طاقتي الا الاستغفار فان قلت بم اتصل قوله ربنا عليك توكلنا قلت بما قبل الاستثناء وهو من جملة الاسوة الحسنة ويجوز ان يكون المعنى قولوا ربنا امرا من الله تعالى للمومنين بان يقولوه وتعليما منه لهم تتميما لما وصاهم به من قطع العلائق بينهم وبين الكفار والايتساء بابرهيم وقومه في البراة منهم وتنبيها على الانابة الى الله والاستعاذة به من فتنة اهل الكفر والاستغفار مما فرط منهم وقرى برآء كشركاء وبراء كظراف وبراء على ابدال الضم من الكسر كرخال ورباب وبراء على الوصف بالمصدر والبراء والبراة كالظماء والظماة ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا واغفر لنا ربنا انك انت العزيز الحكيم لقد كان لكم فيهم اسوة حسنة ثم كرر الحث على الايتساء بابرهيم وقومه تقريرا وتاكيدا عليهم ولذلك جاء به مصدرا بالقسم لانه الغاية في التاكيد وابدل عن قوله لكم قوله لمن كان يرجو الله واليوم الاخر وعقبه بقوله ومن يتول فان الله هو الغني الحميد فلم يترك نوعا من التاكيد الا جاء به ولما نزلت هذه الآيات تشدد المومنون في عداوة آبائهم وابنائهم وجميع اقربائهم من المشركين ومقاطعتهم فلما راى الله منهم الجد والصبر على الوجد الشديد وطول التمني للسبب الذي يبيح لهم الموالاة والمواصلة رحمهم فوعدهم تيسير ما تمنوه فلما يسر فتح مكة اظفرهم الله بامنيتهم فاسلم قومهم وتم بينهم من التحاب والتصافي ما تم وقيل تزوج رسول الله

صلى الله عليه وسلم ام حبيبة فلانت عند ذلك عريكة ابي سفيان واسترخت شكيمته في العداوة وكانت ام حبيبة قد اسلمت وهاجرت مع زوجها عبيد الله بن جحش الى الحبشة فتنصر واراده على النصرانية فابت وصبرت على دينها ومات زوجها فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى النجاشي فخطبها عليه وساق عنه اليها مهرها اربعماية دينار وبلغ ذلك اباها فقال ذلك الفحل لا يقدع انفه عسى الله ان يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة عسى وعد من الله على عادات الملوك حيث يقولون في بعض الحوائج عسى او لعل فلا تبقى شبهة للمحتاج في تمام ذلك او قصد به اطماع المومنين والله قدير على تقليب القلوب وتغيير الاحوال وتسهيل اسباب المودة والله غفور رحيم لمن اسلم من المشركين لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين واخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم ان تولوهم ومن يتولهم فاولئك هم الظالمون ان تبروهم وتقسطوا بدل من الذين لم يقاتلوكم وكذلك ان تولوهم من الذين قاتلوكم والمعنى لا ينهاكم عن مبرة هولاء وانما ينهاكم عن تولي هولاء وهذا ايضا رحمة لهم لتشددهم وجدهم في العداوة متقدمة لرحمته بتيسير اسلام قومهم حيث رخص لهم في صلة من لم يجاهر منهم بقتال المومنين واخراجهم من ديارهم وقيل اراد بهم خزاعة وكانوا صالحوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان لا يقاتلوه ولا يعينوا عليه وعن مجاهد الذين آمنوا بمكة ولم يهاجروا وقيل هم النساء والصبيان وقيل قدمت على اسماء بنت ابي بكر رضي الله عنهما امها قتيلة بنت عبد العزى وهي مشركة بهدايا فلم تقبلها ولم تاذن لها بالدخول فنزلت فامرها رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تدخلها وتقبل منها وتكرمها وتحسن اليها وعن قتادة نسختها آية القتال وتقسطوا اليهم وتقضوا اليهم بالقسط ولا تظلموهم وناهيك بتوصية الله المومنين ان يستعملوا القسط مع المشركين به ويتحاموا ظلمهم مترجمة عن حال مسلم يجترى على ظلم اخيه المسلم يا ايها الذين آمنوا اذا جاءكم المومنات مهاجرات سماهن مومنات لتصديقهن بالسنتهن ونطقهن بكلمة الشهادة ولم يظهر منهن ما ينافي ذلك او لانهن مشارفات لثبات ايمانهن بالامتحان فامتحنوهن

فابتلوهن بالحلف والنظر في الامارات ليغلب على ظنونكم صدق ايمانهن وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول للممتحنة بالله الذى لا اله الا هو ما خرجت من بغض زوج بالله ما خرجت رغبة عن ارض الى ارض بالله ما خرجت التماس دنيا بالله ما خرجت الا حبا لله ولرسوله الله اعلم بايمانهن منكم لانكم لا تكسبون فيه علما تطمئن معه نفوسكم فان استحلفتموهن ورزتم احوالهن وعند الله حقيقة العلم به فان علمتموهن مومنات العلم الذى تبلغه طاقتكم وهو الظن الغالب بالحلف وظهور الامارات فلا ترجعوهن الى الكفار فلا تردوهن الى ازواجهن المشركين لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن لانه لا حل بين المومنة والمشرك وآتوهم ما انفقوا واعطوا ازواجهن مثل ما دفعوا اليهن من المهور وذلك ان صلح الحديبية كان على ان من اتاكم من اهل مكة رد اليهم ومن اتى مكة منكم لم يرد اليكم وكتبوا بذلك كتابا وختموه فجاءت سبيعة بنت الحارث الاسلمية مسلمة والنبى صلى الله عليه وسلم بالحديبية فاقبل زوجها مسافر المخزومى وقيل صيفى بن الراهب فقال يا محمد اردد على امراتى فانك قد شرطت لنا ان ترد علينا من اتاك منا وهذه طينة الكتاب لم تجف فنزلت بيانا لان الشرط انما كان فى الرجال دون النساء وعن الضحاك كان بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين المشركين عهد ان لا تاتيك منا امراة ليست على دينك الا رددتها الينا فان دخلت فى دينك ولها زوج ان ترد على زوجها الذى انفق عليها وللنبى صلى الله عليه وسلم مثل ذلك وعن قتادة ثم نسخ هذا الحكم وهذا العهد براءة فاستحلفها رسول الله صلى الله عليه وسلم فحلفت فاعطى زوجها ما انفق وتزوجها عمر رضى الله عنه فان قلت كيف سمى الظن علما فى قوله فان علمتموهن قلت ايذانا بان الظن الغالب وما يفضى اليه الاجتهاد والقياس جار مجرى العلم وان صاحبه غير داخل فى قوله تعالى ولا تقف ما ليس لك به علم فان قلت فما فائدة قوله الله اعلم بايمانهن وذلك معلوم لا شبهة فيه قلت فائدته بيان ان لا سبيل لكم الى ما تطمئن به النفس ويثلج الصدر من الاحاطة بحقيقة ايمانهن فان ذلك مما استاثر به علام الغيوب وان ما يودى اليه الامتحان من العلم كاف فى ذلك وان تكليفكم لا يعدوه ولا جناح عليكم ان تنكحوهن اذا آتيتموهن

اجورهن ثم نفى عنهم الجناح فى تزوج هولاء المهاجرات اذا آتوهن اجورهن اى مهورهن لان المهر اجر البضع ولا يخلو اما ان يراد بها ما كان يدفع اليهن ليدفعنه الى ازواجهن فيشترط فى اباحة تزوجهن تقديم ادائه واما ان يبين لهم ان ما اعطى ازواجهن لا يقوم مقام المهر وانه لا بد من اصداق وبه احتج ابو حنيفة رضى الله عنه على ان احد الزوجين اذا خرج من دار الحرب مسلما او بذمة وبقى الآخر حربيا وقعت الفرقة ولا يرى العدة على المهاجرة ويبيح نكاحها الا ان تكون حاملا ولا تمسكوا بعصم الكوافر والعصمة ما يعتصم به من عقد وسبب يعنى اياكم واياهن ولا تكن بينكم وبينهن عصمة ولا علقة زوجية قال ابن عباس رضى الله عنهما من كانت له امراة كافرة بمكة فلا يعتدن بها من نسائه لان اختلاف الدارين قطع عصمتها منه وعن النخعى هى المسلمة تلحق بدار الحرب فتكفر وعن مجاهد امرهم بطلاق الباقيات مع الكفار ومفارقتهن واسالوا ما انفقتم من مهور ازواجكم اللاحقات بالكفار وليسالوا ما انفقوا من مهور نسائهم المهاجرات وقرئ ولا تمسكوا بالتخفيف ولا تمسكوا بالتثقيل ولا تمسكوا اى ولا تتمسكوا ذلكم حكم الله يعنى جميع ما ذكر فى هذه الاية يحكم بينكم والله عليم حكيم كلام مستانف او حال من حكم الله على حذف الضمير اى يحكمه الله او جعل الحكم حاكما على المبالغة روى انه لما نزلت الاية ادى المومنون ما امروا به من اداء مهور المهاجرات الى ازواجهن المشركين وابى المشركون ان يودوا شيئا من مهور الكوافر الى ازواجهن المسلمين فنزل قوله وان فاتكم وان سبقكم وانفلت منكم شىء من ازواجكم احد منهن الى الكفار وهو فى قراءة ابن مسعود احد منهن فان قلت هل لايقاع شىء فى هذا الموقع فائدة قلت نعم الفائدة فيه ان لا يغادر شىء من هذا الجنس وان قل وحقر غير معوض منه تغليظا فى هذا الحكم وتشديدا فعاقبتم من العقبة وهى النوبة شبه ما حكم به على المسلمين والكافرين من اداء هولاء مهور نساء اولئك تارة واولئك مهور نساء هولاء اخرى بامر يتعاقبون فيه كما يتعاقب فى الركوب وغيره ومعناه فجاءت عقبتكم من اداء المهر فآتوا الذين ذهبت ازواجهم فآتوا من فاتته امراته الى الكفار مثل ما انفقوا مثل مهرها من مهر المهاجرة ولا توتوه زوجها الكافر وهكذا عن الزهرى يعطى من صداق من لحق

بهم وقرى فاعقبتم فعقبتم بالتشديد فعقبتم بالتخفيف بفتح القاف وكسرها فمعنى اعقبتم دخلتم
في العقبة وعقبتم من عقبه اذا قفى لان كل واحد من المتعاقبين يقفي صاحبه وكذلك عقبتم
بالتخفيف يقال عقبه يعقبه وعقبتم نحو تبعتم وقال الزجاج فعاقبتم فاصبتموهم في القتال
بعقوبة حتى غنمتم والذى ذهبت زوجته كان يعطى من الغنيمة المهر وفسر غيرها من القراات فكانت
العقبى لكم اى كانت الغلبة لكم حتى غنمتم وقيل جميع من لحق بالمشركين من نساء المومنين المهاجرين
راجعة عن الاسلام ست نسوة ام الحكم بنت ابى سفيان كانت تحت عياض بن شداد الفهرى
وفاطمة بنت امية كانت تحت عمر بن الخطاب وهى اخت ام سلمة وبروع بنت عقبة كانت تحت
شماس بن عثمان وعبدة بنت عبد العزى بن نضلة وزوجها عمرو بن عبد ود وهند بنت ابى جهل
كانت تحت هشام بن العاص وكلثوم بنت جرول كانت تحت عمر واعطاهم رسول الله صلى الله عليه
وسلم مهور نسائهم من الغنيمة واتقوا الله الذى انتم به مومنون يا ايها النبى اذا جاءك المومنات يبايعنك
على ان لا يشركن بالله شيا ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن اولادهن وقرى يقتلن بالتشديد يريد وأد
البنات ولا ياتين ببهتان يفترينه بين ايديهن وارجلهن كانت المراة تلتقط المولود فتقول لزوجها
هو ولدى منك كنى بالبهتان المفترى بين يديها ورجليها عن الولد الذى تلصقه بزوجها كذبا لان
بطنها الذى تحمله فيه بين اليدين وفرجها الذى تلده به بين الرجلين ولا يعصينك فى معروف فيما
تأمرهن به من المحسنات وتنهاهن عنه من المقبحات وقيل كل ما وافق طاعة الله فهو معروف
فان قلت لو اقتصر على قوله ولا يعصينك فقد علم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يامر الا بالمعروف
قلت نبه بذلك على ان طاعة المخلوق فى معصية الخالق جديرة بغاية التوقى والاجتناب
وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فرغ يوم فتح مكة من بيعة الرجال اخذ فى بيعة النساء
وهو على الصفا وعمر بن الخطاب رضى الله عنه اسفل منه يبايعهن بامره ويبلغهن عنه وهند بنت
عتبة امراة ابى سفين متقنعة متنكرة خوفا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يعرفها فقال عليه الصلوة
والسلام ابايعكن على ان لا تشركن بالله شيا فرفعت هند راسها وقالت والله لقد
عبدنا

لا يعبدن غير الله

عبدنا الاصنام وانك لتاخذ علينا امرا ما رايناك اخذته على الرجال تبايع الرجال على الاسلام و
الجهاد فقال صلى الله عليه وسلم ولا يسرقن فقالت هند ان ابا سفين رجل شحيح وانى اصبت من ماله هنات
فما ادرى ايحل لى ام لا فقال ابو سفين ما اصبت من شى فيما مضى وفيما غبر فهو لك حلال فضحك رسول
الله صلى الله عليه وسلم وعرفها فقال وانك لهند بنت عتبة قالت نعم فاعف عما سلف يا نبى الله عفا
الله عنك فقال صلى الله عليه وسلم ولا يزنين فقالت او تزنى الحرة وفى رواية ما زنت امراة منهن قط فقال
صلى الله عليه وسلم ولا يقتلن اولادهن فقالت ربيناهم صغارا وقتلتهم كبارا فانتم وهم اعلم وكان
ابنها حنظلة بن ابى سفين قد قتل يوم بدر فضحك عمر رضى الله عنه حتى استلقى وتبسم رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم ولا ياتين ببهتان فقالت والله ان البهتان لامر قبيح وما
تامرنا الا بالرشد ومكارم الاخلاق فقال صلى الله عليه وسلم ولا يعصينك فى معروف فقالت والله
ما جلسنا فى مجلسنا هذا وفى انفسنا ان نعصيك فى شى فبايعهن واستغفر لهن الله ان الله غفور
رحيم قيل فى كيفية المبايعة دعا بقدح من ماء فغمس فيه يده ثم غمسن ايديهن وقيل صافحهن وكان
على يده ثوب قطرى وقيل كان عمر رضى الله عنه يصافحهن عنه يا ايها الذين آمنوا لا تتولوا قوما
غضب الله عليهم روى ان بعض فقراء المسلمين كانوا يواصلون اليهود ليصيبوا من ثمارهم
فقيل لهم لا تتولوا قوما مغضوبا عليهم قد يئسوا من الآخرة قد يئسوا من ان يكون لهم حظ فى الاخرة
لعنادهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يعلمون انه الرسول المنعوت فى التوراة كما يئس الكفار
من اصحاب القبور من موتاهم ان يبعثوا او يرجعوا احياء وقيل من اصحاب القبور بيان للكفار
اى كما يئس الكفار الذين قبروا من خير الآخرة لانهم تبينوا قبح حالهم وسوء منقلبهم عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الممتحنة كان له المومنون والمومنات شفعاء يوم القيامة

سورة الصف مكية وهى اربع عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم سبح لله ما فى السماوات وما فى الارض وهو العزيز الحكيم يا ايها
الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون لم هى لام الاضافة داخلة على ما الاستفهامية كما دخل عليها

قوله ولا ياتين ببهتان يفترينه بين ايديهن وارجلهن يعنى يجئن بصبى من غير زوجها فيقلن للزوج هو منك

قوله ولا يعصينك فى معروف يعنى فى طاعة الله وهو النوح والتمزيق الثياب او حلق الشعر ونحو ذلك

اى لا تتخذوا الصداقة مع قوم غضب [illegible]

قال مقاتل وذكر ان الكافر اذا وضع فى [illegible] اتاه ملكان فيسالانه من ربك ومن نبيك [illegible] فيقول لا ادرى [illegible] لو كنت [illegible] يا عدو الله [illegible] بالويل والثبور [illegible]

غير ساقط من حروف الجر في قولك بم وفيم ومم وعم والام وعلام وانما حذفت الالف لان
ما والحرف كشيء واحد ووقع استعمالها كثيرا في كلام المستفهم وقد جاء استعمال الاصل قليلا
والوقف على زيادة هاء السكت او الاسكان ومن اسكن في الوصل فلاجرائه مجرى الوقف
كما سمع ثلثه اربعه بالهاء والقاء حركة الهمزة عليها محذوفة وهذا الكلام يتناول الكذب
واخلاف الموعد وروي ان المؤمنين قالوا قبل ان يؤمروا بالقتال لو نعلم احب الاعمال الى
الله لعملناه ولبذلنا فيه اموالنا وانفسنا فدلهم الله على الجهاد في سبيله فولوا يوم احد فعيرهم
وقيل لما اخبر الله بثواب شهداء بدر قالوا لئن لقينا قتالا لنفرغن فيه وسعنا
ففروا يوم احد ولم يفوا وقيل كان الرجل يقول قتلت ولم يقتل وطعنت ولم يطعن وضربت
ولم يضرب وصبرت ولم يصبر وقيل قد آذى المسلمين رجل ونكى فيهم فقتله صهيب وانتحل
قتله آخر فقال عمر لصهيب اخبر النبي صلى الله عليه وسلم انك قتلته فقال انما قتلته لله ولرسوله
فقال عمر رضي الله عنه قتله صهيب يا رسول الله قال كذلك يا ابا يحيى قال نعم فنزلت في المنتحل وعن
الحسن نزلت في المنافقين ونداؤهم بالايمان تهكم بهم وبايمانهم كبر مقتا عند الله ان تقولوا
ما لا تفعلون هذا من افصح كلام وابلغه في معناه قصد في كبر التعجب من غير لفظه كقوله
غلت ناب كليب بواؤها ومعنى التعجب تعظيم الامر في قلوب السامعين لان التعجب لا
يكون الا من شيء خارج عن نظائره واشكاله واسند الى ان تقولوا ونصب مقتا على تفسيره
دلالة على ان قولهم ما لا يفعلون مقت خالص لا شوب فيه لفرط تمكن المقت منه واختير لفظ
المقت لانه اشد البغض وابلغه ومنه قيل نكاح المقت للعقد على الرابة ولم يقتصر على ان
جعل البغض كبيرا حتى جعل اشده وافحشه وعند الله ابلغ من ذلك لانه اذا ثبت كبر مقته
عند الله فقد تم كبره وشدته وانزاحت عنه الشكوك وعن بعض السلف انه قيل له حدثنا
فسكت ثم قيل له حدثنا فقال تامرونني ان اقول ما لا افعل فاستعجل مقت الله في قوله
ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله عقيب ذكر مقت المخلف دليل على ان المقت قد تعلق
بقول

الذين وعدوا الثبات في قتال الكفار فلم يفوا وقرأ زيد بن علي رضي الله عنهما يقاتلون بفتح
التاء وقرئ يقتّلون صفا صافين انفسهم او مصفوفين كانهم في تراصهم من غير فرجة وخلل
بنيان مرصوص رص بعضه الى بعض ورصف وقيل يجوز ان يريد استواء نياتهم في الثبات
حتى يكونوا في اجتماع الكلمة كالبنيان المرصوص وعن بعضهم فيه دليل على فضل القتال راجلا
لان الفرسان لا يصطفون على هذه الصفة وقوله صفا كانهم بنيان مرصوص حالان متداخلان واذ قال موسى
لقومه اذ منصوب باضمار اذكر او وحين قال لهم ما قال كان كذا وكذا يا قوم لم
تؤذونني كانوا يؤذونه بانواع الاذى من انتقاصه وعيبه في نفسه وجحود آياته وعصيانه فيما تعود
اليهم منافعه وعبادتهم البقر وطلبهم رؤية الله جهرة والتكذيب الذي هو تضييع حق الله وحقه
وقد تعلمون في موضع الحال اي تؤذونني عالمين علما يقينا اني رسول الله اليكم وقضية علمكم بذلك
وموجبه تعظيمي وتوقيري لا ان تؤذوني وتستهينوا بي لان من عرف الله وعظمته عظم رسوله
علما بان تعظيمه في تعظيم رسوله ولان من آذاه كان وعيد الله لاحقا به فلما زاغوا عن الحق ازاغ
الله قلوبهم بان منع الالطاف والله لا يهدي القوم الفاسقين لا يلطف بهم لانهم ليسوا من اهل اللطف
فان قلت ما معنى قد في قوله وقد تعلمون قلت معناه التوكيد كانه قال وتعلمون علما يقينا
لا شبهة لكم فيه واذ قال عيسى ابن مريم يا بني اسرائيل اني رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة
ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه احمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين قيل اما قال
يا بني اسرائيل ولم يقل يا قوم كما قال موسى عليه السلام لانه لا نسب له فيهم فيكونوا قومه والمعنى ارسلت
اليكم في حال تصديقي ما تقدمني من التوراة وفي حال تبشيري برسول يأتي من بعدي يعني ان ديني
التصديق بكتب الله وانبياء الله جميعا ممن تقدم وتأخر وقرئ من بعدي بسكون الياء وفتحها والخليل
وسيبويه يختاران الفتح وعن كعب ان الحواريين قالوا لعيسى يا روح الله هل بعدنا من امة
قال نعم امة احمد حكماء علماء ابرار اتقياء كانهم من الفقه انبياء يرضون من الله باليسير
من الرزق ويرضى الله منهم باليسير من العمل فان قلت بم انتصب مصدقا ومبشرا ابما في

الرسول من معنى الارسال ام باليكم قلت بل بمعنى الارسال لان اليكم صلة للرسول فلا يجوز
ان يعمل شيئا لان حروف الجر لا تعمل بانفسها ولكن بما فيها من معنى الفعل فاذا وقعت صلات
لم يتضمن معنى فعل فمن اين تعمل وقرئ هذا ساحر مبين ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا وهو
يدعى الى الاسلام والله لا يهدي القوم الفاسقين واي الناس اشد ظلما ممن يدعوه ربه على
لسان نبيه الى الاسلام الذي له فيه سعادة الدارين فيجعل مكان اجابته اليه افتراء الكذب على
الله بقوله لكلامه الذي هو دعاء عباده الى الحق هذا سحر لان السحر كذب وتمويه وقرأ
طلحة بن مصرف وهو يدعى بمعنى يدعى دعاه وادعاه نحو لمسه والتمسه وعنه يدعى بمعنى
يدعو وهو الله عز وجل يريدون ليطفئوا نور الله بافواههم اصله يريدون ان يطفئوا كما جاء
في سورة براءة وكان هذه اللام زيدت مع فعل الارادة تاكيدا له لما فيها من معنى الارادة في
قولك جئتك لاكرامك كما زيدت اللام في لا ابا لك تاكيدا لمعنى الاضافة في لا اباك واطفاء نور الله
بافواههم تهكم بهم في ارادتهم ابطال الاسلام بقولهم في القرآن هذا سحر مثلت حالهم بحال من ينفخ
في نور الشمس بفيه ليطفئه والله متم نوره اي متم الحق ومبلغه غايته وقرئ بالاضافة ولو كره
الكافرون هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق الملة الحنيفية ليظهره ليعليه على الدين
كله على جميع الاديان المخالفة له ولعمري لقد فعل فما بقي دين من الاديان الا وهو مغلوب
مقهور بدين الاسلام وعن مجاهد اذا نزل عيسى لم يكن في الارض الا دين الاسلام وقرئ ليرسل
نبيه ولو كره المشركون يا ايها الذين آمنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم ينجيكم قرئ
مخففا ومثقلا تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم ذلكم خير لكم ان
كنتم تعلمون تؤمنون استئناف كانهم قالوا كيف نعمل فقال تؤمنون وهو خبر في معنى الامر ولهذا
اجيب بقوله يغفر لكم ويدل عليه قراءة ابن مسعود آمنوا بالله ورسوله وجاهدوا فان قلت لم جيء
به على لفظ الخبر قلت للايذان بوجوب الامتثال فكانه امتثل فهو يخبر عن ايمان وجهاد
موجودين ونظيره قول الداعي غفر الله لك ويغفر الله لك جعلت المغفرة لقوة الرجاء كانها كانت

ووجدت فان قلت هل لقول الفراء انه جواب هل ادلكم وجه قلت وجهه ان متعلق
الدلالة هو التجارة والتجارة مفسرة بالايمان والجهاد وكانه قيل هل تتجرون بالايمان والجهاد يغفر لكم
فان قلت فما وجه قراءة زيد بن علي رضي الله عنهما تؤمنوا وتجاهدوا قلت وجهها ان يكون
على اضمار لام الامر كقوله محمد تفد نفسك كل نفس اذا ما خفت من امر تبالا وعن ابن عباس رضي
الله عنهما انهم قالوا لو نعلم احب الاعمال الى الله لعملناها فنزلت هذه الآية فمكثوا ما شاء الله يقولون لبينا
نعلم ما هي فدلهم الله عليها بقوله تؤمنون وهذا دليل على ان تؤمنون كلام مستانف وعلى ان الامر
الامر الوارد على النفوس بعد تشوف وتطلع منها اليه اوقع فيها واقرب من قبولها له مما فوجئت
به ذلكم يعني ما ذكر من الايمان والجهاد خير لكم من اموالكم وانفسكم فان قلت ما معنى قوله
ان كنتم تعلمون قلت معناه ان كنتم تعلمون انه خير لكم كان خيرا لكم حينئذ لانكم اذا علمتم
ذلك واعتقدتموه احببتم الايمان والجهاد فوق ما تحبون انفسكم واموالكم فتخلصون وتفلحون يغفر
لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم
واخرى تحبونها ولكم الى هذه النعمة المذكورة من المغفرة والثواب في الآجلة نعمة اخرى عاجلة
محبوبة اليكم ثم فسرها بقوله نصر من الله وفتح قريب اي عاجل وهو فتح مكة وقال الحسن فتح فارس
والروم وفي تحبونها شيء من التوبيخ على محبة العاجل فان قلت علام عطف قوله وبشر المؤمنين
قلت على تؤمنون لانه في معنى الامر كانه قيل آمنوا وجاهدوا يثبكم الله وينصركم وبشر
يا رسول الله المؤمنين بذلك فان قلت لم نصب من قرأ نصرا من الله وفتحا قريبا قلت
يجوز ان ينصب على الاختصاص او على تنصرون نصرا ويفتح لكم فتحا او على يغفر لكم ويدخلكم جنات
ويؤتكم اخرى نصرا وفتحا يا ايها الذين كونوا انصار الله كما قال عيسى بن مريم للحواريين من انصاري
الى الله قال الحواريون نحن انصار الله وقرئ كونوا انصار الله وانصارا لله وقرأ ابن مسعود
رضي الله عنه كونوا انتم انصار الله وفيه زيادة حتم للنصرة عليهم فان قلت ما وجه صحة التشبيه
وظاهره تشبيه كونهم انصارا بقول عيسى صلوات الله عليه من انصاري الى الله قلت التشبيه

محمول على المعنى وعليه يصح والمراد كونوا انصار الله كما كان الحواريون انصار عيسى حين قال لهم من انصاري الى الله فان قلت ما معنى قوله من انصاري الى الله قلت يجب ان يكون معناه مطابقا لجواب الحواريين نحن انصار الله والذي يطابقه ان يكون المعنى من جندي متوجها الى الله واضافة انصاري خلاف اضافة انصار الله فان معنى نحن انصار الله نحن الذين ينصرون الله ومعنى انصاري من انصاري الذين يختصون بي ويكونون معي في نصرة الله ولا يصح ان يكون معناه من ينصرني مع الله لانه لا يطابق الجواب والدليل عليه قراءة من قرأ انصار الله والحواريون اصفياؤه وهم اول من آمن به وكانوا اثني عشر رجلا وحواري الرجل صفيه وخلصانه من الحور وهو البياض الخالص والحواري الدرمك ومنه قوله صلى الله عليه وسلم الزبير ابن عمتي وحواريي من امتي وقيل كانوا قصارين يحورون الثياب يبيضونها ونظير الحواري في زنته الحوالي الكثير الحيل فآمنت طايفة من بني اسرايل بعيسى عليه السلام وكفرت به طايفة فايدنا الذين آمنوا على عدوهم فاصبحوا ظاهرين فايدنا مومنيهم على كفارهم فظهروا عليهم وعن زيد بن علي رضي الله عنهما كان ظهورهم بالحجة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الصف كان عيسى مصليا عليه مستغفرا له ما دام في الدنيا وهو يوم القيامة رفيقه

سورة الجمعة مدنية وهي احدى عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم يسبح لله ما في السماوات وما في الارض الملك القدوس العزيز الحكيم قرئت صفات الله بالرفع على المدح كانه قيل هو الملك القدوس ولو قرئت منصوبة لكان وجها كقول العرب الحمد لله اهل الحمد هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم الامي منسوب الى امة العرب لانهم كانوا لا يكتبون ولا يقرأون من بين الامم وقيل بدئت الكتابة بالطائف اخذوها من اهل الحيرة واهل الحيرة من اهل الانبار ومعنى بعث في الاميين رسولا منهم بعث رجلا اميا في قوم اميين كما جاء في حديث شعيا اني ابعث اعمى في عميان واميا في اميين وقيل منهم كقوله من انفسكم يعلمون نسبه و... وقرئ في الامين بحذف ياء النسب يتلو عليهم آياته يقرأها

عليهم مع كونه اميا مثلهم لم تعهد منه قراءة ولم يعرف بتعلم وقراءة امي بغير تعلم آية بينة ويزكيهم ويطهرهم من الشرك وخبائث الجاهلية ويعلمهم الكتاب والحكمة القرآن والسنة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين ان هي المخففة من الثقيلة واللام دليل عليها اي كانوا في ضلال لا ترى ضلالا اعظم منه وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وآخرين مجرور عطف على الاميين يعني انه بعثه في الاميين الذين على عهده وفي آخرين من الاميين لم يلحقوا بهم بعد وسيلحقون بهم وهم الذين بعد الصحابة رضي الله عنهم وقيل لما نزلت قيل من هم يا رسول الله فوضع يده على سلمان وقال لو كان الايمان عند الثريا لتناوله رجال من هولاء وقيل هم الذين ياتون من بعدهم الى يوم القيامة ويجوز ان ينتصب عطفا على المنصوب في ويعلمهم اي يعلمهم ويعلم آخرين لان التعليم اذا تناسق الى آخر الزمان كان كله مستندا الى اوله فكانه هو الذي تولى كل ما وجد منه وهو العزيز الحكيم في تمكينه رجلا اميا من ذلك الامر العظيم وتاييده عليه واختياره اياه من بين كافة البشر ذلك الفضل الذي اعطاه محمدا صلى الله عليه وسلم وهو ان يكون نبي ابناء عصره ونبي ابناء العصور الغوابر هو فضل الله يوتيه من يشاء اعطاه وتقتضيه حكمته والله ذو الفضل العظيم مثل الذين حملوا التورية ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفارا شبه اليهود في انهم حملة التورية وقراؤها وحفاظ ما فيها ثم انهم غير عاملين بها ولا منتفعين باياتها وذلك ان فيها نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم والبشارة به ولم يومنوا به بالحمار حمل اسفارا اي كتبا كبارا من كتب العلم فهو يمشي بها ولا يدري منها الا ما يمر بجنبيه وظهره من الكد والتعب وكل من علم ولم يعمل بعلمه فهذا مثله وبيس المثل بيس مثلا مثل القوم الذين كذبوا بايات الله وهم اليهود الذين كذبوا بآيات الله الدالة على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ومعنى حملوا التورية كلفوا علمها والعمل بها ثم لم يحملوها ثم لم يعملوا بها فكانهم لم يحملوها وقرئ حملوا التورية اي حملوها ثم لم يحملوها في الحقيقة لفقد العمل وقرئ يحمل الاسفار فان قلت يحمل ما محله قلت النصب على الحال او الجر على الوصف لان الحمار كاللئيم في قوله ولقد امر على اللئيم يسبني والله لا يهدي القوم الظالمين

قل يا ايها الذين هادوا ان زعمتم انكم اولياء الله من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين
ولا يتمنونه ابدا بما قدمت ايديهم والله عليم بالظالمين هاد يهود اذا تهود كانوا يقولون
نحن ابناء الله واحباؤه اى ان كان قولكم حقا وكنتم على ثقة فتمنوا على الله ان يميتكم وينقلكم
سريعا الى دار كرامته التى اعدها لاوليائه ثم قال ولا يتمنونه ابدا بسبب ما قدموا من الكفر
وقد قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده لا يقولها احد منكم الا غص
بريقه فلولا انهم كانوا موقنين بصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم لتمنوا ولكنهم علموا انهم
لو تمنوا لماتوا من ساعتهم ولحقهم الوعيد فما تمالك احد ان يتمنى وهى احدى المعجزات
وقرئ فتمنوا الموت بكسر الواو تشبيها بلو استطعنا ولا فرق بين لا ولن فى ان كل واحد منهما
نفى للمستقبل الا ان فى لن تاكيدا وتشديدا ليس فى لا فاتى مرة بلفظ التاكيد ولن يتمنوه ومرة
بغير لفظه ولا يتمنونه قل ان الموت الذى تفرون منه فانه ملاقيكم ثم تردون الى عالم الغيب
والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون ثم قيل لهم ان الموت الذى تفرون منه ولا تجسرون ان تتمنوه خيفة
ان تؤخذوا بوبال كفركم لا تفوتونه وهو ملاقيكم لا محالة ثم تردون الى الله فيجازيكم بما انتم اهله
من العقاب وقرا زيد بن على رضى الله عنهما انه ملاقيكم وفى قراءة ابن مسعود رضى الله عنه تفرون
منه ملاقيكم وهى ظاهرة واما التى بالفاء فليضمن الذى معنى الشرط وقد جعل ان الموت الذى
تفرون منه كلاما برأسه فى قراءة زيد اى ان الموت هو الشئ الذى تفرون منه ثم استؤنف
انه ملاقيكم يا ايها الذين آمنوا اذا نودى للصلوة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله يوم الفرج
المجموع كقولهم ضحكة للمضحوك منه ويوم الجمعة بفتح الميم يوم الوقت الجامع كقولهم ضحكة
ولعنة ويوم الجمعة تثقيل للجمعة كما قيل عسرة فى عسرة وقرئ بهن جميعا فان قلت
من فى قوله من يوم الجمعة ما هى قلت هى بيان لاذا وتفسير له والنداء الاذان وقالوا
المراد به الاذان عند قعود الامام على المنبر وقد كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم مؤذن
واحد وكان اذا جلس على المنبر اذن على باب المسجد فاذا نزل اقام للصلوة ثم كان ابو بكر

يوم الجمعة صح

يوم الجمعة صح

وعمر رضى الله عنهما على ذلك حتى اذا كان عثمان رضى الله عنه وكثر الناس وتباعدت المنازل
زاد مؤذنا آخر فامر بالتاذين الاول على داره التى تسمى زوراء فاذا جلس على المنبر اذن
المؤذن الثانى فاذا نزل اقام للصلوة فلم يعب ذلك عليه وقيل اول من سماها جمعة كعب بن لؤى
وكان يقال لها يوم العروبة وقيل ان الانصار قالوا لليهود يوم يجتمعون فيه كل سبعة ايام وللنصارى
مثل ذلك فهلموا نجعل لنا يوما نجتمع فيه فنذكر الله فيه ونصلى فقالوا يوم السبت لليهود ويوم
الاحد للنصارى فاجعلوه يوم العروبة فاجتمعوا الى سعد بن زرارة فصلى بهم يومئذ ركعتين وذكرهم
فسموه يوم الجمعة لاجتماعهم فيه فانزل الله آية الجمعة فهى اول جمعة كانت فى الاسلام واما اول
جمعة جمعها رسول الله صلى الله عليه وسلم فهى انه لما قدم المدينة مهاجرا نزل قباء على عمرو بن عوف واقام
بها يوم الاثنين والثلثاء والاربعاء والخميس واسس مسجدهم ثم خرج يوم الجمعة عامدا المدينة
فادركته صلوة الجمعة فى بنى سالم بن عوف فى بطن واد لهم فخطب وصلى الجمعة وعن بعضهم قد ابطل الله
قول اليهود فى ثلث افتخروا بانهم اولياء الله واحباؤه فكذبهم فى قوله فتمنوا الموت ان كنتم صادقين وبانهم
اهل الكتاب والعرب لا كتاب لهم فشبههم بالحمار يحمل اسفارا وبالسبت وانه ليس للمسلمين مثله فشرع
الله لهم الجمعة وعن النبى صلى الله عليه وسلم خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه
ادخل الجنة وفيه اهبط الى الارض وفيه تقوم الساعة وهو عند الله يوم المزيد وعنه صلى الله عليه وسلم
اتانى جبريل وفى كفه مرآة بيضاء وقال هذه الجمعة يعرضها عليك ربك لتكون لك عيدا ولامتك من بعدك
وهو سيد الايام عندنا ونحن ندعوه الى الآخرة يوم المزيد وعنه صلى الله عليه وسلم ان لله فى كل جمعة
ستمائة الف عتيق من النار وعن كعب ان الله فضل من البلدان مكة ومن الشهور رمضان
ومن الايام الجمعة وقال صلى الله عليه وسلم من مات يوم الجمعة كتب الله له اجر شهيد ووقى له فتنة
القبر وفى الحديث اذا كان يوم الجمعة قعدت الملائكة على ابواب المسجد بايديهم صحف من فضة واقلام
من ذهب يكتبون الاول فالاول على مراتبهم وكانت الطرقات فى ايام السلف وقت السحر وبعد
الفجر مغتصة بالمبكرين الى الجمعة يمشون بالسرج وقيل اول بدعة احدثت فى الاسلام ترك

البكور الى الجمعة وعن ابن مسعود رضى الله عنه أنه بكّر فوافى ثلثة نفر سبقوه فاغتم واخذ
يعاتب نفسه يقول اراك رابع اربعة وما رابع اربعة بسعيد والاتمام الجمعة عند ابى حنيفة رضى
الله عنه الا فى مصر جامع لقوله صلى الله عليه وسلم لا جمعة ولا تشريق ولا فطر ولا اضحى الا فى مصر جامع
والمصر الجامع ما اقيمت فيه الحدود وتنفذت فيه الاحكام ومن شروطها الامام او من يقوم مقامه
لقوله صلى الله عليه وسلم فمن تركها وله امام عادل او جائر الحديث وقوله صلى الله عليه وسلم اربع الى الولاة
الفئ والصدقات والحدود والجمعات فان ام رجل خمسة اذن الامام او من ولاه من قاض او صاحب
شرطة لم يجز فان لم يمكن الاستيذان فاجتمعوا على واحد فصلى بهم جاز ومتى تعقد سلثه سوى الامام
وعند الشافعى رضى الله عنه باربعين ولا جمعة على المسافرين ولا العبيد والنساء والمرضى والزمنى و
الاعمى عند ابى حنيفة رضى الله عنه ولا على الشيخ الذى لا يشتى الا بقائد وقرأ عمر وابن عباس
وابن مسعود وغيرهم رضى الله عنهم فامضوا وعن عمر رضى الله عنه انه سمع رجلا يقول افاسعوا فقال
من اقرأك هذا قال ابى بن كعب فقال لا تزال يقرأ بالمنسوخ لو كان فاسعوا لسعيت حتى سقط ردائى
وقيل المراد بالسعى القصد دون العدو والسعى الصرف فى كل عمل ومنه قوله تعالى فلما بلغ معه
السعى وان ليس للانسان الا ما سعى وعن الحسن ليس السعى على الأقدام ولكنه على النيات والقلوب
وذكر محمد بن الحسن فى موطأه ان ابن عمر رضى الله عنهما سمع الاقامة وهو بالبقيع فاسرع المشى
قال محمد رحمه الله وهذا لا باس به ما لم يجهد نفسه الى ذكر الله الى الخطبة والصلوة والتسمية الله
الخطبة ذكر انه قال ابو حنيفة رضى الله عنه ان اقتصر الخطيب على مقدار ما يسمى ذكر الله كقوله الحمد لله
سبحان الله جاز وعن عثمان رضى الله عنه انه صعد المنبر فقال الحمد لله واثنى عليه فقال ان ابا بكر
وعمر كانا يعدان لهذا المقام مقالا وانكم الى امام فقال اخرج منكم الى امام قوال وستاتيكم الخطب
ثم نزل وكان ذلك بمحضر الصحابة فلم ينكر عليه احد وعند ابى حنيفة واحمد رحمهما الله لابد من كلام تسمى
خطبة فان قلت كيف يفترض ذكر الله بخطبة وفيها ذكر غيره قلت ما كان من ذكر رسول
الله صلى الله عليه وسلم والثناء عليه وعلى خلفائه الراشدين رضى الله عنهم اجمعين وائمة المؤمنين و
للوعظة

والتذكير فهو فى حكم ذكر الله فاما ما عدا ذلك من ذكر الظلمة والقابهم والدعاء عليهم والدعاء لهم
احقارا بعكس ذلك فمن ذكر الشيطان ومن ذكر الله على مراحل واذا قال المنصت للخطيب لصاحبه
صه فقد لغا فلا يكون الخطيب الغالى فى ذلك لاعيا نعوذ بالله من غربة الاسلام ونكد الايام وذيوعا
البيع ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون اذا اذن الامر بترك ما يشغل عن ذكر الله من شواغل الدنيا وانما خص
البيع من بينها لان يوم الجمعة يوم يهبط الناس فيه من خوانهم وبواديهم وينصبون الى المصر من كل اوب
ووقت منبوطهم واجتماعهم واغتصاص اسواقهم اذا انتفخ النهار وتعالى الضحى وذناوق الظهيرة
وحسد خير التجارة وشكاثر البيع والشرى فلما كان ذلك الوقت مظنة الذهول بالبيع عن ذكر الله
والمضى الى المسجد قيل لهم بادروا التجارة الاخرى واتركوا تجارة الدنيا واسعوا الى ذكر الله الذى لا شئ
ابقع منه وارنح وذروا البيع الذى نفعه يسير وربحه مقاربب فان قلت فاذا كان البيع فى
هذا الوقت مامورا بتركه محرما فهل هو فاسد قلت عامة العلماء على ان ذلك لا يوجب
فساد البيع قالوا لان البيع لم يحرم لعينه ولكن لما كان فيه من الذهول عن الواجب فهو كالصلوة فى
الارض المغصوبة والثوب المغصوب والوضوء بالماء المغصوب وعن بعض الناس انه فاسد فاذا قضيت
الصلوة فانتشروا فى الارض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون ثم اطلق لهم ما حظر عليهم
بعد قضاء الصلوة من الانتشار وابتغاء الربح مع التوصية باكثار الذكر وان لا يلهيهم شئ
من تجارة ولا غيرها عنه وان يكون همهم فى جمع احوالهم واوقاتهم موكلة به لا يتفقدون عنه
لان فلاحهم فيه وفوزهم منوط به وعن ابن عباس رضى الله عنهما لم يؤمروا بطلب شئ من الدنيا انما
عيادة المرضى وحضور الجنائز وزيارة اخ فى الله وعن الحسن وسعيد بن المسيب رحمهما الله طلب
العلم افضل من صلوة التطوع وعن بعض السلف انه كان يشغل نفسه بعد الجمعة بشئ من امور الدنيا
تظاهرا بهذه الاية واذا رأوا تجارة او لهوا انفضوا اليها وتركوك قائما قل ما عند الله خير من اللهو ومن
التجارة والله خير الرازقين روى ان اهل المدينة اصابهم جوع وغلاء شديد فقدم دحية
ابن خليفة بتجارة من زيت الشام والنبى صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة فقاموا اليه خشوا ان

ان يسبقوا اليها فما بقي معه الا يسير قيل ثمانية واحد عشر واثنا عشر واربعون فقال صلى الله عليه
وسلم والذي نفس محمد بيده لو خرجوا جميعا لاضرم الله عليهم الوادي نارا وكانوا اذا اقبلت العير
استقبلوها بالطبل والتصفيق فهو المراد باللهو وعن قتادة فعلوا ذلك ثلاث مرات في كل مقدم عير
فان قلت فان اتفق تفرق الناس عن الامام في صلوة الجمعة كيف يصنع قلت ان بقي وحده
او مع اقل من ثلثة فعند ابي حنيفة رضي الله عنه يستانف الظهر اذا نفروا عنه قبل الركوع
وعند صاحبيه اذا كبّر وهم معه مضى فيها وعند زفر اذا نفروا قبل التشهد بطلت فان قلت
كيف قال اليها وقد ذكر شيئين قلت تقديره اذا راوا تجارة انفضوا اليها او لهوا انفضوا
اليه فحذف احدهما لدلالة المذكور عليه وكذلك قراءة من قرا انفضوا اليه وقراءة من قرا لهوا او تجارة
انفضوا اليها وقرئ اليهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الجمعة اعطي من الاجر
عشر حسنات بعدد من اتى الجمعة وبعدد من لم ياتها في امصار المسلمين

سورة المنافقين مدنية وهي احدى عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول
الله والله يعلم انك لرسوله ارادوا بقولهم نشهد انك لرسول الله شهادة واطات فيها قلوبهم السنتهم
فقال الله عز وجل قالوا ذلك والله يعلم ان الامر كما يدل عليه قولهم انك لرسول الله والله يشهد انهم
لكاذبون في قولهم نشهد وادعائهم فيه المواطاة او انهم لكاذبون فيه لانه اذا خلا عن المواطاة
لم يكن شهادة في الحقيقة فهم كاذبون في تسميته شهادة او اراد والله يشهد انهم لكاذبون عند انفسهم
لانهم كانوا يعتقدون ان قولهم انك لرسول الله كذب وخبر على خلاف ما عليه حال المخبر عنه فان قلت
اي فائدة في قوله والله يعلم انك لرسوله قلت لو قال قالوا نشهد انك لرسول الله والله يشهد انهم
لكاذبون لكان يوهم ان قولهم هذا كذب فوسط بينهما قوله والله يعلم انك لرسوله ليميط هذا الايهام
اتخذوا ايمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله يجوز ان يراد ان قولهم نشهد انك لرسول الله يمين من ايمانهم
الكاذبة لان الشهادة تجري مجرى الحلف فيما يراد به من التوكيد يقول الرجل اشهد واشهد بالله
واعزم

واعزم واعزم بالله في موضع اقسم وآلي وبه استشهد ابو حنيفة رضي الله عنه على ان اشهد
يمين ويجوز ان يكون وصفا للمنافقين في استجنانهم بالايمان وقرا الحسن ايمانهم اي ما اظهروا
من الايمان بالسنتهم ويعضده قوله ذلك بانهم آمنوا ثم كفروا انهم ساء ما كانوا يعملون من نفاقهم
وصدهم الناس عن سبيل الله وفي ساء معنى التعجب الذي هو تعظيم امرهم عند السامعين ذلك
بانهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون ذلك اشارة الى قوله ساء ما كانوا يعملون اي ذلك
القول الشاهد عليهم بانهم اسوا الناس اعمالا بسبب انهم آمنوا ثم كفروا او الى ما وصف من حالهم في
النفاق والكذب والاستجنان بالايمان اي ذلك كله بسبب انهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فجسروا
على كل عظيمة فان قلت المنافقون لم يكونوا الا على الكفر الثابت الدائم فما معنى قوله آمنوا
ثم كفروا قلت فيه ثلثة اوجه احدها آمنوا اي نطقوا بكلمة الشهادة وفعلوا كما يفعل من يدخل
في الاسلام ثم كفروا ثم ظهر كفرهم بعد ذلك وتبين بما اطلع عليه من قولهم ان كان ما يقوله محمد حقا فنحن
حمير وقولهم في غزوة تبوك ايطمع هذا الرجل ان تفتح له قصور كسرى وقيصر هيهات ونحوه قوله يحلفون
بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم اي وظهر كفرهم بعد ان اسلموا ونحوه لا
تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم والثاني آمنوا اي نطقوا بالايمان عند المؤمنين ثم نطقوا بالكفر عند
شياطينهم استهزاء بالاسلام كقوله واذا لقوا الذين آمنوا الى قوله انما نحن مستهزءون والثالث ان يراد
اهل الردة منهم وقرئ فطبع على قلوبهم وقرا زيد بن علي رضي الله عنهما فطبع الله واذا رايتهم تعجبك اجسامهم
وان يقولوا تسمع لقولهم كانهم خشب مسندة كان عبد الله بن ابي رجلا جسيما صبيحا فصيحا ذلق
اللسان وقوم من المنافقين في مثل صفته وهم رؤساء المدينة وكانوا يحضرون مجلس رسول الله صلى
الله عليه وسلم فيستندون فيه ولهم جهارة المناظر وفصاحة الالسن فكان النبي صلى الله عليه وسلم
ومن حضر يعجبون بهياكلهم ويسمعون الى كلامهم فان قلت ما معنى قولهم كانهم خشب مسندة
قلت شبهوا في استنادهم وما هم الا اجرام خالية عن الايمان والخير بالخشب المسندة الى الحائط
ولان الخشب اذا انتفع به كان في سقف او جدار او غيرهما من مظان الانتفاع وما دام متروكا

فارغ غير متنفع به أسند الى الحائط فشبهوا به في عدم الانتفاع ويجوز ان يراد بالخشب المسنّدة
الاصنام المنحوتة من الخشب المسندة الى الحيطان شبهوا بها في حسن صورهم وقلة جدواهم و
الخطاب في واذا رأيتهم تعجبك لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل من يخاطب وقرئ يُسمع على البناء
للمفعول وموضع كأنهم خشب رفع على هم كأنهم خشب او هو كلام مستأنف لا محل له وقرئ خُشْب
جمع خشبة كبدنة وبُدْن وخُشُب كثمرة وثمر وخُشَّب كمدرة ومدر وهي في قراءة ابن عباس
رضي الله عنهما وعن اليزيدي انه قال في خُشُب جمع خشباء والخشباء الخشبة التي دعر جوفها شبهوا
بها في نفاقهم وفساد بواطنهم يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو فاحذرهم عليهم ثاني مفعولي يحسبون اي يحسبون
كل صيحة واقعة عليهم وضارة لهم لجبنهم وهلعهم وما في قلوبهم من الرعب اذا نادى مناد في العسكر
او انفلتت دابة او أنشدت ضالة ظنوه ايقاعا بهم وقيل كانوا على وجل من ان ينزل الله فيهم ما
يهتك استارهم ويبيح دماءهم واموالهم ومنه اخذ الاخطل   ما زلت تحسب كل شيء بعدهم
خيلا تكر عليهم ورجالا يوقف على عليهم ويبتدأ هم العدو اي هم الكاملون في العداوة لان اعدى
الاعداء العدو المداجي الذي يكاشرك وتحت ضلوعه الداء الدوي فاحذرهم ولا تغترر بظاهرهم ويجوز
ان يكون هم العدو المفعول الثاني كما لو طرحت الضمير فان قلت فحقه ان يقال هي العدو قلت
منظور فيه الى الخبر كما ذكر في هذا ربي وان يقدر مضاف محذوف على يحسبون كل اهل صيحة قاتلهم
الله دعاء عليهم وطلب من ذاته ان يلعنهم ويخزيهم او تعليم للمؤمنين ان يدعوا عليهم بذلك انى يؤفكون
كيف يعدلون عن الحق تعجبا من جهلهم وضلالتهم واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا
رؤسهم ورأيتهم يصدون وهم مستكبرون لووا رؤسهم عطفوها وامالوها اعراضا عن ذلك واستكبارا
قرئ بالتخفيف والتشديد للتكثير روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين لقي بني المصطلق على
المريسيع وهو ماء لهم وهزمهم وقتل منهم ازدحم على الماء جهجاه بن سعيد اجير لعمر رضي الله عنه يقود
فرسه وسنان الجهني حليف لعبد الله بن ابي واقتتلا فصرخ جهجاه يا للمهاجرين وسنان يا للانصار
فاعان جهجاها جعال من فقراء المهاجرين ولطم سنانا فقال عبد الله لجعال وانت هناك وقال ما صحبنا

محمدا الا لنلطم والله ما مثلنا ومثلهم الا كما قال سمّن كلبك يأكلك اما والله لئن رجعنا الى المدينة
ليخرجن الاعز منها الاذل عنى بالاعز نفسه وبالاذل رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال لقومه
ماذا فعلتم بانفسكم احللتموهم بلادكم وقاسمتموهم اموالكم اما والله لو امسكتم عن جعال وذويه فضل
الطعام لم يركبوا رقابكم ولاوشكوا ان يتحولوا عنكم فلا تنفقوا عليهم حتى ينفضوا من حول محمد فسمع
بذلك زيد بن ارقم وهو حدث فقال انت والله الذليل القليل المبغض في قومك ومحمد في عز من الرحمن
وقوة من المسلمين فقال عبد الله اسكت فانما كنت العب فاخبر زيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر
رضي الله عنه دعني اضرب عنق هذا المنافق يا رسول الله فقال اذن ترعد انف كثيرة بيثرب قال فان كرهت
ان يقتله مهاجري فأمر به انصاريا فقال فكيف اذا تحدث الناس ان محمدا يقتل اصحابه وقال صلى الله
عليه وسلم لعبد الله انت صاحب الكلام الذي بلغني قال والله الذي انزل عليك الكتاب ما قلت شيئا من ذلك وان
زيدا لكاذب فهو قوله تعالى اتخذوا ايمانهم جنة فقال الحاضرون يا رسول الله شيخنا وكبيرنا لا تصدق عليه
كلام غلام عسى ان يكون قد وهم فروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له لعلك غضبت عليه قال لا
قال فلعله اخطأ سمعك قال لا قال فلعله شبه عليك قال لا فلما نزلت لحق رسول الله صلى الله عليه وسلم من
خلفه فعرك اذنه وقال وفت اذنك يا غلام ان الله قد صدقك وكذب المنافقين ولما اراد عبد الله ان
يدخل المدينة اعترضه ابنه حباب وهو عبد الله بن عبد الله غير رسول الله صلى الله عليه وسلم اسمه وقال
ان حبابا اسم شيطان وكان مخلصا وقال وراءك والله لا تدخلها حتى تقول رسول الله صلى الله عليه وسلم
الاعز وانا الاذل فلم يزل حبيسا في يده حتى امره رسول الله صلى الله عليه وسلم بتخليته وروي انه قال
له لئن لم تقر لله ورسوله بالعز لاضربن عنقك فقال ويحك افاعل انت قال نعم فلما رأى منه الجد
قال اشهد ان العزة لله ولرسوله وللمؤمنين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابنه جزاك الله عن رسوله
وعن المؤمنين خيرا فلما بان كذب عبد الله قيل له قد نزلت فيك آي شداد فاذهب الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم يستغفر لك فلوى رأسه ثم قال امرتموني ان اومن فآمنت وامرتموني ان ازكي مالي
فزكيت فما بقي الا ان اسجد لمحمد فنزلت واذا قيل لهم تعالوا ولم يلبث الا اياما قلائل حتى اشتكى ومات

سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم والله لا يهدي القوم الفاسقين
سواء عليهم الاستغفار وعدمه لانهم لا يلتفتون اليه ولا يعتدون به لكفرهم او لان الله لا يغفر لهم
وقرئ استغفرت على حذف حرف الاستفهام لان ام المعادلة تدل عليه وقرا ابو جعفر آستغفرت
اشباعا لهمزة الاستفهام للاظهار والبيان لا قلبا لهمزة الوصل الفا كما في آلسحر وآالله هم الذين
يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا يتفرقوا وقرئ ينفضوا من انفض القوم اذا
فنيت ازوادهم وحقيقته حان لهم ان ينفضوا مزاودهم ولله خزائن السماوات والارض وبيده
من الزاد وهو الطعام الذي يتخذ للسفر
الارزاق والقسم فهو رازقهم منها وان ابى اهل المدينة ان ينفقوا عليهم ولكن المنافقين لا يفقهون
ولكن عبد الله واضرابه جاهلون لا يفقهون ذلك فيهذون بما يزين لهم الشيطان يقولون لئن
رجعنا الى المدينة ليخرجن وقرئ ليخرجن الاعز منها الاذل بفتح الياء وليخرجن بالاعلى
البناء للمفعول وقرا الحسن وابن ابي عبلة لنخرجن بالنون ونصب الاعز والاذل ومعناه
خروج الاذل او اخراج الاذل او مثل الاذل ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين
لا يعلمون ولله الغلبة والقوة ولمن اعزه الله وايده من رسوله ومن المؤمنين وهم الاخصاء
بذلك كما ان المذلة والهوان للشيطان وذويه من الكافرين والمنافقين وعن بعض الصالحات
وكانت في هيئة رثة الست على الاسلام وهو العز الذي لا ذل معه والغنى الذي لا فقر معه وعن الحسن
ابن علي رضي الله عنهما ان رجلا له قال له ان الناس يزعمون ان فيك تيها قال ليس بتيه ولكنه عزة
وتلا هذه الآية يا ايها الذين آمنوا لا تلهكم لا تشغلكم اموالكم والتصرف فيها والسعي في تدبير امرها والتهالك
على طلب النماء فيها بالتجارة والاغتلال وابتغاء النتاج والتلذذ بها والاستمتاع بمنافعها ولا
اولادكم وسروركم بهم وشفقتكم عليهم والقيام بمؤنهم وتسوية ما يصلحهم من معايشهم في حيوتكم
وبعد مماتكم وقد عرفتم قدر منفعة الاموال والاولاد وانه اهون شيء وادونه في جنب ما عند الله
عن ذكر الله وايثاره عليها ومن يفعل ذلك يريد الشغل بالدنيا عن الدين فاولئك هم الخاسرون
في تجارتهم حيث باعوا العظيم الباقي بالحقير الفاني وقيل ذكر الله الصلوات الخمس وعن الحسن جميع

الفرائض كانه قال عن طاعة الله وقيل القرآن وعن الكلبي الجهاد مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم وانفقوا مما رزقناكم من قبل ان ياتي احدكم الموت من في مما رزقناكم للتبعيض والمراد
الانفاق الواجب اي من قبل ان يرى دلائل الموت ويعاين ما يأيس معه من الامهال ويضيق به
الخناق ويتعذر عليه الانفاق ويفوت وقت القبول فيتحسر على المنع ويعض انامله على فقد ما
كان متمكنا منه وعن ابن عباس رضي الله عنهما تصدقوا قبل ان ينزل عليكم سلطان الموت فلا يقبل
توبة ولا ينفع عمل وعنه ما يمنع احدكم اذا كان له مال ان يزكي واذا اطاق الحج ان يحج من
قبل ان ياتيه الموت فيسال ربه الكرة فلا يعطاها وعنه انها نزلت في مانعي الزكوة ووالله لو راى
خيرا لما سال الرجعة فقيل له اما تتقي الله يسال المؤمنون الكرة قال نعم انا اقرا عليكم به قرآنا
اي الرجعة الى الدنيا
اي انها نزلت في المؤمنين وهم المخاطبون بها وكذا عن الحسن ما من احد لم يزك ولم يصم ولم يحج
الا سال الرجعة وعن عكرمة نزلت في اهل القبلة فيقول لولا اخرتني وقرئ اخرين يريد هلا اخرت
اي الى الدنيا
ارتي الى اجل قريب الى زمان قليل فاصدق وقرا ابي رضي الله عنه فاتصدق على الاصل واكن من
الصالحين قرئ واكن عطفا على محل فاصدق كانه قيل ان اخرتني اصدق واكن ومن قرا واكون على
النصب فعلى اللفظ وقرا عبيد بن عمير واكون على وانا اكون عدة منه بالصلاح ولن يؤخر الله
نفسا اذا جاء اجلها والله خبير بما تعملون ولن يؤخر الله نفي للتاخير على وجه التاكيد الذي معناه
منافاة المنفي الحكمة والمعنى انكم اذا علمتم ان تاخير الموت عن وقته مما لا سبيل اليه وانه
هاجم لا محالة وان الله عليم باعمالكم فجاز عليها من منع واجب وغيره لم يبق الا المسارعة
الى الخروج عن عهدة الواجبات والاستعداد للقاء الله وقرئ يعملون بالياء والتاء عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة المنافقين برئ من النفاق

سورة التغابن مدنية وهي ثمان عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم يسبح لله ما في السماوات وما في الارض له الملك و
له الحمد وهو على كل شيء قدير قدم الظرفان ليدل تقديمهما على معنى اختصاص الملك والحمد بالله عز وجل

وذلك لان الملك على الحقيقة له لانه مبدئ كل شي ومبدعه والقائم به والمهيمن عليه وكذلك
الحمد لان اصول النعم وفروعها منه واما ملك غيره فتسلط منه واسترعاء وحمده اعتداد بان
نعمة الله تعالى جرت على يده هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مومن اي فمنكم آت بالكفر وفاعل له
ومنكم آت بالايمان وفاعل له كقوله وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون
والدليل عليه قوله والله بما تعملون بصير اي عالم بكفركم وايمانكم اللذين هما من عملكم والمعنى هو الذي
تفضل عليكم باصل النعم الذي هو الخلق والايجاد عن العدم وكان يجب ان تنظروا النظر الصحيح
وتكونوا باجمعكم عبادا شاكرين فما فعلتم مع تمكنكم بل تشعبتم شعبا وتفرقتم امما فمنكم كافر ومنكم
مومن وقدم الكفر لانه الاغلب عليهم والاكثر فيهم وقيل هو الذي خلقكم فمنكم كافر بالخلق وهم
الدهرية ومنكم مومن به فان قلت نعم ان العباد هم الفاعلون للكفر ولكن قد سبق في علم الحكيم
انه اذا خلقهم لم يفعلوا الا الكفر ولم يختاروا غيره فما دعاه الى خلقهم مع علمه بما يكون منهم
وهل خلق القبيح وهل خلق فاعل القبيح الا واحد وهل مثله الا مثل من وهب سيفا باترا
لمن شهر بقطع السبيل وقتل النفس المحرمة فقتل به مومنا اما يطبق العقلاء على ذم الواهب
وتعييفه والدق في فروته كما يذمون القاتل بل انحاؤهم باللوائم على الواهب اشد قلت
قد علمنا ان الله حكيم عالم بقبح القبيح عالم بغناه عنه فقد علمنا ان افعاله كلها حسنة وخلق
فاعل القبيح فعله فوجب ان يكون حسنا وان يكون له وجه حسن وخفاء وجه الحسن علينا
لا يقدح في حسنه كما لا يقدح في حسن اكثر مخلوقاته جهلنا بداعي الحكمة الى خلقها خلق السماوات
والارض بالحق بالغرض الصحيح والحكمة البالغة وهو ان جعلها مقار المكلفين ليعملوا فيجازيهم
وصوركم فاحسن صوركم وقرئ صوركم بالكسر لتشكروا واليه المصير واليه مصيركم فجزاوكم على
الشكر والتفريط فيه فان قلت كيف احسن صورهم قلت جعلهم احسن الحيوان كله
وابهاه بدليل ان الانسان لا يتمنى ان يكون صورته على خلاف ما يرى من سائر الصور ومن حسن
صورته انه خلق منتصبا غير منكب كما قال تعالى في احسن تقويم فان قلت فكم من دميم مشوه

الصورة سمج الخلقة تقتحمه العيون قلت لا سماجة ثمه ولكن الحسن كغيره من المعاني على
طبقات ومراتب فلانحطاط بعض الصور عن مراتب ما فوقها انحطاطا بينا واضافتها الى الموفي
عليها لا تستملح والا فهي داخلة في حيز الحسن غير خارجة من حده الا ترى انك قد تعجب بصورة الزائد
وتستملحها ولا ترى الدنيا الا بها ثم ترى املح واعلى في مراتب الحسن فينبو عن الاولى طرفك وتستثقل
النظر اليها بعد افتنانك بها وتهالكك عليها وقالت الحكماء شيئان لا غاية لهما الجمال والبيان يعلم
ما في السماوات والارض ويعلم ما تسرون وما تعلنون انه عليم بذات الصدور نبه بعلمه
ما في السماوات والارض ثم بعلمه ما يسره العباد ويعلنونه ثم بعلمه ذوات الصدور ان شيئا من
الكليات والجزئيات غير خاف عليه ولا عازب عنه فحقه ان يتقى ويحذر ولا يجترأ على شي
مما يخالف رضاه وتكرير العلم في معنى تكرير الوعيد وكل ما ذكره بعد قوله فمنكم كافر ومنكم مومن
كما ترى في معنى الوعيد على الكفر وانكار ان يعصى الخالق ولا تشكر نعمته فما اجهل من يمزج
الكفر بالخلق ويجعله من جملته والخلق اعظم نعمة من الله على عباده والكفر اعظم كفران من
العباد لربهم الم ياتكم الخطاب لكفار مكة نبأ الذين كفروا من قبل فذاقوا وبال امرهم ولهم عذاب اليم
ذلك اشارة الى ما ذكر من الوبال الذي ذاقوه في الدنيا وما اعد لهم من العذاب في الاخرة بانه
بان الشان والحديث كانت تاتيهم رسلهم بالبينات فقالوا ابشر يهدوننا انكروا ان يكون الرسل
بشرا ولم ينكروا ان يكون الله حجرا فكفروا وتولوا واستغنى الله والله غني حميد اطلق استغنى
الله ليتناول كل شي ومن جملته ايمانهم وطاعتهم فان قلت قوله وتولوا واستغنى الله يوهم
وجود التولي والاستغناء معا والله تعالى لم يزل غنيا قلت معناه وظهر استغناء الله حيث
لم يلجئهم الى الايمان ولم يضطرهم اليه مع قدرته على ذلك زعم الذين كفروا ان لن يبعثوا قل بلى
لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم الزعم ادعاء العلم ومنه قوله صلى الله عليه وسلم زعموا مطية الكذب
وعن شريح لكل شي كنية وكنية الكذب زعموا وتعدى تعدي العلم قال
ولم ازعمك عن ذاك معزلا وان مع ما في حيزه قائم مقامهما والذين كفروا اهل مكة وبلى اثبات

بما يعملون وهو البعث وذلك على الله يسير اي لا يصرفه عنه صارف فآمنوا بالله ورسوله
والنور الذي انزلنا والله بما تعملون خبير عنى برسوله والنور محمدا صلى الله عليه وسلم والقرآن
يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يكفر عنه سيئاته ويدخله جنات
تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا ذلك الفوز العظيم قرئ يجمعكم ويكفر ويدخله بالياء والنون
فان قلت بم انتصب الظرف قلت بقوله لتنبؤن او بخبير لما فيه من معنى الوعيد كانه قيل
والله معاقبكم يوم يجمعكم او باضمار اذكر ليوم الجمع ليوم يجمع فيه الاولون والآخرون التغابن مستعار
من تغابن القوم في التجارة وهو ان يغبن بعضهم بعضا لنزول السعداء منازل الاشقياء التي كانوا
ينزلونها لو كانوا سعداء ونزول الاشقياء منازل السعداء التي كانوا ينزلونها لو كانوا اشقياء وفيه
تهكم بالاشقياء لان نزولهم ليس بغبن وفي حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من عبد يدخل الجنة
الا اري مقعده من النار لو اساء ليزداد شكرا وما من عبد يدخل النار الا اري مقعده من الجنة
لو احسن ليزداد حسرة ومعنى ذلك يوم التغابن وقد يتغابن الناس في غير ذلك اليوم استعظام
له وان تغابنه هو التغابن في الحقيقة لا التغابن في امور الدنيا وان جلت وعظمت صالحا
صفة للمصدر اي عملا صالحا والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير
ما اصاب من مصيبة الا باذن الله الا بتقديره ومشيئته كانه اذن للمصيبة ان تصيبه ومن يؤمن بالله
يهد قلبه يلطف به ويشرحه للازدياد من الطاعة والخير وقيل هو الاسترجاع عند المصيبة
وعن الضحاك يهد قلبه حتى يعلم ان ما اصابه لم يكن ليخطيه وما اخطاه لم يكن ليصيبه وعن
مجاهد ان ابتلي صبر وان اعطي شكر وان ظلم غفر وقرئ يهد قلبه على البناء للمفعول والقلب
مرفوع او منصوب ووجه النصب ان يكون مثل سفه نفسه اي يهد في قلبه ويجوز ان يكون المعنى
ان الكافر ضال عن قلبه بعيد منه والمومن واجد له مهتد اليه كقوله لمن كان له قلب وقرئ
نهد قلبه بالنون ويهدأ قلبه بمعنى يهتدي ويهدأ قلبه يطمئن ويهدا ويهدا على التخفيف
والله بكل شيء عليم يعلم ما يؤثر فيه اللطف من القلوب مما لا يؤثر فيه فيمنحه ويمنعه واطيعوا الله

واطيعوا الرسول فان توليتم فانما على رسولنا البلاغ المبين فلا عليه اذا توليتم لانه لم يكتب عليه
طاعتكم انما كتب عليه ان يبلغ ويبين فحسب الله لا اله الا هو وعلى الله فليتوكل المومنون بعث
لرسول الله صلى الله عليه وسلم على التوكل عليه والتقوى به في امره حتى ينصره على من كذبه وتولى
عنه يا ايها الذين آمنوا ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم ان من الازواج ازواجا يعادين بعولتهن
ويخاصمنهم ويجلبن عليهم ومن الاولاد اولادا يعادون آباءهم ويعقونهم ويجرعونهم الغصص والاذى
فاحذروهم الضمير للعدو او للازواج والاولاد جميعا اي لما علمتم ان هؤلاء لا يخلون من عدو فكونوا
منهم على حذر ولا تامنوا غوائلهم وشرهم وان تعفوا عنهم اذا اطلعتم منهم على عداوة ولم تقابلوهم بمثلها
وتصفحوا وتغفروا فان الله غفور رحيم يغفر لكم ذنوبكم ويكفر عنكم وقيل ان ناسا ارادوا الهجرة
عن مكة فثبطهم ازواجهم واولادهم وقالوا تنطلقون وتضيعوننا فرقوا لهم ووقفوا فلما هاجروا
بعد ذلك وراوا الذين سبقوهم قد فقهوا في الدين ارادوا ان يعاقبوا ازواجهم واولادهم فزين لهم
العفو وقيل قالوا لهم اين تذهبون وتدعون بلدكم وعشيرتكم واموالكم فغضبوا عليهم وقالوا لئن جمعنا
الله في دار الهجرة لم نصبكم بخير فلما هاجروا منعوهم الخير فحثوا ان يعفوا عنهم ويردوا اليهم البر
والصلة وقيل كان عوف بن مالك الاشجعي ذا اهل وولد فاذا اراد ان يغزو تعلقوا به و
بكوا اليه ورققوه فكانه هم باذاهم فنزلت انما اموالكم واولادكم فتنة بلاء ومحنة لانهم يوقعون في الاثم
والعقوبة ولا بلاء اعظم منهما الا ترى الى قوله والله عنده اجر عظيم وفي الحديث يؤتى برجل يوم القيامة
فيقال اكل عياله حسناته وعن بعض السلف العيال سوس الطاعات وعن النبي صلى الله عليه وسلم
انه كان يخطب فجاء الحسن والحسين رضي الله عنهما وعليهما قميصان احمران يعثران ويقومان فنزل اليهما واخذهما
ووضعهما في حجره على المنبر فقال صدق الله انما اموالكم واولادكم فتنة رايت هذين الصبيين فلم
اصبر عنهما ثم اخذ في خطبته وقيل اذا امكنكم الجهاد والهجرة فلا يفتننكم الميل الى الاموال والاولاد
عنها فاتقوا الله ما استطعتم جهدكم ووسعكم اي ابذلوا فيها استطاعتكم واسمعوا ما توعظون
به واطيعوا فيما تومرون به وتنهون عنه وانفقوا في الوجوه التي وجبت عليكم النفقة فيها خيرا لانفسكم

نصب بمحذوف تقديره ائتوا خيرا لانفسكم وافعلوا ما هو خير لها وانفع وهذا تاكيد للحث على امتثال
هذه الاوامر وبيان لان هذه الامور خير لانفسكم من الاموال والاولاد وما انتم عاكفون عليه من حب
الشهوات وزخارف الدنيا ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون ان تقرضوا الله قرضا حسنا
اي يدفع البخل عن نفسه
ذكر القرض تلطف في الاستدعاء يضاعفه لكم يكتب لكم بالواحدة عشرا وسبعمائة الى ما يشاء من الزيادة
وقرئ يضعفه ويغفر لكم والله شكور مجاز اي يفعل بكم ما يفعل المبالغ في الشكر من عظيم الثواب
وكذلك حليم يفعل بكم ما يفعل من يحلم عن المسيء فلا يعاجلكم بالعقاب مع كثرة ذنوبكم عالم الغيب والشهادة
العزيز الحكيم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة التغابن دفع عنه موت الفجاة

سورة الطلاق مدنية وهي احدى عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها النبي اذا طلقتم النساء خص
النبي صلى الله عليه وسلم بالنداء وعم بالخطاب لان النبي صلى الله عليه وسلم امام امته وقدوتهم
كما يقال لرئيس القوم وكبيرهم يا فلان افعلوا كيت وكيت اظهارا لتقدمه واعتبارا لترأسه وانه
مدرة قومه ولسانهم والذين لا يصدرون عن رايه ولا يستبدون بامر دونه فكان هو وحده في حكم كلهم
اي لا يخرجون
وسادا مسد جميعهم ومعنى اذا طلقتم النساء اذا اردتم تطليقهن وهممتم به على تنزيل المقبل على
الامر المشارف له منزلة الشارع فيه كقوله صلى الله عليه وسلم من قتل قتيلا فله سلبه ومنه كان
الماشي الى الصلوة والمنتظر لها في حكم المصلي فطلقوهن لعدتهن فطلقوهن مستقبلات لعدتهن
كقولك اتيته لليلة بقيت من المحرم اي مستقبلا لها وفي قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم
في قبل عدتهن واذا طلقت المراة في الطهر المتقدم للقرء الاول من اقرائها فقد طلقت مستقبلة
لعدتها والمراد ان يطلقن في طهر لم يجامعن فيه ثم يخلين حتى تنقضي عدتهن وهذا احسن الطلاق
وادخله في السنة وابعده من الندم ويدل عليه ما روي عن ابرهيم النخعي ان اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم كانوا يستحبون ان لا يطلقوا للسنة الا واحدة ثم لا يطلقوا غير ذلك حتى تنقضي
العدة وكان احسن عندهم من ان يطلق الرجل ثلثا في ثلثة اطهار وقال مالك بن انس لا اعرف

طلاق السنة الا واحدة وكان يكره الثلاث مجموعة كانت او مفرقة واما ابو حنيفة رضي الله عنه واصحابه
رحمهم الله فانهم كرهوا ما زاد على واحدة في طهر واحد فاما مفرقا في الاطهار فلا لما روي عن النبي صلى
الله عليه وسلم انه قال لابن عمر رضي الله عنهما حين طلق امراته وهي حائض ما هكذا امرك الله انما السنة
ان تستقبل الطهر استقبالا وتطلقها لكل قرء تطليقة وروي انه قال لعمر رضي الله عنه مر ابنك فليراجعها
ثم ليدعها حتى تحيض ثم تطهر ثم ليطلقها ان شاء فتلك العدة التي امر الله ان تطلق لها النساء وعند الشافعي
رضي الله عنه لا باس بارسال الثلث وقال لا اعرف في عدد الطلاق سنة ولا بدعة وهو مباح فمالك
رضي الله عنه يراعي في طلاق السنة الوحدة والوقت وابو حنيفة رضي الله عنه يراعي التفريق والوقت
والشافعي رضي الله عنه يراعي الوقت وحده فان قلت هل يقع طلاق المخالف للسنة قلت
نعم وهو آثم لما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ان رجلا طلق امراته ثلثا بين يديه فقال اتلعبون
بكتاب الله وانا بين اظهركم وفي حديث ابن عمر رضي الله عنهما انه قال يا رسول الله ارايت لو طلقتها
ثلثا فقال اذن عصيت وبانت منك امراتك وعن عمر رضي الله عنه انه كان لا يؤتى برجل طلق امراته
ثلثا الا اوجعه ضربا واجاز ذلك عليه وعن سعيد بن المسيب وجماعة من التابعين رحمهم الله ان من خالف
السنة في الطلاق فاوقعه في حيض او ثلث لم يقع وشبهوه بمن وكل غيره بطلاق السنة فخالف فان
قلت كيف تطلق للسنة التي لا تحيض لصغر او كبر او حمل وغير المدخول بها قلت الصغيرة
والآيسة والحامل كلهن عند ابي حنيفة وابي يوسف رحمهما الله يفرق عليهن الثلث في الاشهر خالفهما
محمد وزفر في الحامل فقالا لا تطلق للسنة الا واحدة واما غير المدخول بها فلا تطلق للسنة الا
واحدة ولا يراعى الوقت فان قلت هل يكره ان يطلق المدخول بها واحدة بائنة قلت اختلف
الرواية فيه عن اصحابنا والظاهر الكراهة فان قلت قوله اذا طلقتم النساء عام يتناول المدخول
بهن وغير المدخول بهن من ذوات الاقراء والآيسات والصغائر والحوامل فكيف صح تخصيصه
بذوات الاقراء المدخول بهن قلت لا عموم ثم ولا خصوص ولكن النساء اسم جنس للاناث
من الانس وهذه الجنسية معنى قائم في كلهن وفي بعضهن فجاز ان يراد بالنساء هذا وذاك فلما

وقيل فطلقوهن لعدتهن عُلم انه أطلق على بعضهن وهن المدخول بهن من المعتدات بالحيض وأحصوا
العدة واضبطوها بالحفظ واكملوها ثلثة اقراء مستقبلات كوامل لا نقصان فيهن واتقوا الله ربكم
ولا تخرجوهن حتى تنقضي عدتهن من بيوتهن من مساكنهن التي يسكنها قبل العدة وهي بيوت الازواج
واضيفت اليهن لاختصاصها بهن من حيث السكنى فان قلت ما معنى الجمع بين اخراجهم و
خروجهن قلت معنى الاخراج ان لا يخرجهن البعولة غضبا عليهن وكراهة لمساكنتهن
او لحاجة لهم الى المساكن وان لا يأذنوا لهن في الخروج اذا طلبن ذلك ايذانا بان اذنهم لا
اثر له في رفع الحظر ولا يخرجن بانفسهن ان اردن ذلك الا ان يأتين بفاحشة مبينة قرئ بفتح الياء
وكسرها قيل هي الزنا يعني الا ان يزنين فيخرجن لاقامة الحد عليهن وقيل الا ان يطلقن
على النشوز والنشوز يسقط حقها في السكنى وقيل الا ان يبذون فيحل اخراجهن لبذائهن
ويؤكده قراءة ابي الا ان يفحشن عليكم وقيل خروجها قبل انقضاء العدة فاحشة في نفسه وتلك
حدود الله ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك امرا الامر الذي
يحدثه الله ان يقلب قلبه من بغضها الى محبتها ومن الرغبة عنها الى الرغبة فيها ومن عزيمة
الطلاق الى الندم عليه فيراجعها والمعنى فطلقوهن لعدتهن واحصوا العدة لعلكم ترغبون و
تندمون فتراجعون فاذا بلغن اجلهن فامسكوهن بمعروف او فارقوهن بمعروف فاذا
بلغن آخر العدة وشارفنه فانتم بالخيار ان شئتم فالرجعة والامساك بالمعروف والاحسان وان
شئتم فترك الرجعة والمفارقة واتقاء الضرار وهو ان يراجعها في آخر عدتها ثم يطلقها تطويلا
للعدة عليها وتعذيبا لها واشهدوا يعني عند الرجعة والفرقة جميعا وهذا الاشهاد مندوب اليه
عند ابي حنيفة رضي الله عنه كقوله واشهدوا اذا تبايعتم وعند الشافعي رضي الله عنه هو واجب في
الرجعة مندوب اليه في الفرقة وقيل فائدة الاشهاد ان لا يقع بينهما التجاحد وان لا يتهم في امساكها
ولئلا يموت احدهما فيدعي الباقي ثبوت الزوجية ليرث ذوي عدل منكم قال الحسن من المسلمين وعن
قتادة من احراركم واقيموا الشهادة لله لوجهه خالصا وذلك ان تقيموها لا للمشهود له ولا للمشهود

عليه

عليه ولا لغرض من الاغراض سوى اقامة الحق ودفع الظلم كقوله كونوا قوامين بالقسط شهداء
لله ولو على انفسكم ذلكم اي ذلكم الحث على اقامة الشهادة لوجه الله ولاجل القيام بالقسط يوعظ به
من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ومن يتق الله يجعل له مخرجا ومن يتق الله يجوز ان يكون جملة
اعتراضية مؤكدة لما سبق من اجراء امر الطلاق على السنة وطريقه الاحسن والابعد من الندم
ويكون المعنى ومن يتق الله فطلق للسنة ولم يضار المعتدة ولم يخرجها من مسكنها واحتاط فاشهد
يجعل الله له مخرجا مما في شان الازواج من الغموم والوقوع في المضايق ويفرج عنه وينفس
ويعطه الخلاص ويرزقه من حيث لا يحتسب من وجه لا يخطره بباله ولا يحتسبه ان اوفى المهر
وادى الحقوق والنفقات وقل ماله وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه سئل عمن طلق ثلثا او
الفا هل له من مخرج فتلاها وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه سئل عن ذلك فقال لم تتق الله
فلم يجعل لك مخرجا بانت منك بثلاث والزيادة اثم في عنقك ويجوز ان يجاء بها على سبيل الاستطراد
عند ذكر قوله ذلكم يوعظ به يعني ومن يتق الله يجعل له مخرجا ومخلصا من غموم الدنيا والآخرة
وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قرأها فقال مخرجا من شبهات الدنيا ومن غمرات الموت ومن
شدائد يوم القيامة وقال صلى الله عليه وسلم اني لاعلم آية لو اخذ الناس بها لكفتهم ومن يتق الله
فما زال يقرأها ويعيدها وروي ان عوف بن مالك الاشجعي اسر المشركون ابنا له يسمى سالما فاتى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اسر ابني وشكا اليه الفاقة فقال ما امسى عند آل محمد الا مد
فاتق الله واصبر واكثر من قول لا حول ولا قوة الا بالله ففعل فبينا هو في بيته اذ قرع
ابنه الباب ومعه مائة من الابل تغفل عنها العدو فاستاقها فنزلت هذه الآية ومن يتوكل على
الله فهو حسبه ان الله بالغ امره اي يبلغ ما يريد لا يفوته مراد ولا يعجزه مطلوب وقرئ بالغ
امره بالاضافة وبالغ امره بالرفع اي نافذ امره وقرأ المفضل بالغا امره على ان قوله قد جعل
الله خبر ان وبالغا حال قد جعل الله لكل شيء قدرا تقديرا وتوقيتا وهذا بيان لوجوب التوكل
على الله وتفويض الامر اليه لانه اذا علم ان كل شيء من الرزق ونحوه لا يكون الا بتقديره وتوقيته

لم يبق الا التسليم للقدر والتوكل واللائي يئسن من المحيض من نسائكم ان ارتبتم فعدتهن
ثلثة اشهر روي ان ناسا قالوا قد عرفنا عدة ذوات الاقراء فما عدة اللائي لا يحضن فنزلت فمعنى
ان ارتبتم ان اشكل عليكم حكمهن وجهلتم كيف يعتددن فهذا حكمهن وقيل ان ارتبتم في دم
البالغات مبلغ الياس وقد قدروه بستين سنة وبخمس وخمسين اهو دم حيض او استحاضة
فعدتهن ثلثة اشهر واذا كانت هذه عدة المرتاب بها فغير المرتاب بها اولى بذلك واللائي
لم يحضن واولات الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن اللفظ مطلق في اولات الاحمال فاشتمل على المطلقات
والمتوفى عنهن وكان ابن مسعود وابي وابو هريرة رضي الله عنهم وغيرهم لا يفرقون وعن علي
وابن عباس رضي الله عنهم عدة الحامل المتوفى عنها ابعد الاجلين وعن عبد الله من شاء لاعنته
ان سورة النساء القصرى نزلت بعد التي في البقرة يعني ان هذا اللفظ مطلق في الحوامل وروت ام
سلمة ان سبيعة الاسلمية ولدت بعد وفاة زوجها بليال فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال لها قد حللت فانكحي ومن يتق الله يجعل له من امره يسرا ييسر له من امره ويحلله من
عقده بسبب التقوى ذلك امر الله يريد ما علم من حكم هولاء المعتدات ومن يتق الله يكفر عنه
سيئاته ويعظم له اجرا ومن يتق الله في العمل بما انزل من هذه الاحكام وحافظ على الحقوق الواجبة
عليه مما ذكر من الاسكان وترك الضرار والنفقة على الحوامل وايتاء اجر المرضعات وغير ذلك
استوجب تكفير السيئات والاجر العظيم اسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم اسكنوهن وما
بعده بيان لما شرط من التقوى في قوله ومن يتق الله كانه قيل كيف نعمل بالتقوى في شان المعتدات
فقيل اسكنوهن فان قلت من في من حيث سكنتم ما هي قلت هي من التبعيضية مبعضها
محذوف معناه اسكنوهن مكانا من حيث سكنتم اي بعض مكان سكناكم كقوله تعالى يغضوا من
ابصارهم اي بعض ابصارهم قال قتادة ان لم يكن الا بيت واحد فاسكنها في بعض جوانبه فان قلت
فقوله من وجدكم قلت هو عطف بيان لقوله من حيث سكنتم وتفسير له كانه قيل اسكنوهن
مكانا من مسكنكم مما تطيقونه والوجد الوسع والطاقة وقرئ بالحركات الثلث والسكنى والنفقة

واجبتان لكل مطلقة وعند مالك والشافعي رضي الله عنهما ليس للمبتوتة الا السكنى ولا نفقة لها
وعن الحسن وحماد لا نفقة لها ولا سكنى لحديث فاطمة بنت قيس ان زوجها ابت طلاقها فقال
لها رسول الله صلى الله عليه وسلم لا سكنى لك ولا نفقة وعن عمر رضي الله عنه لا ندع كتاب ربنا وسنة
نبينا لقول امراة لعلها نسيت او شبه لها سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول لها السكنى والنفقة
ولا تضاروهن ولا تستعملوا معهن الضرار لتضيقوا عليهن في المسكن ببعض الاسباب من انزال
من لا يوافقهن او بشغل مكانهن او غير ذلك حتى تضطروهن الى الخروج وقيل هو ان يراجعها
اذا بقي من عدتها يومان ليضيق عليها امرها وقيل هو ان يلجئها الى ان تفتدي منه فان قلت
فاذا كانت كل مطلقة عندكم تجب لها النفقة فما فائدة الشرط في قوله وان كن اولات حمل فانفقوا عليهن
حتى يضعن حملهن قلت فائدته ان مدة الحمل ربما طالت فظن ظان ان النفقة تسقط اذا مضى
مقدار عدة الحائل فنفى ذلك الوهم فان قلت فما تقول في الحامل المتوفى عنها قلت مختلف
فيها فاكثرهم على انه لا نفقة لها لوقوع الاجماع على ان من اجبر الرجل على النفقة عليه من
امراة او ولد صغير لا يجب ان ينفق عليه من ماله بعد موته فكذلك الحامل وعن علي وعبد الله رضي
الله عنهما وجماعة انهم اوجبوا نفقتها فان ارضعن لكم يعني هولاء المطلقات ان ارضعن لكم ولدا
من غيرهن او منهن بعد انقطاع عصمة الزوجية فآتوهن اجورهن فحكمهن في ذلك حكم الاظآر
ولا يجوز عند ابي حنيفة واصحابه رحمهم الله الاستيجار اذا كان الولد منهن ما لم يبن ويجوز عند
الشافعي رحمه الله وائتمروا بينكم الائتمار بمعنى التآمر كالاشتوار بمعنى التشاور يقال ائتمر
القوم وتآمروا اذا امر بعضهم بعضا والمعنى وليامر بعضكم بعضا والخطاب للآباء والامهات
بمعروف بجميل وهو المسامحة وان لا يماكس الاب ولا تعاسر الام لانه ولدهما معا وهما شريكان فيه
وفي وجوب الاشفاق عليه وان تعاسرتم فسترضع له اخرى فستوجد ولا تعوز مرضعة غير
الام ترضعه وفيه طرف من معاتبة الام على المعاسرة كما تقول لمن تستقضيه حاجة فيتوانى
سيقضيها غيرك تريد لن تبقى غير مقضية وانت ملوم وقوله له اي للاب اي سيجد الاب غير معاسرة

ترضع له ولده إن عاسرته امه لينفق كل من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه
الله لينفق كل واحد من الموسر والمعسر ما يبلغه وسعه يريد ما أمر به من الانفاق على المطلقات
والمرضعات كما قال ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره وقرئ لينفق بالنصب اي شرعنا
ذلك لينفق وقرأ ابن ابي عبلة قدر لا يكلف الله نفسا الا ما آتاها سيجعل الله بعد عسر يسرا
اي الا ما اعطاها من الرزق
سيجعل الله موعد لفقراء ذلك الوقت بفتح ابواب الرزق عليهم او لفقراء الازواج ان انفقوا
ما قدروا عليه ولم يقصروا وكاين من قرية عتت عن امر ربها اعرضت عنه على وجه العتو و
العناد فحاسبناها حسابا شديدا بالاستقصاء والمناقشة وعذبناها عذابا نكرا فذاقت وبال
امرها وكان عاقبة امرها خسرا وقرئ نكرا منكرا عظيما والمراد حساب الاخرة وعذابها
وما يذوقون فيها من الوبال ويلقون من الخسر وجيء به على لفظ الماضي كقوله ونادى اصحاب الجنة
ونادى اصحاب النار ونحو ذلك لان المنتظر من وعد الله ووعيده ملقي في الحقيقة وما هو كاين
فكان قد وقوله اعد الله لهم عذابا شديدا تكرير للوعيد وبيان لكونه مترقبا كانه قال اعد
الله لهم هذا العذاب فاتقوا الله يا اولي الالباب الذين آمنوا فليكن لكم ذلك يا اولي الالباب من المؤمنين
لطفا في تقوى الله وحذر عقابه ويجوز ان يراد احصاء السيئات واستقصاؤها عليهم في الدنيا
واثباتها في صحائف الحفظة وما اصيبوا من العذاب في العاجل وان يكون عتت وما عطف عليه
صفة للقرية واعد الله لهم جوابا لكاين قد انزل الله اليكم ذكرا رسولا يتلو عليكم آيات الله مبينات
ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات الى النور رسولا هو جبريل صلوات الله عليه
ابدل من ذكرا لانه وصف بتلاوة آيات الله فكان انزاله في معنى انزال الذكر فصح ابداله منه
او اريد بالذكر الشرف من قوله وانه لذكر لك ولقومك فابدل منه كانه في نفسه شرف اما لانه شرف
للمنزل عليه واما لانه ذو مجد وشرف عند الله كقوله عند ذي العرش مكين او جعل لكثرة ذكره
لله وعبادته كانه ذكر او اريد ذا ذكر اي ملكا مذكورا في السماوات وفي الامم كلها او دل قوله انزل
الله اليكم ذكرا على ارسل فكانه قيل ارسل رسولا او اعمل ذكرا في رسولا اعمال المصدر في المفاعيل

اي انزل الله ان ذكر رسولا او ذكره رسولا وقرئ رسول على هو رسول انزله ليخرج الذين آمنوا
بعد انزاله اي ليحصل ما هم عليه الساعة من الايمان والعمل الصالح لانهم كانوا وقت انزاله غير مؤمنين
وانما آمنوا بعد الانزال والتبليغ او ليخرج الذين عرف منهم انهم يؤمنون ومن يؤمن بالله ويعمل
صالحا يكفر عنه سيئاته ويدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا قرئ ندخله بالياء
والنون قد احسن الله له رزقا فيه معنى التعجب والتعظيم لما رزق المؤمن من الثواب الله الذي
خلق سبع سماوات مبتدأ وخبر ومن الارض مثلهن قرئ بالنصب عطفا على سبع سماوات وبالرفع على
الابتداء وخبره من الارض قيل ما في القرآن آية تدل على ان الارضين سبع الا هذه وقيل
بين كل سماءين مسيرة خمس مائة عام وغلظ كل سماء كذلك والارضون مثل السماوات يتنزل الامر بينهن
اي يجري امر الله وحكمه بينهن وملكه ينفذ فيهن وعن قتادة في كل سماء وفي كل ارض خلق من
خلقه وامر من امره وقضاء من قضائه وقيل هو ما يدبر فيهن من عجائب تدبيره وقرئ ينزل
الامر وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان نافع بن الازرق سأله هل تحت الارضين خلق قال نعم
قال فما الخلق قال اما ملائكة او جن ليعلموا ان الله على كل شيء قدير وان الله قد احاط بكل شيء
علما ليعلموا قرئ بالياء والتاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الطلاق مات
على سنة رسول الله

سورة التحريم مدنية وتسمى سورة النبي وهي ثنتا عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك تبتغي
مرضاة ازواجك روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خلا بمارية يوم عائشة رضي الله عنها
وعلمت بذلك حفصة فقال لها اكتمي علي وقد حرمت مارية على نفسي وابشرك ان ابا بكر وعمر
يملكان بعدي امر امتي فاخبرت به عائشة وكانتا متصادقتين وقيل خلا بها في يوم حفصة
فارضاها بذلك واستكتمها فلم تكتم فطلقها واعتزل نساءه ومكث تسعا وعشرين ليلة في بيت مارية
وروي ان عمر رضي الله عنه قال لها لو كان في آل الخطاب خير لما طلقك فنزل جبريل صلى الله عليه
وسلم وقال راجعها فانها صوامة قوامة وانها لمن نسائك في الجنة وروي انه شرب عسلا في بيت زينب

اي ما احسن ما رزقه الله

وذلك ان ابا بكر وعمر كانا في حفصة فزارت اباها فابصرت مارية في بيتها فلم تدخل حتى خرجت مارية وقالت اني رايت في البيت

والتفل الرائحة الكريهة توبيخ

بنت جحش فتواطأت عائشة وحفصة رضي الله عنهما فقالتا له انا نشم منك ريح المغافير وكان يكره
رسول الله صلى الله عليه وسلم التفل فحرم العسل فمعناه لم تحرم ما احل الله لك من ملك اليمين او من
العسل وتبتغي اما تفسير لتحرم او حال او استئناف وكان هذا زلة منه لانه ليس لاحد ان
يحرم ما احل الله لان الله عز وعلا انما احل ما احل لحكمة ومصلحة عرفها في احلاله فاذا حرم
كان ذلك قلب المصلحة مفسدة والله غفور قد غفر لك ما زللت فيه رحيم قد رحمك فلم يواخذ
به قد فرض الله لكم تحلة ايمانكم فيه معنيان احدهما قد شرع الله لكم الاستثناء في ايمانكم من قولك
حلل فلان في يمينه اذا استثنى فيها ومنه حلا ابيت اللعن بمعنى استثن في يمينك اذا اطلقتها
وذلك ان يقول ان شاء الله عقيبها حتى لا يحنث والثاني قد شرع لكم تحلتها بالكفارة ومنها قوله
صلى الله عليه وسلم لا يموت لرجل ثلثة اولاد فتمسه النار الا تحلة القسم وقول ذي الرمة
قليلا كتحليل الالى فان قلت ما حكم تحريم الحلال قلت قد اختلف فيه فابو حنيفة رحمه الله
يراه يمينا في كل شي ويعتبر الانتفاع المقصود فيما يحرمه فاذا حرم طعاما فقد حلف على اكله او امة
فعلى وطيها او زوجة فعلى الايلاء منها اذا لم تكن له نية وان نوى الظهار فظهار وان نوى الطلاق
فطلاق باين وكذلك ان نوى ثنتين وان نوى ثلثا فكما نوى وان قال نويت الكذب دين فيما بينه
وبين الله ولا يدين في القضاء بابطال الايلاء وان قال كل حلال عليه حرام فعلى الطعام والشراب اذا
لم ينو والا فعلى ما نوى ولا يراه الشافعي رحمه الله يمينا ولكن سببا في الكفارة في النساء وحدهن
وان نوى الطلاق فهو رجعي عنده وعن ابي بكر وعمر وابن عباس وابن مسعود وزيد رضي الله عنهم
ان الحرام يمين وعن عمر رضي الله عنه اذا نوى الطلاق فرجعي وعن علي رضي الله عنه ثلث وعن
زيد رضي الله عنه واحدة باينة وعن عثمان رضي الله عنه ظهار وكان مسروق لا يراه شيا ويقول ما ابالي احرمتها
ام قصعة من ثريد وكذلك عن الشعبي قال ليس بشي محتجا بقوله تعالى ولا تقولوا لما تصف السنتكم
الكذب هذا حلال وهذا حرام وقوله لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم وما لم يحرمه الله فليس لاحد
ان يحرمه ولا ان يصير بتحريمه حراما ولم يثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لما احله
الله

الله هو حرام علي وانما امتنع من مارية ليمين تقدمت منه وهو قوله والله لا اقربها بعد اليوم
فقيل له لم تحرم ما احل الله لك اي لم تمتنع منه بسبب اليمين يعني اقدم على ما حلفت عليه وكفر
ونحوه قوله تعالى قد فرض الله لكم تحلة ايمانكم انه كانت منه يمين فان قلت هل كفر رسول الله
صلى الله عليه وسلم لذلك قلت عن الحسن انه لم يكفر لانه كان مغفورا له ما تقدم من ذنبه
وما تاخر وانما هو تعليم للمومنين وعن مقاتل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتق رقبة في
تحريم مارية والله مولاكم سيدكم ومتولي اموركم وهو العليم بما يصلحكم فيشرعه لكم الحكيم فلا يامركم
ولا ينهاكم الا بما توجبه الحكمة وقيل مولاكم اولى بكم من انفسكم فكانت نصيحته انفع لكم من نصايحكم
لانفسكم واذ اسر النبي الى بعض ازواجه حديثا يعني حفصة والحديث الذي اسر اليها حديث
مارية وامامة الشيخين فلما نبات به افشته الى عائشة رضي الله عنها وقرئ انبات به واظهره
واطلع النبي صلى الله عليه وسلم عليه على الحديث اي على افشائه على لسان جبريل وقيل اظهر الله الحديث
على النبي صلى الله عليه وسلم من الظهور عرف بعضه واعرض عن بعض عرف بعضه اعلم ببعض
الحديث تكرما قال سفيان ما زال التغافل من فعل الكرام وقرئ عرف بعضه اي جازى عليه من
قولك للمسيء لاعرفن لك ذلك وقد عرفت ما صنعت اولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم وهو
كثير في القرآن وكان جزاؤه تطليقه اياها وقيل المعرف حديث الامامة والمعرض عنه حديث
مارية وروي انه قال لها الم اقل لك اكتمي علي قالت والذي بعثك بالحق ما ملكت نفسي فرحا بالكرامة
التي خص الله بها اباها فان قلت هلا قيل فلما نبات به بعضهن وعرفها بعضه قلت
ليس الغرض بيان من المذاع اليه ومن المعرف وانما هو ذكر جناية حفصة في وجود الانباء
به وافشائه من قبلها وان رسول الله صلى الله عليه وسلم بكرمه وحلمه لم يوجد منه الا الاعلام
ببعضه وهو حديث الامامة الا ترى انه لما كان المقصود في قوله فلما نباها به قالت من انباك
هذا ذكر المنبا كيف اتى بضميره قال نباني العليم الخبير ان تتوبا الى الله خطاب لحفصة
وعائشة رضي الله عنهما على طريقة الالتفات ليكون ابلغ في معاتبتهما وعن ابن عباس رضي الله عنهما

اي تحريم مارية

لم ازل حريصا على ان اسال عمر رضي الله عنه عنهما حتى حج وحججت معه فلما كان ببعض الطريق
عدل وعدلت معه بالاداوة فسكبت الماء على يده فتوضا فقلت من هما فقال عجبا يا ابن عباس
كانه كره ما سالته عنه ثم قال هما حفصة وعائشة فقد صغت قلوبكما فقد وجد منكما ما يوجب التوبة
اي عدلت وسالت عن الحق
وهو ميل قلوبكما عن الواجب في مخالصة رسول الله صلى الله عليه وسلم من حب ما يحبه وكراهة
ما يكرهه وقرا ابن مسعود فقد زاغت وان تظاهرا عليه فان الله هو موليه وجبريل وان تعاونا
اي على النبي عم
عليه بما يسوءه من الافراط في الغيرة وافشاء سره فلن يعدم هو من يظاهره وكيف يعدم المظاهر
من الله مولاه اي وليه وناصره وزيادة هو ايذان بان نصرته عزيمة من عزائمه وانه يتولى ذلك
بذاته وجبريل راس الكروبيين وقرن ذكره بذكره مفردا له من الملائكة تعظيما له واظهارا لمكانته
عنده وصالح المؤمنين ومن صلح من المؤمنين يعني كل من آمن وعمل صالحا وعن سعيد بن جبير من
برئ منهم من النفاق وقيل الانبياء وقيل الصحابة وقيل الخلفاء منهم فان قلت صالح المؤمنين
واحد ام جمع قلت هو واحد اريد به الجمع كقولك لا يفعل هذا الصالح من الناس تريد الجنس
كقولك لا يفعل هذا من صلح منهم ومثله قولك كنت في السامر والحاضر ويجوز ان يكون اصله
من السمر
صالحوا المؤمنين بالواو فكتب بغير واو على اللفظ لان لفظ الواحد والجمع واحد فيه كما جاءت اشياء
في المصحف متبوع فيها حكم اللفظ دون وضع الخط والملائكة على تكاثر عددهم وامتلاء السماوات
من جموعهم بعد ذلك بعد نصرة الله وناموسه وصالحي المؤمنين ظهير فوج مظاهر له كانهم
اي اعوان للنبي عم
يد واحدة على من يعاديه فما تبلغ تظاهر امراتين على من هؤلاء ظهراؤه فان قلت قوله بعد
ذلك تعظيم للملائكة ومظاهرتهم وقد تقدمت نصرة الله وجبريل وصالح المؤمنين ونصرة الله اعظم
واعظم قلت مظاهرة الملائكة من جملة نصرة الله فكانه فضل نصرته بهم وبمظاهرتهم وعلى غيرها
من وجوه نصرته لفضلهم على جميع خلقه وقرئ تظاهرا وتتظاهرا وتظهرا عسى ربه ان طلقكن
ان يبدله ازواجا خيرا منكن قرئ يبدله بالتخفيف والتشديد للكثرة مسلمات مؤمنات مقرات
مخلصات قانتات ثابتات عابدات سائحات صائمات وقرئ سيحات وهي ابلغ وقيل للصائم سائح
لان

لان السائح لا زاد معه فلا يزال ممسكا الى ان يجد ما يطعمه فشبه به الصائم في امساكه الى ان
يجيء وقت افطاره وقيل سائحات مهاجرات وعن زيد بن اسلم لم تكن في هذه الامة سياحة الا
الهجرة فان قلت كيف تكون المبدلات خيرا منهن ولم يكن على وجه الارض نساء خير من
امهات المؤمنين قلت اذا طلقهن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعصيانهن له وايذائهن
اياه لم يبقين على تلك الصفة فكان غيرهن من الموصوفات بهذه الاوصاف مع الطاعة لرسول
الله صلى الله عليه وسلم والنزول على هواه ورضاه خيرا منهن وقد عرض بذلك في قوله قانتات
لان القنوت هو القيام بطاعة الله وطاعة الله في طاعة رسوله ثيبات وابكارا فان قلت لم اخليت
الصفات كلها عن العاطف ووسط بين الثيبات والابكار قلت لانهما صفتان متنافيتان
لا يجتمعن فيهما اجتماعهن في سائر الصفات فلم يكن بد من الواو يا ايها الذين آمنوا قوا انفسكم بترك
اي ابعدوا عن النار بطاعة الله تعالى وطاعة رسوله عم
المعاصي وفعل الطاعات واهليكم بان تاخذوهم بما تاخذون به انفسكم وفي الحديث رحم الله رجلا
قال يا اهلاه صلاتكم صيامكم زكوتكم مسكينكم يتيمكم جيرانكم لعل الله يجمعه معه في الجنة وقيل
ان اشد الناس عذابا يوم القيامة من جهل اهله وقرئ واهلوكم عطفا على واو قوا وحسن العطف
للفاصل فان قلت اليس التقدير قوا انفسكم وليق اهلوكم انفسهم قلت لا ولكن المعطوف
مقارن في التقدير للواو وانفسكم واقع بعده فكانه قيل قوا انتم واهلوكم انفسكم لما جمعت مع المخاطب
الغائب غلبته عليه فجعلت ضميرهما معا على لفظ المخاطب نارا وقودها الناس والحجارة نوعا
من النار لا يتقد الا بالناس والحجارة كما يتقد غيرها من النيران بالحطب وعن ابن عباس رضي
الله عنهما هي حجارة الكبريت وهي اشد الاشياء حرا اذا اوقد عليها وقرئ وقودها بالضم اي
ذو وقودها عليها يلي امرها وتعذيب اهلها ملائكة يعني الزبانية التسعة عشر واعوانهم غلاظ
شداد في اجرامهم غلظة وشدة اي جفاء وقوة او في افعالهم جفاء وخشونة لا تاخذهم رافة
اي شفقة
في تنفيذ اوامر الله والغضب له والانتقام من اعدائه لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون
ما يؤمرون ما امرهم في محل النصب على البدل اي لا يعصون ما امر الله اي امره كقوله تعالى افعصيت

امورى او لا يحصونه فيما امرهم **فان قلت** اليست الجملتان في معنى واحد **قلت** لا فان
معنى الاولى انهم يتقبلون اوامره ويلتزمونها ولا يابونها ولا ينكرونها ومعنى الثانية انهم يؤدون
ما يؤمرون به لا يتثاقلون عنه ولا يتوانون فيه **فان قلت** قد خاطب الله المشركين المكذبين
بالوحي بهذا بعينه في قوله فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة
وقال اعدت للكافرين فجعلها معدة للكافرين فما معنى مخاطبته به المومنين **قلت**
الفساق وان كانت دركاتهم فوق دركات الكفار فانهم مساكنون الكفار في دار واحدة فقيل
للذين آمنوا قوا انفسكم باجتناب الفسوق مساكنة الذين اعدت لهم هذه النار الموصوفة ويجوز
ان يامرهم بالتوقي من الارتداد والندم على الدخول في الاسلام وان يكون خطابا للذين آمنوا بالسنتهم
وهم المنافقون ويعضد ذلك قوله على اثره يا ايها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم انما تجزون ما
كنتم تعملون اي يقال لهم ذلك عند دخولهم النار لا تعتذروا لانه لا عذر لكم او لانه لا ينفعكم الاعتذار
يا ايها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا وصفت التوبة بالنصح على الاسناد المجازي والنصح
صفة التائبين وهو ان ينصحوا بالتوبة انفسهم فياتوا بها على طريقها متداركة للفرطات ماحية
للسيئات وذلك ان يتوبوا عن القبائح لقبحها نادمين عليها مغتمين اشد الاغتمام لارتكابها
عازمين على انهم لا يعودون في قبيح من القبائح الى ان يعود اللبن في الضرع موطنين انفسهم
على ذلك وعن علي رضي الله عنه انه سمع اعرابيا يقول اللهم اني استغفرك واتوب اليك فقال
يا هذا ان سرعة اللسان بالتوبة توبة الكذابين قال وما التوبة قال يجمعها ستة اشياء على الماضي
من الذنوب الندامة وللفرائض الاعادة ورد المظالم واستحلال الخصوم وان تعزم على ان لا تعود
وان تذيب نفسك في طاعة الله كما ربيتها في المعصية وان تذيقها مرارة الطاعات كما اذقتها
حلاوة المعاصي وعن حذيفة رضي الله عنه بحسب الرجل من الشر ان يتوب عن الذنب ثم يعود فيه
وعن شهر بن حوشب ان لا يعود ولو حز بالسيف واحرق بالنار وعن ابن السماك ان تنصب الذنب
الذي اقللت فيه الحياء من الله امام عينك وتستعد لمنتظرك وقيل توبة لا يتاب منها وعن السدي

لا يصح

لا يصح التوبة الا بنصيحة النفس والمومنين لان من صحت توبته احب ان يكون الناس
مثله وقيل نصوحا من نصاحة الثوب اي توبة ترفو خروقك في دينك وترم خللك وقيل
خالصة من قولهم عسل ناصح اذا خلص من الشمع ويجوز ان يراد توبة تنصح الناس اي تدعوهم
الى مثلها لظهور اثرها في صاحبها واستعماله الجد والعزيمة في العمل على مقتضياتها وقرا زيد
بن علي رضي الله عنهما توبا نصوحا وقرئ نصوحا بالضم وهو مصدر نصح والنصح والنصوح كالشكر
والشكور والكفر والكفور اي ذات نصوح او تنصح نصوحا او توبوا لنصح انفسكم على انه مفعول له
عسى ربكم ان يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار اطماع من الله لعباده
وفيه وجهان احدهما ان يكون على ما جرت به عادة الجبابرة من الاجابة بعسى ولعل ووقوع
ذلك منهم موقع القطع والبت والثاني ان يجيء به تعليما للعباد وجوب الترجح بين الخوف والرجاء
والذي يدل على المعنى الاول وانه في معنى البت قراءة ابن ابي عبلة ويدخلكم بالجزم عطفا على
محل عسى ان يكفر كانه قيل توبوا يوجب تكفير سيئاتكم ويدخلكم يوم لا يخزي الله النبي والذين
آمنوا معه يوم نصب بيدخلكم ولا يخزي تعريض بمن اخزاهم الله من اهل الكفر والفسق
واستحماد الى المومنين على انه عصمهم من مثل حالهم نورهم يسعى بين ايديهم وبايمانهم
يقولون ربنا اتمم لنا نورنا قال ابن عباس رضي الله عنهما يقولون ذلك اذا طفئ نور المنافقين
اشفاقا وعن الحسن رحمه الله الله متممه لهم ولكنهم يدعون تقربا الى الله كقوله واستغفر
لذنبك وهو مغفور له وقيل يقوله ادناهم منزلة لانهم يعطون من النور قدر ما يبصرون مواطئ
اقدامهم لان النور على قدر الاعمال فيسالون اتمامه تفضلا لهم وقيل السابقون الى
الجنة يمرون مثل البرق على الصراط وبعضهم كالريح وبعضهم حبوا وزحفا فاولئك الذين
يقولون ربنا اتمم لنا نورنا **فان قلت** كيف يشفقون والمومنون آمنون امن ياتي آمنا
يوم القيامة لا خوف عليهم لا يحزنهم الفزع الاكبر او كيف يتقربون وليست الدار دار تقرب
قلت اما الاشفاق فيجوز ان يكون على عادة البشرية وان كانوا معتقدين للامن واما

للتقريب فلما كانت حالهم كحال المتبوعين حيث يطلبون ما هو حاصل لهم من الرحمة سمي تقربا واغفر
لنا انك على كل شيء قدير يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وماواهم جهنم وبئس
المصير جاهد الكفار بالسيف والمنافقين بالاحتجاج واستعمل الغلظة والخشونة على الفريقين
فيما تجاهدهما به من القتال والمحاجة وعن قتادة مجاهدة المنافقين باقامة الحدود عليهم وعن مجاهد
بالوعيد وقيل بافشاء اسرارهم ضرب الله مثلا للذين كفروا امراة نوح وامراة لوط كانتا
تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيا وقيل ادخلا النار مع
الداخلين مثل الله عز وجل حال الكفار في انهم يعاقبون على كفرهم وعداوتهم للمومنين معاقبة
مثلهم من غير ابقاء ولا محاباة ولا ينفعهم مع عداوتهم لهم ما كان بينهم وبينهم من لحمة نسب او
وصلة صهر لان عداوتهم لهم وكفرهم بالله ورسوله قطع العلائق وبت الوصل وجعلهم ابعد
من الاجانب وابعد وان كان المومن الذي يتصل به الكافر نبيا من انبياء الله بحال امراة
نوح وامراة لوط لما نافقتا وخانتا الرسولين لم يغن الرسولان عنهما بحق ما بينهما وبينهما من
وصلة الزواج اغناء ما من عذاب الله وقيل لهما عند موتهما او يوم القيامة ادخلا النار مع
الداخلين الذين لا وصلة بينهم وبين الانبياء او مع داخليها من اخوانكما من قوم نوح وقوم
لوط وضرب الله مثلا للذين امنوا امراة فرعون رب ابن لي عندك بيتا في الجنة ونجني
من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين ومريم ابنت عمران التي احصنت فرجها فنفخنا
فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين مثل حال المومنين في
ان وصلة الكافرين لا تضرهم ولا تنقص شيا من ثوابهم وزلفاهم عند الله بحال امراة
فرعون ومنزلتها عند الله مع كونها زوجة اعدى اعداء الله الناطق بالكلمة العظمى ومريم
ابنة عمران وما اوتيت من كرامة الدنيا والاخرة والاصطفاء على نساء العالمين مع ان قومها
كانوا كفارا وفي طي هذين التمثيلين تعريض بامي المومنين المذكورتين في اول السورة وما
فرط منهما من التظاهر على رسول الله صلى الله عليه وسلم بما كرهه وتحذير لهما على اغلظ وجه واشده
لما

لما في التمثيل من ذكر الكفر ونحوه في التغليظ قوله ومن كفر فان الله غني عن العالمين واشارة
الى ان من حقهما ان تكونا في الاخلاص والكمال فيه كمثل هاتين المومنتين وان لا تتكلا على انهما
زوجا رسول الله صلى الله عليه وسلم فان ذلك الفضل لا ينفعهما الا مع كونهما مخلصتين والتعريض
بحفصة ارجح لان امراة لوط عليه السلم افشت عليه كما افشت حفصة على رسول الله صلى الله عليه
وسلم واسرار التنزيل ورموزه في كل باب بالغة من اللطف والخفاء حدا يدق عن تفطن العالم
ويزل عن تبصره **فان قلت** ما فائدة قوله من عبادنا **قلت** لما كان مبنى التمثيل
على وجود الصلاح في الانسان كائنا من كان وانه وحده هو الذي يبلغ به الفوز وينال ما عند
الله قال عبدين من عبادنا صالحين فذكر النبيين المشهورين العلمين بانهما عبدان لم يكونا الا
كسائر عبادنا من غير تفاوت بينهما وبينهم الا بالصلاح وحده اظهارا وابانة لان عبدا من العباد
لا يرجح عنده الا بالصلاح لا غير وان ما سواه مما يرجح به الناس عند الناس ليس بسبب للرجحان
عنده **فان قلت** ما كانت خيانتهما **قلت** نفاقهما وابطانهما الكفر وتظاهرهما على
الرسولين فامراة نوح قالت لقومه انه مجنون وامراة لوط دلت على ضيفانه ولا يجوز ان يراد
بالخيانة الفجور لانه سمج في الطباع نقيصة عند كل احد بخلاف الكفر فان الكفار لا يستسمجونه
بل يستحسنونه ويسمونه حقا وعن ابن عباس رضي الله عنهما ما بغت امراة نبي قط وامراة فرعون
آسية بنت مزاحم وقيل هي عمة موسى عليه السلم حين سمعت بتلقف عصا موسى الافك فالان
فعذبها فرعون عن ابي هريرة رضي الله عنه ان فرعون وتد امراته باربعة اوتاد واستقبل
بها الشمس واضجعها على ظهرها ووضع رحى على صدرها وقيل امر بان يلقى عليها صخرة
عظيمة فدعت الله فرقي بروحها فالقيت الصخرة على جسد لا روح فيه وعن الحسن فنجاها
الله اكرم نجاة فرفعها الى الجنة فهي تاكل وتشرب وتتنعم فيها وقيل لما قالت رب ابن لي اريت
بيتها في الجنة يبنى وقيل انه من درة وقيل كانت تعذب في الشمس فتظلها الملايكة
فان قلت ما معنى الجمع بين عندك وفي الجنة **قلت** طلبت القربة من رحمة الله والبعد

من عذاب اعدايه ثم بينت مكان القرب بقولها في الجنة او ارادت ارتفاع الدرجة في الجنة
وان تكون جنتها من الجنان التي هي اقرب الى العرش وهي جنات الماوى فعبرت عن القرب
الى العرش بقولها عندك من فرعون وعمله من عمل فرعون او من نفس فرعون الخبيثة وسلطانه
الغشوم وخصوصا من عمله وهو الكفر وعبادة الاصنام والظلم والتعذيب بغير جرم
ونجني من القوم الظالمين من القبط كلهم وفيه دليل على ان الاستعاذة بالله والالتجا اليه
ومسلة الخلاص منه عند المحن والنوازل من سير الصالحين وسنن الانبياء فافتح بيني
وبينهم فتحا ونجني ومن معي من المومنين ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين فيه في الفرج
وقرا ابن مسعود رضي الله عنه فيها كما قرى في سورة الانبياء والضمير للجملة وقد مر لي في هذا
الظرف كلام ومن بدع التفاسير ان الفرج هو جيب الدرع ومعنى احصنته منعته جبريل
وانه جمع في التمثيل بين التي لها زوج والتي لا زوج لها تسلية للارامل وتطييبا لانفسهن
وصدقت قرى بالتشديد والتخفيف على انها جعلت الكلمات والكتب صادقة يعني وصفتها
بالصدق وهو معنى التصديق بعينه فان قلت فما كلمات الله وكتبه قلت يجوز ان
يراد بكلماته صحفه التي انزلها على ادريس وغيره سماها كلمات لقصرها وبكتبه الكتب الاربعة
وان يراد جميع ما كلم الله به ملايكته وغيرهم وجميع ما كتبه في اللوح وغيره وقرى بكلمة
الله وكتابه اي بعيسى والكتاب المنزل عليه وهو الانجيل فان قلت لم قيل من القانتين
على التذكير قلت لان القنوت صفة تشمل من قنت من القبيلين فغلب ذكوره على
اناثه ومن للتبعيض ويجوز ان يكون لابتداء الغاية على انها ولدت من القانتين لانها من
اعقاب هرون اخي موسى عليهما السلم وعن النبي صلى الله عليه وسلم كمل من الرجال كثير ولم
يكمل من النساء الا اربع آسية بنت مزاحم امراة فرعون ومريم ابنة عمران وخديجة بنت خويلد
وفاطمة بنت محمد وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام واما ما روي
ان عائشة رضي الله عنها سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف سمى الله المسلمة تعني مريم
عليها السلم

السلم ولم يسم الكافرة فقال بغضا لها قالت فما اسمها قال اسم امراة نوح واعلة واسم امراة لوط
واهلة فحديث اثر الصنعة عليه ظاهر بين ولقد سمى الله جماعة من الكفار باسمايهم وكناهم ولو كانت
التسمية للحب وتركها للبغض لسمى آسية وقد قرن بينها وبين مريم في التمثيل للمومنين وابى الله الا
ان يجعل للمصنوع امارة تنم عليه وكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم احكم واسلم من ذلك عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة التحريم آتاه الله توبة نصوحا

سورة الملك مكية وهي ثلثون آية

بسم الله الرحمن الرحيم تبارك تعالى وتعاظم عن صفات المخلوقين
الذي بيده الملك على كل موجود وهو على كل شيء قدير على كل ما لم يوجد مما يدخل تحت القدرة و
اي الذي له الملك
ذكر اليد مجاز عن الاحاطة بالملك والاستيلاء عليه الذي خلق الموت والحيوة ليبلوكم ايكم
احسن عملا الحيوة ما يصح بوجوده الاحساس وقيل ما يوجب كون الشيء حيا وهو الذي يصح
اي ليختبركم اي صدق
اي بكم اتم فريضة
منه ان يعلم ويقدر والموت عدم ذلك فيه ومعنى خلق الموت والحيوة ايجاد ذلك المصحح و
اعدامه والمعنى خلق موتكم وحيوتكم ايها المكلفون ليبلوكم وسمى علم الواقع منهم باختيارهم بلوى
وهي الخبرة استعارة من فعل المختبر فان قلت من اين تعلق قوله ايكم احسن عملا بفعل البلوى
قلت من حيث انه تضمن معنى العلم فكانه قيل ليعلمكم ايكم احسن عملا واذا قلت علمته
ازيد احسن عملا ام هو كانت هذه الجملة واقعة موقع الثاني من مفعوليه كما تقول علمته هو احسن
عملا فان قلت اتسمي هذا تعليقا قلت لا انما التعليق ان توقع بعده ما يسد مسد
المفعولين جميعا كقولك علمت ايهما عمرو وعلمت ازيد منطلق الا ترى انه لا فصل بعد سبق
احد المفعولين بين ان يقع ما بعده مصدرا بحرف الاستفهام وغير مصدر به ولو كان تعليقا
لافترقت الحالتان كما افترقتا في قولك علمت ازيد منطلق وعلمت زيدا منطلقا احسن عملا
قيل اخلصه واصوبه لانه اذا كان خالصا غير صواب لم يقبل وكذلك اذا كان صوابا غير خالص
فالخالص ان يكون لوجه الله والصواب ان يكون على السنة وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه تلاها

على كل ما لم يوجد مما يدخل تحت القدرة وذكر اليد مجاز عن الملك والاستيلاء

واحس الشيء وجد حسه الاخفش احس معناه ظن ووجد الحس والصوت الخفي صحا

فلما بلغ قوله ايكم احسن عملا قال ايكم احسن عقلا واورع عن محارم الله واسرع في طاعة الله
يعني ايكم اتم عقلا عن الله وفهما لاغراضه والمراد انه اعطاكم الحيوة التي تقدرون بها على
العمل وتستمكنون منه وسلط عليكم الموت الذي هو داعيكم الى اختيار العمل الحسن على القبيح
لان وراءه البعث والجزاء الذي لا بد منه وقدم الموت على الحيوة لان اقوى الناس داعيا الى
العمل من نصب موته بين عينيه فقدم لانه فيما يرجع الى الغرض المسوق له الاية اهم وهو العزيز
الغالب الذي لا يعجزه من اساء العمل الغفور لمن تاب من اهل الاساءة الذي خلق سبع سماوات
طباقا مطابقة بعضها فوق بعض من طابق النعل اذا خصفها طبقا على طبق وهذا وصف
بالمصدر او على ذات طباق او على طوبقت طباقا ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت وقرئ من
تفوت ومعنى البنائين واحد كقولهم تظاهروا من نسائهم وتظهروا وتعاهدته وتعهدته اي
من اختلاف واضطراب في الخلقة ولا تناقض انما هي مستوية مستقيمة وحقيقة التفاوت عدم
التناسب كان بعض الشيء يفوت بعضا ولا يلائمه ومنه قولهم خلق متفاوت وفي نقيضه متناصف
فان قلت كيف موقع هذه الجملة مما قبلها قلت هي صفة مشايعة لقوله طباقا
واصلها ما ترى فيهن من تفاوت فوضع مكان الضمير قوله خلق الرحمن تعظيما لخلقهن وتنبيها
على سبب سلامتهن من التفاوت وهو انه خلق للرحمن وانه بباهر قدرته هو الذي يخلق مثل
ذلك الخلق المتناسب والخطاب في ما ترى للرسول او لكل مخاطب وقوله فارجع البصر متعلق به
على معنى التسبب اخبره بانه لا تفاوت في خلقهن ثم قال فارجع البصر حتى يصح عندك ما اخبرت
به بالمعاينة ولا تبقى معك شبهة فيه هل ترى من فطور من صدوع وشقوق جمع فطر وهو الشق
يقال فطره فانفطر ومنه فطر ناب البعير كما يقال شق وبزل ومعناه شق اللحم فطلع ثم
ارجع البصر كرتين امره بتكرير البصر فيهن متصفحا ومتتبعا تلتمس عيبا وخللا ينقلب اليك البصر
خاسئا وهو حسير اي ان رجعت البصر وكررت النظر لم يرجع اليك بصرك بما التمسته من رؤية
الخلل وادراك العيب بل يرجع اليك بالخسوء والحسور اي بالبعد عن اصابة الملتمس كانه يطرد
عن

الصغار

اي العجز
اي الثقل
اي المنقطع

عن ذلك طردا بالصغار والقماءة وبالاعياء والكلال لطول الاجالة والترديد فان قلت كيف
ينقلب البصر خاسئا حسيرا برجعة كرتين اثنتين قلت معنى التثنية التكرير بكثرة كقولهم
لبيك وسعديك تريد اجابات كثيرة بعضها في اثر بعض وقولهم في المثل دهدرين سعد القين
من ذلك اي باطلا بعد باطل فان قلت فما معنى ثم ارجع قلت امره برجع البصر
ثم امره بان لا يقتنع بالرجعة الاولى وبالنظرة الحمقاء وان يتوقف بعدها ويجم بصره ثم يعاود
ويعاود الى ان يحسر بصره من طول المعاودة فانه لا يعثر على شيء من فطور ولقد زينا السماء
الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين الدنيا القربى لانها اقرب السماوات الى الناس ومعناها
السماء الدنيا منكم والمصابيح السرج سميت بها الكواكب والناس يزينون مساجدهم ودورهم
باثقاب المصابيح فقيل ولقد زينا سقف الدار التي اجتمعتم فيها بمصابيح اي باي مصابيح لا
توازيها مصابيح اضاءة وضممنا الى ذلك منافع اخر انا جعلناها رجوما لاعدائكم الشياطين الذين
يخرجونكم من النور الى الظلمات وتهتدون بها في ظلمات البر والبحر قال قتادة خلق الله النجوم
لثلاث زينة للسماء ورجوما للشياطين وعلامات يهتدى بها فمن تاول فيها غير ذلك فقد تكلف
ما لا علم له به وعن محمد بن كعب والله ما لاحد من اهل الارض في السماء نجم ولكنهم يبتغون الكهانة
ويتخذون النجوم علة والرجوم جمع رجم وهو مصدر سمي به ما يرجم به ومعنى كونها مراجم للشياطين
ان الشهب التي تنقض لرمي المسترقة منهم منفصلة من نار الكواكب لا انهم يرجمون بالكواكب
انفسها لانها قارة في الفلك على حالها وما ذاك الا كقبس يؤخذ من نار والنار ثابتة كاملة لا
تنقص وقيل من الشياطين المرجومة من يقتله الشهاب ومنهم من يخبله وقيل معناه
وجعلناها ظنونا ورجوما بالغيب لشياطين الانس وهم النجامون واعتدنا لهم عذاب السعير
في الاخرة بعد الاحراق بالشهب في الدنيا وللذين كفروا بربهم عذاب جهنم وبئس المصير اي ولكل
من كفر بالله من الشياطين وغيرهم عذاب جهنم ليس الشياطين المرجومون مخصوصين بذلك
وقرئ عذاب جهنم بالنصب عطفا على عذاب السعير اذا القوا فيها اي طرحوا كما يطرح الحطب

في النار العظيمة ويرمى به ومثله قوله حصب جهنم سمعوا لها شهيقا اما لاهلها ممن تقدم
طرحهم فيها ومن انفسهم كقوله لهم فيها زفير وشهيق واما للنار تشبيها لحسيسها المنكر الفظيع
بالشهيق وهي تفور تغلي بهم غليان المرجل بما فيه تكاد تميز من الغيظ جعلت كالمغتاظة عليهم
لشدة غليانها بهم ويقولون فلان يتميز غيظا ويتقصف غضبا وغضب فطارت منه شقة
في الارض وشقة في السماء اذا وصفوه بالافراط فيه ويجوز ان يراد غيظ الزبانية كلما القي فيها
فوج سالهم خزنتها الم ياتكم نذير توبيخ يزدادونه عذابا الى عذابهم وحسرة الى حسرتهم وخزنتها
مالك واعوانه من الزبانية قالوا بلى قد جانا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شي ان انتم الا
في ضلال كبير قالوا بلى اعتراف منهم بعدل الله واقرار بان الله عز وجل ازاح عللهم ببعثة الرسل
وانذارهم ما وقعوا فيه وانهم لم يوتوا من قدره كما تزعم المجبرة وانما اوتوا من قبل انفسهم
واختيارهم خلاف ما اختار الله وامر به واوعد على ضده فان قلت ان انتم الا في ضلال كبير
من المخاطبون به قلت هو من جملة قول الكفار وخطابهم للمنذرين على ان النذير
بمعنى الانذار والمعنى الم ياتكم اهل نذير او وصف منذروهم لغلوهم في الانذار كانهم ليسوا الا
انذارا وكذلك قد جانا نذير ونظيره قوله انا رسول رب العالمين اي حاملا رسالته ويجوز ان يكون
من كلام الخزنة للكفار على ارادة القول ارادوا حكاية ما كانوا عليه من ضلالهم في الدنيا او
ارادوا بالضلال الهلاك او سموا عقاب الضلال باسمه او من كلام الرسل لهم حكوه للخزنة اي قالوا
لنا هذا فلم نقبله قالوا لو كنا نسمع او نعقل ما كنا في اصحاب السعير لو كنا نسمع الانذار سماع طالبين
للحق او نعقله عقل متاملين وقيل انما جمع بين السمع والعقل لان مدار التكليف على ادلة
السمع والعقل ومن بدع التفاسير ان المراد لو كنا على مذهب اصحاب الحديث او على مذهب
اصحاب الراي كان هذه الاية نزلت بعد ظهور هذين المذهبين وكان سائر اصحاب المذاهب
والمجتهدين قد انزل الله وعيدهم وكان من كان من هولاء فهو من الناجين لا محالة وعدة
المبشرين من الصحابة عشرة لم يضم اليهم حادي عشر وكان من يجوز على الصراط اكثرهم لم يسمعوا باسم
هذين

الفريقين فاعترفوا بذنبهم بكفرهم في تكذيبهم الرسل فسحقا لاصحاب السعير اي فبعدا لهم اعترفوا
او جحدوا فان ذلك لا ينفعهم ان الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة واجر كبير واسروا قولكم او
اجهروا به ظاهره الامر باحد الامرين الاسرار والاجهار ومعناه ليستو عندكم اسراركم واجهاركم في
علم الله بهما ثم علله بانه عليم بذات الصدور اي بضمايرها قبل ان يترجم الالسنة عنها فكيف لا يعلم
ما تكلم به الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ثم انكر ان لا يحيط علما بالمضمر والمسر والمجهر من خلق
الاشياء وحاله انه اللطيف الخبير المتوصل علمه الى ما ظهر من خلقه وما بطن ويجوز ان يكون من
خلق منصوبا بمعنى الا يعلم مخلوقه وهذه حاله وروي ان المشركين كانوا يتكلمون فيما بينهم باشياء
فيظهر الله رسوله عليها فيقولون اسروا قولكم لئلا يسمعه اله محمد فنبه الله على جهلهم فان قلت
قدرت في الا يعلم مفعولا على معنى الا يعلم ذلك المذكور مما اضمر في القلب واظهر باللسان من خلق
فهلا جعلته مثل قولهم هو يعطي ويمنع وهلا كان المعنى الا يكون عالما من هو خالق لان الخلق لا يصح
الا مع العلم قلت ابت ذلك الحال التي هي قوله وهو اللطيف الخبير لانك لو قلت الا يكون عالما
من هو خالق وهو اللطيف الخبير لم يكن معنى صحيحا لان الا يعلم معتمد على الحال والشي لا يوقت بنفسه
فلا يقال الا يعلم وهو عالم ولكن الا يعلمه كذا وهو عالم بكل شي هو الذي جعل لكم الارض ذلولا
فامشوا في مناكبها المشي في مناكبها مثل لفرط التذليل ومجاوزته الغاية لان المنكبين وملتقاهما
من الغارب ارق شي من البعير وانباه عن ان يطاه الراكب بقدمه ويعتمد عليه فاذا جعلها في
الذل بحيث يمشي في مناكبها لم يترك وقيل مناكبها جبالها قال الزجاج معناه سهل لكم السلوك فيها
فاذا امكنكم السلوك في جبالها فهو ابلغ التذليل وقيل جوانبها وكلوا من رزقه واليه النشور
والمعنى واليه نشوركم فهو مسايلكم عن شكر ما انعم به عليكم ءامنتم من في السماء ان يخسف بكم الارض
فاذا هي تمور ام امنتم من في السماء ان يرسل عليكم حاصبا من في السماء فيه وجهان احدهما من
ملكوته في السماء لانها مسكن ملائكته وثم عرشه وكرسيه واللوح المحفوظ ومنها ينزل قضاياه وكتبه
واوامره ونواهيه والثاني انهم كانوا يعتقدون التشبيه وانه في السماء وان الرحمة والعذاب

ينزلان منه وكانوا يدعونه من جهتها فقيل لهم على حسب اعتقادهم أأمنتم من تزعمون انه
في السماء وهو متعال عن المكان أن يعذبكم بخسف او بحاصب كما تقول لبعض المشبهة اما
تخاف من فوق العرش ان يعاقبك بما تفعل اذا رايته يركب بعض المعاصي فستعلمون قرئ
بالياء والتاء كيف نذير اي اذا رأيتم المنذر به علمتم كيف انذاري حين لا ينفعكم العلم ولقد كذب
الذين من قبلهم فكيف كان نكير اولم يروا الى الطير فوقهم صافات باسطات اجنحتهن في الجو
عند طيرانها لانهن اذا بسطنها صففن قوادمها صفا ويقبضن ويضممنها اذا ضربن بها جنوبهن
فان قلت لم قيل ويقبضن ولم يقل وقابضات قلت لان اصل الطيران هو صف الاجنحة
لان الطيران في الهواء كالسباحة في الماء والاصل في السباحة مد الاطراف وبسطها واما القبض فطارئ
على البسط للاستظهار به على التحرك فجيء بما هو طارئ غير اصل بلفظ الفعل على معنى انهن صافات و
يكون منهن القبض تارة بعد تارة كما يكون من السابح ما يمسكهن الا الرحمن بقدرته وبما دبر لهن من القوادم
والخوافي وبنى الاجسام على شكل وخصائص قد تاتي منها الجري في الجو انه بكل شيء بصير يعلم كيف
يخلق ويدبر العجائب ام من يشار اليه من الجموع ويقال هذا الذي هو جند لكم ينصركم من دون
الرحمن ان ارسل عليكم عذابه ام من يشار اليه ويقال هذا الذي يرزقكم ان امسك رزقه وهذا على
التقدير ويجوز ان يكون اشارة الى جمع الاوثان لاعتقادهم انهم يحفظون من النوائب ويرزقون ببركة
آلهتهم فكانهم الجند الناصر والرازق ونحوه قوله تعالى ام الهة تمنعهم من دوننا بل لجوا في عتو ونفور
بل تمادوا في عناد وشراد عن الحق لثقله عليهم فلم يتبعوه افمن يمشي مكبا على وجهه اهدى ام من يمشي
سويا على صراط مستقيم يجعل اكب مطاوع كبه ويقال كببته فاكب من الغرائب والشواذ ونحوه
قشعت الريح السحاب فاقشع وما هو كذلك ولا شيء من بناء افعل مطاوعا ولا يتقن نحو هذا الا حملة
كتاب سيبويه رحمه الله وانما اكب من باب انفض والام ومعناه دخل في الكب وصار ذا كب وكذلك اقشع
السحاب دخل في القشع ومطاوع كب وقشع انكب وانقشع فان قلت ما معنى يمشي مكبا
على وجهه وكيف قابل يمشي سويا على صراط مستقيم قلت معناه يمشي معتسفا في مكان متعاد

غير مستو فيه انخفاض وارتفاع فيعثر كل ساعة فيخر على وجهه منكبا فحاله نقيض حال من يمشي
سويا اي قائما سالما من العثور والخرور او مستوي الجهة قليل الانحراف خلاف المعتسف الذي ينحرف
هكذا وهكذا على طريق مستو ويجوز ان يريد الاعمى الذي لا يهتدي الى الطريق فيعتسف فلا يزال ينكب على
وجهه وانه ليس كالرجل السوي الصحيح البصر الماشي في الطريق المهتدي له وهو مثل للمؤمن والكافر
وعن قتادة الكافر اكب على معاصي الله فحشره الله يوم القيامة على وجهه وعن الكلبي عني به ابو جهل
ابن هشام وبالسوي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل حمزة بن عبد المطلب قل هو الذي ذرأكم
في الارض واليه تحشرون ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين قل انما العلم عند الله وانما
انا نذير مبين فلما راوه زلفة الضمير للوعد والزلفة القرب وانتصابها على الحال او الظرف اي
راوه ذا زلفة او مكانا ذا زلفة سيئت وجوه الذين كفروا اي ساءت رؤية الوعد وجوههم بان
علتها الكآبة وغشيها الكسوف والقترة وكلحوا وكما يكون وجه من يقاد الى القتل او يعرض على
بعض العذاب وقيل القائلون الزبانية هذا الذي كنتم به تدعون تفتعلون من الدعاء اي تطلبون
وتستعجلون به وقيل هو من الدعوى اي كنتم بسببه تدعون انكم لا تبعثون وقرئ تدعون وعن
بعض الزهاد انه تلاها في اول الليل في صلوته فبقي يكررها وهو يبكي الى ان نودي لصلوة الفجر ولعمري
انها لوقاذة لمن تصور تلك الحالة وتأملها قل ارايتم ان اهلكني الله ومن معي او رحمنا فمن يجير الكافرين
من عذاب اليم كان كفار مكة يدعون على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى المؤمنين بالهلاك
فامر بان يقول لهم نحن مؤمنون متربصون لاحدى الحسنيين اما ان نهلك كما تتمنون فننقلب الى
الجنة او نرحم بالنصرة والادالة للاسلام كما نرجو فانتم ما تصنعون من يجيركم وانتم كافرون من عذاب
النار لا بد لكم منه يعني انكم تطلبون لنا الهلاك الذي هو استعجال للفوز والسعادة وانتم في امر هو
الهلاك الذي لا هلاك بعده وانتم غافلون لا تطلبون الخلاص منه او ان اهلكنا الله بالموت فمن يجيركم
بعد موت هداتكم والآخذين بحجزكم من النار وان رحمنا بالامهال والغلبة عليكم وقتلكم فمن يجيركم
فان المقتول على ايدينا هالك او ان اهلكنا الله في الآخرة بذنوبنا ونحن له مسلمون فمن يجير الكافرين

وهم اولى بالهلاك لكفرهم وان رحمنا بالايمان فمن يجير من لا ايمان له قل هو الرحمن آمنا به وعليه توكلنا
فستعلمون من هو في ضلال مبين فان قلت لم اخر مفعول آمنا وقدم مفعول توكلنا قلت
لوقوع آمنا تعريضا بالكافرين حين ورد عقيب ذكرهم كانه قيل آمنا ولم نكفر كما كفرتم ثم قال وعليه
توكلنا خصوصا لم نتكل على ما انتم متكلون عليه من رجالكم واموالكم قل ارايتم ان اصبح ماؤكم غورا فمن ياتيكم
بماء معين غورا غائرا ذاهبا في الارض وعن الكلبي لا تناله الدلاء وهو وصف بالمصدر كعدل ورضى
وعن بعض الشطار انها تليت عنده فقال تجيء به الفؤوس والمعاول فذهب ماء عينيه نعوذ
بالله من الجراءة على الله وعلى آياته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الملك فكانما احيى ليلة القدر

سورة ن مكية وهي ثنتان وخمسون اية

بسم الله الرحمن الرحيم ن والقلم قرئ نون والقلم بالبيان والادغام
وبسكون النون وفتحها وكسرها كما في صاد والمراد هذا الحرف من حروف المعجم واما قولهم هو الدواة
فما ادري اهو وضع لغوي ام شرعي ولا يخلو اذا كان اسما للدواة من ان يكون جنسا او علما فان
كان جنسا فاين الاعراب والتنوين وان كان علما فاين الاعراب وايهما كان فلا بد له من موقع
في تاليف الكلام فان قلت هو مقسم به وجب ان كان جنسا ان تجره وتنونه ويكون القسم بدواة
منكرة مجهولة كانه قيل ودواة والقلم وان كان علما ان تصرفه وتجره او لا تصرفه وتفتحه
للعلمية والتانيث وكذلك التفسير بالحوت اما ان يراد نون من النينان او يجعل علما
لليهموت الذي يزعمون والتفسير باللوح من نور او ذهب والنهر في الجنة نحو ذلك واقسم
بالقلم تعظيما له لما في خلقه وتسويته من الدلالة على الحكمة العظيمة ولما فيه من المنافع والفوائد
التي لا يحيط بها الوصف وما يسطرون وما يكتب من كتب وقيل ما يسطر الحفظة وما موصولة او مصدرية
ويجوز ان يراد بالقلم اصحابه فيكون الضمير في يسطرون لهم كانه قيل واصحاب القلم ومسطوراتهم او
وسطرهم ويراد بهم كل من يسطر او الحفظة ما انت بنعمة ربك بمجنون فان قلت بم يتعلق الباء
في بنعمة ربك وما محله قلت يتعلق بمجنون منفيا كما يتعلق به مثبتا في قولك انت بنعمة
الله

عاقلا مستويا في ذلك الاثبات والنفي استواء واحدا في قولك ضرب زيد عمرا وما ضرب زيد
عمرا تعمل الفعل مثبتا ومنفيا اعمالا واحدا ومحله النصب على الحال كانه قال ما انت بمجنون منعما
عليك بذلك ولم تمنع الباء ان يعمل مجنون فيما قبله لانها زائدة لتاكيد النفي والمعنى استبعاد ما
كان ينسبه اليه كفار مكة عداوة وحسدا وانه من انعام الله عليه بحصافة العقل والشهامة
التي يقتضيها التاهيل للنبوة بمنزل وان لك على احتمال ذلك واساغة الغصة فيه والصبر عليه
لاجرا لثوابا غير ممنون غير مقطوع كقوله عطاء غير مجذوذ او غير ممنون عليك لانه ثواب
تستوجبه على عملك وليس بتفضل ابتداء وانما تمن الفواضل لا الاجور على الاعمال وانك لعلى
خلق عظيم استعظم خلقه لفرط احتماله الممضات من قومه وحسن مخالقته ومداراته لهم وقيل
هو الخلق الذي امره الله به في قوله خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين وعن عائشة
رضي الله عنها ان سعد بن هشام سالها عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت كان خلقه
القرآن الست تقرا القرآن قد افلح المؤمنون فستبصر ويبصرون بايكم المفتون المجنون لانه فتن
اي محن بالجنون او لان العرب يزعمون انه من تخبيل الجن وهم الفتان للفتاك منهم والباء مزيدة
او المفتون مصدر كالمعقول والمجلود اي بايكم الجنون او باي الفريقين منكم المجنون ابفريق المؤمنين
ام بفريق الكافرين اي في ايهما يوجد من يستحق هذا الاسم وهو تعريض بابي جهل بن هشام والوليد بن
المغيرة واضرابهما وهذا كقوله سيعلمون غدا من الكذاب الاشر ان ربك هو اعلم بمن ضل
عن سبيله بالمجانين على الحقيقة وهم الذين ضلوا عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين وهو اعلم بالعقلاء
وهم المهتدون او يكون وعيدا ووعدا وانه اعلم بجزاء الفريقين فلا تطع المكذبين تهييج والهاب
للتصميم على معاصاتهم وكانوا قد ارادوه على ان يعبد الله مدة وآلهتهم مدة ويكفوا عنه غوائلهم
ودوا لو تدهن فيدهنون لو تلين وتصانع فيدهنون فان قلت لم رفع فيدهنون ولم ينصب باضمار
ان وهو جواب التمني قلت قد عدل به الى طريق آخر وهو ان جعل خبر مبتدا محذوف اي
فهم يدهنون كقوله فمن يؤمن بربه فلا يخاف على معنى ودوا لو تدهن فهم يدهنون حينئذ او ودوا

ادهانك فهم الآن يدهنون لطمعهم في ادهانك قال سيبويه وزعم هرون انها في بعض المصاحف
ودوا لو تدهن فيدهنوا ولا تطع كل حلاف كثير الحلف في الحق والباطل وكفى به مزجرة
لمن اعتاد الحلف ومثله قوله تعالى ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم مهين من المهانة وهي
القلة والحقارة يريد القلة في الراي والتمييز او اراد الكذاب لانه حقير عند الناس هماز عياب
طعان وعن الحسن يلوي شدقيه في اقفية الناس مشاء بنميم مضرب نقال للحديث من قوم
الى قوم على وجه السعاية والافساد بينهم والنميم والنميمة السعاية وانشدني بعض العرب
تشبّبي تشبّب النميمة تمشي بها زهرا الى تميمه مناع للخير بخيل والخير المال او مناع
اهله الخير وهو الاسلام فذكر الممنوع منه دون الممنوع كانه قال مناع من الخير قيل هو
الوليد بن المغيرة المخزومي كان موسرا وكان له عشرة من البنين وكان يقول لهم وللحمته من
اسلم منكم منعته رفدي عن ابن عباس رضي الله عنهما وعنه رضي الله عنه انه ابو جهل وعن مجاهد
الاسود بن عبد يغوث وعن السدي الاخنس بن شريق اصله في ثقيف وعداده في زهرة
ولذلك قيل زنيم معتد مجاوز في الظلم حده اثيم كثير الآثام عتل غليظ جاف من عتله اذا
قاده بعنف وغلظة بعد ذلك بعد ما عد له من المثالب والنقايص زنيم دعي قال حسان
وانت زنيم نيط في آل هاشم كما نيط خلف الراكب القدح الفرد وكان الوليد دعيا في القريش
ليس من سنخهم ادعاه ابوه بعد ثماني عشرة سنة من مولده وقيل بغت امه ولم يعرف حتى نزلت
هذه الاية جعل جفاه ودعوته اشد معايبه لانه اذا جفا وغلظ طبعه قسا قلبه واجترا
على كل معصية ولان الغالب ان النطفة اذا خبثت خبث الناشئ منها ومن ثم قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة ولد الزنا ولا ولده ولا ولد ولده وبعد ذلك نظر ثم في قوله
كان من الذين آمنوا وقرا الحسن عتل رفعا على الذم وهذه القراءة تقوية لما يدل عليه بعد
ذلك والزنيم من الزنمة وهي الهنة من جلد الماعزة تقطع فتخلى معلقة في حلقها لانه
زيادة معلقة بغير اهله ان كان ذا مال وبنين متعلق بقوله ولا تطع يعني ولا تطعه مع هذه المثالب

لان

لان كان ذا مال اي ليساره وحظه من الدنيا ويجوز ان يتعلق بما بعده على معنى لكونه متمولا
مستظهرا بالبنين كذب آياتنا ولا يعمل فيه قال الذي هو جواب اذا لان ما بعد الشرط لا يعمل فيما
قبله ولكن ما دلت عليه الجملة من معنى التكذيب وقرئ أأن كان على الاستفهام على ألان كان
ذا مال كذب او اتطيعه لان كان ذا مال وروى الزبيري عن نافع إن كان بالكسر والشرط للمخاطب
اي لا تطع كل حلاف شارطا يساره لانه اذا اطاع الكافر لغناه فكانه اشترط الطاعة في الغنى
ونحو صرف الشرط الى المخاطب صرف الترجي اليه في قوله لعله يتذكر سنسمه على الخرطوم الوجه
اكرم موضع في الجسد والانف اكرم موضع من الوجوه لتقدمه ولذلك جعلوه مكان العز والحمية
واستقوا منه الانفة وقالوا الانف في الانف وحمى انفه وفلان شامخ العرنين وقالوا في الذليل
جدع انفه ورغم انفه فعبر بالوسم على الخرطوم عن غاية الاذلال والاهانة لان السمة على الوجه
شين واذالة فكيف بها على اكرم موضع منه ولقد وسم العباس رضي الله عنه اباعره في وجوهها
فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اكرموا الوجوه فوسمها في جواعرها وفي لفظ الخرطوم استخفاف
به واستهانة وقيل معناه سنعلمه يوم القيامة بعلامة مشوهة يبين بها عن سائر الكفرة كما
عادى رسول الله صلى الله عليه وسلم عداوة بان بها عنهم وقيل خطم يوم بدر بالسيف فبقيت
سمة على خرطومه وقيل سنشهره بهذه الشتيمة في الدارين جميعا فلا تخفى كما لا تخفى السمة
على الخرطوم وعن النضر بن شميل ان الخرطوم الخمر وان معناه سنحده على شربها وهو تعسف
وقيل للخمر الخرطوم كما قيل لها السلافة وهي ما سلف من عصير العنب او لانها تطير في الخياشيم
انا بلوناهم انا بلونا اهل مكة بالقحط والجوع بدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم كما بلونا اصحاب
الجنة اذ اقسموا ليصرمنها مصبحين هم قوم من اهل الصلوة كانت
لابيهم هذه الجنة دون صنعاء بفرسخين وكان ياخذ منها قوت سنة ويتصدق بالباقي وكان
يترك للمساكين ما اخطاه المنجل وما في اسفل الاكداس وما اخطاه القطاف من العنب وما بقي
على البساط الذي يبسط تحت النخلة اذا صرمت ... يجتمع لهم شيء كثير فلما مات قال بنوه ان فعلنا

الامر

ما كان يفعل ابونا ضاق علينا الامر ونحن اولو عيال فحلفوا ليصرمنها مصبحين في السدف خفية
عن المساكين ولم يستثنوا في يمينهم فاحرق الله جنتهم وقيل كانوا من بني اسرائيل مصبحين
داخلين في الصبح مبكرين ولا يستثنون ولا يقولون ان شاء الله فان قلت لم سمي استثناء
وانما هو شرط قلت لانه يؤدي مؤدى الاستثناء من حيث ان معنى قولك لاخرجن ان
شاء الله ولا اخرج الا ان يشاء الله واحد فطاف عليها بلاء او هلاك طائف من ربك كقوله واحيط
بثمره وقرئ طيف وهم نائمون فاصبحت كالصريم فتنادوا مصبحين ان اغدوا على حرثكم ان
كنتم صارمين كالصريم كالمصرومة لهلاك ثمرها وقيل الصريم الليل اي احترقت فاسودت وقيل
النهار اي يبست وذهبت خضرتها او لم يبق فيها شيء من قولهم بيّض الاناء اذا فرّغه وقيل الصريم
الرمال صارمين حاصدين فان قلت هلا قيل اغدوا الى حرثكم وما معنى على قلت لما
كان الغدو اليه ليصرموه ويقطعوه كان غدوا عليه كما تقول غدا عليهم العدو ويجوز ان يضمن
الغدو معنى الاقبال كقولهم يغدى عليه بالجفنة ويراح اي فاقبلوا على حرثكم باكرين فانطلقوا
وهم يتخافتون يتسارون فيما بينهم وخفي وخفت وخفد ثلاثتها في معنى الكتم ومنه
الخفدود الخفاش ان لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين ان مفسرة وقرا ابن مسعود بطرحها باضمار
القول اي يتخافتون يقولون لا يدخلنها والنهي عن الدخول للمسكين نهي لهم عن تمكينه منه اي
لا تمكنوه من الدخول حتى يدخل كقولك لا ارينك ههنا وغدوا على حرد قادرين الحرد من حاردت
السنة اذا منعت خيرها وحاردت الابل اذا منعت درها والمعنى وغدوا قادرين على نكد
لا غير عاجزين عن النفع يعني انهم عزموا ان يتنكدوا على المساكين ويحرموهم وهم قادرون على
نفعهم فغدوا بحال فقر وذهاب مال لا يقدرون فيها الا على النكد والحرمان وذلك انهم طلبوا
حرمان المساكين فتعجلوا الحرمان والمسكنة او وغدوا على محاردة جنتهم وذهاب خيرها قادرين
بدل كونهم قادرين على اصابة خيرها ومنافعها اي غدوا حاصلين على الحرمان مكان الانتفاع
او لما قالوا اغدوا على حرثكم وقد خبثت نيتهم عاقبهم بان حاردت جنتهم وحرموا خيرها فلم يغدوا

على حرث وانما غدوا على حرد وقادرين من عكس الكلام للتهكم اي قادرين على ما عزموا
عليه من الصرام وحرمان المساكين وعلى حرد ليس بصلة قادرين وقيل الحرد بمعنى الحرد
وقرئ على حرد اي لم يقدروا الا على حنق وغضب بعضهم على بعض كقوله يتلاومون وقيل
الحرد القصد والسرعة يقال حردت حردك وقال اقبل سيل جاء من امر الله
يحرد حرد الجنة المغلة وقطا حراد سراع يعني وغدوا قاصدين الى جنتهم بسرعة ونشاط
قادرين عند انفسهم يقولون نحن نقدر على صرامها وزي منفعتها عن المساكين وقيل
حرد علم للجنة اي غدوا على تلك الجنة قادرين على صرامها عند انفسهم او مقدرين ان يتم
لهم مرادهم من الصرام والحرمان فلما راوها قالوا اول ما راوها بديهة وصولهم انا لضالون اي ضللنا
جنتنا وما هي بها لما راوا من هلاكها فلما تاملوا وعرفوا انها هي قالوا بل نحن محرومون حرمنا
خيرها لجنايتنا على انفسنا قال اوسطهم اعدلهم واخيرهم من قولهم هو من سطة قومه واعطني
من سطات مالك ومنه قوله تعالى امة وسطا الم اقل لكم لولا تسبحون لولا تذكرون الله وتتوبون
اليه من خبث نيتكم كان اوسطهم قال لهم حين عزموا على ذلك اذكروا الله وانتقامه من
المجرمين وتوبوا عن هذه العزيمة الخبيثة من فوركم وسارعوا الى حسم شرها قبل حلول
النقمة فعصوه فعيرهم والدليل عليه قوله قالوا سبحان ربنا انا كنا ظالمين فتكلموا بما كان
يدعوهم الى التكلم به على اثر مقارفة الخطيئة ولكن بعد خراب البصرة وقيل المراد بالتسبيح
الاستثناء لالتقائهما في معنى التعظيم لله لان الاستثناء تفويض اليه والتسبيح تنزيه له وكل
واحد من التسبيح والتنزيه تعظيم وعن الحسن هو الصلوة كانهم كانوا يتوانون في الصلوة
والا لنهتهم عن الفحشاء والمنكر ولكانت لهم لطفا في ان يستثنوا ولا يحرموا سبحان ربنا
سبحوا الله ونزهوه عن الظلم وعن كل قبيح ثم اعترفوا بظلمهم في منع المعروف وترك الاستثناء
فاقبل بعضهم على بعض يتلاومون يلوم بعضهم بعضا لان منهم من زين ومنهم من قبل ومنهم
من امر بالكف وعذر ومنهم من عصى الآمر ومنهم من سكت وهو راض قالوا يا ويلنا

انا كنا طاغين عسى ربنا ان يبدلنا قرئ بالتخفيف والتشديد خيرا منها انا الى ربنا راغبون
طالبون منه الخير راجون لعفوه كذلك العذاب مثل ذلك العذاب الذي بلونا به اهل
مكة واصحاب الجنة عذاب الدنيا ولعذاب الآخرة اكبر اشد واعظم منه لو كانوا يعلمون وسئل
قتادة عن اصحاب الجنة اهم من اهل الجنة ام من اهل النار فقال لقد كلفتني تعبا وعن مجاهد
تابوا فابدلوا خيرا منها وروي عن ابن مسعود رضي الله عنه بلغني انهم اخلصوا وعرف الله منهم
الصدق فابدلهم بها جنة يقال لها الحيوان فيها عنب يحمل البغل منه عنقودا ان للمتقين عند ربهم
اي في الآخرة جنات النعيم جنات ليس فيها الا التنعم الخالص لا يشوبه ما ينغصه كما يشوب
جنان الدنيا افنجعل المسلمين كالمجرمين كان صناديد قريش يرون وفور حظهم من الدنيا
وقلة حظوظ المسلمين منها فاذا سمعوا بحديث الآخرة وما وعد الله المسلمين قالوا ان صح
انا نبعث كما يزعم محمد ومن معه لم تكن حالهم وحالنا الا مثل ما هي في الدنيا والا لم يزيدوا
علينا ولم يفضلونا واقصى امرهم ان يساوونا فقيل انحيف في الحكم فنجعل المسلمين كالكافرين
ثم قيل لهم على طريقة الالتفات ما لكم كيف تحكمون هذا الحكم الاعوج كان امر الجزاء مفوض اليكم
حتى تحكموا فيه بما شئتم ام لكم كتاب فيه تدرسون ان لكم فيه لما تخيرون ام لكم
كتاب من السماء تدرسون في ذلك الكتاب ان ما تختارونه وتشتهونه لكم كقوله ام لكم سلطان
مبين فأتوا بكتابكم والاصل تدرسون ان لكم ما تتخيرون بفتح ان لانه مدروس فلما جاءت اللام
كسرت ويجوز ان يكون حكاية للمدروس كما هو كقوله وتركنا عليه في الآخرين سلام على نوح
وتخير الشيء واختاره اخذ خيره ونحوه تنخله وانتخله اذا اخذ منخوله ام لكم ايمان علينا
بالغة لفلان علي يمين بكذا اذا ضمنته منه وحلفت له على الوفاء به يعني ام ضمنا منكم
اقسمنا لكم بايمان مغلظة متناهية في التوكيد فان قلت بم تتعلق الى يوم القيامة قلت
بالمقدر في الظرف اي هي ثابت لكم علينا الى يوم القيامة لا تخرج عن عهدتها الا بوميد اذا
حكمناكم واعطيناكم ما تحكمون ويجوز ان يتعلق ببالغة على انها تبلغ ذلك اليوم وتنتهي اليه وافرة
لم

لم يبطل منها يمين الى ان يحصل المقسم عليه من التحكيم وقرأ الحسن بالغة بالنصب على الحال من الضمير
في الظرف ان لكم لما تحكمون جواب القسم لان معنى ام لكم ايمان علينا ام اقسمنا لكم سلهم ايهم بذلك
الحكم زعيم اي قائم به وبالاحتجاج لصحته كما يقوم الزعيم المتكلم عن القوم المتكفل بامورهم ام لهم
شركاء اي ناس يشاركونهم في هذا القول ويوافقونهم عليه ويذهبون مذهبهم فيه فليأتوا بشركائهم
ان كانوا صادقين فليأتوا بهم ان كانوا صادقين في دعواهم يعني ان احدا لا يسلم لهم هذا ولا
يساعدهم عليه كما انه لا كتاب لهم ينطق به ولا عهد لهم به عند الله ولا زعيم لهم يقوم به يوم يكشف
عن ساق ويدعون الى السجود وهم سالمون الكشف عن الساق والابداء عن الخدام مثل
في شدة الامر وصعوبة الخطب واصله في الروع والهزيمة وتشمير المخدرات عن سوقهن في الهرب
وابداء خدامهن عن ذلك قال حاتم اخو الحرب ان عضت به الحرب عضها
وان شمرت عن ساقها الحرب شمرا وقال ابن الرقيات تذهل الشيخ عن بنيه وتبدي عن خدام العقيلة العذراء
فمعنى يوم يكشف عن ساق في معنى يشتد الامر ويتفاقم ولا كشف ثمة ولا ساق كما تقول للاقطع
الشحيح يده مغلولة ولا يد ثم ولا غل وانما هو مثل في البخل واما من شبه فلضيق عطنه
وقلة نظره في علم البيان والذي غره منه حديث ابن مسعود رضي الله عنه يكشف الرحمن
عن ساقه فاما المؤمنون فيخرون سجدا واما المنافقون فيكون ظهورهم طبقا طبقا كان
فيها السفافيد ومعناه يشتد امر الرحمن ويتفاقم هوله وهو الفزع الاكبر يوم القيامة
ثم كان من حق الساق ان تعرف على ما ذهب اليه المشبه لانها ساق مخصوصة معهودة عنده
وهي ساق الرحمن فان قلت فلم جاءت منكرة في التمثيل قلت للدلالة على انه امر مبهم
في الشدة منكر خارج عن المألوف كقوله يوم يدعو الداعي الى شيء نكر كانه قيل يوم يقع امر
فظيع هائل ويحكى هذا التشبيه عن مقاتل وعن ابي عبيدة خرج من خراسان رجلان
احدهما شبه حتى مثل وهو مقاتل بن سليمان والآخر نفى حتى عطل وهو جهم بن صفوان
ومن احس بعظم مضار فقد هذا العلم علم مقدار عظم منافعه وقرئ يوم نكشف بالنون

وتَكشِفُ بالتاء على البناء للفاعل وللمفعول جميعا والفعل للساعة او الحال اي يوم تشتد الحال او الساعة كما تقول كشفت الحرب عن ساقها على المجاز وقرئ تُكشِفُ بالتاء المضمومة وكسر الشين من اكشف اذا دخل في الكشف ومنه اكشف الرجل فهو مُكشِف اذا انقلبت شفته العليا وناصب الظرف فليأتوا او اضمار اذكر او يوم يكشف عن ساق كان كيت وكيت فحذف للتهويل البليغ وان ثمه من الكوائن ما لا يوصف لعظمه عن ابن مسعود رضي الله عنه تعقم اصلابهم اي ترد عظاما بلا مفاصل لا تنثني عند الرفع والخفض وفي الحديث وتبقى اصلابهم طبقا واحدا اي فقارة واحدة فان قلت لم يدعون الى السجود ولا تكليف قلت لا يدعون اليه تعبدا وتكليفا ولكن توبيخا وتعنيفا على تركهم السجود في الدنيا مع اعقام اصلابهم والحيلولة بينهم وبين الاستطاعة تحسيرا لهم وتنديما على ما فرطوا فيه حين دعوا الى السجود وهم سالموا الاصلاب والمفاصل ممكنون مزاحوا العلل فيما تعبدوا به فذرني ومن يكذب بهذا الحديث يقال ذرني واياه يريدون كِله الي فاني اكفيكه كانه يقول حسبك ايقاعا به ان تكل امره الي وتخلي بيني وبينه فاني عالم بما يجب ان يفعل به مطيق له والمراد حسبي مجازيا لمن يكذب بالقرآن فلا تشغل قلبك بشانه وتوكل علي في الانتقام منه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتهديدا للمكذبين سنستدرجهم استدرجه الى كذا اذا استنزله اليه درجة فدرجة حتى يورطه فيه واستدراج الله العصاة ان يرزقهم الصحة والنعمة فيجعلوا رزق الله ذريعة ومتسلقا الى ازدياد الكفر والمعاصي من حيث لا يعلمون اي من الجهة التي لا يشعرون انه استدراج وهو الانعام عليهم لانهم يحسبونه ايثارا لهم وتفضيلا على المؤمنين وهو سبب لهلاكهم واملي لهم وامهلهم كقوله انما نملي لهم ليزدادوا اثما والصحة والرزق والمد في العمر احسان من الله وافضال يوجب عليهم الشكر والطاعة ولكنهم يجعلونه سببا في الكفر باختيارهم فلما تدرجوا به الى الهلاك وصف المنعم بالاستدراج وقيل كم من مستدرج بالاحسان اليه وكم من مفتون بالثناء عليه وكم من مغرور بالستر

ان

ان كيدي متين سمى احسانه وتمكينه كيدا كما سماه استدراجا لكونه في صورة الكيد حيث كان سببا للتورط في الهلكة ووصفه بالمتانة لقوة اثره في التسبب للهلاك ام تسألهم اجرا فهم من مغرم مثقلون المغرم الغرامة اي لم تطلب منهم على الهداية والتعليم اجرا فيثقل عليهم حمل الغرامات في اموالهم فيثبطهم ذلك عن الايمان ام عندهم الغيب اي اللوح فهم يكتبون منه ما يحكمون به فاصبر لحكم ربك وهو امهالهم وتاخير نصرتك عليهم ولا تكن كصاحب الحوت يعني يونس عليه السلام اذ نادى في بطن الحوت وهو مكظوم مملوء غيظا من كظم السقاء اذا ملأه والمعنى لا يوجد منك ما وجد منه من الضجر والمغاضبة فتبتلى ببلائه لولا ان تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو مذموم حسن تذكير الفعل لفصل الضمير في تداركه وقرأ ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهما تداركته وقرأ الحسن تدّاركه اي تتداركه على حكاية الحال الماضية بمعنى لولا ان كان يقال فيه تتداركه كما يقال كان زيد سيقوم فمنعه فلان اي كان يقال فيه سيقوم والمعنى كان متوقعا منه القيام ونعمة ربه ان انعم عليه بالتوفيق للتوبة وتاب عليه وقد اعتمد في جواب لولا على الحال اعني قوله وهو مذموم يعني ان حاله كانت على خلاف الذم روي انها نزلت باحد حين حل برسول الله ما حل به فاراد ان يدعو على الذين انهزموا وقيل حين اراد ان يدعو على ثقيف وقرئ رحمة من ربه فاجتباه ربه فجمعه اليه وقربه بالتوبة عليه كما قال ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى فجعله من الصالحين اي من الانبياء عليهم السلام وعن ابن عباس رضي الله عنهما رد الله اليه الوحي وشفعه في نفسه وقومه وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بابصارهم ان مخففة من الثقيلة واللام علمها وقرئ ليُزلقونك بضم الياء وفتحها وزلقه وازلقه بمعنى ويقال زلق الراس وازلقه حلقه وقرئ ليزهقونك من زهقت نفسه وازهقها يعني انهم من شدة تحديقهم ونظرهم اليك شزرا بعيون العداوة والبغضاء يكادون يزلون قدمك او يهلكونك من قولهم نظر الي نظرا يكاد يصرعني ويكاد ياكلني اي لو امكنه بنظره الصرع او الاكل لفعله

قال يتقارضون اذا التقوا في موطن نظرا يزل مواطئ الاقدام وقيل كانت العين
في بني اسد وكان الرجل منهم يتجوع ثلثة ايام فلا يمر به شيء فيقول فيه لم ار كاليوم مثله
الا عانه فاريد بعض العيانين على ان يقول في رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ذلك فقال
لم ار كاليوم رجلا فعصمه الله وعن الحسن دواء للاصابة بالعين ان تقرا هذه الاية لما سمعوا
الذكر اي القران لم يملكوا انفسهم حسدا على ما اوتيت من النبوة ويقولون انه لمجنون حيرة في
امره وتنفيرا عنه والا فقد علموا انه اعقلهم والمعنى انهم جننوه لاجل القران وما هو الا ذكر وموعظة
للعالمين فكيف يجنن من جاء بمثله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة القلم اعطاه
الله ثواب الذين حسن الله اخلاقهم

سورة الحاقة مكية وهي احدى وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم الحاقة الساعة الواجبة الوقوع الثابتة المجيء
التي هي آتية لا ريب فيها او التي فيها حواق الامور من الحساب والثواب والعقاب او التي تحق فيها
الامور اي تعرف على الحقيقة من قولك لا احق هذا اي لا اعرف حقيقته جعل الفعل لها وهو لاهلها
وارتفاعها على الابتداء وخبرها ما الحاقة والاصل الحاقة ما هي اي شيء تفخيما لشانها وتعظيما لهولها
فوضع الظاهر موضع المضمر لانه اهول لها وما ادريك واي شيء اعلمك ما الحاقة يعني انك لا علم لك
بكنهها ومدى عظمها على انه من العظم والشدة بحيث لا تبلغه دراية احد ولا وهمه وكيف ما
قدرت حالها فهي اعظم من ذلك وما في موضع الرفع على الابتداء وادريك معلق عنه لتضمنه معنى
الاستفهام كذبت ثمود وعاد بالقارعة التي تقرع الناس بالافزاع والاهوال والسماء بالانشقاق
والانفطار والارض والجبال بالدك والنسف والنجوم بالطمس والانكدار ووضعت موضع الضمير
ليدل على معنى القرع في الحاقة زيادة في وصف شدتها فاما ثمود فاهلكوا بالطاغية لما ذكرها
وفخمها اتبع ذكر ذلك ذكر من كذب بها وما حل بهم بسبب التكذيب بذكر الاهل مكة وتحريفا
لهم من عاقبة تكذيبهم بالطاغية بالواقعة المجاوزة للحد في الشدة واختلف فيها فقيل الرجفة

وعن ابن عباس رضي الله عنهما الصاعقة وعن قتادة بعث الله عليهم صيحة فاهمدتهم وقيل
الطاغية مصدر كالعافية اي بطغيانهم وليس بذاك لعدم الطباق بينها وبين قوله بريح صرصر والصرصر
الشديدة الصوت لها صرصرة وقيل الباردة من الصر كانها التي كرر فيها البرد وكثر فهي تحرق
بشدة بردها واما عاد فاهلكوا بريح صرصر عاتية شديدة العصف والعتو استعارة او عتت على
عاد فما قدروا على ردها بحيلة من استتار ببناء او لياذ بجبل او اختفاء في حفرة فانها كانت تنزعهم
من مكانهم وتهلكهم وقيل عتت على خزانها فخرجت بلا كيل ولا وزن روي عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم ما ارسل الله سفينة من ريح الا بمكيال ولا قطرة من مطر الا بمكيال الا يوم عاد ويوم
نوح فان الماء يوم نوح طغى على الخزان فلم يكن لهم عليهم سبيل ثم قرا بريح صرصر عاتية ولعلها
عبارة عن الشدة والافراط فيها سخرها عليهم سبع ليال وثمانية ايام حسوما الحسوم لا يخلو من
ان يكون جمع حاسم كشهود وقعود او مصدرا كالشكور والكفور فان كان جمعا فمعنى قوله حسوما
نحسات حسمت كل خير واستاصلت كل بركة او متتابعة هبوب الرياح ما خفتت ساعة
حتى اتت عليهم تمثيلا لتتابعها بتتابع فعل الحاسم في اعادة الكي على الداء كرة بعد اخرى
حتى تحسم وان كان مصدرا فاما ان ينتصب بفعله مضمرا اي تحسم حسوما بمعنى تستاصل
استيصالا او يكون صفة كقولك ذات حسوم او يكون مفعولا له اي سخرها عليهم للاستيصال
وقال عبد العزيز بن زرارة الكلابي ففرق بين بينهم زمان يتابع فيه اعوام حسوم وقرا
السدي حسوما بالفتح حالا من الريح اي سخرها عليهم مستاصلة وقيل هي ايام العجوز وذلك
ان عجوزا من عاد توارت في سرب فانتزعتها الريح في اليوم الثامن فاهلكتها وقيل هي
ايام العجز وهي آخر الشتاء واسماؤها الصن والصنبر والوبر والآمر والمؤتمر
والمعلل ومطفئ الحر وقيل مكفئ الظعن ومعنى سخرها عليهم سلطها عليهم كما شاء
فترى القوم فيها صرعى كانهم اعجاز نخل خاوية فيها في مهابها او في الليالي والايام وقرئ اعجاز اي اصول نخل
نخيل فهل ترى لهم من باقية من بقية او من نفس باقية او من بقاء كالطاغية بمعنى الطغيان

ومن قبله يريد ومن عنده من تباعه وقرئ ومن قبله اى ومن تقدمه وتعضد الاولى قراءة عبد الله وأبي ومن معه وقراءة ابي موسى ومن تلقاءه والمؤتفكات قرى قوم لوط بالخاطئة بالخطأ او بالفعلة او الافعال ذات الخطأ العظيم فعصوا رسول ربهم فاخذهم اخذة رابية شديدة زائدة في الشدة كما زادت قبائحهم في القبح يقال ربا الشيء يربو اذا زاد ليربو في اموال الناس انا لما طغى الماء حملناكم حملنا اباءكم في الجارية في سفينة نوح لانهم اذا كانوا من نسل المحمولين الناجين كان حمل آبائهم منة عليهم وكأنهم هم المحمولون لان نجاتهم سبب ولادتهم لنجعلها الضمير للفعلة وهي نجاة المؤمنين واغراق الكفرة لكم تذكرة عظة وعبرة وتعيها اذن واعية من شانها ان تعي وتحفظ ما سمعت به ولا تضيعه بترك العمل فكل ما حفظته في نفسك فقد وعيته وما حفظته في غير نفسك فقد اوعيته كقولك اوعيت الشيء في الظرف وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لعلي رضي الله عنه عند نزول هذه الاية سألت الله ان يجعلها اذنك يا علي قال علي رضي الله عنه فما نسيت شيئا بعد وما كان لي ان انسى فان قلت لم قيل اذن واعية على التوحيد والتنكير قلت للايذان بان الوعاة فيهم قلة ولتوبيخ الناس بقلة من يعي منهم وللدلالة على ان الاذن الواحدة اذا وعت وعقلت عن الله فهي السواد الاعظم عند الله وان ما سواها لا يبالي بهم بالة وان ملأوا ما بين الخافقين وقرئ وتعيها بسكون العين للتخفيف شبه تعي بكبد فاذا نفخ في الصور نفخة واحدة اسند الفعل الى المصدر وحسن تذكيره للفصل وقرأ ابو السمال نفخة واحدة بالنصب مسندا الفعل الى الجار والمجرور فان قلت هما نفختان فلم قيل واحدة قلت معناه انها لا تثنى في وقتها فان قلت فاي النفختين هي قلت الاولى لان عندها فساد العالم وهكذا الرواية عن ابن عباس رضي الله عنهما وقد روي عنه انها الثانية فان قلت اما قال بعد يومئذ تعرضون والعرض انما هو عند النفخة الثانية قلت جعل اليوم اسما للحين الواسع الذي يقع فيه النفخان والصعقة والنشور والوقوف والحساب فلذلك قيل يومئذ تعرضون كما تقول جئته عام كذا وانما كان مجيئك في وقت واحد من اوقاته

وحملت

وحملت الارض والجبال ورفعت من جهاتها بريح بلغت من قوة عصفها انها تحمل الارض والجبال او بخلق من الملائكة او بقدرة الله من غير سبب وقرئ وحملت بتخفيف الحمل وهو واحد الثلاثة فدكتا دكة واحدة فدكت الجملتان جملة الارضين وجملة الجبال فضرب بعضها ببعض حتى تندق وترجع كثيبا مهيلا وهباء منبثا والدك ابلغ من الدق وقيل فبسطتا بسطة واحدة فصارتا ارضا لا ترى فيها عوجا ولا امتا من قولك اندك السنام اذا تفرش وبعير ادك وناقة دكاء ومنه الدكان فيومئذ وقعت الواقعة فحينئذ نزلت النازلة وهي القيامة وانشقت السماء فهي يومئذ واهية مسترخية ساقطة القوة جدا بعدما كانت محكمة مستمسكة والملك يريد والخلق الذي يقال له الملك ورد اليه الضمير مجموعا في قوله فوقهم على المعنى فان قلت فما الفرق بين قوله والملك وبين ان يقال والملائكة قلت الملك اعم من الملائكة الا ترى الى قولك ما من ملك الا وهو شاهد اعم من قولك ما من ملائكة على ارجائها على جوانبها الواحد رجا مقصور يعني انها تنشق وهي مسكن الملائكة فينضوون الى اطرافها وما حولها من حافاتها ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية اي ثمانية منهم وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم هم اليوم اربعة فاذا كان يوم القيامة ايدهم الله باربعة آخرين فيكونون ثمانية وروي ثمانية املاك ارجلهم في تخوم الارض السابعة والعرش فوق رؤسهم وهم مطرقون مسبحون وقيل بعضهم على صورة الانسان وبعضهم على صورة الاسد وبعضهم على صورة الثور وبعضهم على صورة النسر وروي ثمانية املاك في خلق الاوعال ما بين اظلافها الى ركبها مسيرة سبعين عاما وعن شهر بن حوشب اربعة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على عفوك بعد قدرتك واربعة يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على حلمك بعد علمك وعن الحسن الله اعلم كم هم اثمانية ام ثمانية آلاف وعن الضحاك ثمانية صفوف لا يعلم عددهم الا الله ويجوز ان يكون الثمانية من الروح او من خلق آخر فهو القادر على كل خلق سبحان الذي خلق الازواج كلها مما تنبت الارض ومن انفسهم ومما لا يعلمون يومئذ تعرضون العرض عبارة عن المحاسبة والمسألة شبه ذلك بعرض السلطان العسكر لتعرف احوالهم

وقال وهب بن منبه اربعة يحملون العرش على اكتافهم لكل واحد اربعة وجوه وجه ثور ووجه اسد ووجه نسر ووجه انسان

وذوی ان فی یوم العامة ثلث عرضات فاما عرضتان فاعتذار واحتجاج وتوبيخ واما
الثالثة ففيها تنشر الكتب فيأخذ الفائز كتابه بيمينه والهالك كتابه بشماله لا تخفى منكم
خافية سريرة وحال كانت تخفى في الدنيا بستر الله عليكم فاما من اوتي كتابه بيمينه فيقول
هاؤم اقرؤا كتابيه هاء صوت يصوت به فيفهم منه معنى خذ كاف وحس وما اشبه
ذلك وكتابيه منصوب بهاؤم عند الكوفيين وعند البصريين باقرؤا لانه اقرب العاملين و
اصله هاؤم كتابي اقرؤا كتابيه فحذف الاول لدلالة الثاني عليه ونظيره آتوني افرغ عليه قطرا
قالوا ولو كان العامل الاول لقيل اقرأوه وافرغه والهاء للسكت في كتابيه وكذلك في حسابيه
وماليه وسلطانيه وحق هذه الهاآت ان تثبت في الوقف وتسقط في الوصل وقد استحب
ايثار الوقف ايثارا لثباتها لثباتها في المصحف وقيل لا باس بالوصل والاسقاط وقرأ
ابن محيصن باسكان الياء بغير هاء وقرأ جماعة باثبات الهاء في الوصل والوقف جميعا لاتباع
المصحف اني ظننت اني ملاق حسابيه علمت وانما اجرى الظن مجرى العلم لان الظن الغالب
يقام مقام العلم في العادات والاحكام ويقال اظن ظنا كاليقين ان الامر كيت وكيت فهو في
عيشة راضية منسوبة الى الرضا كالدارع والنابل والنسبة نسبتان نسبة بالحرف ونسبة
بالصيغة او جعل الفعل لها مجازا وهو لصاحبها في جنة عالية مرتفعة المكان في السماء او رفيعة
الدرجات او رفيعة المباني والقصور والاشجار قطوفها دانية ثمارها قريبة ينالها القاعد والنائم يقال لهم كلوا
واشربوا هنيئا اكلا وشربا هنيئا او هنيتم هنيئا بما اسلفتم بما قدمتم من الاعمال الصالحة في الايام
الخالية الماضية من ايام الدنيا وعن مجاهد ايام الصيام اي كلوا واشربوا بدل ما امسكتم عن
الاكل والشرب لوجه الله وروي يقول الله تعالى يا اوليائي طالما نظرت اليكم وقد قلصت
شفاهكم عن الاشربة وغارت اعينكم وخمصت بطونكم فكونوا اليوم في نعيمكم وكلوا واشربوا
هنيئا بما اسلفتم في الايام الخالية واما من اوتي كتابه بشماله فيقول يا ليتني لم اوت كتابيه
ولم ادر ما حسابيه يا ليتها كانت القاضية الضمير في ليتها للموتة يقول يا ليت الموتة التي متها كانت
القاضية

والله اعلم

القاضية اي القاطعة لامري فلم ابعث بعدها ولم الق ما القى او للحالة اي ليت هذه الحالة كانت
الموتة التي قضت علي لانه راى تلك الحالة ابشع وامر مما ذاقه من مرارة الموت وشدته فتمناه
عندها ما اغنى عني ماليه نفي او استفهام على وجه الانكار اي اي شيء اغنى عني ما كان لي من
اليسار هلك عني سلطانيه ملكي وتسلطي على الناس وبقيت فقيرا ذليلا وعن ابن عباس رضي الله
عنهما انها نزلت في الاسود بن عبد الاشد وعن فنا خسرة الملقب بالعضد انه لما قال
عضد الدولة وابن ركنها ملك الاملاك غلاب القدر لم يفلح بعده وجن فكان لا ينطلق
لسانه الا بهذه الاية قال ابن عباس رضي الله عنهما ضلت عني حجتي ومعناه بطلت حجتي التي
كنت احتج بها في الدنيا خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه ثم لا تصلوه الا الجحيم وهي النار العظمى
لانه كان سلطانا يتعظم على الناس يقال صلي النار وصلاه النار ثم في سلسلة ذرعها سبعون
ذراعا فاسلكوه سلكه في السلسلة ان تلوى على جسده حتى يلتف عليه اثناؤها وهو فيما
بينها مرهق مضيق عليه لا يقدر على حركة وجعلها سبعين ذراعا ارادة الوصف بالطول كما
قال ان تستغفر لهم سبعين مرة يريد مرات كثيرة لانها اذا طالت كان الارهاق اشد
والمعنى في تقديم السلسلة على السلك مثله في تقديم الجحيم على التصلية اي لا تسلكوه الا في
هذه السلسلة مثله في تقديم الجحيم على التصلية اي لا تسلكوه الا في هذه السلسلة كانها افظع
من سائر مواضع الارهاق في الجحيم ومعنى ثم الدلالة على تفاوت ما بين الغل والتصلية بالجحيم
وما بينها وبين السلك في السلسلة لا على تراخي المدة انه لا يؤمن بالله العظيم انه تعليل
على طريق الاستئناف وهو ابلغ كانه قيل ما له يعذب هذا العذاب الشديد فاجيب بذلك وفي
قوله ولا يحض على طعام المسكين دليلان قويان على عظم الجرم في حرمان المسكين احدهما
عطفه على الكفر وجعله قرينة له والثاني ذكر الحض دون الفعل ليعلم ان تارك الحض بهذه
المنزلة فكيف بتارك الفعل وما احسن قول القائل اذا نزل الاضياف كان عذورا
على الحي حتى تستقل مراجله يريد حضهم على القرى واستعجلهم وتشاكس عليهم

أبي الدرداء أنه يحض امرأته على تكثير المرق لأجل المساكين وكان يقول خلعنا نصف السلسلة
بالإيمان أفلا نخلع نصفها وقيل هو منع الكفار وقولهم أنطعم من لو يشاء الله أطعمه والمعنى
على بذل طعام المسكين فليس له اليوم ههنا حميم قريب يدفع عنه ويحزن عليه لأنهم يتحامونه ويفرون
منه كقوله ولا يسأل حميم حميما ولا طعام إلا من غسلين هو غسالة أهل النار وما يسيل من أبدانهم
من الصديد والدم فعلين من الغسل لا يأكله إلا الخاطئون الآثمون أصحاب الخطايا وخطئ الرجل
إذا تعمد الذنب وهم المشركون عن ابن عباس رضي الله عنهما وقرئ الخاطيون بإبدال الهمزة ياء
والخاطون بطرحها وعن ابن عباس رضي الله عنهما الخاطون كلنا نخطو وروى عنه أبو الأسود
الدؤلي ما الخاطون إنما هو الخاطئون ما الصابون إنما هو الصابئون ويجوز أن يراد الذين
يتخطون الحق إلى الباطل ويتعدون حدود الله فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون هو أقسام
بالأشياء كلها على الشمول والإحاطة لأنها لا تخرج من قسمين مبصر وغير مبصر وقيل الدنيا
والآخرة والأجسام والأرواح والإنس والجن والخلق والخالق والنعم الظاهرة والباطنة
إنه إن هذا القرآن لقول رسول كريم أي يقوله ويتكلم به على وجه الرسالة من عند الله وما هو
بقول شاعر قليلا ما تؤمنون ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون وما هو بقول شاعر ولا كاهن كما
تدعون والقلة في معنى العدم أي لا تؤمنون ولا تذكرون البتة والمعنى ما أكفركم وما أغفلكم
تنزيل من رب العالمين هو تنزيل بيانا لأنه قول رسول نزل عليه من رب العالمين وقرأ أبو السمال تنزيلا
أي نزل تنزيلا وقيل الرسول الكريم جبريل وقوله وما هو بقول شاعر دليل على أنه محمد صلى الله عليه
وسلم لأن المعنى على إثبات أنه رسول لا شاعر ولا كاهن ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذناه
باليمين ثم لقطعنا منه الوتين والمعنى التقول افتعال القول لأن فيه تكلفا من المفتعل
وسمى الأقوال المتقولة أقاويل تصغيرا بها وتحقيرا كقولك الأعاجيب والأضاحيك كأنها جمع
أفعولة من القول والمعنى ولو ادعى علينا شيئا لم نقله لقتلناه صبرا كما يفعل الملوك بمن يتكذب
عليهم معاجلة بالسخط والانتقام فصور قتله الصبر بصورته ليكون أهول وهو أن يؤخذ بالأيدي ويضرب

رقبته وخص اليمين عن اليسار لأن القتال إذا أراد أن يوقع الضرب في قفاه أخذ
بيساره وإذا أراد أن يوقعه في جيده وأن يكفحه بالسيف وهو أشد على المصبور لنظره
إلى السيف أخذ بيمينه كما أن قوله لقطعنا منه الوتين لقطعنا وتينه وهذا بين والوتين
نياط القلب وهو حبل الوريد إذا قطع مات صاحبه وقرئ ولو تقول على البناء للمفعول فما منكم
من أحد عنه حاجزين قيل حاجزين في وصف أحد لأنه في معنى الجماعة وهو اسم يقع في النفي
العام مستويا فيه الواحد والجميع والمذكر والمؤنث ومنه قوله تعالى لا نفرق بين أحد من رسله
لستن كأحد من النساء والضمير في عنه للقتل أي لا يقدر أحد منكم أن يحجزه عن ذلك ويدفعه
عنه أو لرسول الله صلى الله عليه وسلم أي لا تقدرون أن تحجزوا عنه القاتل وتحولوا بينه وبينه
والخطاب للناس وكذلك في قوله وإنا لنعلم أن منكم مكذبين وهو إيعاد على التكذيب وقيل
الخطاب للمسلمين والمعنى أن منهم ناسا سيكفرون بالقرآن وإنه الضمير للقرآن لحسرة على الكافرين
به المكذبين له إذا رأوا ثواب المصدقين به أو للتكذيب وإنه لحق اليقين وإن القرآن لليقين
حق اليقين كقولك هو العالم حق العالم وجد العالم والمعنى لعين اليقين ومحض اليقين فسبح
باسم ربك العظيم فسبح الله بذكر اسمه العظيم وهو قوله سبحان الله واعبده شكرا على ما أبلاك له
من إيحائه إليك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحاقة حاسبه الله حسابا يسيرا

سورة المعارج مكية وهي أربع وأربعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم سأل سائل بعذاب واقع للكافرين ليس له دافع
من الله ضمن سأل معنى دعا فعدي تعديته كأنه قيل دعا داع بعذاب واقع من قولك دعا
بكذا إذا استدعاه وطلبه منه قوله تعالى يدعون فيها بكل فاكهة وعن ابن عباس رضي الله عنهما
هو النضر بن الحارث قال إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا
بعذاب أليم وقيل رسول الله صلى الله عليه وسلم استعجل بعذاب الكافرين وقرئ سأل
سائل وهو على وجهين أن يكون من السؤال وهو لغة قريش يقولون سلت تسأل وهما يتساءلان

وان يكون من السيلان ويؤيده قراءة ابن عباس رضي الله عنهما سال سيل والسيل مصدر بمعنى السائل
كالغور بمعنى الغائر والمعنى اندفع عليهم وادي عذاب فذهب بهم واهلكهم وعن قتادة سال
سائل عن عذاب الله على من ينزل وبمن يقع فنزلت وسال على هذا لتضمنه معنى عني اي طلب
اهتم فان قلت بم يتصل قوله للكافرين قلت هو على القول الاول متصل بعذاب صفة
له اي بعذاب واقع كائن للكافرين او بالفعل اي دعا للكافرين بعذاب واقع او بواقع اي بعذاب
نازل لاجلهم وعلى الثاني هو كلام مبتدأ جواب للسائل اي هو للكافرين فان قلت فقوله من
الله قلت متصل بواقع اي واقع من عنده او بدافع بمعنى ليس له دافع من جهته اذا جاء
وقته واوجبت الحكمة وقوعه ذي المعارج ذي المصاعد جمع معرج ثم وصف المصاعد
وبعد مداها في العلو والارتفاع فقال تعرج الملائكة والروح اليه الى عرشه وحيث تهبط منه
اوامره في يوم كان مقداره خمسين الف سنة كمقدار مدة خمسين الف سنة مما يعد الناس والروح
جبريل عليه السلام افرده لتميزه بفضله وقيل الروح خلق هم حفظة على الملائكة كما ان الملائكة
حفظة على الناس فاصبر صبرا جميلا فان قلت بم تعلق قوله فاصبر قلت بسأل سائل
لان استعجال النضر بالعذاب انما كان على وجه الاستهزاء برسول الله صلى الله عليه وسلم والتكذيب
بالوحي وكان ذلك مما يضجر رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر بالصبر عليه وكذلك من سأل عن العذاب
لمن هو فانما سأل على طريق التعنت وكان من كفار مكة ومن قرأ سال سائل او سيل فمعناه
جاء العذاب لقرب وقوعه فاصبر فقد شارفت الانتقام وقد جعل في يوم من صلة واقع اي يقع
في يوم طويل مقداره خمسون الف سنة من سنيكم وهو يوم القيامة اما ان يكون استطالة له لشدته
على الكفار واما لانه على الحقيقة كذلك قيل فيه خمسون موطنا كل موطن الف سنة وما قدر ذلك اليوم
على المؤمن الا كما بين الظهر والعصر انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا الضمير في يرونه للعذاب الواقع
او ليوم القيامة فيمن علق في يوم بواقع اي يستبعدونه على جهة الاحالة ونحن نراه قريبا هينا
في قدرتنا غير بعيد علينا ولا متعذر فالمراد بالبعيد البعيد من الامكان وبالقريب القريب منه
نصب

200

نصب يوم تكون السماء بقريبا اي يمكن ولا يتعذر في ذلك اليوم او باضمار يقع لدلالة واقع عليه
او هو بدل عن في يوم فيمن علقه بواقع يوم تكون السماء كالمهل كالمهل كدردي
الزيت وعن ابن مسعود رضي الله عنه كالفضة المذابة في تلونها وتكون الجبال كالعهن المنفوش كالصوف
المصبوغ الوانا لان الجبال جدد بيض وحمر مختلف الوانها وغرابيب سود فاذا بست وطيرت
في الجو اشبهت العهن المنفوش اذا طيرته الريح ولا يسأل حميم حميما اي لا يسأله بكيف حالك ولا
يكلمه لان بكل احد ما يشغله عن المسألة يبصرونهم اي يبصر الاحماء الاحماء فلا يخفون عليهم فما
يمنعهم من المسألة ان بعضهم لا يبصر بعضا وانما يمنعهم التشاغل وقرئ يبصرونهم وقرئ ولا يسأل على
البناء للمفعول اي لا يقال لحميم اين حميمك ولا يطلب منه لانهم يبصرونهم فلا يحتاجون الى السؤال والطلب
فان قلت ما موقع يبصرونهم قلت هو كلام مستأنف كأنه لما قال ولا يسأل حميم حميما قيل لعله
لا يبصره فقيل يبصرونهم ولكنهم لتشاغلهم لم يتمكنوا من تساؤلهم فان قلت لم جمع الضميران في
يبصرونهم وهما للحميمين قلت المعنى على العموم لكل حميمين لا لحميمين اثنين ويجوز ان يكون
يبصرونهم صفة اي حميما مبصرين معرفين اياهم يود المجرم لو يفتدي من عذاب يومئذ وقرئ
يومئذ بالجر والفتح على البناء للاضافة الى غير متمكن ومن عذاب يومئذ بتنوين عذاب ونصب يومئذ
وانتصابه بعذاب لانه في معنى تعذيب ببنيه وصاحبته واخيه وفصيلته التي تؤويه ومن في
الارض جميعا ثم ينجيه وفصيلته عشيرته الادنون الذين فصل عنهم تؤويه تضمه انتماء اليها او لياذا
بها في النوائب ثم ينجيه عطف على يفتدي اي يود لو يفتدي ثم لو ينجيه الافتداء او من في الارض
وثم لاستبعاد الانجاء يعني يتمنى لو كان هؤلاء جميعا تحت يده وبذلهم في فداء نفسه ثم ينجيه ذلك
وهيهات ان ينجيه كلا ردع للمجرم عن الودادة وتنبيه على انه لا ينفعه الافتداء ولا ينجيه
من العذاب ثم قال انها والضمير للنار ولم يجر لها ذكر لان ذكر العذاب دل عليها ويجوز ان يكون
ضميرا مبهما ترجم عنه الخبر او ضمير القصة لظى علم للنار منقول من اللظى بمعنى اللهب ويجوز
ان يراد اللهب نزاعة للشوى خبر بعد خبر لان او خبر للظى ان كانت الهاء ضمير القصة

او صفة له ان اردت اللهب والتانيث لانه في معنى النار او رفع على التهويل اي هي نزاعة
وقرئ نزاعة بالنصب على الحال المؤكدة او على انها متلظية نزاعة او على الاختصاص للتهويل
والشوى الاطراف او جمع شواة وهي جلدة الراس تنزعها نزعا فتبتكها ثم تعاد تدعو مجاز
عن احضارهم كانها تدعوهم فتحضرهم ونحوه قول ذي الرمة تدعو انفه الريب وقوله
ليالي اللهو يطيبني فاتبعه وقول ابي النجم تقول للرائد اعشب انزل وقيل تقول لهم
الي الي يا كافر يا منافق وقيل تدعو المنافقين والكافرين بلسان فصيح ثم تلتقطهم التقاط
الحب فيجوز ان يخلق الله فيها كلاما كما يخلقه في جلودهم وايديهم وارجلهم وكما خلقه في الشجرة
ويجوز ان يكون دعاء الزبانية وقيل تدعو تهلك من قول العرب دعاك الله اي اهلكك قال
دعاك الله من رجل بافعى من ادبر عن الحق وتولى عنه وجمع المال فاوعى فجعله في وعاء
وكنزه ولم يؤد الزكوة والحقوق الواجبة فيه وتشاغل به عن الدين وزهى باقتنائه وتكبر ان
الانسان خلق هلوعا اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا اريد بالانسان الناس
فلذلك استثنى منه الا المصلين والهلع سرعة الجزع عند مس المكروه وسرعة المنع عند مس
الخير من قولهم ناقة هلوع سريعة السير وعن احمد بن يحيى قال لي محمد بن عبد الله بن طاهر ما الهلع
فقلت قد فسره الله ولا يكون تفسير ابين من تفسيره وهو الذي اذا ناله شر اظهر شدة الجزع و
اذا ناله خير بخل به ومنعه الناس والخير المال والغنى والشر الفقر او الصحة والمرض اذا صح
الغنى منع المعروف وشح بماله واذا مرض جزع واخذ يوصي والمعنى ان الانسان لايثاره
الجزع والمنع وتمكنهما منه ورسوخهما فيه كانه مجبول عليهما مطبوع وكانه امر خلقي وضروري
غير اختياري كقوله خلق الانسان من عجل والدليل عليه انه حين كان في البطن والمهد لم يكن
به هلع ولانه ذم والله لا يذم فعله والدليل عليه استثناء المؤمنين الذين جاهدوا انفسهم و
حملوها على المكاره وظلفوها من الشهوات حتى لم يكونوا جازعين ولا مانعين وعن النبي صلى
الله عليه وسلم شر ما اعطي ابن آدم شح هالع وجبن خالع الا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون
فان

فان قلت كيف قال على صلاتهم دائمون ثم على صلاتهم يحافظون قلت معنى دوامهم عليها
ان يواظبوا على ادائها لا يخلون بها ولا يشتغلون عنها بشيء من الشواغل كما روي عن النبي صلى الله عليه
وسلم افضل العمل ادومه وان قل وقول عائشة رضي الله عنها كان عمله ديمة ومحافظتهم عليها ان
يراعوا اسباغ الوضوء لها ومواقيتها ويقيموا اركانها ويكملوها بسننها وادابها ويحفظوها من الاحباط
باقتراف الآثام فالدوام يرجع الى انفس الصلوات والمحافظة والذين في اموالهم حق معلوم هو الزكوة
لانها مقدرة معلومة او صدقة يوظفها الرجل على نفسه يؤديها في اوقات معلومة للسائل والمحروم السائل
الذي يسال والمحروم الذي يتعفف عن السؤال فيحسب غنيا فيحرم والذين يصدقون بيوم الدين والذين
هم من عذاب ربهم مشفقون يصدقون بيوم الدين تصديقا باعمالهم واستعدادهم له ويشفقون من
عذاب ربهم واعترض بقوله ان عذاب ربهم غير مامون اي لا ينبغي لاحد وان بالغ في الطاعة
والاجتهاد ان يامنه وينبغي ان يكون مترجحا بين الخوف والرجاء والذين هم لفروجهم حافظون
الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون
والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون والذين هم بشهاداتهم قائمون قرئ بشهاداتهم وبشهاداتهم
والشهادة من جملة الامانات وخصها من بينها ابانة لفضلها لان في اقامتها احياء الحقوق وتصحيحها
وفي زيها تضييعها وابطالها والذين هم على صلاتهم يحافظون اولئك في جنات مكرمون فمال الذين
كفروا قبلك مهطعين عن اليمين وعن الشمال عزين ايطمع كل امرئ منهم ان يدخل جنة نعيم
كان المشركون يحتفون حول النبي صلى الله عليه وسلم حلقا حلقا وفرقا فرقا يستمعون
ويستهزئون بكلامه ويقولون ان دخل هؤلاء الجنة كما يقول محمد فلندخلنها قبلهم فنزلت
مهطعين مسرعين نحوك مادي اعناقهم اليك مقبلين بابصارهم عليك عزين فرقا شتى جمع
عزة واصلها عزوة كان كل فرقة تعتزي الى غير من تعتزي اليه الاخرى فهم مفترقون
قال الكميت ونحن وجندل باغ تركنا كتائب جندل شتى عزينا وقيل كان المستهزئون
خمسة ارهط كلا انا خلقناهم مما يعلمون فلا اقسم برب المشارق والمغارب انا لقادرون

على ان نبدل خيرا منهم وما نحن بمسبوقين فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون يوم يخرجون من الاجداث سراعا كانهم الى نصب يوفضون خاشعة ابصارهم ترهقهم ذلة ذلك اليوم الذى كانوا يوعدون كلا ردع لهم عن طمعهم في دخول الجنة ثم علل ذلك بقوله انا خلقناهم مما يعلمون الى آخر السورة وهو كلام دال على انكارهم البعث فكانه قال كلا انهم منكرون للبعث والجزاء فمن اين يطمعون في دخول الجنة فان قلت من اى وجه دل هذا الكلام على انكار البعث قلت من حيث انه احتجاج عليهم بالنشاة الاولى كالاحتجاج بها عليهم في مواضع من التنزيل وذلك قوله خلقناهم مما يعلمون اى من النطف وبالقدرة على ان نهلكهم ونبدل ناسا خيرا منهم وانه ليس بمسبوق على ما يريد تكوينه لا يعجزه شىء والغرض ان من قدر على ذلك لم تعجزه الاعادة ويجوز ان يراد انا خلقناهم مما يعلمون اى من النطفة المذرة وهى منصبهم الذى لا منصب اوضع منه ولذلك ابهم واخفى اشعارا بانه منصب يستحيى من ذكره فمن اين يتشرفون ويدعون التقدم ويقولون لندخلن الجنة قبلهم وقيل معناه انا خلقناهم من نطفة كما خلقنا بنى آدم كلهم ومن حكمنا ان لا يدخل احد منهم الجنة الا بالايمان والعمل الصالح فلم يطمع ان يدخلها من ليس له ايمان وعمل وقرئ برب المشرق والمغرب ويخرجون ويخرجون ومن الاجداث سراعا بالاظهار والادغام ونصب ونصب وهو كل ما نصب وعبد من دون الله يوفضون يسرعون الى الداعى مستبقين كما كانوا يستبقون الى انصابهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة سال سائل اعطاه الله ثواب الذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون

سورة نوح عليه السلم مكية ثمان وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم انا ارسلنا نوحا الى قومه ان انذر قومك من قبل ان ياتيهم عذاب اليم ان انذر اصله بان انذر فحذف الجار واوصل الفعل وهى ان الناصبة للفعل والمعنى ارسلناه بان قلنا له انذر اى ارسلناه بالامر بالانذار ويجوز ان تكون مفسرة لان الارسال فيه معنى القول وقرا ابن مسعود رضى الله عنه انذر بغير ان على ارادة القول قال يا قوم

لكم

لكم نذير مبين ان اعبدوا الله واطيعون يغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم الى اجل مسمى ان اجل الله اذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون ان اعبدوا نحو ان انذر في الوجهين فان قلت كيف قال ويؤخركم مع اخباره بامتناع تاخير الاجل وهل هذا الا تناقض قلت قضى الله مثلا ان قوم نوح ان آمنوا عمرهم الف سنة وان بقوا على كفرهم اهلكهم على راس تسعمائة فقيل لهم آمنوا يؤخركم الى اجل مسمى اى الى وقت سماه الله وضربه امدا تنتهون اليه لا تتجاوزونه وهو الوقت الاطول تمام الالف ثم اخبر انه اذا جاء ذلك الاجل الامد لا يؤخر كما يؤخر هذا الوقت ولم يكن لكم حيلة فبادروا في اوقات الامهال والتاخير قال رب انى دعوت قومى ليلا ونهارا دائبا من غير فتور مستغرقا به الاوقات كلها فلم يزدهم دعائى الا فرارا جعل الدعاء فاعل زيادة الفرار والمعنى على انهم ازدادوا عنده فرارا لانه سبب الزيادة ونحوه فزادتهم رجسا الى رجسهم فزادتهم ايمانا وانى كلما دعوتهم لتغفر لهم ليتوبوا عن كفرهم فتغفر لهم فذكر المسبب الذى هو حظهم خالصا ليكون اقبح لاعراضهم عنه جعلوا اصابعهم في آذانهم سدوا مسامعهم عن استماع الدعوة واستغشوا ثيابهم وتغطوا بها كانهم طلبوا ان تغشاهم ثيابهم او تغشيهم لئلا يبصروه كراهة النظر الى وجه من ينصحهم في دين الله وقيل لئلا يعرفهم ويعضده قوله تعالى الا انهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه الا حين يستغشون ثيابهم واصروا الاصرار من اصر الحمار على العانة اذا صر اذنيه واقبل عليها يكدمها ويطردها استعير للاقبال على المعاصى والاكباب عليها واستكبروا استكبارا واخذتهم العزة من اتباع نوح وطاعته وذكر المصدر تاكيد ودلالة على فرط استكبارهم وعتوهم ثم انى دعوتهم جهارا ثم انى اعلنت لهم واسررت لهم اسرارا فان قلت ذكر انه دعاهم ليلا ونهارا ثم دعاهم جهارا ثم دعاهم في السر والعلن فيجب ان تكون ثلث دعوات مختلفات حتى يصح العطف قلت قد فعل عليه السلم كما يفعل الذى يامر بالمعروف وينهى عن المنكر في الابتداء بالاهون والترقى في الاشد فالاشد فافتتح بالمناصحة في السر فلما لم يقبلوا ثنى بالمجاهرة فلما لم يؤثر

ثلث بالجمع بين الاسرار والاعلان ومعنى ثم الدلالة على تباعد الاحوال لان الجهار اغلظ من الاسرار
والجمع بين الامرين اغلظ من افراد احدهما وجهارا منصوب بدعوتهم نصب المصدر لان احد
نوعيه الجهار فنصب به نصب القرفصاء بقعد لكونها احد انواع القعود او لانه اراد بدعوتهم
جاهرتهم ويجوز ان يكون صفة لمصدر دعا بمعنى دعاء جهارا اى مجاهرا به او مصدرا في موضع الحال
اى مجاهرا فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم
باموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم انهارا امرهم بالاستغفار الذى هو التوبة عن الكفر
والمعاصى وقدم اليهم الموعد بما هو اوقع فى نفوسهم واحب اليهم من المنافع الحاضرة والفوائد
العاجلة ترغيبا فى الايمان وبركاته والطاعة ونتايجها من خير الدارين كما قال واخرى
تحبونها نصر من الله ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات ولو انهم اقاموا
التورية والانجيل وما انزل اليهم من ربهم لاكلوا من فوقهم وان لو استقاموا على الطريقة
لاسقيناهم وقيل لما كذبوه بعد طول تكرير الدعوة حبس الله عنهم القطر واعقم ارحام نسائهم
اربعين سنة وروى سبعين فوعدهم انهم ان امنوا رزقهم الله الخصب ودفع عنهم ما كانوا فيه
وعن عمر رضى الله عنه انه خرج يستسقى فما زاد على الاستغفار فقيل له ما رايناك استسقيت
فقال لقد استسقيت مجاديح السماء التى يستنزل بها المطر شبه الاستغفار بالانواء الصادقة
التى لا تخطى وعن الحسن رحمه الله ان رجلا شكا اليه الجدب فقال استغفر الله وشكا اليه الاخر
الفقر وآخر قلة النسل واخر قلة ريع ارضه فامرهم كلهم بالاستغفار فقال له الربيع
ابن صبيح اتاك رجال يشكون ابوابا ويسالون انواعا فامرتهم كلهم بالاستغفار فتلا الآية
والسماء المظلة لان المطر منها ينزل الى السحاب ويجوز ان يراد السحاب او المطر من قوله
اذا نزل السماء بارض قوم والمدرار الكثير الدرور ومفعال مما يستوى فيه المذكر والمؤنث كقولهم
رجل او امراة معطار ومتفال جنات بساتين ما لكم لا ترجون لله وقارا لا تاملون له توقيرا
اى تعظيما والمعنى ما لكم لا تكونون على حال تاملون فيها تعظيم الله اياكم فى دار الثواب ولله

بيان للموقر ولو تاخر لكان صلة للوقار وقوله وقد خلقكم اطوارا فى موضع الحال كانه قال ما لكم
لا تؤمنون بالله والحال هذه وهى حال موجبة للايمان به لانه خلقكم اطوارا اى تارات خلقكم اولا
ترابا ثم خلقكم نطفا ثم خلقكم علقا ثم خلقكم مضغا ثم خلقكم عظاما ولحما ثم انشاكم خلقا آخر ولا
تخافون لله حكما وترك معاجلة بالعقاب فتؤمنوا وقيل ما لكم لا تخافون لله عظمة وعن ابن عباس لا
تخافون لله عاقبة لان العاقبة حال استقرار الامور وثبات الثواب والعقاب من وقر اذا ثبت
واستقر الم تروا كيف خلق الله سبع سماوات طباقا نبههم على النظر فى انفسهم اولا لانها اقرب
منظور فيه منهم ثم على النظر فى العالم وما سوى فيه من العجائب الشاهدة على الصانع الباهر قدرته
وعلمه من السماوات والارض والشمس والقمر وجعل القمر فيهن نورا فيهن فى السماوات وهو فى
السماء الدنيا لان بين السماوات ملابسة من حيث انها طباق فجاز ان يقال فيهن كذا وان لم يكن
فى جميعهن كما يقال فى المدينة كذا وهو فى بعض نواحيها وعن ابن عباس وابن عمر رضى الله عنهم ان
الشمس والقمر وجوههما مما يلى السماء وظهورهما مما يلى الارض وجعل الشمس سراجا يبصر اهل الدنيا
فى ضوئها كما يبصر اهل البيت فى ضوء السراج ما يحتاجون الى ابصاره والقمر ليس كذلك انما هو
نور لم يبلغ قوة ضياء الشمس ومثله قوله تعالى هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا والضياء اقوى
من النور والله انبتكم من الارض نباتا استعير الانبات للانشاء كما يقال زرعك الله للخير وكانت
هذه الاستعارة ادل على الحدوث لانهم اذا كانوا نباتا كانوا محدثين لا محالة حدوث النبات ومنه
قيل للحشوية النابتة والنوابت لحدوث مذهبهم فى الاسلام من غير اولية لهم فيه ومنه قولهم نجم
فلان لبعض المارقة والمعنى انبتكم فنبتم نباتا او نصب بانبتكم لتضمنه معنى نبتم ثم يعيدكم فيها
مقبورين ويخرجكم اخراجا ويخرجكم يوم القيامة واكدها بالمصدر كانه قال يخرجكم حقا ولا محالة و
الله جعل لكم الارض بساطا جعلها بساطا مبسوطة تتقلبون عليها كما يتقلب الرجل على بساطه لتسلكوا
منها سبلا فجاجا واسعة منفجة قال نوح رب انهم عصونى واتبعوا من لم يزده ماله وولده الا خسارا
واتبعوا رؤسهم المقدمين اصحاب الاموال والاولاد وارتسموا ما رسموا لهم من التمسك بعبادة الاصنام

وجعل اموالهم واولادهم التي لم تزدهم الا وجاهة ومنفعة في الدنيا زائدة خسارا في الآخرة
واجرى ذلك مجرى صفة لازمة لهم وسمة يعرفون بها تحقيقا له وتثبيتا وابطالا لما سواه وقرئ
وولده وولده بضم الواو وكسرها ومكروا معطوف على لم يزده وجمع الضمير وهو راجع الى من
لانه في معنى الجمع والماكرون هم الرؤساء ومكرهم احتيالهم في الدين وكيدهم لنوح وتحريش الناس على
اذاه وصدهم عن الميل اليه والاستماع منه وقولهم لهم لا تذرن آلهتكم الى عبادة رب نوح مكرا
كبارا قرئ بالتخفيف والتثقيل والكبار اكبر من الكبير والكبار اكبر من الكبار ونحوه طوال
وطوال وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ولا يعوق ونسرا ولا تذرن ودا
كان هذه المسماة كانت اكبر اصنامهم واعظم ما عندهم فخصوها بعد قوله لا تذرن آلهتكم وقد انتقلت هذه
الاصنام عن قوم نوح الى العرب فكان ود لكلب وسواع لهمدان ويغوث لمذحج ويعوق لمراد
ونسر لحمير ولذلك سمت العرب بعبد ود وعبد يغوث وقيل هي اسماء رجال صالحين وقيل
من اولاد آدم ماتوا فقال ابليس لمن بعدهم لو صورتم صورهم فكنتم تنظرون اليهم ففعلوا فلما مات اولئك
قال لمن بعدهم انهم كانوا يعبدونهم فعبدوهم وقيل كان ود على صورة رجل وسواع على صورة امرأة
ويغوث على صورة اسد ويعوق على صورة فرس ونسر على صورة نسر وقرئ ودا بضم الواو وقرأ
الاعمش ولا يغوثا ويعوقا بالصرف وهذه قراءة مشكلة لانهما كانا عربيين او اعجميين ففيهما سببا
منع الصرف اما التعريف ووزن الفعل واما التعريف والعجمة ولعله قصد الازدواج فصرفهما
لمصادفته اخواتهما منصرفات ودا وسواعا ونسرا كما قرئ وضحيها بالامالة لوقوعه مع الممالات
للازدواج وقد اضلوا كثيرا ولا تزد الظالمين الا ضلالا وقد اضلوا الضمير للرؤساء ومعناه وقد
اضلوا كثيرا قبل هؤلاء الموصين بان يتمسكوا بعبادة الاصنام ليسوا باول من اضلوهم او قد اضلوا باضلالهم
كثيرا يعني ان هؤلاء المضلين فيهم كثرة ويجوز ان يكون للاصنام كقوله انهن اضللن كثيرا من الناس
فان قلت علام عطف قوله ولا تزد الظالمين قلت على قوله رب انهم عصوني على حكاية
كلام نوح عليه السلام بعد قال وبعد الواو النائبة عنه ومعناه قال رب انهم عصوني وقال لا تزد الظالمين
الا ضلالا اي قال هذين القولين وهما في محل النصب لانهما مفعولا قال كقولك قال زيد نودي للصلوة
وصل

هما رب عصوني ولا تزد الظالمين

وصل في المسجد تحكي قوليه معطوفا احدهما على صاحبه فان قلت كيف جاز ان يريد لهم
الضلال ويدعو الله بزيادته قلت المراد ان يخذلوا ويمنعوا الالطاف لتصميمهم على الكفر
ووقوع الياس من ايمانهم وذلك حسن جميل يجوز الدعاء به بل يحسن الدعاء بخلافه ويجوز ان يريد
بالضلال الضياع والهلاك كقوله ولا تزد الظالمين الا تبارا مما خطيئاتهم اغرقوا تقديم مما خطيئاتهم
لبيان ان لم يكن اغراقهم بالطوفان فادخالهم النار الا من اجل خطيئاتهم واكد هذا المعنى بزيادة ما
وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه من خطيئاتهم ما اغرقوا بتاخير الصلة وكفى بها مزجرة لمرتكب
الخطايا فان كفر قوم نوح كان واحدة من خطيئاتهم وان كانت كبراهن وقد نعيت عليهم سائر
خطيئاتهم كما نعى عليهم كفرهم ولم يفرق بينه وبينهن في استيجاب العذاب لئلا يتكلم المسلم الخاطئ
على اسلامه ويعلم ان معه ما يستوجب به العذاب وان خلا منه الخطيئة الكبرى وقرئ خطاياهم
بالهمز وخطيئاتهم بقلبها ياء وادغامها وخطاياهم وخطيئتهم بالتوحيد على ارادة الجنس ويجوز
ان يراد الكفر فادخلوا نارا جعل دخولهم النار في الآخرة كانه متعقب لاغراقهم لاقترابه و
لانه كائن لا محالة فكانه قد كان او اريد عذاب القبر ومن مات في ماء او نار او اكلته السباع
والطير اصابه ما يصيب القبور من العذاب وعن الضحاك كانوا يغرقون من جانب ويحرقون
من جانب وتنكير النار اما لتعظيمها او لان الله اعد لهم على حسب خطيئاتهم نوعا من النار فلم
يجدوا لهم من دون الله انصارا تعريض باتخاذهم آلهة من دون الله وانها غير قادرة على نصرهم
وتهكم بهم كانه قال فلم يجدوا لهم آلهة من دون الله ينصرونهم ويمنعونهم من عذاب الله كقوله
ام لهم آلهة تمنعهم من دوننا وقال نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا ديار من
الاسماء المستعملة في النفي العام يقال ما بالدار ديار وديور كقيام وقيوم وهو فيعال من
الدور او من الدار اصله ديوار ففعل به ما فعل باصل سيد وميت ولو كان فعالا لكان
دوارا انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجرا كفارا فان قلت بم علم
ان اولادهم يكفرون وكيف وصفهم بالكفر عند الولادة قلت لبث فيهم الف سنة الا خمسين
عاما

فذاقهم واكلهم وعرف طباعهم واخوالهم وكان الرجل منهم ينطلق بابنه اليه ويقول احذر
هذا فانه كذاب وان ابي حذرنيه فيموت الكبير وينشأ الصغير على ذلك وقد اخبر الله عز وجل
انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن ومعنى لم يلدوا الا فاجرا كفارا لم يلدوا الا من سيفجر
ويكفر فوصفهم بما يصيرون اليه كقوله صلى الله عليه وسلم من قتل قتيلا فله سلبه رب اغفر لي
ولوالدي ابوه لمك بن متوشلخ وامه شمخا بنت انوش كانا مؤمنين وقيل هما آدم وحواء
وقرأ الحسين بن علي رضي الله عنهما لولدي يريد ساما وحاما ولمن دخل بيتي مؤمنا وللمؤمنين و
المؤمنات بيتي منزلي وقيل مسجدي وقيل سفينتي خص اولا من يتصل به لانهم اولى
واحق بدعائه ثم عم المؤمنين والمؤمنات ولا تزد الظالمين الا تبارا هلاكا فان قلت ما فعل
صبيانهم حين اغرقوا قلت غرقوا معهم لا على وجه العقاب ولكن كما يموتون بالانواع
من اسباب الموت وكم منهم من يموت بالغرق والحرق وكان ذلك زيادة في عذاب الاباء
والامهات اذا ابصروا اطفالهم يغرقون ومنه قوله صلى الله عليه وسلم يهلكون مهلكا واحدا
ويصدرون مصادر شتى وعن الحسن رحمه الله انه سئل عن ذلك فقال علم الله براءتهم فاهلكهم بغير
عذاب وقيل اعقم الله ارحام نسائهم وايبس اصلاب آبائهم قبل الطوفان باربعين او سبعين
سنة فلم يكن معهم صبي حين اغرقوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة نوح كان
من المؤمنين الذين تدركهم دعوة نوح عليه السلام

سورة الجن مكية وهي ثمان وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم قل أوحي الي قرئ أحي واصله وحي يقال
اوحى اليه ووحى اليه فقلبت الواو همزة كما يقال أعد وأزن واذا الرسل أقتت
وهو من القلب المطلق جوازه في كل واو مضمومة وقد اطلقه المازني في المكسورة ايضا
كاشاح واسادة واعاء اخيه وقرأ ابن ابي عبلة وحي على الاصل أنه استمع بالفتح لانه
فاعل اوحي وانا سمعنا بالكسر لانه مبتدأ محكي بعد القول ثم تحمل عليها البواقي فما كان من الوحي
فتح

فتح وما كان من قول الجن كسر وكلهن من قولهم الا الثنتين الاخريين وان المساجد وانه
لما قام ومن فتح كلهن فعطفا على محل الجار والمجرور في آمنا به كانه قيل صدقناه وصدقنا
انه تعالى جد ربنا وانه كان يقول سفيهنا وكذلك البواقي نفر من الجن جماعة منهم ما بين الثلاثة
الى العشرة وقيل كانوا من الشيصبان وهم اكثر الجن عددا وعامة جنود ابليس منهم فقالوا
انا سمعنا قرآنا عجبا اي قالوا لقومهم حين رجعوا اليهم كقوله فلما قضي ولوا الى قومهم منذرين
قالوا انا سمعنا كتابا عجبا بديعا مباينا لسائر الكتب في حسن نظمه وصحة معانيه قائمة فيه
دلائل الاعجاز وعجب مصدر وضع موضع العجيب وفيه مبالغة وهو ما خرج عن حد اشكاله
ونظائره يهدي الى الرشد يدعو الى الصواب وقيل الى التوحيد والايمان فآمنا به الضمير في
به للقرآن ولما كان الايمان به ايمانا بالله وبوحدانيته وبراءة من الشرك قالوا ولن نشرك بربنا
احدا اي ولن نعود الى ما كنا عليه من الاشراك به في طاعة الشيطان ويجوز ان يكون الضمير
لله عز وجل لان قوله بربنا يفسره وانه تعالى جد ربنا عظمته من قولك جد فلان في عيني اي
عظم وفي حديث عمر رضي الله عنه كان الرجل منا اذا قرأ البقرة وآل عمران جد فينا وروي
في اعيننا او ملكه وسلطانه او غناه استعارة من الجد الذي هو الدولة والبخت لان الملوك
والاغنياء هم المجدودون والمعنى وصفه بالتعالي عن الصاحبة والولد لعظمته او لسلطانه
وملكوته او لغناه وقوله ما اتخذ صاحبة ولا ولدا بيان لذلك وقرئ جدا ربنا على التمييز وجد
ربنا بالكسر اي صدق ربوبيته وحق الاهيته عن اتخاذ الصاحبة والولد وذلك انهم لما سمعوا
القرآن ووفقوا للتوحيد والايمان تنبهوا على الخطأ فيما اعتقده كفرة الجن من تشبيه الله
بخلقه واتخاذه صاحبة وولدا فاستعظموه ونزهوه عنه وانه كان يقول سفيهنا على الله شططا
سفيههم ابليس او غيره من مردة الجن والشطط مجاوزة الحد في الظلم وغيره ومنه اشط في السوم
اذا ابعد فيه اي يقول قولا هو في نفسه شطط لفرط ما اشط فيه وهو نسبة الصاحبة والولد الى
الله وانا ظننا ان لن تقول الانس والجن على الله كذبا وكان في ظننا ان احدا من الثقلين

لن يكذب على الله ولن يفتري عليه ما ليس بحق فكنا نصدقهم فيما اضافوا اليه من ذلك حتى تبين
لنا بالقرآن كذبهم وافتراؤهم كذبا قولا كذبا اي مكذوبا فيه او نصب نصب المصدر لان الكذب نوع
من القول ومن قرأ أن لن تقوّل وضع كذبا موضع تقولا ولم يجعله صفة لان التقول لا يكون الا
كذبا وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا الرهق غشيان المحارم
والمعنى ان الانس باستعاذتهم بهم زادوهم كبرا وكفرا وذلك ان الرجل من العرب كان اذا امسى
في واد قفر في بعض مسايره وخاف على نفسه قال اعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه يريد الجن
وكبيرهم فاذا سمعوا بذلك استكبروا وقالوا سدنا الجن والانس فذلك رهقهم او فزاد الجن
الانس رهقا باغوائهم واضلالهم لاستعاذتهم بهم وانهم وان الانس ظنوا كما ظننتم ان لن يبعث
الله احدا وهو من كلام الجن يقوله بعضهم لبعض وقيل الآيتان من جملة الوحي والضمير في وانهم
ظنوا للجن والخطاب في ظننتم لكفار قريش وانا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا
اللمس المس فاستعير للطلب لان الماس طالب متعرف قال مسنا من الآباء شيئا وكلنا
الى نسب في قومه غير واضع يقال لمسه والتمسه وتلمسه كطلبه واطلبه وتطلبه ونحوه الجس
وقولهم جسوه باعينهم وتجسسوه والمعنى طلبنا بلوغ السماء واستماع كلام اهلها والحرس
اسم مفرد في معنى الحراس كالخدم في معنى الخدام ولذلك وصف بشديد ولو ذهب الى
معناه لقيل شدادا ونحوه اخشى رجيلا او ركيبا عاديا لان الرجل والركب مفردان في معنى
الرجال والركاب وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا الرصد
مثل الحرس اسم جمع للراصد على معنى ذوي شهاب راصدين بالرجم وهم الملائكة الذين يرجمونهم
بالشهب ويمنعونهم من الاستماع ويجوز ان يكون صفة للشهاب بمعنى الراصد او كقوله
ومعى جياعا يعني يجد شهابا راصدا له ولاجله فان قلت كان الرجم لم يكن في الجاهلية وقد قال
الله تعالى ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين فذكر فائدتين في خلق الكواكب
التزيين ورجم الشياطين قلت قال بعضهم حدث بعد مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم

ومن احكى آيات ذلك والصحيح انه كان قبل المبعث وقد جاء ذكره في شعر اهل الجاهلية قال بشر بن ابي خازم
والعير يرهقها الغبار وجحشها ينقض خلفهما انقضاض الكوكب وقال اوس بن حجر
فانقض كالدري يتبعه نقع يثور تخاله طنبا وقال عوف بن الخرع
يرد علينا العير من دون انفه او الثور كالدري يتبعه الدم ولكن الشياطين كانت تسترق في
بعض الاحوال فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم كثر ذلك الرجم وزاد زيادة ظاهرة حتى تنبه
لها الانس والجن ومنع الاستراق اصلا وعن معمر قلت للزهري اكان يرمى بالنجوم في الجاهلية
قال نعم قلت ارايت قوله وانا كنا نقعد فقال غلظت وشدد امرها حين بعث النبي صلى الله عليه
وسلم وروى الزهري عن علي بن الحسين عن ابن عباس رضي الله عنهم بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم
جالس في نفر من الانصار اذ رمي بنجم فاستنار فقال ما كنتم تقولون في مثل هذا في الجاهلية فقالوا
كنا نقول يموت عظيم او يولد عظيم وفي قوله ملئت دليل على ان الحادث هو الملء والكثرة وكذلك
قوله نقعد منها مقاعد اي كنا نجد فيها بعض المقاعد خالية من الحرس والشهب والآن ملئت المقاعد
كلها وهذا ذكر ما حملهم على الضرب في البلاد حتى عثروا على رسول الله صلى الله عليه وسلم واستمعوا
قراءته يقولون لما حدث هذا الحادث من كثرة الرجم ومنع الاستراق قلنا ما هذا الا لامر اراده
الله باهل الارض وانا لا ندري اشر اريد بمن في الارض ام اراد بهم ربهم رشدا اي لا نخلو هذا
الامر من ان يكون شرا او رشدا اي خيرا من عذاب او رحمة او من خذلان او توفيق وانا منا
الصالحون الابرار المتقون ومنا دون ذلك ومنا قوم دون ذلك فحذف الموصوف كقوله وما منا
الا له مقام معلوم وهم المقتصدون في الصلاح غير الكاملين فيه او ارادوا غير الصالحين كنا طرائق
قددا بيان للقسمة المذكورة اي كنا ذوي مذاهب مفترقة مختلفة او كنا في اختلاف احوالنا
مثل الطرائق المختلفة او كنا في طرائق مختلفة كقوله كما عسل الطريق الثعلب او كانت
طرائقنا طرائق قددا على حذف المضاف الذي هو الطرائق واقامة الضمير المضاف اليه مقامه
والقدة من قدّ كالقطعة من قطع ووصفت الطرائق بالقدد لدلالتها على معنى التقطع والتفرق

وانا ظننا ان لن نعجز الله في الارض ولن نعجزه هربا في الارض وهربا حالان اى لن نعجزه كائنين
في الارض اينما كنا فيها ولن نعجزه هاربين منها الى السماء وقيل لن نعجزه في الارض ان اراد بنا امرا
ولن نعجزه هربا ان طلبنا والظن بمعنى اليقين وهذه صفة احوال الجن وما هم عليه من احوالهم
وعقائدهم منهم اخيار واشرار ومقتصدون وانهم يعتقدون ان الله عز وجل عزيز غالب لا يفوته مطلب
ولا ينجي عنه مهرب وانا لما سمعنا الهدى آمنا به وهو سماعهم القران وايمانهم به فمن يؤمن
بربه فلا يخاف فهو لا يخاف اى فهو غير خائف ولان الكلام في تقدير مبتدا وخبر دخلت الفاء
ولولا ذلك لقيل لا يخف فان قلت اى فائدة في رفع الفعل وتقدير مبتدا قبله حتى يقع
خبرا له ووجوب ادخال الفاء وكان ذلك كله مستغنى عنه بان يقال لا يخف قلت
الفائدة فيه انه اذا فعل ذلك فكانه قيل فهو لا يخاف فكان دالا على تحقيق ان المومن ناج لا محالة
وانه هو المختص بذلك دون غيره وقرا الاعمش فلا يخف على النهي بخسا ولا رهقا اى جزاء
بخس ولا رهق لانه لم يبخس احدا حقا ولا رهق ظلم احد فلا يخاف جزاءهما وفيه دلالة على
ان من حق من آمن بالله ان يجتنب المظالم ومنه قوله صلى الله عليه وسلم المومن من امنه
الناس على انفسهم واموالهم ويجوز ان يراد فلا يخاف ان يبخس بل يجزى الجزاء الاوفى ولا ان ترهقه
ذلة من قوله عز وجل وترهقهم ذلة وانا منا المسلمون ومنا القاسطون الكافرون الجائرون
عن طريق الحق وعن سعيد بن جبير ان الحجاج قال له اذ اراد قتله ما تقول في قال قاسط عادل
فقال القوم ما احسن ما قال حسبوا انه يصفه بالقسط والعدل فقال الحجاج يا جهلة انه سماني
ظالما مشركا وتلا لهم قوله واما القاسطون وقوله ثم الذين كفروا بربهم يعدلون وقد زعم من لا
يرى للجن ثوابا ان الله عز وجل اوعد قاسطيهم وما وعد مسلميهم وكفى به وعدا ان قال فمن
اسلم فاولئك تحروا رشدا فذكر سبب الثواب وموجبه والله اعدل من ان يعاقب القاسط ولا
يثيب الراشد واما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا وان لو استقاموا ان مخففة من الثقيلة
وهو من جملة الموحى والمعنى ثم اوحي الي ان الشان والحديث لو استقام الجن على الطريقة
المثلى

المثلى اى لو ثبت ابوهم الجان على ما كان عليه من عبادة الله والطاعة ولم يتكبر عن السجود
لآدم ولم يكفر وتبعه ولده على الاسلام لانعمنا عليهم ولوسعنا رزقهم وذكر الماء الغدق وهو
الكثير بفتح الدال وكسرها وقرئ بهما لانه اصل المعاش وسعة الرزق لنفتنهم فيه لنختبرهم فيه
كيف يشكرون ما خولوا منه ويجوز ان يكون معناه وان لو استقام الجن الذين استمعوا
على طريقتهم التي كانوا عليها قبل الاستماع ولم ينتقلوا عنها الى الاسلام لوسعنا عليهم الرزق
مستدرجين لهم لنفتنهم فيه لنكون النعمة سببا في اتباعهم شهواتهم ووقوعهم في الفتنة وازديادهم
اثما ومن يعرض عن ذكر ربه عن عبادته او عن موعظته او عن وحيه يسلكه وقرئ بالنون
مفتوحة ومضمومة اى ندخله عذابا صعدا والاصل نسلكه في عذاب كقوله ما سلككم في سقر فعدي
الى مفعولين اما بحذف الجار وايصال الفعل كقوله واختار موسى قومه واما بتضمينه معنى ندخله
يقال سلكه واسلكه قال حتى اذا اسلكوهم في قتائدة والصعد مصدر صعد يقال صعد
صعدا وصعودا فوصف به العذاب لانه يتصعد المعذب اى يعلوه ويغلبه فلا يطيقه ومنه
قول عمر رضي الله عنه ما تصعدني شيء ما تصعدتني خطبة النكاح يريد ما شق علي ولا غلبني وان
المساجد فلا تدعوا مع الله احدا وان المساجد من جملة الموحى وقيل معناه ولان المساجد لله
فلا تدعوا على ان اللام متعلقة بلا تدعوا اى فلا تدعوا مع الله احدا في المساجد لانها لله خاصة
ولعبادته وعن الحسن يعني الارض كلها لانها جعلت للنبي صلى الله عليه وسلم مسجدا وقيل المراد
بها المسجد الحرام لانه قبلة المساجد ومنه قوله تعالى ومن اظلم ممن منع مساجد الله ان يذكر فيها
اسمه وعن قتادة كان اليهود والنصارى اذا دخلوا بيعهم وكنائسهم اشركوا بالله فامرنا ان نخلص
لله الدعوة اذا دخلنا المساجد وقيل المساجد اعضاء السجود السبعة قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم امرت ان اسجد على سبعة آراب وهي الجبهة والانف واليدان والركبتان والقدمان
وقيل هي جمع مسجد وهو السجود وانه لما قام عبد الله النبي صلى الله عليه وسلم فان قلت
هلا قيل رسول الله او النبي قلت

في كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نفسه جيء به على ما يقتضيه التواضع والتذلل أو
لأن المعنى أن عبادة عبد الله لله ليست بأمر مستبعد عن العقل ولا مستنكر حتى يكونوا عليه
لبدا ومعنى قام يدعوه قام يعبده يريد قيامه لصلاة الفجر بنخلة حين أتاه الجن فاستمعوا القراءة
كادوا يكونون عليه لبدا أي يزدحمون عليه متراكمين تعجبا مما رأوا من عبادته واقتداء
أصحابه به قائما وراكعا وساجدا وإعجابا بما تلا من القرآن لأنهم رأوا ما لم يروا مثله وسمعوا
ما لم يسمعوا بنظيره وقيل معناه لما قام رسولا يعبد الله وحده مخالفا للمشركين في عبادتهم الآلهة
من دونه كاد المشركون لتظاهرهم عليه وتعاونهم على عداوته يزدحمون عليه متراكمين ولبدا
جمع لبدة وهي ما تلبد بعضه على بعض ومنها لبدة الأسد وقرئ لبد واللبدة في معنى
اللبدة ولبدا جمع لابد كساجد وسجد ولبدا بضمتين جمع لبود كصبور وصبر وعن قتادة
تلبدت الإنس والجن على هذا الأمر ليطفئوه فأبى الله إلا أن ينصره ويظهره على من ناواه
ومن قرأ وإنه بالكسر جعله من كلام الجن قالوه لقومهم حين رجعوا إليهم حاكين ما رأوه من
صلاته وازدحام أصحابه عليه في ائتمامهم به قال إنما أدعو ربي ولا أشرك به أحدا قال للمتظاهرين
عليه إنما أدعو ربي ما أتيتكم بأمر منكر إنما أعبد ربي وحده ولا أشرك به أحدا وليس ذاك مما يوجب
إطباقكم على مقتي وعداوتي أو قال الجن عند ازدحامهم متعجبين ليس ما ترون من عبادته الله ورفض
الإشراك به بأمر يتعجب منه إنما يتعجب ممن يدعو غير الله ويجعل له شريكا أو قال الجن لقومهم
ذلك حكاية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قل إني لا أملك لكم ضرا ولا رشدا ولا نفعا أراد
بالضر الغي ويدل عليه قراءة أبي غيا ولا رشدا والمعنى لا أستطيع أن أضركم وأن أنفعكم وإنما
الضار والنافع الله أو لا أستطيع أن أقسركم على الغي والرشد إنما القادر على ذلك الله عز وجل قل
إني لن يجيرني من الله أحد ولن أجد من دونه ملتحدا إلا بلاغا من الله استثناء منه أي لا أملك إلا بلاغا
من الله وقل إني لن يجيرني جملة معترضة اعترض بها لتأكيد نفي الاستطاعة عن نفسه وبيان عجزه
على معنى أن الله إن أراد به سوءا من مرض أو موت أو غيرهما لم يصح أن يجيره منه أحد أو يجد

من دونه ملاذا يأوي إليه والملتحد الملتجأ وأصله المدخل من اللحد وقيل محيصا ومعدلا وقرئ
قال لا أملك أي قال عبد الله للمشركين أو للجن ويجوز أن يكون من حكاية الجن لقومهم وقيل
بلاغا بدل من ملتحدا أي لن أجد من دونه منجى إلا أن أبلغ عنه ما أرسلني به وقيل إلا هي
إن لا ومعناه إن لا أبلغ بلاغا كقولك إن لا قياما فقعودا ورسالاته عطف على بلاغا كأنه قيل لا
أملك لكم إلا التبليغ والرسالات والمعنى إلا أن أبلغ عن الله فأقول قال الله كذا ناسبا القول إليه
وأن أبلغ رسالاته التي أرسلني بها من غير زيادة ولا نقصان فإن قلت ألا يقال بلغ عنه ومنه
قوله صلى الله عليه وسلم بلغوا عني بلغوا عني قلت من ليست بصلة للتبليغ إنما هي بمنزلة من
في قوله براءة من الله بمعنى بلاغا كائنا من الله ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم خالدين وقرئ
فأن له نار جهنم على فجزاؤه أن له نار جهنم كقوله فأن لله خمسه أي فحكمه أن لله خمسه وقال خالدين
حملا على معنى الجمع في من حتى إذا رأوا ما يوعدون فسيعلمون من أضعف ناصرا وأقل عددا
فإن قلت بم تعلق حتى وجعل ما بعده غاية له قلت بقوله يكونون عليه لبدا على أنهم يتظاهرون
عليه بالعداوة ويستضعفون أنصاره ويستقلون عدده حتى إذا رأوا ما يوعدون من يوم
بدر وإظهار الله له عليهم أو من يوم القيامة فسيعلمون حينئذ أنهم أضعف ناصرا وأقل عددا
ويجوز أن يتعلق بمحذوف دلت عليه الحال من استضعاف الكفار له واستقلالهم لعدده كأنه قال
لا يزالون على ما هم عليه حتى إذا رأوا ما يوعدون قل إن أدري أقريب ما توعدون أم يجعل له
ربي أمدا قال المشركون متى يكون هذا الموعود إنكارا له فقيل قل إنه كائن لا ريب فيه فلا تنكروه
فإن الله قد وعد ذلك وهو لا يخلف الميعاد وأما وقته فما أدري متى يكون لأن الله تعالى لم يبينه
لما رأى في إخفاء وقته من المصلحة فإن قلت ما معنى قوله أم يجعل له ربي أمدا والأمد
قد يكون قريبا وبعيدا ألا ترى إلى قوله تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا قلت كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يستقرب الموعد فكأنه قال ما أدري أهو حال متوقع في كل ساعة أم مؤجل
ضربت له غاية عالم الغيب فلا يظهر [illegible] تبيين

لمن ارتضى يعني انه لا يطلع على الغيب الا المرتضى الذي هو مصطفى للنبوة خاصة لا كل مرتضى
وفي هذا ابطال للكرامات لان الذين تضاف اليهم وان كانوا اولياء مرتضين فليسوا برسل
وقد خص الله الرسل من بين المرتضين بالاطلاع على الغيب وابطال الكهانة والتنجيم لان اصحابها
ابعد شيء من الارتضاء وادخله في السخط فانه يسلك من بين يديه يدي من ارتضى للرسالة ومن
خلفه رصدا حفظة من الملائكة يحفظونه من الشياطين يطردونهم عنه ويعصمونه من وساوسهم
وتخاليطهم حتى يبلغ ما اوحي به اليه وعن الضحاك ما بعث نبي الا ومعه ملائكة يحرسونه من
الشياطين ان يتشبهوا بصورة الملك ليعلم الله ان قد ابلغوا رسالات ربهم يعني الانبياء وحد
اولا في قوله من بين يديه ومن خلفه ثم جمع على المعنى كقوله فان له نار جهنم خالدين والمعنى
ليبلغوا رسالات ربهم كما هي محروسة من الزيادة والنقصان وذكر العلم كذكره في قوله تعالى
حتى نعلم المجاهدين وقرئ ليعلم على البناء للمفعول واحاط بما لديهم بما عند الرسل من الحكم
والشرائع لا يفوته منها شيء ولا ينسى منها حرفا فهو مهيمن عليها حافظ لها واحصى كل شيء عددا
من القطر والرمل وورق الاشجار وزبد البحار فكيف لا يحيط بما عند الرسل من وحيه وكلامه
وعددا حال اي وضبط كل شيء معدودا محصورا او مصدر في معنى احصاء عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم من قرأ سورة الجن كان له بعدد كل جني صدق محمدا او كذب به عتق رقبة

سورة المزمل مكية تسع عشرة او عشرون آية

بسم الله يا ايها المزمل المتزمل وهو الذي تزمل في ثيابه اي
تلفف بها بادغام التاء في الزاي ونحوه المدثر في المتدثر وقرئ المتزمل والمزمل بتخفيف الزاي
وفتح الميم وكسرها على انه اسم فاعل او مفعول من زمله وهو الذي زمله غيره او زمل نفسه
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم نائما بالليل متزملا في قطيفة فنبه ونودي بما يهجن اليه
الحالة التي كان عليها من التزمل في قطيفته واستعداده للاستثقال في النوم كما يفعل من
لا يهمه امر ولا يعنيه شأن الا ترى الى قول ذي الرمة وكائن تخطت ناقتي من مفازة ومن نائم عن ليلها
متزمل يريد الكسلان المتقاعس الذي لا ينهض في معاظم الامور وكفايات الخطوب ولا تحمل
نفسه المشاق والمتاعب ونحوه سهدا اذا ما نام ليل الهوجل وفي امثالهم
اوردها سعد وسعد مشتمل ما هكذا تورد يا سعد الابل فذم بالاشتمال بكسائه وجعل
ذلك خلاف الجلد والكيس وامر بان يختار على الهجود التهجد وعلى التزمل التشمر للجد
والتخفف للعبادة والمجاهدة في الله لا جرم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تشمر لذلك مع
اصحابه حق التشمر واقبلوا على احياء لياليهم ورفضوا له الرقاد والدعة وتجاهدوا فيه
حتى انتفخت اقدامهم واصفرت الوانهم وظهرت السيماء في وجوههم وترامى امرهم الى حد رحمهم
له ربهم فخفف عنهم وقيل كان متزملا في مرط لعائشة رضي الله عنها يصلي فهو على هذا
ليس بتهجين بل هو ثناء عليه وتحسين لحاله التي كان عليها وامر بان يدوم على ذلك ويواظب
عليه وعن عائشة رضي الله عنها انها سئلت ما كان تزميله قالت كان مرطا طوله اربع عشرة
ذراعا نصفه علي وانا نائمة ونصفه عليه وهو يصلي فسئلت ما كان قالت والله ما كان خزا
ولا قزا ولا مرعزى ولا ابريسما ولا صوفا كان سداه شعرا ولحمته وبرا وقيل دخل
صلى الله عليه وسلم على خديجة رضي الله عنها وقد جئث فرقا اول ما اتاه جبريل وبوادره
ترعد فقال زملوني وحسب انه عرض له فبينا هو على ذلك اذ ناداه جبريل فقال يا ايها
المزمل وعن عكرمة ان المعنى يا ايها الذي زمل امرا عظيما اي حمله والزمل الحمل
وازدمله احتمله وقرئ قم الليل بضم الميم وفتحها قال عثمان بن جني الغرض بهذه الحركة
التبلغ بها هربا من التقاء الساكنين فباي الحركات تحرك فقد وقع الغرض الا قليلا استثناء من
الليل نصفه بدل من الليل والا قليلا استثناء من النصف
نصفه او انقص منه قليلا او زد عليه والضمير في منه وعليه للنصف والمعنى التخيير
النصف كانه قال قم اقل من نصف الليل والزيادة عليه وان شئت جعلت نصفه بدلا من
بين امرين وهما النقصان من النصف والزيادة عليه ومن قيام الناقص منه ومن قيام الزائد
قليلا وكان تخييرا بين ثلث من قيام النصف بتمامه

عليه وانما وصف النصف بالقلة بالنسبة الى الكل وان شئت قلت لما كان معنى قم الليل
الا قليلا نصفه اذا ابدلت النصف من الليل قم اقل من نصف الليل ورجع الضمير في منه
وعليه الى الاقل من النصف فكانه قيل قم اقل من نصف الليل او قم انقص من ذلك الاقل
او ازيد منه قليلا فيكون التخيير فيما وراء النصف بينه وبين الثلث ويجوز اذا ابدلت
نصفه من قليلا وفسرته به ان تجعل قليلا الثاني بمعنى نصف النصف وهو الربع كانه قيل
او انقص منه قليلا نصفه وتجعل المزيد على هذا القليل اعني الربع نصف الربع كانه قيل
او زد عليه قليلا نصفه ويجوز ان تجعل الزيادة لكونها مطلقة تتمة الثلث فيكون تخييرا
بين النصف والثلث والربع **فان قلت** اكان القيام فرضا ام نفلا **قلت** عن
عائشة رضي الله عنها ان الله تعالى جعله تطوعا بعد ان كان فريضة وقيل كان فرضا قبل
ان تفرض الصلوات الخمس ثم نسخ بهن الا ما تطوعوا به وعن الحسن رحمه الله كان قيام
ثلث الليل فريضة وكانوا على ذلك سنة وقيل كان واجبا وانما وقع التخيير في المقدار
ثم نسخ بعد عشر سنين وعن الكلبي كان يقوم الرجل حتى يصبح مخافة ان لا يحفظ ما بين النصف
والثلث والثلثين ومنهم من قال كان نفلا بدليل التخيير في المقدار ولقوله تعالى ومن الليل
فتهجد به نافلة لك **ورتل القرآن ترتيلا** ترتيل القرآن قراءته على ترسل وتؤدة بتبيين الحروف
واشباع الحركات حتى يجيء المتلو منه شبيها بالثغر المرتل وهو المفلج المشبه بنور الاقحوان
وان لا يهذه هذا ولا يسرده سردا كما قال عمر رضي الله عنه شر السير الحقحقة وشر القراءة
الهذرمة حتى يشبه المتلو في تتابعه الثغر الالص وسئلت عائشة رضي الله عنها عن
قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت لا كسردكم هذا لو اراد السامع ان يعد حروفه
لعدها وترتيلا تاكيد في ايجاب الامر به وانه ما لا بد منه للقارئ **انا سنلقي عليك قولا ثقيلا**
هذه الآية اعتراض ويعني بالقول الثقيل القرآن وما فيه من الاوامر والنواهي التي هي
تكاليف شاقة ثقيلة على المكلفين خاصة على رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه متحملها بنفسه

ومحملها امته فهي اثقل عليه وابهظ له واراد بهذا الاعتراض ان ما كلفه من قيام الليل
من جملة التكاليف الثقيلة الصعبة التي ورد بها القرآن لان الليل وقت السبات والراحة و
الهدو فلا بد لمن احياه من مضادة لطبعه ومجاهدة لنفسه وعن ابن عباس رضي الله عنهما كان اذا
نزل عليه الوحي ثقل عليه وتربد له جلده وعن عائشة رضي الله عنها رايته ينزل عليه الوحي
في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وان جبينه ليرفض عرقا وعن الحسن رحمه الله ثقيل في الميزان
وقيل ثقيل على المنافقين وقيل كلام له وزن ورجحان ليس بالسفساف **ان ناشئة الليل**
النفس الناشئة بالليل التي تنشأ من مضجعها الى العبادة اي تنهض وترتفع من نشأت السحابة
اذا ارتفعت ونشأ من مكانه ونشز اذا نهض قال نشأنا الى خوص برى نيها السرى
والصق منها مشرفات القماحد او قيام الليل على ان الناشئة مصدر من نشأ اذا
قام ونهض على فاعلة كالعافية ويدل عليه ما روي عن عبيد بن عمير قلت لعائشة رضي الله عنها
رجل قام من اول الليل اتقولين له قام ناشئة قالت لا انما الناشئة القيام بعد النوم ففسرت
الناشئة بالقيام عن المضاجع او العبادة التي تنشأ بالليل اي تحدث وترتفع وقيل هي ساعات
الليل كلها لانها تحدث واحدة بعد اخرى وقيل الساعات الاول منها وعن علي بن الحسين رضي الله
عنهما انه كان يصلي بين المغرب والعشاء ويقول اما سمعتم قول الله ان ناشئة الليل هذه ناشئة
الليل **هي اشد وطأ** هي خاصة دون ناشئة النهار اشد مواطأة يواطئ قلبها لسانها ان اردت
النفس او يواطئ فيها قلب القائم لسانه ان اردت القيام او العبادة او الساعات او اشد
موافقة لما يراد من الخشوع والاخلاص وعن الحسن اشد موافقة بين السر والعلانية لانقطاع
رؤية الخلائق وقرئ اشد وطأ بالفتح والكسر والمعنى اشد ثبات قدم وابعد من الزلل
او اثقل واغلظ على المصلي من صلاة النهار من قوله صلى الله عليه وسلم اللهم اشدد وطأتك
على مضر **واقوم قيلا** واشد مقالا واثبت قراءة لهدو الاصوات وعن انس رضي الله عنه انه
قرأ واصوب قيلا فقيل له يا ابا حمزة انما هي واقوم فقال ان اقوم واصوب وهيئا واحد

وروى ابو زيد الانصاري عن ابي السرار الغنوي انه كان يقرأ فحاسوا بالحاء غير معجمة
فقيل له انما هو جاسوا بالجيم فقال جاسوا وحاسوا واحد ان لك في النهار سبحا طويلا سبحا
تصرفا وتقلبا في مهماتك وشواغلك ولا تفرغ الا بالليل فعليك بمناجاة الله التي تقتضي فراغ البال
وانتفاء الشواغل واما القراءة بالخاء فاستعارة من سبخ الصوف وهو نفشه ونشر اجزائه
لانتشار الهم وتفرق القلب بالشواغل كلفه قيام الليل ثم ذكر الحكمة فيما كلفه منه وهو ان
الليل اعون على المواطاة واشد للقراءة لهدو الرجل وخفوت الصوت وانه اجمع للقلب واضم
لنشر الهم من النهار لانه وقت تفرق الهموم وتوزع الخواطر والتقلب في حوائج المعاش و
المعاد وقيل فراغا وسعة لنومك وتصرفك في حوائجك وقيل ان فاتك من الليل شيء فلك في النهار
فراغ تقدر على تداركه فيه واذكر اسم ربك ودم على ذكره في ليلك ونهارك واحرص عليه وذكر الله
يتناول كل ما كان من ذكر طيب تسبيح وتهليل وتكبير وتمجيد وتوحيد وصلاة وتلاوة قرآن
ودراسة علم وغير ذلك مما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستغرق به ساعات ليله ونهاره
وتبتل اليه تبتيلا وانقطع اليه فان قلت كيف قيل تبتيلا مكان تبتلا قلت لان معنى
تبتل بتل نفسه فجيء به على معناه مراعاة لحق الفواصل رب المشرق والمغرب قرئ مرفوعا على
المدح ومجرورا على البدل من ربك وعن ابن عباس رضي الله عنهما على القسم باضمار حرف القسم
كقولك الله لافعلن وجوابه لا اله الا هو كما تقول والله لا احد في الدار الا زيد وقرأ ابن عباس
رضي الله عنهما رب المشارق والمغارب فاتخذه وكيلا مسبب عن التهليلة لانه هو وحده هو
الذي يجب لتوحده بالربوبية ان توكل اليه الامور وقيل وكيلا كفيلا بما وعدك من النصر
والاظهار واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا جميلا الهجر الجميل ان يجانبهم بقلبه وهواه
ويخالفهم مع حسن المخالقة والمداراة والاغضاء وترك المكافاة وعن ابي الدرداء انا لنكشر
في وجوه قوم ونضحك اليهم وان قلوبنا لتقليهم وقيل هو منسوخ باية السيف وذرني والمكذبين
اولي النعمة ومهلهم قليلا اذا عرف الرجل من صاحبه انه مستاهل يخطب به يريد ان يكفاه او يعد

تشتهي

تشتهي ان تنتقم له منه وهو مضطلع بذلك مقتدر عليه قال ذرني واياه اي لا تحتاج الى الظفر
بمرادك ومشتهاك الا ان تخلي بيني وبينه بان تكل امره الي وتستكفينيه فان في ما يفرغ بالك
ويجلي همك وليس ثم مانع حتى يطلب اليه ان يذره واياه الا ترك الاستكفاء والتفويض كانه اذا
لم يكل اليه امره فكانه منعه فاذا وكله اليه فقد ازال المنع وتركه واياه وفيه دليل على الوثوق
بانه يتمكن من الوفاء باقصى ما تدور حوله امنية المخاطب وبما يزيد عليه والنعمة بالفتح التنعم
وبالكسر الانعام وبالضم المسرة يقال نعم ونعمة عين وهم صناديد قريش وكانوا اهل تنعم وترفه
ان لدينا انكالا وجحيما وطعاما ذا غصة وعذابا اليما ان لدينا ما يضاد تنعمهم من انكال
وهي القيود الثقال عن الشعبي اذا ارتفعوا استفلت بهم الواحد نكل ونكل ومن جحيم وهي
النار الشديدة الحر والاتقاد ومن طعام ذي غصة وهو الذي ينشب في الحلوق فلا ينساغ يعني
الضريع وشجر الزقوم ومن عذاب اليم من سائر العذاب فلا ترى موكولا اليه امرهم موذورا بينه
وبينهم ينتقم منهم بمثل ذلك الانتقام وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الاية فصعق وعن
الحسن رحمه الله انه امسى صائما فاتي بطعام فعرضت له هذه الاية فقال ارفعه ووضع عنده الليلة
الثانية فعرضت له فقال ارفعه وكذلك الليلة الثالثة فاخبر ثابت البناني ويزيد الضبي ويحيى
البكاء فجاؤا فلم يزالوا به حتى شرب شربة من سويق يوم ترجف الارض والجبال وكانت الجبال
كثيبا مهيلا يوم ترجف منصوب بما في لدينا والرجفة الزلزلة والزعزعة الشديدة والكثيب
الرمل المجتمع من كثب الشيء اذا جمعه كانه فعيل بمعنى مفعول في اصله ومنه الكثبة
من اللبن قالت الضائنة اجز جفالا واحلب كثبا ثقالا اي كانت مثل رمل مجتمع هيل
هيلا اي نثر واسيل انا ارسلنا اليكم رسولا الخطاب لاهل مكة شاهدا عليكم يشهد
عليكم يوم القيامة بكفركم وتكذيبكم كما ارسلنا الى فرعون رسولا فعصى فرعون الرسول فان
قلت لم نكر الرسول ثم عرف قلت لانه اراد ارسلنا الى فرعون بعض الرسل فلما اعاده
وهو معهود بالذكر ادخلت لام التعريف اشارة الى المذكور بعينه فاخذناه اخذا وبيلا ثقيلا

غليظا من قولهم كلأ وبيل وخيم لا يستمرأ لثقله والوبيل العصا الضخمة ومنه الوابل للمطر
العظيم فكيف تتقون ان كفرتم يوما يجعل الولدان شيبا يوما مفعول به اى فكيف تتقون انفسكم
يوم القيامة وهو له ان بقيتم على كفركم ولم تؤمنوا ولم تعملوا صالحا ويجوز ان يكون ظرفا اى فكيف لكم
بالتقوى في يوم القيامة ان كفرتم في الدنيا ويجوز ان ينتصب بكفرتم على تاويل جحدتم اى فكيف تتقون الله
وتخشونه ان جحدتم يوم القيامة والجزاء لان تقوى الله خوف عقابه ويجعل الولدان شيبا مثل في
الشدة يقال في اليوم الشديد يوم يشيب نواصي الاطفال والاصل فيه ان الهموم والاحزان اذا
تفاقمت على الانسان اسرع فيه الشيب قال ابو الطيب والهم يخترم الجسيم نحافة
ويشيب ناصية الصبي ويهرم وقد مر بي في بعض الكتب ان رجلا امسى فاحم الشعر كحنك
الغراب فاصبح وهو ابيض الراس واللحية كالثغامة فقال اريت القيامة والجنة والنار في
المنام ورايت الناس يقادون في السلاسل الى النار فمن هول ذلك اصبحت كما ترون ويجوز ان
يوصف اليوم بالطول وان الاطفال يبلغون فيه اوان الشيخوخة والشيب السماء منفطر به وصف
لليوم بالشدة ايضا وان السماء على عظمها واحكامها تنفطر فيه فما ظنك بغيرها من الخلائق وقرئ
منفطر ومتفطر والمعنى ذات انفطار او على تاويل السماء بالسقف او السماء شيء منفطر والباء
في به مثلها في قولك فطرت العود بالقدوم فانفطر به يعني انها تنفطر بشدة ذلك اليوم وهو له كما
ينفطر الشيء بما يفطر به ويجوز ان يراد السماء مثقلة به اثقالا يؤدي الى انفطارها لعظمه عليها
وخشيتها من وقوعه كقوله ثقلت في السماوات والارض كان وعده مفعولا وعده من اضافة
المصدر الى المفعول والضمير لليوم ويجوز ان يكون مضافا الى الفاعل وهو الله عز وجل ولم يجر
له ذكر لكونه معلوما ان هذه الايات الناطقة بالوعيد الشديد تذكرة موعظة فمن شاء
اتخذ الى ربه سبيلا فمن شاء اتعظ بها واتخذ سبيلا الى الله بالتقوى والخشية ومعنى اتخاذ
السبيل اليه التقرب والتوسل بالطاعة ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثي الليل اقل منهما
وانما استعير الادنى وهو الاقرب للاقل لان المسافة بين الشيئين اذا دنت قل ما بينهما من الاحياز
واذا

واذا بعدت كثر ذلك وقرئ ونصفه وثلثه بالنصب على انك تقوم اقل من الثلثين وتقوم النصف
والثلث وهو مطابق لما مر في اول السورة من التخيير بين قيام النصف بتمامه وبين قيام الناقص
منه وهو الثلث وبين قيام الزائد عليه وهو الادنى من الثلثين وقرئ ونصفه وثلثه بالجر اى تقوم
اقل من الثلثين واقل من النصف والثلث وهو مطابق للتخيير بين النصف وهو ادنى من الثلثين والثلث
وهو ادنى من النصف والربع وهو ادنى من الثلث وهو الوجه الاخير وطائفة من الذين معك
ويقوم ذلك جماعة من اصحابك والله يقدر الليل والنهار ولا يقدر على تقدير الليل والنهار
ومعرفة مقادير ساعاتهما الا الله وحده وتقديم اسمه عز وجل مبتدأ مبنيا عليه يقدر هو الدال
على معنى الاختصاص بالتقدير والمعنى انكم لا تقدرون عليه علم ان لن تحصوه الضمير في لن تحصوه
لمصدر يقدر اى علم انه لا يصح منكم ضبط الاوقات ولا يتأتى حسابها بالتعديل والتسوية الا ان
تاخذوا بالاوسع للاحتياط وذلك شاق عليكم بالغ منكم فتاب عليكم عبارة عن الترخيص في ترك
القيام المقدر كقوله فتاب عليكم وعفا عنكم فالآن باشروهن والمعنى انه رفع التبعة في تركه عنكم
كما يرفع التبعة عن التائب فاقرؤا ما تيسر من القرآن عبر عن الصلوة بالقراءة لانها بعض اركانها
كما عبر عنها بالقيام والركوع والسجود يريد فصلوا ما تيسر عليكم ولم يتعذر من صلوة الليل
وهذا ناسخ للاول ثم نسخا جميعا بالصلوات الخمس وقيل هي قراءة القرآن بعينها قيل يقرأ مائة
آية ومن قرأ مائة آية في ليلة لم يحاجه القرآن وقيل من قرأ مائة آية كتب من القانتين و
قيل خمسين آية علم ان سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون في الارض يبتغون من فضل
الله وآخرون يقاتلون في سبيل الله فاقرؤا ما تيسر منه قد بين الحكمة في النسخ وهي تعذر القيام
على المرضى والضاربين في الارض للتجارة والمجاهدين في سبيل الله وقيل سوى الله بين المجاهدين
والمسافرين لكسب الحلال وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ايما رجل جلب شيئا الى مدينة
من مدائن المسلمين صابرا محتسبا فباعه بسعر يومه كان عند الله من الشهداء وعن عبد الله بن
عمر رضي الله عنهما ما خلق الله موتة اموتها بعد القتل في سبيل الله احب الي من ان اموت بين

شعبتي رجل اضرب في الارض ابتغي من فضل الله وعلم استيناف على تقدير السؤال عن وجه النسخ
واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة اعني المفروضة والزكوة الواجبة وقيل زكوة الفطر لانه لم يكن
بمكة زكوة وانما وجبت بعد ذلك ومن فسرها بالزكوة الواجبة جعل آخر السورة مدنيا واقرضوا الله
قرضا حسنا يجوز ان يريد سائر الصدقات وان يريد اداء الزكوة على احسن وجه من اخراج اطيب
المال واعوده على الفقراء ومراعاة النية وابتغاء وجه الله والصرف الى المستحق وان يريد كل
شيء يفعل من الخير مما يتعلق بالنفس والمال وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله خيرا
خيرا ثاني مفعولي وجد وهو فصل وجاز وان لم يقع بين معرفتين لان افعل من اشبه
في امتناعه من حرف التعريف المعرفة وقرأ ابو السمال هو خير واعظم اجرا بالرفع على الابتداء
والخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المزمل دفع الله عنه العسر في الدنيا والآخرة

سورة المدثر مكية وهي خمس وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها المدثر لابس الدثار وهو ما فوق
الشعار وهو الثوب الذي يلي الجسد ومنه قوله صلى الله عليه وسلم الانصار شعار والناس دثار وقيل
هي اول سورة نزلت روى جابر بن عبد الله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كنت على جبل حراء فنوديت
يا محمد انك لرسول الله فنظرت عن يميني ويساري فلم ار شيئا فنظرت فوقي فرأيت شيئا وفي رواية عائشة
رضي الله عنها فنظرت فوقي فاذا به قاعد على عرش بين السماء والارض يعني الملك الذي ناداه فرعبت
ورجعت الى خديجة فقلت دثروني دثروني فنزل جبريل عليه السلام وقال يا ايها المدثر وعن الزهري خشيت
اول ما نزل سورة اقرأ باسم ربك الى قوله ما لم يعلم فحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعل يعلو
شواهق الجبال فاتاه جبريل انك نبي الله فرجع الى خديجة وقال دثروني وصبوا علي ماء
باردا فنزل يا ايها المدثر وقيل سمع من قريش ما كرهه فاغتم فتغطى بثوبه مفكرا كما يفعل
المغموم فامر ان لا يدع انذارهم وان اسمعوه وآذوه وعن عكرمة انه قرأ على لفظ اسم المفعول
من دثره وقال دثرت هذا الامر وعصب بك كما قال في المزمل قم من مضجعك او قم قيام عزم
وتصميم

وتصميم فانذر فحذر قومك من عذاب الله ان لم يؤمنوا والصحيح ان المعنى فافعل الانذار
من غير تخصيص له باحد وربك فكبر واختص ربك بالتكبير وهو الوصف بالكبرياء وان يقال الله
اكبر ويروى انه لما نزل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله اكبر فكبرت خديجة وفرحت وايقنت
انه الوحي وقد يحمل على تكبير الصلوة ودخلت الفاء لمعنى الشرط كانه قيل وما كان فلا تدع تكبيره
وثيابك فطهر امر بان يكون ثيابه طاهرة من النجاسات لان طهارة الثياب شرط في الصلوة
لا تصح الا بها وهي الاولى والاحب في غير الصلوة وقبيح بالمؤمن الطيب ان يحمل خبثا وقيل
هو امر بتقصيرها ومخالفة العرب في تطويلهم الثياب وجرهم الذيول وذلك مما لا يؤمن معه اصابة
النجاسة وقيل هو امر بتطهير النفس مما يستقذر من الافعال ويستهجن من العادات يقال
فلان طاهر الثياب وطاهر الجيب والذيل والاردان اذا وصفوه بالنقاء من المعايب ومدانس
الاخلاق وفلان دنس الثياب للغادر وذلك لان الثوب يلابس الانسان ويشتمل عليه فكني به
عنه الا ترى الى قولهم اعجبني زيد ثوبه كما يقولون اعجبني زيد عقله وخلقه ويقولون المجد
في ثوبه والكرم تحت حلته ولان الغالب ان من طهر باطنه ونقاه عني بتطهير الظاهر وتنقيته
وابى الا اجتناب الخبث وايثار الطهر في كل شيء والرجز فاهجر قرئ الرجز بالكسر والضم
وهو العذاب ومعناه اهجر ما يؤدي اليه من عبادة الاوثان وغيرها من المآثم والمعنى الثبات
على هجره لانه كان بريئا منه ولا تمنن تستكثر قرأ الحسن ولا تمنن وتستكثر مرفوع منصوب المحل
على الحال اي ولا تعط مستكثرا رائيا لما تعطيه كثيرا او طالبا للكثير نهي عن الاستغزار وهو
ان يهب شيئا وهو يطمع ان يتعوض من الموهوب له اكثر من الموهوب وهذا جائز ومنه
الحديث المستغزر يثاب من هبته وفيه وجهان احدهما ان يكون نهيا خاصا برسول الله صلى الله
عليه وسلم لان الله تعالى اختار له اشرف الآداب واحسن الاخلاق والثاني ان يكون نهي
تنزيه لا تحريم له ولامته وقرأ الحسن تستكثر بالسكون وفيه ثلثة اوجه الابدال من تمنن
كانه قيل ولا تمنن لا تستكثر على [illegible] في قوله عز وعلا ثم لا يتبعون ما انفقوا منا و

ولا أذى لأن من شأن المنان بما يعطي أن يستكثره أي يراه كثيرا ويعتد به وأن ينسبه يؤيد بجفض فيسكن تخفيفا وأن يعتبر حال الوقف وقرأ الأعمش بالنصب بإضمار أن كقوله

ألا أيهذا الزاجري أحضرَ الوغى ويؤيده قراءة ابن مسعود رضي الله عنه ولا تمنن أن تستكثر ويجوز في الرفع أن يحذف أن ويبطل عملها كما روي أحضرُ الوغى بالرفع ولربك فاصبر ولوجه الله فاستعمل الصبر وقيل على أذى المشركين وقيل على أداء الفرائض وعن النخعي على عطيتك كأنه وصله بما قبله وجعله صبرا على العطاء من غير استكثار والوجه أن يكون أمرا بنفس الفعل وأن يتناول على العموم كل مصبور عليه ومصبور عنه ويراد الصبر على أذى الكفار لأنه أحد ما يتناوله العام فإذا نقر في الناقور نفخ في الصور فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين غير يسير والفاء في قوله فإذا نقر للتسبيب كأنه قال اصبر على أذاهم فبين أيديهم يوم عسير يلقون فيه عاقبة أذاهم وتلقى عاقبة صبرك عليه والفاء في فذلك للجزاء فإن قلت بم انتصب إذا وكيف صح أن يقع يومئذ ظرفا ليوم عسير قلت انتصب إذا بما دل عليه الجزاء لأن المعنى فإذا نقر في الناقور عسر الأمر على الكافرين والذي أجاز وقوع يومئذ ظرفا ليوم عسير أن المعنى فذلك وقت النقر وقوع يوم عسير لأن يوم القيامة يأتي ويقع حين ينقر في الناقور واختلف في أنها النفخة الأولى أم الثانية ويجوز أن يكون يومئذ مبنيا مرفوع المحل بدلا من ذلك ويوم عسير خبره كأنه قيل فيوم النقر يوم عسير فإن قلت فما فائدة قوله غير يسير وعسير مغن عنه قلت لما قال على الكافرين فقصر العسر عليهم قال غير يسير ليؤذن بأنه لا يكون عليهم كما يكون على المؤمنين يسيرا هينا ليجمع بين وعيد الكافرين وزيادة غيظهم وبشارة المؤمنين وتسليتهم ويجوز أن يراد أنه عسير لا يرجى أن يرجع يسيرا كما يرجى تيسير العسير من أمور الدنيا ذرني ومن خلقت وحيدا حال من الله عز وجل على معنيين أحدهما ذرني وحدي معه فإني أجزيك في الانتقام منه عن كل منتقم والثاني خلقته وحدي لم يشركني في خلقه أحد أو حال من المخلوق على معنى خلقته وهو وحيد فريد لا مال له ولا ولد كقوله ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وقيل نزلت في الوليد بن المغيرة المخزومي وكان يلقب في قومه بالوحيد

بالوحيد ولعله لقب بذلك بعد نزول هذه الآية فإن كان ملقبا به قبل فهو تهكم به وبلقبه وتغيير له عن الغرض الذي كانوا يؤمونه من مدحه والثناء عليه بأنه وحيد قومه لرياسته ويساره وتقدمه في الدنيا إلى وجه الذم والعيب وهو أنه خلق وحيدا لا مال له ولا ولد فآتاه الله ذلك فكفر نعمة الله وأشرك به واستهزأ بدينه وجعلت له مالا ممدودا مبسوطا كثيرا أو ممدا بالنماء من مد النهر ومده نهر آخر قيل كان له الزرع والضرع والتجارة وعن ابن عباس رضي الله عنهما هو ما كان له بين مكة والطائف من صنوف الأموال وقيل كان له بستان بالطائف لا ينقطع ثماره صيفا وشتاء وقيل كان له ألف مثقال وقيل أربعة آلاف وقيل تسعة آلاف وقيل ألف ألف وعن ابن جريج غلة شهر بشهر وبنين شهودا حضورا معه بمكة لا يفارقونه للتصرف في عمل أو تجارة لأنهم مكفيون لوفور نعمة أبيهم واستغنائهم عن التكسب وطلب المعاش بأنفسهم فهو مستأنس بهم لا يشتغل قلبه بغيبتهم وخوف معاطب السفر عليهم ولا يحزن لفراقهم والاشتياق إليهم ويجوز أن يكون معناه أنهم رجال يشهدون معه المجامع والمحافل أو تسمع شهادتهم فيما يتحاكم فيه وعن مجاهد كان له عشرة بنين وقيل ثلاثة عشر وقيل سبعة كلهم رجال الوليد بن الوليد وخالد وعمارة وهشام والعاص وقيس وعبد شمس أسلم منهم ثلاثة خالد وهشام وعمارة ومهدت له تمهيدا وبسطت له الجاه العريض والرياسة في قومه فأتممت عليه نعمتي الجاه والمال واجتماعهما هو الكمال عند أهل الدنيا ومنه قول الناس أدام الله تأييدك وتمهيدك يريدون زيادة الجاه والحشمة وكان الوليد من وجهاء قريش وصناديدهم ولذلك لقب الوحيد وريحانة قريش ثم يطمع أن أزيد استبعاد واستنكار لطمعه وحرصه يعني أنه لا مزيد على ما أوتي سعة وكثرة وقيل إنه كان يقول إن كان محمد صادقا فما خلقت الجنة إلا لي كلا ردع له وقطع لرجائه وطمعه إنه كان لآياتنا عنيدا تعليل للردع على وجه الاستئناف كأن قائلا قال لم لا يزاد فقيل إنه عاند آيات المنعم وكفر بذلك نعمته والكافر لا يستحق المزيد ويروى أنه ما زال بعد نزول هذه الآية في نقصان من ماله حتى هلك سأرهقه صعودا سأغشيه عقبة شاقة المصعد وهو مثل لما يلقى من العذاب الشاق الذي لا يطاق وعنه صلى الله عليه وسلم

يكلف ان يصعد عقبة في النار كلما وضع عليها يده ذابت فاذا رفعها عادت فاذا وضع
رجله ذابت فاذا رفعها عادت وعنه صلى الله عليه وسلم الصعود جبل من نار يصعد فيه
سبعين خريفا ثم يهوي كذلك ابدا انه فكر وقدر تعليل للوعيد كان الله تعالى عاجله بالفقر بعد
الغنى والذل بعد العز في الدنيا لعناده ويعاقبه في الآخرة باشد العذاب وافظعه لبلوغه
بالعناد غايته واقصاه في تفكره وتسميته القران سحرا ويجوز ان يكون كلمة الردع متبوعة بقوله
سارهقه صعودا ردا لزعمه ان الجنة لم تخلق الا له واخبارا بانه من اشد اهل النار عذابا
ويعلل ذلك بعناده ويكون قوله انه فكر بدلا من قوله انه كان لآياتنا عنيدا بيانا لكنه عناده
ومعناه فكر ماذا يقول في القران وقدر في نفسه ما يقوله وهياه فقتل كيف قدر ثم قتل كيف
قدر تعجيب من تقديره واصابته فيه المحز ورميه الغرض الذي كان ينتحيه قريش او ثناء
عليه على طريقة الاستهزاء به او هي حكاية لما كرروه من قولهم قتل كيف قدر تهكما بهم وباعجابهم
بتقديره واستعظامهم لقوله ومعنى قول القائل قتله الله ما اشجعه واخزاه الله ما اشعره الاشعار
بانه قد بلغ المبلغ الذي هو حقيق بان يحسد ويدعو عليه حاسده بذلك روي ان الوليد قال
لبني مخزوم والله لقد سمعت من محمد آنفا كلاما ما هو من كلام الانس ولا من كلام الجن
ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اعلاه لمثمر وان اسفله لمغدق وانه يعلو وما يعلى
فقالت قريش صبا والله الوليد والله لتصبان قريش كلهم فقال ابو جهل انا اكفيكموه فقعد
اليه حزينا وكلمه بما احماه فقام فاتاهم فقال تزعمون ان محمدا مجنون فهل رايتموه يخنق و
تقولون انه كاهن فهل رايتموه قط تكهن وتزعمون انه شاعر فهل رايتموه يتعاطى شعرا قط و
تزعمون انه كذاب فهل جربتم عليه شيا من الكذب فقالوا في كل ذلك اللهم لا ثم قالوا فما هو ففكر
فقال ما هو الا ساحر اما رايتموه يفرق بين الرجل واهله وولده ومواليه وما الذي يقوله الا
سحر يؤثر عن مسيلمة وعن اهل بابل فارتج النادي فرحا وتفرقوا معجبين بقوله متعجبين منه
ثم نظر في وجوه الناس ثم عبس وبسر ثم قطب وجهه ثم ادبر واستكبر ثم زحف مدبرا وتشاوس
مستكبرا

مستكبرا لما خطر بباله الكلمة الشنعاء وهم بان يرمي بها وصف اشكاله التي تشكل بها حتى استنبط
ما استنبط استهزاء به وقيل قدر ما يقوله ثم نظر فيه ثم عبس لما ضاقت عليه الحيل ولم يدر ما يقول
وقيل قطب في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ادبر عن الحق واستكبر عنه فقال ما قال وثم نظر
عطف على فكر وقدر والدعاء اعتراض بينهما فان قلت ما معنى ثم الداخلة في تكرير الدعاء
قلت الدلالة على ان الكرة الثانية ابلغ من الاولى ونحوه قوله الا يا اسلمي ثم اسلمي ثمت اسلمي فان
قلت فمعنى المتوسطة بين الافعال التي بعدها قلت الدلالة على انه قد تانى في التامل
وتمهل وكان بين الافعال المتناسقة تراخ وتباعد فان قلت فلم قيل ان هذا الا سحر يؤثر
بالفاء بعد عطف ما قبله بثم قلت لان الكلمة لما خطرت بباله بعد التطلب لم يتمالك ان
نطق بها من غير تلبث ان هذا الا قول البشر فان قلت فلم لم يوسط حرف العطف بين الجملتين
قلت لان الاخرى جرت من الاولى مجرى التوكيد من المؤكد سأصليه سقر بدل من سارهقه
صعودا وما ادريك ما سقر لا تبقي ولا تذر لا تبقي شيا فيها الا اهلكته واذا هلك لم تذره هالكا
حتى يعاد او لا تبقي على شيء ولا تدعه من الهلاك بل كل ما يطرح فيها هالك لا محالة لواحة
للبشر لواحة من لوح الهجير قال تقول ما لاحك يا مسافر يا ابنة عمي لاحني الهواجر
قيل تلفح الجلد لفحة فتدعه اشد سوادا من الليل والبشر اعالي الجلود وعن الحسن تلوح
للناس كقوله ثم لترونها عين اليقين وقرئ لواحة نصبا على الاختصاص للتهويل عليها تسعة عشر
اي يلي امرها ويتسلط على اهلها تسعة عشر ملكا وقيل صنفا من الملائكة وقيل صفا وقيل
نقيبا وقرئ تسعة عشر بسكون العين لتوالي الحركات فيما هو في حكم اسم واحد وقرئ تسعة
اعشر جمع عشير مثل يمين وايمن جعلهم ملائكة لانهم خلاف جنس المعذبين من الجن والانس
فلا ياخذهم ما ياخذ المجانس من الرافة والرقة ولا يستروحون اليهم ولانهم اقوم خلق الله بحق
الله وبالغضب له فتؤمن هوادتهم ولانهم اشد الخلق باسا واقواهم بطشا عن عمرو بن دينار
واحد منهم يدفع بالدفعة الواحدة في جهنم اكثر من ربيعة ومضر وعن النبي صلى الله عليه وسلم

كأن أعينهم البرق وكأن أفواههم الصياصي يجرون أشعارهم لأحدهم مثل قوة الثقلين
يسوق أحدهم الأمة وعلى رقبته جبل فيرمى بهم في النار ويرمى بالجبل عليهم وروي أنه لما نزلت
عليها تسعة عشر قال أبو جهل لقريش ثكلتكم أمهاتكم أسمع ابن أبي كبشة يخبركم أن خزنة النار
تسعة عشر وأنتم الدهم أيعجز كل عشرة منكم أن يبطشوا برجل منهم فقال أبو الأشد بن أسيد
ابن كلدة الجمحي وكان شديد البطش أنا أكفيكم سبعة عشر فاكفوني أنتم اثنين فأنزل الله وما
جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة أي ما جعلناهم رجالا من جنسكم يطاقون وما جعلنا عدتهم
إلا فتنة للذين كفروا ليستيقن الذين أوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا إيمانا فإن قلت
قد جعل افتتان الكافرين بعدة الزبانية سببا لاستيقان أهل الكتاب وزيادة إيمان المؤمنين
واستهزاء الكافرين والمنافقين فأوجه صحة ذلك قلت ما جعل افتتانهم بالعدة
سببا لذلك وإنما العدة نفسها التي جعلت سببا وذلك أن المراد بقوله وما جعلنا عدتهم إلا
فتنة للذين كفروا وما جعلنا عدتهم إلا تسعة عشر فوضع فتنة للذين كفروا موضع تسعة عشر لأن حال
هذه العدة الناقصة واحدا من عقد العشرين أن يفتتن بها من لا يؤمن بالله وبحكمته ويعترض
ويستهزئ ولا يذعن إذعان المؤمن وإن خفي عليه وجه الحكمة كأنه قيل ولقد جعلنا عدتهم
عدة من شأنها أن يفتتن بها لأجل استيقان المؤمنين وحيرة الكافرين واستيقان أهل الكتاب
لأن عدتهم تسعة عشر في الكتابين فإذا سمعوا بمثلها في القرآن أيقنوا أنه منزل من الله وازدياد
المؤمنين إيمانا لتصديقهم بذلك كما صدقوا سائر ما أنزل ولما رأوا من تسليم أهل الكتاب وتصديقهم
أنه كذلك فإن قلت لم قال ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون والاستيقان وازدياد
الإيمان دلا على انتفاء الارتياب قلت لأنه إذا جمع لهم إثبات اليقين ونفي الشك كان أبلغ
وآكد لوصفهم بسكون النفس وثلج الصدر ولأن فيه تعريضا بحال من عداهم كأنه قال ولتخالف
حالهم حال الشاكين المرتابين من أهل النفاق والكفر وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون
ماذا أراد الله بهذا مثلا فإن قلت كيف ذكر الذين في قلوبهم مرض وهم المنافقون والسورة
مكية

مكية ولم يكن بمكة نفاق وإنما نجم بالمدينة قلت معناه وليقول المنافقون الذين ينجمون
في مستقبل الزمان بالمدينة بعد الهجرة والكافرون بمكة ماذا أراد الله بهذا مثلا وليس
في ذلك إلا إخبار بما سيكون كسائر الإخبارات بالغيوب وذلك لا يخالف كون السورة مكية
ويجوز أن يراد بالمرض الشك والارتياب لأن أهل مكة كان أكثرهم شاكين وبعضهم قاطعين
بالكذب فإن قلت قد علل جعلهم تسعة عشر بالاستيقان وانتفاء الارتياب وقول
المنافقين والكافرين ما قالوا فهب أن الاستيقان وانتفاء الارتياب يصح أن يكونا غرضين
فكيف صح أن يكون قول المنافقين والكافرين غرضا قلت أفادت اللام معنى
العلة والسبب ولا يجب في العلة أن يكون غرضا ألا ترى أن قولك خرجت من البلد مخافة
الشر فقد جعلت المخافة علة لخروجك وما هي بغرض لك مثلا تمييز لهذا أو حال منه كقوله هذه
ناقة الله لكم آية فإن قلت لم سموه مثلا قلت هو استعارة من المثل المضروب
لأنه مما غرب من الكلام وبدع استغرابا منهم لهذا العدد واستبداعا له والمعنى أي
شيء أراد الله بهذا العدد العجيب وأي غرض قصد في أن جعل الملائكة تسعة عشر لا عشرين
سواء ومرادهم إنكاره من أصله وأنه ليس من عند الله وأنه لو كان من عند الله لما جاء
بهذا العدد الناقص كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء الكاف في كذلك نصب وذلك
إشارة إلى ما قبله من معنى الإضلال والهدى أي مثل ذلك المذكور من الإضلال و
الهدى يضل الكافرين ويهدي المؤمنين يعني يفعل فعلا حسنا مبنيا على الحكمة والصواب
فيراه المؤمنون حكمة ويذعنون له لاعتقادهم أن أفعال الله كلها حسنة وحكمة فيزيدهم
إيمانا وينكره الكافرون ويشكون فيه فيزيدهم كفرا وضلالا وما يعلم جنود ربك وما عليه
كل جند من العدد الخاص من كون بعضها على عدد كامل وبعضها على عدد ناقص وفي اختصاص
كل جند بعدده من الحكمة إلا هو ولا سبيل لأحد إلى معرفة ذلك كما لا يعرف الحكمة
في أعداد السماوات والأرضين وأيام السنة والشهور والبروج والكواكب وأعداد النصب

والحدود والكفارات والصلوات في الشريعة أو وما يعلم جنود ربك لفرط كثرتها إلا هو فلا
يعز عليه تتميم الخزنة عشرين ولكن له في هذا العدد الخاص حكمة لا تعلمونها وهو
يعلمها وقيل هو جواب لقول أبي جهل أما لرب محمد أعوان إلا تسعة عشر وما جعلنا
أصحاب النار إلى قوله إلا هو اعتراض وما هي إلا ذكرى للبشر متصل بوصف سقر وهي
ضميرها أي وما سقر وصفتها إلا تذكرة للبشر أو ضمير الآيات التي ذكرت فيها
كلا والقمر والليل إذ أدبر والصبح إذا أسفر كلا إنكار بعد أن جعلها ذكرى أن تكون
لهم ذكرى لأنهم لا يتذكرون أو ردع لمن ينكر أن تكون إحدى الكبر نذيرا ودبر بمعنى أدبر
كقبل بمعنى أقبل ومنه صاروا كأمس الدابر وقيل هو من دبر الليل النهار إذا خلفه
وقرئ إذ أدبر إنها لإحدى الكبر جواب القسم أو تعليل لكلا والقسم معترض للتوكيد والكبر
جمع الكبرى جعلت ألف التأنيث كتائها فلما جمعت فعلة على فعل جمعت فعلى عليها ونظير
ذلك السوافي في جمع السافياء والقواصع في جمع القاصعاء كأنها جمع فاعلة أي لإحدى البلايا
أو الدواهي الكبر ومعنى كونها إحداهن أنها من بينهن واحدة في العظم لا نظيرة لها كما تقول
هو أحد الرجال وهي إحدى النساء نذيرا للبشر نذيرا تمييز من إحدى على معنى إنها لإحدى الدواهي
إنذارا كما تقول هي إحدى النساء عفافا وقيل هي حال وقيل هو متصل بأول السورة يعني قم
نذيرا وهو من بدع التفاسير وفي قراءة أبي نذير بالرفع خبر بعد خبر لإن أو بحذف المبتدأ لمن
شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر أن يتقدم في موضع الرفع بالابتداء ولمن شاء خبر مقدم عليه كقولك
لمن توضأ أن يصلي ومعناه مطلق لمن شاء التقدم أو التأخر أن يتقدم أو يتأخر والمراد
بالتقدم والتأخر السبق إلى الخير والتخلف عنه وهو كقوله فمن شاء فليؤمن ومن شاء
فليكفر ويجوز أن يكون لمن شاء بدلا من للبشر على أنها منذرة للمكلفين الممكنين الذين إن
شاؤوا تقدموا ففازوا وإن شاؤوا تأخروا فهلكوا كل نفس بما كسبت رهينة إلا أصحاب اليمين
رهينة ليست بتأنيث رهين في قوله كل امرئ [illegible] لتأنيث النفس لأنه لو قصدت الصفة
لقيل

رهين لأن فعيلا بمعنى مفعول يستوي فيه المذكر والمؤنث وإنما هي اسم بمعنى الرهن
كالشتيمة بمعنى الشتم كأنه قيل كل نفس بما كسبت رهن ومنه بيت الحماسة
أبعد الذي بالنعف نعف كويكب رهينة رمس ذي تراب وجندل كأنه قال رهن رمس والمعنى
كل نفس رهن بكسبها عند الله غير مفكوك إلا أصحاب اليمين فإنهم فكوا عنه رقابهم بما أطابوه من
كسبهم كما يخلص الراهن رهنه بأداء الحق وعن علي رضي الله عنه أنه فسر أصحاب اليمين بالأطفال
لأنه لا أعمال لهم يرتهنون بها وعن ابن عباس رضي الله عنهما هم الملائكة في جنات أي هم في جنات لا
يكتنه وصفها يتساءلون عن المجرمين يسأل بعضهم بعضا عنهم أو يتساءلون غيرهم عنهم كقولك دعوته
وتداعيناه ما سلككم في سقر قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين وكنا نخوض مع الخائضين
وكنا نكذب بيوم الدين حتى أتانا اليقين فإن قلت كيف طابق قوله ما سلككم وهو سؤال للمجرمين
قوله يتساءلون عن المجرمين وهو سؤال عنهم وإنما كان يطابق ذلك لو قيل يتساءلون المجرمين ما سلككم
قلت ما سلككم ليس ببيان للتساؤل عنهم وإنما هو حكاية قول المسؤولين عنهم لأن المسؤولين يلقون
إلى السائلين ما جرى بينهم وبين المجرمين فيقولون قلنا لهم ما سلككم في سقر قالوا لم نك من المصلين
إلا أن الكلام جيء به على الحذف والاختصار كما هو نهج التنزيل في غرابة نظمه والخوض الشروع في الباطل
وما لا ينبغي فإن قلت لم يسألونهم وهم عالمون بذلك قلت توبيخا وتحسيرا لهم ولتكون حكاية
الله ذلك في كتابه تذكرة للسامعين وقد عضد بعضهم تفسير أصحاب اليمين بالأطفال أنهم إنما سألوهم
لأنهم ولدان لا يعرفون موجب دخول النار فإن قلت أيريدون أن كل واحد منهم بمجموع هذه
الأربع دخل النار أم دخلها بعضهم بهذه وبعضهم بهذه قلت يحتمل الأمرين جميعا فإن قلت
لم أخر التكذيب وهو أعظمها قلت أرادوا أنهم بعد ذلك كله كانوا مكذبين بيوم الدين
تعظيما للتكذيب كقوله ثم كان من الذين آمنوا واليقين الموت ومقدماته فما تنفعهم شفاعة الشافعين
أي لو شفع لهم الشافعون جميعا من الملائكة والنبيين وغيرهم لم تنفعهم شفاعتهم لأن الشفاعة
لمن ارتضاه الله وهم مسخوط عليهم وفيه دليل على أن الشفاعة تنفع يومئذ لأنها تزيد في درجات

المرتضين **فما لهم عن التذكرة** عن التذكير وهو العظة يريد القرآن او غيره من المواعظ **معرضين**
نصب على الحال كقولك ما لك قائما **كأنهم حمر مستنفرة فرت من قسورة** المستنفرة الشديدة النفار
كأنها تطلب النفار من نفوسها في جمعها له وحملها عليه وقرئ بالفتح وهي المنفرة المحمولة
على النفار والقسورة جماعة الرماة الذين يتصيدونها وقيل الاسد يقال ليوث قساور وهي
فعولة من القسر وهو القهر والغلبة وفي وزنه الحيدرة من اسماء الاسد وعن ابن عباس رضي
الله عنهما ركز الناس واصواتهم وعن عكرمة ظلمة الليل شبههم في اعراضهم عن القرآن واستماع
الذكر والموعظة وشرادهم عنه بحمر جدت في نفارها مما افزعها وفي تشبيههم بالحمر مذمة ظاهرة
وتهجين لحالهم بين كما في قوله كمثل الحمار يحمل اسفارا وشهادة عليهم بالبله وقلة العقل ولا
ترى مثل نفار حمر الوحش واطرادها في العدو اذا رابها رائب ولذلك كان اكثر تشبيهات العرب
في وصف الابل وشدة سيرها بالحمر وعدوها اذا وردت ماء فاحست عليه بقانص **بل يريد كل امرئ
منهم ان يؤتى صحفا منشرة** قراطيس تنشر وتقرأ كالكتب التي يتكاتب بها او كتبا كتبت
في السماء ونزلت بها الملائكة ساعة كتبت منشرة على ايديها غضة رطبة لم تطو بعد وذلك
انهم قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم لن نتبعك حتى تأتي كل واحد منا بكتب من السماء عنوانها
من رب العالمين الى فلان بن فلان نؤمر فيها باتباعك ونحوه قوله لن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا
كتابا نقرؤه وقال ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بايديهم الاية وقيل قالوا ان كان محمد
صادقا فليصبح عند راس كل رجل منا صحيفة فيها براءته وامنه من النار وقيل كانوا يقولون
بلغنا ان الرجل من بني اسرائيل كان يصبح مكتوبا على راسه ذنبه وكفارته فأتنا بمثل ذلك
وهذا من الصحف المنشرة بمعزل الا ان يراد بالصحف المنشرة الكتابات الظاهرة المكشوفة
وقرأ سعيد بن جبير صحفا منشرة بتخفيفهما على ان انشر الصحف ونشرها واحد كانزله ونزله
ردعهم بقوله **كلا** عن تلك الارادة وزجرهم عن اقتراح الايات ثم قال **بل لا يخافون
الاخرة** فلذلك اعرضوا عن التذكرة لا لامتناع ايتاء الصحف **كلا انه تذكرة** ثم ردعهم عن اعراضهم
عن

عن التذكرة وقال انه تذكرة يعني تذكرة بليغة كافية مبهم امرها في الكفاية **فمن شاء ذكره** فمن شاء
ان يذكره ولا ينساه ويجعله نصب عينه فعل فان نفع ذلك راجع اليه والضمير في ذكره للتذكرة في قوله
فما لهم عن التذكرة معرضين وانما ذكر لانها في معنى الذكر او القرآن **وما يذكرون الا ان يشاء الله**
يعني الا ان يقسرهم على الذكر ويلجئهم اليه لانهم مطبوع على قلوبهم معلوم انهم لا يؤمنون اختيارا **هو
اهل التقوى واهل المغفرة** هو حقيق بان يتقيه عباده ويخافوا عقابه فيؤمنوا ويطيعوا
وحقيق بان يغفر لهم اذا امنوا واطاعوا وروى انس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو اهل
ان يتقى واهل ان يغفر لمن اتقاه وقرئ يذكرون بالياء والتاء مخففا ومشددا عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المدثر اعطاه الله عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد وكذب به بمكة

سورة القيامة مكية وهي اربعون اية

بسم الله الرحمن الرحيم **لا اقسم بيوم القيامة** ادخال لا النافية
على فعل القسم مستفيض في كلامهم واشعارهم قال امرؤ القيس لا وابيك ابنة العامري
لا يدعي القوم اني افر وقال غوية بن سلمى الا نادت امامة باحتمال ليحزنني فلا بك ما ابالي
وفائدتها توكيد القسم وقالوا انها صلة مثلها في لئلا يعلم اهل الكتاب وفي قوله
في بئر لا حور سرى وما شعر واعترضوا عليه بانها انما تزاد في وسط الكلام لا في اوله و
اجابوا بان القرآن في حكم سورة واحدة متصل بعضه ببعض والاعتراض صحيح لانها لم تقع
لا في وسط الكلام ولكن الجواب غير سديد الا ترى الى امرئ القيس كيف زادها في مستهل
قصيدته والوجه ان يقال هي للنفي والمعنى في ذلك انه لا يقسم بالشيء الا اعظاما له يدلك عليه
قوله تعالى فلا اقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم فكانه بادخال حرف النفي يقول
ان اعظامي له باقسامي به كلا اعظام يعني انه يستاهل فوق ذلك وقيل ان لا نفي
لكلام ورد قبل القسم كانهم انكروا البعث فقيل لا اي ليس الامر على ما ذكرتم ثم قيل اقسم
بيوم القيامة **فان قلت** قوله تعالى فلا وربك لا يؤمنون والابيات التي انشدتها المقسم عليه

الطبع السجية

او برب يوم القيامة انها كائنة

فيها منفي فهلا زعمت ان لا التي قبل القسم زيدت موطئة للنفي بعده ومؤكدة له وقدرت
المقسم عليه المحذوف ههنا منفيا كقولك لا اقسم بيوم القيامة لا تتركون سدى قلت لو
قصروا الامر على النفي دون الاثبات لكان لهذا القول مساغ ولكنه لم يقتصر الا ترى كيف لقي
لا اقسم بهذا البلد بقوله لقد خلقنا الانسان في كبد وكذلك فلا اقسم بمواقع النجوم بقوله انه لقرآن
كريم وقرئ لأقسم على ان اللام للابتداء واقسم خبر مبتدأ محذوف معناه لانا اقسم قالوا ويعضده
انه في الامام بغير الف ولا اقسم بالنفس اللوامة بالنفس المتقية التي تلوم النفوس فيه اي
في يوم القيامة على تقصيرهن في التقوى او بالتي لا تزال تلوم نفسها وان اجتهدت في الاحسان
وعن الحسن ان المؤمن لا تراه الا لائما نفسه وان الكافر يمضي قدما لا يعاتب نفسه وقيل
هي التي تتلوم يومئذ على ترك الازدياد ان كانت محسنة وعلى التفريط ان كانت مسيئة وقيل
هي نفس آدم لم تزل تتلوم على فعلها الذي خرجت به من الجنة وجواب القسم ما دل عليه قوله
ايحسب الانسان ان لن نجمع عظامه وهو لتبعثن وقرأ قتادة ان لن يجمع عظامه على البناء
للمفعول والمعنى نجمعها بعد تفرقها ورجوعها رميما ورفاتا مختلطا بالتراب وبعدما سفتها
الرياح وطيرتها في اباعد الارض وقيل ان عدي بن ابي ربيعة ختن الاخنس بن شريق وهما
اللذان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فيهما اللهم اكفني جاري السوء قال لرسول الله
صلى الله عليه وسلم يا محمد حدثني عن يوم القيامة متى يكون وكيف امره فاخبره رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال لو عاينت ذلك اليوم لم اصدقك يا محمد ولم اومن به او يجمع الله العظام
فنزلت بلى قادرين اوجبت ما بعد النفي وهو الجمع فكانه قيل بلى نجمعها قادرين حال من
الضمير في نجمع اي نجمع العظام قادرين على تأليف جمعها واعادتها الى التركيب الاول على ان
نسوي بنانه اي اصابعه التي هي اطرافه وآخر ما يتم به خلقه او على ان نسوي بنانه ونضم
سلامياته على صغرها ولطافتها بعضها الى بعض كما كانت اولا من غير نقصان ولا تفاوت
فكيف بكبار العظام وقيل معناه بلى نجمعها ونحن قادرون على ان نسوي اصابع يديه ورجليه
اي

اي نجعلها مستوية شيئا واحدا كخف البعير وحافر الحمار لا نفرق بينها فلا يمكنه ان يعمل بها شيئا
مما يعمل باصابعه المفرقة ذوات المفاصل والانامل من فنون الاعمال والقبض والبسط والتأتي
لما يريد من الحوائج وقرئ قادرون اي نحن قادرون بل يريد الانسان عطف على ايحسب فيجوز ان
يكون مثله استفهاما وان يكون ايجابا على ان يضرب عن مستفهم عنه الى آخر او يضرب عن مستفهم
عنه الى موجب ليفجر امامه ليدوم على فجوره فيما بين يديه من الاوقات وفيما يستقبله من الزمان
لا ينزع عنه وعن سعيد بن جبير يقدم الذنب ويؤخر التوبة يقول سوف اتوب سوف اتوب
حتى ياتيه الموت على شر احواله واسوأ اعماله يسأل سؤال متعنت مستبعد لقيام الساعة في قوله
ايان يوم القيامة ونحوه ويقولون متى هذا الوعد فاذا برق البصر تحير فزعا واصله من برق
الرجل اذا نظر الى البرق فدهش بصره وقرئ برق من البريق اي لمع من شدة شخوصه وقرأ
ابو السمال بلق اذا انفتح وانفرج يقال بلق الباب وابلقته وبلقته فتحته وخسف القمر
وذهب ضوؤه او ذهب بنفسه وقرئ وخسف على البناء للمفعول وجمع الشمس والقمر حيث
يطلعهما الله من المغرب وقيل وجمعا في ذهاب الضوء وقيل يجمعان اسودين مكورين كانهما
ثوران عقيران في النار وقيل يجمعان ثم يقذفان في البحر فيكون نار الله الكبرى يقول الانسان
يومئذ اين المفر بالفتح المصدر وبالكسر المكان ويجوز ان يكون مصدرا كالمرجع وقرئ بهما
كلا ردع عن طلب المفر لا وزر لا ملجأ وكل ما التجأت اليه من جبل او غيره وتخلصت
به فهو وزرك الى ربك خاصة يومئذ المستقر مستقر العباد اي استقرارهم يعني انهم لا يقدرون
ان يستقروا الى غيره وينصبوا الى حكمه ترجع امور العباد لا حكم فيها غيره كقوله لمن الملك اليوم
او الى ربك مستقرهم اي موضع قرارهم من جنة او نار اي مفوض ذلك الى مشيئته من شاء ادخله الجنة
ومن شاء ادخله النار ينبأ الانسان يومئذ بما قدم واخر بما قدم من عمل عمله وبما اخر منه لم يعمله
او بما قدم من ماله فتصدق به وبما اخره فخلفه او بما قدم من عمل الخير والشر وبما اخر من سنة
حسنة او سيئة فعمل بها بعده وعن مجاهد باول عمله وآخره ونحوه فينبئهم بما عملوا احصاه الله ونسوه

بل الانسان على نفسه بصيرة حجة بينة وصفت بالبصارة على المجاز كما وصفت الايات بالابصار في قوله
فلما جاءتهم آياتنا مبصرة او عين بصيرة والمعنى انه ينبأ باعماله وان لم ينبأ ففيه ما يجزي عن
الانباء لانه شاهد عليها بما عملت لان جوارحه تنطق بذلك يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم
بما كانوا يعملون ولو القى معاذيره ولو جاء بكل معذرة يعتذر بها عن نفسه ويجادل عنها وعن الضحاك
ولو ارخى ستوره وقال المعاذير الستور واحدها معذار فان صح فلانه يمنع رؤية المحتجب كما
تمنع المعذرة عقوبة المذنب فان قلت اليس قياس المعذرة ان تجمع معاذر لا معاذير قلت
المعاذير ليس بجمع معذرة انما هو اسم جمع لها ونحوه المناكير في المنكر لا تحرك به لسانك الضمير في به
للقرآن وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا لقن الوحي نازع جبريل القراءة وكان رسول
الله صلى الله عليه وسلم اذا ولم يصبر الى ان يتمها مسارعة الى الحفظ وخوفا من ان يتفلت منه
فامر بان يستنصت له ملقيا اليه بقلبه وسمعه حتى يقضي اليه وحيه ثم يقفيه بالدراسة
الى ان يرسخ فيه والمعنى لا تحرك لسانك بقراءة الوحي ما دام جبريل صلوات الله عليه يقرأ لتعجل به
لتاخذه على عجلة ولئلا يتفلت منك ثم علل النهي عن العجلة بقوله ان علينا جمعه في صدرك وقرآنه
واثبات قرآنه في لسانك فاذا قرأناه جعل قراءة جبريل قراءته والقرآن القراءة فاتبع قرآنه فكن
مقفيا له فيه ولا تراسله وطأ من نفسك انه لا يبقى غير محفوظ فنحن في ضمان تحفيظه ثم ان
علينا بيانه اذا اشكل عليك شيء من معانيه كانه كان يعجل في الحفظ والسؤال جميعا كما ترى بعض
الحراص على العلم ونحوه ولا تعجل بالقرآن من قبل ان يقضى اليك وحيه كلا بل تحبون العاجلة وتذرون
الآخرة كلا ردع لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن عادة العجلة وانكار لها عليه وحث على الاناة و
التؤدة وقد بالغ في ذلك باتباعه قوله بل تحبون العاجلة كانه قال بل انتم يا بني آدم لانكم خلقتم من
عجل وطبعتم عليه تعجلون في كل شيء ومن ثم تحبون العاجلة وتذرون الآخرة وقرئ بالياء وهو ابلغ
فان قلت كيف اتصل قوله لا تحرك به لسانك الى آخره بذكر القيامة قلت اتصاله به من جهة
هذا التخلص منه الى التوبيخ بحب العاجلة وترك الاهتمام بالآخرة وجوه يومئذ ناضرة الوجه عبارة
عن

عن الجملة والناضرة من نضرة النعيم الى ربها ناظرة تنظر الى ربها خاصة لا تنظر الى غيره وهذا
معنى تقديم المفعول الا ترى الى قوله الى ربك يومئذ المستقر الى ربك يومئذ المساق الى الله تصير
الامور واليه ترجعون والى الله المصير عليه توكلت واليه انيب كيف دل فيها التقديم على
معنى الاختصاص ومعلوم انهم ينظرون الى اشياء لا يحيط بها الحصر ولا تدخل تحت العدد في محشر
يجتمع فيه الخلائق كلهم فان المؤمنين نظارة ذلك اليوم لانهم الآمنون الذين لا خوف عليهم ولا
هم يحزنون فاختصاصه بنظرهم اليه لو كان منظورا اليه محال فوجب حمله على معنى يصح معه
الاختصاص والذي يصح معه ان يكون من قول الناس انا الى فلان ناظر ما يصنع بي تريد معنى
التوقع والرجاء ومنه قول القائل واذا نظرت اليك من ملك والبحر دونك زدتني نعما
وسمعت سروية مستجدية بمكة وقت الظهر حين يغلق الناس ابوابهم ويأوون الى مقايلهم
تقول عيينتي نويظرة الى الله واليكم والمعنى انهم لا يتوقعون النعمة والكرامة الا من ربهم
كما كانوا في الدنيا لا يخشون ولا يرجون الا اياه ووجوه يومئذ باسرة الباسر الشديد العبوس والباسل
اشد منه ولكنه غلب في الشجاع اذا اشتد كلوحه بظن تتوقع ان يفعل فعل هو في شدته
وفظاعته بها فاقرة داهية تقصم فقار الظهر كما توقعت الوجوه الناضرة ان يفعل بها كل خير
كلا اذا بلغت التراقي وقيل من راق كلا ردع عن ايثار الدنيا على الآخرة كانه قيل لا تدعوا
عن ذلك وتنبهوا على ما بين ايديكم من الموت الذي عنده تنقطع العاجلة عنكم وتنتقلون الى
الآجلة التي تبقون فيها مخلدين والضمير في بلغت للنفس وان لم يجر لها ذكر لان الكلام الذي
وقعت فيه يدل عليها كما قال حاتم اماوي ما يغني الثراء عن الفتى
اذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر ويقول العرب ارسلت يريدون جاء المطر ولا تكاد تسمعهم
يذكرون السماء والتراقي العظام المكتنفة لثغرة النحر عن يمين وشمال ذكرهم صعوبة الموت
الذي هو اول مراحل الآخرة حين تبلغ الروح التراقي ودنا زهوقها وقال حاضروا صاحبها
وهو المحتضر بعضهم لبعض من راق ايكم يرقيه مما به وقيل هو من كلام ملائكة الموت ايكم يرقى

بوجه ملائكة الرحمة ام ملائكة العذاب **وظن** المحتضر **انه الفراق** ان هذا الذي نزل به هو
فراق الدنيا المحبوبة **والتفت الساق بالساق** ساقه بساقه على التوائها عند علز الموت وعن
قتادة ماتت رجلاه فلا تحملانه وقد كان عليها جوالا وقيل شدة فراق الدنيا بشدة اقبال الآخرة
على ان الساق مثل في الشدة وعن سعيد بن المسيب هما ساقاه حين تلفان في اكفانه **الى ربك
يومئذ المساق** اي يساق الى الله والى حكمه **فلا صدق ولا صلى** يعني الانسان في قوله ايحسب
الانسان ان لن نجمع عظامه الا ترى الى قوله ايحسب الانسان ان يترك سدى وهو معطوف على
قوله يسأل ايان يوم القيامة اي لا يؤمن بالبعث فلا صدق بالرسول والقرآن ولا صلى ويجوز ان
يراد فلا صدق ماله بمعنى فلا زكاه وقيل نزلت في ابي جهل **ولكن كذب وتولى ثم ذهب الى اهله
يتمطى** يتبختر واصله يتمطط اي يتمدد لان المتبختر يمد خطاه وقيل هو من المطا وهو الظهر
لانه يلويه وفي الحديث اذا مشت امتي المطيطاء وخدمتهم فارس والروم فقد جعل بأسهم
بينهم يعني كذب برسول الله صلى الله عليه وسلم وتولى عنه واعرض ثم ذهب الى قومه يتبختر
افتخارا بذلك **اولى لك فاولى ثم اولى لك فاولى** اولى لك بمعنى ويل لك وهو دعاء عليه بان يليه
ما يكره **ايحسب الانسان ان يترك سدى الم يك نطفة من مني يمنى ثم كان علقة فخلق فقدر
فسوى** فعدل **فجعل منه** من الانسان **الزوجين** الصنفين **الذكر والانثى اليس ذلك** الذي انشأ هذا
الانشاء **بقادر على ان يحيي الموتى** على الاعادة وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا
قرأها قال سبحانك بلى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القيامة شهدت له انا و
جبريل يوم القيامة انه كان مؤمنا بيوم القيامة

سورة الانسان مكية وهي احدى وثلثون آية

بسم الله الرحمن الرحيم **هل اتى على الانسان** هل بمعنى قد في الاستفهام
خاصة والاصل اهل بدليل قوله اهل رأونا بسفح القاع ذي الاكم فالمعنى اقد اتى على
التقرير والتقريب جميعا اي اتى على الانسان قبل زمان قريب **حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا**

اى

اي كان شيئا منسيا غير مذكور نطفة في الاصلاب والمراد بالانسان جنس بني آدم بدليل قوله
انا خلقنا الانسان من نطفة حين من الدهر طائفة من الزمان الممتد فان قلت ما محل لم
يكن شيئا مذكورا قلت محله النصب على الحال من الانسان كانه قيل هل اتى عليه حين من الدهر
غير مذكور او الرفع على الوصف لحين كقوله يوما لا تجزي والد عن ولده وعن بعضهم انها تليت
عنده فقال ليتها تمت اراد ليت تلك الحالة تمت وهي كونه شيئا غير مذكور لم يخلق ولم يكلف **انا خلقنا
الانسان من نطفة امشاج** كبرمة اعشار وبرد اكياش وهي الفاظ مفردة غير مجموع ولذلك وقعت
صفات للافراد ويقال ايضا نطفة مشج قال الشماخ طوت احشاء مرتجة لوقت
على مشج سلالته مهين ولا يصح امشاج ان يكون تكسيرا له بل هما مثلان في الافراد لوصف المفرد بهما
ومشجه ومزجه بمعنى والمعنى من نطفة قد امتزج فيها الماءان وعن ابن مسعود رضي الله عنه
هي عروق النطفة وعن قتادة امشاج الوان واطوار يريد انها تكون نطفة ثم علقة ثم مضغة **نبتليه
فجعلناه سميعا بصيرا** نبتليه في موضع الحال اي خلقناه مبتلين له بمعنى مريدين ابتلاءه كقولك
مررت برجل معه صقر صائدا به غدا تريد قاصدا به الصيد غدا ويجوز ان يراد ناقلين له من حال الى
الحال فسمي ذلك ابتلاء على طريق الاستعارة وعن ابن عباس رضي الله عنهما نصرفه في بطن
امه نطفة ثم علقة وقيل هو في تقدير التأخير يعني فجعلناه سميعا بصيرا لنبتليه وهو من التعسف
انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا حالان من الهاء في هديناه اي مكناه واقدرناه في حالتيه
جميعا او دعوناه الى الاسلام بادلة العقل والسمع كان معلوما منه انه يؤمن او يكفر لالزام الحجة
ويجوز ان يكونا حالين من السبيل اي عرفناه السبيل اما سبيلا شاكرا واما سبيلا كفورا كقوله
وهديناه النجدين ووصف السبيل بالشكر والكفر مجاز وقرأ ابو السمال بفتح الهمزة في اما وهي
قراءة حسنة والمعنى اما شاكرا فبتوفيقنا واما كفورا فبسوء اختياره ولما ذكر الفريقين اتبعهما
الوعيد والوعد وقرئ سلاسل غير منون وسلاسلا بالتنوين وفيه وجهان احدهما ان يكون هذه
النون بدلا من حرف الاطلاق ويجري الوصل مجرى الوقف والثاني ان يكون صاحب القراءة

به ممن ضرى بروايه الشعر ومرن لسانه على صرف غير المنصرف ان الابرار جمع بر او بار كرب
وارباب وشاهد واشهاد وعن الحسن هم الذين لا يؤذون الذر يشربون من كاس الكاس الزجاجه
اذا كانت فيها خمر وتسمى الخمر نفسها كاسا مزاجها ما تمزج به كافورا ماء كافور وهو اسم عين في الجنه
ماؤها في بياض الكافور ورائحته وبرده وعينا بدل منه وعن قتاده تمزج لهم بالكافور وتختم لهم
بالمسك وقيل تخلق فيها رائحة الكافور وبياضه وبرده فكانها مزجت بالكافور وعينا على هذا
القولين بدل من محل من كاس على تقدير حذف مضاف كانه قيل يشربون خمرا خمر عين او نصب
على الاختصاص يشرب بها عباد الله فان قلت لم وصل فعل الشرب بحرف الابتداء اولا وبحرف
الالصاق آخرا قلت لان الكاس مبتدا شربهم واول غايته واما العين فبها يمزجون شرابهم
فكان المعنى يشرب عباد الله بها الخمر كما تقول شربت الماء بالعسل يفجرونها يجرونها حيث شاؤا
من منازلهم تفجيرا سهلا لا يمتنع عليهم يوفون بالنذر جواب من عسى يقول ما لهم يرزقون ذلك
والوفاء بالنذر مبالغة في وصفهم بالتوفر على اداء الواجبات لان من وفى بما اوجبه هو على نفسه
لوجه الله كان بما اوجبه الله عليه اوفى ويخافون يوما كان شره مستطيرا فاشيا منتشرا بالغا اقصى
المبالغ من استطار الحريق واستطار الفجر وهو من طار بمنزلة استنفر من نفر ويطعمون
الطعام على حبه الضمير للطعام اى مع اشتهائه والحاجة اليه ونحوه وآتى المال على حبه
لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وعن الفضيل بن عياض رحمه الله على حب الله مسكينا
ويتيما واسيرا عن الحسن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى بالاسير فيدفعه الى بعض
المسلمين فيقول احسن اليه فيكون عنده اليومين والثلثة فيؤثره على نفسه وعند عامة
العلماء يجوز الاحسان الى الكفار في دار الاسلام ولا تصرف اليهم الواجبات وعن قتاده كان
اسيرهم يومئذ المشرك واخوك المسلم احق ان تطعمه وعن سعيد بن جبير وعطاء هو الاسير
من اهل القبله وعن ابى سعيد الخدرى هو المملوك والمسجون وسمى رسول الله صلى الله عليه وسلم
الغريم اسيرا فقال غريمك اسيرك فاحسن الى اسيرك انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا
شكورا

اى مديونك

شكورا انما نطعمكم على ارادة القول ويجوز ان يكون قولا باللسان منعا لهم عن المجازاة بمثله او بالشكر
لان احسانهم مفعول لوجه الله فلا معنى لمكافاة الخلق وان يكون قولهم لهم لطفا وتفقيها وتنبيها
على ما ينبغى ان يكون عليه من اخلص لله وعن عائشة رضى الله عنها انها كانت تبعث بالصدقة الى
اهل بيت ثم تسال الرسول ما قالوا فاذا ذكر دعاء دعت لهم بمثله ليبقى ثواب الصدقة لها خالصا
عند الله ويجوز ان يكون ذلك بيانا وكشفا عن اعتقادهم وصحة نيتهم وان لم يقولوا شيئا وعن مجاهد
اما انهم ما تكلموا به ولكن علمه الله منهم فاثنى عليهم والشكور والكفور مصدران كالشكر والكفر
انا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا يحتمل ان احسانا اليكم للخوف من شدة ذلك اليوم لا لارادة
مكافاتكم وانا لا نريد منكم المكافاة لخوف عقاب الله على طلب المكافاة بالصدقة ووصف اليوم بالعبوس
مجاز على طريقين ان يوصف بصفة اهله من الاشقياء كقولهم نهارك صائم روى ان الكافر يعبس يومئذ
حتى يسيل من بين عينيه عرق مثل القطران وان يشبه في شدته وضرره بالاسد العبوس او بالسجاع
الباطل والقمطرير الشديد العبوس الذى يجمع ما بين عينيه قال الزجاج يقال اقمطرت الناقة
اذا رفعت ذنبها وجمعت قطريها ونمت بانفها فاشتقه من القطر وجعل الميم مزيدة قال اسد بن ناعصة
واصطليت الحروب في كل يوم باسل الشر قمطرير الصباح فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة
وسرورا اى اعطاهم بدل عبوس الفجار وحزنهم نضرة في الوجوه وسرورا في القلوب وهذا يدل على
ان اليوم موصوف بعبوس اهله وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا بما صبروا على الايثار وعن ابن
عباس رضى الله عنهما ان الحسن والحسين رضى الله عنهما مرضا فعادهما رسول الله صلى الله عليه وسلم
في ناس معه فقالوا يا ابا الحسن لو نذرت على ولدك فنذر على وفاطمة رضى الله عنهما وفضة
جارية لهما ان برآ مما بهما ان يصوموا ثلثة ايام فشفيا وما معهم شئ فاستقرض على من شمعون
الخيبرى اليهودى ثلثة اصوع من شعير فطحنت فاطمة صاعا واختبزت خمسة اقراص على عددهم
فوضعوها بين ايديهم ليفطروا فوقف عليهم سائل فقال السلام عليكم اهل بيت محمد مسكين
من مساكين المسلمين اطعمونى اطعمكم الله من موائد الجنة فآثروه وباتوا لم يذوقوا الا الماء

فأصبحوا صياماً فلما أمسوا ووضعوا الطعام بين أيديهم وقف عليهم يتيم فآثروه ووقف عليهم
أسير في الثالثة ففعلوا مثل ذلك فلما أصبحوا أخذ علي بيد الحسن والحسين رضي الله عنهم و
أقبلوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما أبصرهم وهم يرتعشون كالفراخ من شدة الجوع قال ما
أشد ما يسوءني ما أرى بكم وقام فانطلق معهم فرأى فاطمة رضي الله عنها في محرابها قد التصق ظهرها
ببطنها وغارت عيناها فساءه ذلك فنزل جبريل وقال خذها يا محمد هنّاك الله في أهل بيتك
فأقرأه السورة **فإن قلت** ما معنى ذكر الحرير مع الجنة **قلت** المعنى وجزاهم بصبرهم
على الإيثار وما يؤدي إليه من الجوع والعري بستاناً فيه مأكل هنيء وحريراً فيه ملبس بهي متكئين
فيها على الأرائك لا يرون فيها شمساً ولا زمهريراً يعني أن هواءها معتدل لا حر شمس يحمي ولا شدة برد
يؤذي وفي الحديث هواء الجنة سجسج لا حر ولا قر وقيل الزمهرير القمر وعن ثعلب أنه
في لغة طي وأنشد وليلة ظلامها قد اعتكر قطعتها والزمهرير ما زهر والمعنى أن الجنة
ضياء فلا يحتاج فيها إلى شمس وقمر ودانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليلا **فإن قلت**
ودانية عليهم ظلالها علام عطف **قلت** على الجملة التي قبلها لأنها في موضع الحال من المجزيين
وهذه حال مثلها عنهم لرجوع الضمير منها إليهم في عليهم إلا أنها اسم مفرد وتلك جملة في حكم مفرد
تقديره غير رائين فيها شمساً ولا زمهريراً ودانية عليهم ظلالها ودخلت الواو للدلالة على أن
الأمرين مجتمعان لهم كأنه قيل وجزاهم جنة جامعين فيها بين البعد عن الحر والقر ودنو
الظلال عليهم وقرئ ودانية بالرفع على أن ظلالها مبتدأ ودانية خبر والجملة في موضع
الحال والمعنى لا يرون فيها شمساً ولا زمهريراً والحال أن ظلالها دانية عليهم ويجوز أن تجعل
متكئين ولا يرون ودانية كلها صفات لجنة ويجوز أن يكون ودانية معطوفة على جنة أي وجنة
أخرى دانية عليهم ظلالها على أنهم وعدوا جنتين كقوله ولمن خاف مقام ربه جنتان لأنهم
وصفوا بالخوف إنا نخاف من ربنا **فإن قلت** فعلام عطف وذللت **قلت** هي إذا
رفعت ودانية جملة فعلية معطوفة على جملة ابتدائية وإذا نصبتها على الحال فهي حال
من

من دانية أي تدنو ظلالها عليهم في حال تذليل قطوفها لهم أو معطوفة عليها على ودانية عليهم ظلالها
ومذللة قطوفها وإذا رفعت ودانية على الوصف فهي صفة مثلها ألا ترى أنك لو قلت جنة
ذللت قطوفها كان صحيحاً وتذليل القطوف أن تجعل ذللاً لا تمتنع على قطافها كيف شاؤوا أو تجعل
ذليلة لهم خاضعة متقاصرة من قولهم حائط ذليل إذا كان قصيراً ويطاف عليهم بآنية من فضة
وأكواب كانت قوارير قوارير من فضة قدروها تقديرا قوارير قوارير غير منونين وبتنوين
الأول وبتنوينهما وهذا التنوين بدل من ألف الإطلاق لأنه فاصلة وفي الثاني لإتباعه الأول ومعنى
قوارير من فضة أنها مخلوقة من فضة وهي مع بياض الفضة وحسنها في صفاء القوارير وشفيفها
فإن قلت ما معنى كانت **قلت** هو من يكون في قوله كن فيكون أي تكونت قوارير بتكوين الله
تفخيماً لتلك الخلقة العجيبة الشأن الجامعة بين صفتي الجوهرين المتباينين ومنه كان في قوله كان
مزاجها كافوراً وقرئ قوارير من فضة بالرفع على هي قوارير قدروها صفة لقوارير من فضة ومعنى
تقديرهم لها أنهم قدروها في أنفسهم أن تكون على مقادير وأشكال على حسب شهواتهم فجاءت كما قدروا
وقيل الضمير للطائفين بها دل عليهم قوله ويطاف عليهم على أنهم قدروا شرابها على قدر الري وهو
ألذ للشارب لكونه على مقدار حاجته لا يفضل عنها ولا يعجز وعن مجاهد لا تفيض ولا تغيض وقرئ
قُدروها على البناء للمفعول ووجهه أن يكون من قدر منقولاً من قدر تقول قدرت الشيء وقدرنيه
فلان إذا جعلك قادراً له ومعناه جعلوا قادرين لها كما شاؤوا وأطلق لهم أن يقدروا على
ما اشتهوا ويسقون فيها كأساً كان مزاجها زنجبيلا سميت العين زنجبيلاً لطعم الزنجبيل
والعرب تستلذه وتستطيبه قال الأعشى كأن القرنفل والزنجبيل باتا بفيها وأرياً مشورا
وقال المسيب بن علس وكأن طعم الزنجبيل به إذ ذقته وسلافة الخمر عيناً فيها
تسمى سلسبيلا لسلاسة انحدارها في الحلق وسهولة مساغها يعني أنها في طعم الزنجبيل وليس
فيه لذعة ولكن نقيض اللذع وهو السلاسة يقال شراب سلسل وسلسال وسلسبيل وقد
زيدت الباء في التركيب حتى صارت الكلمة خماسية ودلت على غاية السلاسة قال الزجاج السلسبيل

في اللغة صفة لما كان في غاية السلاسة وقرئ سلسبيل على منع الصرف لاجتماع العلمية والتأنيث وقد
عزوا الى علي بن ابي طالب رضي الله عنه ان معناه سل سبيلا اليها وهذا غير مستقيم على ظاهره الا ان
يراد ان جملة قول القائل سل سبيلا جعلت علما للعين كما قيل تأبط شرا وذرى حبا وسميت بذلك لانه
لا يشرب منها الا من سأل اليها سبيلا بالعمل الصالح وهو مع استقامته في العربية تكلف وابتداع وعزوه الى
مثل علي رضي الله عنه ابدع وفي شعر بعض المحدثين سل سبيلا فيها الى راحة النفس براح كأنها سلسبيل
وعينا بدل من زنجبيلا وقيل تمزج كأسهم بالزنجبيل بعينه او يخلق الله طعمه فيها وعينا على
هذا القول مبدلة من كأسا كأنه قيل ويسقون فيها كأسا كأس عين او منصوبة على الاختصاص **ويطوف
عليهم ولدان مخلدون اذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا** شبهوا في حسنهم وصفاء الوانهم وانبثاثهم
في مجالسهم ومنازلهم باللؤلؤ المنثور وعن المأمون انه ليلة زفت اليه بوران بنت الحسن بن سهل
على بساط منسوج من ذهب وقد نثرت عليه نساء دار الخلافة اللؤلؤ فنظر اليه منثورا على ذلك البساط
فاستحسن المنظر وقال لله در ابي نواس كأنه ابصر هذا حيث يقول

كأن صغرى وكبرى من فواقعها حصباء در على ارض من الذهب

وقيل شبهوا باللؤلؤ الرطب
اذا نثر من صدفه لانه احسن واكثر ماء **واذا رأيت ثم رأيت نعيما وملكا كبيرا** ورأيت ليس له
مفعول ظاهر ولا مقدر ليشيع ويعم كأنه قيل واذا اوجدت الرؤية ثم ومعناه ان بصر الرائي
اينما وقع لم يتعلق ادراكه الا بنعيم كثير وملك كبير وثم في موضع النصب على الظرف يعني في الجنة
ومن قال معناه ما ثم فقد اخطأ لان ثم صلة لما ولا يجوز اسقاط الموصول وترك الصلة كبيرا
واسعا وهنيئا يروى ان ادنى اهل الجنة منزلة ينظر في ملكه مسيرة الف عام يرى اقصاه كما
يرى ادناه وقيل لا زوال له وقيل اذا ارادوا شيئا كان وقيل يسلم عليهم الملائكة ويستأذنون
عليهم **عاليهم ثياب سندس** قرئ عاليهم بالسكون على انه مبتدأ خبره ثياب سندس اي ما يعلوهم
من لباسهم ثياب سندس وعاليهم بالنصب على انه حال من الضمير في يطوف عليهم او في حسبتهم
اي يطوف عليهم ولدان عاليا للمطوف عليهم ثياب او حسبتهم لؤلؤا عاليا لهم ثياب ويجوز ان يراد

رايت

رأيت اهل نعيم وملك عاليهم ثياب وعاليتهم بالرفع والنصب على ذلك وعليهم **وخضر واستبرق**
بالرفع حملا على الثياب وبالجر على السندس وقرئ واستبرق نصبا في موضع الجر على منع الصرف
لانه اعجمي وهو غلط لانه نكرة يدخله حرف التعريف تقول الاستبرق الا ان يزعم ابن محيصن انه قد يجعل
علما لهذا الضرب من الثياب وقرئ واستبرق بوصل الهمزة والفتح على انه مسمى باستفعل من
البريق وليس بصحيح ايضا لانه معرب مشهور تعريبه وان اصله استبره **وحلوا** عطف على
ويطوف عليهم **اساور من فضة** فان قلت ذكر هنا ان اساورهم من فضة وفي موضع آخر
انها من ذهب قلت هب انه قيل وحلوا اساور من ذهب ومن فضة وهذا صحيح لا اشكال
فيه على انهم يسورون بالجنسين اما على المعاقبة واما على الجمع كما تزاوج نساء الدنيا بين انواع
الحلي وتجمع بينها وما احسن بالمعصم ان يكون فيه سواران سوار من ذهب وسوار من فضة
وسقاهم ربهم شرابا طهورا ليس برجس كخمر الدنيا لان كونها رجسا بالشرع لا بالعقل وليست
الدار دار تكليف او لانه لم يعصر فتمسه الايدي الوضرة وتدوسه الاقدام الدنسة ولم يجعل في
الدنان والاباريق التي لم يعن بتنظيفها او لانه لا يؤول الى النجاسة لانه يرشح عرقا من ابدانهم
له ريح كريح المسك **ان هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا** اي يقال لاهل الجنة ان هذا
هذا اشارة الى ما تقدم من عطاء الله لهم ما جوزيتم به على اعمالكم وشكر به سعيكم والشكر مجاز **انا
نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا** تكرير الضمير بعد ايقاعه اسما لان تأكيد على تأكيد لمعنى اختصاص
الله بالتنزيل ليتقرر في نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم انه اذا كان هو المنزل لم يكن تنزيله
على اي وجه نزل الا حكمة وصوابا كأنه قيل ما نزل عليك القرآن تنزيلا مفرقا منجما الا انا
لا غيري وقد عرفتني حكيما فاعلا لكل ما افعله بدواعي الحكمة ولقد دعتني حكمة بالغة الى ان
انزل عليك الامر بالمكافة والمصابرة وسأنزل عليك الامر بالانتقام والقتال بعد حين **فاصبر لحكم
ربك** الصادر عن الحكمة وتعليقه الامور بالمصالح وتأخيره نصرتك على اعدائك من اهل مكة **ولا
تطع منهم آثما او كفورا** اي لا تطع منهم احدا قلة صبر منك على اذاهم وضجرا من تأخر الظفر

وكانوا مع إفراطهم في العداوة والإيذاء له ولمن معه يدعونه إلى أن يرجع عن أمره ويبذلون له
أموالهم وتزويج أكرم بناتهم إن أجابهم **فإن قلت** كانوا كلهم كفرة فما معنى القسمة في قوله آثما
أو كفورا **قلت** معناه ولا تطع منهم راكبا لما هو إثم داعيا لك إليه أو فاعلا لما هو كفر
داعيا لك إليه لأنهم إما أن يدعوه إلى مساعدتهم على فعل هو إثم أو كفر أو غير إثم ولا كفر فنهي أن
يساعدهم على الاثنين دون الثالث وقيل الآثم عتبة والكفور الوليد لأن عتبة كان ركابا
للمآثم متعاطيا لأنواع الفسوق وكان الوليد غاليا في الكفر شديد الشكيمة في العتو **فإن قلت**
معنى أو ولا تطع أحدهما فهلا جيء بالواو ليكون نهيا عن طاعتهما جميعا **قلت** لو قيل ولا
تطعهما لجاز أن يطيع أحدهما وإذا قيل لا تطع أحدهما علم أن الناهي عن طاعة أحدهما عن طاعتهما
جميعا أنهى كما إذا نهي أن يقول لأبويه أف علم أنه منهي عن ضربهما على طريق الأولى واذكر
اسم ربك بكرة وأصيلا ودم على صلاة الفجر والعصر والظهر ومن الليل فاسجد له وبعض الليل
فصل له أو يعني صلاة المغرب والعشاء وأدخل من على الظرف للتبعيض كما دخل على المفعول
في قوله يغفر لكم من ذنوبكم وسبحه ليلا طويلا وتهجد له هزيعا طويلا من الليل ثلثيه أو نصفه
أو ثلثه إن هؤلاء الكفرة يحبون العاجلة يؤثرونها على الآخرة كقوله بل تؤثرون الحياة الدنيا
ويذرون وراءهم قدامهم أو خلف ظهورهم لا يعبأون به يوما ثقيلا استعير الثقل لشدته وهوله
من الشيء الثقيل الباهظ لحامله ونحوه ثقلت في السماوات والأرض نحن خلقناهم وشددنا
أسرهم الأسر الربط والتوثيق ومنه أسر الرجل إذا أوثق بالقد وهو الإسار وفرس مأسور
الخلق وترس مأسور بالعقب والمعنى شددنا توصيل عظامهم بعضها ببعض وتوثيق مفاصلهم
بالأعصاب ومثله قولهم جارية معصوبة الخلق ومجدولته وإذا شئنا أهلكناهم وبدلنا أمثالهم
في شدة الأسر تبديلا يعني النشأة الأخرى وقيل معناه بدلنا غيرهم ممن يطيع وحقه أن يجيء
بإن لا بإذا كقوله وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم إن يشأ يذهبكم إن هذه إشارة إلى السورة
أو إلى الآيات القريبة فمن شاء فمن اختار الخير لنفسه وحسن العاقبة اتخذ إلى ربه سبيلا اتخاذ
السبيل

تذكرة

السبيل إلى الله عبارة عن التقرب إليه والتوسل بالطاعة وما تشاؤون الطاعة إلا أن يشاء
الله بقسرهم عليها إن الله كان عليما بأحوالهم وما يكون منهم حكيما حيث خلقهم مع علمه بهم وقرئ تشاءون
بالتاء **فإن قلت** ما محل أن يشاء الله **قلت** النصب على الظرف وأصله إلا وقت مشيئة الله و
كذلك قراءة ابن مسعود رضي الله عنه إلا ما يشاء الله لأن ما مع الفعل كأن معه يدخل من يشاء في رحمته
هم المؤمنون والظالمين أعد لهم عذابا أليما نصب الظالمين بفعل يفسره أعد لهم نحو أوعد وكافأ
وما أشبه ذلك وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه وللظالمين على وأعد للظالمين وقرأ ابن الزبير والظالمون
على الابتداء وغيرها أولى لذهاب الطباق بين الجملة المعطوفة والمعطوف عليها فيها مع مخالفتها
للمصحف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة هل أتى كان جزاؤه على الله جنة وحريرا ه

سورة والمرسلات مكية وهي خمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا
والناشرات نشرا فالفارقات فرقا فالملقيات ذكرا عذرا أو نذرا أقسم سبحانه بطوائف من الملائكة
أرسلهن بأوامره فعصفن في مضيهن كما تعصف الرياح تخففا في امتثال أمره وبطوائف منهم نشرن
أجنحتهن في الجو عند انحطاطهن بالوحي أو نشرن الشرائع في الأرض أو نشرن النفوس الموتى بالكفر والجهل
بما أوحين ففرقن بين الحق والباطل فألقين ذكرا إلى الأنبياء عليهم السلام عذرا للمحقين أو نذرا للمبطلين
أو أقسم برياح عذاب أرسلهن فعصفن وبرياح رحمة نشرن السحاب في الجو ففرقن بينه
كقوله ويجعله كسفا أو بسحائب نشرن الموات ففرقن بين من يشكر لله وبين من يكفر كقوله
لأسقيناهم ماء غدقا لنفتنهم فيه فألقين ذكرا إما عذرا للذين يعتذرون إلى الله بتوبتهم واستغفارهم
إذا رأوا نعمة الله في الغيث ويشكرونها وإما إنذارا للذين يغفلون الشكر لله وينسبون ذلك
إلى الأنواء وجعلن ملقيات للذكر لكونهن سببا في حصوله إذا شكرت النعمة فيهن أو
كفرت **فإن قلت** ما معنى عرفا **قلت** متتابعة كشعر العرف يقال جاءوا عرفا واحدا
وهم عليه كعرف الضبع إذا تألبوا عليه ويكون بمعنى العرف الذي هو نقيض المنكر وانتصابه

على انه مفعول له اى ارسلن للاحسان والمعروف والاول على الحال وقرئ عرفا على التثقيل
نحو نكر في نكر فان قلت قد فسرت المرسلات بملائكة العذاب فكيف يكون ارسالهم معروفا
قلت ان لم يكن معروفا للكفار فانه معروف للانبياء والمؤمنين الذين انتقم الله لهم منهم
فان قلت ما العذر والنذر وبم انتصبا قلت هما مصدران من عذر اذا محا الاساءة
ومن انذر اذا خوف على فعل كالكفر والشكر ويجوز ان يكون جمع عذير بمعنى المعذرة وجمع
نذير بمعنى الانذار او بمعنى العاذر او المنذر واما انتصابهما فعلى البدل من ذكرا على الوجهين
الاولين او على المفعول له واما على الوجه الثالث فعلى الحال بمعنى عاذرين او منذرين وقرئا مخففين
ومثقلين ان ما توعدون لواقع ان الذي توعدونه من مجيء يوم القيامة لكائن نازل لا ريب
فيه وهو جواب القسم وعن بعضهم ان المعنى ورب المرسلات فاذا النجوم طمست محيت ومحقت
وقيل ذهب بنورها ومحقت ذواتها موافق لقوله انتثرت وانكدرت ويجوز ان يمحق نورها
ثم تنتثر ممحوقة النور واذا السماء فرجت فتحت فكانت ابوابا قال
الفارجي باب الامير المبهم واذا الجبال نسفت كالحب اذا نسف بالمنسف ونحوه وبست
الجبال بسا وكانت الجبال كثيبا مهيلا وقيل اخذت بسرعة من اماكنها من انتسفت الشيء
اذا اختطفته وقرئ طمست وفرجت ونسفت مشددة واذا الرسل اقتت قرئ اقتت
ووقتت بالتشديد والتخفيف فيهما والاصل الواو ومعنى توقيت الرسل تبيين وقتها الذي
يحضرون فيه للشهادة على اممهم والتاجيل من الاجل كالتوقيت من الوقت لاي يوم اجلت تعظيم
لليوم وتعجيب من هوله ليوم الفصل وما ادريك ما يوم الفصل ليوم الفصل بيان ليوم التاجيل
وهو اليوم الذي يفصل فيه بين الخلائق والوجه ان يكون معنى وقتت بلغت ميقاتها الذي
كانت تنتظره وهو يوم القيامة واجلت اخرت فان قلت كيف وقع النكرة مبتدأ في قوله
ويل يومئذ للمكذبين قلت هو في اصله مصدر منصوب ساد مسد فعله ولكنه عدل به الى
الرفع للدلالة على معنى ثبات الهلاك ودوامه للمدعو عليه ونحوه سلام عليكم ويجوز ويلا بالنصب
ولكن

ولكن لم يقرأ به يقال ويلا له ويلا كيلا الم نهلك الاولين قرأ قتادة نهلك بفتح النون من هلكه بمعنى اهلكه
قال العجاج ومهمه هالك من تعرجا ثم نتبعهم الاخرين ويل يومئذ للمكذبين نتبعهم بالرفع على
الاستئناف وهو وعيد لاهل مكة يريد ثم نفعل بامثالهم من الاخرين مثل ما فعلنا بالاولين ونسلك
بهم سبيلهم لانهم كذبوا مثل تكذيبهم وتقويها قراءة ابن مسعود رضي الله عنه ثم سنتبعهم وقرئ بالجزم للعطف
على نهلك ومعناه انه اهلك الاولين من قوم نوح وعاد وثمود ثم اتبعهم الاخرين من قوم شعيب ولوط
وموسى كذلك نفعل بالمجرمين مثل ذلك الفعل الشنيع نفعل بكل من اجرم انذارا وتحذيرا من عاقبة
الجرم وسوء اثره ويل يومئذ للمكذبين الم نخلقكم من ماء مهين فجعلناه في قرار مكين الى قدر معلوم
الى مقدار من الوقت معلوم قد علمه الله وحكم به وهو تسعة الاشهر او ما دونها او ما فوقها
فقدرنا فقدرنا ذلك تقديرا فنعم المقدرون فنعم المقدرون له نحن او فقدرنا على ذلك فنعم
القادرون عليه نحن والاول اولى لقراءة من قرأ فقدرنا بالتشديد ولقوله من نطفة خلقه
فقدره ويل يومئذ للمكذبين الم نجعل الارض كفاتا احياء وامواتا وجعلنا فيها رواسي شامخات
واسقيناكم ماء فراتا ويل يومئذ للمكذبين الكفات من كفت الشيء اذا ضمه وجمعه وهو اسم
ما يكفت كقولهم الضمام والجماع لما يضم ويجمع يقال هذا الباب جماع الابواب وبه انتصب احياء
وامواتا كانه قيل كافتة احياء وامواتا او بفعل مضمر يدل عليه وهو تكفت والمعنى تكفت احياء
على ظهرها وامواتا في بطنها وقد استدل بعض اصحاب الشافعي رضي الله عنه على قطع النباش
بان الله تعالى جعل الارض كفاتا للاموات فكان بطنها حرزا لهم فالنباش سارق من الحرز
فان قلت لم قيل احياء وامواتا على التنكير وهي كفات الاحياء والاموات جميعا قلت
هو من تنكير التفخيم كانه قال تكفت احياء لا يعدون وامواتا لا يحصرون على ان احياء الانس
وامواتهم ليسوا لجميع الاحياء والاموات ويجوز ان يكون المعنى تكفتكم احياء وامواتا
فينتصبا على الحال من الضمير لانه قد علم انها كفات الانس فان قلت فالتنكير في
رواسي شامخات وماء فراتا قلت يحتمل افادة التبعيض لان في السماء جبالا قال الله تعالى

من جبال فيها من برد وفيها ماء فرات ايضا بل هي معدنه ومصبه وآن يكون للتفخيم انطلقوا
الى ما كنتم به تكذبون انطلقوا اى يقال لهم انطلقوا الى ما كذبتم به من العذاب وانطلقوا
الثاني تكرير وقرئ انطلقوا على لفظ الماضي اخبارا بعد الامر عن عملهم بموجبه لانهم مضطرون
اليه لا يستطيعون امتناعا منه الى ظل يعني دخان جهنم كقوله وظل من يحموم ذي ثلث
شعب تتشعب لعظمه ثلث شعب وهكذا الدخان العظيم تراه يتفرق ذوائب وقيل
تخرج لسان من النار فيحيط بالكفار كالسرادق ويتشعب من دخانها ثلث شعب فتظلهم
حتى يفرغ من حسابهم والمومنون في ظل العرش لا ظليل تهكم بهم وتعريض بان ظلهم غير ظل
المومنين ولا يغني في محل الجر اى وغير مغن عنهم من حر اللهب شيئا انها ترمي بشرر وقرئ
بشرار كالقصر اى كل شررة كالقصر من القصور في عظمها وقيل هو الغليظ من الشجر الواحدة
قصرة نحو جمرة وجمر وقرئ كالقصر بفتحتين وهي اعناق الابل او اعناق النخل نحو شجرة
وشجر وقرا ابن مسعود رضي الله عنه كالقصر بمعنى القصور كرهن ورهن وقرا سعيد بن
جبير كالقصر في جمع قصرة كحاجة وحوج كانه جمالات جمع جمال او جمالة جمع جمل شبهت
بالقصور ثم بالجمال لبيان التشبيه الا ترى انهم يشبهون الابل بالافدان والمجادل وقرئ
جمالات بالضم وهي قلوس الجسور وقيل قلوس سفن البحر الواحدة جمالة وقرئ جمالة
بالكسر بمعنى جمال وجمالة بالضم وهو القلس وقيل صفر لارادة الجنس وقيل صفر
سود تضرب الى الصفرة وفي شعر عمران بن حطان الخارجي دعتهم باعلى صوتها ورمتهم
بمثل الجمال الصفر نزاعة الشوى وقال ابو العلاء حمراء ساطعة الذوائب في الدجى
ترمي بكل شرارة كطراف فشبهها بالطراف وهو بيت الادم في العظم والحمرة وكانه قصد
بخبثه ان يزيد على تشبيه القران ولتبجحه بما سول له من توهم الزيادة جاء في صدر بيته بقوله
حمراء توطئة لها ومناداة عليها وتنبيها للسامعين على مكانها ولقد عمي جمع الله له عمى الدارين
عن قوله عز وعلا كانه جمالات صفر فانه بمنزلة قوله كبيت احمر وعلى ان في التشبيه بالقصر
الحصن

الحصن تشبيها من جهتين من جهة العظم ومن جهة الطول في الهواء وفي التشبيه بالجمالات وهي
القلوس تشبيه من ثلث جهات من جهة العظم والطول والصفرة فابعد الله اغرابه في طرافه و
ما نفخ بشدقيه من استطرافه ويل يومئذ للمكذبين هذا يوم لا ينطقون ولا يوذن لهم فيعتذرون
ويل يومئذ للمكذبين قرئ بنصب اليوم ونصبه الاعمش اى هذا الذى قص عليكم واقع يومئذ
ويوم القيامة طويل ذو مواطن ومواقيت ينطقون في وقت ولا ينطقون في وقت ولذلك ورد الامران
في القرآن او جعل نطقهم كلا نطق لانه لا ينفع ولا يسمع فيعتذرون عطف على يوذن منخرط في سلك
النفي والمعنى ولا يكون لهم اذن واعتذار متعقب له من غير ان يجعل الاعتذار مسببا عن
الاذن ولو نصب لكان مسببا عنه لا محالة هذا يوم الفصل جمعناكم والاولين كلام موضح لقوله
هذا يوم الفصل لانه اذا كان يوم الفصل بين السعداء والاشقياء وبين الانبياء واممهم فلا بد
من جمع الاولين والآخرين حتى يقع ذلك الفصل بينهم فان كان لكم كيد فكيدون تقريع لهم على
كيدهم لدين الله وذويه وتسجيل عليهم بالعجز والاستكانة ويل يومئذ للمكذبين ان المتقين في ظلال
وعيون وفواكه مما يشتهون كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون كلوا واشربوا في موضع الحال من
ضمير المتقين في الظرف الذي هو في ظلال اى مستقرون في ظلال مقولا لهم ذلك انا كذلك نجزي
المحسنين ويل يومئذ للمكذبين كلوا وتمتعوا قليلا انكم مجرمون ويل يومئذ للمكذبين كلوا وتمتعوا
حال من المكذبين اى الويل ثابت لهم في حال ما يقال لهم كلوا وتمتعوا فان قلت كيف يصح ان
يقال لهم ذلك في الآخرة قلت يقال لهم ذلك في الآخرة ايذانا بانهم كانوا في الدنيا احقاء بان
يقال لهم وكانوا من اهله تذكيرا بحالهم السمجة وبما جنوا على انفسهم من ايثار المتاع القليل
على النعيم والملك الخالد وفي طريقته قوله اخوتي لا تبعدوا ابدا وبلى والله قد بعدوا
يريد كنتم احقاء في حياتكم بان يدعى لكم بذلك وعلل ذلك بكونهم مجرمين دلالة على ان كل مجرم ماله
الا الاكل والتمتع اياما قلائل ثم البقاء في الهلاك ابدا ويجوز ان يكون كلوا وتمتعوا كلاما مستانفا
خطابا للمكذبين في الدنيا واذا قيل لهم اركعوا اخشعوا لله وتواضعوا له بقبول وحيه واتباع دينه

واطرحوا هذا الاستكبار والنخوة لا يركعون لا يخشعون ولا يقبلون ذلك ويصرون على استكبارهم
وقيل ما كان على العرب اشد من الركوع والسجود وقيل نزلت في ثقيف حين امرهم رسول الله صلى
الله عليه وسلم بالصلوة فقالوا لا نجبي فانها مسبة علينا فقال صلى الله عليه وسلم لا خير في دين ليس فيه
ركوع ولا سجود ويل يومئذ للمكذبين فبأي حديث بعده يؤمنون بعد هذا القران يعني ان القران
من بين الكتب المنزلة آية مبصرة ومعجزة باهرة فحين لم يؤمنوا به فبأي كتاب بعده يؤمنون وقرئ
تؤمنون بالتاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة والمرسلات كتب له انه ليس من المشركين

سورة عم وتسمى سورة النبا مكية وهي اربعون او احدى واربعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم عم اصله عما على انه حرف جر دخل
على ما الاستفهامية وهي في قراءة عكرمة وعيسى بن عمر قال حسان على ما قام يشتمني لئيم
كخنزير تمرغ في رماد والاستعمال الكثير على الحذف والاصل قليل ومعنى هذا الاستفهام تفخيم
الشان كانه قال عن اي شان يتساءلون ونحوه ما في قولك زيد ما زيد جعلته لانقطاع قرينه وعدم نظيره
كانه شي خفي عليك جنسه فانت تسال عن جنسه وتفحص عن جوهره كما تقول ما الغول وما العنقاء
تريد اي شي هو من الاشياء هذا اصله ثم جرد للعبارة عن التفخيم حتى وقع في كلام من لا تخفى عليه
خافية يتساءلون يسال بعضهم بعضا او يتساءلون غيرهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين
نحو يتداعونهم ويتراءونهم والضمير لاهل مكة كانوا يتساءلون فيما بينهم عن البعث ويتساءلون غيرهم
عنه على طريق الاستهزاء عن النبا العظيم الذي هم فيه مختلفون عن النبا العظيم بيان للشان المفخم
وعن ابن كثير انه قرا عمه بهاء السكت ولا يخلو اما ان يجري الوصل مجرى الوقف واما ان يقف
ويبتدئ يتساءلون عن النبا العظيم على ان يضمر يتساءلون لان ما بعده يفسره كشي يبهم ثم يفسر فان
قلت قد زعمت ان الضمير في يتساءلون للكفار فما تصنع بقوله هم فيه مختلفون قلت
كان فيهم من يقطع القول بانكار البعث ومنهم من يشك وقيل الضمير للمسلمين والكافرين جميعا
وكانوا جميعا يسالون عنه اما المسلم فليزداد خشية واستعدادا واما الكافر فليزداد استهزاء
وقيل

وقيل المتساءل عنه القران وقيل نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقرئ يسّاءلون بالادغام
وستعلمون بالتاء كلا سيعلمون ثم كلا سيعلمون كلا ردع للمتسائلين هزؤا وسيعلمون وعيد
لهم بانهم سوف يعلمون ان ما يتساءلون عنه ويضحكون منه حق لانه واقع لا ريب فيه وتكرير الردع مع
الوعيد تشديد في ذلك ومعنى ثم الاشعار بان الوعيد الثاني ابلغ من الاول واشد فان قلت
كيف اتصل به قوله الم نجعل الارض مهادا قلت لما انكروا البعث قيل لهم الم يخلق من يضاف
اليه البعث هذه الخلائق العجيبة الدالة على كمال القدرة فما وجه انكار قدرته على البعث وما هو الا
اختراع كهذه الاختراعات او قيل لهم الم يفعل هذه الافعال المتكاثرة والحكيم لا يفعل فعلا عبثا وما
تنكرونه من البعث والجزاء مؤد الى انه عابث في كل ما فعل مهادا فراشا وقرئ مهدا ومعناه انها
لهم كالمهد للصبي وهو ما يمهد له فينوم عليه تسمية للممهود بالمصدر كضرب الامير او وصفت
بانها ذات مهد والجبال اوتادا اي ارسيناها بالجبال كما يرسى البيت بالاوتاد وخلقناكم
ازواجا وجعلنا نومكم سباتا موتا والمسبوت الميت من السبت وهو القطع لانه مقطوع عن
الحركة والنوم احد التوفيين وهو على بناء الادواء ولما جعل النوم موتا جعل اليقظة معاشا
اي حيوة في قوله وجعلنا النهار معاشا اي وقت معاش تستيقظون فيه وتتقلبون في حوائجكم
ومكاسبكم وقيل السبات الراحة وجعلنا الليل لباسا يستركم عن العيون اذا اردتم هربا
من عدو او بياتا له او اخفاء ما لا تحبون الاطلاع عليه من كثير من الامور
وكم لظلام الليل عندك من يد تخبر ان المانوية تكذب وجعلنا النهار معاشا وبنينا
فوقكم سبعا سبع سماوات شدادا جمع شديدة يعني محكمة قوية الخلق لا يؤثر فيها مرور الازمان
وجعلنا سراجا وهاجا متلالئا وقادا يعني الشمس وتوهجت النار اذا تلمظت فتوهجت
بضوئها وحرها وانزلنا من المعصرات السحاب اذا اعصرت اي شارفت ان تعصرها
الرياح فتمطر كقولك اجز الزرع اذا حان له ان يجز ومنه اعصرت الجارية اذا
دنت ان تحيض وقرا عكرمة بالمعصرات وفيه وجهان ان تراد الرياح التي حان لها

ان تعصر السحاب وان تراد السحائب لانه اذا كان الانزال منها فهو بها كما تقول اعطى
من يده درهما واعطى بيده وعن مجاهد المعصرات الرياح ذوات الاعاصير وعن الحسن وقتادة
هي السماوات وتاويله ان الماء ينزل من السماء الى السحاب فكان السماوات يعصرن اي يحملن
على العصر ويمكن منه فان قلت فما وجه من قرا من المعصرات وفسرها بالرياح ذوات
الاعاصير والمطر لا ينزل من الرياح قلت الرياح هي التي تنشئ السحاب وتدر اخلافه فيصح
ان تجعل مبتداء للانزال وقد جاء ان الله تعالى يبعث الرياح فتحمل الماء من السماء الى السحاب
فان صح ذلك فالانزال منها ظاهر فان قلت ذكر ابن كيسان انه جعل المعصرات بمعنى
المغيثات والعاصر هو المغيث لا المعصر يقال عصره فاعتصر قلت وجهه ان يريد اللاتي
اعصرن اي حان لها ان تعصر اي تغيث ماء ثجاجا منصبا بكثرة يقال ثجه وثج بنفسه
وفي الحديث افضل الحج العج والثج اي رفع الصوت بالتلبية وصب دماء الهدي وكان ابن
عباس رضي الله عنهما مثجا يسيل غربا يعني يثج الكلام ثجا في خطبته وقرا الحسن ثجاجا
ومثاجج الماء مصابه والماء يثجج في الوادي لنخرج به حبا ونباتا يريد ما يتقوت من نحو
الحنطة والشعير وما يعتلف من التبن والحشيش كما قال كلوا وارعوا انعامكم والحب
ذو العصف والريحان وجنات الفافا ملتفة ولا واحد له كالاوزاع والاخياف وقيل
الواحد لف وقال صاحب الاقليد انشدني الحسن بن علي الطوسي جنة لف وعيش
مغدق وندامى كلهم بيض زهر وزعم ابن قتيبة انه لفاء ولف ثم الفاف وما
اظنه واحدا له نظيرا من نحو خضر واخضار وحمر واحمار ولو قيل هو جمع ملتفة
بتقدير حذف الزوائد لكان قولا وجيها ان يوم الفصل كان ميقاتا كان في تقدير الله
وحكمه حدا توقت به الدنيا وتنتهي عنده او حدا للخلائق ينتهون اليه يوم ينفخ بدل من
يوم الفصل او عطف بيان في الصور فتاتون افواجا من القبور الى الموقف امما كل
امة مع امامهم وقيل جماعات مختلفة وعن معاذ رضي الله عنه انه سال عنه رسول الله صلى
الله

الله صلى الله عليه فقال يا معاذ سالت عن امر عظيم من الامور ثم ارسل عينيه وقال تحشر
عشرة اصناف من امتي بعضهم على صورة القردة وبعضهم على صورة الخنازير وبعضهم منكسون
ارجلهم فوق وجوههم يسحبون عليها وبعضهم عميا وبعضهم صما بكما وبعضهم يمضغون السنتهم
فهي مدلاة على صدورهم يسيل القيح من افواههم تتقذرهم اهل الجمع وبعضهم مقطعة ايديهم
وارجلهم وبعضهم مصلبون على جذوع من نار وبعضهم اشد نتنا من الجيف وبعضهم ملبسون جبابا
سابغة من قطران لازقة بجلودهم فاما الذين على صورة القردة فالقتات من الناس واما الذين على
صورة الخنازير فاهل السحت واما المنكسون على وجوههم فاكلة الربوا واما العمي فالذين يجورون في الحكم
واما الصم والبكم فالمعجبون باعمالهم واما الذين يمضغون السنتهم فالعلماء والقصاص الذين خالف
قولهم اعمالهم واما الذين قطعت ايديهم وارجلهم فهم الذين يؤذون الجيران واما المصلبون على
جذوع من نار فالسعاة بالناس الى السلطان واما الذين هم اشد نتنا من الجيف فالذين يتبعون
الشهوات واللذات ومنعوا حق الله في اموالهم واما الذين يلبسون الجباب فاهل الكبر والفخر و
الخيلاء فتحت السماء فكانت ابوابا قرئ وفتحت بالتشديد والتخفيف والمعنى كثرت ابوابها
المفتحة لنزول الملائكة كانها ليست الا ابوابا مفتحة كقوله وفجرنا الارض عيونا كان كلها عيون
تتفجر وقيل الابواب الطرق والمسالك اي تكشط فيفتح مكانها وتصير طرقا لا يسدها شيء
وسيرت الجبال فكانت سرابا كقوله وكانت هباء منبثا يعني انها تصير شيئا كلا شيء لتفرق
اجزائها وانبثاث جواهرها ان جهنم كانت مرصادا للطاغين مآبا المرصاد الحد الذي
يكون فيه الرصد والمعنى ان جهنم هي حد الطاغين الذين يرصدون فيه للعذاب وهي مآبهم
او هي مرصاد لاهل الجنة يرصدهم الملائكة الذين يستقبلونهم عندهم لان مجازهم عليها وهي
مآب للطاغين وعن الحسن وقتادة نحوه قالا طريقا وممرا لاهل الجنة وقرا ابن يعمر ان
جهنم بفتح الهمزة على تعليل قيام الساعة بان جهنم كانت مرصادا للطاغين كانه قيل كان ذلك
لاقامة الجزاء لابثين فيها قرئ لابثين ولبثين واللبث اقوى لان اللابث من وجد منه اللبث

ولا يقال لبث الا لمن شانه اللبث كالذي يجثم بالمكان لا يكاد ينفك منه احقابا حقبا
بعد حقب كلما مضى حقب تبعه آخر الى غير نهاية ولا يكاد يستعمل الحقب والحقبة
الا حيث يراد تتابع الازمنة وتواليها والاشتقاق يشهد لذلك الا ترى الى حقيبة الراكب
والحقب الذي وراء التصدير وقيل الحقب ثمانون سنة ويجوز ان يراد لابثين فيها احقابا
غير ذائقين بردا ولا شرابا الا حميما وغساقا ثم يبدلون بعد الاحقاب غير الحميم والغساق
من جنس آخر من العذاب وفيه وجه آخر وهو ان يكون من حقب عامنا اذا
قل مطره وخيره وحقب فلان اذا اخطاه الرزق فهو حقب وجمعه احقاب فينتصب
حالا عنهم يعني لابثين فيها حقبين جحدين وقوله لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا تفسير له والاستثناء
منقطع يعني لا يذوقون فيها بردا ولا روحا ينفس عنهم حر النار ولا شرابا يسكن من عطشهم
ولكن يذوقون فيها حميما وغساقا وقيل البرد النوم وانشد
فلو شئت حرمت النساء سواكم ... وان شئت لم اطعم نقاخا ولا بردا ... وعن بعض العرب
منع البرد البرد وقرئ غساقا بالتخفيف والتشديد وهو ما يغسق اي يسيل من صديدهم
جزاء وفاقا وصف بالمصدر او ذا وفاق وقرا ابو حيوة وفاقا فعالا من وفقه كذا انهم
كانوا لا يرجون حسابا وكذبوا باياتنا كذابا تكذيبا وفعال في باب فعل كله فاش في كلام
فصحاء من العرب لا يقولون غيره وسمعني بعضهم افسر آية فقال لقد فسرتها فسارا ما
سمع بمثيله وقرئ بالتخفيف وهو مصدر كذب بدليل قوله فصدقتها وكذبتها والمرء ينفعه كذابه
وهو مثل قوله انبتكم من الارض نباتا يعني وكذبوا باياتنا فكذبوا كذابا او تنصبه بكذبوا لانه
يتضمن معنى كذبوا لان كل مكذب بالحق كاذب وان جعلته بمعنى المكاذبة فمعناه و
كذبوا باياتنا فكاذبوا مكاذبة او كذبوا بها مكاذبين لانهم اذا كانوا عند المسلمين كاذبين
وكان المسلمون عندهم كاذبين فبينهم مكاذبة او لانهم يتكلمون بما هو افراط في الكذب
فعل من يغالب في امر فيبلغ فيه اقصى جهده وقرئ كذابا وهو جمع كاذب اي كذبوا باياتنا
كاذبين

كاذبين وقد يكون الكذاب بمعنى الواحد البليغ في الكذب يقال رجل كذاب كقولك حسان وبخال
فيجعل صفة لمصدر كذبوا اي تكذيبا كذابا مفرطا كذبه وكل شيء احصيناه كتابا فذوقوا فلن نزيدكم
الا عذابا كتابا مصدر في موضع احصاء او احصينا في معنى كتبنا لالتقاء الاحصاء والكتبة في معنى
الضبط والتحصيل او يكون حالا في معنى مكتوبا في اللوح وفي صحف الحفظة والمعنى احصاء معاصيهم
كقوله احصاه الله ونسوه وهو اعتراض وقوله فذوقوا مسبب عن كفرهم بالحساب وبكذبهم بالايات
وهي آية في غاية الشدة وناهيك بلن نزيدكم وبدلالته على ان ترك الزيادة كالمحال الذي لا يدخل تحت
الصحة وبمجيئها على طريقة الالتفات شاهدا على ان الغضب قد تبالغ وعن النبي صلى الله عليه وسلم هذه
الاية اشد ما في القرآن على اهل النار ان للمتقين مفازا حدائق واعنابا وكواعب اترابا و
كاسا دهاقا مفازا فوزا وظفرا بالبغية او موضع فوز وقيل نجاة مما فيه اولئك او موضع نجاة
وفسر المفاز بما بعده والحدائق البساتين فيها انواع الشجر المثمر والاعناب الكروم والكواعب
اللاتي فلكت ثديهن وهن النواهد والاتراب اللدات والدهاق المترعة وادهق الحوض
ملاه حتى قال قطني لا يسمعون فيها لغوا ولا كذابا قرئ بالتشديد والتخفيف اي لا يكذب بعضهم
بعضا ولا يكذبه او لا يكاذبه وعن علي رضي الله عنه انه قرا بتخفيف الايتين جزاء من ربك عطاء
حسابا جزاء مصدر مؤكد منصوب بمعنى قوله ان للمتقين مفازا كانه قال جازى المتقين بمفاز
وعطاء نصب بجزاء نصب المفعول به اي جزاهم عطاء وحسابا صفة بمعنى كافيا من احسبه
الشيء اذا كفاه حتى قال حسبي وقيل على حسب اعمالهم وقرا ابن قطيب حسابا بالتشديد
على ان الحساب بمعنى المحسب كالدراك بمعنى المدرك رب السماوات والارض وما بينهما
الرحمن لا يملكون منه خطابا قرئ رب السماوات والرحمن بالرفع على هو رب السماوات
الرحمن او رب السماوات مبتدا والرحمن صفة ولا يملكون خبر او هما خبران وبالجر على
البدل من ربك وبجر الاول ورفع الثاني على انه مبتدا خبره لا يملكون او هو الرحمن لا يملكون
والضمير في لا يملكون لاهل السماوات والارض اي ليس في ايديهم مما يخاطب به الله ويامرهم به

في امر الثواب والعقاب خطابا واحدا يتصرفون فيه تصرف الملاك فيزيدون فيه او ينقصون
منه او لا يملكون ان يخاطبوه بشيء من نقص العذاب او زيادة في الثواب الا ان يهب لهم ذلك
ويأذن لهم فيه يوم يقوم الروح والملائكة صفا يوم تقوم متعلق بلا يملكون او بلا يتكلمون والمعنى
ان الذين هم افضل الخلائق واشرفهم واكثرهم طاعة واقربهم منه وهم الروح والملائكة لا يملكون
التكلم بين يديه فما ظنكم بمن عداهم من اهل السماوات والارض والروح اعظم خلقا من الملائكة
واشرف منهم واقرب من رب العالمين وقيل هو ملك عظيم ما خلق الله بعد العرش خلقا
اعظم منه وقيل ليسوا بالملائكة وهم يأكلون وقيل جبريل عليه السلام لا يتكلمون الا من اذن
له الرحمن وقال صوابا هما شريطتان ان يكون المتكلم منهم مأذونا له في الكلام وان يتكلم بالصواب
فلا يشفع لغير مرتضى لقوله تعالى ولا يشفعون الا لمن ارتضى ذلك اليوم الحق فمن شاء اتخذ
الى ربه مآبا انا انذرناكم عذابا قريبا يوم ينظر المرء ما قدمت يداه المرء هو الكافر لقوله انا انذرناكم
لقوله انا انذرناكم عذابا قريبا والكافر ظاهر وضع موضع الضمير لزيادة الذم ويعني ما قدمت يداه
من الشر كقوله وذوقوا عذاب الحريق ذلك بما قدمت ايديكم وذوقوا عذاب يوم القيامة عذاب الحريق
ذلك بما قدمت يداك بما قدمت ايديهم والله عليم بالظالمين وما يجوز ان تكون استفهامية
منصوبة بقدمت اي ينظر اي شيء قدمت يداه وموصولة منصوبة بينظر يقال نظرته
بمعنى نظرت اليه والراجع من الصلة محذوف وقيل المرء عام وخصص منه الكافر وعن
قتادة هو المؤمن ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا في الدنيا فلم اخلق ولم اكلف او ليتني
كنت ترابا في هذا اليوم فلم ابعث وقيل يحشر الله الحيوان غير المكلف حتى يقتص للجماء
من القرناء ثم يرده ترابا فيود الكافر حاله وقيل الكافر ابليس يرى آدم وولده وثوابهم
فيتمنى ان يكون الشيء الذي احتقره حين قال خلقتني من نار وخلقته من طين عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة عم يتساءلون سقاه الله برد الشراب يوم القيامة

سورة والنازعات مكية وهي خمس او ست واربعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم والنازعات غرقا والناشطات نشطا والسابحات سبحا فالسابقات سبقا فالمدبرات امرا اقسم سبحانه بطوائف الملائكة التي تنزع
الارواح من الاجساد وبالطوائف التي تنشطها اي تخرجها من نشط الدلو من البئر اذا
اخرجها وبالطوائف التي تسبح في مضيها اي تسرع فتسبق الى ما امروا به فتدبر امرا من امور
العباد مما يصلحهم في دينهم او دنياهم كما رسم لهم غرقا اغراقا في النزع اي تنزعها من
اقاصي الاجساد من اناملها واظفارها او اقسم بخيل الغزاة التي تنزع في اعنتها
نزعا تغرق فيه الاعنة لطول اعناقها لانها عراب والتي تخرج من دار الاسلام الى دار
الحرب من قولك ثور ناشط اذا خرج من بلد الى بلد والتي تسبح في جريها فتسبق الى الغاية
فتدبر امر الغلبة والظفر واسناد التدبير اليها لانها من اسبابه او اقسم بالنجوم
التي تنزع من المشرق الى المغرب واغراقها في النزع ان تقطع الفلك كله حتى تنحط في اقصى
المغرب والتي تخرج من برج الى برج والتي تسبح في الفلك من السيارة فتسبق فتدبر امرا
من علم الحساب وقيل النازعات ايدي الغزاة او انفسهم تنزع القسي باغراق السهام والتي
تنشط الاوهاق والمقسم عليه محذوف وهو لتبعثن لدلالة ما بعده عليه من ذكر القيامة يوم
ترجف منصوب بهذا المضمر يوم ترجف الراجفة الواقعة التي ترجف عندها الارض
والجبال وهي النفخة الاولى وصفت بما يحدث بحدوثها تتبعها الرادفة اي الواقعة التي
تردف الاولى وهي النفخة الثانية ويجوز ان تكون الرادفة من قوله تعالى عسى ان يكون
ردف لكم بعض الذي تستعجلون اي القيامة التي يستعجلها الكفرة استبعادا لها وهي
رادفة لهم لاقترابها وقيل الراجفة الارض والجبال من قوله يوم ترجف الارض والجبال
والرادفة السماء والكواكب لانها تنشق وتنتثر كواكبها على اثر ذلك فان قلت ما محل
تتبعها قلت الحال اي ترجف تابعتها الرادفة فان قلت كيف جعلت يوم ترجف
ظرفا للمضمر الذي هو لتبعثن ولا يبعثون عند النفخة الاولى قلت المعنى لتبعثن في

الوقت الواسع الذي يقع فيه النفختان وهم يبعثون في بعض ذلك الوقت الواسع وهو وقت النفخة
الاخرى ودل على ذلك ان قوله تتبعها الرادفة جعل حالا عن الراجفة ويجوز ان ينتصب يوم
ترجف بما دل عليه قوله قلوب يومئذ واجفة اي يوم ترجف وجفت القلوب واجفة
شديدة الاضطراب والوجيب والوجيف اخوان ابصارها خاشعة ذليلة فان قلت
كيف جاز الابتداء بالنكرة قلت قلوب مرفوعة بالابتداء وواجفة صفتها وابصارها خاشعة
خبرها فهو كقوله ولعبد مؤمن خير من مشرك فان قلت كيف صح اضافة الابصار الى القلوب
قلت معناه ابصار اصحابها بدليل قوله يقولون في الحافرة في الحالة الاولى يعنون الحيوة بعد
الموت يقولون ائنا لمردودون في الحافرة فان قلت ما حقيقة هذه الكلمة قلت
يقال رجع فلان في حافرته اي في طريقته التي جاء فيها فحفرها اي اثر فيها بمشيه فيها جعل
اثر قدميه حفرا كما قيل حفرت اسنانه حفرا اذا اثر الاكال في اسناخها والخط المحفور
في الصخر وقيل حافرة كما قيل عيشة راضية اي منسوبة الى الحفر والرضى او كقولك نهارك
صائم ثم قيل لمن كان في امر فخرج منه ثم عاد اليه رجع الى حافرته اي الى طريقته وحالته الاولى
قال احافرة على صلع وشيب معاذ الله من سفه وعار يريد ارجوعا الى الحافرة و
قيل النقد عند الحافرة يريدون عند الحالة الاولى وهي الصفقة وقرأ ابو حيوة في الحفرة
والحفرة بمعنى المحفورة يقال حفرت اسنانه فحفرت حفرا وهي حفرة وهذه القراءة دليل على
ان الحافرة في اصل الكلمة بمعنى المحفورة أئذا كنا عظاما نخرة يقال نخر العظم فهو نخر وناخر
كقولك طمع فهو طمع وطامع وفعل ابلغ من فاعل وقد قرئ بهما وهو البالي الاجوف الذي تمر
فيه الريح فيسمع له نخير واذا منصوب بمحذوف تقديره اذا كنا عظاما نرد ونبعث قالوا تلك اذن
كرة خاسرة منسوبة الى الخسران او خاسر اصحابها والمعنى انها ان صحت فنحن اذن خاسرون
لتكذيبنا بها وهذا استهزاء منهم فان قلت بم تعلق قوله فانما هي زجرة واحدة قلت
بمحذوف معناه لا تستصعبوها فانما هي زجرة واحدة يعني لا تحسبوا تلك الكرة صعبة على الله عز وجل
فانها

فانها سهلة هينة في قدرته ما هي الا صيحة واحدة يريد النفخة الثانية فاذا هم احياء على
وجه الارض بعد ما كانوا امواتا في جوفها من قولهم زجر البعير اذا صاح عليه فاذا هم
بالساهرة الارض البيضاء المستوية سميت بذلك لان السراب يجري فيها من قولهم عين ساهرة
جارية الماء وفي ضدها نائمة قال الاشعث بن قيس وساهرة يضحي السراب مجللا
لاقطارها قد جبتها متلثما او لان سالكها لا ينام خوف الهلكة وعن قتادة فاذا هم في جهنم
هل اتاك حديث موسى اذ ناداه ربه بالواد المقدس طوى اذهب على ارادة القول وفي
قراءة عبد الله ان اذهب لان في النداء معنى القول الى فرعون انه طغى فقل هل لك هل
لك في كذا وهل لك الى كذا كما تقول هل ترغب فيه وهل ترغب اليه الى ان تزكى الى ان
تتطهر من الشرك وقرأ اهل المدينة تزّكى بالادغام واهديك الى ربك وارشدك الى معرفة
الله وانبهك عليه فتعرفه فتخشى لان الخشية لا تكون الا بالمعرفة قال الله تعالى انما يخشى
الله من عباده العلماء اي العلماء به وذكر الخشية لانها ملاك الامر من خشي الله اتى منه
كل خير ومن امن اجترأ على كل شر ومنه قوله صلى الله عليه وسلم من خاف ادلج ومن
ادلج بلغ المنزل بدأ مخاطبته بالاستفهام الذي معناه العرض كما يقول الرجل لضيفه
هل لك ان تنزل بنا واردفه الكلام الرفيق ليستدعيه بالتلطف في القول ويستنزله بالمداراة
من عتوه كما امر بذلك في قوله فقولا له قولا لينا فاراه الآية الكبرى قلب العصا حية لانها
كانت المقدمة والاصل والاخرى كالتبع لها لانه كان يتقيها بيده فقيل له ادخل يدك في
جيبك او ارادهما جميعا الا انه جعلهما واحدة لان الثانية كانها من جملة الاولى لكونها
تابعة لها فكذب بموسى والآية الكبرى وسماهما ساحرا وسحرا وعصى الله تعالى بعد
ما علم صحة الامر وان الطاعة قد وجبت عليه ثم ادبر يسعى اي لما رأى الثعبان
ادبر مرعوبا يسعى يسرع في مشيته قال الحسن كان رجلا طياشا خفيفا او تولى عن
موسى يسعى ويجتهد في مكايدته او اريد ثم اقبل يسعى كما تقول اقبل فلان يفعل كذا

انشاء يفعل فوضع ادبر موضع اقبل ليلا يوصف بالاقبال فحشر فجمع السحرة كقوله فارسل
فرعون في المداين حاشرين فنادى فقال انا ربكم الاعلى فنادى في المقام الذي اجتمعوا فيه
معه او امر مناديا فنادى في الناس بذلك وقيل قام فيهم خطيبا فقال تلك العظيمة وعن ابن عباس
رضي الله عنهما كلمته الاولى ما علمت لكم من اله غيري والآخرة انا ربكم الاعلى فاخذه الله نكال
الآخرة والاولى هو مصدر موكد كوعد الله وصبغة الله كانه قيل نكل الله به نكال الآخرة
والاولى والنكال بمعنى التنكيل كالسلام بمعنى التسليم يعني الاغراق في الدنيا والاحراق
في الآخرة وعن ابن عباس رضي الله عنهما نكال كلمتيه الآخرة وهي قوله انا ربكم الاعلى والاولى
وهي قوله ما علمت لكم من اله غيري وقيل كان بين الكلمتين اربعون سنة وقيل عشرون
ان في ذلك لعبرة لمن يخشى ءانتم اشد خلقا ام السماء الخطاب لمنكري البعث يعني ءانتم اصعب
خلقا وانشاء ام السماء ثم بين كيف خلقها فقال بناها ثم بين البناء فقال رفع سمكها اي جعل
مقدار ذهابها في سمت العلو مديدا رفيعا مسيرة خمسماية عام فسويها فعدلها مستوية
ملساء ليس فيها تفاوت ولا فطور او فتممها بما علم انها تتم به واصلحها من قولك سوى فلان
امر فلان واغطش ليلها غطش الليل واغطشه الله كقولك ظلم واظلمه ويقال ايضا
اغطش الليل كما يقال اظلم واخرج ضحيها وابرز ضوء شمسها يدل عليه قوله تعالى والشمس
وضحيها يريد ضوءها وقولهم وقت الضحى للوقت الذي تشرق فيه الشمس ويقوم سلطانها
واضيف الليل والشمس الى السماء لان الليل ظلها والشمس هي السراج المثقب في جوها
والارض بعد ذلك دحاها اخرج منها ماءها عيونها المتفجرة بالماء ومرعاها ورعيها
وهو في الاصل موضع الرعي والجبال ارسيها نصب الارض والجبال باضمار دحا وارسى
وهو الاضمار على شريطة التفسير وقراهما الحسن مرفوعين على الابتداء فان قلت هلا
ادخل حرف العطف على اخرج قلت فيه وجهان احدهما ان يكون معنى دحاها
بسطها ومهدها للسكنى ثم فسر التمهيد بما لا بد منه في تاتي سكناها من تسوية امر الماكل
والمشرب

المشرب وامكان القرار عليها والسكون باخراج الماء والمرعى وارساء الجبال واثباتها اوتادا
لها حتى تستقر ويستقر عليها والثاني ان يكون اخرج حالا باضمار قد كقوله او جاؤكم
حصرت صدورهم واراد بمرعاها ما ياكل الناس والانعام واستعير الرعي للانسان كما استعير
الرتع في قوله نرتع ونلعب وقرئ نرتع من الرعي ولهذا قيل دل الله سبحانه بذكر الماء والمرعى
على عامة ما يرتفق ويتمتع مما يخرج من الارض حتى الملح لانه من الماء متاعا لكم فعل ذلك تمتيعا
لكم ولانعامكم لان منفعة ذلك التمهيد واصلة اليهم والى انعامهم فاذا جاءت الطامة الكبرى
الطامة الداهية التي تطم على الدواهي اي تعلو وتغلب وفي امثالهم جرى الوادي فطم
على القرى وهي القيامة لطمومها على كل هائلة وقيل هي النفخة الثانية وقيل الساعة التي
تساق فيها اهل الجنة الى الجنة واهل النار الى النار يوم يتذكر الانسان ما سعى يوم يتذكر بدل
من اذا جاءت يعني اذا رأى اعماله مدونة في كتابه يذكرها وكان قد نسيها كقوله احصاه
الله ونسوه وما في ما سعى موصولة او مصدرية وبرزت الجحيم واظهرت وقرأ ابو نهيك وبرزت
لمن يرى للرائين جميعا اي لكل احد يعني انها تظهر اظهارا بينا مكشوفا يراها اهل الساهرة
كلهم كقولهم قد بين الصبح لذي عينين يريدون لكل من له بصر وهو مثل في الامر المنكشف الذي
لا يخفى على احد وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه لمن راى وقرأ عكرمة لمن ترى والضمير للجحيم كقوله
اذا رأتهم من مكان بعيد وقيل لمن ترى يا محمد فاما من طغى وآثر الحيوة الدنيا فان الجحيم هي
المأوى فاما جواب فاذا اي فاذا جاءت الطامة فان الامر كذلك والمعنى فان الجحيم ماواه كما
تقول للرجل غض الطرف تريد طرفك وليس الالف واللام بدلا من الاضافة ولكن لما علم ان
الطاغي هو صاحب المأوى وانه لا يغض الرجل طرف غيره تركت الاضافة ودخول حرف التعريف
في المأوى والطرف للتعريف لانهما معروفان وهي فصل او مبتدأ واما من خاف مقام ربه
ونهى النفس عن الامارة بالسوء عن الهوى المؤدي وهو اتباع الشهوات وزجرها عنه وضبطها
بالصبر والتوطين على ايثار الخير فان الجنة هي المأوى وقيل الآيتان نزلتا في ابي عزيز

ابن عمير ومصعب بن عمير وقد قتل مصعب اخاه ابا عزيز يوم احد ووقى رسول الله صلى
الله عليه وسلم بنفسه حتى نفذت المشاقص في جوفه يسألونك عن الساعة ايان مرساها متى
ارساؤها اى اقامتها اراد ومتى يقيمها الله ويثبتها ويكونها وقيل ايان منتهاها ومستقرها
كما ان مرسى السفينة مستقرها حيث تنتهى اليه فيم انت في اى شيء انت من ان تذكر وقتها
لهم وتعلمهم به يعنى ما انت من ذكرها لهم وتبيين وقتها في شيء وعن عائشة رضى الله عنها لم يزل
رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الساعة ويسأل عنها حتى نزلت فهو على هذا تعجب من كثرة ذكره
لها كانه قيل في اى شغل واهتمام انت من ذكرها والسؤال عنها والمعنى انهم يسألونك عنها فلحرصك
على جوابهم لا تزال تذكرها وتسأل عنها ثم قال الى ربك منتهاها اى منتهى علمها لم يؤت علمها احدا
من خلقه وقيل فيم انكار لسؤالهم اى فيم هذا السؤال ثم قيل انت من ذكراها اى ارسالك وانت
خاتم الانبياء وآخر الرسل المبعوث في نسم الساعة ذكر من ذكرها وعلامة من علاماتها فكفاهم
بذلك دليلا على دنوها ومشارفتها ووجوب الاستعداد لها ولا معنى لسؤالهم عنها انما انت منذر
من يخشاها اى لم تبعث لتعلمهم بوقت الساعة الذى لا فائدة لهم في علمه وانما بعثت
لتنذر من اهوالها من يكون انذارك لطفا له في الخشية منها وقرئ منذر بالتنوين وهو الاصل
والاضافة تخفيف وكلاهما يصلح للحال والاستقبال فاذا اريد الماضى فليس الا الاضافة كقولك
هو منذر زيد امس كانهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية او ضحاها اى كانهم لم يلبثوا في الدنيا
وقيل في القبور الا عشية او ضحاها فان قلت كيف صحت اضافة الضحى الى العشية
قلت لما بينهما من الملابسة لاجتماعهما في نهار واحد فان قلت فهلا قيل الا عشية
او ضحى وما فائدة الاضافة قلت الدلالة على ان مدة لبثهم كانها لم تبلغ يوما كاملا ولكن
ساعة منه عشيته او ضحاه فلما ترك اليوم اضافه الى عشيته فهو كقوله لم يلبثوا الا
ساعة من نهار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة النازعات كان ممن
حبسه الله في القبر والقيامة حتى يدخل الجنة قدر صلوة مكتوبة

سورة عبس مكية وهى اربعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم عبس وتولى ان جاءه الاعمى اتى رسول
الله صلى الله عليه وسلم ابن ام مكتوم وام مكتوم ام ابيه واسمه عبد الله بن شريح بن مالك
ابن ربيعة الفهرى من بنى عامر بن لؤى وعنده صناديد قريش عتبة وشيبة ابنا ربيعة
وابو جهل بن هشام والعباس بن عبد المطلب وامية بن خلف والوليد بن المغيرة يدعوهم
الى الاسلام رجاء ان يسلم باسلامهم غيرهم فقال يا رسول الله اقرئنى وعلمنى مما علمك الله
وكرر ذلك وهو لا يعلم تشاغله بالقوم فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم قطعه لكلامه
وعبس واعرض عنه فنزلت فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكرمه ويقول اذا رآه مرحبا
بمن عاتبنى فيه ربى ويقول له هل لك من حاجة واستخلفه على المدينة مرتين وقال انس
رضى الله عنه رأيته يوم القادسية وعليه درع وله راية سوداء وقرئ عبّس بالتشديد
للمبالغة ونحوه كلّح في كلح وان جاءه منصوب بتولى او بعبس على اختلاف المذهبين ومعناه
عبس لان جاءه الاعمى واعرض لذلك وقرئ آان جاءه بهمزتين وبالف بينهما ووقف على عبس وتولى
ثم ابتدئ على معنى ألان جاءه الاعمى فعل ذلك انكارا عليه وروى انه ما عبس بعدها في
وجه فقير قط ولا تصدى لغنى وفي الاخبار عما فرط منه ثم الاقبال عليه بالخطاب دليل على
زيادة الانكار كمن يشكو الى الناس جانيا جنى عليه ثم يقبل على الجانى اذا حمى في الشكاية
مواجها بالتوبيخ والزام الحجة وفي ذكر الاعمى نحو من ذلك كانه يقول قد استحق عنده
العبوس والاعراض لانه اعمى وكان يجب ان يزيده العمى تعطفا وترؤفا وتقريبا وترحيبا
ولقد تأدب الناس بادب الله في هذا تأدبا حسنا فقد روى عن سفيان الثورى رحمه الله
ان الفقراء كانوا في مجلسه امراء وما يدريك اى شيء يجعلك داريا بحال هذا الاعمى لعله يزكى
اى يتطهر بما يتلقن من الشرائع من بعض اوضار الاثم او يذكر او يتعظ فتنفعه الذكرى
ذكراك اى موعظتك ويكون له لطفا في بعض الطاعات والمعنى انك لا تدرى ما هو مترقب

منه من تزكى او تذكر ولو دريت لما فرط ذلك منك وقيل الضمير في لعله للكافر يعني انك
طمعت في ان يتزكى بالاسلام او يذكر فتقربه الذكرى الى قبول الحق وما يدريك ان ما طمعت
فيه كائن وقرئ فتنفعه بالرفع عطفا على يذكر وبالنصب جوابا للعل كقوله فاطلع الى
اله موسى اما من استغنى فانت له تصدى وما عليك الا يزكى تصدى تتعرض بالاقبال عليه
والمصادلة المعارضة وقرئ تصدى بالتشديد بادغام التاء في الصاد وقرا ابو جعفر
تصدى بضم التاء اي تعرض ومعناه يدعوك داع الى التصدي اليه من الحرص والتهالك
على اسلامه وليس عليك بأس في ان لا يتزكى بالاسلام ان عليك الا البلاغ واما من جاءك يسعى
يسرع في طلب الخير وهو يخشى الله او يخشى الكفار واذاهم في اتيانك وقيل جاء وليس
معه قائد فهو يخشى الكبوة فانت عنه تلهى تتشاغل من لهي عنه والتهى وتلهى وقرا طلحة
ابن مصرف تتلهى وقرا ابو جعفر تلهى اي يلهيك شان الصناديد فان قلت قوله فانت
له تصدى فانت عنه تلهى كان فيه اختصاصا قلت نعم ومعناه انكار التصدي و
التلهي عليه اي مثلك خصوصا لا ينبغي ان يتصدى للغني ويتلهى عن الفقير كلا ردع عن المعاتب
عليه وعن معاودة مثله انها تذكرة اي موعظة يجب الاتعاظ بها والعمل بموجبها فمن شاء
ذكره اي كان حافظا له غير ناس وذكر الضمير لان التذكرة في معنى الذكر والوعظ في صحف
صفة لتذكرة يعني انها مثبتة في صحف منتسخة من اللوح مكرمة عند الله مرفوعة
في السماء او مرفوعة المقدار مطهرة منزهة عن ايدي الشياطين بايدي سفرة لا تمسها الا ايدي
ملائكة مطهرين كرام بررة اتقياء وقيل هي صحف الانبياء كقوله ان هذا لفي الصحف الاولى
وقيل السفرة القراء وقيل اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل الانسان دعاء عليه
وهي من اشنع دعواتهم لان القتل قصارى شدائد الدنيا وفظائعها وما اكفره تعجب من
افراطه في كفران نعمة الله ولا ترى اسلوبا اغلظ منه ولا اخشن مسا ولا ادل على سخط
ولا ابعد شوطا في المذمة مع تفاوت طرفيه ولا اجمع للائمة على قصر متنه ثم اخذ في وصف

حاله من ابتداء حدوثه الى ان انتهى وما هو مغمور فيه من اصول النعم وفروعها وما هو غارز
فيه راسه من الكفران والغمط وقلة الالتفات الى ما يتقلب فيه والى ما يجب عليه من القيام
بالشكر من اي شيء خلقه من اي حقير مهين خلقه ثم بين ذلك الشيء بقوله من نطفة خلقه
فقدره فهيأه لما يصلح له ويختص به ونحوه وخلق كل شيء فقدره تقديرا ثم السبيل يسره نصب السبيل
باضمار يسر وفسره بيسره والمعنى ثم سهل سبيله وهو مخرجه من بطن امه او السبيل الذي يختار
سلوكه من طريقي الخير والشر باقداره وتمكينه كقوله انا هديناه السبيل وعن ابن عباس رضي
الله عنهما بين له سبيل الخير والشر ثم اماته فاقبره فجعله ذا قبر يواري فيه تكرمة له ولم يجعله مطروحا
على وجه الارض جزرا للسباع والطير كسائر الحيوان يقال قبر الميت اذا دفنه واقبر الميت
اذا امره ان يقبره ومكنه منه ومنه قول من قال للحجاج اقبرنا صالحا ثم اذا شاء انشره
انشاه النشاة الاخرى وقرئ نشره كلا ردع للانسان عما هو عليه لما يقض لم يقض بعد مع تطاول
الزمان وامتداده من لدن آدم الى هذه الغاية ما امره الله حتى يخرج عن جميع اوامره يعني ان
انسانا لم يخل من تقصير قط ولما عدد النعم في نفسه اتبعه ذكر النعم فيما يحتاج اليه فقال
فلينظر الانسان الى طعامه الى مطعمه الذي يعيش به كيف دبرنا امره انا صببنا الماء صبا يعني
الغيث قرئ بالكسر على الاستئناف وبالفتح على البدل من الطعام وقرا الحسين بن علي رضي الله
عنهما انى صببنا بالامالة على معنى فلينظر الانسان كيف صببنا الماء ثم شققنا الارض شقا شققنا
من شق الارض بالنبات ويجوز ان يكون من شقها بالكراب على البقر واسند الشق الى نفسه
اسناد الفعل الى السبب فانبتنا فيها حبا الحب كل ما حصد من نحو الحنطة والشعير وغيرهما
وعنبا وقضبا القضب الرطبة والمقضاب ارضه سمي بمصدر قضبه اذا قطعه لانه يقضب
مرة بعد مرة وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا يحتمل ان يجعل كل حديقة غلباء فيريد تكاثفها
وكثرة اشجارها وعظمها كما تقول حديقة ضخمة وان يجعل شجرها غلبا اي عظاما غلاظا
والاصل في الوصف بالغلب الرقاب فاستعير قال عمرو بن معديكرب

متاعا لكم ولانعامكم

يمشي بها غلب الرقاب كأنهم بزل كسين من الكحيل جلالا وفاكهة وأبا الأب المرعى لانه يؤب اى يؤم وينتجع والأب والأم اخوان وعن ابى بكر رضى الله عنه انه سئل عن الأب فقال اى سماء تظلنى واى ارض تقلنى اذا قلت فى كتاب الله ما لا علم لى به وعن عمر رضى الله عنه انه قرأ هذه الآية فقال كل هذا قد عرفنا فما الأب ثم رفض عصا كانت بيده وقال هذا لعمر الله التكلف وما عليك يا ابن ام عمر ان لا تدرى ما الأب ثم قال اتبعوا ما تبين لكم من هذا الكتاب وما لا فدعوه **فان قلت** فهذا يشبه النهى عن تتبع معانى القرآن والبحث عن مشكلاته **قلت** لم يذهب الى ذلك ولكن القوم كانت اكبر همتهم عاكفة على العمل وكان التشاغل بشئ من العلم لا يعمل به تكلفا عندهم فاراد ان الآية مسوقة فى الامتنان على الانسان بمطعمه واستدعاء شكره وقد علم من فحوى الآية ان الأب بعض ما انبته الله للانسان متاعا له او لانعامه فعليك بما هو اهم من النهوض بالشكر لله على ما تبين لك ولم يشكل مما عدد من نعمه ولا تتشاغل عنه بطلب معنى الأب ومعرفة النبات الخاص الذى هو اسم له واكتف بالمعرفة الجملية الى ان يتبين لك فى غير هذا الوقت ثم وصى الناس بان يجروا على هذا السنن فيما اشبه ذلك من مشكلات القرآن فاذا جاءت الصاخة يقال صخ لحديثه مثل اصاخ له فوصفت النفخة بالصاخة مجازا لان الناس يصخون لها يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه يفر منهم لاشتغاله بما هو مدفوع اليه ولعلمه انهم لا يغنون عنه شيئا وبدأ بالاخ ثم بالابوين لانهما اقرب منه ثم بالصاحبة والبنين لانهم اقرب واحب كانه قيل يفر من اخيه بل من ابويه بل من صاحبته وبنيه وقيل يفر منهم حذرا من مطالبتهم بالتبعات يقول الاخ لم تواسنى بمالك والابوان قصرت فى برنا والصاحبة اطعمتنى الحرام وفعلت وصنعت والبنون لم تعلمنا ولم ترشدنا وقيل اول من يفر من اخيه هابيل ومن ابويه ابراهيم ومن صاحبته نوح ولوط ومن ابنه نوح لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه يكفيه فى الاهتمام به وقرئ يعنيه اى يهمه وجوه يومئذ مسفرة مضيئة متهللة من اسفر

الصبح اذا اضاء وعن ابن عباس رضى الله عنهما من قيام الليل لما روى فى الحديث من كثر صلوته بالليل حسن وجهه بالنهار وعن الضحاك من آثار الوضوء وقيل من طول ما اغبرت فى سبيل الله ضاحكة مستبشرة ووجوه يومئذ عليها غبرة غبار يعلوها ترهقها قترة اولئك هم الكفرة الفجرة قترة سواد كالدخان ولا ترى اوحش من اجتماع الغبرة والسواد فى الوجه كما ترى من وجوه الزنوج اذا اغبرت وكأن الله عز وجل يجمع الى سواد وجوههم الغبرة كما جمعوا الفجور الى الكفر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة عبس وتولى جاء يوم القيامة ووجهه ضاحك مستبشر

سورة اذا الشمس كورت مكية وهى ثمان وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم اذا الشمس كورت فى التكوير وجهان ان يكون من كورت العمامة اذا لففتها اى يلف ضوؤها لفا فيذهب انبساطه وانتشاره فى الآفاق وهو عبارة عن ازالتها والذهاب بها لانها ما دامت باقية كان ضياؤها منبسطا غير ملفوف او يكون لفها عبارة عن رفعها وسترها لان الثوب اذا اريد رفعه لف وطوى ونحوه قوله يوم نطوى السماء وان يكون من طعنه فجوره وكوره اذا القاه اى تلقى وتطرح عن فلكها كما وصفت النجوم بالانكدار **فان قلت** ارتفاع الشمس على الابتداء او الفاعلية **قلت** بل على الفاعلية رافعها فعل مضمر يفسره كورت لان اذا يطلب الفعل لما فيه من معنى الشرط واذا النجوم انكدرت انقضت قال ابصر خربان فضاء فانكدر ويروى فى الشمس والنجوم انها تطرح فى جهنم ليراها من عبدها كما قال انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم واذا الجبال سيرت اى عن وجه الارض وابعدت او سيرت فى الجو تسيير السحاب كقوله وهى تمر مر السحاب واذا العشار عطلت العشار فى جمع عشراء كالنفاس فى جمع نفساء وهى التى اتى على حملها عشرة اشهر ثم هو اسمها الى ان تضع لتمام السنة وهى انفس ما يكون عند اهلها واعزها عليهم عطلت تركت مسيبة مهملة وقيل عطلها اهلها عن الحلب و

والعشار لاشتغالهم بانفسهم وقرئ عطلت بالتخفيف **واذا الوحوش حشرت** جمعت من كل ناحية
قال قتادة يحشر كل شيء حتى الذباب للقصاص وقيل اذا قضى بينها ردت ترابا فلا يبقى منها الا
ما فيه سرور لبني آدم واعجاب بصورته كالطاوس ونحوه وعن ابن عباس رضي الله عنهما حشرها موتها
يقال اذا اجحفت السنة بالناس واموالهم حشرتهم السنة وقرئ حشرت بالتشديد **واذا
البحار سجرت** قرئ بالتخفيف والتشديد من سجر التنور اذا ملأه بالحطب اي ملئت وفجر
بعضها الى بعض حتى تعود بحرا واحدا وقيل ملئت نيرانا تضطرم لتعذيب اهل النار و
عن الحسن يذهب ماؤها فلا تبقى فيها قطرة **واذا النفوس زوجت** قرنت كل نفس بشكلها
وقيل قرنت الارواح بالاجساد وقيل بكتبها واعمالها وعن الحسن هو كقوله وكنتم ازواجا
ثلثة وقيل نفوس المؤمنين بالحور ونفوس الكافرين بالشياطين **واذا الموؤدة سئلت** وأد
يئد مقلوب من آد يؤد اذا اثقل قال الله تعالى ولا يؤده حفظهما لانه اثقال بالتراب كان
الرجل اذا ولدت له بنت فاراد ان يستحييها البسها جبة من صوف او شعر ترعى له
الابل والغنم في البادية وان اراد قتلها تركها حتى اذا كانت سداسية فيقول لامها
طيبيها وزينيها حتى اذهب بها الى احمائها وقد حفر لها بئرا في الصحراء فيبلغ بها البئر
فيقول لها انظري فيها ثم يدفعها من خلفها ويهيل عليها التراب حتى تستوي البئر بالارض
وقيل كانت الحامل اذا اقربت حفرت حفرة فتمخضت على راس الحفرة فاذا ولدت
بنتا رمت بها في الحفرة وان ولدت ابنا حبسته **فان قلت** ما حملهم على وأد البنات
قلت الخوف من لحوق العار بهم من اجلهن او الخوف من الاملاق كما قال الله تعالى
ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق وكانوا يقولون ان الملائكة بنات الله فالحقوا البنات به فهو
احق بهن وصعصعة بن ناجية ممن منع الوأد فبه افتخر الفرزدق في قوله
ومنا الذي منع الوائدات فاحيى الوئيد فلم توأد **فان قلت** فما معنى سؤال الموؤدة
عن ذنبها الذي قتلت به وهلا سئل الوائد عن موجب قتله لها **قلت** سؤالها
جوابها

جوابها تبكيت لقاتلها نحو التبكيت في قوله تعالى لعيسى أانت قلت للناس الى قوله سبحانك ما يكون
لي ان اقول ما ليس لي بحق وقرئ سألت اي خاصمت عن نفسها وسألت الله او قاتلها وانما
قيل قتلت بناء على ان الكلام اخبار عنها ولو حكي ما خوطبت به حين سئلت لقيل قتلت او
كلامها حين سألت لقيل قتلت وقرأ ابن عباس رضي الله عنهما قتلت على الحكاية وقرئ قتلت
بالتشديد وفيه دليل بين على ان اطفال المشركين لا يعذبون وعلى ان التعذيب لا يستحق
الا بالذنب واذا بكت الله الكافر ببراءة الموؤدة من الذنب فما اقبح به وهو الذي لا يظلم
مثقال ذرة ان يكر عليها بعد هذا التبكيت فيفعل بها ما تنسى عنده فعل المبكت من العذاب
الشديد وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه سئل عن ذلك فاحتج بهذه الآية **واذا الصحف نشرت**
قرئ بالتخفيف والتشديد يريد صحف الاعمال تطوى صحيفة الانسان عند موته ثم تنشر اذا
حوسب عن قتادة صحيفتك يا ابن آدم تطوى على عملك ثم تنشر يوم القيامة فلينظر رجل ما
يملي في صحيفته وعن عمر رضي الله عنه انه كان اذا قرأها قال اليك يساق الامر يا ابن آدم
وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يحشر الناس عراة حفاة فقالت ام سلمة رضي الله عنها
كيف بالنساء فقال شغل الناس يا ام سلمة قالت وما شغلهم قال نشر الصحف فيها مثاقيل الذر
ومثاقيل الخردل ويجوز ان يراد نشرت بين اصحابها اي فرقت بينهم وعن مرثد بن وداعة
اذا كان يوم القيامة تطايرت الصحف من تحت العرش فتقع صحيفة المؤمن في يده في جنة
عالية وتقع صحيفة الكافر في يده في سموم وحميم اي مكتوب فيها ذلك وهي صحف غير صحف
الاعمال **واذا السماء كشطت** كشفت وازيلت كما يكشط الاهاب عن الذبيحة والغطاء
عن الشيء وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه قشطت واعتقاب الكاف والقاف كثير يقال لبكت
الثريد ولبقته والكافور والقافور **واذا الجحيم سعرت** اوقدت ايقادا شديدا وقرئ سعرت
بالتشديد للمبالغة قيل سعرها غضب الله وخطايا بني آدم **واذا الجنة ازلفت** ادنيت من المتقين
كقوله وازلفت الجنة للمتقين غير بعيد قيل هذه اثنتا عشرة خصلة ست منها في الدنيا وست

في الاخرة علمت نفس ما احضرت علمت هو عامل النصب في اذا الشمس كورت وفيما عطف عليه
فان قلت كل نفس تعلم ما احضرت كقوله يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا الا نفس
واحدة فما معنى قوله علمت نفس قلت هو من عكس كلامهم الذي يقصدون به الافراط
فيما يعكس عنه ومنه قوله عز وجل ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين ومعناه معنى كم وابلغ
منه وقول القايل قد اترك القرن مصفرا انامله ويقول لبعض قواد العساكر كم عندك من الفرسان
فيقول رب فارس عندي او لا تعدم عندي فارسا وعنده المقانب وقصده بذلك التمادي
في تكثير فرسانه ولكنه اراد اظهار براءته من التزيد وانه ممن يقلل كثير ما عنده فضلا ان
يتزيد فجاء بلفظ التقليل ففهم منه معنى الكثرة على الصحة واليقين وعن ابن مسعود رضي
الله عنه ان قاريا قراها عنده فلما بلغ علمت نفس ما احضرت قال وا انقطاع ظهرياه فلا اقسم
بالخنس الجوار الكنس الخنس الرواجع بينا ترى النجم في آخر البرج اذ كر راجعا الى اوله
والجواري السيارة والكنس الغيب من كنس الوحشي اذا دخل كناسه قيل هي الدراري
الخمسة بهرام وزحل وعطارد والزهرة والمشتري تجري مع الشمس والقمر وترجع حتى
تخفى تحت ضوء الشمس فخنوسها رجوعها وكنوسها اختفاؤها تحت ضوء الشمس وقيل هي جميع
الكواكب تخنس بالنهار فتغيب عن العيون وتكنس بالليل اي تطلع في اماكنها كالوحش
في كنسها والليل اذا عسعس عسعس الليل وسعسع اذا ادبر قال العجاج
حتى اذا الصبح لها تنفسا وانجاب عنها ليلها وعسعسا وقيل عسعس اذا اقبل ظلامه
والصبح اذا تنفس فان قلت ما معنى تنفس الصبح قلت اذا اقبل الصبح اقبل
باقباله روح ونسيم فجعل ذلك نفسا له على المجاز وقيل تنفس الصبح انه الضمير للقرآن لقول
رسول كريم هو جبريل عليه السلام ذي قوة كقوله شديد القوى ذو مرة لما كانت حال المكانة على
حسب حال المكان قال عند ذي العرش مكين ليدل على عظم منزلته ومكانته ثم اشار الى الظرف المذكور
اعني عند ذي العرش على انه عند الله مطاع في ملائكته المقربين يصدرون عن امره ويرجعون

الى رايه وقرئ ثم تعظيما للامانة وبيانا لانها افضل صفاته المعدودة وما صاحبكم يعني محمدا
صلى الله عليه وسلم بمجنون كما تبهته الكفرة وناهيك بهذا دليلا على جلالة مكانة جبريل وفضله على
الملائكة ومباينة منزلته لمنزلة افضل الناس محمد صلى الله عليه وسلم اذا وازنت بين الذكرين
حين قرن بينهما وقايست بين قوله انه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع
ثم امين وبين قوله وما صاحبكم بمجنون ولقد رآه ولقد راى رسول الله صلى الله عليه وسلم
جبريل عليه السلام بالافق المبين بمطلع الشمس الاعلى وما هو وما محمد صلى الله عليه وسلم على الغيب على
ما يخبر به على الغيب من رؤية جبريل والوحي اليه وغير ذلك بظنين بمتهم من الظنة وهي
التهمة وقرئ بضنين من الضن وهو البخل اي لا يبخل بالوحي فيروي بعضه غير مبلغه او
يسال تعليمه فلا يعلمه هو في مصحف عبد الله رضي الله عنه بالظاء وفي مصحف ابي رضي الله عنه
بالضاد وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرا بهما واتقان الفصل بين الضاد والظاء واجب
ومعرفة مخرجيهما مما لا بد منه للقارئ فان اكثر العجم لا يفرقون بين الحرفين وان فرقوا فرقا غير
صواب وبينهما بون بعيد فان مخرج الضاد من اصل حافة اللسان وما يليها من الاضراس من يمين
اللسان او يساره وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه اضبط يعمل بكلتا يديه وكان يخرج الضاد
من جانبي لسانه وهي احد الاحرف الشجرية اخت الجيم والشين واما الظاء فمخرجها من طرف
اللسان واصول الثنايا العلى وهي احد الحروف الذولقية اخت الذال والثاء ولو استوى
الحرفان لما ثبتت في هذه الكلمة قراءتان اثنتان واختلاف بين جبلين من جبال العلم والقراءة
ولما اختلف المعنى والاشتقاق والتركيب فان قلت فان وضع المصلي احد الحرفين مكان
صاحبه قلت هو كواضع الذال مكان الجيم والثاء مكان الشين لان التفاوت بين الضاد
والظاء كالتفاوت بين اخواتهما وما هو وما القرآن بقول شيطان رجيم اي بقول بعض المسترقة
للسمع ويوحيهم الى اوليائهم من الكهنة فاين تذهبون استضلال لهم كما يقال لتارك الجادة اعتسافا
او ذهابا في بنيات الطريق اين تذهب مثلت حالهم بحاله في تركهم الحق وعدولهم عنه الى الباطل

ان هو الا ذكر للعالمين لمن شاء منكم ان يستقيم لمن يشاء منكم بدل من للعالمين وانما ابدلوا منهم
لان الذين شاءوا الاستقامة بالدخول في الاسلام هم المنتفعون بالذكر وكانه لم يوعظ به غيرهم و
ان كانوا موعوظين جميعا وما تشاؤن الا ان يشاء الله رب العالمين وما تشاؤن الاستقامة
يا من يشاؤها الا بتوفيق الله ولطفه او ما يشاؤنها انتم يا من لا يشاؤها الا بقسر الله والجائه
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة اذا الشمس كورت اعاذه الله ان يفضحه
حين تنشر صحيفته

سورة انفطرت مكية وهي تسع عشرة اية

بسم الله الرحمن الرحيم اذا السماء انفطرت انشقت واذا
الكواكب انتثرت واذا البحار فجرت فتح بعضها الى بعض فاختلط العذب بالمالح
وزال البرزخ الذي بينهما وصارت البحار بحرا واحدا وروي ان الارض تنشف الماء بعد
امتلاء البحار فتصير مستوية وهو معنى التسجير عند الحسن وقرئ فجرت بالتخفيف وقرا
مجاهد فجرت على البناء للفاعل والتخفيف بمعنى بغت لزوال البرزخ نظرا الى قوله تعالى
لا يبغيان لان البغي والفجور اخوان واذا القبور بعثرت بعثر وبحثر بمعنى وهما
مركبان من البعث والبحث مع راء مضمومة اليهما والمعنى بحثت واخرج موتاها وقيل
لبراءة المبعثرة لانها بعثرت اسرار المنافقين علمت نفس ما قدمت واخرت يا ايها الانسان
ما غرك بربك الكريم فان قلت ما معنى قوله ما غرك بربك الكريم وكيف طابق الوصف
بالكرم انكار الاغترار به وانما يغتر بالكريم كما يروى عن علي رضي الله عنه انه صيح بغلام
له كرات فلم يلبه فنظر فاذا هو بالباب فقال له ما لك لا تجيبني فقال لثقتي بحلمك و
امني من عقوبتك فاستحسن جوابه واعتقه وقالوا من كرم الرجل سوء ادب غلمانه قلت
معناه ان حق الانسان ان لا يغتر بتكرم الله عليه حيث خلقه حيا لينفعه وبتفضله عليه
بذلك حتى يطمع بعد ما مكنه وكلفه فعصى وكفر النعمة المتفضل بها ان يتفضل عليه
بالثواب وطرح العقاب اغترارا بالتفضل الاول فانه منكر خارج من حد الحكمة ولهذا قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم لما تلاها غره جهله وقال عمر رضي الله عنه غره حمقه وجهله وقال الحسن
غره والله شيطانه الخبيث اي زين له المعاصي وقال له افعل ما شئت فربك الكريم الذي تفضل
عليك بما تفضل به اولا وهو متفضل عليك آخرا حتى ورطه وقيل للفضيل بن عياض ان اقامك
الله يوم القيامة وقال لك ما غرك بربك الكريم ماذا تقول قال غرتني ستورك المرخاة وهذا على سبيل
الاعتراف بالخطاء في الاغترار بالستر وليس باعتذار كما يظنه الطماع ويطن به قصاص الحشوية
ويروون عن ائمتهم انما قال بربك الكريم دون سائر صفاته ليلقن عبده الجواب حتى يقول غرني
كرم الكريم وقرا سعيد بن جبير ما اغرك اما على التعجب واما على الاستفهام من قولك غر الرجل
فهو غار اذا غفل من قولك بيتهم العدو وهم غارون واغره غيره جعله غارا الذي خلقك فسواك
فجعلك سويا سالم الاعضاء فعدلك فصيرك معتدلا متناسب الخلق من غير تفاوت فيه فلم يجعل
احدى اليدين اطول ولا احدى العينين اوسع ولا بعض الاعضاء ابيض وبعضها اسود ولا
بعض الشعر فاحما وبعضه اشقر او جعلك معتدل الخلق تمشي قائما لا كالبهائم وقرئ فعدلك
بالتخفيف وفيه وجهان احدهما ان يكون بمعنى المشدد اي عدل بعض اعضائك ببعض حتى اعتدلت
والثاني فعدلك فصرفك يقال عدله عن الطريق يعني فعدلك عن خلقة غيرك وخلقك خلقة
حسنة مفارقة لسائر الخلق او فعدلك الى بعض الاشكال والهيئات في اي صورة ما شاء ركبك
ما في ما شاء مزيدة اي ركبك في اي صورة اقتضتها مشيئته وحكمته من الصور المختلفة في الحسن
والقبح والطول والقصر والذكورة والانوثة والشبه ببعض الاقارب وخلاف الشبه فان
قلت هلا عطفت هذه الجملة كما عطف ما قبلها قلت لانها بيان لعدلك فان قلت
بم يتعلق الجار قلت يجوز ان يتعلق بركبك على معنى وضعك في بعض الصور ومكنك فيه
وبمحذوف اي ركبك حاصلا في بعض الصور ومحله النصب على الحال ان علق بمحذوف ويجوز
ان يتعلق بعدلك ويكون في اي معنى التعجب اي فعدلك في صورة عجيبة ثم قال ما شاء ركبك
اي ركبك ما شاء من التراكيب يعني تركيبا حسنا كلا ارتدعوا عن الاغترار بكرم الله والتسلق

به وهو موجب الشكر والطاعة الى عكسهما الذي هو الكفر والمعصية ثم قال بل تكذبون بالدين
اصلا وهو الجزاء او دين الاسلام فلا تصدقون ثوابا ولا عقابا وهو شر من الطمع المنكر وان
عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون تحقيق لما يكذبون به من الجزاء يعني انكم تكذبون
بالجزاء والكاتبون يكتبون عليكم اعمالكم لتجازوا به وفي تعظيم الكتبة بالثناء عليهم تعظيم لامر
الجزاء وانه عند الله من جلائل الامور ولولا ذلك لما وكل بضبط ما يحاسب عليه ويجازى به الملائكة
الكرام الحفظة الكتبة وفيه انذار وتهويل وتشوير للعصاة ولطف للمؤمنين وعن الفضيل انه كان
اذا قرأها قال ما اشدها من آية على الغافلين ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم يصلونها
يوم الدين وما هم عنها بغائبين كقوله وما هم بخارجين منها ويجوز ان يراد يصلون النار يوم الدين
وما يغيبون عنها قبل ذلك يعني في قبورهم وقيل اخبر الله في هذه السورة ان لابن آدم
ثلث حالات حال الحيوة التي يحفظ فيها عمله وحال الآخرة التي يجازى فيها وحال البرزخ
وهو قوله وما هم عنها بغائبين وما ادريك ما يوم الدين ثم ما ادريك ما يوم الدين يعني ان امر يوم
الدين بحيث لا تدرك دراية دار كنهه في الهول والشدة وكيف ما تصورته فهو فوق ذلك وعلى
اضعافه والتكرير لزيادة التهويل ثم اجمل القول في وصفه فقال يوم لا تملك نفس لنفس شيئا و
الامر يومئذ لله اى لا تستطيع دفعا عنها ولا نفعا لها بوجه ولا امر الا لله وحده من رفع
فعلى البدل من يوم الدين او على هو يوم لا تملك ومن نصب فباضمار يدانون لان الدين يدل
عليه او باضمار اذكر ويجوز ان يفتح لاضافته الى غير متمكن وهو في محل الرفع عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم من قرأ اذا السماء انفطرت كتب الله له بعدد كل قطرة من السماء حسنة
وبعدد كل قبر حسنة

سورة المطففين مكية وقيل مدنية ست وثلثون آية

بسم الله الرحمن الرحيم ويل للمطففين الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون
واذا كالوهم او وزنوهم يخسرون التطفيف البخس في الكيل والوزن لان ما يبخس شيء
طفيف حقير وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وكانوا من اخبث الناس

كيلا فنزلت فاحسنوا الكيل وقيل قدمها وبها رجل يعرف بابي جهينة ومعه صاعان يكيل باحدهما
ويكتال بالآخر وقيل كان اهل المدينة تجارا يطففون وكانت بياعاتهم المنابذة والملامسة و
المخاطرة فنزلت فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأها عليهم وقال خمس بخمس قيل يا رسول الله وما
خمس بخمس قال ما نقض قوم العهد الا سلط الله عليهم عدوهم وما حكموا بغير ما انزل الله الا فشا فيهم الفقر
وما ظهرت فيهم الفاحشة الا فشا فيهم الموت ولا طففوا الكيل الا منعوا النبات واخذوا بالسنين
ولا منعوا الزكوة الا حبس عنهم القطر وعن علي رضي الله عنه انه مر برجل يزن الزعفران وقد ارجح
فقال له اقم الوزن بالقسط ثم ارجح بعد ذلك ما شئت كانه امره بالتسوية اولا ليعتادها ويفصل الواجب
من النفل وعن ابن عباس رضي الله عنهما انكم معشر الاعاجم وليتم امرين بهما هلك من كان قبلكم
المكيال والميزان وخص الاعاجم لانهم يجمعون الكيل والوزن جميعا وكانا مفرقين في الحرمين
كان اهل مكة يزنون واهل المدينة يكيلون وعن ابن عمر رضي انه كان يمر بالبائع فيقول اتق الله و
اوف الكيل فان المطففين يوقفون يوم القيامة لعظمة الرحمن حتى ان العرق ليلجمهم وعن
عكرمة اشهد ان كل كيال ووزان في النار فقيل له ان ابنك كيال او وزان فقال اشهد انه في النار
وعن ابي رضي الله عنه لا تلتمس الحوائج ممن رزقه في رؤس المكاييل والسن الموازين ولما كان
اكتيالهم من الناس اكتيالا يضرهم ويتحامل فيه عليهم ابدل على مكان من للدلالة على ذلك ويجوز
ان يتعلق على بيستوفون ويقدم المفعول على الفعل لافادة الخصوصية اى يستوفون على الناس
خاصة فاما انفسهم فيستوفون لها وقال الفراء من وعلى يعتقبان في هذا الموضع لانه حق عليه فاذا
قال اكتلت عليك فكانه قال اخذت ما عليك واذا قال اكتلت منك فكقوله استوفيت منك والضمير
في كالوهم او وزنوهم ضمير منصوب راجع الى الناس وفيه وجهان ان يراد كالوا لهم او وزنوا
لهم فحذف الجار واوصل الفعل كما قال ولقد جنيتك اكمؤا وعساقلا ولقد نهيتك عن بنات
الاوبر والحريص يصيدك لا الجواد بمعنى جنيت لك ويصيد لك وان يكون على حذف المضاف واقامة
المضاف اليه مقامه والمضاف هو المكيل او الموزون ولا يصح ان يكون ضميرا مرفوعا للمطففين

لأن الكلام يخرج به إلى نظم فاسد وذلك أن المعنى إذا أخذوا من الناس استوفوا وإذا
أعطوهم أخسروا وإن جعلت الضمير للمطففين انقلب إلى قولك إذا أخذوا من الناس
استوفوا وإذا تولوا الكيل أو الوزن هم على الخصوص أخسروا وهو كلام متنافر لأن الحديث
واقع في الفعل لا في المباشر والتعلق في إبطاله بخط المصحف وأن الألف التي تكتب بعد واو
الجمع غير ثابتة فيه ركيك لأن خط المصحف لم يراع في كثير منه حد المصطلح عليه في علم الخط على
أني رأيت في الكتب المخطوطة بأيدي الأئمة المتقنين هذه الألف مرفوضة لكونها غير ثابتة في اللفظ
والمعنى جميعا لأن الواو وحدها معطية معنى الجمع وإنما كتبت هذه الألف تفرقة بين واو الجمع
وغيرها في نحو قولك هم لم يدعوا وهو يدعو فمن لم يثبتها قال المعنى كاف في التفرقة بينهما وعن
عيسى بن عمر وحمزة أنهما كانا يرتكبان ذلك أي يجعلان الضميرين للمطففين ويقفان عند الواوين
وقيفة يبينان بها ما أرادا فإن قلت هلا قيل أو اتزنوا كما قيل أو وزنوهم قلت
كأن المطففين كانوا لا يأخذون ما يكال ويوزن إلا بالمكاييل دون الموازين لتمكنهم بالاكتيال
من الاستيفاء والسرقة لأنهم يدعدعون ويحتالون في الملء وإذا أعطوا كالوا أو وزنوا لتمكنهم من
البخس في النوعين جميعا يخسرون ينقصون يقال خسر الميزان وأخسره ألا يظن أولئك أنهم
مبعوثون ليوم عظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين ألا يظن إنكار وتعجيب عظيم من حالهم
في الاجتراء على التطفيف كأنهم لا يخطرون ببالهم ولا يخمنون تخمينا أنهم مبعوثون ومحاسبون
على مقدار الذرة والخردلة وعن قتادة أوف يا ابن آدم كما تحب أن يوفى لك واعدل كما
تحب أن يعدل لك وعن الفضيل بخس الميزان سواد الوجه يوم القيامة وعن عبد الملك بن مروان
أن أعرابيا قال له قد سمعت ما قال الله في المطففين أراد بذلك أن المطفف قد توجه عليه الوعيد
العظيم الذي سمعت به فما ظنك بنفسك وأنت تأخذ أموال المسلمين بلا كيل ولا وزن وفي هذا
الإنكار والتعجيب وكلمة الظن ووصف اليوم بالعظم وقيام الناس فيه لله خاضعين ووصفه
ذاته برب العالمين بيان بليغ لعظم الذنب وتفاقم الإثم في التطفيف وفيما كان في مثل حاله من الحيف

وترك القيام بالقسط والعمل على السوية والعدل في كل أخذ وإعطاء بل في كل قول وعمل وقيل
الظن بمعنى اليقين والوجه ما ذكر ونصب يوم بمبعوثون وقرئ بالجر بدلا من يوم عظيم
وعن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قرأ هذه السورة فلما بلغ قوله يوم يقوم الناس لرب العالمين بكى
نحيبا وامتنع من قراءة ما بعده كلا إن كتاب الفجار لفي سجين وما أدراك ما سجين كتاب مرقوم ردعهم
عما كانوا عليه من التطفيف والغفلة عن ذكر البعث والحساب ونبههم على أنه مما يجب أن
يتاب عنه ويندم عليه ثم أتبعه وعيد الفجار على العموم وكتاب الفجار ما يكتب من أعمالهم
فإن قلت قد أخبر الله تعالى عن كتاب الفجار بأنه في سجين وفسر سجينا بكتاب مرقوم فكأنه قيل
إن كتابهم في كتاب مرقوم فما معناه قلت سجين كتاب جامع هو ديوان الشر دون الله فيه
أعمال الشياطين وأعمال الكفرة والفسقة من الجن والإنس وهو كتاب مرقوم مسطور بين الكتابة
أو معلم يعلم من رآه أنه لا خير فيه فالمعنى أن ما كتب من أعمال الفجار مثبت في ذلك الديوان
وسمي سجينا فعيلا من السجن وهو الحبس والتضييق لأنه سبب الحبس والتضييق في جهنم أو لأنه
مطروح كما روي تحت الأرض السابعة في مكان وحش مظلم وهو مسكن إبليس وذريته استهانة
به وإذالة وليشهده الشياطين المدحورون كما يشهد ديوان الخير الملائكة المقربون فإن قلت
فما سجين أصفة هو أم اسم قلت بل هو اسم علم منقول من وصف كحاتم وهو منصرف لأنه ليس فيه إلا
سبب واحد وهو التعريف ويل يومئذ للمكذبين الذين يكذبون بيوم الدين الذين يكذبون مجرور
وصف به للذم لا للبيان كقولك فعل ذلك فلان الفاسق الخبيث وما يكذب به إلا كل معتد
أثيم عتل بعد ذلك زنيم أن كان ذا مال وبنين إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين كلا
ردع للمعتدي الأثيم عن قوله بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون ران على قلوبهم ركبها كما
يركب الصدأ وغلب عليها وهو أن يصر على الكبائر ويسوف التوبة حتى يطبع على قلبه فلا
يقبل الخير ولا يميل إليه وعن الحسن الذنب بعد الذنب حتى يسود القلب يقال ران
عليه الذنب وغان عليه رينا وغينا والغين الغيم ويقال ران فيه النوم رسخ فيه ورانت

بل الخمر ذهبت به وقرئ بإدغام اللام في الراء وبالإظهار والإدغام أجود وأميلت الألف
وفخمت كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون كلا ردع عن الكسب الرائن على قلوبهم وكونهم محجوبين
عنه تمثيل للاستخفاف بهم وإهانتهم لأنه لا يؤذن على الملوك إلا للوجهاء المكرمين لديهم ولا يحجب
عنهم إلا الأدنياء المهانون عندهم قال
إذا اعتروا باب ذي عبية رجبوا
والناس من بين مرجوب ومحجوب وعن ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة وابن أبي مليكة
محجوبين عن رحمته وعن ابن كيسان عن كرامته ثم إنهم لصالوا الجحيم ثم يقال هذا الذي كنتم
به تكذبون كلا ردع عن التكذيب إن كتاب الأبرار لفي عليين وما أدراك ما عليون كتاب مرقوم
يشهده المقربون كتاب الأبرار ما كتب من أعمالهم وعليون علم لديوان الخير الذي دون فيه كل
ما عملته الملائكة وصلحاء الثقلين منقول من جمع علي فعيل من العلو كسجين من السجن سمي
بذلك إما لأنه سبب الارتفاع إلى أعالي الدرجات في الجنة وإما لأنه مرفوع في السماء السابعة حيث
يسكن الكروبيون تكريما له وتعظيما وروي أن الملائكة لتصعد بعمل العبد فيستقلونه فإذا انتهوا
به إلى ما شاء الله من سلطانه أوحى إليهم إنكم الحفظة على عبدي وأنا الرقيب على ما في قلبه وإنه أخلص
عمله فاجعلوه في عليين فقد غفرت له وإنه لتصعد بعمل العبد فيزكونه فإذا انتهوا به إلى ما شاء الله
أوحى إليهم أنتم الحفظة على عبدي وأنا الرقيب على قلبه وإنه لم يخلص لي عمله فاجعلوه في سجين
إن الأبرار لفي نعيم على الأرائك الأسرة في الحجال ينظرون إلى ما شاؤوا مد أعينهم إليه من مناظر
الجنة وإلى ما أولاهم الله من النعمة والكرامة وإلى أعدائهم يعذبون في النار وما تحجب الحجال
أبصارهم عن الإدراك تعرف في وجوههم نضرة النعيم بهجة التنعم وماءه ورونقه كما ترى في
وجوه الأغنياء وأهل الترفه وقرئ تعرف على البناء للمفعول ونضرة النعيم بالرفع يسقون
من رحيق الرحيق الشراب الخالص الذي لا غش فيه مختوم ختامه مسك تختم أوانيه
من الأكواب والأباريق بمسك مكان الطينة وقيل ختامه مسك مقطعه رائحة مسك إذا
شرب وقيل يمزج بالكافور ويختم مزاجه بالمسك وقرئ خاتمه بفتح ...

وفي ذلك فليتنافس المتنافسون فليرتغب المرتغبون ومزاجه من تسنيم عينا يشرب بها المقربون تسنيم
علم لعين بعينها سميت بالتسنيم الذي هو مصدر سنمه إذا رفعه إما لأنها أرفع شراب في الجنة
وإما لأنها تأتيهم من فوق على ما روي أنها تجري في الهواء متسنمة فتنصب في أوانيهم وعينا نصب
على المدح وقال الزجاج نصب على الحال وقيل هي للمقربين يشربونها صرفا وتمزج لسائر أهل الجنة
إن الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون يعني مشركي مكة أبا جهل والوليد بن المغيرة
والعاص بن وائل وأشياعهم كانوا يضحكون من عمار وصهيب وخباب وبلال وغيرهم
من فقراء المؤمنين ويستهزئون بهم وقيل جاء علي بن أبي طالب رضي الله عنه في نفر من المسلمين
فسخر منهم المنافقون وضحكوا وتغامزوا ثم رجعوا إلى أصحابهم فقالوا رأينا اليوم الأصلع
فضحكوا منه فنزلت قبل أن يصل علي رضي الله عنه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإذا مروا
بهم يتغامزون يغمز بعضهم بعضا ويشيرون بأعينهم وإذا انقلبوا إلى أهلهم انقلبوا فكهين
متلذذين بذكرهم والسخرية منهم وإذا رأوهم قالوا إن هؤلاء لضالون أي ينسبون المسلمين
إلى الضلال وما أرسلوا عليهم على المسلمين حافظين موكلين بهم يحفظون عليهم أحوالهم ويهيمنون
على أعمالهم ويشهدون برشدهم وضلالهم وهذا تهكم بهم أو من جملة قول الكفار وإنهم إذا
رأوا المسلمين قالوا إن هؤلاء لضالون وإنهم لم يرسلوا عليهم حافظين إنكارا لصدهم إياهم
عن الشرك ودعائهم إلى الإسلام وجدهم في ذلك فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون
على الأرائك ينظرون حال من يضحكون أي يضحكون منهم ناظرين إليهم وإلى ما هم فيه من الهوان
والصغار بعد العز والكبر ومن ألوان العذاب بعد النعيم والترفه وهم على الأرائك
آمنون وقيل يفتح للكفار باب إلى الجنة فيقال لهم اخرجوا إليها فإذا وصلوا إليها
أغلق دونهم يفعل ذلك بهم مرارا فيضحك المؤمنون منهم هل ثوب الكفار ما كانوا
يفعلون ثوبه وأثابه بمعنى إذا جازاه قال أوس
سأجزيك أو يجزيك عني مثوب
وحسبك أن يثنى عليك وتحمدي وقرئ بإدغام اللام في الثاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

من قرأ سورة المطففين سقاه الله من الرحيق المختوم يوم القيامة

سورة انشقت مكية وهي خمس وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم إذا السماء انشقت حذف جواب إذا ليذهب
المقدر كل مذهب أو اكتفاء بما علم في مثلها من سورتي التكوير والانفطار وقيل جوابها
ما دل عليه فملاقيه أي إذا السماء انشقت لاقى الإنسان كدحه ومعناه إذا انشقت بالغمام
كقوله تعالى ويوم تشقق السماء بالغمام وعن علي رضي الله عنه تنشق من المجرة وأذنت لربها
أذن له استمع له ومنه قوله صلى الله عليه وسلم ما أذن الله لشيء كأذنه لنبي يتغنى بالقرآن
وقول جحاف بن حكيم أذنت لكم لما سمعت هريركم والمعنى أنها فعلت في انقيادها لله
حين أراد انشقاقها فعل المطواع الذي إذا ورد عليه الأمر من جهة المطاع أنصت له
وأذعن ولم يأب ولم يمتنع كقوله أتينا طائعين وحقت من قولك هو محقوق بكذا وحقيق
به يعني وهي حقيقة بأن تنقاد ولا تمتنع ومعناه الإيذان بأن القادر الذات يجب أن يتأتى
له كل مقدور ويحق ذلك وإذا الأرض مدت من مد الشيء فامتد وهو أن تزال جبالها
وآكامها وكل أمت فيها حتى تمتد وتنبسط ويستوي ظهرها كما قال قاعا صفصفا لا ترى
فيها عوجا ولا أمتا وعن ابن عباس مدت مد الأديم العكاظي لأن الأديم إذا مد زال كل
انثناء فيه وأمت واستوى أو من مده بمعنى أمده أي زيدت سعة وبسطة وألقت ما فيها
ورمت بما في جوفها مما دفن فيها من الموتى والكنوز وتخلت وخلت غاية الخلو حتى
لم يبق شيء ما في باطنها كأنها تكلفت أقصى جهدها في الخلو كما يقال تكرم الكريم وترحم
الرحيم إذا بلغا جهدهما في الكرم والرحمة وتكلفا فوق ما في طبعهما وأذنت لربها وحقت
وأذنت لربها في إلقاء ما في بطنها وتخليها يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحا الكدح
جهد النفس في العمل والكد فيه حتى يؤثر فيها من كدح جلده إذا خدشه ومعنى كادح إلى
ربك جاهد إلى لقاء ربك وهو الموت وما بعده من الحال الممثلة باللقاء فملاقيه فملاق له لا محالة

لك منه وقيل الضمير في ملاقيه للكدح فأما من أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا
سهلا هينا لا يناقش فيه ولا يعترض بما يسوؤه ويشق عليه كما يناقش أصحاب الشمال وعن عائشة رضي
الله عنها هو أن يعرف ذنوبه ثم يتجاوز عنه وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من يحاسب
يعذب فقيل يا رسول الله فسوف يحاسب حسابا يسيرا قال ذلكم العرض من نوقش في الحساب
عذب وينقلب إلى أهله إلى عشيرته إن كانوا مؤمنين أو إلى فريق المؤمنين أو إلى أهله في الجنة
من الحور العين مسرورا وأما من أوتي كتابه وراء ظهره قيل تغل يمناه إلى عنقه وتجعل شماله
وراء ظهره فيؤتى كتابه بشماله من وراء ظهره وقيل تخلع يده اليسرى من وراء ظهره فسوف يدعو
ثبورا يقول يا ثبوراه والثبور الهلاك ويصلى سعيرا وقرئ ويصلى سعيرا كقوله وتصلية
جحيم ويصلى بضم الياء والتخفيف كقوله ونصله جهنم إنه كان في أهله مسرورا في أهله فيما
بين ظهرانيهم أو معهم على أنهم كانوا جميعا مسرورين يعني أنه كان في الدنيا مترفا بطرا مستبشرا
كعادة الفجار الذين لا يهمهم أمر الآخرة ولا يفكرون في العواقب ولم يكن كئيبا حزينا متفكرا
كعادة الصلحاء والمتقين وحكاية الله عنهم إنا كنا قبل في أهلنا مشفقين إنه ظن أن لن يحور
لن يرجع إلى الله تعالى تكذيبا بالمعاد يقال لا يحور ولا يحول أي لا يرجع ولا يتغير قال لبيد
يحور رمادا بعد إذ هو ساطع وعن ابن عباس رضي الله عنهما ما كنت أدري ما معنى يحور حتى
سمعت أعرابية تقول لبنية لها حوري أي ارجعي بلى إيجاب لما بعد النفي في لن يحور أي
بلى ليحورن إن ربه كان به بصيرا وبأعماله لا ينساها ولا تخفى عليه فلا بد أن يرجعه و
يجازيه عليها وقيل نزلت الآيتان في أبي سلمة بن عبد الأسد وأخيه الأسود بن عبد الأسد
فلا أقسم بالشفق الشفق الحمرة التي ترى في المغرب بعد سقوط الشمس وبسقوطه يخرج وقت
المغرب ويدخل وقت العتمة عند عامة العلماء إلا ما يروى عن أبي حنيفة رضي الله عنه في إحدى
الروايتين أنه البياض وروى أسد بن عمرو أنه رجع عنه سمي لرقته ومنه الشفقة على الإنسان
رقة القلب عليه والليل وما وسق وما جمع وضم يقال وسقه فاتسق واستوسق قال

مستوسقات لو يجدن سائقا ونظيره في وقوع افتعل واستفعل مطاوعين اتسع واستوسع
ومعناه وما جمعه وستره واوى اليه من الدواب وغيرها والقمر اذا اتسق اذا اجتمع
واستوى ليلة اربع عشرة قرئ لتركبن على خطاب الانسان في يايها الانسان ولتركبن بالضم
على خطاب الجنس لان النداء للجنس ولتركبن على خطاب النفس وليركبن بالياء على ليركبن
الانسان طبقا عن طبق الطبق ما طابق غيره يقال ما هذا بطبق لذا اى لا يطابقه ومنه
قيل للغطاء الطبق واطباق الثرى ما تطابق منه ثم قيل للحال المطابقة لغيرها طبق ومنه
قوله عز وعلا طبقا عن طبق اى حالا بعد حال كل واحدة مطابقة لاختها في الشدة والهول
ويجوز ان يكون جمع طبقة وهي المرتبة من قولهم هو على طبقات ومنه طبق الظهر لفقاره
الواحدة طبقة على معنى لتركبن احوالا بعد احوال هي في الطبقات في الشدة بعضها
ارفع من بعض وهي الموت وما بعده من مواطن القيامة واهوالها فان قلت ما محل عن
طبق قلت النصب على انه صفة لطبقا اى طبقا مجاوزا لطبق او حال من الضمير
في لتركبن اى لتركبن طبقا مجاوزين لطبق او مجاوزا او مجاوزة على حسب القراءة وعن مكحول
كل عشرين عاما تجدون امرا لم تكونوا عليه فما لهم لا يؤمنون واذا قرئ عليهم القرآن لا
يسجدون لا يستكينون ولا يخضعون وقيل قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم واسجد
واقترب فسجد هو ومن معه من المؤمنين وقريش تصفق فوق رؤوسهم وتصفر فنزلت وبه احتج
ابو حنيفة رضي الله عنه على وجوب السجدة وعن ابن عباس رضي الله عنهما ليس في المفصل سجدة
وعن ابي هريرة انه سجد فيها وقال والله ما سجدت فيها بعد ان رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يسجد فيها وعن انس صليت خلف ابي بكر وعمر وعثمان فسجدوا وعن الحسن هي غير واجبة
بل الذين كفروا يكذبون الذين كفروا اشارة الى المذكورين والله اعلم بما يوعون بما يجمعون في
صدورهم ويضمرون من الكفر والحسد والبغضاء او بما يجمعون في صحفهم من اعمال السوء و
يدخرون لانفسهم من انواع العذاب فبشرهم بعذاب اليم الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم

اجر غير ممنون الا الذين آمنوا استثناء منقطع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ
سورة انشقت اعاذه الله ان يعطيه كتابه وراء ظهره

سورة البروج مكية وهي ثنتان وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم والسماء ذات البروج هي البروج الاثنا عشر
وهي قصور السماء على التشبيه وقيل البروج النجوم التي هي منازل القمر وقيل عظام الكواكب
سميت بروجا لظهورها وقيل ابواب السماء واليوم الموعود يوم القيامة وشاهد ومشهود يعني
وشاهد في ذلك اليوم ومشهود فيه والمراد بالشاهد من يشهد فيه من الخلائق كلهم وبالمشهود
ما في ذلك اليوم من عجائبه وطريق تنكيرهما اما ما ذكرته في قوله علمت نفس ما احضرت كانه
قيل وما افرطت كثرته من شاهد ومشهود واما الابهام في الوصف كانه قيل وشاهد ومشهود
لا يكتنه وصفهما وقد اضطربت اقاويل المفسرين فيهما فقيل الشاهد والمشهود محمد ويوم
القيامة وقيل عيسى عليه السلام وامته لقوله وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيه وقيل امة
محمد صلى الله عليه وسلم وسائر الامم وقيل يوم التروية ويوم عرفة وقيل يوم عرفة ويوم الجمعة
وقيل الحجر الاسود والحجيج وقيل الايام والليالي وبنو آدم وعن الحسن ما من يوم الا
وينادي اني يوم جديد واني على ما يعمل في شهيد فاغتنمني فلو غابت شمسي لم تدركني الى
يوم القيامة وقيل الحفظة وبنو آدم وقيل الانبياء ومحمد صلى الله عليه وعليهم فان قلت
اين جواب القسم قلت محذوف يدل عليه قوله قتل اصحاب الاخدود كانه قيل اقسم
بهذه الاشياء انهم ملعونون يعني كفار قريش كما لعن اصحاب الاخدود وذلك ان السورة
وردت في تثبيت المؤمنين وتصبيرهم على اذى اهل مكة وتذكيرهم بما جرى على من تقدمهم
من التعذيب على الايمان والحاق انواع الاذى وصبرهم وثباتهم حتى يأتسوا بهم ويصبروا
على ما كانوا يلقون من قومهم ويعلموا ان كفارهم عند الله بمنزلة اولئك المعذبين المحرقين
الا انهم ملعونون احقاء بان يقال فيهم قتلت قريش كما قيل قتل اصحاب الاخدود وقتل دعاء

[illegible]

عليهم كقوله قتل الإنسان ما أكفره وقرئ قُتّل بالتشديد قُتل أصحاب الأخدود الأخدود الخد
في الأرض وهو الشق ونحوهما بناء ومعنى الخق والأخقوق ومنه فساخت قوائمه في أخاقيق
جرذان النار ذات الوقود إذ هم عليها قعود وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود روي عن
النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان لبعض الملوك ساحر فلما كبر ضم إليه غلاما ليعلمه السحر وكان
في طريق الغلام راهب فسمع منه فرأى في طريقه ذات يوم دابة قد حبست الناس فأخذ حجرا
فقال اللهم إن كان الراهب أحب إليك من الساحر فاقتلها فقتلها فكان الغلام بعد ذلك
يبرئ الأكمه والأبرص ويشفي من الأدواء وعمي جليس للملك فأبرأه فأبصر الملك فسأله من
رد عليك بصرك فقال ربي فغضب فعذبه فدل على الغلام فعذبه فدل على الراهب فلم يرجع الراهب
عن دينه فقُدّ بالمنشار وأبى الغلام فذهب به إلى الجبل ليطرح من ذروته فدعا فرجف بالقوم
فطاحوا ونجا فذهب به إلى قرقور فلججوا به ليغرقوه فدعا فانكفأت بهم السفينة فغرقوا ونجا
فقال للملك لست بقاتلي حتى تجمع الناس في صعيد وتصلبني على جذع وتأخذ سهما من كنانتي
وتقول بسم الله رب الغلام ثم ترميني به فرماه فوقع في صدغه فوضع يده عليه ومات فقال
الناس آمنا برب الغلام فقيل للملك نزل بك ما كنت تحذر فأمر بأخاديد في أفواه السكك
وأوقدت فيها النيران فمن لم يرجع منهم طرحه فيها حتى جاءت امرأة معها صبي فتقاعست أن
تقع فيها فقال الصبي يا أماه اصبري فإنك على الحق فاقتحمت وقيل قال لها قعي ولا تنافقي
وقيل ما هي إلا غميضة فصبرت وعن علي رضي الله عنه أنهم حين اختلفوا في أحكام المجوس
قال هم أهل كتاب وكانوا متمسكين بكتابهم وكانت الخمر قد أحلت لهم فتناولها بعض ملوكهم
فسكر فوقع على أخته فلما صحا ندم وطلب المخرج فقالت له المخرج أن تخطب الناس فتقول
يا أيها الناس إن الله أحل نكاح الأخوات ثم تخطبهم بعد ذلك إن الله حرمه فخطب فلم يقبلوا
منه فقالت له ابسط فيهم السوط فلم يقبلوا فقالت ابسط فيهم السيف فلم يقبلوا فأمر بالأخاديد
وإيقاد النيران وطرح من أبى فيها فهم الذين أرادهم الله بقوله قتل أصحاب الأخدود

من آمن قبل [illegible] أخدود و [illegible] منه فأحرقت [illegible] الكفرة صح

وقع إلى نجران رجل ممن كان على دين عيسى عليه السلام فدعاهم فأجابوه فسار إليهم ذو نواس اليهودي
بجنود من حمير فخيرهم بين النار واليهودية فأبوا فأحرق منهم اثني عشر ألفا في الأخاديد وقيل
سبعين ألفا وذكر أن طول الأخدود أربعون ذراعا وعرضه اثنا عشر ذراعا وعن النبي صلى الله
عليه وسلم أنه كان إذا ذكر أصحاب الأخدود تعوذ من جهد البلاء النار بدل اشتمال من الأخدود
ذات الوقود وصف لها بأنها نار عظيمة لها ما يرتفع به لهبها من الحطب الكثير وأبدان
الناس وقرئ الوُقود بالضم إذ ظرف لقُتل أي لُعنوا حين أحدقوا بالنار قاعدين حولها
ومعنى عليها على ما يدنو منها من حافات الأخدود كقوله وبات على النار الندى والمحلق
وكما تقول مررت عليه تريد مستعليا بمكان يدنو منه ومعنى شهادتهم على إحراق المؤمنين
أنهم وُكّلوا بذلك وجُعلوا شهودا يشهد بعضهم لبعض عند الملك أن أحدا منهم لم يفرّط
فيما أُمر به وفُوّض إليه من التعذيب ويجوز أن يراد أنهم شهود على ما يفعلون بالمؤمنين
يؤدّون شهادتهم يوم القيامة يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون وما
نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد وما عابوا منهم وما أنكروا إلا الإيمان كقوله
ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم قال ابن الرقيات ما نقموا من بني أمية إلا أنهم يحلمون إن غضبوا
وقرأ أبو حيوة نقِموا بالكسر والفصيح هو الفتح الذي له ملك السماوات والأرض ذكر الأوصاف
التي يستحق بها أن يؤمن به ويعبد وهو كونه عزيزا غالبا قادرا يخشى عقابه حميدا
منعما يجب له الحمد على نعمته ويرجى ثوابه له ملك السماوات والأرض فكل من فيهما تحق له
عبادته والخشوع له تقريرا لأن ما نقموا منهم هو الحق الذي لا ينقمه إلا مبطل منهمك في الغي
وأن الناقمين أهل لانتقام الله منهم بعذاب لا يعدله عذاب والله على كل شيء شهيد وعيد
لهم يعني أنه علم ما فعلوا وهو مجازيهم عليه إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم
يتوبوا يجوز أن يريد بالذين فتنوا أصحاب الأخدود خاصة وبالذين آمنوا المطروحين في
الأخدود ومعنى فتنوهم عذبوهم بالنار وأحرقوهم فلهم في الآخرة عذاب جهنم بكفرهم ولهم عذاب الحريق

وهي نار اخرى عظيمة تتسع كما يتسع الحريق باحراقهم المومنين او لهم عذاب جهنم في
الاخرة ولهم عذاب الحريق في الدنيا لما روي ان النار انقلبت عليهم فاحرقتهم ويجوز ان
يريد الذين فتنوا المومنين اي بلوهم بالاذى على العموم والمومنين المفتونين وان للفاتنين
عذابين في الاخرة لكفرهم ولفتنتهم ان بطش ربك لشديد البطش الاخذ بالعنف فاذا وصف
بالشدة فقد تضاعف وتفاقم وهو بطشه بالجبابرة والظلمة واخذهم بالعذاب والانتقام
انه هو يبدئ ويعيد اي يبدئ البطش ويعيده يعني يبطش بهم في الدنيا وفي الاخرة او
دل باقتداره على الابداء والاعادة على شدة بطشه او اوعد الكفرة بانه يعيدهم كما ابداهم ليبطش
بهم اذا لم يشكروا نعمة الابداء وكذبوا بالاعادة وقرئ يبدأ وهو الغفور الودود الفاعل
باهل طاعته ما يفعله الودود من اعطائهم ما ارادوا ذو العرش وقرئ ذي العرش صفة لربك
المجيد وقرئ المجيد بالجر صفة للعرش ومجد الله عظمته ومجد العرش عظمه وعلوه فعال لما
يريد خبر مبتدا محذوف وانما قيل فعال لان ما يريد ويفعل في غاية الكثرة هل اتاك حديث الجنود
فرعون وثمود بدل من الجنود واراد بفرعون اياه واله كما في قوله من فرعون وملائهم والمعنى
قد عرفت تلك الجنود للرسل وما نزل بهم لتكذيبهم بل الذين كفروا من قومك في تكذيب اي تكذيب
واستجاب للعذاب والله من ورائهم محيط عالم باحوالهم وقادر عليهم وهم لا يعجزونه والاحاطة
بهم من ورائهم مثل لانهم لا يفوتونه كما لا يفوت فائت الشيء المحيط به ومعنى الاضراب
ان امرهم اعجب من امر اولئك لانهم سمعوا بقصصهم وبما جرى عليهم ورأوا آثار هلاكهم
ولم يعتبروا وكذبوا اشد من تكذيبهم بل هو اي بل هذا الذي كذبوا به قرآن مجيد شريف عالي
الطبقة في الكتب وفي نظمه واعجازه وقرئ قرآن مجيد بالاضافة اي قرآن رب مجيد
في لوح وقرأ يحيى بن يعمر في لوح واللوح الهواء يعني اللوح فوق السماء السابعة الذي
فيه اللوح محفوظ من وصول الشياطين اليه وقرئ محفوظ بالرفع صفة للقرآن عن رسول
الله صلى الله عليه من قرأ سورة البروج اعطاه الله بعدد كل يوم جمعة ويوم عرفة يكون في الدنيا عشر سنات

سورة الطارق مكية وهي ست عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم والسماء والطارق وما ادريك ما الطارق النجم
الثاقب المضيء كانه يثقب الظلام بضوئه فينفذ فيه كما قيل دري لانه يدرأه اي يدفعه
ووصف بالطارق لانه يبدو بالليل كما يقال للآتي ليلا طارق او لانه يطرق الجني اي يصكه
والمراد جنس النجوم او جنس الشهب التي يرجم بها فان قلت ما يشبه قوله وما ادريك
ما الطارق النجم الثاقب الا ترجمة كلمة باخرى فبين لي اي فائدة تحته قلت اراد
الله عز من قائل ان يقسم بالنجم الثاقب تعظيما له لما عرف فيه من عجيب القدرة ولطيف الحكمة وان
ينبه على ذلك فجاء بما هو صفة مشتركة بينه وبين غيره وهو الطارق ثم قال وما ادريك ما الطارق ثم فسره
بقوله النجم الثاقب كل هذا اظهارا لفخامة شانه كما قال فلا اقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون
عظيم وروي ان ابا طالب كان عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فانحط نجم فامتلأ ما ثم نورا ففزع
ابو طالب وقال اي شيء هذا فقال صلى الله عليه وسلم هذا نجم رمي به وهو آية من آيات الله فعجب ابو طالب
فنزلت فان قلت ما جواب القسم قلت ان كل نفس لما عليها حافظ لان ان لا تخلو فيمن قرأ لما
مشددة بمعنى الا ان تكون نافية وفيمن قرأها مخففة على ان ما صلة ان يكون مخففة من الثقيلة
وايتهما كانت فهي مما يتلقى به القسم حافظ مهيمن عليها رقيب وهو الله عز وجل وكان الله على
كل شيء رقيبا وكان الله على كل شيء مقيتا وقيل ملك يحفظ عملها ويحصي عليها ما تكسب من خير و
شر وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم وكل بالمومن مائة وستون ملكا يذبون عنه كما يذب عن
قصعة العسل الذباب ولو وكل العبد الى نفسه طرفة عين لاختطفته الشياطين فلينظر الانسان
مم خلق فان قلت ما وجه اتصال قوله فلينظر بما قبله قلت وجه اتصاله به انه لما ذكر ان
على كل نفس حافظا اتبعه توصية الانسان بالنظر في اول امره ونشأته الاولى حتى يعلم ان من انشأه
قادر على اعادته وجزائه فيعمل ليوم الاعادة والجزاء ولا يملي على حافظه الا ما يسره في عاقبته
ومم خلق استفهام جوابه خلق من ماء دافق والدفق صب فيه دفع ومعنى دافق النسبة الى

الدفق الذي هو مصدر دفق كاللابن والتامر او الاسناد المجازي والدفق في الحقيقة لصاحبه ولم يقل ماءين لامتزاجهما في الرحم واتحادهما حين ابتدئ في خلقه يخرج من بين الصلب والترائب من بين صلب الرجل وترائب المراة وهي عظام الصدر حيث تكون القلادة وقرئ الصلب بفتحتين والصلب بضمتين وفيه اربع لغات صلب وصلب وصلب وصالب قال العجاج في صلب مثل العنان المؤدم وقيل العظم والعصب من الرجل واللحم والدم من المراة انه الضمير للخالق لدلالة خلق عليه ومعناه ان الذي خلق الانسان ابتداء من نطفة على رجعه على اعادته خصوصا لقادر لبين القدرة لا يلتاث عليه ولا يعجز عنه كقوله انني لفقير يوم تبلى منصوب برجعه ومن جعل الضمير في رجعه للماء وفسره برجعه الى مخرجه من الصلب والترائب او الى الاحليل او الى الحالة الاولى نصب الظرف بمضمر السرائر ما اسر في القلوب من العقائد والنيات وغيرها وما اخفي من الاعمال وبلاؤها تعرفها وتصفحها والتمييز بين ما طاب منها وما خبث وعن الحسن انه سمع رجلا ينشد

سيبقى لها في مضمر القلب والحشا * سريرة ود يوم تبلى السرائر

فقال ما اغفله عما في والسماء والطارق فما له فما للانسان من قوة من منعة في نفسه يمتنع بها ولا ناصر ولا مانع يمنعه والسماء ذات الرجع والارض ذات الصدع سمي المطر رجعا كما سمي اوبا قال

ربا شماء لا ياوي لقلتها * الا السحاب والا الاوب والسبل

تسمية بمصدري رجع وآب وذلك ان العرب كانوا يزعمون ان السحاب يحمل الماء من بحار الارض ثم يرجعه الى الارض او ارادوا التفاؤل فسموه رجعا واوبا ليرجع ويؤوب وقيل لان الله يرجعه وقتا فوقتا قالت الخنساء كالرجع في المدجنة السارية والصدع ما يتصدع عنه الارض من النبات انه الضمير للقرآن لقول فصل فاصل بين الحق والباطل كما قيل له فرقان وما هو بالهزل يعني انه جد كله لا هوادة فيه ومن حقه وقد وصفه الله بذلك ان يكون مهيبا في الصدور معظما في القلوب يترفع به قارئه وسامعه ان يلم بهزل او يتفكه بمزاح وان يلقي ذهنه الى ان جبار السماوات يخاطبه فيامره وينهاه ويعده ويوعده حتى ان لم يستفزه الخوف

ولم

ولم تتبالغ فيه الخشية فادنى امره ان يكون جادا غير هازل فقد نعى الله على المشركين ذلك في قوله وتضحكون ولا تبكون وانتم سامدون والغوا فيه انهم يكيدون كيدا واكيد كيدا يعني انهم يعملون المكايد في ابطال امر الله واطفاء نور الحق وانا اقابلهم بكيدي من استدراجي لهم وانتظاري بهم الميقات الذي وقته للانتصار منهم فمهل الكافرين يعني لا تدع بهلاكهم ولا تستعجل به امهلهم رويدا اي امهالا يسيرا وكرر وخالف بين اللفظين لزيادة التسكين منه والتصبير عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الطارق اعطاه الله بعدد كل نجم في السماء عشر حسنات

سورة الاعلى مكية وهي تسع عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم سبح اسم ربك الاعلى سبح اسمه عز وعلا نزهه عما لا يصح فيه من المعاني التي هي الحاد في اسمائه كالجبر والتشبيه ونحو ذلك مثل ان يفسر الاعلى بمعنى العلو الذي هو القهر والاقتدار لا بمعنى العلو في المكان والاستواء على العرش حقيقة وان يصان عن الابتذال والذكر لا على وجه الخشوع والتعظيم ويجوز ان يكون الاعلى صفة للرب والاسم وقرا علي رضي الله عنه سبحان ربي الاعلى وفي الحديث لما نزلت فسبح باسم ربك العظيم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجعلوها في ركوعكم فلما نزلت سبح اسم ربك الاعلى قال اجعلوها في سجودكم وكانوا يقولون في الركوع اللهم لك ركعت وفي السجود اللهم لك سجدت الذي خلق فسوى اي خلق كل شيء فسوى خلقه تسوية ولم يات به متفاوتا غير ملتئم ولكن على احكام واتساق ودلالة على انه صادر عن عالم وانه صنعة حكيم والذي قدر فهدى قدر لكل حيوان ما يصلحه فهداه اليه وعرفه وجه الانتفاع به يحكى ان الافعى اذا اتت عليها الف سنة عميت وقد الهمها الله ان مسح العين بورق الرازيانج الغض يرد اليها بصرها فربما كانت في برية بينها وبين الريف مسيرة ايام فتطوي تلك المسافة على طولها وعلى عماها حتى تهجم في بعض البساتين على شجرة الرازيانج لا تخطئها فتحك بها عينيها وترجع باصرة باذن الله تعالى وهدايات الله للانسان الى ما لا يحد من مصالحه وما لا يحصر من حوائجه في اغذيته وادويته

وفي ابواب دنياه ودينه والهامات البهائم والطيور وهو ام الارض باب واسع وشوط
بطين لا يحيط به وصف واصف فسبحان ربي الاعلى وقرئ قدر بالتخفيف والذي اخرج
المرعى فجعله غثاء احوى احوى صفة للغثاء اي اخرج المرعى انبته فجعله بعد خضرته
ورفيفه غثاء احوى دريناً اسود ويجوز ان يكون احوى حالا من المرعى اي اخرجه احوى
اسود من شدة الخضرة والري فجعله غثاء بعد حوته سنقرئك فلا تنسى الا ما شاء الله بشره الله
باعطاء اية بينة وهي ان يقرأ عليه جبريل ما يقرأ عليه من الوحي وهو امي لا يكتب ولا
يقرأ فيحفظه ولا ينساه الا ما شاء الله فذهب به عن حفظه برفع حكمه وتلاوته كقوله او ننسها
وقيل كان يعجل بالقراءة اذا لقنه جبريل فقيل لا تعجل فان جبريل مأمور بان يقرأه عليك
قراءة مكررة الى ان تحفظه لا تنساه الا ما شاء الله ثم تذكره بعد النسيان او قال الا ما شاء الله يعني
القلة والندرة كما روي انه اسقط آية في قراءته في الصلوة فحسب ابي رضي الله عنه انها
نسخت فسأله فقال نسيتها او قال الا ما شاء الله والغرض نفي النسيان رأسا كما يقول الرجل
لصاحبه انت سهيمي فيما املك الا ما شاء الله ولا يقصد استثناء شيء وهو من استعمال القلة
في معنى النفي وقيل قوله فلا تنسى على النهي والالف مزيدة للفاصلة كقوله السبيلا يعني
فلا تغفل قراءته وتكريره فتنساه الا ما شاء الله ان ينسيكه برفع تلاوته للمصلحة انه يعلم الجهر
وما يخفى يعني انك تجهر بالقراءة مع قراءة جبريل مخافة التقلب والله يعلم جهرك معه وما في
نفسك مما يدعوك الى الخير فلا تفعل فانا اكفيك ما تخافه او يعلم ما اسررتم وما اعلنتم من
اقوالكم وافعالكم وما ظهر وبطن من احوالكم وهو مصلحة لكم في دينكم ومفسدة فيه فينسى
من الوحي ما يشاء ويترك محفوظا ما يشاء ونيسرك لليسرى معطوف على سنقرئك وقوله انه يعلم
الجهر وما يخفى اعتراض ومعناه نوفقك للطريقة التي هي ايسر واسهل يعني حفظ الوحي
وقيل للشريعة السمحة التي هي ايسر الشرائع واسهلها مأخذا وقيل نوفقك لعمل الجنة
فذكر ان نفعت الذكرى فان قلت كان الرسول صلى الله عليه وسلم مأمورا بالذكرى

نفعت

نفعت او لم تنفع فما معنى اشتراط النفع قلت هو على وجهين احدهما ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قد استفرغ مجهوده في تذكيرهم وما كانوا يزيدون على زيادة الذكرى الا عتوا وطغيانا
وكان النبي صلى الله عليه وسلم يتلظى حسرة وتلهفا ويزداد جدا في تذكيرهم وحرصا عليهم فقيل
له وما انت عليهم بجبار فذكر بالقرآن من يخاف وعيد واعرض عنهم وقل سلام فذكر ان نفعت
الذكرى وذلك بعد الزام الحجة بتكرير التذكير والثاني ان يكون ظاهره شرطا ومعناه ذما للمذكرين
واخبارا عن حالهم واستبعادا لتأثير الذكرى فيهم وتسجيلا عليهم بالطبع على قلوبهم كما يقول
للواعظ المكاسين ان سمعوا منك قاصدا بهذا الشرط استبعاد ذلك وانه لن يكون سيذكر
من يخشى سيقبل التذكرة وينتفع بها من يخشى الله وسوء العاقبة فينظر ويفكر حتى يقوده النظر
الى اتباع الحق فاما هؤلاء فغير خاشين ولا ناظرين فلا تأمل ان يقبلوا منك ويتجنبها ويتجنب
الذكرى ويتحاماها الاشقى الكافر لانه اشقى من الفاسق او الذي هو اشقى الكفرة لتوغله
عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل نزلت في الوليد بن المغيرة وعتبة بن ربيعة
الذي يصلى النار الكبرى السفلى من اطباق النار وقيل الكبرى نار جهنم والصغرى نار الدنيا
ثم لا يموت فيها ولا يحيى قيل ثم لان الترجح بين الحيوة والموت افظع من الصلي فهو متراخ
عنه في مراتب الشدة والمعنى لا يموت فيستريح ولا يحيى حيوة تنفعه قد افلح من تزكى تطهر
من الشرك والمعاصي او تطهر للصلوة او تكثر من التقوى من الزكاء وهو النماء او تفعل
من الزكوة كتصدق من الصدقة وذكر اسم ربه فصلى فصلى الصلوات الخمس نحو قوله واقام
الصلوة وآتى الزكوة وعن ابن مسعود رضي الله عنه رحم الله امرأ تصدق وصلى وعن علي رضي
الله عنه انه التصدق بصدقة الفطر وقال لا ابالي ان لا اجد في كتابي غيرها لقوله تعالى قد افلح
من تزكى اي اعطى زكوة الفطر فتوجه الى المصلى فصلى صلوة العيد وذكر اسم ربه فكبر
تكبيرة الافتتاح وبه يحتج على وجوب تكبيرة الافتتاح وعلى انها ليست من الصلوة لان الصلوة
معطوفة عليها وعلى ان الافتتاح جائز بكل اسم من اسمائه عز وجل وعن ابن عباس رضي الله عنهما

فصل

ذكر معاده وموقفه بين يدي ربه فصلى له وعن الضحاك وذكر اسم ربه في طريق المصلى صلوة العيد بل يؤثرون الحيوة الدنيا فلا تفعلون ما تفلحون به وقرئ يؤثرون على الغيبة وتعضد الاولى قراءة ابن مسعود رضي الله عنه بل انتم تؤثرون والآخرة خير وابقى افضل في نفسها وانعم وادوم وعن عمر رضي الله عنه ما الدنيا في الآخرة الا كنفجة ارنب ان هذا لفي الصحف الاولى صحف ابرهيم وموسى هذا اشارة الى قوله قد افلح الى ابقى يعني ان معنى هذا الكلام وارد في تلك الصحف وقيل الى ما في السورة كلها وروي عن ابي ذر رضي الله عنه انه سال رسول الله صلى الله عليه وسلم كم انزل الله من كتاب فقال مائة واربعة كتب منها على آدم عشر صحف وعلى شيث خمسون صحيفة وعلى اخنوخ وهو ادريس ثلثون صحيفة وعلى ابرهيم عشر صحائف والتورية والانجيل والزبور والفرقان وقيل ان في صحف ابرهيم عليه السلم ينبغي للعاقل ان يكون حافظا للسانه عارفا بزمانه مقبلا على شانه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الاعلى اعطاه الله عشر حسنات بعدد كل حرف انزله الله على ابرهيم وموسى ومحمد عليهم السلام وكان اذا قراها قال سبحان ربي الاعلى وكان علي وابن عباس رضي الله عنهم يقولان ذلك وكان يحبها وقال اول من قال سبحان ربي الاعلى ميكائيل

سورة الغاشية مكية وهي ست وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم هل اتاك حديث الغاشية الداهية التي تغشى الناس بشدائدها وتلبسهم اهوالها يعني القيامة من قوله يوم يغشاهم العذاب وقيل النار من قوله وتغشى وجوههم النار ومن فوقهم غواش وجوه يومئذ يوم اذ غشيت خاشعة ذليلة عاملة ناصبة تعمل في النار عملا تتعب فيه وهو جرها السلاسل والاغلال وخوضها في النار كما تخوض الابل في الوحل وارتقاؤها دائبة في صعود من نار وهبوطها في حدور منها وقيل عملت في الدنيا اعمال السوء والتذت بها وتنعمت فهي في نصب منها في الآخرة وقيل عملت ونصبت في اعمال لا تجدي عليها في الآخرة من قوله وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا

انهم يحسنون صنعا اولئك الذين حبطت اعمالهم وقيل هم اصحاب الصوامع ومعناه انها خشعت لله وعملت ونصبت في اعمالها من الصوم الدائب والتهجد الواصب وقرئ عاملة ناصبة على الشتم تصلى نارا حامية وقرئ تُصلى بضم التاء وتُصلّى بالتشديد وقيل المصلى عند العرب ان يحفروا حفيرا فيجمعوا فيه جمرا كثيرا ثم يعمدوا الى شاة فيدسوها وسطه فاما ما يشوى فوق الجمر او على المقلى او في التنور فلا يسمى مصليا تسقى من عين آنية متناهية في الحر كقوله حميم آن ليس لهم طعام الا من ضريع الضريع يبيس الشبرق وهو جنس من الشوك ترعاه الابل ما دام رطبا فاذا يبس تحامته وهو سم قاتل قال ابو ذويب

رعى الشبرق الريان حتى اذا ذوى ... وعاد ضريعا بان عنه النحائص

وقال

وحبسن في هزم الضريع فكلها ... حدباء دامية اليدين حرود

فان قلت كيف قيل ليس لهم طعام الا من ضريع وفي الحاقة ولا طعام الا من غسلين قلت العذاب الوان والمعذبون طبقات فمنهم اكلة الزقوم ومنهم اكلة الغسلين ومنهم اكلة الضريع لكل باب منهم جزء مقسوم لا يسمن ولا يغني من جوع لا يسمن مرفوع المحل او مجرور على وصف طعام او ضريع يعني ان طعامهم من شيء ليس من مطاعم الانس وانما هو شوك والشوك مما ترعاه الابل وتتولع به وهذا نوع منه تنفر عنه ولا تقربه ومنفعتا الغذاء منتفيتان عنه وهما اماطة الجوع وافادة القوة والسمن في البدن او اريد ان لا طعام لهم اصلا لان الضريع ليس بطعام للبهائم فضلا عن الانس لان الطعام ما اشبع او اسمن وهو منهما بمعزل كما تقول ليس لفلان ظل الا الشمس تريد نفي الظل على التوكيد وقيل قالت كفار قريش ان الضريع لتسمن عليه ابلنا فنزلت لا يسمن فلا يخلو اما ان يتكذبوا ويتعنتوا بذلك وهو الظاهر فيرد قولهم بنفي السمن والشبع واما ان يصدقوا فيكون المعنى ان طعامهم من ضريع ليس من جنس ضريعكم انما هو من ضريع غير مسمن ولا مغن من جوع وجوه يومئذ ناعمة ذات بهجة وحسن كقوله تعرف في وجوههم نضرة النعيم او متنعمة لسعيها راضية رضيت بعملها لما رأت ما اداهم اليه من الكرامة

اي في الآخرة اذا رأت ثوابها

والثواب في جنة عالية من علو المكان او المقدار لا تسمع يا مخاطب او الوجوه فيها لاغية
اى لغوا او كلمة ذات لغو او نفسا تلغو لا يتكلم اهل الجنة الا بالحكمة وحمد الله على ما رزقهم
من النعيم الدائم وقرئ لا تسمع على البناء للمفعول بالتاء والياء فيها عين جارية يريد عيونا في
غاية الكثرة كقوله علمت نفس فيها سرر مرفوعة من رفعة المقدار او السمك ليرى المؤمن
بجلوسه عليه جميع ما خوله ربه من الملك والنعيم وقيل مخبوءة لهم من رفع الشيء اذا خبأه
واكواب موضوعة كلما ارادوها وجدوها موضوعة بين ايديهم عتيدة حاضرة لا يحتاجون الى
ان يدعوا بها او موضوعة على حافات العيون معدة للشرب ويجوز ان يراد موضوعة عن حد
الكبار اوساط بين الصغر والكبر كقوله قدروها تقديرا ونمارق مصفوفة بعضها الى جنب بعض
مساند ومطارح اينما اراد ان يجلس جلس على مسورة واستند الى اخرى وزرابي وبسط
عراض فاخرة وقيل هي الطنافس التي لها خمل رقيق جمع زربية مبثوثة مبسوطة او
مفرقة في المجالس افلا ينظرون الى الابل نظر اعتبار كيف خلقت خلقا عجيبا دالا على تقدير مقدر
شاهدا بتدبير مدبر حيث خلقها للنهوض بالاثقال وجرها الى البلاد الشاحطة فجعلها تبرك
حتى تحمل عن قرب ويسر ثم تنهض بما حملت وسخرها منقادة لكل من اقتادها بازمتها
لا تعاز ضعيفا ولا تمانع صغيرا وبرأها طوال الاعناق لتنوء بالاوقار وعن بعض الحكماء
انه حدث عن البعير وبديع خلقه وقد نشأ في بلاد لا ابل بها ففكر ثم قال يوشك ان تكون طوال
الاعناق وحين اراد بها ان تكون سفاين البر صبرها على احتمال العطش حتى ان اظماها لترتفع
الى العشر فصاعدا وجعلها ترعى كل شيء نابت في البراري والمفاوز مما لا يرعاه سائر البهائم وعن
سعيد بن جبير قال لقيت شريحا القاضي فقلت اين تريد قال اريد الكناسة قلت وما تصنع
قال انظر الى الابل كيف خلقت فان قلت كيف حسن ذكر الابل مع السماء والجبال والارض و
لا مناسبة قلت قد انتظم هذه الاشياء نظر العرب في اوديتهم وبواديهم فانتظمها الذكر
على حسب ما انتظمها نظرهم ولم يدع من زعم ان الابل السحاب الى قوله الا طلب المناسبة ولعله

لم يرد ان الابل من اسماء السحاب كالغمام والمزن والرباب والغيم والغين وغير ذلك وانما
راى السحاب مشبها بالابل كثيرا في اشعارهم فجوز ان يراد بها السحاب على طريق التشبيه والمجاز والى
السماء كيف رفعت رفعا بعيد المدى بلا امساك وبغير عمد والى الجبال كيف نصبت نصبا ثابتا فهي راسخة
لا تميل ولا تزول والى الارض كيف سطحت سطحا بتمهيد وتوطية فهي مهاد للمتقلب عليها وقرأ علي رضي
الله عنه خلقت ورفعت ونصبت وسطحت على البناء للفاعل وتاء الضمير والتقدير فعلتها فحذف المفعول
وعن هرون الرشيد انه قرأ سطّحت بالتشديد والمعنى افلا ينظرون الى هذه المخلوقات الشاهدة
على قدرة الخالق حتى لا ينكروا اقتداره على البعث فيسمعوا انذار الرسول ويؤمنوا به ويستعدوا
للقائه اى لا ينظرون فذكرهم ولا تلح عليهم ولا يهمنك انهم لا ينظرون ولا يتذكرون
انما انت مذكر كقوله ان عليك الا البلاغ لست عليهم بمسيطر بمسلط كقوله وما انت عليهم بجبار
وقيل هو في لغة تميم مفتوح الطاء على ان سيطر متعد عندهم وقولهم تسيطر يدل عليه
الا من تولى وكفر استثناء منقطع اى لست بمستول عليهم ولكن من تولى منهم فان لله الولاية
والقهر فيعذبه الله العذاب الاكبر فهو يعذبه العذاب الاكبر الذي هو عذاب جهنم وقيل
هو استثناء من قوله فذكر اى فذكر الا من انقطع طمعك من ايمانه وتولى فاستحق
العذاب الاكبر وما بينهما اعتراض وقرئ الا من تولى على التنبيه وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه
فانه يعذبه ان الينا ايابهم ثم ان علينا حسابهم وقرأ ابو جعفر المدني ايّابهم بالتشديد ووجهه
ان يكون فيعالا مصدر ايّب فيعل من الاياب او ان يكون اصله اوّابا فعالا من اوّب
ثم قيل ايوابا كديوان في دوّان ثم فعل به ما فعل باصل سيد فان قلت ما معنى تقديم
الظرف قلت معناه التشديد في الوعيد وان ايابهم ليس الا الى الجبار المقتدر على
الانتقام وان حسابهم ليس بواجب الا عليه وهو الذي يحاسب على النقير والقطمير و
معنى الوجوب الوجوب في الحكمة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة
الغاشية حاسبه الله حسابا يسيرا ٥

سورة الفجر مكية وهي تسع وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم والفجر وليال عشر والشفع والوتر

اقسم بالفجر كما اقسم بالصبح في قوله والصبح اذا اسفر والصبح اذا تنفس وقيل بصلوة
الفجر واراد بالليالي العشر عشر ذي الحجة فان قلت فما بالها منكرة من بين ما اقسم به قلت
لانها ليال مخصوصة من بين جنس الليال العشر بعض منها او مخصوصة بفضيلة ليست لغيرها
فان قلت فهلا عرفت بلام العهد لانها ليال معلومة معهودة قلت لو فعل ذلك لم تستقل
بمعنى الفضيلة الذي في التنكير ولان الاحسن ان تكون اللامات متجانسة لتكون الكلام من الالغاز
والتعمية وبالشفع والوتر اما الاشياء كلها شفعها ووترها واما شفع هذه الليالي ووترها
ويجوز ان يكون شفعها يوم النحر ووترها يوم عرفة لانه تاسع ايامها وذلك عاشرها وقد روي
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه فسرهما بذلك وقد اكثروا في الشفع والوتر حتى كادوا يستوعبون
اجناس ما يقعان فيه وذلك قليل الطائل جدير بالتلهي عنه وبعد ما اقسم بالليالي المخصوصة
اقسم بالليل على العموم اذا يسري اذا يمضي كقوله والليل اذا ادبر والليل اذا عسعس وقرئ
والوتر بفتح الواو وهما لغتان كالحبر والحبر في العدد وفي الترة الكسر وحده وقرئ والوتر
بفتح الواو وكسر التاء رواها يونس عن ابي عمرو وقرئ والفجر والوتر ويسر بالتنوين وهو
التنوين الذي يقع بدلا من حرف الاطلاق وعن ابن عباس رضي الله عنهما وليال عشر بالاضافة
يريد وليال ايام عشر ويا يسري تحذف في الدرج اكتفاء عنها بالكسرة واما في الوقف فتحذف مع
الكسرة وقيل معنى يسري يسري فيه هل في ذلك اي فيما اقسمت به من هذه الاشياء قسم
اي مقسم به لذي حجر يريد هل يحق عنده ان تعظم بالاقسام بها او هل في اقسامي بها اقسام
لذي حجر اي هل هو قسم عظيم يؤكد بمثله المقسم عليه والحجر العقل لانه يحجر عن التهافت
فيما لا ينبغي كما سمي عقلا ونهية لانه يعقل وينهى وحصاة من الاحصاء وهو الضبط وقال
الفراء يقال انه لذو حجر اذا كان قاهرا لنفسه ضابطا لها والمقسم عليه محذوف وهو ليعذبن

يدل عليه قوله الم تر الى قوله فصب عليهم ربك سوط عذاب الم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد
قيل لعقب عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح عاد كما يقال لبني هاشم هاشم ثم قيل للاولين
منهم عاد الاولى وارم تسمية لهم باسم جدهم ولمن بعدهم عاد الاخيرة قال ابن الرقيات
مجدا تليدا بناه اوله ادرك عادا وقبلها ارما فارم في قوله بعاد ارم عطف بيان لعاد و
ايذان بانهم عاد الاولى القديمة وقيل ارم بلدتهم وارضهم التي كانوا فيها ويدل عليه قراءة
الزبير بعاد ارم على الاضافة وتقديره بعاد اهل ارم كقوله واسال القرية ولم تنصرف قبيلة
كانت او ارضا للتعريف والتانيث وقرأ الحسن بعاد ارم مفتوحتين وقرئ بعاد ارم بسكون
الراء على التخفيف كما قرئ بورقكم وقرئ بعاد ارم ذات العماد باضافة ارم الى ذات العماد
والارم العلم يعني بعاد اهل اعلام ذات العماد وذات العماد اسم المدينة وقرئ بعاد
ارم ذات العماد اي جعل الله ذات العماد رميما بدلا من فعل ربك وذات العماد اذا
كانت صفة للقبيلة فالمعنى انهم كانوا بدويين اهل عمد او طوال الاجسام على تشبيه قدودهم
بالاعمدة ومنه قولهم رجل معمد وعمدان اذا كان طويلا وقيل ذات البناء الرفيع
وان كانت صفة للبلدة فالمعنى انها ذات اساطين وروي انه كان لعاد ابنان شداد
وشديد فملكا وقهرا ثم مات شديد وخلص الامر لشداد فملك الدنيا ودانت له ملوكها فسمع
بذكر الجنة فقال ابني مثلها فبنى ارم في بعض صحاري عدن في ثلثمائة سنة وكان عمره تسعمائة
سنة وهي مدينة عظيمة قصورها من الذهب والفضة واساطينها من الزبرجد والياقوت
وفيها اصناف الاشجار والانهار المطردة ولما تم بناؤها سار اليها باهل مملكته فلما كان منها
على مسيرة يوم وليلة بعث الله عليهم صيحة من السماء فهلكوا وعن عبد الله بن قلابة انه
خرج في طلب ابل له فوقع عليها فحمل ما قدر عليه مما ثم وبلغ خبره معاوية فاستحضره
فقص عليه فبعث الى كعب فسأله فقال هي ارم ذات العماد وسيدخلها رجل من المسلمين
في زمانك احمر اشقر قصير على حاجبه خال وعلى عقبه خال يخرج في طلب ابل له ثم التفت فابصر

ابن قلابة فقال هذا والله ذلك الرجل التي لم يخلق مثلها مثل عاد في الاجرام والقوة كانت
طول الرجل منهم اربعمائة ذراع وكان ياتي الصخرة العظيمة فيحملها فيلقيها على الحي فيهلكهم او لم
يخلق مثل مدينة شداد في جميع بلاد الدنيا وقرأ ابن الزبير لم يخلق مثلها اي لم يخلق الله مثلها و
ثمود الذين جابوا الصخر بالواد قطعوا صخر الجبال واتخذوا فيها بيوتا كقوله وتنحتون من الجبال
بيوتا قيل اول من نحت الجبال والصخور والرخام ثمود وبنوا الفا وسبعمائة مدينة كلها من
الحجارة وفرعون ذي الاوتاد قيل له ذو الاوتاد لكثرة جنوده ومضاربهم التي كانوا يضربونها اذا
نزلوا او لتعذيبه بالاوتاد كما فعل بماشطة بنته وبآسية الذين طغوا في البلاد احسن الوجوه فيه
ان يكون في محل النصب على الذم ويجوز ان يكون مرفوعا على هم الذين طغوا او مجرورا على وصف
للمذكورين عاد وثمود وفرعون فاكثروا فيها الفساد فصب عليهم ربك سوط عذاب يقال صب
عليه السوط وغشاه وقنعه وذكر السوط اشارة الى ان ما احله بهم في الدنيا من العذاب
العظيم بالقياس الى ما اعد لهم في الآخرة كالسوط اذا قيس الى سائر ما يعذب به وعن عمرو بن
عبيد كان الحسن اذا اتى على هذه الآية قال ان عند الله اسواطا كثيرة فاخذهم بسوط منها
ان ربك لبالمرصاد المرصاد المكان الذي يترقب فيه الرصد مفعال من رصده كالميقات
من وقته وهذا مثل لارصاده العصاة بالعقاب وانهم لا يفوتونه وعن بعض العرب انه قيل
له اين ربك فقال بالمرصاد وعن عمرو بن عبيد رحمه الله انه قرأ هذه السورة عند المنصور
حتى اذا بلغ هذه الآية فقال ان ربك لبالمرصاد يا ابا جعفر عرض له في هذا النداء بانه بعض
من توعد بذلك من الجبابرة فلله دره اي اسد فراس كان بين ثوبيه يدق الظلمة بانكاره
ويقصع اهل الاهواء والبدع باحتجاجه فاما الانسان اذا ما ابتلاه ربه فاكرمه ونعمه فيقول
ربي اكرمن واما اذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربي اهانن بم اتصل قوله فاما الانسان قلت
بقوله ان ربك لبالمرصاد كانه قيل ان الله لا يريد من الانسان الا الطاعة والسعي للعاقبة
وهو مرصد بالعقوبة للعاصي فاما الانسان فلا يريد ذلك ولا يهمه الا العاجلة وما يلذه

وينعمه فيها فان قلت فكيف توازن قوله فاما الانسان اذا ما ابتلاه ربه وقوله واما اذا
ما ابتلاه وحق التوازن ان يتقابل الواقعان بعد اما واما تقول اما الانسان فكفور واما
الملك فشكور اما اذا احسنت الى زيد فهو محسن اليك واما اذا اسأت اليه فهو مسيء اليك
قلت هما متوازنان من حيث ان التقدير واما هو اذا ما ابتلاه ربه وذلك ان قوله
فيقول ربي اكرمن خبر المبتدأ الذي هو الانسان ودخول الفاء لما في اما من معنى الشرط
والظرف المتوسط بين المبتدأ والخبر في تقدير التأخير كانه قيل فاما الانسان فقائل ربي
اكرمن وقت الابتلاء فوجب ان يكون فيقول الثاني خبرا لمبتدأ واجب تقديره فان قلت
كيف سمى كلا الامرين من بسط الرزق وتقديره ابتلاء قلت لان كل واحد منهما اختبار
للعبد فاذا بسط له فقد اختبر حاله ايشكر ام يكفر واذا قدر عليه فقد اختبر حاله ايصبر
ام يجزع فالحكمة فيهما واحدة ونحوه قوله تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة فان قلت هلا
قال فاهانه وقدر عليه رزقه كما قال فاكرمه ونعمه قلت لان البسط اكرام من الله لعبده
بانعامه عليه متفضلا من غير سابقة واما التقدير فليس باهانة له لان الاخلال بالتفضل لا يكون
اهانة ولكن تركا للكرامة وقد يكون المولى مكرما لعبده ومهينا وغير مكرم ولا مهين واذا اهدى
لك زيد هدية قلت اكرمني بالهدية ولا تقول اهانني ولا اكرمني اذا لم يهد لك فان قلت
فقد قال فاكرمه فصحح اكرامه واثبته ثم انكر قوله ربي اكرمن وذمه عليه قلت
فيه جوابان احدهما انه انما انكر قوله ربي اكرمن وذمه عليه لانه قاله على قصد خلاف ما صححه
الله عليه واثبته وهو قصده الى ان الله اعطاه ما اعطاه اكراما له مستحقا مستوجبا
على عادة افتخارهم وجلالة اقدارهم عندهم كقوله انما اوتيته على علم عندي وانما اعطاه
الله على وجه التفضل من غير استيجاب منه ولا سابقة مما لا يعتد الله الا به وهو التقوى دون
الانساب والاحساب التي كانوا يفتخرون بها ويرون استحقاق الكرامة من اجلها والثاني
ان ينساق الانكار والذم الى قوله ربي اهانن يعني انه اذا تفضل عليه بالخير واكرم به

اعترف بتفضل الله واكرامه واذا لم يتفضل عليه سمى ترك التفضل هوانا وليس بهوان
ويعضد هذا الوجه ذكر الاكرام في قوله فاكرمه وقرى فقدر بالتخفيف والتشديد واكرمن
واهانن بسكون النون في الوقف فيمن ترك الياء في الدرج مكتفيا منها بالكسرة كلا بل لا تكرمون
اليتيم ولا تحاضون على طعام المسكين كلا ردع للانسان عن قوله ثم قال بل هناك شر من هذا
القول وهو ان الله يكرمهم بكثرة المال فلا يؤدون ما يلزمهم فيه من اكرام اليتيم بالتفقد والمبرة
وحض اهله على طعام المسكين وياكلونه اكل الانعام ويحبونه فيشحون به وقرى يكرمون وما
بعده بالياء والتاء وقرى تحاضون اى يحض بعضكم بعضا وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه
ولا تحاضون بضم التاء من المحاضة وتاكلون التراث اكلا لما ذا لم وهو الجمع بين الحلال و
الحرام قال الحطيئة اذا كان لما تتبع الذنب ربه فلا قدس الرحمن تلك الطواحنا
يعني انهم يجمعون في اكلهم بين نصيبهم من الميراث ونصيب غيرهم وقيل كانوا لا يورثون النساء
ولا الصبيان وياكلون تراثهم مع تراثهم وقيل ياكلون ما جمعه الميت من الظلمة وهو عالم
بذلك فيلم في الاكل بين حلاله وحرامه ويجوز ان يذم الوارث الذي ظفر بالمال سهلا مهلا
من غير ان يعرق فيه جبينه فيسرف في انفاقه وياكله اكلا واسعا جامعا بين الوان
المشتهيات من الاطعمة والاشربة والفواكه كما يفعل الوراث البطالون وتحبون المال
حبا جما كثيرا شديدا مع الحرص والشره ومنع الحقوق كلا اذا دكت الارض دكا دكا كلا
ردع عن ذلك وانكار لفعلهم ثم اتى بالوعيد وذكر تحسرهم على ما فرطوا فيه حين لا ينفع الحسرة
ويومئذ بدل من اذا دكت الارض وعامل النصب فيهما يتذكر دكا دكا دكا بعد دك كقولك
حسبته بابا بابا اى كرر عليه الدك حتى عادت هباء منبثا فان قلت ما معنى اسناد المجيء
الى الله والحركة والانتقال انما يجوزان على من كان في جهة قلت هو تمثيل لظهور آيات اقتداره
وتبين آثار قهره وسلطانه مثلت حاله في ذلك بحال الملك اذا حضر بنفسه ظهر بحضوره من آثار
الهيبة والسياسة ما لا يظهر بحضور عساكره كلها ووزرائه وخواصه عن بكرة ابيهم صفا صفا

ينزل ملائكة كل سماء فيصفون صفا بعد صف محدقين بالجن والانس وجيء يومئذ بجهنم
كقوله وبرزت الجحيم وروى انها لما نزلت تغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرف
في وجهه حتى اشتد على اصحابه فاخبروا عليا رضي الله عنه فجاء فاحتضنه من خلفه وقبل
بين عاتقيه ثم قال يا نبي الله بابي وامي ما الذي حدث اليوم وما الذي غيرك فتلا عليه الاية
فقال له علي رضي الله عنه كيف يجاء بها قال يجيء بها سبعون الف ملك يقودونها بسبعين الف
زمام فتشرد شردة لو تركت لاحرقت اهل الجمع اى يتذكر ما فرط فيه او يتعظ وانى له الذكرى
ومن اين له منفعة الذكرى لا بد من تقدير حذف المضاف والا فبين يوم يتذكر وبين انى له الذكرى
تناف وتناقض يقول يا ليتني قدمت لحياتي هذه وهي الحيوة الاخيرة او وقت حيوتي في الدنيا كقولك
جئته لعشر ليال خلون من رجب وهذا ابين دليل على ان الاختيار كان في ايديهم ومعلقا بقصدهم
وارادتهم وانهم لم يكونوا محجورين عن الطاعة مجبرين على المعاصي كمذهب اهل الاهواء
والبدع والا فما معنى التحسر فيومئذ لا يعذب عذابه احد ولا يوثق وثاقه احد قرى بالفتح يعذب ويوثق
وهي قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن ابي عمرو انه رجع اليها في آخر عمره والضمير للانسان
الموصوف وقيل هو ابي بن خلف لا يعذب احد مثل عذابه ولا يوثق بالسلاسل والاغلال
مثل وثاقه لتناهيه في كفره وعناده او لا يحمل عذاب الانسان احد كقوله ولا تزر وازرة وزر
اخرى وقرى بالكسر والضمير لله تعالى اى لا يتولى عذاب الله احد لان الامر لله وحده في ذلك
اليوم او للانسان اى لا يعذب احد من الزبانية مثل ما يعذبونه يا ايتها النفس على ارادة
القول اى يقول الله للمؤمن يا ايتها النفس اما ان يكلمه اكراما كما كلم موسى صلوات الله
عليه او على لسان ملك المطمئنة الآمنة التي لا يستفزها خوف ولا حزن وهي النفس المؤمنة
او المطمئنة الى الحق التي سكنها ثلج اليقين فلا يخالجها شك ويشهد للتفسير الاول قراءة ابي
ابن كعب رضي الله عنه يا ايتها النفس الآمنة المطمئنة ارجعي الى ربك فان قلت متى يقال لها ذلك
قلت اما عند الموت واما عند البعث واما عند دخول الجنة على معنى ارجعي الى موعد ربك

راضية بما اوتيت مرضية عند الله فادخلي في عبادي في جملة عبادي الصالحين وانتظمي
في سلكهم وادخلي جنتي معهم وقيل النفس الروح ومعناه فادخلي في اجساد عبادي وقرا
ابن عباس رضي الله عنهما فادخلي في عبدي وقرا ابن مسعود رضي الله عنه في جسد عبدي
وقرا ابي رضي الله عنه ايتي ربك راضية مرضية ادخلي في عبدي وقيل نزل في حمزة بن
عبد المطلب رضي الله عنه وقيل في خبيب بن عدي رضي الله عنه الذي صلبه اهل مكة وجعلوا
وجهه الى المدينة فقال اللهم ان كان لي عندك خير فحول وجهي نحو قبلتك فحول الله وجهه
نحوها فلم يستطع احد ان يحولها والظاهر العموم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا
سورة الفجر في الليالي العشر غفر له ومن قراها في سائر الايام كانت له نورا يوم القيامة

سورة البلد مكية وهي عشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم لا اقسم بهذا البلد اقسم سبحانه بالبلد
الحرام وبما بعده على ان الانسان خلق مغمورا في مكابدة المشاق والشدائد واعترض بين
المقسم والمقسم عليه بقوله وانت حل بهذا البلد يعني ومن المكابدة ان مثلك على عظم حرمتك
يستحل بهذا البلد الحرام كما يستحل الصيد في غير الحرم عن شرحبيل يحرمون ان يقتلوا
بها صيدا ويعضدوا بها شجرة ويستحلون اخراجك وقتلك وفيه تثبيت من رسول الله صلى
الله عليه وسلم وبعث على احتمال ما كان يكابد من اهل مكة وتعجيب من حالهم في عداوته
او سلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقسم ببلده على ان الانسان لا يخلو من مقاساة الشدائد
واعترض بان وعده فتح مكة تتميما للتسلية والتنفيس عنه فقال وانت حل بهذا البلد
يعني وانت حل به في المستقبل تصنع فيه ما تريد من القتل والاسر وذلك ان الله فتح عليه
مكة واحلها له وما فتحت على احد قبله ولا احلت له فاحل له ما شاء وحرم ما شاء قتل ابن
خطل وهو متعلق باستار الكعبة ومقيس بن صبابة وغيرهما وحرم دار ابي سفيان ثم قال
ان الله حرم مكة يوم خلق السماوات والارض فهي حرام الى ان تقوم الساعة لم تحل لاحد قبلي
ولن

ولن تحل لاحد [illegible] تحل لي الا ساعة من نهار فلا يعضد شجرها ولا يختلى خلاها ولا ينفر
صيدها ولا تحل لقطتها الا لمنشدها فقال العباس يا رسول الله الا الاذخر فانه لقيوننا وقبورنا
وبيوتنا فقال صلى الله عليه وسلم الا الاذخر فان قلت فاين نظير قوله وانت حل في معنى الاستقبال
قلت قوله عز وجل انك ميت وانهم ميتون ومثله واسع في كلام العباد تقول لمن تعده الاكرام
والحباء انت مكرم محبو وهو في كلام الله اوسع لان الاحوال المستقبلة عنده كالحاضرة المشاهدة
وكفاك دليلا قاطعا على انه للاستقبال وان تفسيره بالحال محال ان السورة بالاتفاق مكية واين
الهجرة عن وقت نزولها فما بال الفتح ووالد وما ولد فان قلت ما المراد بوالد وما ولد
قلت رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن ولده اقسم ببلده الذي هو مسقط راسه وحرم
ابيه ابرهيم ومنشا ابيه اسمعيل وبمن ولده وبه فان قلت لم نكر قلت للابهام
المستقل بالمدح والتعجب فان قلت هلا قيل ومن ولد قلت فيه ما في قوله والله اعلم
بما وضعت اي باي شيء وضعت يعني موضوعا عجيب الشان وقيل هما آدم وولده وقيل
كل والد وولده لقد خلقنا الانسان في كبد الكبد اصله من قولك كبد الرجل كبدا فهو اكبد
اذا وجعت كبده وانتفخت فاتسع فيه حتى استعمل في كل تعب ومشقة ومنه اشتقت
المكابدة كما قيل كبته بمعنى اهلكه واصله كبده اذا اصاب كبده قال لبيد
يا عين هلا بكيت اربد اذ قمنا وقام الخصوم في كبد اي في شدة الامر وصعوبة الخطب
الحسب ان لن يقدر عليه احد يقول اهلكت مالا لبدا الضمير في الحسب لبعض صناديد
قريش الذين كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكابد منهم ما يكابد والمعنى ايظن هذا
الصنديد القوي في قومه المتضعف للمؤمنين ان لا يقوم قيامة ولن يقدر على الانتقام منه
وعلى مكافاته بما هو عليه ثم ذكر ما يقوله في ذلك اليوم وانه يقول اهلكت مالا لبدا يريد
كثرة ما انفقه فيما كان اهل الجاهلية يسمونها مكارم ويدعونها معالي ومفاخر الحسب ان
لم يره احد حين كان ينفق ما ينفق رياء الناس وافتخارا بينهم يعني ان الله كان يراه وكان عليه رقيبا

ويجوز ان يكون الضمير للانسان على ان يكون المعنى اقسم بهذا البلد الشريف ومن شرفه انك
حل به مما يقترفه اهله من الماثم متحرج بري فهو حقيق بان اعظمه بقسمي به لقد خلقنا
الانسان في كبد اي في مرض وهو مرض القلب وفساد الباطن يريد الذين علم الله منهم حين
خلقهم انهم لا يومنون ولا يعملون الصالحات وقيل الذي يحسب ان لن يقدر عليه احد هو ابو اشد
وكان قويا يبسط له الاديم العكاظي فيقوم عليه ويقول من ازالني عنه فله كذا فلا ينزع
عنه الا قطعا ويبقى موضع قدميه وقيل الوليد بن المغيرة لبدا قرئ بالضم والكسر جمع
لبدة ولبدة وهو ما تلبد يريد الكثرة وقرئ لبدا بضمتين جمع لبود ولبدا بالتشديد
جمع لابد الم نجعل له عينين يبصر بهما المرئيات ولسانا يترجم به عن ضمائره وشفتين يطبقهما على فيه
ويستعين بهما على النطق والاكل والشرب والنفخ وغير ذلك وهديناه النجدين اي طريقي
الخير والشر وقيل الثديين فلا اقتحم العقبة يعني فلم يشكر تلك الايادي والنعم بالاعمال
الصالحة من فك الرقاب واطعام اليتامى والمساكين ثم بالايمان الذي هو اصل كل طاعة و
اساس كل خير بل غمط النعم وكفر بالمنعم والمعنى ان الانفاق على هذا الوجه هو الانفاق
المرضي النافع عند الله لا ان يهلك مالا لبدا في الرياء والفخار فيكون مثله كمثل ريح فيها صر
اصابت حرث قوم الاية فان قلت قل ما يقع لا الداخلة على الماضي الا مكررة ونحو قوله
فاي امر سيئ لا فعله لا يكاد يقع فما لها لم تكرر في الكلام الافصح قلت هي متكررة
في المعنى لان معنى فلا اقتحم العقبة فلا فك رقبة ولا اطعم مسكينا الا يرى انه فسر اقتحام العقبة
بذلك وقال الزجاج قوله ثم كان من الذين امنوا يدل على معنى فلا اقتحم العقبة ولا امن فالاقتحام
الدخول والمجاوزة بشدة ومشقة والقحمة الشدة وجعل الصالحة عقبة وعملها اقتحاما
لها لما في ذلك من معاناة المشقة ومجاهدة النفس وعن الحسن عقبة والله شديدة مجاهدة
الانسان نفسه وهواه وعدوه الشيطان وما ادريك ما العقبة فك رقبة او اطعام في يوم ذي
مسغبة يتيما ذا مقربة او مسكينا ذا متربة فك الرقبة تخليصها من رق او غيره وفي الحديث ان
رجلا

رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم دلني على عمل يدخلني الجنة فقال تعتق النسمة وتفك
الرقبة قال اوليسا سواء قال لا اعتاقها ان تنفرد بعتقها وفكها ان تعين في تخليصها من
قود او غرم والعتق والصدقة من افاضل الاعمال وعن ابي حنيفة رضي الله عنه ان العتق
افضل من الصدقة وعند صاحبيه رضي الله عنهما الصدقة افضل والاية ادل على قول ابي حنيفة
رضي الله عنه لتقديم العتق على الصدقة وعن الشعبي في رجل عنده فضل نفقة ايضعه
في ذي قرابة او يعتق رقبة قال الرقبة افضل لان النبي صلى الله عليه وسلم قال من فك رقبة
فك الله بكل عضو منها عضوا منه من النار وقرئ فك رقبة او اطعام على هي فك رقبة
او اطعام وقرئ فك رقبة او اطعم على الابدال من اقتحم العقبة وقوله وما ادريك ما العقبة
اعتراض ومعناه انك لم تدر كنه صعوبتها على النفس وكنه ثوابها عند الله والمسغبة
والمقربة والمتربة مفعلات من سغب اذا جاع وقرب في النسب يقال فلان ذو قرابتي
وذو مقربتي وترب اذا افتقر ومعناه التصق بالتراب واما اترب فاستغنى اي صار
ذا مال كالتراب في الكثرة كما قيل اثرى وعن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله ذا متربة
الذي ماواه المزابل ووصف اليوم بذي مسغبة نحو ما يقول النحويون في قولهم هم ناصب
ذو نصب وقرا الحسن ذا مسغبة نصبه باطعام ومعناه او اطعام في يوم من الايام ذا
مسغبة ثم كان من الذين امنوا جاء بثم لتراخي الايمان وتباعده في الرتبة عن والفضيلة
عن العتق والصدقة لا في الوقت لان الايمان هو السابق المقدم على غيره ولا يثبت عمل
صالح الا به وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة المرحمة الرحمة اي اوصى بعضهم بعضا
بالصبر على الايمان والثبات عليه او بالصبر عن المعاصي وعلى الطاعات والمحن التي
يبتلى بها المؤمن وبان يكونوا متراحمين متعاطفين او بما يؤدي الى رحمة الله اولئك اصحاب
الميمنة والذين كفروا باياتنا هم اصحاب المشامة الميمنة والمشامة اليمين والشمال
او اليمن والشوم اي الميامين على انفسهم والمشائيم عليهن عليهم نار موصدة بالواو والهمزة

من اوصدت الباب واصدته اذا اطبقته واغلقته وعن ابي بكر بن عياش لنا امام يهمز
موصدة فاشتهي ان اسد اذني اذا سمعته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من
قرا لا اقسم بهذا البلد اعطاه الله الامان من غضبه يوم القيامة

سورة والشمس مكية وهي خمس عشرة اية

بسم الله الرحمن الرحيم والشمس وضحيها ضوءها اذا اشرقت وقام سلطانها
ولذلك قيل وقت الضحى وكان وجهه شمس الضحى وقيل الضحوة ارتفاع النهار والضحى فوق
ذلك والضحاء بالفتح والمد اذا امتد النهار وكرب ان ينتصف والقمر اذا تلاها طالعا عند
غروبها آخذا من نورها وذلك في النصف الاول من الشهر وقيل اذا استدار فتلاها
في الضياء والنور والنهار اذا جليها عند انتفاخ النهار وانبساطه لان الشمس تنجلي في ذلك
الوقت تمام الانجلاء وقيل الضمير للظلمة او للدنيا او للارض وان لم يجر لها ذكر كقولهم
اصبحت باردة تريدون الغداة وارسلت تريدون السماء والليل اذا يغشاها فتغيب وتظلم
الافاق فان قلت الامر في نصب اذا معضل لانك لا تخلو اما ان تجعل الواوات عاطفة
فتنصب بها وتجر فتقع في العطف على عاملين في نحو قولك مررت امس بزيد واليوم عمرو
واما ان تجعلهن للقسم فتقع فيما اتفق الخليل وسيبويه على استكراهه قلت الجواب
فيه ان واو القسم مطرح معها ابراز الفعل اطراحا كليا فكان لها شان خلاف شان الباء
حيث ابرز معها الفعل واضمر فكانت الواو قائمة مقام الفعل والباء سادة مسدهما معا
والواوات العواطف نوائب عن هذه الواو فحققن ان يكن عوامل عمل الفعل والجار جميعا
كما تقول ضرب زيد عمرا وبكر خالدا فترفع بالواو وتنصب لقيامها مقام ضرب الذي هو عاملهما
والسماء وما بناها والارض وما طحاها ونفس وما سواها فالهمها فجورها وتقويها جعلت ما مصدرية
في قوله وما بناها وما طحاها وما سواها وليس بالوجه لقوله فالهمها وما يؤدي اليه من فساد النظم
والوجه ان تكون موصولة وانما اوثرت على من لارادة معنى الوصفية كانه قيل والشيء

القادر العظيم الذي بناها ونفس والحكيم الباهر الحكمة الذي سواها وفي كلامهم سبحان
ما سخركن لنا فان قلت لم نكرت النفس قلت فيه وجهان احدهما ان يريد نفسا
خاصة من بين النفوس وهي نفس آدم عليه السلام كانه قال وواحدة من النفوس والثاني ان يريد كل
نفس وينكر للتكثير على الطريقة المذكورة في قوله علمت نفس ومعنى الهام الفجور والتقوى
افهامهما واعقالهما وان احدهما حسن والآخر قبيح وتمكينه من اختيار ما شاء منهما بدليل
قوله قد افلح من زكيها وقد خاب من دساها فجعله فاعل التزكية والتدسية ومتوليهما والتزكية
الانماء والاعلاء بالتقوى والتدسية النقص والاخفاء بالفجور واصل دسى دسس
كما قيل في تقضض تقضى وسئل ابن عباس رضي الله عنهما عن ذلك فقال اتقرا قد افلح
من تزكى وقد خاب من حمل ظلما واما قول من زعم ان الضمير في زكى ودسى لله تعالى
وان تانيث الراجع الى من لانه في معنى النفس فمن تعكيس القدرية الذين يوركون
على الله قدرا هو بريء منه ومتعال عنه ويحيون لياليهم في تمحل فاحشة ينسبونها اليه فان
قلت فاين جواب القسم قلت هو محذوف تقديره ليدمدمن الله عليهم اي على
اهل مكة لتكذيبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كما دمدم على ثمود لانهم كذبوا صالحا واما قد
افلح من زكيها فكلام تابع لقوله فالهمها فجورها وتقويها على سبيل الاستطراد وليس من جواب
القسم في شيء كذبت ثمود بطغويها الباء في بطغويها مثلها في كتبت بالقلم والطغوى من الطغيان
فصلوا بين الاسم والصفة في فعلى من بنات الياء بان قلبوا الياء واوا في الاسم وتركوا
القلب في الصفة فقالوا امراة خزيى وصديى يعني فعلت التكذيب بطغيانها كما تقول
ظلمني بجراته على الله وقيل كذبت بما اوعدت به من عذابها ذي الطغوى كقوله
فاهلكوا بالطاغية وقرا الحسن بطغويها بضم الطاء كالحسنى والرجعى في المصادر اذ انبعث
اشقاها اذ انبعث منصوب بكذبت او بالطغوى واشقاها قدار بن سالف ويجوز ان يكونوا
جماعة والتوحيد لتسويتك في افعل التفضيل اذا اضفته بين الواحد والجمع والمذكر والمؤنث

وكان يجوز ان يقال اشقوها كما تقول افاضلهم فقال لهم رسول الله الضمير في لهم يجوز ان يكون
للاشقين والتفضيل في الشقاوة لان من تولى العقر وباشره كانت شقاوته اظهر وابلغ ناقة
الله نصب على التحذير كقولك الاسد الاسد والصبي الصبي باضمار ذروا واحذروا عقرها
وسقياها فلا تذووها عنها ولا تستاثروا بها عليها فكذبوه فيما حذرهم منه من نزول العذاب
ان فعلوا فعقروها فدمدم عليهم ربهم فاطبق عليهم العذاب وهو من تكرير قولهم ناقة مدمومة اذا
البسها الشحم بذنبهم بسبب ذنبهم وفيه انذار عظيم بعاقبة الذنب فعلى كل مذنب ان يعتبر
ويحذر فسواها الضمير للدمدمة اي فسويها بينهم لم يفلت منها صغيرهم ولا كبيرهم ولا يخاف
عقباها اي عاقبتها وتبعتها كما يخاف كل معاقب من الملوك فيبقي بعض الابقاء ويجوز ان
يكون الضمير لثمود على معنى فسواها بالارض او في الهلاك ولا يخاف عقبى هلاكها وفي مصاحف
اهل المدينة والشام فلا يخاف وفي قراءة النبي صلى الله عليه وسلم ولم يخف عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم من قرا سورة الشمس فكانما تصدق بكل شيء طلعت عليه الشمس والقمر

سورة والليل مكية وهي احدى وعشرون اية

بسم الله الرحمن الرحيم والليل اذا يغشى المغشي اما الشمس من قوله
والليل اذا يغشيها واما النهار من قوله يغشي الليل النهار واما كل شيء يواريه بظلامه من قوله
اذا وقب والنهار اذا تجلى ظهر بزوال ظلمة الليل وتبين وتكشف بطلوع الشمس وما خلق الذكر
والانثى والقادر العظيم القدرة الذي قدر على خلق الذكر والانثى من ماء واحد وقيل هما
آدم وحواء وفي قراءة النبي صلى الله عليه وسلم والذكر والانثى وقرا ابن مسعود رضي الله عنه
والذي خلق الذكر والانثى وعن الكسائي وما خلق الذكر والانثى بالجر على انه بدل من محل ما
خلق بمعنى وما خلقه الله اي ومخلوق الله الذكر والانثى وجاز اضمار اسم الله لانه معلوم لانفراده
بالخلق اذ لا خالق سواه وقيل ان الله لم يخلق خلقا من ذوي الارواح ليس بذكر ولا انثى والخنثى
وان اشكل امره عندنا فهو عند الله غير مشكل معلوم بالذكورة او الانوثة فلو حلف بالطلاق انسان
انه

انه لم يلق يومه ذكرا ولا انثى وقد لقي خنثى مشكلا كان حانثا لانه في الحقيقة اما ذكر او انثى وان
كان مشكلا عندنا ان سعيكم لشتى شتى جمع شتيت اي ان مساعيكم اشتات مختلفة وبيان
اختلافها فيما فصل على اثره فاما من اعطى يعني حقوق ماله واتقى الله فلم يعصه وصدق بالحسنى
بالخصلة الحسنى وهي الايمان او بالملة الحسنى وهي ملة الاسلام او بالمثوبة الحسنى وهي الجنة
فسنيسره لليسرى فسنهيئه لها من يسر الفرس للركوب اذا اسرجها والجمها ومنه قوله صلى
الله عليه وسلم كل ميسر لما خلق له والمعنى فسنلطف به ونوفقه حتى يكون الطاعة ايسر الامور
عليه واهونها من قوله فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام واما من بخل واستغنى وزهد
فيما عند الله كانه مستغن عنه فلم يتقه او استغنى بشهوات الدنيا عن نعيم الجنة لانه في مقابلة
واتقى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى فسنخذله ونمنعه الالطاف حتى يكون الطاعة اعسر شيء
عليه واشده من قوله يجعل صدره ضيقا حرجا كانما يصعد في السماء او سمى طريقة الخير باليسرى
لان عاقبتها اليسر وطريقة الشر العسرى لان عاقبتها العسر او اراد بهما طريقي الجنة والنار اي
فسنهديهما في الاخرة للطريقين وقيل نزلتا في ابي بكر رضي الله عنه وفي ابي سفيان بن حرب وما
يغني عنه استفهام في معنى الانكار او نفي ماله اذا تردى تفعل من الردى وهو الهلاك يريد
الموت او تردى في الحفرة اذا قبر او تردى في قعر جهنم ان علينا للهدى ان الارشاد الى الحق واجب
علينا بنصب الدلائل وبيان الشرائع وان لنا للاخرة والاولى اي ثواب الدارين للمهتدي كقوله
وآتيناه اجره في الدنيا وانه في الاخرة لمن الصالحين وقرا ابو الزبير تتلظى لا يصليها الا الاشقى
الذي كذب وتولى وسيجنبها الاتقى الذي يؤتي ماله يتزكى فان قلت كيف قال لا يصليها الا
الاشقى وسيجنبها الاتقى وقد علم ان كل شقي يصليها وكل تقي يجنبها لا يختص بالصلي اشقى الاشقياء
ولا بالنجاة اتقى الاتقياء وان زعمت انه نكر النار فاراد نارا بعينها مخصوصة بالاشقى فما تصنع بقوله
وسيجنبها الاتقى فقد علم ان افسق المسلمين يجنب تلك النار المخصوصة لا الاتقى منهم خاصة
قلت الاية واردة في الموازنة بين حالتي عظيم من المشركين وعظيم من المؤمنين فاريد ان

يبالغ في صفتيهما المتناقضتين فقيل الاشقى وجعل محتصا بالصلي كأن الناد لم تخلق الا له وقيل الاتقى وجعل محتصا بالجنة كأن الجنة لم تخلق الا له وقيل هما ابو جهل وامية بن خلف وابو بكر رضي الله عنه يتزكى من الزكاء اي يطلب ان يكون عند الله زاكيا لا يريد به رياء ولا سمعة او يتفعل من الزكوة فان قلت ما محل يتزكى قلت هو على وجهين ان جعلته بدلا من يؤتي فلا محل له لانه داخل في حكم الصلة والصلات لا محل لها وان جعلته حالا من الضمير في يؤتي فمحله النصب وما لاحد عنده من نعمة تجزى الا ابتغاء وجه ربه الاعلى ابتغاء وجه ربه مستثنى من غير جنسه وهو النعمة اي ما لاحد عنده نعمة الا ابتغاء وجه ربه كقولك ما في الدار احد الا حمار او ورا يحيى وثاب الا اسغاء وجه ربه بالرفع على لغة من يقول ما في الدار احد الا حمار وانشدنا للغتين قول بشر بن ابي خازم

أضحت خلاء قفارا لا انيس بها ... الا الجآذر والظلمان تختلف

وقول القائل

وبلدة ليس بها انيس ... الا اليعافير والا العيس

ويجوز ان يكون ابتغاء وجه ربه مفعولا له على المعنى ان معنى الكلام لا يؤتي ماله الا لابتغاء وجه ربه لا لمكافاة نعمة ولسوف يرضى وعد بالثواب الذي يرضيه ويقر عينه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة والليل اعطاه الله تعالى حتى يرضى وعافاه من العسر ويسر له اليسر

سورة الضحى مكية وهي احدى عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم والضحى المراد بالضحى وقت الضحى وهو صدر النهار حين ترتفع الشمس وتلقى شعاعها وقيل انما خص وقت الضحى بالقسم لانها الساعة التي كلم فيها موسى والقي فيها السحرة سجدا لقوله وان يحشر الناس ضحى وقيل اراد بالضحى النهار بيانه قوله ان يأتيهم بأسنا ضحى في مقابلة بيتا والليل اذا سجى سكن وركد ظلامه وقيل ليلة ساجية ساكنة الريح وقيل معناه سكون الناس والاصوات فيه وسجا البحر سكنت امواجه وطرف ساج ساكن فاتر ما ودعك ربك وما قلى جواب القسم

ومعناه ما قطعك قطع المودع وقرئ بالتخفيف يعني ما تركك قالت وثمة ودعنا آل عمرو وعامر فرايس اطراف المشفرة للتمر والتوديع مبالغة في الودع لان من ودعك مفارقا فقد بالغ في تركك روي ان الوحي قد تاخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اياما فقال المشركون ان محمدا ودعه ربه وقلاه وقيل ان ام جميل امراة ابي لهب قالت له يا محمد ما ارى شيطانك الا تركك فنزلت وحذف الضمير من قلى لحذفه من الذاكرات في قوله والذاكرين الله كثيرا والذاكرات يريد والذاكراته ونحوه فاذى فهدى فاغنى وهو احتضار لفظي لظهور المحذوف فان قلت كيف اتصل قوله وللآخرة خير لك من الاولى بما قبله قلت لما كان في ضمن نفي التوديع والقلى ان الله موصلك بالوحي اليك وانك حسب الله ولا ترى كرامة اعظم من ذلك وانعمة اجل منه اخبر ان حالة الآخرة اعظم من ذلك واجل وهو السبق والتقدم على جميع انبياء الله ورسله وشهادة امته على سايع الامم ورفع درجات المؤمنين واعلاء مراتبهم بشفاعته وغير ذلك من الكرامات السنية ولسوف يعطيك ربك فترضى موعد شامل لما اعطاه في الدنيا من الفلج والظفر باعدايه يوم بدر ويوم فتح مكة ودخول الناس في الدين افواجا والغلبة على قريظة والنضير واجلايهم وبث عساكره وسراياه في بلاد العرب وما فتح على خلفايه الراشدين في اقطار الارض من المداين وهدم بايديهم من معاقل الجبابرة وانهبهم من كنوز الاكاسرة وما قذف في قلوب اهل الشرق والغرب من الرعب وتهيب الاسلام وشوكة الدعوة واستيلاء المسلمين وما ادخر له من الثواب الذي لا يعلم كنهه الا الله قال ابن عباس رضي الله عنهما له في الجنة الف قصر من لولو ابيض تربته المسك فان قلت ما معنى اللام الداخلة على سوف قلت هي لام الابتداء الموكدة لمضمون الجملة والمبتدا محذوف تقديره ولانت سوف يعطيك كما ذكرنا في لاقسم ان المعنى لانا اقسم وذلك لانه لا يخلو من ان يكون لام قسم او ابتداء فلام القسم لا تدخل على المضارع الا مع نون التاكيد فبقي ان تكون لام ابتداء ولام الابتداء لا تدخل الا على الجملة من المبتدا

والخبر فلا بد من تقدير مبتدا وخبر وان يكون اصله ولانت سوف يعطيك فان قلت
ما معنى الجمع بين حرفي التوكيد والتاخير قلت معناه ان العطاء كاين لا محالة
ان تاخر لما في التاخير من المصلحة الم يجدك يتيما فآوى عدد عليه نعمه واياديه وانه
لم يخله منها من اول تربيته وابتداء نشاه ترشيحا لما اراد به ليقيس المترقب من فضل
الله على ما سلف منه لئلا يتوقع الا الحسنى وزيادة الخير والكرامة ولا يضيق صدره ولا
يقل صبره والم يجدك من الوجود الذي بمعنى العلم والمنصوبان مفعولا وجد والمعنى
الم تكن يتيما وذلك ان اباه مات وهو جنين قد اتت عليه ستة اشهر وماتت امه وهو
ابن ثماني سنين فكفله عمه ابو طالب وعطفه الله عليه فاحسن تربيته ومن بدع التفاسير
انه من قولهم درة يتيمة وان المعنى الم يجدك واحدا في قريش عديم النظير فآواك وقرئ
فاوى وهو على معنيين اما من اواه بمعنى آواه سمع بعض الرعاة يقول اين اوى هذه
الموقسة واما من اوى له اذا رحمه ووجدك ضالا فهدى معناه الضلال عن علم الشرايع
وما طريقه السمع كقوله ما كنت تدري ما الكتاب وقيل ضل في صباه في بعض شعاب مكة
فرده ابو جهل الى عبد المطلب وقيل اضلته حليمة عند باب مكة حين فطمته وجاءت
لترده على عبد المطلب وقيل ضل في طريق الشام حين خرج به ابو طالب فهداك فعرفك
القرآن والشرايع او فازال ضلالك عن جدك وعمك ومن قال كان على امر قومه اربعين
سنة فان اراد انه كان على خلوهم عن العلوم السمعية فنعم وان اراد انه كان على دينهم
وكفرهم فمعاذ الله والانبياء يجب ان يكونوا معصومين قبل النبوة وبعدها من الكباير
والصغاير الشائنة فما بال الكفر والجهل بالصانع ما كان لنا ان نشرك بالله من شيء وكفى
بالنبي نقيصة عند الكفار ان يسبق له كفر ووجدك عائلا فقيرا وقرئ عيلا كما قرئ سيحات
وعديما فاغنى فاغناك بمال خديجة او بما افاء عليك من الغنايم قال صلى الله عليه وسلم جعل رزقي
تحت ظل رمحي وقيل قنعك واغنى قلبك فاما اليتيم فلا تقهر فلا تغلبه على ماله وحقه لضعفه

في قراءة ابن مسعود رضي الله عنه فلا تكهر وهو ان يعبس في وجهه وفلان ذو كهرورة عابس
الوجه ومنه الحديث فبابي وامي هو ما كهرني واما السائل فلا تنهر النهر والنهم الزجر وعن
النبي صلى الله عليه وسلم اذا رددت السائل ثلثا فلم يرجع فلا عليك ان تزبره وقيل اما انه
ليس بالسائل المستجدي ولكن طالب العلم اذا جاءك فلا تنهره واما بنعمة ربك فحدث التحديث
بنعمة الله شكرها واشاعتها يريد ما ذكره من نعمة الايواء والهداية والاغناء وما عدا
ذلك وعن مجاهد بالقرآن فحدث فاقرئه وبلغ ما ارسلت به وعن عبد الله بن غالب انه
كان اذا اصبح يقول رزقني الله البارحة خيرا قرأت كذا وصليت كذا فاذا قيل له يا ابا فراس
امثلك يقول مثل هذا قال يقول الله تعالى واما بنعمة ربك فحدث وانتم تقولون لا تحدث
بنعمة الله وانما يجوز مثلها اذا قصد به اللطف وان يقتدي به غيره وامن على نفسه الفتنة
والستر افضل ولو لم يكن فيه الا التشبه باهل الرياء والسمعة لكفى به وفي قراءة علي رضي
الله عنه فخبر والمعنى انك كنت يتيما وضالا وعائلا فآواك الله وهداك واغناك فمهما يكن
من شيء وعلى ما خيلت فلا تنسى نعمة الله عليك في هذه الثلث واقتد بالله فتعطف على
اليتيم وآوه فقد ذقت اليتم وهوانه ورايت كيف فعل الله بك وترحم على السائل وتفقه
بمعروفك ولا تزجره عن بابك كما رحمك ربك فاغناك بعد الفقر وحدث بنعمة الله كلها
ويدخل تحته هدايته الضلال وتعليمه الشرايع والقرآن مقتديا بالله في ان هداه من الضلال
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة والضحى جعله الله فيمن يرضى لمحمد ان يشفع
له عشر حسنات يكتبها الله له بعدد كل يتيم وسائل

سورة الم نشرح مكية وهي ثمان آيات

بسم الله الرحمن الرحيم الم نشرح لك صدرك استفهم عن انتفاء الشرح على
وجه الانكار فافاد اثبات الشرح وايجابه فكانه قيل شرحنا لك صدرك ولذلك عطف عليه
وضعنا اعتبارا للمعنى ومعنى شرحنا صدرك فسحناه حتى وسع هموم النبوة ودعوة

الثقلين جميعا او حتى احتمل المكاره التي يتعرض لك بها كفار قومك وغيرهم او فسحناه بما
اودعناه من العلوم والحكم وازلنا عنه الضيق والحرج الذي يكون مع العمى والجهل وعن
الحسن ملئ حكمة وعلما وعن ابي جعفر المنصور انه قرا الم نشرح بفتح الحاء وقالوا لعله بيّن
الحاء واشبعها في مخرجها فظن السامع انه فتحها ووضعنا عنك وزرك الذي انقض ظهرك
ورفعنا لك ذكرك الوزر الذي انقض ظهره اي حمله على النقيض وهو صوت الانتقاض و
الانفكاك لثقله مثل لما كان يثقل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويغمه من فرطاته قبل
النبوة او من جهله بالاحكام والشرائع او من تهالكه على اسلام اولي العناد من قومه وتلهفه
ووضعه عنه ان غفر له او علم الشرائع او مهد عذره بعد ما بلغ وبالغ وقرا انس وحللنا
وحططنا وقرا ابن مسعود وحللنا عنك وقرك ورفع ذكره ان قرن بذكر الله في كلمة الشهادة
والاذان والاقامة والتشهد والخطب وفي غير موضع من القرآن والله ورسوله احق
ان يرضوه ومن يطع الله ورسوله واطيعوا الله واطيعوا الرسول وفي تسميته رسول الله
ونبي الله ومنه ذكره في كتب الاولين والاخذ على الانبياء وامهم ان يؤمنوا به فان قلت
اي فائدة في زيادة لك والمعنى مستقل بدونه قلت في زيادة لك ما في طريقة الابهام والايضاح
كانه قيل الم نشرح لك ففهم ان ثمة مشروحا ثم قيل صدرك فاوضح ما علم مبهما وكذلك لك ذكرك
عنك وزرك فان قلت كيف تعلق قوله فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا بما قبله قلت
كان المشركون يعيرون رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بالفقر والضيقة حتى سبق الى
وهمه انهم رغبوا عن الاسلام لافتقار اهله واحتقارهم فذكره ما انعم به عليه من جلايل النعم
ثم قال فان مع العسر يسرا كانه قال خولناك ما خولناك فلا تيأس من فضل الله فان مع العسر الذي
انتم فيه يسرا فان قلت ان مع للصحبة فما معنى اصطحاب اليسر والعسر قلت اراد
ان الله يصيبهم بيسر مع العسر الذي كانوا فيه بزمان قريب فقرب اليسر المترقب حتى جعله
كالمقارن للعسر زيادة في التسلية وتقوية القلوب فان قلت ما معنى قول ابن عباس وابن مسعود
رضي

رضي الله عنهما وعنه لن يغلب عسر يسرين وقد روي مرفوعا انه خرج صلى الله عليه وسلم ذات يوم
وهو يضحك ويقول لن يغلب عسر يسرين قلت هذا عمل على الظاهر وبناء على قوة الرجاء وان
موعد الله لا يحمل الا على اوفى ما يحتمله اللفظ وابلغه والقول فيه انه يحتمل ان يكون الجملة الثانية تكريرا
للاولى كما كرر قوله ويل يومئذ للمكذبين لتقرير معناها في النفوس وتمكينها في القلوب وكما يكرر المفرد
في قولك جاني زيد زيد وان تكون الاولى عدة بان العسر متبوع بيسر فهما يسران لا محالة والثانية عدة
مستانفة بان العسر متبوع بيسر فهما يسران على تقدير الاستيناف وانما كان العسر واحدا لانه لا يخلو
اما ان يكون تعريفه للعهد وهو العسر الذي كانوا فيه فهو هو لان حكمه حكم زيد في قولك ان مع زيد مالا
ان مع زيد مالا واما ان يكون للجنس الذي يعلمه كل احد فهو هو ايضا واما اليسر فمنكر متناول
لبعض الجنس فاذا كان الكلام الثاني مستانفا غير مكرر فقد تناول بعضا غير البعض الاول
بغير اشكال فان قلت ما المراد باليسرين قلت يجوز ان يراد بهما ما تيسر لهم من الفتوح
في ايام رسول الله صلى الله عليه وسلم وما تيسر لهم في ايام الخلفاء رضي الله عنهم وان يراد يسر
الدنيا ويسر الاخرة كقوله تعالى قل هل تربصوا بنا الا احدى الحسنيين وهما حسنى الظفر وحسنى
الثواب فان قلت فما معنى هذا التنكير قلت التفخيم كانه قيل ان مع العسر يسرا
عظيما واي يسر وهو في مصحف ابن مسعود رضي الله عنه مرة واحدة فان قلت فاذا ثبت
في قراءته غير مكرر فلم قال والذي نفسي بيده لو كان العسر في جحر لطلبه اليسر حتى يدخل عليه
انه لن يغلب عسر يسرين قلت كانه قصد باليسرين ما في قوله يسرا من معنى التفخيم فتاوله
بيسر الدارين وذلك يسران في الحقيقة فان قلت فكيف تعلق قوله فاذا فرغت فانصب
بما قبله قلت لما عدد عليه نعمه السالفة ووعده الآنفة بعثه على الشكر والاجتهاد في
العبادة والنصب فيها وان يواصل بين بعضها وبعض ويتابع ويحرص على ان لا يخلي وقتا من
اوقاته منها فاذا فرغ من عبادة ذنبها باخرى وعن ابن عباس رضي الله عنهما فاذا فرغت من صلوتك
فاجتهد في الدعاء وعن الحسن فاذا فرغت من الغزو فاجتهد في العبادة وعن مجاهد فاذا فرغت

من دنياك فانصب في صلوتك وعن الشعبي انه راى رجلا يشيل حجرا فقال ليس بهذا امر
الفارغ وقعود الرجل فارغا من غير شغل او استغاله بما لا يعنيه في دينه او دنياه من سفه
الراي وسخافة العقل واستيلاء الغفلة ولقد قال عمر رضي الله عنه اني لاكره ان ارى احدكم
فارغا سبهللا لا في عمل دنيا ولا في عمل آخرة وقرا ابو السمال فرغت بكسر الراء وليست بفصيحة
ومن البدع ما روي عن بعض الرافضة انه قرا فانصب بكسر الصاد اي فانصب عليا بالامامة
ولو صح هذا للرافضي لصح للناصبي ان يقرا هكذا ويجعله امرا بالنصب الذي هو بغض علي
وعداوته والى ربك فارغب واجعل رغبتك اليه خصوصا ولا تسال الا فضله متوكلا عليه
وقرى فرغب اي رغب الناس الى طلب ما عنده عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا الم
نشرح فكانما جاءني وانا مغتم ففرج عني

سورة التين مكية وهي ثمان آيات

بسم الله الرحمن الرحيم والتين والزيتون اقسم بهما لانهما
عجيبان من بين اصناف الاشجار المثمرة روي انه اهدي لرسول الله صلى الله عليه وسلم طبق
من تين فاكل منه وقال لاصحابه كلوا فلو قلت ان فاكهة نزلت من الجنة لقلت هذه لان
فاكهة الجنة بلا عجم فكلوها فانها تقطع البواسير وتنفع من النقرس ومر معاذ بن جبل بشجرة
الزيتون فاخذ منها قضيبا واستاك به وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول نعم السواك
الزيتون من الشجرة المباركة يطيب الفم ويذهب بالحفرة وسمعته يقول هي سواكي وسواك
الانبياء قبلي وعن ابن عباس رضي الله عنهما هو تينكم هذا وزيتونكم وقيل جبلان من الارض
المقدسة يقال لهما بالسريانية طور تينا وطور زيتا لانهما منبتا التين والزيتون وقيل
التين جبال ما بين حلوان وهمذان والزيتون جبال الشام لانها منابتهما كانه قيل ومنابت
التين والزيتون وطور سينين اضيف الطور وهو الجبل الى سينين وهي البقعة ونحو سينون
يبرون في جواز الاعراب بالواو والياء والاقرار على الياء وتحريك النون بحركات الاعراب والبلد
الامين

الامين البلد مكة حماها الله والامين من امن الرجل امانة فهو امين وقيل امان كما قيل
كرام في كريم وامانته انه يحفظ من دخله كما يحفظ الامين ما يؤتمن عليه ويجوز ان يكون
فعيلا بمعنى مفعول من امنه لانه مامون الغوائل كما وصف بالامن في قوله تعالى حرما
آمنا بمعنى ذي امن ومعنى القسم بهذه الاشياء الابانة عن شرف البقاع المباركة وما ظهر فيها
من الخير والبركة بسكنى الانبياء والصالحين فمنبت التين والزيتون مهاجر ابرهيم و
مولد عيسى ومنشاه والطور المكان الذي نودي منه موسى ومكة مكان البيت الذي هو
هدى للعالمين ومولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومبعثه لقد خلقنا الانسان في احسن
تقويم في احسن تعديل لشكله وصورته وتسوية لاعضائه ثم رددناه اسفل سافلين ثم كان
عاقبة امره حين لم يشكر نعمة تلك الخلقة الحسنة القويمة السوية ان رددناه اسفل من
سفل خلقا وتركيبا يعني اقبح من قبح صورة واشوهه خلقة وهم اصحاب النار واسفل من
سفل من اهل الدركات او ثم رددناه بعد ذلك التقويم والتحسين اسفل من سفل في حسن
الصورة والشكل حيث نكسناه في خلقه فقوس ظهره بعد اعتداله وابيض شعره بعد سواده
وتشنن جلده وكان بضا وكل سمعه وبصره وكانا حديدين وتغير كل شيء منه فمشيه دليف
وصوته خفات وقوته ضعف وشهامته خرف وقرا عبد الله اسفل السافلين الا الذين
امنوا وعملوا الصالحات فلهم اجر غير مامون فان قلت فكيف الاستثناء على المذهبين
قلت هو على الاول متصل ظاهر الاتصال وعلى الثاني منقطع يعني ولكن الذين كانوا
صالحين من الهرمى فلهم ثواب دائم غير منقطع على طاعتهم وصبرهم على ابتلاء الله بالشيخوخة
والهرم وعلى مقاساة المشاق والقيام بالعبادة على تخاذل نهوضهم فما يكذبك بعد بالدين فان
قلت فما يكذبك من المخاطب به قلت هو خطاب للانسان على طريقة الالتفات
اي فما يجعلك كاذبا بسبب الدين وانكاره بعد هذا الدليل يعني انك تكذب اذا كذبت
بالجزاء لان كل مكذب بالحق فهو كاذب فاي شيء يضطرك الى ان تكون كاذبا بسبب تكذيب

الجزاء والبناء مثلها في قوله تعالى الذين يتولونه والذين هم به مشركون والمعنى ان خلق الانسان
من نطفة وتقويمه بشرا سويا وتدريجه في مراتب الزيادة الى ان يكمل ويستوي ثم تنكيسه
الى ان يبلغ ارذل العمر لا ترى دليلا اوضح منه على قدرة الخالق وان من قدر من الانسان
على هذا كله لم يعجز عن اعادته فما سبب تكذيبك ايها الانسان بالجزاء بعد هذا الدليل القاطع
وقيل الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم اليس الله باحكم الحاكمين وعيد للكفار و
انه يحكم عليهم بما هم اهله وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان اذا قراها قال بلى وانا على
ذلك من الشاهدين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة والتين اعطاه الله خصلتين
العافية واليقين ما دام في دار الدنيا واذا مات اعطاه الله من الاجر بعدد من قرا هذه السورة

سورة العلق مكية وهي ثمان عشرة اية

بسم الله الرحمن الرحيم اقرا باسم ربك الذي خلق خلق الانسان
من علق عن ابن عباس ومجاهد رضي الله عنهم هي اول سورة نزلت واكثر المفسرين على ان
الفاتحة اول ما نزل ثم سورة القلم ومحل باسم ربك النصب على الحال اي اقرا مفتتحا باسم
ربك قل بسم الله ثم اقرا فان قلت كيف قال خلق فلم يذكر له مفعولا ثم قال خلق الانسان
قلت هو على وجهين اما ان لا يقدر له مفعول وان يراد انه الذي حصل منه الخلق
واستاثر به لا خالق سواه واما ان يقدر ويراد خلق كل شيء فيتناول كل مخلوق لانه مطلق
فليس بعض المخلوقات اولى بتقديره من بعض وقوله خلق الانسان تخصيص للانسان بالذكر
من بين ما يتناوله الخلق لان التنزيل اليه وهو اشرف ما على الارض ويجوز ان يراد الذي خلق
الانسان كما قال الرحمن علم القرآن خلق الانسان فقيل الذي خلق مبهما ثم فسره بقوله خلق
الانسان تفخيما لخلق الانسان ودلالة على عجيب فطرته فان قلت لم قال من علق على الجمع
وانما خلق من علقة كقوله من نطفة ثم من علقة قلت لان الانسان في معنى الجمع كقوله
ان الانسان لفي خسر اقرا وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم الاكرم الذي

له الكمال في زيادة كرمه على كل كريم ينعم على عباده النعم التي لا تحصى ويحلم عنهم فلا يعاجلهم بالعقوبة
مع كفرهم وجحودهم لنعمه وركوبهم المناهي واطراحهم الاوامر ويقبل توبتهم ويتجاوز
عنهم بعد اقتراف العظائم فما لكرمه غاية ولا امد وكانه ليس وراء التكرم بافادة الفوائد العلمية
تكرم حيث قال الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم فدل على كمال كرمه بانه علم عباده
ما لم يعلموا ونقلهم من ظلمة الجهل الى نور العلم ونبه على فضل علم الكتابة لما فيه من المنافع
العظيمة التي لا يحيط بها الا هو وما دونت العلوم ولا قيدت الحكم ولا ضبطت اخبار
الاولين ومقالاتهم ولا كتب الله المنزلة الا بالكتابة ولولا هي لما استقامت امور الدين
والدنيا ولو لم يكن على دقيق حكمة الله ولطيف تدبيره دليل الا امر القلم والخط لكفى به
ولبعضهم في صفة القلم ورواقم رقش كمثل اراقم قطف الخطى نيالة اقصى المدى
سود القوائم ما يجد مسيرها الا اذا لعبت بها بيض المدى وقرا ابن الزبير علم الخط
بالقلم كلا ردع لمن كفر بنعمة الله عليه بطغيانه وان لم يذكر لدلالة الكلام عليه ان الانسان
ليطغى ان راه استغنى ان راى نفسه يقال في افعال القلوب رايتني وعلمتني وذلك
بعض خصائصها ومعنى الرؤية العلم ولو كانت بمعنى الابصار لامتنع في فعلها الجمع بين
الضميرين واستغنى هو المفعول الثاني ان الى ربك الرجعى واقع على طريقة الالتفات الى
الانسان تهديدا له وتحذيرا من عاقبة الطغيان والرجعى مصدر كالبشرى بمعنى الرجوع
وقيل نزلت في ابي جهل وكذلك ارايت الذي ينهى عبدا اذا صلى وروي انه قال لرسول
الله صلى الله عليه وسلم اتزعم ان من استغنى طغى فاجعل لنا جبال مكة فضة وذهبا
لعلنا ناخذ منها فنطغى فندع ديننا ونتبع دينك فنزل جبريل فقال ان شئت فعلنا
ذلك ثم ان لم يؤمنوا فعلنا بهم ما فعلنا باصحاب المائدة فكف رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن الدعاء ابقاء عليهم وروي عنه لعنه الله انه قال هل يعفر محمد وجهه بين اظهركم
قالوا نعم قال فوالذي يحلف به لئن رايته توطات عنقه فجاءه ثم نكص على عقبيه فقالوا

له مالك يا أبا الحكم قال إن بيني وبينه لخندقا من نار وهولا وأجنحة فنزلت أرأيت الذي
ينهى ومعناه أخبرني عمن ينهى بعض عباد الله عن صلاته أرأيت إن كان على الهدى
أو أمر بالتقوى أرأيت إن كذب وتولى إن كان ذلك الناهي على طريقة سديدة فيما
ينهى عنه من عبادة الله أو كان آمرا بالمعروف والتقوى فيما يأمر به من عبادة الأوثان وكذلك
إن كان على التكذيب للحق والتولي عن الدين الصحيح كما نقول نحن ألم يعلم بأن الله يرى و
يطلع على أحواله من هداه وضلاله فيجازيه على حسب ذلك وهذا وعيد فإن قلت ما
متعلق أرأيت قلت الذي ينهى مع الجملة الشرطية وهما في موضع المفعولين فإن قلت
فأين جواب الشرط قلت هو محذوف تقديره إن كان على الهدى أو أمر بالتقوى ألم يعلم بأن
الله يرى وإنما حذف لدلالة ذكره في جواب الشرط الثاني فإن قلت فكيف صح أن يكون ألم
يعلم جوابا للشرط قلت كما صح في قولك إن أكرمتك أتكرمني وإن أحسن إليك زيد هل
تحسن إليه فإن قلت فما أرأيت الثانية وتوسطها بين مفعولي أرأيت قلت
هي زائدة مكررة للتوكيد وعن الحسن أنه أمية بن خلف كان ينهى سلمان عن الصلاة كلا ردع
لأبي جهل وخسوء له عن نهيه عن عبادة الله وأمره بعبادة اللات ثم قال لئن لم ينته عما هو فيه لنسفعا
بالناصية لنأخذن بناصيته ولنسحبنه بها إلى النار والسفع القبض على الشيء وجذبه بشدة قال
عمرو بن معديكرب قوم إذا نقع الصريخ رأيتهم من بين ملجم مهره أو سافع وقرئ لنسفعن بالنون
المشددة وقرأ ابن مسعود لأسفعن وكتبتها في المصحف بالألف على حكم الوقف ولما علم أنها ناصية
المذكور اكتفى بلام العهد عن الإضافة ناصية كاذبة خاطئة ناصية بدل من الناصية وجاز بدلها
عن المعرفة وهي نكرة لأنها وصفت فاستقلت بفائدة وقرئ ناصية على هي ناصية وناصية بالنصب
وكلاهما على الشتم ووصفها بالكذب والخطأ على الإسناد المجازي وهما في الحقيقة لصاحبها وفيه
من الحسن والجزالة ما ليس في قولك ناصية كاذب خاطئ فليدع ناديه سندع الزبانية النادي
المجلس الذي ينتدي فيه القوم أي يجتمعون والمراد أهل النادي كما قال جرير

لهم

لهم مجلس صهب السبال أذلة وقال زهير وفيهم مقامات حسان وجوههم والمقام
المجلس روي أن أبا جهل مر برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي فقال ألم أنهك فأغلظ
له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أتهددني وأنا أكثر أهل الوادي ناديا فنزلت وقرأ
ابن أبي عبلة سيدعى الزبانية على البناء للمفعول والزبانية في كلام العرب الشرط الواحد
زبنية كعفرية من الزبن وهو الدفع وقيل زبني وكأنه نسب إلى الزبن ثم غير للنسب
كقولهم إمسي وأصله زباني فقيل زبانية على التعويض والمراد ملائكة العذاب وعن النبي
صلى الله عليه وسلم لو دعا ناديه لأخذته الزبانية عيانا كلا ردع لأبي جهل لا تطعه أي اثبت
على ما أنت عليه من عصيانه كقوله ولا تطع المكذبين واسجد ودم على سجودك يريد الصلاة
واقترب وتقرب إلى ربك وفي الحديث أقرب ما يكون العبد إلى ربه إذا سجد عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة العلق أعطي من الأجر كأنما قرأ المفصل كله

سورة القدر مكية وهي ست آيات

بسم الله الرحمن الرحيم إنا أنزلناه في ليلة القدر عظم القرآن
من ثلاثة أوجه أحدها أن أسند إنزاله إليه وجعله مختصا به دون غيره والثاني أنه جاء بضميره
دون اسمه الظاهر شهادة له بالنباهة والاستغناء عن التنبيه عليه والثالث الرفع من مقدار
الوقت الذي أنزل فيه روي أنه أنزل جملة واحدة في ليلة القدر من اللوح المحفوظ إلى السماء
الدنيا وأملاه جبريل على السفرة ثم كان ينزله على رسول الله صلى الله عليه وسلم نجوما في ثلاث وعشرين
سنة وعن الشعبي المعنى إنا ابتدأنا إنزاله في ليلة القدر واختلفوا في وقتها فأكثرهم على
أنها في شهر رمضان في العشر الأواخر في أوتارها وأكثر القول أنها السابعة منها ولعل الداعي
إلى إخفائها أن يحيي من يريدها الليالي الكثيرة طلبا لموافقتها فتكثر عبادته ويتضاعف
ثوابه وأن لا يتكل الناس عند إظهارها على إصابة الفضل فيها فيفرطوا في غيرها ومعنى
ليلة القدر ليلة تقدير الأمور وقضائها من قوله فيها يفرق كل أمر حكيم وقيل سميت بذلك

لخطرها وشرفها على سائر الليالي وما ادريك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من الف شهر يعني و
لم تبلغ درايتك غاية فضلها ومنتهى علو قدرها ثم بين له ذلك بانها خير من الف شهر وسبب ارتقاء
فضلها الى هذه الغاية ما يوجد فيها من المصالح الدينية التي ذكرها من تنزل الملائكة و
الروح وفصل كل امر حكيم وذكر في تخصيص هذه المدة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر
رجلا من بني اسرائيل لبس السلاح في سبيل الله الف شهر فعجب المؤمنون من ذلك وتقاصرت
اليهم اعمالهم فاعطوا ليلة هي خير من مدة ذلك الغازي وقيل ان الرجل فيما مضى ما كان
يقال له عابد حتى يعبد الله الف شهر فاعطوا ليلة ان احيوها كانوا احق بان يسموا عابدين
من اولئك العباد تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم تنزل الى السماء الدنيا وقيل الى
الارض والروح جبريل وقيل خلق من الملائكة لا يراهم الملائكة الا تلك الليلة من كل امر اي تنزل
من اجل كل امر قضاه الله لتلك السنة الى قابل وقرئ من كل امرئ اي من اجل كل انسان قيل
لا يلقون مؤمنا ولا مؤمنة الا سلموا عليه في تلك الليلة سلام هي ما هي الا سلامة اي لا يقدر الله
فيها الا السلامة والخير ويقضي في غيرها بلاء وسلامة او ما هي الا سلام لكثرة ما يسلمون على
المؤمنين حتى مطلع الفجر وقرئ مطلع بفتح اللام وكسرها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من
قرا سورة القدر اعطي من الاجر كمن صام رمضان واحيى ليلة القدر

سورة لم يكن مدنية وهي تسع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين منفكين
حتى تاتيهم البينة كان الكفار من الفريقين اهل الكتاب وعبدة الاصنام يقولون قبل مبعث النبي
صلى الله عليه وسلم لا ننفك مما نحن عليه من ديننا ولا نتركه حتى يبعث النبي الموعود الذي هو مكتوب
في التورية والانجيل وهو محمد صلى الله عليه وسلم فحكى الله تعالى ما كانوا يقولونه ثم قال وما تفرق الذين
اوتوا الكتاب يعني انهم كانوا يعدون اجتماع الكلمة والاتفاق على الحق اذا جاءهم الرسول ثم ما فرقهم
عن الحق ولا اقرهم على الكفر الا مجيء الرسول ونظيره في الكلام ان يقول الفقير الفاسق لمن يعظه لست
بمنفك

بمنفك مما انا فيه حتى يرزقني الله الغنى فيرزقه الله الغنى فيزداد فسقا فيقول واعظه
لم تكن منفكا عن الفسق حتى توسر وما غمست راسك في الفسق الا بعد اليسار يذكره ما كان يقوله
توبيخا والزاما وانفكاك الشيء من الشيء ان يزايله بعد التحامه به كالعظم اذا انفك من مفصله
والمعنى انهم متشبثون بدينهم لا يتركونه الا عند مجيء البينة والبينة الحجة الواضحة رسول بدل من البينة من الله
وفي قراءة عبد الله رسولا حالا من البينة يتلو صحفا قراطيس مطهرة من الباطل فيها كتب مكتوبات
والبينة القرآن او لم تاتهم بينة ما في الصحف الاولى ورسول من الله جبريل صلوات الله عليه وهو التالي
للصحف المطهرة المنتسخة من اللوح التي ذكرت في سورة عبس ولا بد من مضاف محذوف وهو الوحي
ويجوز ان يراد النبي صلى الله عليه وسلم فان قلت كيف نسبة تلاوة الصحف المطهرة اليه وهو
امي قلت اذا تلا مثل المسطور فيها كان تاليا قيمة مستقيمة ناطقة بالحق والعدل وما تفرق
الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة والمراد بتفرقهم تفرقهم عن الحق وانفشاعهم عنه
او تفرقهم فرقا فمنهم من آمن ومنهم من انكر وقال ليس به ومنهم من عرف وعاند فان قلت
لم جمع بين اهل الكتاب والمشركين اولا ثم افرد اهل الكتاب في قوله وما تفرق الذين اوتوا الكتاب
قلت لانهم كانوا على علم به لوجوده في كتبهم فاذا وصفوا بالتفرق عنه كان من لا كتاب له ادخل
في هذا الوصف وما امروا يعني في التورية والانجيل الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء الا
بالدين الحنيفي ولكنهم حرفوا وبدلوا ويقيموا الصلوة ويؤتوا الزكوة وذلك دين القيمة اي دين
الملة القيمة وقرئ وذلك الدين القيمة على تاويل الدين بالملة فان قلت ما وجه قوله وما
امروا الا ليعبدوا الله قلت معناه وما امروا بما في الكتابين الا لاجل ان يعبدوا الله
على هذه الصفة وقرا ابن مسعود رضي الله عنه الا ان يعبدوا بمعنى بان يعبدوا ان الذين كفروا
من اهل الكتاب والمشركين في نار جهنم اولئك هم شر البرية ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات
اولئك هم خير البرية جزاؤهم عند ربهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا رضي
الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه قرا نافع البرية بالهمز والقراء على التخفيف والنبي

والبرية جمع خير كجياد وطياب في جيد وطيب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ
لم يكن كان يوم القيامة مع خير البرية مساء ومقيلا

سورة اذا زلزلت مكية وهي ثمان آيات

بسم الله الرحمن الرحيم اذا زلزلت الارض زلزالها قرئ بكسر الزاي
وفتحها فالمكسور مصدر والمفتوح اسم وليس في الابنية فعلال بالفتح الا في المضاعف فان قلت
ما معنى زلزالها بالاضافة قلت معناه زلزالها الذي تستوجبه في الحكمة ومشيئة الله وهو
الزلزال الشديد الذي ليس بعده ونحوه قولك اكرم التقي اكرامه واهن الفاسق اهانته
تريد ما يستوجبانه من الاكرام والاهانة او زلزالها كله وجميع ما هو ممكن منه واخرجت
الارض اثقالها الاثقال جمع ثقل وهو متاع البيت وتحمل اثقالكم جعل ما في جوفها من الدفائن
اثقالا لها وقال الانسان ما لها زلزلت هذه الزلزلة الشديدة ولفظت ما في بطنها وذلك عند
النفخة الثانية حين تزلزل وتلفظ امواتها احياء فيقولون ذلك لما يبهرهم من الامر الفظيع
كما يقولون من بعثنا من مرقدنا وقيل هذا قول الكافر لانه كان لا يؤمن بالبعث فاما المؤمن
فيقول هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون يومئذ تحدث اخبارها بان ربك اوحى لها
فان قلت ما معنى تحديث الارض والايحاء لها قلت هو مجاز عن احداث الله فيها
من الاحوال ما يقوم مقام التحديث باللسان حتى ينظر من يقول ما لها الى تلك الاحوال فيعلم لم
زلزلت ولم لفظت الاموات وان هذا ما كانت الانبياء ينذرونه ويحذرون منه وقيل ينطقها
الله على الحقيقة وتخبر بما عمل عليها من خير وشر وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تشهد على
كل احد بما عمل على ظهرها فان قلت اذا ويومئذ ما ناصبهما قلت يومئذ بدل من اذا و
ناصبهما تحدث ويجوز ان ينتصب اذا بمضمر ويومئذ بتحدث فان قلت اين مفعولا تحدث
قلت قد حذف اولهما والثاني اخبارها واصله تحدث الخلق اخبارها الا ان المقصود
ذكر تحديثها الاخبار لا ذكر الخلق تعظيما لليوم فان قلت بم تعلقت الباء في قوله بان ربك قلت

البار ۹ بتحدث

بتحدث معناه تحدث اخبارها بسبب ايحاء ربك لها وامره اياها بالتحديث ويجوز ان يكون المعنى
يومئذ تحدث بتحديث ان ربك اوحى لها اخبارها على ان تحديثها بان ربك اوحى لها تحديث باخبارها
كما تقول نصحتني كل نصيحة بان نصحتني في الدين ويجوز ان يكون بان ربك بدلا من اخبارها كانه
قيل يومئذ تحدث باخبارها بان ربك اوحى لها لانك تقول حدثته كذا وحدثته بكذا واوحى لها
بمعنى اوحى اليها وهو مجاز كقوله ان نقول له كن فيكون قال اوحى لها القرار فاستقرت
وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه تنبئ اخبارها وسعيد بن جبير تنبي بالتخفيف يومئذ يصدر الناس
يصدرون عن مخارجهم من القبور الى الموقف اشتاتا بيض الوجوه آمنين وسود الوجوه فزعين
او يصدرون عن الموقف اشتاتا تتفرق بهم طريقا الجنة والنار ليروا اعمالهم جزاء اعمالهم وفي قراءة
النبي صلى الله عليه وسلم ليروا بالفتح فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره
قرأ ابن عباس وزيد بن علي رضي الله عنهم يره بالضم ويحكى ان اعرابيا اخر خيرا يره فقيل له قدمت
واخرت فقال خذا بطن هرشى او قفاها فانه كلا جانبي هرشى لهن طريق والذرة النملة
الصغيرة وقيل الذر ما يرى في شعاع الشمس من الهباء فان قلت حسنات الكافر محبطة
بالكفر وسيئات المؤمن معفوة باجتناب الكبائر فما معنى الجزاء بمثاقيل الذر من الخير والشر قلت
المعنى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا من فريق السعداء ومن يعمل مثقال ذرة شرا من فريق الاشقياء لانه
جاء بعد قوله يصدر الناس اشتاتا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ اذا زلزلت اربع مرات
كان كمن قرأ القرآن كله

سورة العاديات وهي احدى عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم والعاديات ضبحا اقسم بخيل الغزاة تعدو
فتضبح والضبح صوت انفاسها اذا عدون وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه حكاه فقال اح
اح قال عنترة والخيل تكدح حين تضبح في حياض الموت ضبحا وانتصاب ضبحا على
يضبحن ضبحا او بالعاديات كانه قيل والضابحات لان الضبح يكون مع العدو او على الحال اي ضابحات

فالموريات تورى نار الحباحب وهي ما ينقدح من حوافرها قدحا قادحات صاكات
بحوافرها الحجارة والقدح الصك والايراء اخراج النار تقول قدح فاورى وقدح فاصلد و
انتصب قدحا بما انتصب به صبحا فالمغيرات تغير على العدو صبحا في وقت الصبح فاثرن به
نقعا فهيجن بذلك الوقت غبارا فوسطن به بذلك الوقت او بالنقع جمعا اي وسطن النقع
الجمع او فوسطن ملتبسات به جمعا من جموع الاعداء ووسطه بمعنى توسطه وقيل الضمير لمكان
الغارة وقيل للعدو الذي دل عليه والعاديات ويجوز ان يراد بالنقع الصياح من قول عمر
رضي الله عنه ما لم يكن نقع ولا لقلقة وقول لبيد فمتى ينقع صراخ صادق اي فهيجن في المغار
عليهم صياحا وجلبة وقرا ابو حيوة فاثرن بالتشديد بمعنى فاظهرن به غبارا لان التاثير فيه
معنى الاظهار او قلب ثورن الى وثرن وقلب الواو همزة وقرى فوسطن بالتشديد للتعدية
والباء مزيدة للتاكيد كقوله واوتوا به او هي مبالغة في وسطن وعن ابن عباس رضي الله عنهما
كنت جالسا في الحجر فجاء رجل فسالني عن العاديات ضبحا ففسرتها بالخيل فذهب الى علي رضي
الله عنه وهو تحت سقاية زمزم فساله وذكر له ما قلت فقال ادعه لي فلما وقفت على راسه
قال تفتي الناس بما لا علم لك به والله ان كانت لاول غزوة في الاسلام بدر وما كان معنا الا فرسان
فرس للزبير وفرس للمقداد العاديات ضبحا الابل من عرفة الى المزدلفة ومن المزدلفة
الى منى فان صحت الرواية فقد استعير الضبح للابل كما استعير المشافر والحافر للانسان
والشفتان للمهر والثغر للثورة وما اشبه ذلك وقيل الضبح لا يكون الا للفرس والكلب
والثعلب وقيل الضبح بمعنى الضبع يقال ضبحت الابل وضبعت اذا مدت اضباعها في السير
وليس بثبت وجمع هو المزدلفة فان قلت علام عطف فاثرن قلت على الفعل الذي
وضع اسم الفاعل موضعه لان المعنى واللاتي عدون فاورين فاغرن فاثرن ان الانسان
لربه لكنود لكفور وكند النعمة كنودا ومنه سمي كندة لانه كند اباه ففارقه وعن الكلبي
الكنود بلسان كندة العاصي وبلسان بني مالك البخيل وبلسان مضر وربيعة الكفور يعني انه لنعمة
ربه

ربه خصوصا لشديد الكفران لان تفريطه في شكر نعمة غير الله تفريط قريب لمقاربة النعمة لان اجل
ما انعم به على الانسان من مثله نعمة ابويه ثم ان عظماها في جنب ادنى نعمة الله قليلة ضئيلة
وانه وان الانسان على ذلك على كنوده لشهيد يشهد على نفسه ولا يقدر ان يجحده لظهور امره وقيل
وان الله على كنوده لشاهد على سبيل الوعيد وانه لحب الخير لشديد الخير المال من قوله تعالى
ان ترك خيرا والشديد البخيل الممسك يقال فلان شديد ومتشدد قال طرفة
ارى الموت يعتام الكرام ويصطفي عقيلة مال الفاحش المتشدد يعني وانه لاجل حب المال و
ان انفاقه يثقل عليه لبخيل ممسك او اراد بالشديد القوي وانه لحب المال وايثار الدنيا وطلبها
قوي مطيق وهو لحب عبادة الله وشكر نعمته ضعيف متقاعس تقول هو شديد لهذا الامر وقوي
له اذا كان مطيقا له ضابطا او اراد انه لحب الخيرات غير هش منبسط ولكنه شديد منقبض افلا
يعلم اذا بعثر ما في القبور وحصل ما في الصدور ان ربهم بهم يومئذ لخبير بعثر بعث وقرى
بحثر وبحث وبحثر وحصل على بنائهما للفاعل وحصل بالتخفيف ومعنى حصل جمع في الصحف
اي اظهر محصلا مجموعا وقيل ميز بين خيره وشره ومنه قيل للمنخل المحصل ومعنى علمه بهم
يوم القيامة مجازاته لهم على مقادير اعمالهم لان ذلك اثر خبره بهم وقرا ابو السمال ان ربهم بهم
يومئذ خبير عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة والعاديات اعطي من الاجر عشر
حسنات بعدد من بات بالمزدلفة وشهد جمعا

سورة القارعة مكية وهي احدى عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم القارعة ما القارعة وما ادريك ما القارعة يوم يكون
الناس كالفراش المبثوث وتكون الجبال كالعهن المنفوش الظرف نصب بمضمر دلت عليه القارعة
اي تقرع يوم يكون الناس كالفراش المبثوث شبههم بالفراش في الكثرة والانتشار والضعف والذلة
والتطاير الى الداعي من كل جانب كما يتطاير الفراش الى النار قال جرير
ان الفرزدق ما علمت وقومه مثل الفراش غشين نار المصطلي وفي امثالهم اضعف من فراشة

واذل واجهل وسمي فراشا لتفرشه وانتشاره وشبه الجبال بالعهن وهو الصوف المصبغ الوانا
لانها الوان وبالمنفوش منه لتفرق اجزائها وقرا ابن مسعود رضي الله عنه كالصوف فاما من ثقلت
موازينه فهو في عيشة راضية واما من خفت موازينه فامه هاوية الموازين جمع موزون وهو العمل الذي
له وزن وخطر عند الله او جمع ميزان وثقلها رجحانها ومنه حديث ابي بكر لعمر رضي الله عنهما في
وصيته له وانما ثقلت موازين من ثقلت موازينهم يوم القيامة باتباعهم الحق وثقلها في الدنيا وحق
لميزان لا يوضع فيه الا الحسنات ان يثقل وانما خفت موازين من خفت موازينه باتباعهم الباطل
وخفتها في الدنيا وحق لميزان لا يوضع فيه الا السيئات ان يخف فامه هاوية من قولهم اذا دعوا
على الرجل بالهلكة هوت امه لانه اذا هوى اي سقط وهلك فقد هوت امه ثكلا وحزنا قال
هوت امه ما يبعث الصبح غاديا وماذا يرد الليل حين يؤوب فكانه قيل واما من خفت موازينه
فقد هلك وقيل هاوية من اسماء النار وكانها النار العميقة لهوي اهل النار فيها مهوى بعيدا
كما روي يهوي فيها سبعين خريفا اي فمأواه النار وقيل للمأوى ام على التشبيه لان الام مأوى الولد
ومفزعه وعن قتادة فامه هاوية فام راسه هاوية في قعر جهنم لانه يطرح فيها منكوسا وما ادريك ما هيه
نار حامية هيه ضمير الداهية التي دل عليها قوله فامه هاوية في التفسير الاول او ضمير هاوية والهاء
للسكت واذا وصل القارئ حذفها وقيل حقه ان لا يدرج لئلا يسقطها الادراج لانها ثابتة في المصحف
وقد اجيز اثباتها مع الوصل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة القارعة ثقل الله بها ميزانه
يوم القيامة

سورة التكاثر مكية وهي ثمان آيات

بسم الله الرحمن الرحيم الهيكم التكاثر حتى زرتم المقابر الهاه عن
كذا واقهاه اذا شغله والتكاثر التباري في الكثرة والتباهي بها وان يقول هؤلاء نحن اكثر
وهؤلاء نحن اكثر روي ان بني عبد مناف وبني سهم تفاخروا ايهم اكثر عددا فكثرهم
بنو عبد مناف فقالت بنو سهم ان البغي اهلكنا في الجاهلية فعادونا بالاحياء والاموات
فكثرهم بنو سهم والمعنى انكم تكاثرتم بالاحياء حتى استوعبتم عددهم صرتم الى المقابر فتكاثرتم
بالاموات

بالاموات عبر عن بلوغهم ذكر الموتى بزيارة المقابر تهكما بهم وقيل كانوا يزورون المقابر فيقولون
هذا قبر فلان وهذا قبر فلان عند تفاخرهم والمعنى الهاكم ذلك وهو مما لا يعنيكم ولا يجدي عليكم
في دنياكم واخرتكم عما يعنيكم من امر الدين الذي هو اهم واعنى من كل مهم او اراد الهاكم التكاثر
بالاموال والاولاد الى ان متم وقبرتم متفقين اعماركم في طلب الدنيا والاستباق اليها والتهالك
عليها الى ان اتاكم الموت لا هم لكم غيرها عما هو اولى بكم من السعي لعاقبتكم والعمل لاخرتكم وزيارة
القبر عبارة عن الموت قال لن يخلص العام خليل عشرا ذاق الضماد او يزور القبرا
وقرا ابن عباس رضي الله عنهما ءالهاكم على الاستفهام الذي معناه التقرير كلا ردع وتنبيه على انه
لا ينبغي للناظر لنفسه ان يكون الدنيا جميع همه ولا يهتم سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون انذار
ليخافوا فينتبهوا عن غفلتهم والتكرير تاكيد للردع والانذار عليهم وثم دلالة على ان الانذار الثاني
ابلغ من الاول واشد كما تقول للمنصوح اقول لك ثم اقول لك لا تفعل والمعنى سوف تعلمون
الخطا فيما انتم عليه اذا عاينتم ما قدامكم من هول لقاء الله وان هذا التنبيه نصيحة لكم
ورحمة عليكم ثم كرر التنبيه ايضا وقال لو تعلمون محذوف الجواب يعني لو تعلمون ما بين ايديكم
علم الامر اليقين اي كعلمكم ما تستيقنونه من الامور التي وكلتم بعلمها هممكم لفعلتم ما لا
يوصف ولا يكتنه ولكنكم ضلال جهلة ثم قال لترون الجحيم فبين لهم ما انذرهم منه واوعدهم
به وقد مر ما في ايضاح الشيء بعد ابهامه من تفخيمه وتعظيمه وهو جواب قسم محذوف و
القسم لتوكيد الوعيد وان ما اوعدوا به لا مدخل فيه للريب وكرره معطوفا بثم تغليظا
في التهديد وزيادة في التهويل وقرئ لترؤن بالهمز وهي مستكرهة فان قلت لم استكرهت
والواو المضمومة قلبها همزة قياس مطرد قلت ذاك في الواو التي ضمتها لازمة
وهذه عارضة لالتقاء الساكنين وقرئ لترون ولترونها على البناء للمفعول ثم لترونها
عين اليقين اي الرؤية التي هي نفس اليقين وخالصته ويجوز ان يراد بالرؤية العلم
والابصار ثم لتسألن يومئذ عن النعيم عن اللهو والنعم الذي شغلكم الالتذاذ به عن

الدين وتكاليفه فان قلت ما النعيم الذي يسال عنه الانسان ويعاتب عليه فما من احد الا وله نعيم قلت هو من عكف همته على استيفاء اللذات ولم يعش الا لياكل الطيب ويلبس اللين ويقطع اوقاته باللهو والطرب لا يعبا بالعلم والعمل ولا يحمل نفسه مشاقهما فاما من تمتع بنعمة الله وارزاقه التي لم يخلقها الا لعباده وتقوى بها على دراسة العلم والقيام بالعمل وكان ناهضا بالشكر فهو من ذلك بمعزل واليه اشار رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يروى انه اكل هو واصحابه تمرا وشربوا عليه ماء فقال الحمد لله الذي اطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا الهاكم التكاثر لم يحاسبه الله بالنعيم الذي انعم به عليه في دار الدنيا واعطي من الاجر كانما قرا الف آية

سورة والعصر مكية وهي ثلث آيات

بسم الله الرحمن الرحيم **والعصر** اقسم بصلوة العصر لفضلها بدليل قوله تعالى والصلوة الوسطى صلوة العصر في مصحف حفصة وقوله صلى الله عليه وسلم من فاتته صلوة العصر فكانما وتر اهله وماله ولان التكليف في ادائها اشق لتهافت الناس في تجاراتهم ومكاسبهم آخر النهار واشتغالهم بمعايشهم او اقسم بالعشي كما اقسم بالضحى لما فيهما جميعا من دلائل القدرة او اقسم بالزمان لما في مروره من اصناف العجائب **ان الانسان لفي خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر** الانسان للجنس والخسر الخسران كما قيل الكفر في الكفران والمعنى ان الناس في خسران من تجاراتهم الا الصالحين وحدهم لانهم اشتروا الآخرة بالدنيا فربحوا وسعدوا ومن عداهم تجروا على خلاف تجارتهم فوقعوا في الخسارة والشقاوة وتواصوا بالحق بالامر الثابت الذي لا يسوغ انكاره وهو الخير كله من توحيد الله وطاعته واتباع كتبه ورسله والزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة وتواصوا بالصبر عن المعاصي وعلى الطاعات وعلى ما يبلو الله به عباده عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة والعصر غفر الله له وكان ممن تواصى بالحق وتواصى بالصبر

سورة

سورة الهمزة مكية وهي تسع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم **ويل لكل همزة لمزة** الهمز الكسر كالهزم واللمز الطعن يقال لمزه ولهزه طعنه والمراد الكسر من اعراض الناس والغض منهم واغتيابهم والطعن فيهم وبناء فعلة يدل على ان ذلك عادة منه قد ضري بها ونحوها اللعنة والضحكة قال وان اغيب فانت الهامز اللمزه وقرى ويل للهمزة اللمزة وقرى ويل لكل همزة لمزة بسكون الميم وهو المسخرة الذي ياتي بالاوابد والاضاحيك فيضحك منه ويشتم وقيل نزلت في الاخنس ابن شريق فانه كانت عادته الغيبة والوقيعة وقيل في امية بن خلف وقيل في الوليد بن المغيرة واغتيابه لرسول الله صلى الله عليه وسلم وغضه منه ويجوز ان يكون السبب خاصا والوعيد عاما ليتناول كل من باشر ذلك القبيح وليكون جاريا مجرى التعريض بالوارد فيه فان ذلك ازجر له وانكى فيه **الذي جمع مالا وعدده** الذي بدل من كل او نصب على الذم وقرى جمّع بالتشديد وهو مطابق لعدده وقيل عدده جعله عدة لحوادث الدهر وقرى وعدده اي جمع المال وضبط عدده واحصاه او جمع ماله وعدده الذين ينصرونه من قولك فلان ذو عدد وعدد اذا كان له عدد وافر من الانصار وما يصلحهم وقيل وعدده معناه وعدّه على فك الادغام نحو ضننوا **يحسب ان ماله اخلده** اخلده وخلده بمعنى اي طوّل المال امله ومنّاه الاماني البعيدة حتى اصبح لفرط غفلته وطول امله يحسب ان المال تركه خالدا في الدنيا لا يموت او يعمل من تشييد البنيان الموثق بالصخر والآجر وغرس الاشجار وعمارة الارض عمل من يظن ان ماله ابقاه حيا او هو تعريض بالعمل الصالح والزهد انه هو الذي اخلد صاحبه في النعيم فاما المال فما اخلد احدا فيه وروي انه كان للاخنس اربعة آلاف دينار وقيل عشرة آلاف وعن الحسن انه عاد موسرا فقال ما تقول في الوف لم افتد بها من لئيم ولا تفضلت على كريم قال ولكن لماذا قال لنبوة الزمان وجفوة السلطان ونوائب الدهر ومخافة الفقر قال اذن تدعه لمن لا يحمدك وترد على من لا يعذرك **كلا** ردع له عن حسبانه **لينبذن** وقرى لينبذان اي هو وماله ولينبذن بضم الذال اي هو وانصاره ولينبذنه **في الحطمة**

في النار التي من شانها ان تحطم كل ما يلقى فيها ويقال للرجل الاكول انه لحطمة وقرئ الحاطمة
وما ادريك ما الحطمة نار الله الموقدة التي تطلع على الافئدة يعني انها تدخل في اجوافهم
حتى تصل الى صدورهم وتطلع على افئدتهم وهي اوساط القلوب ولا شيء في بدن الانسان الطف
من الفؤاد ولا اشد تالما منه بادنى اذى يمسه فكيف اذا اطلعت عليه نار جهنم واستولت
عليه ويجوز ان يخص الافئدة لانها مواطن الكفر والعقائد الفاسدة والنيات الخبيثة
ومعنى اطلاع النار عليها انها تعلوها وتغلبها وتشتمل عليها او تطالع على سبيل المجاز معادن
موجبها انها عليهم موصدة مطبقة قال تحن الى اجبال مكة ناقتي
ومن دونها ابواب صنعاء موصدة في عمد ممددة قرئ في عمد بضمتين وعمد بسكون الميم
وعمد بفتحتين والمعنى انه يؤكد يأسهم من الخروج وتيقنهم بحبس الابد فتوصد عليهم الابواب
وتمدد على الابواب العمد استيثاقا في استيثاق ويجوز ان يكون المعنى انها عليهم موصدة
موثقين في عمد ممددة مثل المقاطر التي تقطر فيها اللصوص اللهم اجرنا من النار يا خير
مستجار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الهمزة اعطاه الله عشر حسنات بعدد
من استهزأ بمحمد واصحابه

سورة الفيل مكية وهي خمس آيات

بسم الله الرحمن الرحيم الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل روي ان ابرهة
ابن الصباح الاشرم ملك اليمن من قبل اصحمة النجاشي بنى كنيسة بصنعاء وسماها القليس
واراد ان يصرف اليها الحاج فخرج رجل من كنانة فقعد فيها ليلا فاغضبه ذلك وقيل اججت
رفقة من العرب نارا فحملتها الريح فاحرقتها فحلف ليهدمن الكعبة فخرج بالحبشة ومعه فيل
اسمه محمود وكان قويا عظيما واثنا عشر فيلا غيره وقيل ثمانية وقيل كان معه الف فيل و
قيل كان وحده فلما بلغ المغمس خرج اليه عبد المطلب وعرض عليه ثلث اموال تهامة ليرجع
فابى وعبأ جيشه وقدم الفيل وكانوا كلما وجهوه الى الحرم برك ولم يبرح واذا وجهوه الى
اليمن او الى غيره من الجهات هرول فارسل الله طيرا سودا وقيل خضرا وقيل بيضا مع كل
طائر

طائر حجر في منقاره وحجران في رجليه اكبر من العدسة واصغر من الحمصة وعن ابن عباس رضي
الله عنهما انه رأى منها عند ام هانئ نحو قفيز مخططة بحمرة كالجزع الظفاري فكان الحجر يقع على
راس الرجل فيخرج من دبره وعلى كل حجر اسم من يقع عليه ففروا فهلكوا في كل طريق ومنهل و
دوي ابرهة فتساقطت انامله وآرابه وما مات حتى انصدع صدره عن قلبه وانفلت وزيره ابو يكسوم
وطائر يحلق فوقه حتى بلغ النجاشي فقصص عليه القصة فلما اتمها وقع عليه الحجر فخر ميتا بين يديه
وقيل كان ابرهة جد النجاشي الذي كان في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم باربعين سنة
وقيل بثلث وعشرين سنة وعن عائشة رضي الله عنها رأيت قائد الفيل وسائسه اعميين مقعدين
يستطعمان وفيه ان ابرهة اخذ لعبد المطلب مائتي بعير فخرج اليه فيها فجهره وكان رجلا جسيما
وسيما وقيل هذا سيد قريش وصاحب عير مكة الذي يطعم الناس في السهل والوحوش في رؤوس
الجبال فلما ذكر حاجته قال سقطت من عيني جئت لاهدم البيت الذي هو دينك ودين آبائك و
عصمتكم وشرفكم في قديم الدهر فالهاك عنه ذود اخذ لك فقال انا رب الابل وللبيت رب سيمنعه
ثم رجع واتى باب البيت فاخذ بحلقته وهو يقول لاهم ان المرء يمنع رحله فامنع حلالك
لا يغلبن صليبهم ومحالهم عدوا محالك ان كنت تاركهم وكعبتنا فامر ما بدا لك
يا رب لا ارجو لهم سواكا يا رب فامنع منهم حماكا فالتفت وهو يدعو فاذا هو بطير من
نحو اليمن فقال والله انها لطير غريبة ما هي ببحرية ولا تهامية وفيه ان اهل مكة قد احتووا
على اموالهم وجمع عبد المطلب من جواهرهم وذهبهم الحور وكان سبب يساره وعن ابي سعيد
الخدري انه سئل عن الطير فقال حمام مكة منها وقيل جاءت عشية ثم صبحتهم وعن عكرمة
من اصابته جدرته وهو اول جدري ظهر قرئ الم تر بسكون الراء للجد في اظهار اثر الجازم والمعنى
انك رأيت آثار فعل الله بالحبشة وسمعت الاخبار به متواترة فقامت لك مقام المشاهدة وكيف
في موضع نصب بفعل ربك لا بالم تر لما في كيف من معنى الاستفهام الم يجعل كيدهم في تضليل
في تضييع وابطال يقال ضلل كيده اذا جعله ضالا ضائعا ونحوه قوله تعالى وما كيد الكافرين

الا في ضلال وقيل لامرئ القيس الملك الضليل لانه ضلّل ملك ابيه اى ضيّعه يعنى انهم
كادوا البيت اولا ببناء القليس وارادوا ان ينسخوا امره بصرف وجوه الحاج اليه فضلل
كيدهم بايقاع الحريق فيه وكادوه ثانيا بارادة هدمه فضلل بارسال الطير عليهم وارسل عليهم
طيرا ابابيل خزايق الواحدة ابالة وفي امثالهم ضغث على ابالة وهي الحزمة الكبيرة شبهت
الخزقة من الطير في تضامها بالابالة وقيل ابابيل مثل عباديد وشماطيط لا واحد لهما
وقرا ابو حنيفة رضي الله عنه يرميهم اى الله تعالى او الطير لانه اسم جمع مذكر وانما يؤنث على المعنى
ترميهم بحجارة من سجيل سجيل كانه علم للديوان الذي كتب فيه عذاب الكفار كما ان سجينا
علم لديوان اعمالهم كانه قيل بحجارة من جملة العذاب المكتوب المدون واشتقاقه من
الاسجال وهو الارسال لان العذاب موصوف بذلك وارسل عليهم طيرا وارسلنا عليهم الطوفان
وعن ابن عباس رضي الله عنهما من طين مطبوخ كما يطبخ الآجر وقيل هو معرب
من سنك كل وقيل من شديد عذابه ورووا بيت ابن مقبل ضربا تواصت به الابطال سجيلا
وانما هو سجينا والقصيدة نونية مشهورة في ديوانه فجعلهم كعصف ماكول شبهوا بورق
الزرع اذا اكل اى وقع فيه الاكال وهو ان ياكله الدود او بتبن اكلته الدواب و
راثته ولكنه جاء على ما عليه آداب القرآن كقوله كانا ياكلان الطعام او اريد اكل
حبه فبقي صفرا منه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الفيل عافاه الله
ايام حيوته من الخسف والمسخ

سورة قريش مكية وهي اربع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم لايلاف قريش ايلافهم رحلة الشتاء والصيف
لايلاف قريش متعلق بقوله فليعبدوا امرهم ان يعبدوه لاجل ايلافهم الرحلتين فان قلت
فلم دخلت الفاء قلت لما في الكلام من معنى الشرط لان المعنى اما لا فليعبدوه
لايلافهم على معنى ان نعم الله عليهم لا تحصى فان لم يعبدوه لساير نعمه فليعبدوه لهذه الواحدة
التي

التي هي نعمة ظاهرة وقيل المعنى اعجبوا لايلاف قريش وقيل هو متعلق بما قبله اى فجعلهم كعصف
ماكول لايلاف قريش وهذا بمنزلة التضمين في الشعر وهو ان يتعلق معنى البيت بالذي قبله تعلقا لا يصح
الا به وهما في مصحف ابي سورة واحدة بلا فصل وعن عمر رضي الله عنه انه قراهما في الثانية من صلوة
المغرب وقرا في الاولى والتين والمعنى انه اهلك الحبشة الذين قصدوهم ليتسامع الناس بذلك فيتهيبوهم
زيادة تهيب ويحترموهم فضل احترام حتى ينتظم لهم الامن في رحلتيهم فلا يجترئ احد عليهم وكانت
لقريش رحلتان يرحلون في الشتاء الى اليمن وفي الصيف الى الشام فيمتارون ويتجرون وكانوا في
رحلتيهم آمنين لانهم اهل حرم الله وولاة بيته فلا يتعرض لهم والناس غيرهم يتخطفون ويغار عليهم
والايلاف من قولك آلفت المكان اولفه ايلافا اذا الفته فانا مولف قال
من المولفات الرهو غير الاوارك وقرئ لالاف قريش اى لمؤالفة قريش وقيل يقال الفته الفا و
الافا وقرا ابو جعفر لالف قريش وقد جمعهما من قال زعمتم ان اخوتكم قريش
لهم الف وليس لكم الاف وقرا عكرمة ليالف قريش الفهم رحلة الشتاء والصيف وقريش ولد النضر
ابن كنانة سموا بتصغير القرش وهو دابة عظيمة في البحر تعبث بالسفن ولا تطاق الا بالنار وعن
معاوية انه سال ابن عباس رضي الله عنهم بم سميت قريش قال بدابة البحر تاكل ولا تؤكل وتعلو ولا
تعلى وانشد وقريش هي التي تسكن البحر بها سميت قريش قريشا والتصغير للتعظيم وقيل
من القرش وهو الكسب لانهم كانوا كسابين بتجاراتهم وضربهم في البلاد اطلق الايلاف ثم ابدل
عنه المقيد بالرحلتين تفخيما لامر الايلاف وتذكيرا بعظم النعمة فيه ونصب الرحلة بايلافهم
مفعولا به كما نصب يتيما باطعام واراد رحلتي الشتاء والصيف فافرد لامن الالباس كقوله
كلوا في بعض بطنكم تعفوا وقرئ رحلة بالضم وهي الجهة التي يرحل اليها فليعبدوا رب هذا
البيت الذي اطعمهم من جوع وآمنهم من خوف التنكير في جوع وخوف لشدتهما يعني اطعمهم بالرحلتين
من جوع شديد كانوا فيه قبلهما وآمنهم من خوف عظيم وهو خوف اصحاب الفيل او خوف التخطف
في بلدهم ومسايرهم وقيل كانوا قد اصابتهم شدة حتى اكلوا الجيف والعظام المحرقة وآمنهم

من خوف الجذام فلا يصيبهم ببلدهم وقيل ذلك كله بدعاء ابرهيم صلوات الله عليه ومن بدع التفاسير
وآمنهم من خوف ان يكون الخلافة في غيرهم وقرئ من خوف باخفاء النون عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم من قرأ سورة لايلاف قريش اعطاه الله عشر حسنات بعدد من طاف بالكعبة واعتكف بها

سورة الماعون مكية وهي سبع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم ارايت الذي يكذب بالدين فذلك الذي يدع اليتيم
قرئ أريت بحذف الهمزة وليس بالاختيار لان حذفها مختص بالمضارع ولم يصح عن العرب رَيْتَ
ولكن الذي سهل من امرها وقوع حرف الاستفهام في اول الكلام ونحوه
صاح هل رَيْتَ او سمعت براعٍ رَدَّ في الضرع ما قرى في العلاب وقرأ ابن مسعود ارايتك
بزيادة حرف الخطاب كقوله ارايتك هذا الذي كرمت علي والمعنى عرفت الذي يكذب
بالجزاء من هو ان لم تعرفه فذلك الذي يكذب بالجزاء هو الذي يدع اليتيم اي يدفعه دفعا عنيفا
بجفوة واذى ويرده ردا قبيحا بزجر وخشونة وقرئ يدع اي يترك ويجفو ولا يحض على طعام
المسكين ولا يبعث اهله على بذل طعام المسكين جعل علم التكذيب بالجزاء منع المعروف والاقدام
على ايذاء الضعيف يعني انه لو آمن بالجزاء وايقن بالوعيد لخشي الله وعقابه ولم يقدم
على ذلك فحين اقدم عليه علم انه مكذب فما اشده من كلام وما اخوفه من مقام وما ابلغه
في التحذير من المعصية وانها جديرة بان يستدل بها على ضعف الايمان ورخاوة عقد اليقين ثم
وصل به قوله فويل للمصلين الذين هم عن صلوتهم ساهون والذين هم يراؤون ويمنعون الماعون
كانه قال فاذا كان الامر كذلك فويل للمصلين الذين يسهون عن الصلوة قلة مبالاة بها حتى تفوتهم
او يخرج وقتها او لا يصلونها كما صلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم والسلف ولكن ينقرونها نقرا
من غير خشوع واخبات ولا اجتناب عما يكره فيها من العبث باللحية والثياب وكثرة التثاؤب و
الالتفات لا يدري الواحد منهم عن كم انصرف ولا ما قرأ من السور وكما ترى صلوة اكثر من ترى
الذين عادتهم الرياء باعمالهم ومنع حقوق اموالهم والمعنى ان هؤلاء احق بان يكون سهوهم عن الصلوة
التي

التي هي عماد الدين والفاروق بين الايمان والكفر والرياء الذي هو شعبة من الشرك ومنع الزكوة
التي هي شقيقة الصلوة وقنطرة الاسلام علما على انهم مكذبون بالدين وكم ترى من المتسمين بالاسلام
بل من العلماء منهم من هو على هذه الصفة فيا مصيبتاه وطريقة اخرى ان يكون فذلك عطفا على
الذي يكذب اما عطف ذات على ذات او صفة على صفة ويكون جواب ارايت محذوفا لدلالة ما بعده
عليه كانه قيل اخبرني وما تقول فيمن يكذب بالجزاء وفيمن يؤذي اليتيم ولا يطعم المسكين انعم ما يصنع
ثم قال فويل للمصلين اي اذا علم انه مسيء فويل للمصلين على معنى فويل لهم الا انه وضع صفتهم موضع
ضميرهم لانهم كانوا مع التكذيب وما اضيف اليهم ساهين عن الصلوة مرائين غير مزكين اموالهم
فان قلت كيف جعلت المصلين قائما مقام ضمير الذي يكذب وهو واحد قلت معناه
الجمع لان المراد به الجنس فان قلت اي فرق بين قولهم عن صلوتهم وبين قولك في صلوتهم قلت
معنى عن انهم ساهون عنها سهو ترك لها وقلة التفات اليها وذلك فعل المنافقين او الفسقة
الشطار من المسلمين ومعنى في ان السهو يعتريهم فيها بوسوسة شيطان او حديث نفس وذلك لا
يكاد يخلو منه مسلم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقع له السهو في صلوته فضلا عن غيره ومن
ثم اثبت الفقهاء باب سجود السهو في كتبهم وعن انس رضي الله عنه الحمد لله على ان لم يقل في
صلوتهم وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه لاهون فان قلت ما معنى المراآة قلت هي
مفاعلة من الاراءة لان المرائي يرى الناس عمله وهم يرونه الثناء عليه والاعجاب به ولا يكون
الرجل مرائيا باظهار العمل الصالح ان كان فريضة فمن حق الفرائض الاعلان بها وتشهيرها
لقوله صلى الله عليه وسلم ولا غمة في فرائض الله لانها اعلام الاسلام وشعائر الدين ولان تاركها
يستحق الذم والمقت فوجب اماطة التهمة بالاظهار وان كان تطوعا فحقه ان يخفى لانه مما
لا يلام بتركه ولا تهمة فيه فان اظهره قاصدا الاقتداء به كان جميلا وانما الرياء ان تقصد بالاظهار
ان تراه الاعين فيثنى عليه بالصلاح وعن بعضهم انه راى رجلا في المسجد قد سجد سجدة
الشكر واطالها فقال ما احسن هذا لو كان في بيتك وانما قال هذا لانه توسم فيه الرياء والسمعة

على أن اجتناب الرياء صعب إلا على المتمرنين بالإخلاص ومن ثمه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الرياء أخفى من دبيب النملة السوداء في الليلة المظلمة على المسح الأسود والماعون الزكوة
قال الراعي قوم على الإسلام لما يمنعوا ماعونهم ويضيعوا التهليلا وعن ابن مسعود
رضي الله عنه ما يتعاوره في العادة من الفأس والقدر والدلو والمقدحة ونحوها وعن عائشة
رضي الله عنها الماء والنار والملح وقد يكون منع ذلك محظورا في الشريعة إذا استعير
عن اضطرار وقبيحا في المروءة في غير حال الضرورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة
أرأيت غفر الله له إن كان للزكوة مؤديا

سورة الكوثر مكية وهي ثلث آيات

بسم الله الرحمن الرحيم إنا أعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر
إن شانئك هو الأبتر في قراءة النبي صلى الله عليه وسلم أنطيناك بالنون وفي حديثه صلى الله عليه
وسلم وأنطوا الثبجة والكوثر فوعل من الكثرة وهو المفرط الكثرة قيل لأعرابية رجع ابنها
من السفر بم آب ابنك قال آب بكوثر [illegible] و[illegible] كثير يا ابن مروان طيب
وكان أبوك ابن العقائل كوثرا [illegible] الكوثر نهر في الجنة وعن النبي صلى الله عليه وسلم حين نزلت
عليه فقال أتدرون ما الكوثر [illegible] وعدنيه ربي فيه خير كثير وروي في صفته أحلى من العسل
وأشد بياضا من اللبن وأبرد من [illegible] من الزبد حافتاه الزبرجد وأوانيه من فضة
عدد نجوم السماء وروي [illegible] أبدا أول وارديه فقراء المهاجرين الدنس الثياب
الشعث الرؤس الذين لا [illegible] تفتح لهم أبواب السدد يموت أحدهم وحاجته
تتلجلج في صدره لو أقسم على [illegible] رضي الله عنهما أنه فسر الكوثر بالخير الكثير فقال
له سعيد بن جبير فإن ناسا يقولون [illegible] من الخير الكثير والنحر نحر البدن
وعن عطية هي صلوة الفجر بجمع [illegible] وقيل صلوة العيد والتضحية وقيل هو
جنس الصلوة والنحر وضع اليمين على الشمال والمعنى أعطيناك ما لا غاية لكثرته من خير الدارين
الذي

الذي لم يعطه أحد غيرك ومعطي ذلك كله أنا إله العالمين فاجتمعت لك الغبطتان السنيتان
إصابة أشرف عطاء وأوفره من أكرم معط وأعظم منعم فاعبد ربك الذي أعزك بإعطائه وشرفك
وصانك من منن الخلق مراغما لقومك الذين يعبدون غير الله وانحر لوجهه وباسمه إذا نحرت
مخالفا لهم في النحر للأوثان إن من أبغضك من قومك لمخالفتك لهم هو الأبتر لا أنت لأن كل من يولد
إلى يوم القيامة من المؤمنين فهم أولادك وأعقابك وذكرك مرفوع على المنابر والمنار وعلى لسان
كل عالم وذاكر إلى آخر الدهر يبدأ بذكر الله ويثنى بذكرك ولك في الآخرة ما لا يدخل تحت الوصف فمثلك
لا يقال له أبتر إنما الأبتر هو شانئك المنسي في الدنيا والآخرة وإن ذكر ذكر باللعن وكانوا
يقولون إن محمدا صنبور إذا مات مات ذكره وقيل نزلت في العاص بن وائل وقد سماه الأبتر
والأبتر الذي لا عقب له ومنه الحمار الأبتر الذي لا ذنب له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من
قرأ سورة الكوثر سقاه الله من كل نهر في الجنة ويكتب له عشر حسنات بعدد كل قربان قربه
العباد في يوم النحر أو يقربونه

سورة الكافرون مكية ست آيات ويقال لها ولسورة الإخلاص المقشقشتان أي المبرئتان من النفاق

بسم الله الرحمن الرحيم قل يا أيها الكافرون المخاطبون كفرة مخصوصون قد
علم الله منهم أنهم لا يؤمنون روي أن رهطا من قريش قالوا يا محمد هلم فاتبع ديننا ونتبع دينك تعبد
آلهتنا سنة ونعبد إلهك سنة فقال معاذ الله أن أشرك بالله غيره فقالوا فاستلم بعض آلهتنا نصدقك
ونعبد إلهك فنزلت فغدا إلى المسجد الحرام وفيه الملأ من قريش فقام على رؤسهم فقرأها عليهم فأيسوا
لا أعبد ما تعبدون لا أعبد أريد به العبادة فيما يستقبل لأن لا لا تدخل إلا على مضارع في معنى
الاستقبال كما أن ما لا تدخل إلا على مضارع في معنى الحال ألا ترى أن لن تأكيد فيما تنفيه لا و
قال الخليل في لن أن أصله لا أن والمعنى لا أفعل في المستقبل ما تطلبونه مني من عبادة
آلهتكم ولا أنتم فاعلون فيه ما أطلب منكم من عبادة إلهي ولا أنا عابد ما عبدتم أي وما كنت

ولا أنتم عابدون ما أعبد

قط عابدا فيما سلف ما عبدتم فيه يعني لم تعهد مني عبادة صنم في الجاهلية فكيف ترجى مني في
الاسلام ولا انتم عابدون ما اعبد اي وما عبدتم في وقت ما انا على عبادته فان قلت فهلا
قيل ما عبدت كما قيل ما عبدتم قلت لانهم كانوا يعبدون الاصنام قبل المبعث وهو لم يكن يعبد
الله تعالى في ذلك الوقت فان قلت فلم جاء على ما دون من قلت لان المراد الصفة كانه قال
لا اعبد الباطل ولا تعبدون الحق وقيل ان ما مصدرية اي لا اعبد عبادتكم ولا تعبدون عبادتي
لكم دينكم ولي دين لكم شرككم ولي توحيدي والمعنى اني نبي مبعوث اليكم لادعوكم الى الحق والنجاة
فاذا لم تقبلوا مني ولم تتبعوني فدعوني كفافا ولا تدعوني الى الشرك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرا سورة الكافرين فكانما قرا ربع القرآن وتباعدت عنه مردة الشياطين وبرئ من الشرك
ويعافى من الفزع الاكبر

سورة النصر مدنية وهي ثلث آيات

بسم الله الرحمن الرحيم اذا جاء نصر الله والفتح اذا منصوب
بسبح وهو لما يستقبل والاعلام بذلك قبل كونه من اعلام النبوة وروي انها نزلت في
ايام التشريق بمنى في حجة الوداع فان قلت ما الفرق بين النصر والفتح حتى عطف عليه
قلت النصر الاغاثة والاظهار على العدو ومنه نصر الله الارض اغاثها والفتح فتح البلاد
والمعنى نصر رسول الله على العرب او على قريش وفتح مكة وقيل جنس نصر الله للمؤمنين وفتح بلاد
الشرك عليهم وكان فتح مكة لعشر مضين من شهر رمضان سنة ثمان ومع رسول الله صلى الله عليه
وسلم عشرة آلاف من المهاجرين والانصار وطوائف العرب واقام بها خمس عشرة ليلة ثم خرج
الى هوازن وحين دخلها وقف على باب الكعبة ثم قال لا اله الا الله وحده لا شريك له صدق
وعده ثم قال يا اهل مكة ما ترون اني فاعل بكم قالوا خيرا اخ كريم وابن اخ كريم قال اذهبوا
فانتم الطلقاء فاعتقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان الله تعالى امكنه من رقابهم عنوة
وكانوا له فيئا فلذلك سمي اهل مكة الطلقاء ثم بايعوه على الاسلام ورايت الناس يدخلون في
دين الله في ملة الاسلام التي لا دين له يضاف اليه غيرها ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل
منه

ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده

منه افواجا جماعات كثيفة كانت تدخل فيه القبيلة باسرها بعد ما كانوا يدخلون
فيه واحدا واحدا واثنين واثنين وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه انه بكى ذات
يوم فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول دخل الناس في دين الله
افواجا وسيخرجون منه افواجا وقيل اراد بالناس اهل اليمن قال ابو هريرة رضي الله عنه
لما نزلت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله اكبر جاء نصر الله والفتح وجاء اهل اليمن
قوم رقيقة قلوبهم الايمان يمان والفقه يمان والحكمة يمانية وقال اجد نفس ربكم من قبل اليمن
وعن الحسن لما فتح رسول الله مكة اقبلت العرب بعضها على بعض فقالوا اما اذا ظفر باهل الحرم
فليس به يدان وقد كان الله اجارهم من اصحاب الفيل وعن كل من ارادهم فكانوا
يدخلون في الاسلام افواجا من غير قتال وقرا ابن عباس رضي الله عنه فتح الله والنصر
وقرئ يدخلون على البناء للمفعول فان قلت ما محل يدخلون قلت النصب على الحال على ان رايت
بمعنى ابصرت او عرفت او هو مفعول ثان على انه بمعنى علمت فسبح بحمد ربك فقل سبحان الله
حامدا له اي فتعجب لتيسير الله ما لم يخطر ببالك وبال احد من ان يغلب احد على اهل الحرم
واحمده على صنعه او فاذكره مسبحا حامدا زيادة في عبادته والثناء عليه لزيادة انعامه
عليك او فصل له روت ام هانئ انه لما فتح باب الكعبة صلى صلاة الضحى ثماني ركعات
وعن عائشة رضي الله عنها كان عليه السلام يكثر قبل موته ان يقول سبحانك اللهم وبحمدك
استغفرك واتوب اليك والامر بالاستغفار مع التسبيح تكميل للامر بما هو قوام امر الدين
من الجمع بين الطاعة والاحتراس من المعصية وليكون امره بذلك مع عصمته لطفا لامته
ولان الاستغفار من التواضع لله وهضم النفس فهو عبادة في نفسه وعن النبي صلى الله عليه وسلم
اني لاستغفر في اليوم والليلة مائة مرة وروي انه لما قراها رسول الله على اصحابه
استبشروا وبكى العباس رضي الله عنه فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما يبكيك يا عم
قال نعيت اليك نفسك قال انها لكما تقول فعاش بعدها سنتين لم ير فيهما ضاحكا

يمان م

قلت فيه النصب م

اذا اخبرت ...

مستبشرا وقيل ان ابن عباس هو الذي قال ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لقد اوتي هذا الغلام علما كثيرا وروي انها لما نزلت خطب رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال ان عبدا خيره الله بين الدنيا وبين لقائه فاختار
لقاء الله فعلم ابو بكر رضي الله عنه فقال فديناك بانفسنا واموالنا وابائنا
واولادنا وعن ابن عباس ان عمر رضي الله عنهما كان يدنيه ويأذن له
مع اهل بدر فقال عبد الرحمن اتأذن لهذا الفتى معنا وفي ابنائنا من هو
مثله فقال انه ممن قد علمتم فقال ابن عباس فاذن لهم ذات يوم واذن لي
معهم فسألهم عن قوله تعالى اذا جاء نصر الله والفتح ولا اراه سألهم الا من اجلي
فقال بعضهم امر الله نبيه اذا فتح عليه ان يستغفره ويتوب اليه فقلت ليس
كذلك ولكن نعيت اليه نفسه فقال عمر ما اعلم منها الا مثل ما تعلم ثم قال تلومونني عليه
بعد ما ترون وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه دعا فاطمة رضي الله عنها فقال
يا بنتاه نعيت الي نفسي فبكت فقال لا تبكي فانك اول اهلي لحوقا بي وعن ابن مسعود ان هذه
السورة تسمى سورة التوديع كان ثوابا اي كان في الازمنة الماضية منذ خلق المكلفين
ثوابا عليهم اذا استغفروا فعلى كل مستغفر ان يتوقع مثل ذلك عن رسول الله صلى الله عليه
من قرأ سورة اذا جاء نصر الله اعطي من الاجر كمن شهد مع محمد يوم فتح مكة

بسم الله الرحمن الرحيم التباب الهلاك
الهلاك ومنه قولهم اشابة ام تابة اي هالكة من الهرم والتعجيز والمعنى هلكت يداه
لانه فيما يروى اخذ حجرا ليرمي به رسول الله صلى الله عليه وسلم وتب وهلك كله او
جعلت يداه هالكتين والمراد هلاك جملته كقوله بما قدمت يداك ومعنى وتب وكان ذلك
وحصل كقوله جزاني جزاه الله شر جزائه جزاء الكلاب العاويات وقد فعل وتدل عليه

قراءة ابن مسعود وقد تب وروي انه لما نزل وانذر عشيرتك الاقربين رقي
الصفا وقال واصاحباه فاجتمع اليه الناس من كل اوب فقال يا بني عبد المطلب يا بني
فهر ان اخبرتكم ان بسفح هذا الجبل خيلا اكنتم مصدقي قالوا نعم قال فاني
نذير لكم بين يدي الساعة فقال ابو لهب تبا لك الهذا دعوتنا فنزلت فان قلت
لم كناه والتكنية تكرمة قلت فيه ثلاثة اوجه احدها ان يكون مشتهرا بالكنية
دون الاسم فقد يكون الرجل معروفا باحدهما ولذلك تجري الكنية على الاسم
او الاسم على الكنية عطف بيان فلما اريد تشهيره بدعوة السوء وان تبقى سمة له
ذكر الاشهر من علميه وتؤيد ذلك قراءة من قرأ يدا ابو لهب كما قيل علي ابن ابو طالب ومعاوية
ابن ابو سفيان لئلا يغير منه شيء فيشكل على السامع وكان بمكة رجل يقال له عبد الله
مجرور الدال لا يعرف الا هكذا والثاني انه كان اسمه عبد العزى فعدل عنه
الى كنيته والثالث انه لما كان من اهل النار ومآله الى نار ذات لهب وافقت حاله
كنيته فكان جديرا بان يذكر بها يقال ابو لهب كما يقال ابو الشر للشرير وابو الخير
للخير وكما كنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا الملهب ابا صفرة لصفرة في وجهه
وقيل كني بذلك لتلهب وجنتيه واشراقهما فيجوز ان يذكر بذلك تهكما به وافتخارا
بذلك وقرئ ابي لهب بالسكون وهو من تغيير الاعلام كقولهم شمس بن مالك بالضم
ما اغنى استفهام في معنى الانكار ومحله النصب او نفي وما كسب مرفوع وما موصولة
او مصدرية بمعنى ومكسوبه او وكسبه والمعنى لم ينفعه ماله وما كسب بماله يعني رأس
المال والارباح او ماشيته وما كسب من نسلها ومنافعها وكان ذا سابياء او ماله
الذي ورثه من ابيه والذي كسبه بنفسه او ماله التالد والطارف وعن ابن عباس رضي الله عنه
ما كسب ولده وحكي ان بني ابي لهب احتكموا اليه فاقتتلوا فقام يحجز بينهم
فدفعه بعضهم فوقع فغضب فقال اخرجوا عني الكسب الخبيث ومنه قوله عليه السلام

إن أطيب ما يأكل الرجل من كسبه وإن ولده من كسبه وعن الضحاك ما ينفعه ماله
وعمله الخبيث يعني كيده في عداوة رسول الله وعن قتادة رضي الله عنه عمله الذي ظن أنه منه على شيء
كقوله وقدمنا إلى ما عملوا وروي أنه كان يقول إن كان ما يقوله ابن أخي حقا فأنا أفتدي
منه نفسي بمالي وولدي سيصلى قرئ بفتح الياء وبضمها مخففا ومشددا
والسين للوعيد أي هو كائن لا محالة وإن تراخى وقته وامرأته هي أم جميل بنت
حرب وأخت أبي سفيان وكانت تحمل حزمة من الشوك والحسك والسعدان
ونحوه فتنثرها بالليل في طريق رسول الله وقيل كانت تمشي بالنميمة ويقال
للمشاء بالنمائم المفسدين بين الناس تحمل الحطب بينهم أي يوقد بينهم النائرة ويورب
الشر قال من البيض لم تصطل على ظهر لامة ولم تمش بين الحي بالحطب
الرطب جعله رطبا ليدل على التدخين الذي هو زيادة في الشر ورفعت عطفا
على الضمير في سيصلى أي سيصلى هو وامرأته وفي جيدها في موضع الحال أو على الابتداء
وفي جيدها الخبر وقرئ حمالة الحطب بالنصب على الشتم وأنا أستحب هذه
القراءة وقد توسل إلى رسول بجميل من أحب شتم أم جميل وقرئ حمالة
للحطب وحمالة للحطب بالتنوين والرفع والنصب وقرئ ومريته بالتصغير
والمسد الذي فتل من الحبال فتلا شديدا من ليف كان أو جلد أو غيرهما
قال ومسد أمي من أيانق ورجل ممسود الخلق مخذوله
والمعنى في جيدها حبل مما مسد من الحبال وأنها تحمل تلك الحزمة من الشوك
وتربطها في جيدها كما يفعل الحطابون تخسيسا لحالها وتحقيرا لها وتصويرا
لها بصورة بعض الحطابات من المهاون لتمتعض من ذلك ويمتعض بعلها وهما
في بيت العز والشرف وفي منصب الثروة والجلدة ولقد عير بعض الناس
الفضل بن العباس بن العتبة بن أبي لهب بحمالة الحطب فقال

ماذا أردت إلى شتمي ومنقصتي أم أما تغير من حمالة الحطب غراء شادخة في المجد غرتها
كانت سليلة شيخ ثاقب النسب ويحتمل أن يكون المعنى أن حالها تكون في نار جهنم
على الصورة التي كانت عليه حين كانت تحمل حزمة الشوك فلا يزال على ظهرها حزمة
من حطب النار من شجرة الزقوم أو من الضريع وفي جيدها حبل مما مسد من سلاسل
النار كما يعذب كل مجرم بما يجانس حالها في جرمه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ
سورة تبت رجوت أن لا يجمع الله بينه وبين أبي لهب في درجة واحدة

بسم الله الرحمن الرحيم الله هو ضمير الشأن والله أحد
هو ضمير الشأن كقولك هو زيد منطلق كأنه قيل الشأن هذا وهو أن الله واحد لا ثاني له
فإن قلت ما محل هو قلت الرفع على الابتداء والخبر الجملة فإن قلت فالجملة
الواقعة خبرا لا بد فيها من راجع إلى المبتدأ فأين الراجع قلت حكم هذه الجملة
حكم المفرد في قولك زيد غلامك في أنه هو المبتدأ في المعنى وذلك أن قوله الله أحد هو
الشأن الذي هو عبارة عنه وليس كذلك زيد أبوه منطلق فإن زيدا والجملة يدلان
على معنيين مختلفين فلا بد مما يصل بينهما وعن ابن عباس رضي الله عنه قالت قريش صف يا محمد لنا ربك
الذي تدعونا إليه فنزلت يعني الذي سألتموني وصفه هو الله وأحد بدل من قوله الله أو على
هو أحد وهو بمعنى واحد وأصله وحد وقرأ عبد الله وأبي هو الله أحد بغير قل وفي
قراءة النبي صلى الله عليه وسلم الله أحد بغير قل هو وقال من قرأ الله أحد
كان يعدل القرآن وقرأ الأعمش قل هو الله الواحد وقرئ أحد الله بغير التنوين
وإنما أسقط لملاقاته لام التعريف ونحوه ولا ذاكر الله إلا قليلا والجيد
هو التنوين وكسره لالتقاء الساكنين والصمد فعل بمعنى مفعول من صمد إليه إذا قصده
وهو السيد المصمود إليه في الحوائج والمعنى هو الله الذي تعرفونه وتقرون بأنه خالق

السموات والارض وخالقكم وهو واحد متوحد بالالهية لا يشارك فيها وهو
الذي يصمد اليه كل مخلوق لا يستغنون عنه وهو المغني عنهم لم يلد لانه لا يجانس
حتى يكون له من جنسه صاحبة فيتوالد وقد دل على هذا المعنى بقوله انى يكون له
ولد ولم تكن له صاحبة ولم يولد لان كل مولود محدث وجسم وهو قديم لا اول
لوجوده وليس بجسم ولم يكافئه احد اي لم يماثله ولم يشاكله ويجوز ان يكون من الكفاءة في
النكاح نفيا للصاحبة سألوه عليه السلام ان يصفه لهم فاوحى اليه ما يحتوي على صفاته فقوله هو
الله اشارة لهم الى من هو خالق الاشياء وظاهرها وفي طي ذلك وصفه بانه قادر عالم
لان الخلق يستدعي القدرة والعلم لكونه واقعا على غاية احكام واتساق وانتظام
وفي ذلك وصفه بانه حي سميع بصير وقوله احد وصف بالوحدانية ونفي الشركاء
وقوله الصمد وصف بانه ليس الا محتاجا اليه واذا لم يكن الا محتاجا اليه فهو غني وفي كونه بالقدم
والاولية وقوله لم يلد نفي للشبه والمجانسة وقوله ولم يكن له كفوا احد تقرير لذلك
وبت للحكم فان قلت الكلام العربي الفصيح ان يؤخر الظرف الذي هو لغو
غير مستقر ولا يقدم وقد نص سيبويه على ذلك في كتابه فما له مقدما في كلام او اعرابه افصح
قلت هذا الكلام انما سيق لنفي المكافات عن ذات الباري سبحانه
وهذا المعنى مصبه ومركزه هو هذا الظرف فكان لذلك اهم شيء واعناه احقه
بالتقديم واجراه وقرئ كفوا بضم الكاف والفاء وكسرها مع سكون الفاء
فان قلت لم كانت هذه السورة عدل القران كله على قصر منتها
وتقارب طرفيها قلت لامر ما يسود من يسود وما ذاك الا لاحتوائها على
صفات الله وعدله وتوحيده وكفى دليلا من اعترف بفضلها وصدق بقول
رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها ان علم التوحيد من الله لمكان وكيف لا يكون
كذلك والعلم تابع للمعلوم ويشرف بشرفه ويتضع بضعته ومعلوم هذا العلم

هو الله وصفاته وما يجوز عليه وما لا يجوز فيما ظنك بشرف منزلته وجلالة محله
وانافته على كل علم واستيلائه على قصب السبق دونه ومن ازدراه فلضعف
علمه بمعلومه وقلة تعظيمه وخلوه من خشيته وبعده من النظر لعاقبته اللهم
احشرنا في زمرة العارفين العالمين بك العاملين لك القائلين بعدلك و
توحيدك الخائفين من وعيدك وتسمى سورة الاساس لاشتمالها على
اصول الدين وروي ابي وانس عن النبي صلى الله عليه وسلم اسست
السموات السبع والارضون السبع على قل هو الله احد يعني ما خلقت
الا لتكون دلائل على توحيد الله ومعرفة صفاته التي نطقت بها هذه السورة عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سمع رجلا يقرأ قل هو الله احد فقال وجبت قيل
وما وجبت له الجنة

بسم الله الرحمن الرحيم الفلق

والفرق الصبح لان الليل يفلق عنه ويفرق فعل بمعنى مفعول يقال في المثل هو ابين
من فلق الصبح وفرق الصبح ومنه قولهم سطع الفرقان اذا طلع الفجر وقيل هو
كل ما يفلقه الله اي يفرق كالارض عن النبات والجبال عن العيون والسحاب عن المطر والارحام
عن الاولاد والحب والنوى وغير ذلك وقيل هو واد في جهنم او جب فيها من
قولهم الحان من الايمان الفلق والجمع فلقان وعن بعض الصحابة رضي الله عنهم انه قدم
الشام فراى دور اهل الذمة وما هم فيه من خفض العيش وما وسع عليهم من الدنيا
فقال لا ابالي اليس من دوائهم الفلق فقيل وما الفلق قال بيت في جهنم اذا فتح
صاح جميع اهل النار من شدة حره من شر ما خلق من شر خلقه وشرهم ما يفعله
المكلفون من الحيوان من المعاصي والمآثم ومضارة بعضهم بعضا من ظلم وبغي
وقتل وضرب وشتم وغير ذلك ما يفعله غير المكلفين من الحيوان من المعا

منه من الاكل والنهش واللدغ والعض كالسباع والحشرات وما وضعه الله في الموات
من انواع الضرر كالاحراق في النار والقتل في السم والغاسق الليل اذا اعتكر
ظلامه من قوله تعالى الى غسق الليل ومنه غسقت العين اذا امتلات دمعا وغسقت
الجراحة امتلات دمعا ووقوبه دخول ظلامه في كل شيء ويقال وقبت الشمس اذا غابت
وفي الحديث لما راي الشمس قد وقبت قال هذا حين حلها يعني صلوة المغرب
وقيل هو القمر اذا امتلاء وعن عايشة رضي الله عنها اخذ رسول الله بيدي فاشار
الى القمر فقال تعوذي بالله من شر هذا فانه الغاسق اذا وقب ووقوبه
دخوله في الكسوف واسوداده ويجوز ان يكون يراد بالغاسق الاسود من
الحيات ووقبه ضربه ونقبه والوقب النقب ومنه وقبة الثريد والتعوذ
من شر الليل لان انبثاثه فيه اكثر والتحرز منه اصعب ومنه قولهم الليل اخفى
للويل ومنه قولهم اغدر الليل لانه اذا اظلم كثر فيه الغدر واسند الشر اليه
للملابسة له من حدوثه فيه النفاثات النساء او النفوس او الجماعات السواحر
اللاتي يعقدن عقدا في خيوط وينفثن ويرقين والنفث النفخ مع ريق ولا
تاثير لذلك اللهم الا اذا كان ثمة اطعام شيء ضار او سقيه او اشمامه او مباشرة
المحسود به على بعض الوجوه ولكن الله عز وجل قد يفعله عند ذلك على سبيل
الامتحان الذي يتميز الثبت على الحق من الجشوبة والجهلة من العوام فينسبه
الحشو والرعاع اليهن والى نفثهن والثابتون بالقول الثابت لا يلتفتون الى ذلك
ولا يعبؤن به فان قلت فما معنى الاستعاذة من شرهن قلت
فيها ثلثة اوجه احدها ان يستعاذ من عملهن الذي هو صنعة السحر ومن اثمهن
في ذلك والثاني ان يستعاذ من فتنتهن الناس بسحرهن وما يخدعنهم به من
باطلهن والثالث ان يستعاذ مما يصيب الله به من شر عند نفثهن ويجوز

ان يراد بهن النساء الكيادات من قوله ان كيدكن عظيم تشبيها لكيدهن بالسحر
والنفث في العقد او اللاتي يفتن الرجال بتعريد لهن لهم وعرهن محاسنهن
كانهن يسحرنهم بذلك اذا حسد اي اذا ظهر حسده وعمل بمقتضاه من بغي الغوايل
للمحسود لانه اذا لم يظهر اثر ما اضمره فلا ضرر يعود منه على من حسده بل هو الضار
لنفسه لاغتمامه بسرور غيره عن عمر بن عبد العزيز لم ار ظالما اشبه بالمظلوم من حاسد
ويجوز ان يراد بشر الحاسد اثمه وسماجة حاله في وقت حسده واظهاره اثره فان قلت
قوله من شر ما خلق تعميم في كل ما يستعاذ منه فما معنى الاستعاذة بعده من الغاسق والنفاثات
والحاسد قلت قد خص شر هولاء من كل شر لخفاء امره وانه يلحق الانسان
من حيث لا يعلم كانها يغتال به وقالوا شر العداة المداجي الذي يكيدك من حيث لا تشعر
فان قلت فلم عرف بعض المستعاذ منه ونكر بعضه قلت عرفت النفثات
لان كل نفاثة شريرة ونكر غاسق لان كل غاسق لا يكون فيه الشر انما يكون في بعض دون
بعض وكذلك حاسد لا يضر ورب حسد محمود وهو الحسد في الخيرات ومنه قوله
عليه السلام لا حسد الا في اثنين وقال ابو تمام وما حسد في المكرمات بحاسد
ان العلى حسن في مثلها الحسد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا المعوذتين
فكانما قرا الكتب التي انزلها الله تعالى كلها

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

قرئ قل اعوذ بحذف الهمزة ونقل حركتها الى اللام ونحوه فخذ اربعة فان قلت
لم قيل برب الناس مضافا اليهم خاصة قلت لان الاستعاذة وقعت من شر
الموسوس في صدور الناس فكانه قيل اعوذ من شر الموسوس الى الناس بربهم الذي
يملك عليهم امورهم وهو الاههم ومعبودهم كما يستغيث بعض الموالي اذا اعتراهم
خطب بسيدهم ومخدومهم ووالي امرهم فان قلت ملك الناس اله الناس

ماهما من رب الناس ملك الناس هما عطف بيان كقولك سيرة ابي حفص عمر
الفاروق بيّن بملك الناس ثم زيد بيانا باله الناس لانه قد يقال لغيره رب الناس
كقوله اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله وقد يقال ملك الناس
واما اله الناس فخاص لا شركة فيه فجعل غاية للبيان فان قلت
هلا اكتفى باظهار المضاف اليه الذي هو الناس مرة واحدة قلت لان عطف
البيان للبيان فكان مظنة للاظهار دون الاضمار الوسواس يعني الوسوسة
كالزلزال بمعنى الزلزلة واما المصدر فوسواس بالكسر كزلزال والمراد
به الشيطان سمي بالمصدر كانه وسوسة في نفسه لانها صنعته وشغله الذي هو
عاكف عليه واريد ذو الوسواس والوسوسة الصوت الخفي ومنه وسواس
الحلي والخناس الذي عادته ان يخنس منسوب الى الخنوس وهو التاخر
كالعواج والبتات لما روي عن سعيد بن جبير اذا ذكر الانسان ربه خنس الشيطان
واذا غفل وسوس اليه الذي يوسوس يجوز في محله الحركات الثلاث فالجر
على الصفة والرفع والنصب على الشتم ويحسن ان يقف القاري
على الخناس ويبتدي الذي يوسوس على احد هذا الوجهين من الجنة و
الناس بيان للذي يوسوس على ان الشيطان ضربان جني وانسي كما قال
شياطين الانس والجن وعن ابي ذر رضي الله عنه انه قال لرجل هل تعوذت
بالله من الشيطان الانسي ويجوز ان يكون متعلقا بيوسوس ومعناه ابتداء الغاية
اي يوسوس في صدورهم من جهة الجن ومن جهة الانس وقيل من الجنة والناس
بيان للناس وان اسم الناس ينطلق على الجنة واستدلوا بنفر ورجال في
سورة الجن واحقه لان الجن سموا جنا لاجتنانهم والناس ناسا
لظهورهم من الايناس وهو الابصار كما سموا بشرا ولو كان يقع الناس

Süleymaniye Kütüphanesi
Kısmı AMCA ZADE Hüseyin Ps.
Yeni 32
Eski Kayıt No

على القبيلين وصح ذلك وثبت لم يكن مناسبا لفصاحة القران وبعده
من التصنع واجود منه ان يراد بالناس الناسي كقوله تعالى
يوم يدع الداع وكما قرئ من حيث افاض الناس ثم بين بالجنة
والناس لان الثقلين هما النوعان الموصوفان بنسيان
حق الله عز وجل وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد انزلت
علي سورتان ما انزل مثلهما وانك لن تقرا
سورتين احب ولا ارضى عند الله منهما قال عبد الله الفقير الى الله واعوذ به من كلمات الله الكاملة التامة
الود بكنى دخمة الشاملة العامة من الله ما يلهم اليقين ويسلم اليقين امعوصة العاقبة بالندم او يتقدم في الايمان المسوط بالخلوط بالكلم والقرم واسلم
بخضوع العنق وخشوع البصر وخضع الخلق لجلال الاعظم الاكبر مستشفعا اليه بنوره الذي هو الشفيع في الاسلام متوسلا بالتوبة المخلصة
للانام وبما غيث به من مهاجرته اليه ومجاورته ومرابطته بمكة ومصابرته على تواكل من القوى وتخاذل من الخطى ثم اسأله بحق صراط المستقيم وقرآنه
المجيد الكريم وبالغيث من كرم اليمين وعن الجبين في عمل الكتاب من حقايقه المخلص من مضايقه المطلع على غوامضه المثبت في مواقفه المخلص
للنكتة ولطايف نظمه المنقى من نقر وجواهر علمه المكتنز بالفرايد المغتنمة التي لا توجد الا فيه المحيط بالايكنة من برم الفاظه ومعانيه
مع الايجاز الحاذق للفضول وتجنب المستكره المملول ولعله يكن في مضمونه الا ايراد كل شي على قانونه لكفى به ضالة ينشدها محققة
الاخبار وجموعة يتمنى العثور عليها غاصة البحار وبما شرفني به وتجدني واختصني بكرامته وتوصيني من ارتفاع على ترى بغيه بسيط

بشاراته وتنزله ومتنزل اياته وسوره من البلد الامين من ظهر في حرم ومن يرى البيت المحرم حتى وقع الخلو ...
حيث وصل التنزيل ان يهب لي خاتمة الخير ويقيني مصارع السوء ويتجاوز عن مزطاتي يوم التناد ولا
يفضحني يوم الاشهاد ويحلني دار المقامة من فضله بواسع طوله وسابغ نواله انه هو الجواد الكريم الرؤف الرحيم ومن النسخة
من الاصل الاولى التي نقلت من السواد ومن ام الكتاب في الحرمية المباركة المتمسح بها المحفوفة بان تستنزل بها
بركات السماء ويستمطر بها في السنة الشهباء فرغت منها يد المصنف تجاه الكعبة في جناح دار السليمانية
التي على باب اجياد الموسومة بمدرسة العلامة ضحى يوم الاثنين الثالث والعشرين من ربيع الاخر
في عام ثمان وعشرين وخمسمائة وهو كاتبه على ما هو كرمه وصلى على محمد عبده ورسوله وعلى آله واصحابه الطيبين

موت المؤمن بعرق الجبين تبقى عليه البقية من الذنوب فيكافأ [illegible] عند الموت
اي يشتد او يشدد عند الموت ليمحص عنه ذنوبه اي ليخلص

يقال ما خاصية الشيء

يقال ما خاصية ذلك الشيء اي ما اثره الناشي منه

اتطلب رزق الله من عند غيره وتصبح من خوف العقوبات آمنا
وترضى بصراف وان كان مشركا ضمينا ولا ترضى بربك ضامنا
تم

مسئلة يكره للرجل لبس المعصفر والمزعفر والمحمر جديدا كان او غيره
اذا كان في صبغه دم وان لم يكن في صبغه دم لا يكره الاحمر من الاحمر الحرير في الحرب
ان لم يلبس جلده ولا من غيره مطلقا وفي غير الحرير يكره غير الاحمر الا مقدار
اربع اصابع وغير الاحمر من الحرير لا يكره ان لم يعس بدنه بان يلبس تحته قميصا من القطن
عند ابي حنيفة رحمه الله خلافا لابي يوسف رحمه الله وفي فتاوى العصر لعلي السغدي ما كان
كله حريرا يكره لبسه في الحرب عنده وعندهما لا بأس به وما كان لحمته من الحرير وسداه
في لبس جميع البدن او ما يستر به الى [illegible] لا يكره في الحرب اتفاقا في مجمع الفتاوى [illegible]